

الأستاذ محمد فريد الحايك

تاريخ الدولة العلوية العثمانية

دار البعث
بيروت





ناتج الدولة العلوية العثمانية

تأليف

الاستاذ محمد فريد بك الحامى

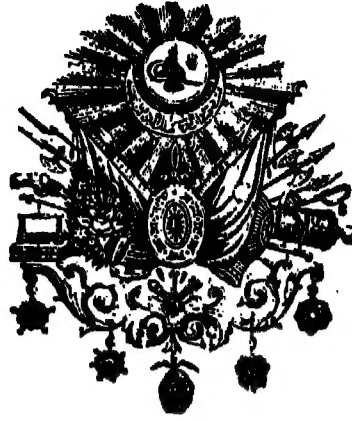
٩٥٩٠٥٩٦١٩٦٦٥٥

الديوانى
العثمانية
الاسكندرية

دار الحبيبات
بيروت



الاسكندرية
٩٥٩٠٥٩٦١٩٦٦٥٥
١٩٥٩٦١٩٦٦٥٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي عنده الدين الاسلام والعبادة والسلام على من أرسل لجميع الانام وعلى آله وصحبه الكرام وبعد في قال عالم أجيال متعاقبة يخلف اللاحق منها السابق ويرثه معارفه صحيحها وفاسدها وأخلاقه حسننها وقبيحها وأعماله تامها وناقصها ويضيف الى ذلك معلوماته الخصوصية وتجاربه الذاتية فيكون بذلك مدنيته العصرية قاذبا قام الخلف الشاب بالواجب عليه لعصره واتخذ له من تجارب السلف الشيخ مصباحا استنارت له سبل السعي وانفسح أمامه الامل فيرقى في درجات المدنية بمقدار ما صرفه من العناء في العمل وما أحرزه من معارف السالفين لذلك وجب أن تكون الحوادث الماضية وأعمال الاقدمين في العصور الخالية قدوة للمتأخرين في سياستهم وعونا لهم على أعمالهم وأنى لهم الاقتداء اذا كانوا لا يعلمون بأخبار آبائهم الاولين

يسد هذه الحاجة درس التاريخ العام والخاص (فالاول) يوقفنا على أخبار كل أمة في جميع أطوارها كاسباب ظهورها والروابط ومقدارها بين أفرادها والوسائل التي اتخذتها لنموها وارتقائها وحدود حكمومها وحكامها ووصف وقائمه في غزواتها وتحديد نخومها في كل أزمانها وامتداد أملاكها ونوع سياستها في استعمارها ومقدار نفوذها عند مقبولاتها واحترامها في أعين رصيفاتها ونواياها وأطماعها وأسباب خذلانها وسقوطها وغلبة

غيرها على أمرها و (الثاني) بالنسبة لنامعشر المسلمين تاريخ الامة الاسلامية التفصيلي الذي يرينا كيف أشرق ذلك الدين القويم على قم تلك الارض المباركة أرض الحجاز فانار معظم القارتين القديمتين آسيا وافريقية وجزاً ما كان قليلا من أوروبا وكيف كان يسير به رافعو ألويته في الاقطار بالفتح المبين على سرعة لا تفضلها سرعة حتى امتد سلطان الخلافة الاسلامية في زمن يسير من تخوم الهند شرقا الى مراكش غربا وكيف كان عدين هؤلاء المسلمين الصالحين لمن فتحو بلادهم اذ أصلحوا أمرهم وقوّموا أودهم وحققوا دماؤهم وحفظوا لهم ذمتهم وولاءهم وأباحوا لهم حرية أديانهم بعد أن أقتل ظلم ملوك هاتيك الازمان ظهورهم فاسترق أموالهم وأذلمهم وأبعد عن طريق الحرية آمالهم وأمثال هذه الفظائع حتى في هذا الزمن لا تكلف غير نظرة بالعين أو اصاخة بالاذن تاريخ هذه الامة الفاتحة الشريفة قد ينحصر على التوسع في فرعين رئيسين الخلافة العربية والخلافة التركية وقد طرق الفرع الاول كل مؤرخي الاسلام وأما الفرع الثاني فلكاد القلم العربي أن يكون منه أبعد الاقلام على أن الملك العثماني قد لم من شعث الولايات الاسلامية وقطع من تقاطعها مارد على السيطرة الاسلامية كل السيطرة الشرقية على أن ذلك قامت قيامة التعصب الديني في الممالك الاوروبية وانفتحت على اختلافها وتوحدت على تعددها والسابت على الملك العثماني فاخذت تحاربه مثنى وثلاث ورباع لتقويض عرشه وردّه الى مهده الاول فخال عزمه بينهم وبين ما يشتهون فتربص الاوروبيون والحق قد يتأجج ناراً في صدورهم والتعصب يورى شرراً في عيونهم حتى الزمن الاخير وقد استخدمت الدولة العلية دخلاء كانوا عيوناً للاعداء على أعمالها اعوانا عليها لانها يرون صدق النصح في غشها فامل فيها الطامع ورادها الرائد ونضب لها الصائد ونال منها الجاسد حتى لقد سلبها التعصب الاوروبي كثيراً من أملاكها اما بحجة الفتح أو بحجة تأييد السلام العام واما بحجة أن التعصب الديني من قواعد الاسلام تلك الدعوى التي يدعوها توفيقاً لمصالح المختلفين منهم وجمعاً للمتفرقين من عصبيتهم كافي بهم وما يدعون بحسبون اليهود وقد آواهم المسلمون مسلمين أم يزعمون وهم مبطلون أن مسيحيي الدولة الاامن أفسدوا على عهدها غير مقيمين وكيف يكون ذلك بعد أنهم ومن سواهم لدى قانون الدولة على اختلافهم في الاعتقاد سواء فلما كانت هذه الدولة قد وقعت نفسها للذب عن حرية الشرق والذود عن حوضه ولما كانت هي الحامية لبيضة الدين الاسلامي زمانا طويلا رأيت فيه من التعصب الاوروبي الاحن والحن وجب علينا أن نعلم تاريخها التفصيلي حتى العلم لنقف على ما كان يربطنا بغيرها من الدول من المعاهدات والوفقات الدولية لذلك

رأيت من الواجب على خدمة للحقيقة وتفعلاً ببناء البلاد أن أدون هذا التاريخ متحريراً فيه
صدق الاخبار عن صحيح الروايات شارحاً أسباب الوقائع وما جرت اليه من النتائج معتمداً
في ذلك كله على المعاهدات والقرمانات وصحيح المصادر
هذا ولما قدت الطبعة الاولى من كتابي تاريخ الدولة العلية أعدت طبعه هذه الدفعة
بعد ان أصلحت ما وقع به من غلطات الطبع وهفوات التحرير وأضفت اليه مقدمة
تاريخية ضممتها تاريخ الخلافة الشريفة الاسلامية من أول ظهورها الى يوم انتقالها
لبنى عثمان في زمن السلطان سليم الثاني بحيث يحيط المطالع بجميع حلقات سلسلة التاريخ
الاسلامى بكل سهولة لكن اقتصررت على ذكر الحوادث التاريخية لغاية الحرب الروسية
التركية الاخيرة التي انتهت بمعاهدة برلين الشهيرة عاقدا العزيمة على جمع ما حدث بعدها
من الحوادث التي كانت كلها موجهة لاضعاف الدولة العلية وسلخ أجزائها عنها الواحد بعد
الآخر مدوناً كلامها في باب مخصوص ناحتاً عن أسباب ما حصل بداخلة الدولة من الفتن
واليد أو الايدى الاجنبية العاملة فيها وما أتاه جلاله السلطان (عبد الحميد الثاني) من
ضروب الحكمة في مقاومة هذه الحركات العدوانية وما أظهره حفظه الله من الجزم
والعزم في اطفاء كل فتنة قبل ان يتعاضم شرها ويتطايّر شررها راجياً منه تعالى أن يوفقني
لخدمة الوطن وتقع بانيه وان يديم ويؤكد ما بين مصرنا والدولة العلية من روابط التبعية
وأن يحفظ خديونا المعظم (عبد عباس باشا حلمي الثاني) ملكاً لمصر وأبنائها ومنقذاً لها
من ورطتها انه السميع المجيب



خطبة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شاد هذا الدين على أساس مكين متين وأقامه بالبرهان القوى المبين وقبض له في كل زمان من الدولة والسلطان ما يحفظ يرضته ويحمي عزته ويؤيد كلمته ثم الصلاة والسلام على خلاصة بني الدنيا امام الانبياء الذي دانت القبائل لطاعته وانضمت أشتات الافراد تحت رايته فوحد بين هاتيك الجموع المتكاثرة وألف بين تلك القلوب المتنافرة فجعل بذلك للاسلام من السطوة والصلوة مالم تنله قبله ملة ولا دولة **﴿و بعد﴾** فقد مضى على الشرق أجيال طوال رأى فيها أهله من احوال الاجوال ما تشيب له الاطفال وتندك من وقعه عزائم الرجال بل شوامخ الجبال وما كان ذلك الا بعد أن انفرط عقد بنية وتناثر نظام أهليه وتشاغل كل بنفسه عن أخيه وذويه فافار الدهر بجيله ورجله على الشرق ودوله وقلب لابنائهم ظهر الجحش وقلوبهم بين الاحن والحن فتناسوا ما كان لهم من نخامة الاقتدار وجلالة الحضارة وضخامة العمران واصالة الامارة وانغمسوا في بحار الكسل والخلول ذاهلين واستكانوا الى المذلة والهوان صاغرين حتى باتوا وأصبحوا وهم على شفا جرف هار وقد أوشكوا أن يقض عليهم بالدمار والاندثار ويكونوا عبرة لاولى البصائر والابصار

اسكن العناية الصمدانية تداركتهم بلم الشعث ورمّ الرث ورتق الفتق ورقع الخرق
 فاضاءت الافق الاسلامى بظهور النور العثماني وأمدته بالنصر اللدني والعون الرباني
 فقامت الدولة العلية بحياطة هذا الدين وحماية الشرقيين ودعت الى الخير وامرت
 بالمعروف ونهت عن المنكر فكانت من المفلحين ثم وقفت في طريق أوروبا حاجزاً أمنياً
 وسوراً حصيناً وحالت دون اطماعها وألزمته بكف غاراتها بأنواعها ثم اهتمت بالأصلاح
 وسعت في تأييد النظام فصار لها بين الدول المقام الاول والرأى الراجح والقول النافذ
 فكانت لا يضاهاها دولة من الدول بما أحرزته من الاملاك الواسعة في قارات أوروبا
 وآسيا وأفريقية ونالت من العزة والتوفيق ما يجدر بكل شريك أن يتذكره الا ان تستغزه
 عوامل الغيرة ودواعي النشاط الى بذل نفسه ونفيسه في سبيل تقويتها وتعزير زيارتها
 وتأييد كلمتها لما كان ولا يزال لها من الحسنات الحسان على كافة بني الانسان من غير نظر
 الى الاجناس والمذاهب والاديان مما لا يراه الباحث في أية دولة غيرها قديماً أو حديثاً بل
 نرى عكس ذلك وتقيضة في الدول ذات الدعاوى الطويلة العريضة التي تتقوّل بانها عماد
 المدنية والانسانية وهي مع ذلك تصدر اوامرها الرسمية بارتكاب الفظائع والبشائع
 التي لا يكاد يصدقها السامع مما تمسك اليراع عن تعداده في هذا المقام لعدم دخوله في
 موضوع الكتاب لاسيما وان التلغرافات والجرائد تتوارد علينا في كل يوم ببيان هذه الانباء
 الشنيعة وذلك بخلاف الدولة العلية فان جميع الناس تعيش فيها بغاية الحرية والسلام وكل
 المطرودين من الدول الاوروبية يقدون الى أراضيها فيرتعون في بحبوحة الراحة والهناء
 آمنين على أنفسهم وأعراضهم وعروضهم وقد أصبحت الان ملجأ وحيداً لكل من تلغظه
 الدول الاخرى من أبناء الانسان فما ذا يكون حظ هؤلاء المذكورين اذا جازتهم في هذا
 المضمار وناظرتهم في هذه القفال

هذه حسنة من أقل حسناتها بحق للعثماني مهما كان جنسه ودينه ان يفاخر بها ويذكرها
 في كل فرصة وفي كل حين وفي ذلك أكبر دواع وأعظم باعث يدفعه الى الوقوف على
 تفاصيل تاريخها والنظر بعين الاعتبار الى ما جرى لها وعليها من التقدم والتأخر والارتفاع
 والانحطاط فان الوقوف على هذه الماكرات مما يهذب النفوس ويقوّم الاخلاق ويقوى
 روابط الوطنية ويعزز الجامعة المالية وبذلك تتماسك أجزاء هذه الدولة الجليله فيتقوى
 مجموعها ويتأكد قوامها بل حياتها وأى شريك مسلم كان أو غير مسلم لا تهزه النخوة
 القومية والحمية المالية الى المحافظة على بقائها سعيّاً في بقاء نفسه وتأييدها بكل ما في
 وسعه لتأييد بني جنسه ولذلك دفعتني دواعي الضمير الى العناية بحوادث هذه الدولة

والوقوف على احوالها فلما حطت علماً بما يجب على كل شرقي معرفته من تاريخها
 حدثتني نفسي بوجوب تدوين هذا التاريخ ونشره بين أبناء الوطن ولصراء الملة فشمرت عن
 ساعد الجهد وبذلت غاية الجهد وأوردت في هذا التأليف من مواقف التحقيق ما وصلت
 اليه الطاقة وضبطت الاعلام بقدر الامكان وشرحت في حواشي الكتاب اسماء الملوك
 والاعيان وبعض البلدان معتمداً في ذلك كله على الامهات المعتبرة والاصول الموثوق بها
 وقد قصدت بهذه الخدمة ان أقوم بفرض يجب على كل انسان أدائه لعرش الخلافة العظمى
 وملجأ الاسلام في هذا الزمان مولانا أمير المؤمنين السلطان الغازي رحمه الله عبد الحميد خان
 الثاني رحمه الله أمد الله في عمره وايدته بنصره
 اني ابتهل الى الله القدير بان يؤكد العروة الوثقى بين جلالته وولي امرنا صاحب الحزم
 والتدبير مولانا الجليل النبيل صاحب الرأي الاصيل والجد الاثيل رب الحزم والعزم
 وخدمتنا الانعم رحمه الله عباس باشا حلمي الثاني رحمه الله حفظه الله وابقاه اعلاء للوطن وابقاء
 لجامعة الملة آمين

﴿ مقدمة تاريخية ﴾

﴿ فيمن ولي الخلافة الاسلامية قبل ملوك الدولة العلية العثمانية ﴾

الخلفاء الراشدون

انقلبت الخلافة الى بني عثمان سنة ٩٢٣ هجرية حين فتح السلطان سليم الاول العثماني مصر كما تجده مفصلا في هذا الكتاب واول من وليها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم في ١٢ ربيع الاول سنة ١١ من هجرته عليه الصلاة والسلام ابو بكر الصديق رضي الله عنه بوجع له بالخلافة بعد خلف طفيف وقع بين الصحابة وتوفي في مساء ليلة الاثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ بعد ان عهد بالخلافة بعده لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي ايامه كان ظهور مسيئة الكذاب الذي ادعى النبوة فارسل اليه من حاربه وقتله وكذلك ادعت سجاح بنت الحارث النبوة و بقيت على غيها وضلالها الى خلافة معاوية بن ابي سفيان فاسلمت وحسن اسلامها وفي خلافته فتحت مدينة الحيرة بالامان على الجزيرة

وعمر بن الخطاب اول من سمي بامير المؤمنين وكان ابو بكر يخاطب بخليفة رسول الله وامتدت فتوحات الاسلام في ايامه امتدادا عظيما حتى وصلت جيوشهم الى بلاد المغرب والى حدود الهند شرقا والى بلاد سبيريا شمالا فتفتحت مصر وبلاد الشام والعراق ويران وبخارا ومرو وزالت مملكة الاعمى من الوجود السياسي بعد ان هزم يزيد جرد آخر ملوك بني ساسان وفي خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه دوت الدواوين والنشء البريد (البوسطة) لنقل المراسلات بكل سرعة ووضع التاريخ الهجري وفي ٢٤ ذي الحجة سنة ٢٣ طعنه ابو اؤلؤة بسكين وقت الصلاة وتوفي رحمه الله في يوم السبت آخر ذي الحجة سنة ٢٣ فكانت مدة خلافته عشر سنين وستة اشهر وعثمانية ايام ودفن في الحجرة الشريفة النبوية

وبوع بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه واشهر ما حدث في خلافته فتح افريقيا (ويعني بها تونس والجزائر ومراكش) وغزو بلاد الاندلس وجزيرة قبرص ونسخ القرآن الذي جمع في خلافة ابي بكر وكان مودوعا عند السيدة جفصة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وارسل نسخ منه الى جميع البلاد وحرق ما سواه من النسخ وبذلك حفظ القرآن من التغيير والتبديل الى يومنا هذا وسيبقى كذلك الى آخر الدهر ثم عزل عثمان اغلب الولاة وعين بدلهم اقاربه فولى السكوفة الوليد بن عقبة وكان اخاه من امه وعزل عمرو بن العاص عن مصر ولاها عبد الله بن ابي سرح العامري وكان اخا عثمان من الرضاة وعزل ابا موسى الاشعري عن البصرة ولاها ابن خاله عبد الله بن عامر فقم عليه كثير من الناس واتت المدينة وفود من مصر والسكوفة والعراق وبعد مسائل يطول شرحها في هذه المقدمة حصلت فتنة كانت نتيجة قتل عثمان في داره ليلة ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ فكانت مدة خلافته اثني عشر سنة الايام قلائل ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعمر رضي الله عنه وبعده مدته حصلت البيعة لسيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وابتد الخلف والانقسام

في الاسلام وطلبت السيدة عائشة بنت ابي بكر زوجة النبي صلى الله عليه وسلم الاخذ بشار
عثمان وانضم اليها طلحة والزبير بن العوام وساروا ومن تبعهم الى البصرة للاستيلاء
عليها فلحقهم على وحصلت بين الفريقين وقعة الجمل المشهورة في نصف جمادى الآخرة
سنة ٣٦ فانتصر على ومن معه وقتل طلحة وولى الزبير ومن بقي معه الى المدينة وأرسل
على السيدة عائشة الى المدينة مع أخيها محمد بن ابي بكر وبذلك انتهت الفتنة في هذه الجهة
وجمع على جيوشه لمحاربة معاوية بن ابي سفيان والى بلاد الشام لامتناعه عن مبايعته
ومنادائه باخذ ثار عثمان فحصلت بينهما وقعة صفين الشهيرة في صفر سنة ٣٧ وبعدها
اتفق على مع معاوية على ان يعين كل منهما حكما من طرفه ليفصل الخلاف وتهادنا على ذلك
وحررا به عهدا في ليلة الاربعاء ١٣ صفر سنة ٣٧ بين ابي موسى الاشعري بالنيا بة عن على
كرم الله وجهه وعمر وبن العاص بن وائل بالنيا بة عن معاوية واجلا القضاء الى شهر رمضان
من هذه السنة بحل يقال له دومة الجندل وان لم يجتمعا فيه اجتمعا في السنة التالية باذرج
فاجتمع ابو موسى وعمر وبن العاص في الموعد ومع كل منهما أربعة أنفس من اصحابه واتفقا
على ان يعزل كل منهم موكله وينتخب المسلمون من يرونه كفؤا لتولى شؤهم وعلى هذا
الاتفاق قام ابو موسى في الجمع وقال (قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا اكرمكم ولوا علىكم من
رايتوه لهذا الامر اهلا) ثم قام عمر وقال (ان هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه واني اخلع
صاحبه كما خلعه واثبت صاحبي فانه ولى عثمان والطالب بدمه وحق الناس بمقامه) فقال
ابو موسى مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت واتقض الجمع بعد ذلك وعاد عمر ومن معه الى
معاوية وسلموا عليه بالخلافة ومن ذلك الحين اخذ امر على في الضعف وامر معاوية في القوة
فارسل معاوية عمر وبن العاص في سنة ٣٨ الى مصر لمحاربة محمد بن ابي بكر المعين عليها من
قبل سيدنا على كرم الله وجهه واستخلاصها منه فأتى اليها وقتل محمد بن سيدنا على بكر رضى
الله عنه وهو اخى السيدة عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وصارت مصر تابعة لمعاوية
ثم بث سراياه في البلاد التابعة لهلى لا كراه سكاكها على مبايعته معاوية واستمر الحال على ذلك
الى سنة ٤٠ وفيها اتفق ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن ملجم المرادى وعمر بن بكر
التميمي والبرك بن عبد الله التميمي على قتل معاوية وعلى وعمر وبن العاص وتواعدوا على ليلة
سبعة عشر رمضان من هذه السنة ثم سافر كل منهم الى وجهته فسافر ابن ملجم الى الكوفة
اقتل على ومعه وردان بن تيم الرباب وشبيب بن اشجع وسافر البرك الى دمشق لقتل معاوية
وعمر وبن بكر الى مصر لقتل عمر وبن العاص وفي اليوم المتفق عليه وثب ابن ملجم ومن معه
على سيدنا على عند دخوجه لصلاة الغداة في صبيحة ليلة الجمعة ١٧ رمضان سنة ٤٠ وضر به
شبيب ضربة لم تصبه ثم ضربه ابن ملجم اصاب جبهته ومات بعد قليل وضبط بن ملجم فقط
وفر الآخران

هذا أما عمرو بن بكر فترصد لعمر وبن العاص فلم يخرج للصلاة وامر خارجة ابن ابي

دولة بني امية

حبيبة صاحب شرطته ليصلي بالناس فوثب عليه عمرو بن بكر وقتله طائفا انه يقتل عمرو
ابن العاص وكذلك لم يقتل البرك بن عبد الله معاوية بل أصابه بجرح غير خطر وقتل هؤلاء
الخواارج الثلاثة واختلف في الحل الذي دفن فيه علي كرم الله وجهه لكن المجمع عليه
والذي ذكره ابن الاثير وأبو الفداء أنه دفن في نجف ببلاد العراق وهذا هو الاصح
وبعد قتل الامام علي رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين بوجع لابنه الحسن في العراق
والحجاز وباقي البلاد الاسلامية ما عدا الشام ومصر ثم جمع معاوية جيشا حاربا واستعد
الحسن كذلك للقتال لكن ثارت الفتنة بين عساكره وتسحب كثير ممن كان حوله فلما
رأى ذلك كتب الى معاوية أنه مستعد للتنازل اليه عن حقه في الخلافة بشرط أن يعطيه
ما في بيت مال الكوفة وخراج دارا مجرد من فارس وان لا يسب عليا فأجابه معاوية على
الشرطين الاولين ولم يقبل الثالث فطلب منه الحسن أن لا يسبه وهو يسمع فاجابه ولم ينف
بذلك فلما بعد وبعد ذلك تنازل الحسن لمعاوية وكتب الى قيس بن سعد قائد جيوشه بان
يباع معاوية فبايعه ودخل معاوية الكوفة وصارت له الخلافة على جميع الاقاليم بدون
مشارك أو منازع واستمرت الخلافة في عائلته لسنة ١٣٢ ثم انتقلت لبني العباس أما
سعيدنا الحسن فعاد الى المدينة وأقام بها الى أن توفي في ربيع الاول سنة ٤٩ وكانت
ولادته في السنة الثالثة من الهجرة قيل انه مات مسموما وأهم ما حصل في أيام معاوية
حصار مدينة القسطنطينية في سنة ٤٨ وتأسيس عقبة بن نافع مدينة القيروان بتونس
الخصر سنة ٥٠ ودخول سعد بن عثمان بن عفان مدينة سمرقند في سنة ٥٦ وفي هذه السنة
بايع معاوية الناس لابنه يزيد بولاية العهد فامتنع الحسين بن علي بن أبي طالب وتبعه بعضهم
ولما بويغ ليزيد بعد موت أبيه أصر الحسين على امتناعه وسار من المدينة الى الكوفة لحاربة
اليزيد فالتقى بعسكره في الموضع المعروف بكر بلا وقتل الحسين في يوم ١٠ محرم سنة ٦١
وتبقى عبد الله بن الزبير بمكة متمتعا عن مبايعة يزيد ثم اتفق أهل المدينة في سنة ٦٤ على خلع
يزيد فخلعوه وطردوا نائبه فارس بن يزيد مسلم بن عقبة فحاربهم ودخل المدينة عنوة وأباحها
لعسكره ثلاثة أيام يفعلون باهلها ما يشاؤون من قتل ونهب وهتك وبعد أن أكره سكان
المدينة على البيعة ليزيد قصد مكة لحاربة عبد الله بن الزبير فمات قبل أن يصلها وأقام على
الجيش مكانه الحصين بن غير الكوفي فحاصرها ورمى البيت الحرام بالمنجنيق وأحرقه بالنار
ثم أتاه خبر موت يزيد فعاد الى الشام وقيل انه عرض على الزبير أن يبايعه فامتنع الزبير
وتوفي يزيد ليلة ١٤ ربيع الاول سنة ٦٤ وعمره ثمان وثلاثين سنة وكانت أمه ميسون
بنت مجدل الكلبي وبويغ بعده لابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ولم تستمر خلافته
الا بضعة أشهر ثم خلع نفسه واعتكف في منزله حتى مات وسنه واحد وعشرين سنة وجمع
الناس قبل الانعكاف وأوصاهم بان يختاروا للخلافة من أحبوا
هذا ولما مات يزيد بن معاوية حصلت البيعة بمكة لعبد الله بن الزبير وبايعه كذلك أهل

العراق واليمن وذلك في مدة خلافة معاوية بن يزيد ولما مات معاوية الثاني بايع أهل الشام مروان بن الحُكم ثم بايعه أهل مصر وتزوج مروان بأم خالد زوجة يزيد بن معاوية حتى يامن جانب خالد فأتاه الشر من حيث كان يريد النفع وقتلته أم خالد يوم ثلاثة رمضان سنة ٦٥ وعمره ثلاثة وستون سنة

وبويج للخلافة بعده لابنه عبد الملك وفي خلافته خرج المختار بن عبيد الثقفي لاختنار الحسين وقتل شمر بن ذي الجوشن وعمر بن سعد بن أبي وقاص الذي كان قائد الجيش الذي حارب الحسين وقتل ابن عمر المذكور واسمه حفص ثم حارب عبد الله بن زياد الذي كان والياً على البصرة من قبل معاوية بن أبي سفيان وأمر بقتل الحسين فانتقم الله للحسين وفي سنة ٦٧ أرسل عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً لمحاربة المختار فمات به وقتله في رمضان وفي سنة ٧١ جهز عبد الملك بن مروان جيشاً وقصد العراق لمحاربة مصعب بن الزبير فأنصر عليه وقتله في جمادى الآخرة فبايعه أهل العراق ثم أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي إلى مكة في جيش جرار لمحاربة عبد الله بن الزبير فحاصره الحجاج بمكة ورمى البيت الحرام بالمنجنيق وأبى ابن الزبير أن يسلم نفسه واستمر في الدفاع عن مكة حتى قتل في جمادى الآخرة سنة ٧٣ فبايع أهل الحجاز واليمن عبد الملك بن مروان وبذلك استتب الأمر لبني أمية ونوحدت الخلافة الإسلامية بعد الانقسام ثم توفي عبد الملك في منتصف شوال سنة ٨٦ وعمره ستون سنة

وبويج بعده لابنه الوليد وهو سادس بني أمية ومن أهم أعماله أنه عين ابن عمه عمر بن عبد العزيز على المدينة وأمره بهدم مسجد رسول الله وبيوت أزواجه وادخل البيوت في المسجد لتوسيعه وشرع في بناء الجامع الأموي بدمشق وفي أيامه فتحت بلاد الأندلس غرباً وما وراء نهر جيحون (سردياريا) شرقاً ودخل محمد بن قاسم الثقفي بلاد الهند وتوفي الوليد بن عبد الملك في جمادى الآخرة سنة ٩٦ وعمره اثنين واربعين سنة ونصف

وبويج بعده لأخيه سليمان سابع الأمويين فالتحق عمر بن عبد العزيز وزيراً له وفي أيامه أرسل أخاه مسامة لحاصرة القسطنطينية فأقام الجيوش حولها حتى أتاه خبر موت سليمان وفي سنة ٩٨ فتح يزيد بن المهلب إلى خراسان بلاد جرجان وطبرستان

وفي صفر سنة ٩٩ توفي سليمان بن عبد الملك وبويج بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز من خلفاء بني أمية ومن أعماله التي مدح عليها أبطاله لسب سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على المنابر يوم الجمعة وابدال السب بقراءة قوله تعالى (إن الله يامر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) وتوفي يوم الجمعة ٢٤ رجب سنة ١٠١ وكان حسن السيرة متبعاً في أعماله وأمره خطة الخلفاء الراشدين

وبويج بعده يزيد بن عبد الملك بن مروان بهدم سليمان بن عبد الملك إليه بعد عمر بن عبد

العزير هو تاسع الامويين وأهم ما حصل في أيامه اقماعه الثورة التي أهاجها يزيد بن المهلب ليستقل بملك خراسان أرسل اليه أخاه مسلمة فخار به وقتله هو وجميع من كان معه من آل المهلب

ثم توفي يزيد بن عبد الملك في ٢٥ شعبان سنة ١٠٥ وحصلت البيعة بعده لآخيه هشام بن عبد الملك عاشر بني أمية وفي أيامه غزت قواد جيوشه بلاد فرغانة وبلاد الترك النازلين فيما وراء خوارزم وفي سنة ١٢٢ بايع بعض أهل الكوفة زيد بن علي بن الحسن بن علي ابن أبي طالب بالخلافة فخار به يوسف بن عمر الثقفي وإلى الكوفة من قبل هشام وقتله فأنهت الفتنة

ثم توفي هشام في ٩ ربيع الأول سنة ١٢٥ وعمره خمسة وخمسين سنة وهو الذي بنى مدينة الرصافة وبويع بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو حادي عشرهم ولم يلتفت لامور المسلمين وشؤونهم بل انكب على اللهو والشرب وسماع الغناء ومناادمة العشاق ولذلك هاج عليه بنو أمية وقرابته فقتلوه في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٦ وكان عمره اثنين وأربعين سنة وبلغت مدة خلافته سنة واحدة وثلاثة أشهر

ثم بايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ولم تطل مدته بل توفي في ٢٠ ذي الحجة من هذه السنة وكانت مدته كلها حروب داخلية وفتن مستمرة وبعده بويع أخوه إبراهيم قاسم فلم يستتب له الأمر بل ظهر مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ودعا الناس لمبايعته فبايعه أهل قنسرين وخص وغيرهما ثم سار في جيش عظيم إلى دمشق لمحاربة إبراهيم ابن الوليد فهزمه ثم اختفى إبراهيم ودخل مروان إلى دمشق وبايعه الناس وصار هو الخليفة دون إبراهيم وتم له ذلك في النصف الأول من سنة ١٢٧ ولم تعلم مدة خلافة إبراهيم بن الوليد فقبل أربعة أشهر وقيل أقل من ذلك ثم استأنى إبراهيم فظهر وبايعه ومروان هذا هو رابع عشر خلفاء بني أمية وآخرهم إذ ظهرت في أيامه الدعوة للعباسيين في خراسان بمسعى أبو مسلم الخراساني وذلك أنه كان يوجد بالقطار الإسلامية أحزاب قوية ضد بني أمية فمنها حزب يقول بأحقية أولاد سيدنا علي بن أبي طالب بالخلافة وآخر يقول باستحقاق أولاد العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وظهر حزب العلويين أكثر من مرة في مدة الامويين فعاد بالخبيثة لظهوره في أوائل خلافتهم وقوة شوكتهم فقتل الحسين سنة ٦١ وقتل زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢٢ وفي هاتين الواقعتين قتل كثير من أولادهم وأقاربهم حتى ضعف حزبهم وتفرق من حولهم أما بني العباس فاستعملوا التؤدة والصبر ولم يفاجؤا الامويين في بدء ظهورهم بل بثوا أعوانهم في جميع الجهات لاستمالة الناس إلى بيعتهم ووجهوا همهم إلى جهات الشرق مثل العراق وإيران وخراسان وماجاورها لبعدها عن مركز خلافة الامويين وعدم تعلقهم بهم تعلق أهل الشام ومصر وثابروا على هذه الخطة إلى أن ضعف حال الامويين وتضعف شأنهم ووقع الشقاق والانقسام بينهم حتى تولى

ظهور دولة
العباسيين

الخلافة ثلاثة في سنة واحدة وهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ويزيد بن الوليد بن عبد الملك وأخوه ابراهيم ولم يقعد العباسيين عن هذا الثبات موت القائم بهذه الدعوة وهو محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس بل قام بها بعده ولده ابراهيم الامام ولما شاع خبر مساعيتهم قبض مروان على ابراهيم المذكور وجلسه في حران حتى مات وكان ذلك في سنة ١٢٩ فقام بالدعوة أخوه أبو العباس الذي لقب فيما بعد بالسفاح وفيها أظهر أبو مسلم الخراساني الدعوة للعباسيين ببلاد خراسان وحارب نصر بن سيار العامل عليها من قبل الامويين واتبعه عليه ودخل مدينة مرو وفي صفر سنة ١٣٢ أتى أبو العباس الى الكوفة واختفى بها الى يوم الجمعة ١٢ ربيع الاول وفيه خرج الى الجامع وبايعه الناس بالخلافة ثم أتى مروان لمحاربتهم فهزم بالزاب وتبعه عساكر العباسيين الى أن قتل في بوضير بمصر في أواخر ذي الحجة سنة ١٣٢ وبذلك تم انتقال الخلافة الى بني العباس ولم يجعلوا مقر ملكهم مدينة دمشق بل أقام العباس بالكوفة وكذلك أخوه أبو جعفر المنصور الى أن بنى مدينة بغداد وذلك لعدم تقهرهم بأهل الشام ليلهم الى بني أمية لكن انتقال مقر الخلافة الى العراق كان سببا في فطم عرى الروابط بين الخلافة والولايات البعيدة مثل الاندلس وأفريقيا (تونس والجزائر) فانهضت تدريجا كما ترى

ولم يهدأ بالعباس من جهة الامويين الا بعد أن قتل منهم نحو تسعين رجلا قتلوا ضربا بالعمد ثم بسطت عليهم الاطاع ومدت الموائد وأكل الناس وهم يسمعون أنيهم حتى ماتوا وأمر بنبش قبورهم واحرق عظامهم ولم يقلت من بني أمية على ما قيل الا من هرب الى الاندلس وكان من ضمنهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم فاستولى على الاندلس وبقيت في عقبه لسنة ٤٢٠ ولقب العباس بالسفاح لكثرة سفكه الدماء ومات في ذي الحجة سنة ١٣٩ ودفن في الانبار وقد عهد بالخلافة بعده الى أخيه أبي جعفر المنصور ثم من بعده الى عيسى ابن أخيه موسى وفي سنة ١٣٧ بايع عم المنصور وهو عبد الله بن علي لنفسه فأرسل اليه المنصور ابا مسلم الخراساني فنهزه وهرب عبد الله وبقي مختفيا الى سنة ١٣٩ حتى ظفريه المنصور وقتله وفي شعبان سنة ١٣٧ قتل المنصور ابا مسلم الخراساني مع انه سبب حصول العباسيين على الخلافة بسعيه واجتهاده فقتله خوفا من امتداد نفوذه والخروج عليه واختلاس الخلافة لنفسه وفي سنة ١٤١ حصلت فتنة الراوندية الذين قالوا بالوهمية أبي جعفر المنصور فحاربهم حتى قتلهم عن آخرهم وفي سنة ١٤٥ بايع أهل المدينة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين الملقب بالنفس الزكية بالخلافة فأرسل اليه جعفر عيسى بن موسى فخاربه وقتله مع كثير من أهل بيته في رمضان من السنة المذكورة وفي أثناء ذلك كان أخوه ابراهيم قد قصد البصرة وطالب البيعة من أهلها لآخيه محمد النفس الزكية فبايعوه ثم أرسل من استولى على الاهواز وواسط ولما اتاه خبر قتل أخيه سار بجموعه قاصدا الكوفة فلحقه عيسى بن موسى وكان قد غاد

من المدينة بعد موت محمد فخار به حتى قتله وبذلك انتهت هذه الفتنة وأمن للمنصور جانب العلويين وفي اثناء هذه الفتنة توفي ببغداد الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه ثم تفرغ المنصور لبناء مدينة بغداد وانتقل اليها وتوفي في ذي الحجة سنة ١٥٨ وعمره ثلاثة وستين سنة ولم يتبع ما وصى به العباس بل أوصى بالخلافة لابنه محمد المهدي خلع عيسى بن أخيه موسى من ولاية العهد

ومن أهم أعمال محمد المهدي تنظيمه البريد وتعميمه بين المدائن العظيمة وغز الروم مرتين بعرفة ابنه هرون الرشيد وفي أيامه ظهر بعض الزنادقة في حلب فجمعهم المهدي وقتلهم عن آخرهم ومزق كتبهم واستمرت خلافته عشرين سنين وشهرًا وتوفي في ٢٢ محرم سنة ١٦٩ بماسندان وعمره ٤٣ سنة فاخذ ولده هرون البيعة لأخيه موسى الهادي الذي كان يحارب بجرجان وفي خلافة موسى الهادي ابن محمد المهدي ظهر الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب وادعى الخلافة بالمدينة فاجتمع عليه كثير وباعوه فخار به العباسيون وقتلوه مع كثير من رفقاءه واهل بيته في ذي الحجة سنة ١٦٩ وفر من القتل ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الى بلاد المغرب وهو مؤسس عائلة الادريسيين عراكش وتوفي موسى الهادي في ١٤ ربيع الاول سنة ١٧٠ وعمره أربعة وعشرين سنة على ما قيل فتولى بعده أخوه شقيقه هرون الرشيد وعمره ٢٢ سنة وكانت ولادته بالرقي في ذي الحجة سنة ١٤٨ وامهما الخيزران وهي ام ولد

وهرون الرشيد هو خامس بني العباس وفي مدته بلغت دولتهم أعلى درجات الكمال وفي أيامه ظهر يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وباعه خاق كثير في سنة ١٧٦ فارسل اليه هرون الرشيد الفضل بن يحيى البرمكي في جيش عظيم ففضل الفضل المسألة على الحرب وكاتب يحيى وامنه على نفسه فطلب ان يكتب له الرشيد بالامان بخطه ففعل وعلى ذلك حضر يحيى الى بغداد فكرمته الرشيد ثم سجنه حتى مات وفي هذه السنة حصلت بدمشق فتنة عظيمة بين المضرية والتمنية قتل فيها كثير ونوفي سنة ١٧٩ توفي الامام مالك رضي الله عنه وهو ثاني الائمة الأربعة

وفي سنة ١٨٤ ولي ابراهيم بن الاغاب على أفريقيا وبقيت له في ذريته الى ان ظهر الفاطميون واستقلوا بملك أفريقيا ومصر كما نراه في آخر هذه المقدمة

وفي سنة ١٨٧ تحول الرشيد عن البرامكة لما رأى امتداد نفوذهم وزيادة أموالهم واملاهم وميسل الناس اليهم وكثرة عطايهم فخشى من ان تطمح أنظارهم الى ما فوق ذلك او يقصدوه وعائلته بسوء طمعا في تولي الخلافة فلهم هذه الأسباب اصر على الايقاع بهم فقتل جعفر بن بن يحيى في الانبار عند عودة الرشيد من الحج في اول صفر سنة ١٨٧ وارسل رأسه وجثته الى بغداد فنصبت بها أيامًا ثم ارسل من أحاط يحيى البرمكي وولده الفضل وصادرهم في جميع أموالهم من منقول ومأبوت وبذلك انقضت وزارة البرامكة بعد ان بقيت

فيهم سبعة عشر سنة واما ما يذكر فيه بعض المؤرخين ويجعلونه سببا للايقاع بالبرامكة
فغير صحيح

وفي سنة ١٩٠ توفي يحيى بن خالد بن برمك بالحبس وكذلك توفي بالحبس ولده الفضل في
محرم سنة ١٩٣ وفي ٣ جمادى الثاني من هذه السنة توفي الخليفة هر ون الرشيد في مدينة
طوس أثناء سفره فصلى عليه ابنه صالح واخذ البيعة لآخيه محمد الأمين وأرسل يخبره بذلك
وكان الرشيد قد عهد بالخلافة بعده لولده الأمين ثم للمأمون ثم لابنه القاسم ولقبه بالمؤمن لكن
جعل أمر استمراره في ولاية العهد وعزله في يد المأمون ان شاء استخافه وان شاء عهد بالخلافة
لغيره فلم يتبع الأمين هذا المأمون هذا العهد بل أبطل ذكر أخيه المأمون في الخطبة في سنة ١٩٥ وأمر
بان يخطب لابنه موسى ولقبه الناطق بالحق وكان المأمون بخراسان فلما بلغه خبر هذا التغيير
لم يقبله واجتمع حوله وبايعه كل من تحول عن الأمين لانهما كره في الملاذ واحتجابه عن
الناس وصرفه أوقاته فيما لا يعود على الخلافة بخير فجهز الأمين جيشا لحسارته أخيه
المأمون واستمرت هذه الفتنة الى سنة ١٩٧ وفيها تغلبت جيوش المأمون على جيوش
الأمين وحوصر الأمين في بغداد مدة وقتل أخيرا في ٢٥ محرم سنة ١٩٨ وعمره ثمانية
وعشرين سنة وبيع بالخلافة لآخيه المأمون قطنيا وهو شايخ بنى العباس

وكان من أعماله خلع أخاه القاسم من ولاية العهد بما له من الحق بمقتضى عهدياته الرشيد
واقام مكانه في سنة ٢١٠ على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن
زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وخلع شعاع بن العباس وهو السواد
وليس الخضر شعاع العلويين وأمر جنده بذلك فنقم عليه العباسيون باخراجهم عن
الخلافة وتآمروا على عزله وكان عمرو فعزله أهل بغداد وبايعوا إبراهيم بن المهدي العباسي
في محرم سنة ٢٠٢ ولما بلغ المأمون خبر خروج أهل بغداد عليه سار اليها من مرو ومعه
على الرضا وفي صفر سنة ٢٠٣ توفي على الرضا فجاء بالطريق بمدينة طوس فصلى عليه
المأمون ودفنه بجوار قبر والده الرشيد ثم أرسل الى أهل بغداد يخبرهم بموته وبعودته الى
ما عهد به أبوه فتفرق الناس من حول إبراهيم بن المهدي ودخلها عسكر المأمون لسكنهم لم
يظفروا به بل اختفى وبقي مختفيا الى ان ضبط في ربيع الآخر سنة ٢١٠ وعفى عنه
المأمون وتوفي في رمضان سنة ٢٢٤ وفي أوائل سنة ٢٠٤ عاد المأمون واقطعت الفتنة
وترك الخضر عاد الى لبس السواد شعاع بن العباس وعادت الاحوال الى ما كانت عليه
وفي هذه السنة توفي بمصر الامام محمد بن ادريس الملقب بالشافعي ثالث الأئمة الاربعة
وفي سنة ٢١٢ قال للمأمون بخلق القرآن وجبر الناس على القول بذلك واضطهد كل من
خالقه وهو الذي أمر محمد بن الواسي بن شاكر وأخويه أحمد والحسين بتحقيق طول خط
نصف النهار لمعرفة مقدار محيط الكرة الارضية بالضبط فقاموا بهذه المأمورية العانية
خير قيام وقاسوا احد خطوط الطول في سهل شنجار ثم أعادوا المقياس ثانيا في وطنة الكوفة

وهذا دليل على سبق العرب للأفرنج في معرفة كروية الأرض وفي أيامه ترجمت أغلب كتب اليونان العلمية والفلسفية وبلغ التمدن أعلى الدرجات وفي سنة ٢١٦ زار مصر وتوفي في ١٩ رجب سنة ٢١٨ بعد أن أوصى لاختيه أبي إسحق محمد المعتصم بالله ودفن بطرسوس وسنه سبعة وأربعين سنة ومدة خلافته عشرين سنة ونصف تقريبا فبايع الناس المعتصم إلا بعض الجنود فبايعوا العباس بن المأمون فاستدعى المعتصم العباس فبايعه وخرج للجند ونصحهم بمبايعة المعتصم فبايعوه وهي أول مرة تدخل الجند في أمر الخلافة

ومن أعمال المعتصم بناء مدينة سامرا وفتح العمورية التي كان يقدسها الروم وفي أثناء عودته من عمورية بلغه أن العباس بن المأمون يكيد له وينوي قتله فأمر بإسجنه فسجن ومات بعد قليل قيل أن الموكل بحراسته منع عنه الماء حتى مات وأرسل المعتصم أحد قواد جيوشه واسمه الأفشين خيذر لمحاربة بابك المجوسي الذي استولى على جبال طبرستان مدة عشرين سنة تقريبا فخاربه وقبض عليه واحضره أمام المعتصم فقتله وفي سنة ٢٢٦ غضب المعتصم على الأفشين فقتله

وفي ١٨ ربيع الأول سنة ٢٢٧ توفي المعتصم وعمره ثمانية وأربعين سنة تقريبا وهو أول من أضيف اسم الله تعالى إلى لقبه وبوع بعده ابنه الواثق بالله هرون ولما تولى الواثق حصلت فتنة بدمشق فأرسل إليها جيشا أعاد السكينة إليها وكان له وزير تركي اسمه أشناس أعطى إليه الواثق علامات الإمارة وهي تاج ووشاحين ومن ثم ابتدأ وفود قبائل الترك إلى بلاد العراق ودخولهم في الوظائف العالية خصوصا الجندي الأمر الذي أوجب تدخلهم في أمور الخلافة واستيلائهم على السطة الفعلية وتوفي أشناس التركي سنة ٢٢٩ وما أوجب ضعف دولة العباسيين جعلهم بلاد خراسان وراثية تقريبا في عائلة طاهر بن عبد الله

وتوفي الواثق في ٢٤ ذي الحجة سنة ٢٣٢ واختلف فيمن يعين بعده فقال فريق بمبايعة ابنه محمد وقال آخر بعدم صلاحيته لصغر سنه وأخيرا اتفق على مبايعة المتوكل جعفر بن المعتصم وهو عاشر بني العباس وفي مدته توفي الإمام أحمد بن حنبل أحد الأئمة الأربعة في سنة ٢٤١ وشرع المتوكل في نقل مركز حكومته إلى دمشق ونقل إليها دواوينه ولم يقيم بها إلا شهرين في سنة ٢٤١ ثم عاد إلى سامرا وقتل المتوكل سنة ٢٤٧ قتله بعض مماليكه باتفاق مع ابنه المنتصر وبغا الصغير الشراي وقيل أنه قتل في مجلس شرايه وقتل معه وزيره الفتح بن خاقان في ليلة الأربعاء ٣ شوال سنة ٢٤٧ ومدة خلافته خمسة عشر سنة تقريبا وعمره نحو أربعين سنة ثم حصلت البيعة لابنه المنتصر لكن لم تطل مدته بل توفي في يوم الأحد ٤ ربيع الأول سنة ٢٤٨ وعمره خمسة وعشرين سنة ونصف ومدة خلافته ستة شهور

وبوع بعده أحمد المستعين بالله ابن محمد المعتصم ولم يرغب رجال الدولة خصوصا الأتراك

مبايعة احد اولاد المتوكل وبذلك ازداد تداخلهم في انتخاب الخلفاء وعزلهم بل وقتلهم حتى صار الامر بيدهم وزادت الفتن بين العرب والأتراك في خلافة المستعين وتايد نفوذ عائلة طاهر بن عبد الله بخراسان ولما توفي طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عبد الله في رجب سنة ٢٤٨ عين المستعين ولده محمد بن طاهر وكذلك لما توفي بغا التركي ولى ابنه موسى مكانه فصارت الوظائف وراثية تقريرا في بعض العائلات الاجنبية وفي خلافة المستعين ظهر يعقوب بن الليث الصفار وتحرك من سجستان قاصدا هرات للاستيلاء عليها وكذلك ظهر الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن زيد بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب بطبرستان واستقل بها الى ان توفي سنة ٢٨٧ وكان يلقب بالداعي الى الحق وحكم بعده الناصر للحق الحسن بن علي وكان يعرف بالاطروش وتوفي سنة ٣٠٤ واقرض بموته ملك العلويين بطبرستان

فكانت الاحوال في غاية الاضطراب مدة حكم المستكفي وكثر الفساد وسمى كل عامل في الاستقلال بما ولى عليه وضعفت الحكومة حتى صارت العلوية في يد اصحاب الدسائس وزادت الفتن بين احزاب الأتراك في سنة ٢٥١ حتى حاصروا المستعين بقصره بسامرا فهرب منها الى بغداد فباع العصاة المعتز بالله بن المتوكل وهو ارسل اخاه ابا احمد طلحة في خمسين الف تركي لمحاربة المستعين ببغداد ثم اتفق كبار الدولة على خلع المستعين حسما للمشاكل وحقنا للدماء فخلعوه واخبروه بذلك فقبل وبايع المعتز بالله وخطب له في بغداد يوم الجمعة ٤ محرم سنة ٢٥٢ ثم قتل المستعين بامر المعتز بعد ان منع من السفر الى مكة وحبس وفي مدة المعتز حصلت جملة فتن بين العسكر الأتراك فقتلوا قائدهم وصيف سنة ٥٣ ولم يعاقبهم الخليفة بل اعطى كل ما كان له الى بغا الشراي ثم امر بقتله سنة ٢٥٤ وفي هذه السنة ولى احمد بن طولون على مصر فاستقل بها مع حفظ السيادة الاسمية للعباسيين الى ان توفي سنة ٢٧٠ وخلقه ابنه بخاريه الملقب بابي الجيوش وفي سنة ٢٥٥ استولى يعقوب الصفار على كرمان ثم على بلاد فارس ودخل شيراز وكتب للخليفة يعترف له بالسيادة وارسل اليه هدايا عظيمة فاكتفى بالخليفة وفقد بذلك جميع املاكه الواقعة شرق بغداد تقريرا كما فقد مصر وكما استقل الامويون بالاندلس والادريسيون بالمغرب الاقصى بحيث صارت الاقاليم التابعة للعباسيين لا تزيد عن ربع ما كان قبلهم لدولة بني امية

وفي ٢٦ رجب سنة ٢٥٥ ثار عليه الأتراك من الجند لعدم مقدرته على اداء ما يطلبونه من الاموال فاهانوه واشهدوا على خلعه وبايعوا المنتدى محمد بن الواثق وهو رابع عشر العباسيين وفي ٢ شعبان من السنة المذكورة مات المعتز جوعا بمنع الطعام والشراب عنه وفي مدته ابتداء ظهور شخص اسمه علي بن محمد وادعى الانتساب للعلويين وجمع قبائل الزنوج النازلين بالقرب من البصرة وصار يعسوه ورجاله في الارض الى ان قتل سنة ٢٧٠ ولم تطل خلافة المنتدى بل حصلت حروب بينه وبين الأتراك بسبب قتله احد قوادهم المدعو

بأبيك والظفر فوا به أخيراً وقتلوه في ١٨ رجب سنة ٢٥٦ وأخرجوا أبا العباس أحمد بن المتوكل من السجن وباعوه ولقب المعتمد على الله وهو خامس عشرهم وفي مدته توفي الإمام البخاري في ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦. والإمام مسلم في سنة ٢٦١ واستفحل أمر يعقوب الصنفار فاستولى على بلخ وكابل والاهواز ثم توفي في ١٩ شوال سنة ٢٦٥ وخلفه أخوه عمرو وكتب للخليفة بالطاعة فولاه جميع البلاد التي كانت تحت يد أخيه وعظم شأن الحسن بن زيد العلوي بطبرستان واستولى على جرجان ثم توفي سنة ٢٧٠ وتولى أخوه محمد بن زيد وعصى العرب في حمص حاكمهم التركي وقتلوه واستولى الزنوج على البصرة وقتلوا كثير من أهلها ودخلوا مدينة واسط ووصلت طلائعهم إلى بغداد فنقسموا فزاد دات الخلافة ضعفاً على ضعف وتخلت القوضى جميع أجزائها واستبدت القواد والحكام لعدم رادع أو مراقب وفي خلافته أشهر كذلك أحمد بن طولون استقلاله ومنع ذكر اسم الخليفة في الخطبة وشار إلى بلاد الشام وفتح أكثر مدائنها وعظمت سطوته ثم مات سنة ٢٧٠ وخلفه ابنه حمارويه وكان أبو أحمد طلحة الموفق أخو الخليفة المعتمد هو قائد جنوده وصاحب السكامة في البلاد حتى ضيق على الخليفة في المصريف وتوفي في ٢٢ صفر سنة ٢٧٨. وحيث كان ببيع له بولاية العهد بعد المفوض جعفر بن المعتمد اجتمع القواد وباعوا أبا العباس المعتضد بولاية العهد مكان أبيه الموفق ثم عزل المعتمد ابنه جعفر قبل وفاته وأوصى بولاية العهد لأبي العباس المعتضد

بني طولون بمصر

وفي آخر خلافة المعتمد ظهر أصحاب مذهب القرامطة بالكوفة (١) وتوفي في ١٩ رجب سنة ٢٧٩ بعد أن حكم ثلاث وعشرين سنة وبويع لأبي العباس أحمد المعتضد بالله ابن الموفق بن المتوكل وهو سادس عشرهم وفي مدته زادت شوكة بني سامان المستقلين ببلاد ما وراء النهر مع اعترافهم بالسيادة للخليفة وسار اسمعيل الساماني إلى خراسان لمحاربة عمرو وأخى يعقوب الصنفار فهزمه وقبض عليه وحبس حتى مات وانقرض بموته ملك الصنفار ثم حارب الساماني محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان فهزمه وجرح العلوي جراحاً بليغة مات بسببها سنة ٢٨٧ وخلفه ابنه الناصر للحق وفي أيام المعتضد قتل حمارويه بن طولون صاحب مصر سنة ٢٨٢ وخلفه ابنه جيش

(١) ويسمون أيضاً الاسماعيلية نسبة لاسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ويسمون كذلك بالباطنية لاعتقادهم بقاء الإمامة في العلويين وإن الأرض لا تخلو من إمام مطلقاً ما طاهر بذاته ومستور وإن أول الأئمة المستورين هو محمد المنتظر ابن حسن العسكري بن علي الزكي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق المتقدم ذكره ويعتقد الباطنيون أن عهد المنتظر المذكور اختفي وسنه تسع سنوات وينتظر ظهوره ثانياً وتسمى هذه الطائفة بالائتني عشرة لاعتقادهم أن الأئمة الظاهرة اثنا عشر أولهم الإمام علي كرم الله وجهه ثم ولديه الحسن والحسين ثم علي زين العابدين السابق الذكر وآخرهم محمد المنتظر وهم طائفة من الشيعة امتد نفوذهم إلى مشارق الأرض ومنازلها وكانت قاعدة أعمالهم قلعة الموت ويقال لهم كذلك الحشاشين لتعاطيهم الحشيشة وقد كان لهم شأن يذكر أيام الحروب الصليبية وقتلوا كثيراً من الأمراء والملوك

الملقب بالافضل ثم خلعه الجند وعينوا أخاه هرون وضعف أمر بني طولون وقارب الزوال وفي ٢٢ ربيع الآخر سنة ٢٨٩ توفى المعتضد وكانت خلافته عشر سنين تقريبا وعمره سبعة واربعين سنة وخلفه ابن المكتفي بالله وهو سابع عشر العباسيين وفي أيامه افتتح العباسيون مصر ثانيا من هرون بن خمارويه وهزمت القرامطة عدة مرات وتوفى اسمعيل الساماني وتولى بعده ابنه أبو النصر احمد فأقره الخليفة ثم توفى في ١٢ ذى القعدة سنة ٢٩٥ فكانت خلافته ست سنين وأصف وعمره ثلاثة وثلاثين سنة وبويع بعده أخوه أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد وعمره ثلاثة عشر سنة وهو الثامن عشر وامتدت مدة خلافته الى سنة ٣٢٠ أي بلغت خمسة وعشرين سنة الا انه خلع في خلالها مرتين الاولى في سنة ٢٩٦ خلعه القضاة والقواد لصغر سنه وبايعوا عبد الله ابن المعتز ولقبوه الراضي بالله لكنك لم يلبث الا ليلة واحدة ثم قتل أثناء الفتن والحروب التي قامت بين أتباع المقتدر وأتباعه وأعيد المقتدر ثانيا والثانية في سنة ٣١٧ خلعه الجند والقواد بسبب تسليمه أمور الخلافة للنساء والخدام واشتغاله بما لا يفيد الأمة فحاصروه في داره وحملوه وأولاده ووالدته الى دار مؤنس الخادم أحد القواد الذي كانت له اليد الطولى في هذه الفتن وأكرهوه على ان يخلع نفسه ففعل وبايعوا أخاه محمد بن المعتضد ولقبوه القاهر بالله ثم أعيد بعد ثلاثة أيام من خلعه وأمن اخاه القاهر بالله وبقي حيا الى ان خلعه بعد قتله سنة ٣٢٠ ولم يعد المؤرخون عبد الله ابن المعتز في عداد الخلفاء لانه لم يحكم الا ليلة واحدة لكن اعتبرته تاسع عشرهم بما أنه حصلت مبايعته وتولى الحكم وفي أيام المقتدر حصلت عدة حروب بين جنوده وبين القرامطة كان النصر فيها غالبا لجنود الخليفة وابتدت دولة الفاطميين بتولس في سنة ٢٩٦ وأولهم المهدي أبو محمد عبيد الله وكان القائم بالدعوة له أبو عبد الله الشيعي فاستقل بافريقيا (تولس والجزائر) بعد ان انتزعها من بني الاغلب الذين حكموا مدة مائة واثنى عشر سنة أولها سنة ١٨٤ التي ولى فيها هرون الرشيد ابراهيم بن الاغلب على افريقيا ثم فتح المهدي سجلماسة وناهرت وفتح الاولى أي سجلماسة اقراض ملك بني مدرار بعد ان استمر مائة وثلاثين سنة كما انتهى ملك بني رستم بفتح ناهرت بعد ان دام مائة وستين سنة وبني مدينة جديدة على البحر وسماها المهدي ونقل اليها مركز حكومته بعد ان حصنها ولما استتب له الحال في افريقيا حول عبد الله أنظاره الى مصر وارسل اليها حملة حملات في أيام المقتدر عادت بالفشل والخيبه وفي سنة ٣١٧ تعدى القرامطة على الحجاج بالايذاء الشديد ونقلوا الحجر الاسود من مكانه وقتلوا الحجاج في البيت الحرام وفي سنة ٣٥٠ حصلت وحشة بين الخليفة ومؤنس الخادم فسار مؤنس الى الموصل فصادره الخليفة في جميع أملاكه ثم جمع مؤنس جيشا جرارا وقصد بغداد وحارب جند الخليفة وانتصر عليه وقتل الخليفة في المعركة في ٢٨ شوال سنة ٣٢٠ وبويع بعده أخاه محمد القاهر بالله ابن المعتضد الذي بويع وخلع أول مرة في سنة ٣١٧ وهو العشرون من بني

ظهور الدولة
الفاطمية بتولس

بنى العباس

دولة بني بويه

الآخشيديون
بمصر

وفي أيام القاهرة كان ابتداء دولة بني بويه ببلاد فارس واستيلاء عماد الدولة بن بويه على شيراز ولم تطل مدة القاهرة بل تألب عليه الجند بمسمى الوزير ابن مقلة بسبب قتله مؤنس الخادم بعض القواد الأتراك فقتلوا الخليفة في ٥ جمادى الأولى سنة ٣٢٢ وأخرجوا أبا العباس أحمد بن المقتدر وبايعوه بالخلافة في ٦ منه ولقبوه الراضى بالله وهو حادى عشر بهم وفي خلافته ولى الآخشيدي مصر سنة ٣٣٣ فاستقل بها واستطال الى بعض جهات الشام وكذلك منع ابن رابق عامل واسط والبصرة ارسال الخراج ومنع البريدى ارساله من الاهواز فضاق الحال ببغداد ثم عاد ابن رابق الى طاعة الخليفة فعينه أمير الامراء وهو حارب البريدى وهزمه وبعد ذلك بقليل ثار بحكم القائد وقصد بغداد وهزم ابن رابق الذى خرج لمحاربه واستولى بحكم على بغداد فعينه الخليفة أمير الامراء وصار هو الحاكم فعلا ولما هرب ابن رابق قصد الشام واستولى على دمشق وحصن وقصد مصر فحاربه الآخشيدي وصدته عنها

ثم توفى الراضى بالله في منتصف ربيع الاول سنة ٣٢٩ ولم يبايع المتقى بالله ابراهيم ابن المقتدر الا في ٢٠ منه بعد ان أبلغ بحكم الذى كان بواسط موت الخليفة واستصوابه مبايعة المتقى فكان الحاكم الحقيقى هو أمير الامراء يعزل ويولى من يريد من الخلقاء واقتصرت الخلافة مع كونها اسمية فقط على بغداد وبعض البلاد المجاورة لها وفي أوائل حكمه قتل بحكم أثناء الصيد قصيد ابن البريدى ببغداد واستولى عليها وقلده الخليفة امارة الامراء فهاجت عليه الاهالى لظلمه وأخرجوه من المدينة فعين الخليفة كورتكين أحد القواد ولما بلغ خبر موت بحكم الى ابن رابق بالشام قصد بغداد وحارب كورتكين فهرب وقصد هو امارة الامراء وفي سنة ٣٣٠ قصد ابن البريدى بغداد ثانيا فهرب الخليفة وابن رابق الى الموصل فاستقبلهم صاحبها ناصر الدولة بن حمدان وأكرمهما ثم قتل ابن رابق فعينه الخليفة أمير للامراء وعاد معه الى بغداد فهرب ابن البريدى وفي سنة ٣٣٣ ثار قائد تركى اسمه تورون قتلده الخليفة الامارة في رمضان وبعد مدة ضمجر من معاملته وخرج من بغداد قاصدا الموصل ليحتمى ببني حمدان فكاتبه تورون وأغلظ له الايمان وجدد العهود والمواثيق فعاد الخليفة وفي أثناء عودته قبض عليه تورون الخائن وسمل عينيه وحبسه ولما دخل بغداد بايع المستسكن بالله أبا القاسم عبد الله بن المسكتفى في صفر سنة ٣٣٣ وهو الثالث والعشرين من بني العباس

وفي خلافته استولى سيف الدولة بن حمدان صاحب الموصل على مدينتى حلب وحصن وقصد دمشق فردّه عنها الآخشيدي صاحب مصر وفي محرم سنة ٣٣٤ توفى تورون أمير الامراء فاتتبع الجند أحد القواد المدعو ابن شير زاد فأقره الخليفة مكانه ولما بلغ خبر موته معز الدولة بن بويه بالاهواز قصد بغداد للاستيلاء على امارة الامراء فهرب ابن شير زاد

ولم تبلغ مدته الا ثلاثة أشهر وأياماً ثم دخل معز الدولة بن بويه الى بغداد في جمادى الاولى سنة ٣٣٤ وقلده الخليفة الامارة وأمر ان يضرب اسمه على العملة وبعد ذلك بشهر عزل الخليفة بدسياسة ابن بويه في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ ثم سميت عيناه وبقي مسجوناً الى ان مات سنة ٣٣٨ وبويع بعده المطيع لله ابن المقتدر وفي مدته توفي الاخشيد سنة ٣٣٤ وولى الامر بعده ابنه الامير محمود ولصغر سنه استولى على الامر كافور السوداني أحد خدام الاخشيد ثم توفي سنة ٣٤٩ فأقام كافور أخاه علياً ابن الاخشيد فتوفي سنة ٣٥٥ واستقل كافور بمصر وملحقاتها من بلاد الشام الى ان توفي في السنة التالية وبعد وفاته اختلف فيمن يعين وبقي الخلاف مدة ثم اتفق على تنصيب أبو القوارس احمد بن علي بن الاخشيد وخطب له في جمادى الاولى سنة ٣٥٧ وفي خلافة المطيع توفي عبد الرحمن الناصر الاموي بالاندلس في رمضان سنة ٣٥٠ وعمره ثلاثة وسبعين سنة بعد ان حكم خمسين سنة ونصفاً وهو أول من تلقب بالاندلس بأمير المؤمنين وكانوا قبلاً يلقبون بالامراء وأبناء الخلفاء واستمر الحال كذلك الى سنة ٣٢٧ وضعف العباسيون ببغداد وظهر الفاطميون في تونس وادعوا الخلافة ولقبوا بامراء المؤمنين فامر عبد الرحمن الاموي بان يلقب بالناصر لدين الله ويخطب له بأمير المؤمنين وفي سنة ٣٥٦ توفي معز الدولة بن بويه وكانت امارته اثني وعشرين سنة وقبل وفاته عهد بالامارة الى ابنه بختيار واقبى عز الدولة فاقره الخليفة أمير الامراء وفي امارة معز الدولة حصلت عدة حروب بينه وبين ابن المقداد وغيره من الامراء خصوصاً سيف الدولة بن حمدان صاحب الموصل مما يطول شرحه ويدل على امتداد القوضى الى جميع اجزاء الخلافة حتى اجترأت الروم وتعدت الحدود مراراً وسببت ونهبت وقتلت في بلاد الاسلام وفي سنة ٣٥٨ أرسل المعز لدين الله الفاطمي جوهر القائد الصقلي الاصل بحيش كثيف لفتح مصر لما بلغه خبر الاختلاف الذي وقع بها عقب موت كافور الإخشيدى فوصل اليها جوهر وفتحها وخطب فيها للمعز في شوال من هذه السنة ثم سافر جوهر الى بلاد الشام ففتح البلاد التي كانت تابعة للاخشيديين وقطعت الخطبة للعباسيين ثم عاد الى مصر وشرع في بناء مدينة القاهرة وفي شوال سنة ٣٦١ سار المعز من تونس الى مصر فوصل الاسكندرية في شعبان سنة ٣٦٢ ودخل القاهرة في ١٥ رمضان سنة ٣٦٢ وجعلها مقر خلافته واستعمل بعض عماله على افريقيا وصقلية

الفاطميون بمصر

وفي سنة ٣٦٣ سافر بختيار عز الدولة بن بويه الى الاهواز فثار عليه أحد قواد الأتراك واسمه سبكتكين ونهب داره وجبر المطيع لله على أن يلجئ نفسه فاستقال في منتصف ذي القعدة سنة ٣٦٣ ومدة خلافته تسعة وعشرين سنة ونصف وبويع بعده لابنه عبد الكريم أبو بكر ولقب بالطائع لله وهو الخامس والعشرين من بني العباس وفي خلافته حصلت عدة حروب داخلية لا أهمية لذكرها لان الفتن والحروب وتغلب الولاة

على بعض واستقلالهم بولايتهم صار امرا عاديا حتى يمكننا القول بان جميع الولايات
صارت مستقلة تتوارثها بعض العائلات وتنقل من عائلة الى اخرى بدون علم الخليفة
وفي خلافته ملك سبكتكين أحد قواد السامانيين مدينة غزنة ثم سار الى بلاد الهند واستولى
على بعض بلادها وسبكتكين هذا هو غير سبكتكين التركي الذي كان ببغداد ومرد ذكره
هذا ولما ثار سبكتكين على بختيار واستولى على الامارة كاتب بختيار الامير عضد
الدولتين عمه ركن الدولة المستقل ببلاد فارس يستنجد به ضد الاتراك وقائدهم
سبكتكين فاقى عضد الدولة ومعه جيش جرار وحارب الاتراك ففر سبكتكين ودخل عضد
الدولة بغداد وعزل عز الدولة بختيار وقبض عليه وصار هو امير الامراء ولما بلغ خبر
القبض على بختيار الى ولده المارزبان بالبصرة كتب الى ركن الدولة فغضب هذا على ولده
عضد الدولة والزيمه بان يعيد الملك الى بختيار فاذا عن الى امر أبيه وأخرجهم من سجنه وأعادهم
الى ما كان عليه وقفل هو راجعا الى بلاد فارس وفي سنة ٣٦٦ توفى ركن الدولة بن بويه
واستخلف على ممالكه ولده عضد الدولة وعهد ولده فخر الدولة على همدان واعمالها ولولده
مؤيد الدولة على أصفهان واعمالها وجعلهما تحت حكم اخيهما عضد الدولة وفي السنة
التالية سار عضد الدولة الى بغداد ثانيا للانتقام من بختيار عز الدولة الذي استعان عليه بابيه
فحارب به مدة ثم أسره وقتله وصار هو الحاكم ببغداد وخلع عليه الخليفة وفي سنة ٣٦٩ قصد
عضد الدولة بلاد أخيه فخر الدولة فملكها وهرب أخاه والتجأ الى شمس المعالي صاحب
جرجان وطبرستان فقبضه عضد الدولة وملك بلاده ثم غزا بلاد الاكراد وصارت دولته في
التساع ونمو الى ان توفى في ٨ شوال سنة ٣٧٢ وبعد وفاته ولي بغداد ولده كاليجار المارزبان
واقبوه صمصام الدولة وكان له ولد آخر اسمه شرف الدولة كان بكرمان فلما بلغه خبر موت
أبيه سار الى فارس وملكها قبل أخيه صمصام الدولة واستقل بها ثم في سنة ٣٧٦ قصد
شرف الدولة بغداد وحارب أخاه وأسره وأرسله مسجونا الى بلاد فارس واستبد هو بالامر
الى أن مات في أول جمادى الآخرة سنة ٣٧٩ فقلد الامارة بعده أخ له اسمه أبو النصر بهاء
الدولة وكثرت في هذه السنة الفتن بين الاتراك ورجال بني بويه

وفي سنة ٣٨١ حصلت وحشة بين الامير والخليفة فقبض الامير على الطائع بالله وعزله وولى
مكانه القادر بالله أبي العباس أحمد بن الامير اسحق بن المقتدر بالله وهو السادس والعشرين
من نفي العباس واستمر في الخلافة لسنة ٤٢٢ وفي هذه المدة الطويلة انقضت دولة آل
سامان أصحاب ما وراء النهر وملك بلادهم يمين الدولة محمود الغزنوي بن سبكتكين وذلك
في سنة ٣٨٩ وكان ابتداء ملكهم سنة ٢٦١ فتكون مدة دولتهم مائة ثمانية وعشرين
سنة وكذلك انقضت دولة بني اميه بالاندلس انتهى ملكهم أولا سنة ٤٠٧ بعزل
سليمان المستظهر بالله بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ثم أعيدت لهم الخلافة
سنة ٤١٤ وانتخب أهل قرطبة عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر

في رمضان وقتلوه في القعدة وبايعوا محمد المستكنفي ثم عزلوه وبايعوا هشام بن محمد بن عبد
الملك بن عبد الرحمن الناصر ثم عزلوه في سنة ٤٢٢ هـ وبه انتهت دولتهم نهائيا وكان ابتداءها
سنة ١٣٨ هـ فتكون مدتهم بالاندلس مائتين ثلاثة وعشرين سنة
ثم امتدت أملاك محمود الغزنوي وفتح وغزا كثيرا من بلاد الهند وتوفي في ربيع الآخر سنة
٤٢١ هـ وملك بعده ابنه مسعود وكانت السلطنة في اثناء خلافة القادر في قبضة بهاء الدولة
ابن عضد الدولة بن بويه الى ان مات في جمادى الآخرة سنة ٤٠٣ هـ وعمره ستة وستون سنة
ومدة ملكه اربع وعشرين سنة وولى الامر بعده ابنه سلطان الدولة وفي أواخر سنة ٤١١ هـ
ثار الجند على سلطان الدولة فترك بغداد واستخلف أخاه شرف الدولة فاتحد أخاه مع الجند
وحارب سلطان الدولة وانتصر عليه وصار صاحب الامر في العراق وخطبه بعد أخيه
في أوائل محرم سنة ٤١٢ هـ واستمر في الامارة الى أن توفي في ربيع الأول سنة ٤١٦ هـ وبموته
ضعف أمر آل بويه ببغداد وعظم أمر الأتراك وحصلت فتن كثيرة وعمت القوضى جميع
انحائها واستمر الحال كذلك الى أن حضر جلال الدولة بن بهاء الدولة الى البصرة في رمضان
سنة ٤١٨ هـ فخرج الخليفة لملاقاته وسلمه قياد الامور
وفي ذي الحجة سنة ٤٢٢ هـ توفي القادر بالله وعمره يقرب من سبعة وعشرين سنة وخلافته احدى
واربعين سنة وشهر وربع بعده ابنه أبو جعفر عبد الله بعهد مند ولقب القائم بأمر الله وفي
خلافته ابتدأت دولة آل سلاجوق وجد هذه العائلة يسمى دقاق من رؤساء قبائل الترك التي
كانت تأتي من بلاد كشغر الواقعة في غرب بلاد الصين تباعا وولد له سلاجوق ولتجاءته قدمه
ملك الترك اذ ذاك واسمه ييغو ثم تركه سلاجوق وقصد بلاد الاسلام واسلم هو وجميع من
تبعه من رجال قبيلته ونزل بمجندة بقرب بخارا وأخذ في غزو الكفار من الترك فعظم امره
وكثرت جنوده وخلف من الاولاد أرسلان وميكائيل وموسى قتل منهم ميكائيل في
الحرب وخلف ييغو وطغرل بك وجفرو بك ثم حصلت فتن بينهم وبين بخرخان ملك
تركستان في ذلك العهد أدت الى سفك الدماء ولما عظم أمر السلاجوقيين خشي محمود
الغزنوي من تعددهم على أملاكه فخار بهم وفرق قبائلهم بين خراسان واصفهان ثم اجتمعوا
ثانيا وخار به وانتصر واعليه وعلى ولده مسعود من بعده واستولوا على خراسان وخطب
لهم على منابرهما في سنة ٤٣١ هـ وفي سنة ٤٣٢ هـ انتهز طغرل بك السلاجوق فرص الحروب
الداخلية التي وقعت بين مسعود الغزنوي وأخيه محمد وابنه مودود فاستولى طغرل بك
المذكور على جرجان وطبرستان وفي السنة التالية أي سنة ٤٣٤ هـ ملك خوارزم وماحولها
وفي أثناء ظهور وغود دولة آل سلاجوق بهذه الجهات كانت القوضى عامة في بغداد لقيام الفتن
بين جنود آل بويه من الديلم والجيوش التركية حتى لما توفي جلال الدولة بن بويه في شعبان
سنة ٤٣٥ هـ لم يتفق الجند على تعيين خلف له وبقيت دار السلام بلا حكومة (ان صرح تسميتها
بهذا الاسم) الى ان قبل أبو كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة الامارة واتى الى بغداد

السلاجوقيون

في صفر سنة ٤٣٦ ولم تطل مدة أبي كاليجار بل توفي في جمادى الاولى سنة ٤٤٠ بكرمان وتولى بعده ولده الملك الرحيم وفي مدينته وقعت عدة فتن في بغداد بين السنة والشيعة أدت الى حرق قبور بعض الخلفاء وأمراء بني بويه وقتل فيها خلق كثير لعدم امكان الحكومة قمع الفتن وفي هذه الاثناء عظم أمر طغرل بك السلجوقي فاستولى على اصفهان في محرم سنة ٤٤٣ ودخل تبريز سنة ٤٤٦ ثم قصد حلوان ونزل بها سنة ٤٤٧ فراسله قواد الأتراك واستدعوه الى بغداد باذنين له الطاعة فقبل وقبل الخليفة وخطب لطرغل بك في ٢٢ رمضان من هذه السنة ثم دخل بغداد بمن أتي معه من جيوشه بعد ان أقسم للخليفة القائم وللملك الرحيم باحترام حقوقهم لكن لم تلبث جيوشه بالمدينة حتى حصلت فتنة بينهم وبين جنود الملك الرحيم كانت نتيجتها القبض على الملك الرحيم وقواد جيوشه وبذلك انقضت دولة آل بويه بعد ان استمرت مائة ملكهم مائة وثلاثة عشر سنة من تاريخ دخول معز بن بويه بغداد في جمادى الاولى سنة ٤٣٣ وابتدأت دولة آل سلجوق ببغداد لتوطيد أقدامهم بها زوج طغرل بك ابنة أخيه الى الخليفة سنة ٤٤٨ وتزوج هو بنت الخليفة في شعبان سنة ٤٥٤

هذا وفي سنة ٤٥٠ ثار ابراهيم أخو طغرل بك على أخيه فخاربه وقتله وفي أثناء اشتغاله بمحاربة أخيه ثار بعض الجنود ببغداد تحت قيادة من يدعى البساسيري فخرج الخليفة منها وخطب في الجوامع للمستنصر بالله الخليفة الفاطمي اسكن لم تدم هذه الحالة بل عاد طغرل بك الى بغداد وأعاد الخليفة المهاو حارب البساسيري حتى قبض عليه وقتله في ٨ ذي الحجة سنة ٥١٩ وفي رجب من هذه السنة توفي داود بن ميكائيل بن سلجوق أخو طغرل بك صاحب خراسان وتولى مكانه ابنه الب ارسلان ثم توفي طغرل بك في ليلة الجمعة ٨ رمضان سنة ٤٥٥ عن غير عقب وأخلفه الب ارسلان السالف الذكر فصار حاكما على خراسان والعراق والموصل واصفهان وتبريز وغيرها من البلاد التي فتحها طغرل بك قبل وفاته ثم أضاف الب ارسلان الى أملاكه بلاد كثيرة وأطاعه صاحب جند وبخارا وكذلك أصحاب ديار بكر وحلب وفتح مدينة الرملة وبيت المقدس وحاصر دمشق ولم يفتحها وحارب قطولومش بن ارسلان بن سلجوق لعصيانه عليه وقتل في الحرب خلفه ولده سليمان الذي أسس دولة سلجوقية بقونية استمرت الى ان فتحها العثمانيون واستمر الب ارسلان مائتا جميع هذه الجهات المتسعة الى ان قتل في ١٩ ربيع الاخر سنة ٥٦٠ وولى بعده ابنه ملكشاه وفي ١٣ شعبان سنة ٦٧٧ توفي الخليفة القائم بالله وكانت مدة خلافته خمسة واربعين سنة تقريبا وبويع عبد الله بن ولده محمد ذخيرة الدين لوفاة ذخيرة الدين قبل أبيه القائم ولقب عبد الله المقتدى بأمر الله وهو الثامن والعشرين من بني العباس وساس ملكشاه الامور بغاية الحكمة وفتح البلاد شرقا وغربا وأقام ببغداد مرصدا فلكيا وجامعا عظيما سمي جامع السلطان وعظم في أيامه أمر الاسلام في الشرق حتى خطب باسمه من بلاد الصين الى الشام

ومن أقاصي بلاد الاسلام في الشمال الى بلاد اليمن الى الجنوب وتوفي في نصف شوال سنة ٤٨٥ هـ وبينما كانت هذه الدولة الاسلامية ترتقي في درجات الكمال كانت الدول الاسلامية في الغرب آخذة في الانحطاط فتفرقت بلاد الاندلس طوائف وملك الافرنج مدينة طليطلة وعبر يوسف بن تاشفين من مراكش الى الاندلس وضم الى رايته بعض ولاياته وضعف حال المسلمين بمجزية صقلية وتفرق أهلها واستحكم الشقاق بينهم حتى استعانوا على بعضهم بملوك الافرنج ولما توفي ملككشاه أخفت زوجته خبر موته الى ان استحلقت القواد لانها محمود وعمره أربع سنين وشهور فانكر عليها ذلك ابنه الكبير بركيارق وحارب جنودها فهزمهم واستقر له الامر وخطب له في بعداد يوم الجمعة ١ محرم سنة ٨٧ هـ وفي يوم السبت ١٥ منه توفي الخليفة المقتدى بإمر الله وعمره ثمانية وثلاثين سنة ومدته نحو عشرين سنة وبويع بعده ابنه أبو العباس احمد المستظهر بالله وسنه ستة عشر سنة

هذا وبعد موت ملككشاه تفرق ملكه ولم يضم شتانه أحد من خلفائه بل ثارت بينهم الحروب الداخلية التي أدت الى تجزئتها واستحوذ كل فرد على جزء منها واستمرار الحروب بين الامراء السلاجوقيين الذين استولوا ببلاد الشام والموصل والكردي وارس وغيرها فتناش أخو ملككشاه على السلطان بركيارق فقتل في الحرب في صفر سنة ٤٨٨ هـ وبعد وفاته وقع الخلاف بين ولديه رضوان ودقاق ببلاد الشام واستقل أخيرا كل منهما ببعض المدن وفي محرم سنة ٤٩٠ هـ قتل ارسلان ارغول أخو ملككشاه الذي كان استقل بخراسان بعد موت أخيه قتله بعض غلمانه فاستولى بركيارق على بلاده وأقطعها لآخيه سنجر

الحروب الصليبية

وبسبب هذه الحروب المتواصلة وانقسام الحكومات الاسلامية على بعضها طمع فهم الافرنج وعقدوا النية على محاربتهم محاربة دينية لاستيلاءهم مدينة القدس منهم فأتوا برا الى القسطنطينية قاعدة مملكة الروم الشرقية واستولوا عليها ثم عدوا البحر وأتوا الى بلاد الشام وانتصروا في طريقهم على الأمير السلاجوق الذي كان مستقلا بقونية وما جاورها وفتحوا مدينة انطاكية في جمادى الاولى سنة ٤٩١ هـ ثم دخلوا المعرة وحاصروا واستولوا أخيرا على مدينة القدس في ليلة الجمعة ٢٣ شعبان سنة ٤٩٢ هـ (١٥ يولييه سنة ١٠٩٩) وولوا جودفروا الفرنساوي ملكا عليها وفي أثناء ذلك كان ملك آل سلاجوق لاهين عن مقاومة الافرنج بالحروب الداخلية العالمية اذ ثار على بركيارق أخ له اسمه محمد وحاربه وهزمه فهرب بركيارق الى خراسان فخاربه أخوه سنجر وهزمه أيضاً فارتحل عنها قاصدا جرجان وكان ذلك في خلال سنتي ٤٩٢ و٤٩٣ هـ ثم في السنة التالية انتصر بركيارق على أخيه محمد في ٣ جمادى الآخرة فالتجأ محمد الى أخيه سنجر وحاربا أخاهما بركيارق فهزمه وتبعاه الى بغداد فدخلها وارتحل هو عنها قاصدا الموصل والخليفة المستظهر لا هم له الا الخطبة لمن ينتصر منهم وقطعها عن يغلب كان لا ناقة له فيها ولا جمل

مع انه لو اجتهد في التاليف بين هؤلاء الاخوة الثلاثة والاتحاد معهم على محاربة الافرنج المهاجمين لبلادهم لما تمكنوا من امتلاك قدر ذراع منها وبقي الحال على هذه الحالة بين اولاد ملكشاه تارة يتحاربون واخرى يتصالحون الى أن مات باركيارق في ٢ ربيع الاول سنة ٤٩٨ هـ وقبل وفاته استخلف العسكر لولده ملكشاه الذي كان عمره أربع سنوات وعمانية أشهر فلم يقبل محمد بن ملكشاه أخو باركيارق بذلك واتفق مع بعض القوادف من اولاد ملكشاه ابن باركيارق وصارت السلطنة لمحمد بن ملكشاه بن البارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلاجوق وفي غضون هذه الحروب الداخلية ملك الافرنج مدينة سروج من أعمال الجزيرة وعكا وقيسرين في سنة ٤٩٤ هـ وفتحوا في السنة التالية مدينة طرسوس وفي سنة ٤٩٦ هـ فتحوا جبيل وغيرها من بلاد الشام لعدم وجود القوى الكافية لمقاومتهم ثم دخلوا مدينة طرابلس في ١١ ذى الحجة سنة ٥٠٣ هـ ومدينة صيدا في سنة ٥٠٤ هـ وصالحهم أهل حلب وجماع على مقدار معين من المال

هذا وفي ٢٤ ذى الحجة بسنة ٥١١ هـ توفي السلطان محمد السلاجوق وعهد بالسلطنة لابنه محمود وفي ١٦ ربيع الآخر سنة ٥١٢ هـ توفي الخليفة المستظهر وبويع بعده ابنه أبو منصور وفضل وأقب بالمسترشد بالله وفي خلافته وقعت عدة حروب بين السلطان محمود السلاجوق وأخيه داود وبعض أعمامه سفكت فيها دماء المسلمين وتوطدت في أثنائها أقدام الافرنج في جهات الشام وأسسوا بها أربع أمارات مسيحية في أورشليم وحمص واطاكية وطرابلس ثم وقع الخلف بين الافرنج لتيبين مقاضدهم واختلاف أجناسهم بين نور ماندين وفرساويين وألمانيين وإيطاليانيين وانكليس فضعفت سطوتهم رغما عن توارد الجنود اليهم تقودها سلاطينهم وأعظم قوادهم ومن جهة أخرى ظهر في هذه الظروف عماد الدين زنكي صاحب الموصل وأبد شوكرته وسطوته في البلاد المجاورة له واستولى على عدة أمارات اسلامية ثم عزم على اخراج الافرنج من بلاد الشام فقصد أولا مدينة حمص وفتحها عنوة سنة ٥٣٢ هـ واستخلص منهم أغلب بلاد الاسلام ثم أرسل الى مصر أحد قواده واسمه أسد الدين شيركوه بناء على استنجد شاور وزير الخليفة العاضد الفاطمي لمساعدته على خصومة الذين كانوا ينازعونه الوزارة فأتى اليها شيركوه وبعد أن هزم خصوم شاور قتله في ربيع الآخر سنة ٥٦٤ هـ وتولى هو في الوزارة ثم مات وتولى يوسف صلاح الدين ابن أخيه نجم الدين أيوب

وفي ربيع الآخر سنة ٥٤١ هـ قتل عماد الدين صاحب الموصل فخلفه سيف الدين غازي الى أن توفي في أواخر سنة ٥٤٤ هـ فتولى بعده أخوه نور الدين محمود ولما مات العاضد في ١٥ محرم سنة ٥٦٧ هـ قطع صلاح الدين خطبة الفاطميين وصار هو سلطانا على مصر وتلقب بالملك الناصر وخطب للخليفة العباسي وبذلك انتهت دولة الفاطميين بعد أن مكثت ٢٧١ سنة تقريبا تولى الخلافة في أثنائها أربعة عشر خليفة وهم

المهدي والقائم والمنصور والمعز والعزير والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي
والأمر والحافظ والظافر والقائر والعاظم وصارت الخلافة للعباسيين بدون منازع ولم
تفترق الخلافة الى الآن وستبقى كذلك بفضل الله ولما توفى نور الدين زنكي في ١١ شوال
سنة ٥٦٩ خلفه صلاح الدين على الشام والجزيرة وجميع البلاد التي كانت تابعة لنور
الدين واشتغل بمحاربة الافرنج فانصر عليهم في عدة مواقع وأخذ منهم مدينة القدس
ودخلها في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ (١٢ أكتوبر سنة ١١٨٧)

هذا ولنرجع الى ذكر آل سلجوق فنقول ان السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه توفى
في شوال سنة ٥٢٥ وعين بعده ابنه محمود فخار به عمه مسعود واستمرت الحروب بينهما مدة
كان الفوز فيها لمسعود فلما بلغ في ١٧ ذي القعدة سنة ٥٢٩ قتل جماعة من
الباطنية الخليفة المسترشد أثناء محاربة وقعت بينه وبين مسعود السلجوقي المتقدم ذكره
وبويع بعده أبو جعفر المنصور ولقب بالراشد بالله ولم يمكث في الخلافة الا نحو سنة ثم عزله
السلطان مسعود في منتصف القعدة سنة ٥٣٠ وبايع مكانه محمد بن المستظهر ولقبوه
المقتفي لامر الله وهو الثاني والثلاثين من بني العباس

وفي ٢٥ رمضان سنة ٥٣٢ قتل الخليفة الراشد بن المستظهر (١) وكثرت الفتق والقتال في
خلافة المقتفي وتفرق ملك السلجوقيين واشتغل أمراؤهم بمحاربة بعضهم فاستقل الخليفة
نوما ببغداد والعراق لعدم وجود من يراحمه من السلجوقيين أو غيرهم وبقي مرتاح البال
بالنسبة لمن سبقه من الخلفاء الى أن مات في فراشه في ثاني ربيع الاول سنة ٥٥٥
وبويع بعده ابنه يوسف ولقب المستنجد بالله وفي خلافته وخلافة أبيه على شأن آل
زنكي واستباحوا أغلب البلاد التي ملكها الافرنج وأتى صلاح الدين الايوبي مصر كما
مر وحارب الافرنج وردهم عن سواحلها وصار صاحب النفوذ الاوفر فيها

وفي ٩ ربيع الآخر سنة ٥٦٦ توفى المستنجد وبويع ابنه أبو محمد الحسن ولقب المستضيء
بأمر الله واشتروط عليه عضد الدين أبو الفرج الذي كان أستاذ دار أبيه أن يكون وزيرا
له وابنه كمال الدين أستاذ داره والامير قطب الدين أميراً للعسكر فقبل المستضيء بذلك ووقع في
حجرهم وقدم كان لابيه المستنجد وجده المقتفي من بعض الحربة والاستقلال وفي خلافته
اقرضت دولة الفاطميين في مصر بموت العاضد وخطاب للعباسيين بها في ثاني جمعة من
محرم سنة ٥٦٧ أي في ١٤ منه واستقل بها صلاح الدين بن أيوب ولم يترك للعباسيين سوى
الخطبة وفتح شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخ صلاح الدين بالدين ولما توفى نور الدين

(١) قد تولى الخلافة من الاخوة بالتمايق الهادي والرشيد ولدى المهدي والواثق والمتوكل ولدى
المعتمد والامين والمأمون والمتعم أولاد هرون الرشيد والمكثني والمقتدر وألفاد أولاد المعتمد والراضي
والمقتي والطيب أولاد المقتدر وجميعهم من العباسيين وقد تولى الخلافة أربعة اخوة من الامويين وهم
الوليد وسليمان وزيد وهشام أولاد عبد الملك بن مروان

في ١١ شوال سنة ٥٦٩ استولى صلاح الدين على أغلب بلاده وأقطعها لآخوته وأولاد عمومته وفتح كثيراً من البلاد التي ملكها الأفرنج حتى لم يبق لهم إلا مدينة القدس وبعض قرى صغيرة وفي ٢ القعدة سنة ٥٧٥ توفي الخليفة المستضيء وبويع ابنه الناصر لدين الله وفي خلافته استرد صلاح الدين الأيوبي أغلب البلاد التي كانت في يد الأفرنج واستخلص منهم القدس الشريف ودخله يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ (١٢ أكتوبر سنة ١١٨٧) واستمر على الفتح والغزو إلى أن مات بدمشق يوم الأربعاء ٢٦ صفر سنة ٥٨٩ (٣ مارس سنة ١١٩٣) وبموته تفرقت أملاكه وانقرط عقد انظامها واستقل كل من أولاده وكانوا سبعة عشر بجزء منها فاستقل بمصر الملك العزيز عماد الدين عثمان واستقل الأفضل نور الدين على بدمشق فضعف حال الإسلام بعدما بلغه من القوة أيام الناصر صلاح الدين الأيوبي ثم وقع الخلاف بين أولاده وطمع كل منهم فيما في يد أخيه ولو بالحرب والقتال فالتحق العزيز صاحب مصر مع عمه العادل صاحب الكرك على محاربة الأفضل صاحب دمشق فخاربه وأخرجوه منها وبقي فيها العادل وعاد العزيز إلى مصر مكثفياً بالخطبة والسكة ثم توفي الملك العزيز في محرم سنة ٥٩٥ وخلفه ابنه الملك المنصور وكان عمره تسع سنين ولصغر سنه ارتأى أمراء الدولة استدعاء أحد أمراء بني أيوب ليكون وزيراً له فاختروا الأفضل الذي كان صاحب دمشق وكاتبوه فحضره سرعاً ثم قصد دمشق للانتقام من عمه الملك العادل واتحد مع أخيه الظاهر صاحب حاب على محاربة العادل فاحصروا دمشق مدة ثم وقع الخلاف بينهما وعاد كل منهما إلى بلاده فتبع العادل الأفضل وجيوشه إلى مصر وهزمه وأكرهه على الخروج منها وصار هو وزيراً للملك المنصور بن العزيز ثم غدر بالمنصور وأخرجوه من مصر سنة ٥٩٩ واستقل هو بمصر ودمشق وماحولها وصار له أغلب بلاد أخيه الناصر صلاح الدين وبقي ملكه في ازدياد وشأنه في ارتقاء إلى أن توفي في ٧ جمادى الآخرة سنة ٦١٥ وعمره خمسة وسبعين سنة قضاه في محاربة الأفرنج وصد غاراتهم عن بلاد الإسلام وخلفه في مصر ابنه الملك الكامل وفي دمشق الملك المعظم عيسى وخلف من البنين ستة عشر ولداً غير البنات

وفي ١٠ رمضان سنة ٦١٥ (٣٠ نوفمبر سنة ١٢١٨) ضايق الأفرنج الصليبيون ثغر دمياط وفتحوه عنوة وجعلوا الجامع كنيسة فابتنى الملك الكامل قلعة حصينة بالقرب منها سماها المنصورة (وهي مدينة المنصورة مركز مديرية الدقهلية الآن) ليراقب حركات الأفرنج ويمنع تقدمهم داخل الديار المصرية فلم يحسر الصليبيون على مهاجمتها ولبثوا ينتظرون المسدد من بلادهم إلى أن ارتفعت مياه النيل في صيف سنة ٦١٨ فقطع المسامون جسوره وطمئى الماء على معسكر الأفرنج وحال بينهم وبين دمياط قاعدة أعمالهم وصاروا في ضيق شديد فاخذوا يخاربون الملك الكامل على أن يردوا إليه ثغر دمياط بشرط أن لا يفتك بهم فقبل الكامل بذلك وسلمت إليه مدينة دمياط في ١٩ رجب سنة ٦١٨

(٨ سبتمبر سنة ١٢٢١) وأقيمت شعائر الاسلام في جوامعها كما كانت عليه قبل هذا وفي أول شوال سنة ٦٢٢ توفى الخليفة الناصر لدين الله وكانت مدته نحو سبعة واربعين سنة وكان مستقلاً بالعراق صارفا همته للمحافظة عليه ولم يحارب الا فرنج أصلاً وفي مدته ظهر التتر وخرجوا من بلادهم الواقعة غرب بلاد الصين في سنة ٦١٧ هجرية تحت قيادة رئيسهم جنكيز خان فقصدهوا أولاً بلاد خوارزم وفتحوها وملكوا بخارى وسمرقند وغزنة بعد محاربات عنيفة ثم سارت فرقة الى بلاد الروس الشمالية وملكوها وبقيت في ملكهم الى أواخر القرن الخامس عشر الميلاد ويقال ان الخليفة الناصر هو الذي استدعاهم من بلادهم لمحاربة خوارزم شاه فجز بذلك على الاسلام اجمع من المصائب ما لم يطرأ عليه أبداً لانهم كانوا يقتلون المسلمين ويسبون نساءهم ويخربون الجوامع ويحرقون الكتب النفيسة ويرتكبون أنواع المنكرات جهاراً

وبعد موت الخليفة الناصر لدين الله بويع ابنه أبو النصر محمد ولقب الظاهر بأمر الله ولم تطل مدته فإنه توفي في ١٤ رجب سنة ٦٢٣ وبويع بعد موته ابنه أبو جعفر المنصور ولقب المستنصر بالله وفي خلافته أخذ أمر الاسلام في الضعف بعد ان بلغ من القوة مهلاً عظيماً حتى استخلصوا مدينة القدس من الافرنج وسبب هذا الضعف انقسام أولاد صلاح الدين الابوين واخوته ومحاربتهم بعضها طمعاً في امتلاك مدينة أو قرية غير ناضرين الى الجانب المحتلين بعض بلاد الشام يتربصون بالفرص للانقضاض عليهم واسترجاع مدينة القدس ثانياً فلما توفي الملك المعظم بن الملك العادل بن أيوب في ذي القعدة سنة ٦٢٤ صاحب دمشق وخلفه ابنه الناصر داود اتحاد الملك الكامل صاحب مصر وأخيه الملك الاشرف على انزاع دمشق من يد الناصر ابن أخيه المعظم وليته يكن الكامل من التفرغ لمحاربة الناصر ويأمن جانب الافرنج في أثناء محاربتة له كاتب الامبراطور فريدريك امبراطور الالمان وصاحب ضبقية على أن يهادنه ست سنوات ويسلمه مدينة القدس وبعض المدن الاخرى بشرط عدم التمرض للجامع الاقصى ولا لجميع المسلمين واتفق مع الامبراطور على ذلك وسلمه مدينة القدس في ربيع الاخر سنة ٦٢٦ (مارس سنة ١٢٢٩) بدون حرب مع ان الملك الناصر صلاح الدين بذل النفس والنفس في استخلاصها منهم سنة ٥٨٣ وسلمها هو اليهم غنيمة باردة ليحارب ابن أخيه وينزع بعض بلاده منه وبعد ان تم تسليم القدس الى الافرنج بهذه الكيفية التي تلحق العار بالملك الكامل مدى الدهر وتسود بحائف تاريخه جمع جيوشه حول مدينة دمشق واستولى عليها في جمادى الاولى فتمت له أمنيته ونال بعقبة بعد ان ضحى البلاد التي صرف صلاح الدين عمره في استخلاصها من يد الافرنج فانظر أيها القاريء الى نتيجة الانقسام أمام العدو ونبد الاتحاد والتضافر ظهرياً ثم قضى الملك الكامل بقية عمره في محاربة اخوته وأقاربه ومات في ٢١ رجب سنة ٦٣٥ فعين الجند والامراء بعده ابنه الملك العادل فاتي الى مصر لكن لم تطل مدته بل قبض عليه في ٨ ذي القعدة سنة ٦٣٧

بدسياسة أخيه الملك الصالح أيوب ووصل الصالح إلى مصر في ٢٤ منه واستقر بها واستمر
الملك العادل مسجوناً إلى أن توفي سنة ٦٤٥ وفي هذه الأثناء تقدم التتار بلاد الإسلام
وامتلأوا جميع بلاد فارس ووصلت طلائعهم إلى العراق وفي ١٠ جمادى الآخرة سنة ٦٤٠
توفي الخليفة المستنصر بالله أبو جعفر المنصور وبويع بعده ابنه أبو أحمد عبد الله ولقب
المستعصم بالله وهو الثامن والثلاثين من بني العباس بعد عبد الله بن المعتز والسابع
والثلاثين لو أسقط بن المعتز من عدادهم والمستعصم بالله هو آخر من ولي الخلافة الإسلامية
من العباسيين ببغداد وفي خلافته انتصر الصالح أيوب على الأفرنج بقرب غزوة سنة ٦٤٢
هجرية (سنة ١٢٤٤ م) واستخلص مدينة القدس التي كان سلمها الملك الكامل
اليهم سنة ٦٢٦ فحولوا أنظارهم إلى القطر المصري وأتى إليه لويس التاسع ملك فرنسا
ومعه جيش عظيم واحتل نهر دمياط بدون كثير عناء في ٢١ صفر سنة ٦٤٧ (٥ مايو
سنة ١٢٤٩) فتحصن الصالح أيوب في المنصورة لردم عن القاهرة وفي أثناء الاستعداد
للقتال توفي الصالح في ليلة الأحد ١٤ شعبان سنة ٦٤٧ فبخت زوجته شجرة الدر خبر
موته إلى أن حضر من الشام ولده توران شاه الذي خلفه في ملك مصر وفي أوائل محرم سنة
٦٤٨ (أبريل سنة ١٢٥٠) انتصر المسلمون على الأفرنج بقرب المنصورة وأخذوا ملك
فرنسا أسيراً مع كثير من أمراء الفرسان وحبسوا الملك في دار نحر الدين بن لقمان كاتب
الإنشاء ووكّل به طواشي يسمى صبيح

وبعد ذلك بقليل قتل توران شاه بفارسكور في ٢٨ محرم سنة ٦٤٨ قتله ركن الدين
بيبرس أحد المماليك الذين جمعهم والده السلطان الصالح لحراسته وسامها البحرية واتفقوا على
تولية أمه شجرة الدر فخطب باسمها ثم في صفر حصل الاتفاق بين المسلمين وملك فرنسا
على إطلاقه من الأسر بشرط رد مدينة دمياط إليهم فدخلها المسلمون في صفر سنة ٦٤٨
مايو سنة ١٢٥٠) ونزل ملك فرنسا إلى البحر مع من بقي من رجاله في اليوم التالي عائدين
إلى بلادهم وبذلك انتهت الحروب الصليبية وبقي بيت المقدس في يد المسلمين إلى الآن
هذا ثم عزلت شجرة الدر وولى مكانها المعز أيك التركاني مملوك زوجها السلطان
الصالح وهو أول المماليك البحرية في ٣٠ جمادى الآخرة سنة ٦٤٨ وتزوج بشجرة الدر
وبذلك انتهى ملك الأيوبيين بمصر ثم قتل بإعاز شجرة الدر في ٢٣ ربيع الأول سنة ٦٥٥
فلم يوليها المماليك بل ولوا نور الدين علي بن المعز أيك وحبسوا شجرة الدر ثم قتلوها في
١٦ ربيع الآخر سنة ٦٥٥ وكانت تركية وقيل أرمنية

وفي أثناء ذلك تقدم التتار نحو بغداد تحت إمرة هولاكو خان حفيد جنكيز خان ودخلوها
عنوة في ٣٠ محرم سنة ٦٥٦ وقتلوا الخليفة المستعصم وكل من قبضوا عليه من بني
العباس والأمراء والعلماء وكان دخولهم إليها بدسياسة الوزير مؤيد الدين بن النعماني
فانتهت دولة العباسيين ببغداد بعد أن استمرت خمسمائة أربعة عشر بن سنة وتشتت من

دولة المماليك
البحرية بمصر

نجبا من العباسيين ثم وصل التتر الى بلاد الشام وأخربوها واضمحلت الاسلام وتفرقت أجزاؤه الى أن ظهرت دولة العثمانيين بالاناضول فاعادت اليه رونقه السابق وضمت ما تفرق من ممالكه وصارت هي الدولة الوحيدة الاسلامية أمام العالم الاوروني وسترى في هذا الكتاب مالاقتنه في سبيل تقدمها من الموانع وذلتته من العقبات مع بيان أسباب ارتقاءها وانحطاطها وما وصلت اليه في هذه الايام من التأخر والتقهقر

ثم أخذ التتر يتقدمون الى جهات الشام ففتحوا اغلب مدنه ونهبوها وقتلوا أهلها حتى خيف على مصر من وصول أذام اليها ولذلك أجمع الامراء على عزل سلطانها نور الدين على لصغر سنه وعدم مقدرته على صد هجمات التتر فعزل في يوم السبت ١٧ ذى القعدة سنة ٦٥٧ وولى مكانه المظفر سيف الدين قطز المعزى وهو مملوك المعز أيبك التركمانى ثم قتل قطز المذكور بعد سنة قتله ركن الدين بيبرس البندقدارى في ١٥ ذى القعدة سنة ٦٥٨ وخلفه في الملك وتلقب بالظاهر وهو من ممالك الملك الصالح نجم الدين أيوب وفي أيامه وفد الى مصر الامام احمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله في ١٩ رجب سنة ٦٥٩ وأثبت نسبه بحضور الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الاسلام فبايعه الظاهر بيبرس بالخلافة ولقب المستنصر بالله وبايعه الخليفة بالسلطنة وفوض اليه امور البلاد فعاادت بذلك الخلافة الى الاسلام بعد انقطاعها نحو ثلاث سنوات ثم جمع الظاهر جيشا وارسله مع الخليفة المستنصر الى بغداد فخاربه التتر في الانبار في اواخر سنة ٦٥٩ وهزموا من كان معه من الجند ولم يوقف للخليفة على أثر بعد ذلك

وبعد انقطاع خبره اتى الى مصر في سنة ٦٦٠ الامام احمد بن علي بن أبى بكر ابن الخليفة المستنصر ابن الخليفة المستنصر وثبت نسبه بحضور العلماء فبايعه الظاهر على أن تبقى الاحكام بيده ولقب بالحاكم بأمر الله ثم أمر الظاهر بان ينقش اسم الخليفة مع اسمه على العملة ويذكر اسمه في الخطبة قبل اسم السلطان وأقام الخليفة بمصر وصارت القاهرة مقرا للخلفاء العباسيين الى أن انتقلت الخلافة الى العثمانيين في سنة ٩٢٣ كما سييجى والحاكم بأمر الله هو أول العباسيين بمصر لان احمد المستنصر لم يقيم بها بل كان يقصد ارجاع الخلافة لبغداد كما كانت نغال التتر دون مشروعه وطالت خلافة الحاكم بأمر الله بمصر مدة اربعين سنة تقريبا وتوفي في ١٨ جمادى الاولى سنة ٧٠١ هجرية ودفن بمشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها (١)

وبويع بعده ابنه المستنصر بالله أبو الربيع سليمان وهو ثاني العباسيين بمصر وفي أثناء هذه الاربعين سنة ظهرت الدولة العثمانية ببلاد الاناطول سنة ٦٩٩ وتعاقب ستة سلاطين على مصر وملحقاتها فتوفي الظاهر بيبرس في ١٨ محرم سنة ٦٧٦ بقرب دمشق

(١) وهي السيدة نفيسة بنت الامام حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب أتت من مكة الى مصر مع زوجها اسحق بن جعفر الصادق وأخذ عنها الامام الشافعي الحديث وتوفيت بمصر في رمضان سنة ١٠٨

ودفن بها وتولى بعده ابنه الملك السعيد أبو المعالي محمد وما يذكره التاريخ للسلطان الظاهرانه
استرد أغلب بلاد الشام التي كانت باقية مع الافرنج وأهمها انطاكية ويافا وحلب وطرسوس
وطبرية وصفد وغيرها وضم للملك مدائن دمشق وبعليق وبيت المقدس وكثير غيرها ثم
خلع الملك السعيد في ربيع أول سنة ٦٧٨ وتولى أخوه الملك العادل سيف الدين ابن الظاهر
بيبرس وكان القائم بتدبير مملكته الواسعة قلاوون الألف من ممالك الصالح نجم الدين
أيوب ثقلع السلطان في ١٢ رجب سنة ٦٧٨ وتقلد هو الملك اغتصبا وتقلب بالمنصور
سيف الدين واستقامت له الأحوال ولم يجسر أحد على خلعها كما خلع أولاد الظاهر بيبرس
لاقتنائهم عدة آلاف من الممالك واسكانهم في أبراج القلعة ولذلك أطلق عليهم اسم البرجية
وتوفي السلطان قلاوون في ٦ ذى القعدة سنة ٦٨٩ وتولى بعده ابنه صلاح الدين خليل
ولقب بالاشرف وهو الذي هدم قبور الخلفاء الفاطميين وبنى مكانها الخان المسمى للآن
بالخان الخليلي بقرب المشهد الحسيني وقتل الاشرف في المحرم سنة ٦٩٣ وتولى بعده
أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون في ١٨ منه وعمره تسع سنين وكسور ثم خلع الناصر بعد
سنة في ١١ محرم سنة ٦٩٤ وتولى بعده كتيبغا أحد ممالك أبيه قلاوون وتلقب بالعادل
وهو العاشر من ملوك الأتراك وخلع في نصف صفر سنة ٦٩٦ وخلقه حسام الدين لاجين
وهو أيضاً من ممالك قلاوون وتلقب بالمنصور وقتل في ١٠ ربيع الآخر سنة ٦٩٨
وأعيد الناصر محمد بن قلاوون واستمر في الملك هذه الدفعة الى سنة ٧٠٨ وفيها خلع نفسه
من المملكة لاستئثار الامراء بالاحكام قهرانه وترك الديار المصرية وأقام بالكرك وبويع
بعده ركن الدين بيبرس وتلقب بالمظفر وذلك في ٢٣ شوال سنة ٧٠٨ وفي السنة التالية
اتفق باقي الامراء على عزله واعادة الملك الناصر ثالثاً وكتبوا له بذلك فعاد الى القاهرة
ودخلها في موكب حافل يوم الخميس ٢٣ شوال سنة ٧٠٨ واستمر هذه الدفعة في الملك الى
أن توفي ليلة الخميس ٢٠ ذى الحجة سنة ٧٤١ وهو الذي أمر بحفر الخليج الناصري الذي
يخترق القاهرة للآن وخلف أحد عشر ولداً غير البنات تولى منهم السلطنة ثمانية وهم
أبو بكر وأحمد وكنج وشعبان واسماعيل وخانجي وحسن وصالح وفي آخر مدته غضب على
الخليفة المستنفي ونفاه الى مدينة قوص بالصعيد في سنة ٧٣٨ وأقام بها الى أن توفي في
شعبان سنة ٧٤٠ معهداً بالخلافة بعده لابنه أنى العباس أحمد لكن لم يتبع السلطان
الناصر هذا العهد بل بايع أبو اسحق ابراهيم ابن أخ المستنفي واقبه الواثق بالله ولما توفي
الناصر وتولى بعده ابنه الملك المنصور سيف الدين أبو بكر خلع الواثق بالله في المحرم سنة ٧٤٢
وبايع أبا العباس أحمد بن المستنفي الذي كان عهد اليه أبوه بالخلافة ولقب الخاكم بأمر الله
وبقي في الخلافة الى أن مات سنة ٧٥٤

هذا وإن ذكر ما حصل في ملك مصر في هذه الاثناء فنقول ولي مصر وملحقاتها
بعد الناصر محمد بن قلاوون ابنه المنصور أبو بكر ثم قتل في صفر سنة ٧٤٢ وتولى بعده

أخوه الأشرف علاء الدين كجك وخلع في هذه السنة وتولى بعده أخوه الناصر شهاب الدين أحمد في شوال سنة ٧٤٢ وخلع كذلك في محرم سنة ٧٤٣ وتولى بعده أخوه الملك الصالح علاء الدين أبو القداء اسمعيل رابع أولاد الناصر ولم يخلع كاخوته بل توفي في ١١ ربيع الأول سنة ٧٤٦ وتولى بعده أخوه الملك الكامل شعبان خامس أولاد الناصر وخلع ثم قتل في أوائل جمادى الآخرة سنة ٧٤٧ وتولى بعده أخوه المظفر حاجي ثم قتل كغالب أخوته في رمضان سنة ٧٤٨ وبويع بعده أخوه الملك الناصر أبو الحاسن حسن في ١٤ رمضان وهو صاحب الجامع العظيم الكائن بالقرب من القلعة وعزل أولًا في ١٧ جمادى الآخرة سنة ٧٥٢ وبويع أخوه الملك صلاح الدين صالح ثامن أولاد الناصر محمد ابن قلاوون في يوم الاثنين ١٨ منه وهو آخر من ولي السلطنة من أولاده وفي مدته توفي الخليفة الحاكم سنة ٧٥٤ وحصلت البيعة لابنه أبي بكر المعتضد بالله وهو خامس العباسيين في مصر وبعثت خلافته لسنة ٧٦٣ وفي خلافتها عزل الملك صلاح الدين صالح في يوم الاثنين ثاني شوال سنة ٧٥٥ وحجز في دار الحريم إلى أن توفي سنة ٧٦٢ وأعيد أخوه الملك الناصر حسن الذي سبق عزله في جمادى الآخرة سنة ٧٥٢ ثم قتل في يوم الأربعاء ٩ جمادى الأولى سنة ٧٦٢ وتولى الملك المنصور محمد ابن أخيه الملك المظفر حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون وهو الحادى والعشرين من ملوك الترك بمصر

وبعد سنة من توليته توفي الخليفة المعتضد بالله أبو بكر في ليلة الأربعاء ١٨ جمادى الآخرة سنة ٧٦٣ وعهد قبل وفاته بالخلافة لولده محمد فبايعه السلطان وتلقب بالمتوكل على الله وفي خلافته عزل السلطان الملك المنصور محمد في ٤ شعبان سنة ٧٦٤ وولى الملك الأشرف أبى المعلى زين الدين شعبان بن محمد الدين حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ثم قتل الملك الأشرف في ذى القعدة سنة ٧٧٨ وتولى ابنه الملك المنصور علاء الدين على وعمره سبع سنين وأشهر وتوفي في ٢٣ صفر سنة ٧٨٣ ولم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره وولى بعده أخوه الملك الصالح أمير حاج وهو آخر بني قلاوون خلعه الاتابكي برقوق باتفاق مع الخليفة المتوكل والنضاه وشيخ الاسلام في يوم الأربعاء ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ وتولى السلطنة الاتابكي برقوق ولقب بالظاهر سيف الدين أبى سعيد وتوليته انتهى ملك بني قلاوون بعد أن لبثت السلطنة في قلاوون وذريته مدة مائة سنة وثلاثة وابتدأت دولة المماليك الجراكسة وفي سلطنته قبض على الخليفة المتوكل في سنة ٧٨٥ وخلعه وسجنه وبايع الخليفة الواثق بالله عمر ثم عزله في سنة ٧٨٨ وبايع أخاه زكريا ابراهيم وعزله في يوم الاحد ٥ جمادى الأولى سنة ٧٩١ وأعاد الخليفة المتوكل ثانيًا بعد أن لبث في السجن مقيدًا بالحديد نحو خمس سنين وبعد ذلك بشهر خلع الامراء الظاهر برقوق في ٥ جمادى الثانية وأعيد الملك الصالح أمير حاج آخر بني قلاوون ثانيًا وتلقب بالمنصور وبعد بضع شهور عزل ثانيًا في صفر سنة ٧٩٢ وبني محجوزا في دار الحريم إلى أن مات في ١٩ شوال سنة ٨١٤ وعاد الملك الظاهر برقوق

دولة المماليك
الجراكسة

ودخل القاهرة في يوم الاربع ١٤ صفر سنة ٧٩٢ وبقى في السلطنة الى أن مات في فراشه في ١٥ شوال سنة ٨٠١ وتولى بعده ابنه الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج وفي مدته وصل تيمورلنك الى بلاد الشام وفتح حلب ودمشق وارتكب فهما هو وعسكره مالا يوصف من أنواع المظالم واتصر على السلطان بايزيد العثماني ابن مراد كما استراه مفصلاً في هذا الكتاب ثم حصل خلف بين السلطان الناصر وبعض أمرائه فاختلف في سنة ٨٠٨ وولى أخوه الملك المنصور عز الدين أبو العزيز وجلوس على سرير الملك في ٢٦ ربيع الاول سنة ٨٠٨ وبعد شهرين ظهر أخوه الناصر واستولى على الامارة ثانية وقبض على أخيه المنصور عز الدين وسجنه في الحريم وجلوس هو على السرير في ٤ جمادى الآخرة سنة ٨٠٨

وبعد ذلك توفي الخليفة محمد المتوكل في ٢٨ رجب سنة ٨٠٨ وبويع بعده بكر أولاده أبو العباس وتلقب المستعين بالله وفي سنة ٨١٥ عصى الامراء على الملك الناصر ببلاد الشام بزعامه الامير نوروز الحافظي والامير شيخ المحمودي فسار الناصر لمحاربتهم فانتصر وعليه في محرم وسجنوه ثم قتلوه بدمشق في ليلة السبت ٦ صفر ولعدم اتفاقهم على من يعين خلفاً له منهم اتفقوا أخيراً حسبما للنزاع على تعيين الخليفة المستعين بالله سلطاناً فجمع بين السلطنة الدينية والدنيوية وبايعوه في ١٧ محرم سنة ٨١٥ بشرط أن يكون الامير نوروز نائباً على جميع بلاد الشام والامير شيخ المحمودي نائباً بمصر لكن لم يلبث الامير شيخ ان طمع في الملك فعزل المستعين من السلطنة وأبقاه في الخلافة فقط كما كان قبلاً وتولى الامير شيخ السلطنة في أول شعبان سنة ٨١٥ وتلقب بالمؤيد أي النصر وهو من ممالك الظاهر برقوق . ثم عزل المستعين من الخلافة وأرسله الى اسكندرية فقام بها الى أن توفي في ٢١ جمادى الآخرة سنة ٨٣٣ ولما عزل بويع بعده أخوه داود ولقب المعتضد بالله

هذا ولما استبد المؤيد بملك مصر عصاه الامير نوروز نائب بلاد الشام لمحاربه المؤيد وقبض عليه وقتله وبذلك جبار له ملك مصر والشام معاً كما كان لسلفائه وتوفي المؤيد في ٩ محرم سنة ٨٢٤ (١٤ يناير سنة ١٤٢١) ودفن بجامعه الذي أنشأه داخل باب زويلة أمام حمام السكرية وولى ابنه الملك المظفر أبو السعادات احمد وعمره سنة واحدة وثمانية اشهر وعين الاتاكي ططر نائباً عنه فعزله في ٢٩ شعبان سنة ٨٢٤ (٢٩ اغسطس سنة ١٤٢١) وتولى هو مكانه ولقب بالظاهر سيف الدين أي سعيد ططر وهو من ممالك الظاهر برقوق ثم سجن الملك المظفر بن المؤيد باسكندرية الى أن مات سنة ٨٣٣ وعمره نحو احدى عشرة سنة ولم تطل مدة الظاهر ططر بل توفي في ٤ ذى الحجة سنة ٨٢٤ (٣١ نوفمبر سنة ١٤٢١) وتولى بعده ابنه محمد وعمره احدى عشرة سنة وتلقب بالملك الصالح ناصر الدين ثم عزله الامير برسباي الدقاقي أحد ممالك الظاهر برقوق في ٨ ربيع الآخرة سنة ٨٢٥ (١٠ ابريل سنة ١٤٢٢) وسجنه الى أن مات سنة ٨٣٣ وتولى هو مكانه وتلقب بالملك

الاشرف أبى النصر وهو الثامن من ملوك الجراكسة والثانى والثلاثين من ملوك الترك وهو الذى استخلص جزيرة قبرص من الافرنج سنة ٨٢٥ وبنى الجامع الكائن ببول الغورية وآخر مجبانية الجاورين وهو الذى دفن به وأنشأ جامعاً وشافهاً بسرياقوس وتوفى فى ١٣ ذى الحجة سنة ٨٤١ (٧ يونيه سنة ١٤٣٨) وتولى بعده ابنه يوسف وعمره أربعة عشرة سنة وتلقب بالملك العزيز أبى الحاسن جمال الدين ولصغر سنه تولى إدارة الامور الانابكى جقمق أحد ممالك الظاهر برقوق فطمع فى الملك وخلع الملك العزيز فى ١٩ ربيع الاول سنة ٨٤٢ (٩ سبتمبر سنة ١٤٣٨) وتولى هو مكانه وتلقب الملك الظاهر أبى سعيد جقمق وهو عاشر ملك من ممالك الجراكسة

وفى أيامه توفى أمير المؤمنين المعتضد بالله فى ٤ ربيع الاول سنة ٨٤٥ وبويع بعده أخوه سليمان ثالث من تولى الخلافة من أولاد المتوكل وتلقب بالمستكفى بالله وقد بايع أمير المؤمنين المعتضد فى مدة خلافته وهى ثمانية وعشرين سنة وكسور ستة سلاطين المظفر أحمد بن المؤيد شيخ والظاهر ططر وابنه والاشرف برسباى وابنه والظاهر جقمق وتوفى المستكفى فى ٢ محرم سنة ٨٥٥ وبويع بعده أخوه حمزة رابع أولاد المتوكل وأقب القائم بأمر الله وفى خلافته مرض الملك الظاهر جقمق فاستقال من السلطنة فى ٢١ محرم سنة ٨٥٧ وولى ابنه عثمان وتلقب بالملك المنصور أبى السعادات فخر الدين ثم توفى الظاهر جقمق فى ٤ صفر سنة ٨٥٧ (١٤ فبراير سنة ١٤٥٣) ولم تدم سلطنة المنصور عثمان الا نحو شهر ونصف اذ عزله الانابك اينال العلماى أحد ممالك الظاهر برقوق فى ٨ ربيع الاول سنة ٨٥٧ (١٩ مارت سنة ١٤٥٣) بعد حرب استمرت بين ممالك الطرفين مدة اسبوع وتولى اينال مكانه وتلقب بالملك الاشرف أبى النصر سيف الدين وفى رجب سنة ٨٥٩ خلع السلطان الخليفة المستكفى وبايع أخاه يوسف خامس أولاد المتوكل فى ١٣ من هذا الشهر وتلقب بالمستجد بالله أبى الحاسن وهو ثالث عشر خلفاء العباسيين بمصر وفى خلافته توفى السلطان الاشرف اينال فى ١٥ جمادى الاولى سنة ٨٦٥ (٢٦ فبراير سنة ١٤٦١) وتولى بعده ابنه أحمد وتلقب بالملك المؤيد أبى الفتح شهاب الدين وعزل بعدار بعة أشهر عزله بعض الامراء المماليك فى ١٧ رمضان سنة ٨٦٥ (٢٦ يونيه سنة ١٤٦١) وولوا بعده خوشقدم مملوك المؤيد شيخ وأصله رومى الجنس وتلقب بالملك الظاهر أبى سعيد سيف الدين ثم توفى خوشقدم فى ١٠ ربيع الاول سنة ٨٧٢ (١٩ اكتوبر سنة ١٤٦٧) تاركا ولدين لكن لم يتبق الامراء على تعيين أحدهما بل ولوا الأمير بلباى مملوك المؤيد شيخ وتلقب بالملك الظاهر أبى النصر سيف الدين وكان جركسى الاصل ولم يمكث فى السلطنة الا نحو شهرين ثم وقعت فتنة بين ممالك السلطان اينال وممالك المؤيد شيخ الذين منهم بلباى أدت الى خلع بلباى فى ٧ جمادى الاولى سنة ٨٧٢ (٤ دسمبر سنة ١٤٦٧) وتولية عمر بعا لرومى الجنس مملوك الظاهر جقمق فبايعه الخليفة والقضاة والامراء

وتلقب بالملك الظاهر أي سعيد ثم اختلف طوائف الممالك واقتتلوا ثم اتفقوا على عزل ترمغا
 فعزلوه في ٦ رجب سنة ٨٧٢ (٣١ يناير سنة ١٤٦٨) وولوا قايتباي الجر كشي الاصل ولقب
 بالملك الاشرف أي النصر سيف الدين فبدأت الاحوال في مدته وانقطعت الفتنة تقريباً
 وطالت مدته نحو ثلاثين سنة أنشأ في أثناءها كثيراً من المدارس والتسكيات والجوامع ببلاد
 مصر والشام ومكة والمدينة وتوفي في يوم الاحد ٢٧ القعدة سنة ٩٠١ (٦ اغسطس سنة
 ١٤٩٦) ودفن بالجامع الذي أنشأه بالقرافسة ولم يزل موجوداً الآن شهيراً بحسن
 هندسته ولطافته نقوشه وفي سلطنته توفي الخليفة المستجد بالله في يوم السبت ٢٤ محرم
 سنة ٨٨٤ فكانت مدة خلافته خمسة وعشرين سنة تولى السلطنة فيها خمسة سلاطين وهم
 المؤيد احمد بن انبال والظاهر خوشقدم والظاهر بلباي والظاهر ترمغا والاشرف قايتباي
 وفي يوم ٢٦ محرم سنة ٨٨٤ بويع عبدالعزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله ولقب
 المتوكل على الله أبو العز وبقى في الخلافة تسعة عشر سنة وأياما توفي في ٣٠ محرم سنة ٩٠٣
 و بويع بعده ابنه يعقوب ولقب المستمسك بالله أبو الصبر وفي خلافة عبدالعزيز بن يعقوب توفي
 السلطان قايتباي كما مر وتولى ابنه محمد قبل وفاة أبيه بيوم حيث اتفق الامراء والخليفة
 والقضاة على عزل أبيه بسبب مرضه وعدم قدرته على ادارة الاحوال وتلقب بالملك
 الناصر أي السعادات ناصر الدين وكانت أيامه فتن وحروب بين طوائف الممالك كانت
 نتيجة قتلها في ١٥ ربيع الاول سنة ٩٠٤ وتولية أحمد ممالك أبيه الجراكسة مكانه
 واسمه قانصوه وكان يدعى أنه أخ احدى حفيطات السلطان قايتباي وأم ولده محمد السلطان
 السابق ولما ولي السلطنة بعد قتل ابن سيده وابن أخته حسب دعواه تلقب بالملك الظاهر
 أبي سعيد واستمرت الفتن في أيامه مدة سنة وكسور وأخيراً ثار عليه بعض الامراء
 وحاربوه وانصروا عليه في ٢٩ القعدة سنة ٩٠٥ فهرب واختفى فاتفقوا على خلعهم وتولية
 الاميرجان بلاط الجر كشي مملوك قايتباي وبايعوه في ٢ ذي الحجة سنة ٩٠٥ وتلقب بالملك
 الاشرف أي النصر وفي السنة التالية شق الأمير طومان باي عليه عصا الطاعة وذهب الى
 دمشق واتفق مع بعض الامراء على خلع السلطان جان بلاط فعملوا بذلك محضراً بحضور
 علماء وأمراء دمشق وتسمى بالملك العادل ثم قصد مصر فوصلها في جمادى الاولى سنة ٩٠٦
 ودخل القاهرة في ١١ منه فتحصن جان بلاط في القلعة وحاصره العادل سبعة أيام ثم دخلها
 عنوة في ١٨ منه وقبض على جان بلاط وأحضر الخليفة والقضاة فقرروا بعزل جان بلاط
 وتحديد البيعة الى طومان باي العادل ثم أرسل جان بلاط الى سجن اسكندرية وأقام به الى
 أن خنق بامر العادل في ٤ شعبان سنة ٩٠٦ وفي أواخر رمضان سنة ٩٠٦ حصلت فتنة بين
 طوائف الممالك فقر طومان باي واختفى ثم ضبط في ذي القعدة وقتل وعقب فراره تولى
 الامير قنصوه القوري وتلقب بالملك الاشرف في مستهل شوال سنة ٩٠٦ وفي سلطنته عزل
 الخليفة المستمسك بالله يعقوب حوالي سنة ٩٢١ و بويع ابنه محمد وتلقب بالمتوكل على الله

وهو سادس عشر العباسيين وآخرهم بالديار المصرية وفي خلافته قصد السلطان الغازي
سليم العثماني بلاد الشام ومصر ليفتحها بسبب التجهاء أخيه كركود الى مصر واحتجائه عند
الغوري كما تراه مفصلاً في هذا الكتاب وحصلت موقعة هائلة بين عساكر الغوري
والعثمانيين بمرج دابق بجوار حلب في يوم الاحد ٢٥ رجب سنة ٩٢٢ (٢٤ اغسطس سنة
١٥١٦) فانتصر العثمانيون وقتل الغوري في أثناء القتال ودخل السلطان سليم مصر عقب
ذلك في أوائل محرم سنة ٩٢٣ وعقب واقعة مرج دابق أخذ أمير المؤمنين المتوكل ضمن
الأسرى فأكرمه السلطان سليم غاية الأكرام وبقي معه الى أن أرسله الاستانة وهناك
حصلت المبايعة منه الى السلطان سليم العثماني فانتقلت الخلافة الاسلامية الى ملوك بني
عثمان من ذلك التاريخ ولما وصل خبر موت الغوري الى مصر اتفق الأمراء بعد جدال
وشقاق على تولية الأمير طومان باي الثاني فبايعوه بالقلعة يوم الخميس ١٤ رمضان سنة
٩٢٢ (١٠ أكتوبر سنة ١٤١٦) وحضر البيعة أمير المؤمنين يعقوب المستمسنك بالله
المعزول لوجود ابنه الخليفة الحالي بحلب ضمن أسرى السلطان سليم وكان تولى الخلافة
بتوكيل مطلق من ولده المتوكل والقضاة والعلماء وقام طومان باي بحاربة العثمانيين
عدة أشهر ثم هرب والتجأ الى الشيخ حسن بن مرعي أحد مشايخ عربان البحيرة
فاظهر له الصداقة ثم سلمه الى السلطان سليم فشنته على باب زويلة في يوم الاثنين ٢١
ربيع الاول سنة ٩٢٣ (١٣ ابريل سنة ١٥١٧) وبذلك استتب الملك لدولة بني
عثمان العلية الشان حفظها الله ملحوظة بعنايته الصمدانية الى آخر الزمان

﴿ انتهت المقدمة ﴾



١ (السلطان الفاضل عثمان بن همام الأول)

بعد ان بلغت الدولة العباسية أوج التقدّم والتمدّن في خلافة هرون الرشيد وابنه المأمون الذي ترجمت في أيامه أغلب كتب اليونان وتقدّمت العلوم تحت وارف ظلها تقدّم ما لم تبلغه الدول الإسلامية قبل عصره أخذت الدولة في التمهقر شيئاً فشيئاً تبعها لناموس الحياة الطبيعية الفاضل بالهرم بعد الشيعة سنة الله في خلقه ولن نجد لسنة الله تبديلاً واستمر الانحلال يغر عظامها حتى انها سقطت بسقوط دار السلام (١) في قبضة قبائل التتار في ٢٠ محرم سنة ٦٥٦ هجرية وقتلهم الخليفة المستعصم بالله آخر العباسيين ببغداد بعد أن لبثت دولتهم زيادة عن خمسة قرون دعامة التمدّن الإسلامي

ومن ثم لم يكن للإسلام بعدها دولة عظيمة تحمي بيضته وتضم أشتاته بل ضاعت وحدته الملكية واستقل كل حاكم بما وكل اليه أمره من العيالات واستمر الحال على هذا المنوال الى ان قبض الله للإسلام تأسيس الدولة العلية العثمانية فجمعت تحت رايها أغلب البلاد الإسلامية وفتحت كثيراً من الاقاليم التي لم يسبق لحملها بحملة الدين الحنيفي وأعادت للإسلام قوّته وأعلنت بين الانام كلمته

ومؤسس هذه الدولة هو أرطغرل بن سليمان شاه التركي قائد احدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربية الى بلاد أنشيا الصغرى وذلك انه كان راجعاً الى بلاد العجم بعد موت أبيه غرقاعد اجتيازه أحد الانهر اذ شاهد جيشين مشتبكين فوق على مرتفع من الارض ليمتع نظره بهذا المنظر المألوف لدى الرحل من القبائل الحربية ولما آس الضعف في أحد الجيشين وتحقق انكساره وخذلانه ان لم يجد اليه يد المساعدة دبت فيه النخوة الحربية ونزل هو وفرسانه مسرعين لنجدة أضعف الجيشين وهاجم الجيش الثاني بقوة وشجاعة عظيمتين حتى وقع الرعب في قلوب الذين كادوا يفوزون بالنصر لولا هذا المدد الفجائي وأعمل فهم بالسيف والرمح ضرباً ووخذاً حتى هزمهم شر هزيمة وكان ذلك في أواخر القرن السابع للهجرة

وبعد تمام النصر علم أرطغرل بان الله قد قبضه لنجدة الامير علاء الدين سلطان قونية احدى الامارات السلجوقية التي تأسست عقب انحلال دولة آل سلجوق بموت السلطان (ملك شاه) في ١٥ شوال سنة ٤٨٥ (١٨ نوفمبر سنة ١٠٩٢ م) (٢) فكافأه علاء الدين على مساعدته له

(١) هي مدينة بغداد ولا أزيدك بها علما أسسها الخليفة أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين وشرع في تخطيطها سنة ١٤٥ هجرية وأتم بناءها سنة ١٤٩ هـ وهي قائمة على ضفتي نهر الدجلة تبعد عن مصب نهر شط العرب المكون من نهرى الدجلة والفرات في الخليج الفارسي بنحو خمسة ميل وقد سمي الجانب الشرقي منها بالرصافة والغربي بالكرخ ثم تمت وارتقت في أيام العباسيين خصوصاً هرون الرشيد والمأمون الذي أنشأ فيها مرمداً فلسياً وبلغ عدد سكانها سنة ٢١٦ هـ نحو مليونين من النفوس

(٢) لما سقطت دولة السلجوقيين تجزأت أملاكهم في بلاد الانا طول الى عشرة امارات صغيرة وهي قره سي وصار وغان وآيدين ونسك والجيد والقرمان وكرميان وقسطموني ومنتشا وقونية ثم ضمت

بأقطاعه عدة اقاليم ومدن وصار لا يعتمد في حروبه مع مجاوريه الا عليه وعلى رجاله وكان عقب كل انتصار يقطعه اراض جديدة ويمنحه اموالا جزيلة ثم لقب قبيلته بمقدمة السلطان لوجودها دائماً في مقدمة الجيوش وتنام النصر على يديه وفي غضبون ذلك تزوج عثمان أكبر أولاد طغرل بنت رجل صالح كان رآها مصادفة عند والدها وعلق بها واسكن ابي والدها أن تزوجها له فحزن عثمان لذلك وأظهر الصبر والجلد ولم يرغب الاقتزان بغيرها حتى قبل أبوها بعد ان قص عليه عثمان مناماً رآه ذات ليلة في بيت هذا الصالح وهو أنه رأى القمر صعد من صدره هذا الشيخ وبعد ان صار بداراً نزل في صدره أى في صدر عثمان ثم خرجت من صلبه شجرة نمت في الحال حتى غطت الاكوان بظلمها ونظر أكبر الجبال تحتها وخرج النيل والدجلة والفرات والطونة من جذعها ورأى ورق هذه الشجرة كالسنيوف يحولها الريح نحو مدينة القسطنطينية

فتفاعل الشيخ من هذا المنام وزوجه ابنته ومع اعتقادنا ان هذا المنام لا بد ان يكون موضوعاً كما يضع المؤرخون مثل هذه الاحلام لتعليل ظهور وتقدم كل دولة سواء كان في ممالك الشرق أو الغرب قد ذكرناه تقيماً للفائدة وقبل أن ينهي بها كان طلبها أميراسكي شهر فرفض والدها طلبه فحنق على عثمان لما تزوجها وأراد ان يقتله فهاجمه في قصر أحد مجاوريه وطلب من صاحب القصر أن يسلمه اليه فابى ثم خرج عليه عثمان ومن معه وردة على عقبه وأسر كوسه ميخائيل أحد من كان معه من الامراء ولكثرة اعجاب هذا الأمير بشجاعة عثمان تعلق به وصار من أخصائه ثم أسلم وبقيت ذريته مشهورة في تاريخ الدولة باسم عائلة ميخائيل أوغلي

ولما توفي أرطغرل سنة ٦٨٧ هـ الموافقة سنة ١٢٨٨ م عين الملك علاء الدين أكبر أولاده مكانه وهو (عثمان) مؤسس دولتنا العلية العثمانية وفي هذه السنة ولدت زوجته مال خاتون ولداً ذكر وهو أورخان ولم يلبث عثمان ان يحصل على امتيازات جديدة عقب فتحه قلعة (قره حصار) سنة ٦٨٨ هـ هجرة الموافقة سنة ١٢٨٩ ميلادية فمنحه الملك في السنة المذكورة لقب (بك) وأقطعه كافة الاراضى والقلاع التي فتحها وأجاز له ضرب العملة وان يذكر اسمه في خطبة الجمعة وبذلك صار عثمان بك ماسكاً بالفعل لا يتقصه الا اللقب وفي سنة ١٣٠٠ م تقريباً الموافقة سنة ٦٩٩ هـ الى السنة المتممة للقرن السابع من التاريخ الهجرى (١) اغارت جموع التتار على بلاد آسيا الصغرى وفيها كانت وفاة علاء الدين

بالفتح الي مملكة آل عثمان

(١) من الغرب انه في رأس كل قرن من الهجرة ظهر رجل كان له شأن في التاريخ الاسلامي ففي رأس القرن الاول كان ظهور الاسلام وانتشاره بين كفار العرب وفي سنة ٩٩٩ هـ أى في رأس القرن الثاني تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز الاموي المشهور وفي سنة ١٩٧ بويغ بالخلافة للمأمون بن هرون الرشيد وفي أوائل القرن الرابع أسس عبد الله المهدي عائلة الفاطميين في افريقيا وكانت الاربعون سنة التي مكثها القادر بالله أبوالمعالي في الخلافة مشتركة بين القرن الرابع والخامس وفي أوائل القرن السادس ظهر جتسكين خان التتارى

آخر السلجوقيين بقوة قيل قتله التتوقيل قتله ولده غياث الدين طمعاً في الملك ولما قتل التتار غياث الدين أيضاً انفتح المجال لعثمان فاستأثر بجميع الاراضي المقطعة له ولقب نفسه (باديشاه آل عثمان) وجعل مقر ملكه مدينة (يكي شهر) وأخذ في تحصينها وتحسينها ثم أخذ في توسيع دائرة أملاكه فسار الى مدينة ازميزد (١) ثم ازنيك (٢) ولما لم يتمكن من فتحهما عاد الى عاصمته واشتغل في تنظيم البلاد حتى اذا أمن اضطرابها وتجهز للقتال أرسل الى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخبرهم بين ثلاثة أمور الاسلام أو الجزية أو الحرب فأسلم بعضهم وانضم اليه وقبل البعض دفع الخراج واستعان الباقون على السلطان عثمان بالتتار واستدعواهم لتجديدهم لكن لم يعبأ بهم السلطان عثمان بل هباً لحار بهم جيشاً جواراً تحت امره ابنه أورخان فسار إليهم هذا الشبل ومعه عدد ليس بقليل من أمراء الروم ومن ضمنهم كوسه ميخائيل صديق عثمان الذي اختار الاسلام ديناً وبعد محاربة عنيفة شملت التتار وعاد مسرعاً لمدينة بورصة (٣) فحاصرها سنة ٧١٧ هـ الموافقة سنة ١٣١٧ م وللممكن من فتحها بسهولة هاجم حصن اردنوس السكان على قمة جبل أولمب (٤) فدخله عنوة ثم دخل مدينة بورصة بعد ان فتح كافة ماحولها من القلاع والحصون وحاصرها نحو عشر سنوات من غير ما حارب ولا قتال اذ أرسل ملك القسطنطينية وأمره لمعامله على هذه المدينة بالانسحاب فأخلاها ودخلها أورخان وعساكره ولم يتعرض لأهلها بسوء مقابل دفع ثلاثين ألف من عملتهم الذهبية وأسلم حاكمها (افرنوس) وأعطى له لقب بك وصار من مشاهير قواد العثمانيين

٢ « السلطان الغازي أورخان الاول »

وعقب ذلك بقليل استدعى أورخان الى والده فوجده في حالة النزاع ولم يلبث ان أسلم الروح الى باري السموات ومبدع الكائنات بعد ان أوصى للملك بعده لأورخان ثاني أولاده المولود في سنة ٦٨٠ لا تصافد بعلو الهمة والشجاعة والاقدام ولم يوص بها البكر أولاده علاء الدين لميله الى الورع والعزلة وتوفي رحمه الله في ٢١ رمضان سنة ٧٢٦ هجرية عن سبعين سنة قضى معظمها في تأسيس هذه الدولة الفخيمة الملحوظة بعين العناية الربانية وتوسيع

- (١) هي مدينة قديمة يونانية بآسيا الصغرى أصل اسمها (نيكوميدس) كانت تختلج المملكة (بونييا) واقعة على بحر مرمره ويدخل مينائها أكبر السفن وبها مياه معدنية ومعامل للحرير وأنشئت منها سكة حديدية تصل الى بورصة ويبلغ عدد سكانها أربعين ألف نسمة
- (٢) مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى أصل اسمها (ليقه) واقعة شرق مدينة بورصة بنحو ٨٠ كيلو متر وهي شهيرة بعمل الخزف والسجاجيد المتقنة
- (٣) مدينة بآسيا الصغرى شهيرة بجودة هواثها وجمال مناظرها الطبيعية وبها مياه عديدة شافية لكثير من الامراض ويرحل اليها في زمن الصيف كثير من الاغنياء لترويح النفوس وراحة الابدان
- (٤) واسمه بالتركية (اناطولى. طاغ) أو (كشيش طاغ) وهو غير جبل أولمبوس الذي كان يعتقد اليونان انه مسكن آلهتهم السكان بتركية أوروبا على حدود بلاد مقدونية

نطاقها ودفن في مدينة بورصة وبلغت مدّة حكمه ٢٧ سنة ومن حسن حظ هذه الدولة أن علاء الدين لم يعارض في هذه الوصية التي حرّمته من ملك عظيم بل قبلها مقدّما الصالح العام على الصالح الخاص واكتفى بوزارة المملكة وهي الوظيفة المسماة الآن بالصدارة العظمى التي قلده إياها أخوه أورخان فاخص علاء الدين بتدبير الأمور الداخلية وتفرّغ أورخان للفتوحات ونشر الراية العثمانية على كل ما وصلت إليه يده من البلاد المجاورة

ومن أهمّ أعمال علاء الدين أن أمر بضرب العملة من الفضة والذهب ووضع نظاما للجيش المظفر وجعلها دائمية إذ كانت قبل ذلك لا تجمع الا وقت الحرب وتصرف بعده ثم خشي من تحزب كل فريق من الجند الى القبيلة التابع اليها وانقصام عرى الوحدة العثمانية التي كان كل سعيهم في إيجادها فأشار عليه أحد خول ذلك الوقت واسمه (قره خليل) وهو الذي صار فيما بعد وزيراً أولاً باسم خير الدين باشا باخذ الشبان من أسرى الحرب وفصلهم عن كل ما يذكّرهم بجنسهم وأصلهم وتربيتهم تربية اسلامية عثمانية بحيث لا يعرفون لهم أباً الا السلطان ولا حرفة الا الجهاد في سبيل الله ولعدم وجود أقارب لهم بين الاهالي لا يخشى من تحزبهم معهم فأعجب السلطان أورخان هذا الرأي وأمر بإفاده ولما صار عنده منهم عدد ليس بقليل سار بهم الى الحاج بكطاش شيخ طريقة البكطاشية باماسية ليدعوهم بخير فدعا لهم هذا الشيخ بالنصر على الأعداء وقال فليكن اسمهم (بنى تشارى) ويرسم بالتركية هكذا (يكيجارى) أى الجيش الجديد ثم حرف في العربية فصار انكشارى

ثم ارتقى هذا الجيش في النظام وزاد عدده حتى صار لا يعمل الا عليه في الحروب وكان هومن اكبر وأهمّ عوامل امتداد سلطة الدولة العثمانية كما انهم خرجوا فيما بعد عن حدودهم ونعدّوا واستبدوا بما جعلهم سبباً في تأخر الدولة وتقهقرها وكان ضباطهم يلقبون بألقاب غريبة في بابها ولسكنها تدل على أن أولئك الجنود كانوا عاشرين من العائلات السلطان وانهم كاولاده فن ألقابهم شور بجى باشى وعشى باشى وسقا أغاسى واوده باشى الى غير ذلك وهذه الألقاب كانت عندهم بمثابة العتوانات الخاصة بالرتب العسكرية ثم انهم كانوا يعظمون ويحجون القدور التي كانت تقدّم اليهم فيها الماء كولات فكان الانكشارية لا يارقون تلك القدور حتى وقت الحرب وكانوا يدافعون عنها دفاع الجنود عن أعلامهم حتى كان يعتبر ضياعها في القتال أكبر اهانة تلحق باصحابها العار والفضيحة وكانوا اذا أرادوا اظهار عدم الرضا من بعض أوامر رؤسائهم يلقبون القدور أمام منازلهم واستمرت هذه الفئمة عوناً للدولة على أعدائها حتى تغيرت أحوالها وازداد طغيانها وانقلب فوائدها مضرات فابطلها السلطان محمود الثانى بعد ان قتل أغلبهم في يوم ١٦ يونيو سنة ١٨٢٦ الموافق ٩ ذى القعدة سنة ١٢٤١ لمقاومتهم أجرات السلاطين وعصيانهم عليهم وتعدّتهم على حقوقهم المقدّسة

هذا أما أورخان قاوّل عمل أجراه هو نقل مقر الحكومة الى مدينة بورصة لحسن

موقعها وأرسل قواد جيوشه المظفرة لفتح ما بقي من بلاد آسيا الصغرى ففتحوا أهم مدنها وفتح السلطان بنفسه مدينة أزميد ولم يبق من مدن الروم المهمة بآسيا الا مدينة أزنك فحاصرها وضيق عليها الحصار حتى دخلها بعد سنتين فسقط بسقوطها نفوذ الروم في بلاد آسيا ومما جذب اليه قلوب الاهالى ان عاملهم باللين والرفق ولم يعارضهم في اقامة شعائر دينهم وأذن لمن يريد المهاجرة باخذ كافة منقولاته وبيع عقاراته مع تمام الحرية في اجرا آتية وأسس بهذه المدينة عدّة مدارس وتكايا للفقراء والمعوزين وجعل أكبر أولاده المدعو سليمان باشا حاكما عليها ولم يلبث في هذا المنصب الا قليلا حتى عين صدرا أعظم بعد وفاة عمه علاء الدين واشتهر سليمان باشا بفتح عدّة مدن

وفي سنة ٧٣٣٦هـ الموافقة سنة ١٣٣٦م ضم السلطان اورخان الى ممالكه امارة قرهسى لوقوع الخلاف بين ولدى أميرها بعد موته ولولا عدم اتفاق الاخوين لما تمكن اورخان من ضمها الا بعد معاناة الحرب والكفاح وفي ذلك موعظة لمن أتى السمع وهو شهيد وبعد ذلك اشتغل السلطان اورخان بتدبير داخلية وسنّ النظمات اللازمة لاستتباب الامن بالداخل وانتشار العمارة في البلاد وفتح المدارس وبناء الجوامع والتكايا فن آثاره انه أسس مدرسة عالية في مدينة بورصة وأخرى في مدينة أزنك واجزل العطايا للشعراء والعلماء فاضاف بذلك خيرات السلم الى فتوحات الحرب

وبينما هو رافع في بحبوحة الامن اذا أرسل اليه ملك الروم بالقسطنطينية (١) واسمه (جان بالولوج) في غضون سنة ١٣٥٥ وفداً يطلب منه أن يمدّه بالمساعدة لصدّ اغارات (دوشان) (٢) ملك الصرب الذي بعد ان جمع تحت سلطانه كافة قبائل الصقالة الغربية وفتح بمساعدتهم بلاد البلقار زحف على مدينة القسطنطينية وعرض ملك الروم على السلطان أورخان أن يزوجه ابنته في مقابلة هذه المساعدة فاجاب السلطان طلبه وأرسل اليه عدداً

(١) كانت مدينة رومة وما فتحته من الاقاليم المتسمة مشكلة بهيئة جمهورية من ابتداء وجودها الى سنة ٢٩٠ قبل المسيح فجعلها القائد الشهير (أكتافيرس) حكومة امبراطورية وأطلق على نفسه لقب (أوغسطس) أى السامي القدير واستمرت هذه المملكة الى سنة ٣٩٥ ميلادية حيث قسمها الامبراطور طيودوس بين ولديه الى مملكة رومانية شرقية وجعل مقرها مدينة بيزانطة التي سميت فيما بعد بالقسطنطينية وأقام عليها ابنه (اركاديوس) ومملكة رومانية غربية جعل عاصمتها مدينة رومة وأقام عليها ابنه الثاني (أورينوس) ثم انقضت الدولة الغربية سنة ٤٧٦ ميلادية بسبب اغارة المتبربرين عليها واستمرت الشرقية الى أن فتح العثمانيون مدينة القسطنطينية في سنة ١٤٥٣ ميلادية

(٢) هو اسطن دوشان الملقب بالقوى ولد بمدينة اشقودره ببلاد الارنؤد سنة ١٣٠٨ وصار أميراً لبلاد الصرب وملحقاً في سنة ١٣٢٢ وكان يمدد الامال يطمح بنظره الى تكوين مملكة مؤلفة من جميع الصقالة لفتح القسطنطينية وبقياً بمملكة الروم الشرقية فالتحد مع جمهورية البندقية وباقي الامارات الصغيرة المجاورة له وكاد يتم له المقصود لولا أن فاجأته المنية في ٢٠ ديسمبر سنة ١٣٥٥ في ابتداء حربه مع الروم فنقلت جثته الى (برزيند) بالقرب من اشقودره حيث دفن في احدى الكنائس المعترية لدى القوم ومن بعده نشبت شمل هذه المملكة شيئاً فشيئاً وتناوبها أيدي الفساد حتى اجز العثمانيون عليها في واقعة (قوص اوه) سنة ١٣٨٩ كما سيحي

عظيماً من جنوده لتجديده لكن فاجأ الموت الملك دوشان قبل وصوله بجيوشه الى القسطنطينية وبذلك تخلص الروم من شره وعاد العثمانيون الى بلادهم ولا نزل العثمانيون بساحل أوروبا تحفة واضعف مملكة الروم وما آلت اليه من الانحلال فأخذ السلطان أورخان في تجهيز الكتابب سرّاً لاجتياز البحر واحتلال بعض نقط على الشاطئ الأوروبي تكون مركزاً لأعمال العثمانيين في أوروبا حتى اذا سنحت القرص وساعدت المقادير حاصروا مدينة القسطنطينية برّاً وبحراً ودخلوها فاتحين وفي سنة ١٣٥٧ اجتاز سليمان باشا أكبر اولاد السلطان أورخان وولىّ عهده وصدر مملكته الاعظم بوغاز الدردنيل ومعه أربعون من أشجع جنوده تحت أستار الظلام حتى اذا وصلوا الى الضفة الاخرى قبضوا على ما كان بها من القوارب وعادوا بها الى الضفة المسكرة عليها جيوشهم فانتقل الجيش الى الضفة أوروبا وكان عدده ثلاثين ألفاً واحتل ميناء (تزناب) وساعدتهم المقادير بسقوط جزء من أسوار جاليبولي (١) عقب زلزال شديد فدخلها العثمانيون بدون كبير عناء واحتلوا عدة مدائن أخرى منها (إسالا) و (رودستو) وغيرهما

وفي سنة ١٣٥٩ توفي سليمان باشا وولىّ عهد الدولة بسبب سقوطه من على ظهر جواده وصارت ولاية العهد بعده الى أخيه مراد وتولى منصب الصدارة بعده الوزير خير الدين باشا الذي سبقت الإشارة اليه

٣ « السلطان الغازي مراد نبال الدول وواقعة قومي اوه »

وفي سنة ٧٦١هـ الموافقة سنة ١٣٦٠م انتقل الى الدار الآخرة السلطان أورخان الغازي وسنه ٨١ سنة ومدة حكمه ٣٥ سنة بعد ان أيد الدولة بفتوحاته الجديدة وتنظيماته العديدة وثر ثباته المقيدة ودفن في مدينة بورصة حيث دفن ملوك آل عثمان الستة الاول وتولى بعده ابنه السلطان مراد الاول في المولود سنة ٧٦٦هـ وكانت فاتحة أعماله احتلال مدينة (أنقرة) مقر سلطنة القرمان وذلك ان سلطان هذا الاقليم واسمه علاء الدين أراد انتهاز فرصة انتقال الملك من السلطان أورخان الى ابنه السلطان مراد لاثارة حمية الأمراء المستقلين ونحريضهم على قتال العثمانيين ليسدكوا صروح مجدهم ويقوضوا أركان ملكهم الاخذ في الامتداد يوما فيوما فكانت عاقبة دسائسه ان فقد أهم مدائنه وبعد ضياعها أبرم الصلح مع السلطان مراد ليحفظ ما بقي له من الاملاك وزوجه ابنته لتسكين عرى الاتحاد بينهما أما في أوروبا ففتح البكر بلي (لاله شاهين) مدينة ادرنه (٢)

(١) مما يكسب هذه المدينة أهمية عظيمة وقوعها على ضفة بوغاز الدردنيل الذي هو البحر الوحيد بين بحر أوروبا والبحر مرمرية وهي تبعد عن مدينة ادرنة بمائة وأربعين كيلو متر تقريبا
(٢) واسمها بالرومية (أدرينا بوليس) نسبة للامبراطور أدرينان الرومي الذي أجرى فيها عدة تحسينات أوجبت اطلاق اسمه عليها وتوفي الامبراطور سنة ١٣٨ م

في سنة ١٣٧١ سلمها قائدها الرومى بعد قتال قليل لما داخله من اليأس من استخلاصها ولاهمية موقعها الجغرافى ووجودها على ملتقى ثلاثة أنهر نقل اليها السلطان تحت المملكة العثمانية واستمرت عاصمة لها الى ان فتحت مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣م وفتح أيضا مدينة (فيلبه) (١) عاصمة الروم الى الشرقية وفتح القائد (افرينوس بك) مدينتى (وردار) و (كلجمينا) باسم سلطان العثمانيين وبذلك صارت مدينة القسطنطينية محاطة من جهة أوروبا بأمالك آل عثمان وفصلت عن باقى الامارات المسيحية الصغيرة التى كانت شبه جزيرة البلقان مجزأة بينها وصارت الدولة العلية متاخمة لامارات الصرب والبغار وألبانيا المستقلة

فاضطرب لذلك الملوك المسيحيون المجاورون للدولة العلية وطلبوا من البابا (اوربانوس) الخامس أن يتوسط لدى ملوك أوروبا الغربيين ليساعدوهم على محاربة المسلمين وإخراجهم من أوروبا خوفا من امتداد فتوحاتهم الى ما وراء جبال البلقان اذ لو اجتازوها بدون معارضة ومقاومة فى مضايقتها لم يقو احد بعد ذلك على إيقاف تيار فتوحاتهم ويحشى بعدها على جميع ممالك أوروبا من العثمانيين قلبى البابا استغاثتهم وكتب لجميع الملوك بالتأهب لمحاربة المسلمين وحرّضهم على محاربتهم محاربة دينية حفظا للدين المسيحى من الفتوحات الاسلامية

لكن لم ينتظر (اوروك) الخامس الذى عين ملكا على الصرب بعد (دوشان) القوى وصول المدد اليه من أوروبا بل استعان بأمرأه بوسنه والفلاخ وبعدد عظيم من فرسان المجر وسار بهم لمهاجمة مدينة (آدرنه) عاصمة الممالك العثمانية معللين النفس بالانصرار على العثمانيين ومؤملين النصر عليهم لاشتغال الملك مراد بمحاصرة مدينة (بيجا) بالقرب من بورصة بأسيا الصغرى فلما وصل خبر تقدمهم الى آذان العثمانيين قابلوهم على شاطئ نهر (ماريتزا) وفاجأوهم فى ليلة مظلمة بقوة عظيمة ألقت الرعب فى قلوبهم وأوقعتهم فى حيص بيص ولم يلبثوا الا قليلا حتى ولوا الادبار تاركين الثرى مخضبا بدمائهم وكان ذلك فى سنة ١٤٦٦م الموافقة سنة ١٤٦٣م اما السلطان مراد فكان فى هذه الاثناء مشغولا بالقتال فى بلاد آسيا الصغرى حيث فتح عدة مدن ثم عاد الى مقر سلطنته لتنظيم ما فتحه من الاقاليم والبلدان كما هو شأن الفاتح الحكيم الذى لا يكتفى بفتح البلاد وضرب الذلة والمسكنة على سكانها بل كان ينسج على منوال أبيه وجده أى يستريح بضع سنين من عناء الفتح ليرتب جيوشه ويكمل من نقض منها مستهددا فى ساحسة النصر ولما عظم شأن الدولة خشبها بجاوروها خصوصا الضعفاء منهم فارسلت جمهورية (راجوزه) فى سنة ١٣٦٥ الى السلطان مراد رسلا أمضوا معه معاهدة ودية وتجارية تعهدوا فيها بدفع جزية سنوية قدرها ٥٠٠ دوكا ذهب وهذه أول معاهدة أمضيت بين العثمانيين والدول المسيحية

(١) اسما بالرومية فيليو بوليس أى مدينة فيليب نسبة لمؤسسها فيليب والد الاسكندر الاكبر

وفي سنة ١٣٧٩ اتحد (لازارجر بلينا نوقش) الذي تربع على تحت مملكة الصرب بعد قتل (اوروك) مع (سيسمان) أمير البلغار على مقاتلة العثمانيين ومحاربتهم لكنهما بعد عدة مناوشات خفيفة تحققت في خلالها عجزهما عن مكافحة العساكر الاسلامية أبرما الصلح مع السلطان على أن يتزوج السلطان بنت أمير البلغار وعلى أن يدفع له الاميران خراجا سنويا معيناً

ولما توفي (البكر بك) لاله شاهين عين محله ديمورطاش باشا وينسب الى هذا الوزير تنظيم فرق الخيالة العثمانيين المسماة (سيباه) على نظام جديد واختار أن تكون أعلامهم باللون الاحمر الذي لا يزال شعار الدولة العثمانية حتى الآن واقطع كل قهرمهم جزأ من الارض يزرعه أصحابه الاصليون مسيحيين كانوا أو مسلمين في مقابلة دفع جعل معين لصاحب الاقطاع وذلك بشرط أن يسكن الجندى في أرضه وقت السلم ويستعمل للحرب عند الاقتضاء على نفقته وأن يقدم أيضاً جندياً آخر معه وكان كل اقطاع لم يجاوز ايراده السنوى عشرين ألف غرش يسمى تيمارا وما زاد ايراده على ذلك يسمى (زعامت) وكانت هذه الاقطاعات لا يرثها الا الذكور من الالعقاب واذا انقرضت الذرية الذكور ترجع الى الحكومة وهي تقطعها الى جندي آخر بنفس هذه الشروط

ولاجل أن يكون للسلطان مراد حلفاء بين من بقى مستقلاً من أمراء آسيا الصغرى زوج ولده (بايزيد) الملقب بيلدرم أى البرق بنت أمير كرمان وهو قدّم للسلطان مدينة (كوتاهيسه) الشهيرة بصفة مهر لابنته كما هي عادة الافرنج الآن وفي ابتداء سنة ١٣٨١ ابتدأت الفتوحات ثانياً وأخذت سيرها الاول فالزم السلطان أمير اقليم (الحميد) بالنزاع له عن بلاده وخارب ديمورطاش باشا الصرب والبلغار لتأخيرهما في دفع الخراج المتفق عليه وفتح مدائن (موناستر) و (برله) و (استيب) و وقعت مدينة صوفيا (١) في قبضة العثمانيين بعد محاصرة استمرت ثلاث سنوات من سنة ١٣٨١ الى سنة ١٣٨٣ وعقب ذلك فتح الصدر الاعظم خير الدين باشا مدينة سلانيك الشهيرة (٢) وفي هذه الاثناء تمرد صاووجي أحد اولاد السلطان على والده بالاتحاد مع اندرونيكوس ابن امبراطور الروم حنا باليولوج الذي كان والده حرمه من الملك بعده وأوصى به الى ابنه الاصغر أمانويل وتحزب معهما بعض من أضلهم الطمع والفرور غير ناظرين الى أن هذا الشقاق الداخلي لا يكون وراءه الا ضعف الدولة وتمكن أعداؤها من الاستظهار عليها لكن لم يدع السلطان الشفقة الولدية تتغلب عليه بل أرسل لمحاربة ولده المتمرّد من قهره وهو محارب به وقتله وجميع من

(١) هي عاصمة إمارة البلغار الآن ويبلغ عدد سكانها خمسين ألف نسمة
(٢) مدينة رومية قديمة جداً واقعة في جنوب بلاد مقدونية على بحر الارخيل كان اسمها (ترما) ثم لما تولى (كساندر) المتوفى سنة ٢٩٨ قبل المسيح ملكاً على بلاد مقدونية أطلق عليها اسم زوجته أخت اسكندر الكبير المسماة (تسالونيك) وحرف هذا الاسم على مر الاجيال فصار سالونيك و سلانيك ويتبدى منها الآن طريق حنيدى يصل الى الصرب ومنها الى جميع أوروبا

حازبه من أشرف الروم وطلب من ملك الروم قتل ابنه فقفاً عنييه ونفاه حتى مات (١)
ولما مات القائد خير الدين باشا أشهر قواد الدولة ظن متآخوها أنه لم يبق لديها من القواد من
يزد كيدهم في نحرهم فاتحد علاء الدين أمير القرمات الذي سبق ذكره مع بعض الأمراء
المستقلين واستعدوا للقتال وابتدؤا المناوشات لكن لم يمهلمهم السلطان مراد بل أرسل إليهم
ديمورطاش باشا فحاربهم وقهرهم في سهل قونية وأخذ علاء الدين أسيراً ولولا توسط ابنته
التي كان تزوجها السلطان مراد عقب الحاربة الأولى لجرده من أملاكه ولكن مراعاة
لزوجته لم يأخذ منه شيئاً هذه الدفعة بل أقره في أملاكه بشرط دفع الجزية وكان ذلك سنة
١٣٨٦ أما في أوروبا فاتخذ الصرب وجود اعظم قواد السلطنة وجيوشها بالاناطول فرصة
لحاربة العساكر العثمانية فغاز الصرب أولاً في سنة ١٣٨٧ وكان (سيسمان) قرال اى
أمير البلغار يتأهب للانضمام الى (لازار) ملك الصرب اذ فاجأ الوزير على باشا جيوش
البلغار واحتل (ترويه) و (شوهله) وأجأ سيسمان الى الفرار والاختباء في مدينة
نيكوبلي (٢) سنة ١٣٨٨ وبعد ان جمع شمل ما بقى من جيوشه داخل هذه المدينة أراد
محاربة العثمانيين ثانية فخرج من (نيكوبلي) وهاجم الجيوش الاسلامية مهاجمة يأس
فانهزم هزيمة لم يبق له بعدها قائمة ووقع أسيراً فضم السلطان مراد لصف بلاده اليه ولم
يامر بقتله بل منحه نعمة الحياة ورتب له ما يقوم بمعاشه مراعيًا في ذلك مقامه السابق
وعينه حاكماً شبه مستقل على النصف الباقي (١٣٨٩) ولما علم لازار ملك الصرب
بالتخاذل رفقه قرال البلغار مال بجيوشه قليلاً جهة الغرب للانضمام الى أمراء ألبانيا
(الارنؤد) فلم يمكنه السلطان مراد من ذلك بل جدد السير في طلبه حتى لحقه في سهل (قوص
اوه) سنة ١٣٨٩ وانتشب القتال بين الجيشين بحالة يشيب من هولها الولدان دافع في
خلاله الصربيون دفاع الأبطال وبقى الحرب بينهما سجالاً مدة من الزمن تناثرت فيها
الرؤوس وزهقت النفوس وأخيراً فر صهر الملك لازار المدعو (فوك برانكوفتش) ومعه
عشرة آلاف فارس والتحق بجيش المسلمين فدارت الدائرة على الصربيين وجرح لازار
ووقع أسيراً في أيدي العثمانيين وقتلوه وهذه الواقعة المهمة التي بقي ذكرها شهيراً في أوروبا
باسرها زال استقلال الصرب كما فقدت البلغار والروماني والاناطول استقلالها من قبل
وكما ستفقد اليونان وغيرها الاستقلال فيما بعد وبعد تمام النصر والغلبة للعثمانيين كان

(١) لا يظن القارى أن العثمانيين اغردوا بارتكاب هذا الاتم الجسيم فان من تصفح التاريخ يعلم ان كثيراً
من الملوك حاكوا أولادهم وقتلوهما لما تثبت عليهم خيانة الامة والدولة فقد سجن بطرس الأكبر الروسي
ولي صهده الكسيس ولما تأكد جنايته وعدم استمداده للقيام بأعباء المملكة بعده جمع مجلساً عالياً مركباً
من أهم رجال الدولة وحكم عليه هذا الجاس بالاعدام لكن لم ينفذ عليه الحكم جهاراً بل وجد ميتاً في سجنه
في صبيحة اليوم المحدد لتنفيذ الحكم عليه ولم تعلم كيفية موته بالضبط لكن من المؤكد أن موته كان بأمر والده
كحي لا يشق أمام الامة

(٢) اسمها بالرومية نيكوبوليس ومعناها مدينة النصر أسسها الامبراطور الروماني تراجانوس المتوفى سنة
١١٧ بعد المسيح عقب انتصاره على أعدائه

السلطان مراد يمر من بين القتلى اذ قام من بينهم جندي صربي اسمه (ميلوك كوفلوقش) وطعن السلطان بخنجر طعنة كانت هي الفاضية عليه بعد قليل فسقط القاتل قتيلا تحت سيوف الانكشارية لكن لم يقدّم قتلته شيئاً اذ أسلم السلطان الروح بعد ذلك بقليل بعد ان ضم كثيراً من البلاد الى مملكته له والده السلطان اورخان ممامر بيانه وكانت وفاته في ١٥ شعبان سنة ٧٩١ هـ الموافق ٨ اكتوبر سنة ١٣٨٨ عن خمس وستين سنة وبلغت ملكته حكمه ثلاثين سنة ونقلت جثته الى مدينة بورصة

٤ « السلطان الغازي بايزيد نهان الاول »

وتولى بعده السلطان بايزيد خان الاول بكر اولاده وكانت ولادته سنة ٧٦١ هـ (الموافقة سنة ١٣٦٠ م) اتفق اركان الدولة على توليته وكان له أخ أصغر منه بقليل يدعى يعقوب متصفا بالشجاعة والاقدام وعلو الهمة خفيف على المملكة منه من أن يدعى الملك ويرتكن على أن الملك انتقل الى السلطان اورخان بعد وفاة أبيه السلطان عثمان ولم يتولى بعده ابنه البكر علاء الدين ولذلك قتل باتفاق أمراء الدولة وقواد جيوشها وادعى مؤرخو الافرنج أن قتله كان بناء على فتوى شرعية أفق بها علماء ذلك الزمان منعاً لحصول الفتنة بناء على قوله تعالى والفتنة أشد من القتل

وابتداء السلطان بايزيد اول اعماله بان ولي الامير (اسطفي) بن لازار ملك الصرب حاكماً عليها وتزوج أخته (أوليفيرا) وأجاز له بان يحكم بلاده على حسب قوانينهم بشرط دفع جزية معينة وتقديم عدد معين من الجنود ينضمون الى الجيوش الشاهانية وقت الحرب وفعل ذلك ولم يضم بلاد الصرب الى أملاكه ويجعلها ولاية كباقي الولايات ليسكن بال الصربيين حتى لا يكونوا شغلا شاعلا له نظرا لشهامتهم وحبهم الاستقلال ولما ساد الامن في أوروبا قصد بلاد آسيا وفتح مدينة (الاشهر) المعروفة عند الافرنج باسم (فيلا دلقيا) سنة ١٣٩١ وهي آخر مدينة بقيت للروم في آسيا وها به أمير (آيدين) فترك له أملاكه وعاش مطمئن الخاطر في احدي المدن الخارجة عن النفوذ العثماني وكذلك ترك أميراً من تشاوصاروخان ولايتهما واحتميا عند أمير (قسطموني)

وتنازل الامير علاء الدين حاكم بلاد القرمات للسلطان عن جزء عظيم من أملاكه ليؤمّنه على الباقي

وبعد هذه الفتوحات التي تم أغلبها بدون حرب عاد السلطان الى أوروبا وحارب (امانول) باليولوج) ملك الروم وحاصره في القسطنطينية وبعد ان ضيق عليها الحصار ترك حوطها جيشاً جراراً وسافر لغزو بلاد الفلاخ فقهر أميرها المدعو (دوك مانيس) وأكرهه على التوقيع على معاهدة يعترف فيها بسيادة الدولة العلية العثمانية على بلاده ويتعهد لها بدفع جزية سنوية مع بقاء بلاده له يحكمها بمقتضى عوائد وقوانين أهلها وتم ذلك في

سنة ١٣٩٣

وفي أثناء اشتغال السلطان بمحاربة الفلاح أراد علاء الدين أمير القرماني أن يسترد ما تنازل عنه للدولة العلية فجهز جيشا عظيما واستعان ببعض مجاوريه وسار بجيشه ورجله قاصدا مهاجمة مدينة انقره بعد أن فاز على ديمورطاش باشا في إحدى الوقائع وأخذه أسيرا فلما بلغ خبره إلى مسامع السلطان قام بنفسه إلى بلاد الأناطول ووجد في طلب علاء الدين حتى تقابل الجيشان في موضع يقال له (آق جاي) فهزمه السلطان بايزيد وأسر هو وولديه محمد وعلي وضم ما بقي من أملاكه إليه وبذلك امتحت سلطنة القرماني وصارت ولاية عثمانية

ثم فتحت إمارات سيواس وتوقات وكان آخر أمرائها يدعى الغازي برهان الدين وبذلك بقيت من الإمارات التي قامت على إطلال دولة آل سلجوق الإمارة قسطنطينية خارجة عن أملاك الدولة العثمانية وكان أميرها يسمى بايزيد أيضاً واحتوى ببلاده كثير من أولاد الأمراء الذين فتحت بلادهم فكان ذلك سبب غزو بلاده وذلك أن السلطان أرسل إليه من يطلب منه تسليم أولاد صاحب آيدين وصاروخان فامتنع فصار إليه السلطان بايزيد بنفسه وأغار على بلاده وفتح مدائن ناسون وجانك وعثمانجق وبذلك اقترضت جميع الإمارات الصغيرة القائمة ببلاد الأناطول وصار العلم العثماني يخفق منصورا فوق صروحها أما بايزيد صاحب قسطنطين فلجأ إلى تيمور لنك سلطان الموغول (١)

ومع استمرار الحصار حول القسطنطينية ضم السلطان بلاد البلقان إلى الأملاك العثمانية فصارت ولاية عثمانية كباقي الولايات بعد أن قتل أميرها (سيهان) وأسلم ابنه وعين حاكما لسمسون سنة ١٣٩٤

واقعة نيكوبول

فلما علم (سجسمون) ملك المجر خبر ما حلّ ببلاد البلقان خشي على مملكته اذ صار متاخما في عدة تقط للدولة العلية فاستنجد بأوروبا وساعده البابا وأعلن الحرب الدينية بين أقوام أوروبا الغربية فأجاب الدعوة دوك (بورغونيا) (٢) وأرسل ابنه الكونت دي نيفر ومعه

(١) أي تيمور الاعرج ولد سنة ١٣٣٦ ميلادية تقريبا ببلدة بالقرب من سمرقند ويتصل نسبه بكنجيز خان التتاري من جهة النساء وخلف عمه سيف الدين في إمارة كيش سنة ١٣٦٠ وأخذ في فتح ما حوله من الإمارات والقبائل ثم فتح بلاد خوارزم وكشغر وبلاد إيران ومنها سار إلى جنوب الروسية وفتح إقليم آراق ثم قصد بلاد الهند فانتصر على صاحب (دهلي) وفتح معظم الهند الانكليزية ومنها عاد إلى الغرب ففتح بلاد الشام ومدينة بغداد التي خربها عن آخرها وقبل أن ينظم هذه الفتوحات المديدة قصد بلاد الصين في جيش يحمل عن الحصر بعد أن حارب السلطان بايزيد العثماني وأخذه أسيرا فجاهله المنون قبل أن يصل الصين في إقليم خوقند في ١٧ شعبان سنة ٨٠٧ الموافق ١٩ فبراير سنة ١٤٠٥ ميلادية وبعد موته تفرقت مملكته بين ولده شاه رخ وأحفاده وأولاد أخفاده

(٢) كانت ولاية عظيمة في شرق فرنسا شبه مستقلة لم يكن للملوك فرانس عليها سوى السيادة وحق طلب الجنود للحرب عند الضرورة وأهم أمراءها شارل الجسور الذي توفي سنة ١٤٧٧ عن غير عقب ذكر وضمت أملاكه إلى مملكة فرنسا وصارت كباقي الولايات وفي سنة ١٧٨٩ قسمت إلى عدة مديريات بمقتضى الترتيب الذي وضع أثناء الثورة الفرنسية العظمى ويشهر هذا الإقليم بالنبيذ الجيد

سنة آلاف محارب أغلبهم من أشرف فرنسا وفيهم كثير من أقارب ملك فرنسا نفسه والضم إليه حين مسيره الى بلاد البحر أمراء (بافاريا) (١) وأستير ياوشواليه القديس حنا الاورشليمي (٢) وكثير من الالمانيين ثم اجتاز هذا الجيش نهر الدانوب وعسكر حول مدينة نيكوبلي لمحاصرتها فسار اليهم السلطان بايزيد ومعه مائتا ألف مقاتل بهم كثير من اهالي الصرب تحت قيادة اميرهم (اسطفن) بن لازار وغيرهم من الامم المسيحية الخاضعة لسلطان العثمانيين وقتلهم قتلا عنيفا في يوم ٢٣ ذي القعدة سنة ٧٩٨ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٣٩٦ كانت نتيجة انتصار العثمانيين على الجيوش المتألية عليهم واسر كثير من اشرف فرنسا منهم الكونت دى نيفر نفسه وقتل أغلبهم وأطلق سراح الباقي والكونت دى نيفر بعد دفع فداء اتفق على مقداره ويقال ان السلطان بايزيد لما أطلق سراح الكونت دى نيفر وكان قد ازم بالقسم على أن لا يعود لمحاربه قال له انى أجيزلك أن لا تحفظ هذا العين فأنت في حل من الرجوع لمحاربي اذ لا شئ أحب الى من محاربة جميع مسيحي أوروبا والانتصار عليهم

هكذا وقد شدد الحصار بعد ذلك على مدينة القسطنطينية ولولا اغارة المغول على بلاد آسيا الصغرى لم يكن من فتحها لكن الامور مرهونة باوقاتنا فكتفى بإبرام الصلح مع ملكها هذه المرة بشرط دفع عشرة آلاف ذهب سنويا من عملة وقتها وأن يجيز للمسلمين أن يبنوا بها جامعا لاقامة شعائر الدين الحنيفي وأن تقام لهم محكمة شرعية لتظر قضايا المستوطنين بها منهم

« اغارة تيمورلنك على آسيا الصغرى » (وواقعة انقره ووقوع السلطان بايزيد أسيرا في أيدي تيمور)

وسبب اغارة تيمورلنك التتارى المغولى على الدولة العثمانية أن أمير بغداد والعراق المدعو احمد جلایر التجأ الى السلطان بايزيد حينما هاجمه المغول في بلاده فارسل تيمورلنك الى السلطان بطلبه فاقبى تسليمه اليه فاغار تيمور بخيوشه الجرارة على بلاد آسيا الصغرى

(١) مملكة مستقلة بألمانيا يبلغ عدد سكانها خمسة ملايين من النفوس وتختها مدينة (مونيخ) أو (مونكن) كما سميا الالمان وهي داخلة الآن ضمن الامبراطورية الالمانية التي تشكلت سنة ١٨٧١ عقب تغلب روسيا على فرنسا مع بقاء استقلالها وحكومتها وملوكها كما كانت

(٢) هم طائفة من الرهبان الذين ذهبوا الى بلاد فلسطين في القرن الحادى عشر للمسيح أثناء الحروب الصليبية التي أثارها المسيحيون على المسلمين لامتلاك القدس الشريف لخدمة حجاج النصارى ولما استولى السلطان صلاح الدين الايوبي على مدينة اورشليم سنة ١١٨٧ انتقلت هذه الطائفة الى عكا ثم الى جزيرة رودس واتخذتها مركزا لمحاربة المسلمين وتمطيل تجارتهم ونهب مراكزهم وأسر من بها ولما فتح السلطان سليمان القانوني هذه الجزيرة سنة ١٥٢٢ كما سيجيء رحلت هذه الطائفة الى جزيرة مالطه التي أعطاها لهم الامبراطور شارلسكان فاحتلوا الي ان فتحها بونابرت سنة ١٧٩٨ أثناء مجيئه الى مصر فاعتقت هذه الطائفة تقريبا ولم يبق الا اسمها

وافتح مدينة سيواس بارمينيا وأخذ ابن السلطان بايزيد المدعو ارطغرل أسيراً وقطع رأسه ولذلك جمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمور الاعرج فتقابل الجيشان في سهل انقز واستمر الحرب من قبل شروق الشمس الى بعد غروبها وأظهر السلطان في خلالها من الشجاعة ما بهر العقول وأدهش الازدهان ولكن ضعف جيشه بفراق فرق آيدن ومنتشا وصاروخان وكرميان وانضمامها الى جيوش تيمور لوجود أولاد أمراءهم الاصليين في معسكر التتار ولم يبق مع السلطان الا عشرة آلاف انكشارى وعساكر الصرب فخارب معهم طول النهار حتى سقط أسيراً في أيدي الموغول هو وابنه موسى وهرب أولاده سليمان ومحمد وعيسى ولم يوقف لابنه الخامس مصطفى على أثره وكان ذلك في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤ الموافق ٢٠ يولييه سنة ١٤٠٢ فعامل تيمورلنك أسيره بايزيد بالحسنى وأكرم مشواه لكنه شدد في المراقبة عليه نوما بعد ان شرع في الهروب ثلاث مرات وضبط ويقال أنه سجنه في قفص من الحديد حتى مات في ١٥ شعبان سنة ٨٠٥ الموافق ٩ مارث سنة ١٤٠٣ وعمره ٤٤ سنة ومدة حكمه ١٣ سنة وهذه رواية نقلها بعض مؤرخى الافرنج بدون ترو وذلك أن بايزيد رغب أن يسير مع جيش تيمورلنك في تختران بحمله حصانان ومقابلة شبابيكه بضمبان من حديد ولكون بعض مؤرخى الترك أطلق على التختران لفظ قفص ظن بعض المترجمين من الافرنج أنه وضعه في قفص كما توضع الوحوش الكاسرة ونقل هذه الرواية على علاقتها كثير من المتقدمين لكن لما تقدم علم التاريخ وترجمت التواريخ التركية أصبح متأخروا المؤرخين خطأهم وأجهوا على أنه لم يضعه في قفص مطلقاً (راجع الجزء الثانى من مؤلف هم المطبوع بباريس سنة ١٨٣٥ صحيفة ٩٦ وما بعدها) وما يؤيد حسن معاملة تيمورلنك للسلطان بايزيد أنه صرح لابنه موسى بنقل جثته بكل احتفال الى مدينة بورصة حيث دفن بجانب السلطان مراد (مع بقاء موسى في حالة الاسر وفي حراسة أمير كرميان)

الفوضى بعد موت
السلطان بايزيد

وبعد موت السلطان بايزيد تجزأت الدولة الى عدة أمارات صغيرة كما حصل بعد سقوط دولة آل سلجوق لان تيمورلنك أعاد الى أمراء قسطنطين وصاروخان وكرميان وآيدن ومنتشا وقرمان ما فقدوه من البلاد

واستقل في هذه الفترة كل من البلغار والصرب والفلاخ ولم يبق تابعاً للراية العثمانية الا قليل من البلدان وما زاد الخطر على هذه الدولة الاسلامية عدم اتفاق أولاد بايزيد على تنصيب أحدهم بل كان كل منهم يدعى الأحقية لنفسه فقام سليمان في مدينة ادرنه حيث ولاه الجنود سلطاناً وأولاً لجل أن يستظهر على اخوته عقد محالفة مع ملك الروم (المانويل الثانى) وتنازل له عن مدينة سلانيك وسواحل البحر الاسود لينجده على اخوته الباقين ولزيادة الوثوق منه تزوج إحدى قريباته وكان محمد بن بايزيد يحارب جنود تيمورلنك في جبال الاناطول واستخلص منهم مدينتى نوقات

واماسيا أما عيسى فلما بلغه خبر وفاة والده جمع ما كان معه من الجند بمدينة بورصة حيث كان مختفياً وأعلن نفسه خليفة آل عثمان بمساعدة القائد (دعورطاش باشا) ومما يوجب الاسف والحزن ان استنجد كل من هؤلاء الثلاثة بتمورلنك سبب هذه الفتنة والمقاسد فقبل وفودهم بكل ارتياح وشجعهم على المثابرة والثبات في الحرب يريد بذلك اضعا فاهم ببعضهم حتى لا تقوم للدولة العلية بعدهم قائمة

فسار محمد لمحاربة أخيه عيسى وهزمه في عدة مواقع وقتله في الاخيرة منها ولم يبق له بعد ذلك منازع من اخوته في آسيا الصغرى واستخلص أخاه موسى بعد ذلك من أمير كرميان وشاعه قيادة جيش جرار أرسله به الى اوربا لمحاربة أخيه سليمان فلم يبق عليه بل انهزم أمامه وعاد مقهوراً الى آسيا ثم جمع جيشاً آخر وعاد به الى أوروبا وحارب أخاه سليمان وقتله خارج أسوار مدينة أدرنه في سنة ١٤١٠ وبعدة هزات على بلاد الصرب وعاقب أهلها على خروجهم عن الطاعة وقاتل سجنسون ملك الجرجال الذي تصدى له لردّه عن بلاد الصرب لكن داخل الطمع الأمير موسى فعصى أخاه محمد الذي أمده بالجنود لمحاربة أخيهما سليمان واراد الاستقلال ببلاد الدولة بأوروبا وحاصر القسطنطينية ليفتحها لنفسه فاستنجد ملكها بالأمير محمد فأتى اليه مسرعاً لمحاربتهم ولزمه بعد محاربة شديدة برفع الحصار عنها ثم حالف الأمير محمد ملك القسطنطينية وأمير الصرب وبثوا الدسائس في جيش موسى حتى خائنه أغلب قوّاده ووقع اخيراً بين يدي أخيه محمد فامر بقتله سنة ٨١٦ هجرية الموافقة سنة ١٤١٣ ميلادية

٥ « انفراد السلطان محمد جلبي الغازي بالملك »

وبذلك انفراد محمد المولود سنة ٧٨١ هـ بما بقي من بلاد آل عثمان واشتهر في التاريخ باسم السلطان محمد جلبي الغازي. ويعتبر بعض المؤرخين السلطان محمد الاول خامس سلاطين آل عثمان ولم يعتبروا اخوته لكونهم لم يلبثوا في الملك مدّة طويلة وذلك لعدم الخلط في تعداد ملوك هذه الدولة ولم يراع البعض الاخر هذا الترتيب بل اعتبرهم ملوكاً ولذلك وجد اختلاف بين كتب المؤرخين في عدد سلاطين الدولة العثمانية لكن المتفق عليه هو عدم اعتبار من نازع السلطان محمد جلبي في الملك من اخوته وعدّه هو خامس سلاطين الدولة العلية

هذا وقد كانت مدة حكم السلطان محمد كلها حروباً داخلية لارجاع الامارات التي استقلت في مدة الفوضى التي اعقبت موت السلطان بايزيد في الاسر وحافظ على مخالفة ملك الروم الذي لولا مساعدته لخيّف على عرى الدولة العلية من الانقسام ورد له البلاد التي فتحها اخوه موسى واستمر على محافظته لعهده الى آخر عمره ومما يؤثر عن هذا السلطان انه استعمل الخزم مع الحلم في معاملة من قهرهم من شق عصا

طاعة الدولة فانه لما قهر أمير البلاد القرمان وكان قد استقل عفا عنه بعد أن أقدم له على القرآن الشريف بان لا يخون الدولة فيما بعد وعفا عنه ثانية بعد ان حُث في يمينه وكذلك لما حارب (قره جنيد) الذي كان حاكم أزمير من قبل السلطان بايزيد وقهره عفا عنه وتناسى كل ما وقع منه وعينه حاكماً لمدينة نيكوبلى

وظهر في أيام هذا الملك شخص يسمى بدر الدين من العلماء المشهورين في ذلك الوقت وكان معيناً بوظيفة قاضى عسكري جيش موسى أخى السلطان محمد وبعد انهزام موسى كما سبق ذكره أُلزم بالاقامة في مدينة (ازنيك) ثم هرب منها وابتدأ في نشر مذهبه المؤسس على المساواة في الاموال والامتعة وهذا المذهب أشبه شيء بأراء بعض اشتراكي هذا الوقت فتبعه خلق كثير من المسلمين والمسيحيين وغيرهم لانه كان يعتبر جميع الاديان على السواء ولا يفرق بينها بل كان عنده جميع الناس اخوة مهما اختلفت مذاهبهم وأديانهم واستعان في نشر مذهبه هذا بشخص يدعى (بيرقليججه مصطفى) وآخر يقال ان أصله يهودى واسمه (طورلاق كمال) واشتهر أمره بسرعة وكثر عدد تابعيه حتى خيف على المملكة العثمانية من امتداد مذهبه فارسل اليه السلطان محمد القائد سيسمان ابن أمير البلغار الذي دخل في دين الاسلام وعين حاكماً لمدينة سمسون مع جيش جرار لمحاربة أتباع بدر الدين فظهر عليه بيرقليججه مصطفى وقتله

ولما علم السلطان بذلك جمع الجيوش وأرسل وزيره الأول المدعو بايزيد باشا لمحاربة هذه الفئة فصار اليها وقابل مصطفى في ضواحي أزمير فخاربه في موقع يقال له (قره بورنو) وقهره وأخذه أسيراً ثم قتله وكثيراً من أتباعه

وفي هذه الاثناء ضبط بدر الدين في بلاد مقدونية بعد مقاومة شديدة وشنق في سنة ١٤١٧م وبذلك اطفئت هذه الفتنة ولم يبق لها بعد ذلك من خبر وكان شنق رئيس هذه الفتنة بناء على فتوى أفتى بها مولانا سعيد أحد تلامذة التفتازانى وهذا نصها كما جاء في تاريخ همر (من أناكم وأمركم جميعاً على رجل يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه) ولم يهدأ بال السلطان محمد بعد انتصاره على بدر الدين وأشباعه حتى ظهر أخوه مصطفى الذي لم يوقف له على أثر بعد واقعة انقره التي أسر فيها والدهم السلطان بايزيد الأول وطالبه بالملك وانضم اليه (قره جنيد) الذي سبق ذكره عفو السلطان عنه وأمدّه بجنود أرسلها اليه أمير الفلاخ سعيماً وراى إيجاد الفتنة في داخل الممالك العثمانية فاغار الامير مصطفى على اقليم تساليا ببلاد اليونان لكنه لم يقو على مقاومة جنود أخيه السلطان محمد فدخل في مدينة سلانيك وكانت عادت الى مملكة الروم بعد موت السلطان بايزيد واحتتمى عند حاكمها المعين من قبل ملك الروم فطلب السلطان تسليمه فأنى ملك الروم ذلك ووعد ان يحفظه ولا يطلق سراحه مادام السلطان على قيد الحياة فقبل السلطان محمد هذا الاقتراح ورتب لآخيه راتباً سنوياً ولقد ذهب بغض المؤرخين الى أن مصطفى هذا لم يكن ابن السلطان بايزيد بل

شخص اتحل لنفسه هذه الصفة طمعاً في الملك الآن المؤرخ العثماني المدعو شيرى وكثيراً من مؤرخي الروم قالوا بصحة نسبه وما يؤيد هذا القول تعيين راتب له من قبل السلطان وبلغ من كرم السلطان وحلمه انه عفا عن قره جنيد نفسه وعده من محازبيه في سنة ١٤١٩ وكانت هذه الفتنة آخر الحروب الداخلية التي خضبت أراضي الدولة العلية بدماء العثمانيين بسبب اغارة تيمورلنك عليها

وبعد ذلك بذل السلطان محمد جلبي قصارى جهده في محو آثار هذه الفتنة بإجراءه الترتيبات الداخلية الضامنة لعدم حدوث شغب في المستقبل وبينما كان السلطان مشغولاً بهذه المهام السامية فاجأه الموت في سنة ٨٢٤ هـ الموافقة سنة ١٤٢١ م في مدينة ادرنه فأسلم الروح وعمره ٤٣ سنة بعد ان أوصى بالملك لابنه مراد الذي كان حينئذ في اماسيا وخوفاً من حصول مالات محمد عقباه لو علم بموت السلطان محمد مع وجود ابنه مراد في بلاد آسيا اتفق وزيرا ابراهيم وبايزيد على اخفاء موته عن الجند حتى يحضر ابنه فاشاعا ان السلطان مريض وأرسلوا لابنه فحضر بعد واحد واربعين يوماً واستلم مقاليد الدولة واشتهر السلطان محمد بحبه للعلوم والفنون وهو أول ملك عثماني أرسل الهدية السنوية الى أمير مكة التي يطلق عليها اسم الصرة حتى الآن وهي عبارة عن قدر معين من النقود يرسل الى الأمير لتوزع عليه على قراء مكة والمدينة لكن لم تكن بالقدر الذي بلغته الآن وقد قال بعض المؤرخين ان السلطان سليمان الاول هو أول من أرسل الصرة في سنة ٩٢٣ هـ الموافقة سنة ١٥١٧ م بعد فتح مصر ولكن اتفق من يوثق بهم من المؤرخين خصوصاً (صولاق زاده) على ان السلطان محمد جلبي هو أول من أرسلها ودفن في مدينة بورصة

٦ « السلطان مراد الثاني الغازي »

ولد السلطان مراد الثاني سنة ٨٠٦ هـ الموافقة سنة ١٤٠٣ م وتولى سنة ٨٢٤ هـ الموافقة سنة ١٤٢١ م بعد موت أبيه وعمره ثمان عشرة سنة وافتتح أعماله بإبرام الصلح مع أمير القرمانيين والاتفاق مع ملك المجر على هدنة خمس سنوات حتى يتفرغ لارجاع ماشق عصا الطاعة من ولايات آسيا لكن حدث ما شغله عن هذا العمل وذلك ان ايمانويل طلب منه أن يتهدله بعدم محاربتة مطلقاً وأن يسلمه اثنين من اخوته تاميناً على نفاذ هذا التعهد وتهدهه باطلاق سراح عمه مصطفى بن بايزيد ولما لم يجبه مراد الثاني لطلبه أخرج مصطفى من منقاه وأعطاه عشرة مراكب حربية تحت امرة (دمتريوس لاسكاريس) فاني مها وحاصر مدينة جاليبولي فسلمت الا القلعة فتركها مصطفى بعد ان أقام حولها من الجند ما يكفي لمنع وصول المدد اليها وسار ببقية جيشه قاصداً أدرنه فخرج الوزير بايزيد باشا لمحاربتة فتقدم مصطفى وخطب في العساكر باطاعته لانه أحق بالملك من ابن أخيه فاطاعته الجيوش وقتلت بايزيد باشا قائدهم فسار مصطفى بعد ذلك لمقابلة ابن أخيه مراد

الثاني الذي كان متحصنا مع من معه من الجنود خلف نهر صغير وهناك خانه بعض قواده وتركه أغلب جنوده حتى التزم الهروب الى مدينة جاليبولي فسلمه بعض أتباعه الى ابن أخيه مراد الثاني قاصر بيشنقه

وبعد ذلك أراد السلطان مراد الانتقام من ملك الروم الذي أطلق سراح عمه مصطفى ليشغله عن فتح القسطنطينية فسار اليه بخيله ورجله وحاصر مدينته ثم هاجمها في يوم ٣ رمضان سنة ٨٢٥ الموافق ٢٤ أغسطس سنة ١٤٢٢ وبعد قتال عنيف رجع العثمانيون بدون أن يتمكنوا من فتحها وبعدها رفع عنها الحصار لعصيان أخيه يقال له مصطفى شق عصاه واستعان على أخيه السلطان مراد ببعض أمراء آسيا الصغرى لكن لم تلبث هذه الفتنة أن أجمدت بالقبض على مصطفى وقتله مع كثير من محازبيه فوق العرب في قلوب من ساعده من الأمراء وتنازل أمير قسطنطين عن نصف أملاكه للسلطان وزوجه ابنته سنة ١٤٢٣ اظهاراً لاختلاصه وولائه وفي السنة التالية عصى قره جنيد واستولى على إمارة آيدين لكن قهره حمزه بك أخو الوزير بايزيد باشا وقبض عليه وأمر بخنقه فتخلصت الدولة بذلك من هذا الخائن الذي خان عهدها أكثر من مرة

وأعاد مراد الثاني الى أملاك الدولة العلية ولايات آيدين وصاروخان ومنتشا وغيرهما من الإمارات التي أعاد تيمورلنك استيلائها اليها وكذلك استرد بلاد القرم بعد أن قتل أميرها محمد بك وعين ابنه ابراهيم واليا عليها مع بعض امتيازات بشرط أن يتنازل عن إقليم الحميد وفي سنة ١٤٢٨ توفي أمير كرميان عن غير عقب وأوصى بما كان باقيا له من بلاده الى السلطان مراد وبذلك استرد السلطان مراد الثاني جميع ما فصله تيمورلنك عن الدولة العثمانية من البلاد وصار في أمكانه التفرغ لاعادة فتح ما استقل من البلاد باوربا بعد موت بايزيد الاول فابتدأ بأن ألزم ملك الحجر بعد محاربة شديدة كانت نتيجةها افتتاح مدينة (كولباز) الواقعة على شاطئ نهر الدانوب الايمن بالتوقيع على معاهدة تقضى عليه بالتخلي عما يكون له من البلاد على شاطئ نهر الدانوب الايمن بحيث يكون هذا النهر فاصلا بين أملاك الدولة العلية والحجر

ولما رأى أمير الصرب المدعو (جورج برنكوفيتش) أنه لا يقوى على مقاومة الدولة قبل أن يدفع جزية سنوية قدرها خمسون ألف دوكا ذهباً ويقدم للسلطان فرقة من جنوده للمساعدة وقت الحرب وأن يزوجه ابنته (مارا) وأن يقطع علاقته مع ملك الحجر وأن يتنازل أيضاً للدولة العلية عن بلدة كروشيفاتس (١) الواقعة في وسط بلاد الصرب لتجعلها حصناً منيعاً تأوي اليه جنودها منعا لحصول الفتن وفي سنة ١٤٣٠ أعاد السلطان فتح مدينة سلافيك التي كان تنازل عنها ملك الروم الى أهالي البندقية بعد أن حاصرها خمسة عشر يوماً

(١) تسمى هذه المدينة في كتب الترك (الاجه حصار) وتبعد ٥٦ كيلو متر عن مدينة نيش بالقرب من ملتقى نهر (موراوا)

وبعد ذلك أراد السلطان مراد أن يفتح ما بقي من بلاد الصرب وبلاد ألبانيا (الارنؤد) والفلاخ قبل أن يعيد الكرة على القسطنطينية حتى لا يكون لها من هذه الولايات نصيب فوجه اهتمامه أولاً إلى بلاد ألبانيا فأطاعه سكان يانيه وسكان أغلب باقي البلاد بدون كثير عناء مشترطين عدم التعرض لهم في دينهم ولا عوائدهم وألزم (جان كستريو) أمير الجزء الشمالى من بلاد ألبانيا أن يسلم له أولاده الأربعة رهينة على صدقه وولائه ثم ضم أملاكه إليه بعد وفاته سنة ١٤٣١

وفي سنة ١٤٣٣ اعترف (فلاد) أمير الفلاخ الملقب (دره قول) أى الشيطان بسيادة الباب العالي عليه تخليصاً من الحرب التى كان لا يشك في وخامة عاقبتها عليه لسن لم يكن هذا الخصبوع إلا ظاهر يافانه ما لبث أن تار هو وأمر الصرب بناء على تحريض ملك المجرهما فغار بهما السلطان وقهرهما ثم سار إلى بلاد المجر وخرب كثيراً من بلدانها وعاد منها في سنة ١٤٣٨ بسبعين ألف أسير على ما يقال

وفي السنة التالية غصبى جورج برنكوفتش أمير الصرب فكانت عاقبة عصيانه ان فتح السلطان مراد مدينة سمندرية (١) بالقرب من مدينة بلغراد (٢) عاصمة بلاد الصرب بعد ان حاصرها ثلاثة أشهر وفر برنكوفتش إلى بلاد المجر عتصياً عند ملكها (آلير) الذى خلف سجنهون ثم حاصر السلطان مدينة بلغراد ناصمة الصرب مدة ستة شهور ولم يتمكن من فتحها لشدة دفاع من بها من الجنود

فتركها وَاغَارَ عَلَى بِلَاد (ترانسلفانيا) (٣) وحاصر مدينة (هرمان ستاد) التابعة لملك المجر وكان حاكم هذا الاقليم هونياد (٤) قائد عموم جيوش المجر فأتى هذا القائد الشهير على جناح السرعة للدفاع عنها وانتصر على العثمانيين وقتل منهم عشرين ألف نفس وقتل قائدهم والزمن من بقي منهم بالرجوع خلف نهر الدانوب ولما بلغ السلطان خبر انهزام جيوشه ارسل اليهم عشرين ألف مقاتل تحت قيادة شهاب الدين باشا فنهزمه ايضاً هو نباد المجرى واخذه

(١) ومناها القديس اندرياس مدينة واقعة على نهر الطونة تبعد ٤٥ كيلو متر عن بلغراد عاصمة المجرى وبلغ عدد سكانها ١٥ ألفاً ولها أهمية عظيمة

(٢) ومناها المدينة البيضاء مدينة حبيبة على نهر الطونة بالقرب من مصب نهر (ساف) وهي عاصمة مملكة الصرب الآن بينها وبين الاستانة طريق حديدى طوله ١٢٠ كيلومتر وأهميتها في التاريخ العثماني عظيمة لتنازعها بين العثمانيين والنمساويين وفي سنة ١٧٣٩ أهضمت فيها مملكة شيركاستري وبلغ عدد سكانها مائة ألف نسمة

(٣) ومناها البلاد الواقعة في اواراء الغابات أطلق عليها أهالي النمسا هذا الاسم لوجود غابات كثيرة تقطعها عنها وهي من أهم اقاليم مملكة النمسا لوفرة المعادن بها ويزيد عدد سكانها عن ثلاثة ملايين ولجاورتها بلاد المجر سارت عرضة لسكل من أراد الاغارة على بلاد المجر وتحت مدة للدولة العثمانية

(٤) ولدهذا القائد في سنة ١٤٠٠ وعينه لادسلاس ملك بولونيا والمجر حاكماً على إقليم ترانسلفانيا واشتمر بمجاربة العثمانيين ومات سنة ١٤٥٦ أخرج أسبائه أثناء دفاعه عن مدينة بلغراد عند حاصرة السلطان محمد القانم لها

أسيراً في موقعة هائلة بالقرب من بلدة يقال لها (وازاچ) سنة ١٤٤٢ وبعده ذلك سار القائد المجرى الى بلاد الصرب وتغلب على السلطان مراد نفسه في مدينة نيش (١) واقتنى أثره الى ماوراء جبال البلقان سنة ١٤٤٣ وظهر عليه في ثلاث وقائع أخرى وأخيراً أبرم السلطان مراد معهم الصلح على أن يتنازل عن سيادته على بلاد الفلاخ ويرد الى أمير الصرب مدائن سمندرية والأجده حصار وأن يهادن المجر مدة عشر سنوات وأمضيت هذه المعاهدة في ٢٦ ربيع الاول سنة ٨٤٨ الموافق ١٢ يوليو سنة ١٤٤٤

تنازل السلطان
عن الملك وعودته
اليه

وعقب ذلك توفي أكبر أولاد السلطان واسمه علاء الدين فخرن عليه والده حزناً شديداً وسُم الحمية فتنازل عن الملك لابنه محمد البالغ من العمر أربع عشرة سنة وسافر هو الى ولاية آيدين للإقامة بعيداً عن هموم الدنيا وغمومها لكنه لم يمكث في خلوته بضع أشهر حتى أتاه خبر غدر المجر وَاغارتهم على بلاد البلغار غير مراعين شروط الهدنة اعتماداً على تقرير الكردينال (سنزاري) مندوب البابا وتهميمه ملك المجران عدم رعاية الذمة والعهود مع المسلمين لاتعدّ حشناً ولا نقضاً ولما ورد عليه خبر هذه الخيانة ونكث العهد قام بحيشه لمحاربة المجر فوجدهم محاصرين لمدينة وارنة الواقعة على البحر الاسود وبعد قليل اشتبك القتال بين الجيشين فقتل ملك المجر المدعو (لادسلاس) وتفرق الجند بعد ذلك ولم تعد شجاعة هونياد شيئاً وفي اليوم التالي هاجم العثمانيون معسكر المجر واحتلوه بعد قتال شديد قتل فيه الكردينال (سنزاري) سبب هذه الحرب وتم للمسلمين هذا الفوز المبين في ٢٨ رجب سنة ٨٤٨ الموافق ١٢ نوفمبر سنة ١٤٤٤

وبعد تمام النصر واستخلاص مدينة وارنه رجع السلطان الى عزلته لكنه لم يلبث فيها هذه المرة أيضاً لان عساكر الانكشارية ازدروا بملكهم الفتى محمد الثاني وعصوه ونهبوا مدينة ادرنه عاصمة الدولة فرجع اليهم السلطان مراد الثاني في أوائل سنة ١٤٤٥ وأحمد فتنتهم وخوفاً من رجوعهم الى أقالق راحة الدولة أراد أن يشغلهم بالحرب فأغار على بلاد اليونان وساعده على ذلك تجزئ ايمانويل ملك الروم بلاده بين أولاده بان أعطى مدينة القسطنطينية وضواحيها الى ابنه حنا وبلاد موره وثيبه وجزاً من تساليا لابنه قسطنطين وهو آخر ملوك الروم ولما علم قسطنطين بعزم السلطان مراد على فتح بلاده حصن برزخ كورنث وبنى فيه قلعة جعلت اجتيازه غير ممكن لكن لم يعق هذا السور المنيع الجيوش العثمانية بل ساءل عليه السلطان مدافعه (ذكر المؤرخون أن هذا أول استعمال للمدافع في جيوش الدولة العلية) حتى أحدث فيها ثلما دخلت منه الجيوش الى مدينة كورنثه ففتحها

(١) ويقال لها نيسا مدينة في جنوب الصرب لا يزيد عدد سكانها عن عشرة الاف نسمة واقعة على الطريق الموصل الى الاستانة وسلاطيك حصلت بها عدة وقائع حربية أهمها انتصار الصربيين على جيوش الدولة سنة ١٨٧٨ أثناء الحرب الروسية الاخيرة

ولم يتم فتح بلاد موره لازدياد عصيان اسكندر بك واثارته القتل في بلاد ألبانيا واكتفى بضرب الجزية على أهلها هذه المرة ولما تهدأ باله من جهة اسكندر بك عاود الكرة عليها واسكندر بك هذا هو أحد أولاد جورج كستريو أمير ألبانيا الشمالية الذين سبق ذكر أخذ السلطان لهم رهينة وضم بلاد أبيهم اليه بعد موته وكان قد أسلم أبو الحري تظاهر بالاسلام لنوال ما يكتنه صدره وظهر الاخلاص للسلطان حتى قر به اليه وفي سنة ١٤٤٣ حينما كان السلطان مشغولا بمحاربة هونياد وملك الصرب ألزم كاتب أول الملك على أن يعضى له أمراً بتوجيه ادارة مدينة (آق حصار) من أعمال بلاد ألبانيا اليه وأخذ هذا الامر بعد ان قتل ممضيه خوفاً من افشاء سره وسار الى هذا البلد ودخله وفي الحال استدعى اليه رؤساء قبائل الارنؤد وأظهر لهم مشروعه وهو استخلاص ألبانيا من يد الأتراك فوافقوه على ماوسوسه لهم وأمدوه بالمال والرجال فسار معهم وطرد العثمانيين من أغلب بلاد أجداده وانتصر على القائد على باشا سنة ١٤٤٣ وساعده على امتداد نفوذه تنازل السلطان مراد واشتغاله بمحاربة المجر لكن لما تم النصر للسلطان في واقعة وارنه واستتب الأمن في بلاد اليونان أمسكته جمع جيش جرار لقمع هذا الخائن فقصده بمائة ألف مقاتل واسترد منه مدينتين من أهم مدن ألبانيا سنة ١٤٤٧ ثم تركه حين بلغه خبر اغارة هونياد المجرى على بلاد الصرب ليعيد لنفسه ما فقد من الشرف في واقعة وارنه وكان معه في هذه الدفعة أربعة وعشرون ألف رجل منهم عشرة آلاف من الفلاح فاصطدم الجيش العثماني بقيادة السلطان نفسه مع جيش هونياد في وادي (قوص أوه) فانتصر عليه السلطان نصراً مبيناً في ١٨ شعبان سنة ٨٥٢ الموافق ١٧ أكتوبر سنة ١٤٤٨ كما انتصر السلطان مراد الاول على لازار ملك الصرب سنة ١٣٨٩ في هذا الموقع ثم عاد السلطان مراد الثاني لمحاربة اسكندر بك بألبانيا وحاصر مدينة (آق حصار) مدة ولم يجد سبيلاً الى فتحها لضعف جيوشه بسبب هذه الحروب المتواصلة اراد ان يتفق مع اسكندر بك على الصلح بان يقلده السلطان اماره بلاد ألبانيا في مقابلة جزية سنوية ولما لم يقبل اسكندر بك هذا الاقتراح رفع السلطان الحصار عن المدينة وعاد الى ادرنه عاصمة مملكته ليجهز جيوشاً جديدة كافية لقمع هذا الثائر لكنه توفي في يوم ٥ محرم سنة ٨٥٥ الموافق (٩ فبراير سنة ١٤٥١) وتولى بعده ابنه السلطان ابو الفتح محمد الثاني ونقلته جثته الى مدينة بورصة وسنة ٤٩ سنة ومدة حكمه ٣٠ سنة

٧ « السلطان الغازي محمد الثاني الفاتح وفتح القسطنطينية »

ولد هذا السلطان في ٢٦ رجب سنة ٨٣٣ الموافق ٢٠ ابريل سنة ١٤٢٩ وهو سابع سلاطين هذه السلالة المملوكية ولما تولى الملك بعد ابيه لم يكن بأسيا الصغرى خارجاً عن سلطانه

الاجزاء من بلاد القرم ومدينة سينوب (١) ومملكة طرابزون الرومية (٢) وصارت
مملكة الروم الشرقية قاصرة على مدينة القسطنطينية وضواحيها وكان إقليم (موره) مجزأ
بين البنادقة وعدة امارات صغيرة يحكمها بعض اعيان الروم أو الافرنج الذين تخلفوا عن
اخوانهم بعد انتهاء الحروب الصليبية وبلاد الارنؤد وابيروس في حى اسكندر بك
السالف الذكر وبلاد البشناق (البوسنة) مستقلة والضرب تابعة للدولة العلية تابعة
سيادية وما بقى من بحيث جزيرة البلقان داخلا تحت سلطة الدولة العلية
وبعد ان أمر بنقل جثة والده الى مدينة بورصة لدفنها بها أمر بقتل أخ له رضيع اسمه أحمد
وبارجاع الاميرة مارا الصربية الى والدها ثم أخذ يستعد لتنضم فتح مابق من بلاد البلقان
ومدينة القسطنطينية حتى تكون جميع أملاكه متصلة لا يتخللها عدو مهاجم أو صديق
منافق لكنه قبل التعرض لفتح القسطنطينية أراد أن يحصن بوزار البوسفور حتى لا ياتي
لها مدد من مملكة طرابزون وذلك بان يقيم قلعة على شاطئ البوزار من جهة أوررو باتكون
مقابلة للحصن الذى أنشاه السلطان بايزيد يلدرم ببراسيا ولما بلغ ملك الروم هذا الخبر
أرسل الى السلطان سفيراً يعرض عليه دفع الجزية التى يقررها فرض طلبه وسعى في إيجاد
سبب لفتح باب الحرب ولم يلبث ان وجد هذا السبب بتعدى الجنود العثمانية على
بعض قرى الروم ودفاع هؤلاء عن أنفسهم وقتل البعض من الفريقيين
فحاصر السلطان المدينة في أوائل ابريل سنة ١٤٥٣ من جهة البر بحيش يبلغ المائتين
وخمسين الف جندي ومن جهة البحر بعمارة مؤلفة من مائة وعشرين سفينة وأقام حول
المدينة أربع عشرة بطارية طويلة وضخ بها مدافع جسيمة صنعها صانع بحرى شهير اسمه
(أوربان) كانت تقذف كرات من الحجر زنة كل واحدة منها اثنا عشر قنطاراً الى مسافة ميل
وفي اثناء الحصار اكتشف قبران ايووب الاصلارى الذى استشهد حين حصار القسطنطينية
في سنة ٥٢هـ في خلافة معاوية بن ابي سفيان الاموى وبعد الفتح بنى له مسجد جامع وجرت
العادة بعد ذلك ان كل سلطان يتولى بتقليد سيف عثمان الغازى الاول بهذا المسجد
وهذا الاحتفال يعد بمثابة التتويج عند ملوك الافرنج ولم تزل هذه العادة متبعة حتى الآن

- (١) مدينة حصينة في شمال الاناطول على البحر الاسود بها ميناء متسعة اتخذتها الدولة العلية ملجأ لسفنها
الحربية وشهرة بما ارتكبتها الروسا فيها من تدمير الدونانمة العثمانية سنة ١٨٥٣ قبل اعلان الحرب
المعروفة بحرب القرم
- (٢) مدينة قديمة باسيا على البحر الاسود تبعد ١٤٠ كيلومترا عن مدينة أوزروم ويظن أنها معاصرة
لمدينة ترواده الشهيرة واسمها مشتق من لفظة (ترايزوس) اللاتينية ومعناها الشكل المعين ولما انقسمت
المملكة الرومانية الى شرقية وغربية ظلت تابعة للمملكة الشرقية الى سنة ١٢٠٤م حيث فتحها الافرنج
الذين أتوا أثناء حرب الصليب ثم سكنها أحد أعضاء عائلة (الكومين) وأسست بها مملكة طرابزون
التي استمرت مستقلة ولوانها تابعة اسما الى مملكة الروم بالقسطنطينية الى أن فتحها العثمانيون سنة ١٤٦١
وقتلوا آخر ملوكها المدعو (داود) وستة من أولاده وكان له ولد سابع في إقليم موزه ببلاد اليونان ثم
هاجر الى جزيرة (كورسيكا) وآخر ذرية هذه العائلة (الدوشيس دي ابراتيس) التي توفيت سنة ١٨٣٨

ولما شاهد قسطنطين آخر ملوك الروم هذه الاستعدادات استنجد بأوروبا فطلبه أهالي جنوه (١) وأرسلوا له عمارة بحرية تحت امره جوستينيانى فأنى بمراكبه وأراد الدخول الى ميناء القسطنطينية فعارضته السفن العثمانية وانتشر بينهما حرب هائلة فى يوم ١١ ربيع الثانى سنة ٨٥٧ الموافق ٢١ ابريل سنة ١٤٥٣ انتهت بفوز جوستينيانى ودخوله الميناء بعد ان رفع المحصورون السلاسل الحديدية التى وضعت لمنع المراكب العثمانية من الوصول اليها ثم أعيدت بعد مروره كما كانت وبعدها أخذ السلطان يفسر فى طريقة لدخول مراكبه الى الميناء لتمام الحصار براً وبحراً فخطر بباله فكر غريب فى بابه وهو أن ينقل المراكب على البرليجتازوا السلاسل الموضوعة لمنعه وتم هذا الامر المستغرب بان مهد طريقاً على البر اختلف فى طوله والمرجح انه فرسخان أى ستة أميال ورسمت فوقه ألواح من الخشب صبت عليها كمية من الزيت والدهن لسهولة زلق المراكب عليها وبهذه الكيفية أمكن نقل نحو السبعين سفينة فى ليلة واحدة حتى اذا أصبح النهار ونظرها المحصورون أيقنوا أن لا مناص من نصر العثمانيين عليهم لكن لم تخمد عزائمهم بل ازدادوا اقداً واصراراً على الدفاع عن أوطانهم حتى الممات وفى يوم ١٥ جماد أول سنة ٨٥٧ الموافق ٢٤ مايو سنة ١٤٥٣ أرسل السلطان محمد الى قسطنطين يخبره أنه لو سلم البلد اليه طوعاً يتمهله بعدم مس حرية الاهالى أو أملاكهم وأن يعطيه جزيرة موره فلم يقبل قسطنطين ذلك بل أثار الموت على تسليم المدينة فعند ذلك نبه السلطان على جيوشه بالاستعداد للهجوم فى يوم ٢٠ جماد أول سنة ٨٥٧ الموافق ٢٩ مايس سنة ١٤٥٣ ووعد الجيوش بمكافأتهم عند تمام النصر وباقطاعهم أراضى كثيرة وفى الليلة السابقة لليوم المحدد أشعلت الجنود العثمانية الانوار أمام خيامها للاحتفال بالنصر المحقق لديهم وظلوا طول ليالهم يهللون ويكبرون حتى اذا لاح الفجر صدرت اليهم الاوامر بالهجوم فهاهم مائة وخمسون ألف جندى وتساقوا الاشوار حتى دخلوا المدينة من كل فج وأعملوا السيف فيمن عارضهم ودخلوا كنيسة القديسة صوفيا

(١) جنوه مدينة قديمة جداً يقال انها انشئت سنة ٧٠٧ قبل الميلاد واستولى عليها الرومانيون سنة ٢٢٢ قبل الميلاد وظلت تابعة لهم حين سقطت الدولة الرومانية ثم تناوبها أيدي قبائل المتبررين المختلفة وأخيراً فتحها شارلمان الفرنساوى المتوفى سنة ٨١٤ م واستقلت فى القرن العاشر واتخذت التجارة مهنة وناست جمهوري بيته المسماة الان (ييز) والبندقية المسماة الان (فنسيا) وفى القرن الثالث عشر حازت بيته وشبه وتطلبت عليها ولاشت تجارتها وأخذت منها جزيرة (كورسيكا) ثم أعطاها ملوك الروم بالاستانة قريتي بيره وغلطه فى ضواحي بيزنطة (القسطنطينية) ومدينة (كافا) ببلاد القرم ومدينة ازميز وغبرها ومن ثم وقعت المنافسة بينها وبين البنادقة بسبب السيادة على البحار وحارتها وانتصرت عليها مراراً وبقيت سيدة البحار الشرقية الى أواخر القرن الرابع عشر ثم أخذت فى التفتقر شيئاً فشيئاً بسبب عدم انتظام أمورها الداخلية وتفرق كلمة أهلها ففقدت استقلالها وصارت تدخل تارة فى حي اسبانيا وأخرى فى حي فرانسوا وطورا ترجع الى استقلالها الى أن احتلها فرنساويون سنة ١٧٩٦ وشكواها هيئة جمهورية فى السنة التالية وبعد سقوط امبراطورية نابليون الاول فى سنة ١٨١٥ ضمت الى لومباردية وهى الآن تابعة لمملكة ايطاليا

حيث كان يصلى فيها البطريق وحوله عدد عظيم من الاهالى ويعتقد الروم حتى الآن أن حائط الكنيسة الشق ودخل فيه البطرق والصور المقدسة وفي اعتقادهم أن الحائط تنشق ثانية يوم يخرج الازراك من القسطنطينية ويخرج البطرق منها ويتم صلاته التي قطعها عند دخول العثمانيين عليه عند الفتح وقد أرخ بعضهم هذا الفتح المبين (بلدة طيبة) سنة ٨٥٧ وسميت المدينة اسلامبول أى نحت الاسلام أو مدينة الاسلام أما قسطنطين فقاتل حتى مات في الدفاع عن وطنه وبعد فتحها جعلت عاصمة للدولة ولن تزال كذلك ان شاء الله ولنذكر هنا أن المسلمين حاصروا القسطنطينية احدى عشرة مرة قبل هذه المرة الاخيرة منها سبعة في القرنين الاولين للاسلام لحاصرها معاوية في خلافة سيدنا على سنة ٣٤ هـ (٦٥٤ م) وحاصرها يزيد بن معاوية سنة ٤٧ هـ (٦٦٧ م) في خلافة سيدنا على أيضاً وحاصرها شفيان بن اوس في خلافة معاوية سنة ٥٢ هـ (٦٧٢ م) وفي سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) حاصرها مسلمة في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز الاموى وحوصرت أيضاً في خلافة هشام سنة ١٢١ هـ (٧٣٨ م) وفي المرة السابعة حاصرها أحد قواد الخليفة هرون الرشيد سنة ١٨٢ هـ (٧٩٨ م)

هذا ثم دخل السلطان المدينة عند الظهر فوجد الجنود مشتتة بالسلب والنهب وغيره فأصدر أوامره بمنع كل اعتداء فساد الأمن حالاً ثم زار كنيسة أباصوفيا وأمر بان يؤذن فيها بالصلاة اعلاناً بجعلها مسجداً جامعاً للمسلمين وبعد تمام الفتح على هذه العجوبة أعلن في كافة الجهات بأنه لا يعارض في إقامة شعائر ديانة المسيحيين بل انه يضمهم لهم حرية دينهم وحفظ أملاكهم فرجع من هاجر من المسيحيين وأعطاهم نصف الكنائس وجعل النصف الآخر جوامع للمسلمين ثم جمع أئمة دينهم لينتخبوا بطريقاً لهم فاختروا جورج سكولاريوس واعتمد السلطان هذا الانتخاب وجعله رئيساً لطائفة الاروام واحتفل بتثيته بنفس الالهة والنظام الذي كان يعمل للبطارقة في أيام ملوك الروم المسيحيين وأعطاه حرساً من عساكر الإنكشارية ومنحه حق الحكم في القضايا المدنية والجنايئة بكافة أنواعها المختصة بالاروام وعين معه في ذلك مجلساً مشبكاً من أكبر موطنى الكنيسة وأعطى هذا الحق في الولايات للبطارقة والقسوس وفي مقابلة هذه المنح فرض عليهم دفع الخراج مستثنياً من ذلك أئمة الدين فقط

وبعد تمام هذه الترتيبات واعادة ما هدم من أسوار المدينة وتحصينها سافر بجيوشه لفتح بلاد جديدة فقصده بلاد مورة لكن لم ينتظر اميرها دميتريوس وتوماس اخوا قسطنطين قدومه بل ارسلوا اليه بخبرانه يقبلوهما دفع جزية سنوية قدرها اثنا عشر ألف دوكا فقبل ذلك السلطان وغير وجهته قاصداً بلاد الصرب فاتى هونيد الشجاع المجرى ورد عنهم مقدمة الجيوش العثمانية لكن لم يرغب الصرب في مساعدة المجر لهم لاختلاف مذهبهم حيث كان المجر كاثوليكين تابعين لبابا رومة والصرب ارتوذ كسيين لا يدعون

لسلطة البابا بل كانوا يفضلون تسلط المسلمين عليهم لما رأوه من عدم تعرضهم للدين مطلقاً ولذلك أبرم أمير الصرب الصلح مع السلطان محمد الثاني على أن يدفع له سنوياً ثمانين ألف دوكا وذلك في سنة ١٤٥٤ وفي السنة التالية أعاد السلطان عليها الكرة بجيش مؤلف من خمسين ألف مقاتل وثلاثمائة مدفع ومر بجيوشه من جنوب بلاد الصرب الى شمالها بدون أن يلقى أقل معارضة حتى وصل مدينة بلغراد الواقعة على نهر الدانوب وحاصرها من جهة البر والبحر وكان هونيد المجري دخل المدينة قبل تمام الحصار عليها ودافع عنها دفاعاً لا يطاق حتى يأس السلطان من فتحها ورفع عنها الحصار سنة ١٤٥٥ لكن وان لم يتمكن العثمانيون من فتح عاصمة الصرب الا انهم ربحوا أمراً عظيماً وهو اصابة هونيد بجراح بليغة مات بسببها بعد رفع الحصار عن المدينة بنحو عشرين يوماً وأراح المسلمين منه ولما علم السلطان بموته أرسل الصدر الأعظم محمود باشا لتمام فتح بلاد الصرب فتم فتحها من سنة ١٤٥٨ الى سنة ١٤٦٠ وبذلك فقدت الصرب استقلالها نهائياً بعد ان أعيت الدولة العلية أكثر من مرة

وفي هذه الاثناء تم فتح بلاد مور في سنة ١٤٥٨ فتح السلطان مدينة كورنث وما جاورها من بلاد اليونان حتى جرد توماس باليولوج أخا قسطنطين من جميع بلاده ولم يترك اقليم مور لآخيه دميتريوس الا بشرط دفع الجزية

وبمجرد ما رجع السلطان بجيوشه نار توماس وحارب الاتراك وأخاه معا فاستنجد دميتريوس بالسلطان فرجع بجيش عرمرم ولم يرجع حتى تم فتح اقليم مور سنة ١٤٦٠ وهرب توماس الى ايطاليا ونفى دميتريوس في إحدى جزائر الارخبيل

وفي ذلك الوقت فتحت جزائر تاسوس والبروس وغيرها من جزائر بحر الروم وبعد عودة السلطان من بلاد اليونان أبرم صلحاً مؤقتاً مع اسكندر بك وترك له اقليمى ألبانيا واپيروس ثم حوّل أنظاره الى آسيا الصغرى ليفتح ما بقي منها فاسار بجيشه بدون أن يعلم أحد ابوجهته في أوائل سنة ١٤٦١ وهاجم أولاً ميناء أماستريس وكانت مركز تجارة أهالي جينوة النازلين بهذه الاضلاع ولبكون سكانها تجاراً يحافظون على أموالهم ولا يهمهم دين أو جنسية متبوعهم مادام غير متعرض لأموالهم ولا أرواحهم فتحوا أبواب المدينة ودخلها العثمانيون بغير حرب ثم أرسل الى اسفنديار أمير مدينة سينوب يطلب منه تسليم بلاده والخضوع له ولاجل تعزيز هذا الطلب أرسل أحد قواده ومعه عدد عظيم من المراكب لحصر الميناء فسلمها اليه الأمير وأقطعته الملك اراضي واسعة باقليم يثينيا مكافأة له على خضوعه ثم قصد بنفسه مدينة طرابزون ودخلها بدون مقاومة شديدة وقبض على الملك وأولاده وزوجته وأرسلهم الى القسطنطينية

ولما عاد اليها جهز جيشاً لمحاربة أمير القلاخ المدعو فلاددره قول اي الشيطان لمعاقبته على ما ارتكبه من الفظائع مع أهالي بلاده والتعدى على تجار العثمانيين النازلين بها فلما قرب

منها أرسل اليه هذا الأمير وفداً يعرض على السلطان دفع جزية سنوية قدرها عشرة آلاف دوكا بشرط أن يصادق على جميع الشروط الواردة بالمعاهدة التي أبرمت في سنة ١٣٩٣ بين أمير الفلاخ اذذاك والسلطان بيزيد فقبل السلطان محمد الثاني هذا الاقتراح وعاد بجيوشه وتم يقصد أمير الفلاخ بهذه المعاهدة إلا تمكن من الاتحاد مع ملك المجر ومحاربة العثمانيين فلما علم السلطان باتحادهما أرسل اليه مندوبين يسألانه عن الحقيقة فقبض عليهما وقتلهما بوضعهما على عمود محدد من الخشب (خازوق) وأغار بعدها على بلاد بلغاريا التابعة للدولة العلية وعثى فيها الفساد ورجع بخمس وعشرين ألف أسير فارسل اليه السلطان يدعوه الى الطاعة وإخلاء سبيل الأسرى فلما مثل الرسل أمامه أمرهم برفع عمائمهم لتعظيمه وعند ابائهم طلبه لخالفته لعوائدهم أمر هذا الظالم بأن تسمر عمائمهم على رؤسهم بمسامير من حديد

فلما وصلت هذه الاخبار الى السلطان محمد استشاط غضباً وسار على الفور بمائة وخمسين ألف مقاتل لمحاربة هذا الشقي الظلوم فوصل في أقرب وقت الى مدينة بخارست (١) عاصمة الأمير بعدان هزمه وفرق جيوشه لسكرته لم يتمكن من القبض عليه لحجازه على ما اقترفه من المظالم والمآثم لهروبه والتجائه الى ملك المجر فنادى السلطان بعزله ونصب مكانه أخاه راوول لثقتبه بما أنه تربى في حضرة السلطان منذ نعومة أظفاره وبذاضمت بلاد الفلاخ الى الدولة العلية ويقال ان عند وصول السلطان محمد الى ضواحي بخارست وجد حول المدينة جثث الأسرى الذين آوى بهم أمير الفلاخ من بلاد بلغاريا وقتلهم عن آخرهم بما فيهم الاطفال والنساء وكان عددهم جميعا عشرين ألفا

وفي سنة ١٤٦٢ غارب السلطان بلاد بوسنة لامتناع أميرها عن دفع الخراج وأسره بعد محاربة عنيفة هو وولده وأمر بقتلها فنادت له جميع بلاد البشناق (أهالي بوسنة) وفي سنة ١٤٦٤ أراد متياس كرفن (٢) ملك المجر استخلاص بوسنة من العثمانيين فهزم بعد ان قتل معظم جيشه وكانت عاقبة تدخله ان جعلت بوسنة ولاية كباقي ولايات الدولة وسلبت ما كان منح لها من الامتيازات ودخل في جيش الانكشارية ثلاثون الفامن شبانها وأسلم أغلب اشرف اهلها

هنا و كانت ابتدأت حركات العتدوان في سنة ١٤٦٣ بين العثمانيين

- (١) وتسمى في الكتب التركية (بكرش) بلدة جميلة جداً قديمة العهد ولم تشتهر الا بعد المعاهدة التي أبرمت فيها بين الدولة العلية والروسية سنة ١٨١٢ وهي الآن عاصمة مملكة رومانيا المكونة من أمارتي الافلاق والبندان
- (٢) هو ابن هونيد المجرى ولد سنة ١٤٤٣ وانتخب ملكا على بلاد المجر سنة ١٤٥٨ وسنة خمس عشرة سنة واشتهر بمحاربة كافة حيرانه دفاعاً عن استقلال المجر وأسس مدرسة جامعة بمدينة (بود) ومكتبة عمومية وبني فيها مرصداً فلكياً وتوفي سنة ١٤٩٠

والبنادقة (١) بسبب هروب أحد الرقيق الى كورون التابعة لهم وامتناعهم عن تسليمه بحجة انه اعتنق الدين المسيحي فانخذ العثمانيون ذلك سبباً للاستيلاء على مدينة ارجوس وغيرها فاستنجد البنادقة بحكومتهم وهي أرسلت اليهم عمارة بحرية أنزلت ما بها من الجيوش الى بلاد موره فثار سكانها وقتلوا الجنود العثمانية الحافظة على بلادهم وأقاموا ما كان تهدم من سور برزخ كورنته لمنع وصول المدد من الدولة العلية وحاصروا مدينة كورنته نفسها واستخلصوا مدينة ارجوس من الانراك لكن لما علموا بقدم السلطان مع جيش يبلغ عدده ثمانين ألف مقاتل تركوا البرزخ راجعين على أعقابهم فدخل العثمانيون بلاد موره بدون كبير معارضة واسترجعوا كل ما أخذوه وأرجعوا السكينة الى البلاد وفي السنة التالية أعاد البنادقة السكرة على بلاد موره بدون فائدة

وبعد ذلك أخذ البابا بيوس الثاني يسعى في تحريض الامم المسيحية على محاربة المسلمين حرباً دينية لكن عاجله المنون قبل أمام مشروعه الا أن تحريره اضانه هاجت اسكندر بك الابابى فغارب الجنود العثمانية وحصل بينهما عدة وقائع اهرق فيها كثير من الدماء وكانت الحرب فيها سجالات وفي سنة ١٤٦٧ توفي اسكندر بك بعد ان حارب الدولة العلية خمساً وعشرين سنة بدون ان تقوى على قعه فكان من أشد خصوم الدولة والد اعدائها ثم بعد هذنة استمرت سنة واحدة عادت الحروب بين العثمانيين والبنادقة وكانت نتيجة ان افتتح العثمانيون جزيرة نجر بونت وتسمى في كتب الترك اجر بيوش مركز مستعمرات البنادقة في جزائر الروم وتم فتحها في سنة ١٤٧٠ وبعد ان ساد الامن في انحاء اوربا حول السلطان انظاره الى بلاد القرمات بالسيا الصغرى ووجد سبباً لاسملا للتدخل وهو ان اميرها المدعو ابراهيم اوصى بعدم موته بالحكم الى احد اولاده واسمه الامير اسحق ولكون امه ام ولد نازعه الحكم اخوته من ابويه الذين من الزوجات فتدخل السلطان محمد الثاني وحارب اسحق وهزمه وولى محله اكبر اخوته وعاد الى اوربا لمحاربه اسكندر بك كما مر فالتزم الامير اسحق غيابه وعاد السكرة على قونية لاسترداد ما اوصى به اليه ابوه من

(١) هم سكان مدينة البندقية الواقعة على البحر الادرياتيكي وهي أهم الثغور التجارية فلها فازت في مسابقة جمهورية فينيس ولم تقو على مجاراة حينو الا لما استولى عليها الاختلال وصارت سيدة البحار الى ان اكتشف طريق رأس الرجا الصالح بطرف افريقا الجنوبي الموصل الى الهند واكتشفت قارة امريكا فتحولت التجارة الى هذا الطريق الجديد وضعفت البندقية واشتهرت هذه الجمهورية بمحاربة العثمانيين الذين جردوها من جميع أملاكها شيئاً فشيئاً فأخذ منها السلطان محمد الفاتح جزائر اليونان وما كان لها بلاد موره وفي سنة ١٥٧١ استولى السلطان سليم الثاني على جزيرة قبرص وفي سنة ١٦٦٩ فتح السلطان محمد الرابع جزيرة كريد وكاتنا تابعتين لها وفي سنة ١٧٩٧ احتلها الفرنسيون ثم ضمت الى النمسا وفي سنة ١٨٠٥ ضمت الى ايطاليا وفي سنة ١٨١٥ عادت الى النمسا وفي سنة ١٨٤٨ نارت عليها وتشكلت بهيئة جمهورية وفي السنة التالية أخضعتها النمسا ثانية لسلطانها وفي سنة ١٨٥٩ تنازلت عنها النمسا الى نابليون الثالث امبراطور فرنسا وهو تنازل عنها الى فيكتور امانو يل ملك بيمونتي الذي صار فيما بعد ملك ايطاليا ولم تزل تابعة لاطاليا حتى الان وقد زرتها في شهر يونيو سنة ١٨٩٥ أثناء سياحي الاولى بأوروبا

البلاد فرجع اليه السلطان وقهره وليستريح باله من هذه الجهة أيضاً ضم إمارة القرم الى بلاده وغضب على وزيره محمود باشا الذي عارضه في هذا الامر وبعد ذلك بقليل زحف (اوزون حسن) أحد خلفاء تيمورلنك الذي كان سلطانه ممتداً على كافة البلاد والاقالم الواقعة بين نهري آموداريا والفرات وفتح مدينة توقات عنوة ونهب أهلها فآخذ السلطان في تجهيز جيش جرار وأرسل لولاده داود باشا بكر بك الاناطول ومصطفى باشا حاكم القرم يأمرهما بالمسير لمحاربة العدو فصارا بجيوشهما اليه وقابلا جيش اوزون حسن على حدود اقليم الحميد وهزماه شرّ هزيمة (١٤٧١)

وبعدها بقليل سار اليه السلطان بنفسه ومعه مائة ألف جندي وأجهز على ما بقي معه من الجنود بالقرب من مدينة اذربيجان التي لا تبعد كثيراً عن نهر الفرات ولم يعد اوزون حسن لمحاربة الدولة بعد ذلك وفي هذه الاثناء كانت الحرب متقطعة بين العثمانيين والبنادقة الذين استعانوا ببابا رومه وأمير نابولي ومع كل فكان النصر دائماً للعثمانيين ولم يتمكن البنادقة من استرجاع شيء مما أخذ منهم وفي سنة ١٤٧٥ أراد السلطان فتح بلاد البغدان فأرسل اليها جيشاً بعد ان عرض دفع الجزية على أميرها المسمى اسطفن الرابع ولم يقبل

وبعد محاربة عنيفة قتل فيها كثير من الجيشين المتحاربين عادت الجيوش العثمانية بدون فتح شيء من هذا الاقليم ولما بلغ خبر هذا الانهزام آذان السلطان عزم على فتح بلاد القرم حتى يستعين بفرسانها المشهورين في القتال على محاربة البغدان وكان لجمهورية جنوا مستعمرة في بحيث جزيرة القرم في مدينة كافا فأرسل السلطان اليها عمارة بحرية ففتحتها بعد حصار ستة أيام وبعدها سقطت جميع الاماكن التابعة لجمهورية جنوا وذلك صارت جميع شواطئ القرم تابعة للدولة العثمانية ولم يقاومها التتار النازلون بها ولذلك اكتمل السلطان بضرب الجزية عليها

وبعد ذلك فتحت العمارة العثمانية ميناء آق كرمان ومنها أقلمت السفن الحربية الى مصاب نهر الدانوب لاعادة الكرة على بلاد البغدان بينما كان السلطان يجتاز نهر الدانوب من جهة البر بجيش عظيم فتقدم أمامه جيش البغدان لعدم امكانه المحاربة في السهول وتبعه الجيش العثماني حتى اذا أوغل خلقه في غابة كثيفة يجهل مفاوزها انتقض عليه الجيش البغدادي وهزمه (١٤٧٦) وبذلك اشتهر اسطفن الرابع أمير البغدان بمقاومة العثمانيين كما اشتهر هونيد الجري واسكندر بك الالباني من قبل وسماه البابا بشجاع النصرانية وحامي الديانة المسيحية

وفي سنة ١٤٧٧ أغار السلطان على بلاد البنادقة ووصل الى اقليم القريول بعد ان مر باقليمي كرواسيا ودماسيا (وها تابعان الآن لمملكة النمسا والمجر) تخاف البنادقة على مدينتهم الاصلية وأبرموا الصلح معه تاركين له مدينة كرويا التي كانت عاصمة اسكندر

بك الشهير فاحتلها السلطان ثم طلب منهم مدينة اشقودره (١) ولما رفضوا التنازل عنها اليه حاصرها وأطلق عليها مدافعه ستة أسابيع متوالية بدون أن يضعف قوة سكانها وشجعائهم فتركها لفرصة أخرى وفتح ما كان حولها للبنادقة من البلاد والقلاع حتى صارت مدينة اشقودره منفصلة بالكلية عن باقي بلاد البنادقة وكان لابد من فتحها بعد قليل لعدم امكان وصول المدد اليها ولذا فضل البنادقة أن يرموا صلحاً جديداً مع السلطان ويتنازلوا عن اشقودره في مقابلة بعض امتيازات تجارية وتم الصلح بين الفريقين على ذلك وأمضيت به بينهما معاهدة في يوم ٥ ذى القعدة سنة ٨٨٣ الموافق ٢٦ يناير سنة ١٤٧٩ وكانت هذه أول خطوة خطتها الدولة العلية العثمانية للتدخل في شؤون أوروبا اذ كانت جمهورية البنادقة حين ذاك أهم دول أوروبا لاسيما في التجارة البحرية وما كان يعادها في ذلك الاجمهورية جنوا

فتح جزائر
اليونان ومدينة
أوترانت

وبعد أن تم الصلح مع البنادقة وجهت الجيوش الى بلاد البحر لفتح اقليم ترسلفا ففتحها كينيس كونت مدينة تمسوار (٢) بالقرب من مدينة كرلسبرج في ١٣ أكتوبر سنة ١٤٧٦ وقتل في هذه الموقعة كثير من العثمانيين واركب البحر فطائع وحشية بعد الانتصار فقتلوا جميع الاسرى ونصبوا مؤاندهم على جثثهم وفي سنة ١٤٨٠ ففتح جزائر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان و ايطاليا وبعدها سار القائد البحري كدك احمد باشا بمراكبه لفتح مدينة أوترانت (٣) بايطاليا التي كان عزم السلطان على فتحها جميعها وقال انه أقسم بان يربط حصانه في كنيسة القديس بطرس بمدينة رومه مقر البابا ففتح مدينة أوترانت عنوة في يوم ٤ جمادى الثانية سنة ٨٨٥ الموافق ١١ أغسطس سنة ١٤٨٠

حصار مدينة
رودس

وفي هذا الحين كانت أرسلت عمارة بحرية أخرى لفتح جزيرة رودس (٤) التي كانت مركز زهرة القديس حنا الاورشليمي وكان رئيسها اذ ذلك بييردو بوسبون الفرنسي الاصل وكانت الحرب قائمة بينه وبين سلطان مصر وبابى تونس فاجتهد في ابرام الصلح

- (١) مدينة قديمة يقال ان مؤسسها اسكندر المقدوني تبت بلاد ألبانيا (الارنود) في قلباتها السياسية فملكها العرب ثم استقلت مدة ثم امتلكها البنادقة مدة ثم العثمانيون ولم تزل تابعة لهم حتى الان ويبلغ عدد سكانها خمسة وعشرين ألفا وهي عاصمة ولاية اشقودره
- (٢) مدينة ببلاد البحر شهيرة بحصانتها وقوتها امتلكها العثمانيون من سنة ١٥٥٢ الى سنة ١٧١٦ وفي سنة ١٦٦٢ أبرمت بها معاهدة بين العثمانيين وأمبراطور النمسا سيأتي ذكرها
- (٣) مدينة قديمة بمحروب بلاد ايطاليا شهيرة باستخراج زيت الزيتون وسكانها قليلون وامتلكها العرب مدة
- (٤) جزيرة بالقرب من شاطئ آسيا الصغرى طيبة الهواء حسنة التربة كثيرة الفواكه والازهار يشق اسمها من لفظة (رودون) اليونانية ومعناها الورد ولحسن مناخها واعتدال طقسها ينتقل اليها كثير من أمراء الاساتنة ومصر للتنعم بمعتدل هوائها خصوصا في فصل الصيف فتحها السلطان سليمان الاول الغازي سنة ١٥٢٢ ولم تزل تابعة للدولة العلية وكان بها تمثال عظيم الجثة يقال ان ارتفاعه كان يبلغ ثلاثة وثلاثين مترا هدمته الزلازل في القرن الثالث قبل المسيح

معهما ليتفرغ لصد هجمات الجيوش العثمانية وكانت هذه الجزيرة محصنة تحصيناً مئيداً
وابتداً العثمانيون في حصارها في يوم ١٣ ربيع الاول سنة ٨٨٥ الموافق ٢٣ مايو سنة
١٤٨٠ وظلت المدافع تقذف عليها القنابل الحجرية تهدم أسوارها لكن كان يصلح
سكانها في الليل كل ما تخربه المدافع بالنهار ولذلك استمر حصارها ثلاثة أشهر حاول
العثمانيون في خلالها الاستيلاء على أهم قلاعها واسمها قلعة القديس نيقولا بدون نتيجة
وفي يوم ٢٠ جمادى الاولى سنة ٨٨٥ الموافق ٢٨ يوليو سنة ١٤٨٠ أمر القائد العام
بالمهجوم على العاعة ودخولها من الفتحة التي فتحتها المدافع في أسوارها فجمعت عليها
الجيوش وقاموا بالاعداء بكل بسالة واقدام وبعد أخذ ورد تمهق العثمانيون بعد أن قتل
وجرح منهم كثيرون ورفع الباقون عنها الحصار

وفي يوم ٤ ربيع الاول سنة ٨٨٦ هـ الموافق ٣ مايو سنة ١٤٨١ م توفي أبو الفتح
السلطان محمد الثاني الغازي عن ثلاث وخمسين سنة ومدة حكمه ٣١ سنة تم في خلالها
مقاصد أجداده ففتح القسطنطينية وزاد عليها فتح مملكة طرابزون الرومية والصرب
والبوشناق وألبانيا (الارنؤود) وجميع أقاليم آسيا الصغرى ولم يبق في بلاد البلقان الا
مدينة بلغراد التابعة لبعض جزائر تابعة للبنادقة ودفن في المدفن المخصوص الذي
أنشأه في أحد الجوامع التي أسسها في الاستانة

ترتيبته الداخلية

وكانت مهارة هذا السلطان في الاعمال المدنية تعادل خبرته في الاعمال الحربية فاليه
ينسب ترتيب الحكومة على نظمات جديدة فسمى نفس الحكومة العثمانية بالباب العالي
وجعل لها أربعة أركان وهي الوزير وقاضي عسكر والدفتدار (وتعادل اختصاصاته
اختصاصات ناظر المالية الآن) والرابع يسمى نيشانجي (وهو عبارة عن كاتب سر
السلطان) ثم بعد امتداد سلطة الدولة العلية في جهة أوروبا جعل لها قاضي عسكر
مخصوص اسمه قاضي عسكر الروملي وقاضي عسكر آخر للاناطول وكان اختصاصهما
العميين في وظائف القضاء ماعدا بعض وظائف خصوصية يختص بها الوزير الاكبر ثم
رتب وظائف الجند فجعل للانكشارية رئيساً مخصصاً (أغا) وناطه باشغال الضبط والربط
بمدينة القسطنطينية ورئيساً آخر للطوبجية وثالثاً لما يختص بخزائن ومؤنة الجيوش وكذلك
وضع ترتيباً لداخلية الخصوصية وأهم أعماله المدنية ترتيب وظائف القضاء من أكبر
وظيفة وهي قضاء الروملي الى أقل وظيفة ووضع أول مبادئ القانون المدني وقانون
العقوبات فأبدل العقوبات البدنية أي السن بالسن والعين بالعين وجعل غرضها الغرامات
النقدية بكيفية واضحة أمما السلطان سليمان القانوني الذي ذكره
ومن مآثره أيضاً عدة جوامع في القسطنطينية وغيرها وله اليد البيضاء في انشاء كثير
من المسكنات الابتدائية والمدارس العالية مما يطول شرحه

٨ « السلطان الغازى بايزيد بن محمد الثانى وأخوه الأمير جم »

توفى السلطان أبو الفتح محمد الثانى عن ولدين أكبرهما بايزيد المولود سنة ٨٥١ هـ الموافقة سنة ١٤٤٧ م وكان حاكماً باماسيا وثانيهما جم المشهور فى كتب الافرنج باسم البراس (زيريم) وكان حاكماً فى القرمان فأخفى الصدر الاعظم قرمانى محمد باشا موت السلطان محمد حتى يأتى بكر أولاده بايزيد واسكنه اشدّة ارتباطه ومودّته بالأصغر أرسل اليه سرّاً يخبره بموت أبيه كي يحضر قبل أخيه الأكبر ويستلم مقاليد الدولة ولما أذيع هذا الخبر نار الانكشارية على هذا الوزير وقتلوه ووثقوا فى المدينة سلباً ونهباً وأقاموا ابن السلطان بايزيد واسمه (كرود) نائباً عاماً عن أبيه لحين حضوره وذلك فى يوم ٥ ربيع الأوّل سنة ٨٨٦ هـ الموافق ٤ مايو سنة ١٤٨١ وفى يوم ١٣ ربيع الأوّل وصل الرسول الى بايزيد فساد فى اليوم التالى باربعة آلاف فارس ووصل القسطنطينية بعد مسير تسعة أيام مع أن المسافة تبلغ ١٦٠ فرسخاً تقطع عادة فى نحو ١٥ يوماً فقابله أمراء الدولة وأعيانها عند بوغاز البوسفور وفى أثناء اجتيازه البوغاز أحاطت به عدّة قوارب ملأى بالانكشارية وطلبوا منه عزل أحد الوزراء المدعو مصطفى باشا وتعيين اسحق باشا ضابط القسطنطينية مكانه فاجاب طلبهم وكذلك عند وصوله الى السراى الملوكية وجدهم مصطفين أمامها طالبين العفو عنهم فيما وقع من قتل الوزير ونهب المدينة وأن ينعم عليهم بمبلغ سروراً بتعيينه فاجابهم الى جميع مطالبهم وصارت هذه سنة لكل من تولى بعده الى أن أبطلها السلطان عبد الحميد خان الأوّل سنة ١٧٧٤ أما الرسول الذى كان أرسله الوزير محمد الى الأمير جم فقبض عليه سنان باشا حاكم الاناطول وقتله حتى لا يصل خبر موت السلطان محمد اليه

وكان السلطان بايزيد الثانى ميالاً للسلم أكثر منه الى الحرب محب للعلوم الادبية مشغولاً بها ولذلك ساه بعض مؤرخى الترك بايزيد الصوفى لكن دعتة سياسة الدولة الى ترك أشغاله السلمية المحضة والاشتغال بالحرب وكانت أول حروبه داخلية وذلك أن أخاه جما لما بلغه خبر موت أبيه سار على الفور مع من حاذ به ولأذ به قاصداً مدينة بورصة فدخلها عنوة بعد أن هزم ألبنى انكشارى ثم أرسل الى أخيه يعرض عليه الصلح بشرط تقسيم المملكة بينهما فيختص جم بولايات آسيا وبايزيد بأوروبا فلم يقبل بايزيد بل أتى اليه وقهره بالقرب من مدينة (يكى شهر) فى يوم ٢٣ جمادى الاولى سنة ٨٨٦ هـ الموافق ٢٠ يوليو سنة ١٤٨١ وتبعه حتى أوصله الى تخوم البلاد التابعة لمصر وفى عودته الى عاصمته طلب منه الانكشارية أن يبيع لهم نهب مدينة بورصة مجازاة لها على قبولها الأمير جما فلم يوافقهم على ذلك وخوفاً من حصول شغب منهم دفع الى نكل نقرمهم قرشين فأقام جم هذه السنة بالقاهرة ضيفاً عند السلطان قايدباى ثم عاد فى السنة الثانية الى حلب ومنها راسل

قاسم بك آخر ذرية أمراء القرمين ووعده انه لو أنجده وساعده للحصول على ملك آل عثمان يرد له بلاد أجداده فاغتر قاسم بك بهذه الوعود وجمع أحزابه وسار مع الامير جم لحاصرة مدينة قونية عاصمة بلاد القرمين سا بقافصدم عنها القائد العثماني كدك احمد باشا فاتح مدينتي كافا واورنت وألزم الامير جما بالفرار

ثم حاول هذا الامير الصلح مع أخيه بشرط اقطاعه بعض ولايات ولما رفض السلطان هذا الطلب الذي لا يكون وراءه الا انقسام الدولة أرسل الامير جم رسولا من طرفه الى رئيس رهبنة القديس حنا الاورشليمي برودس يطلب منه مساعدته على أغراضه فقبلوه عندهم باجزيرة ووصل اليها في ٦ جمادى الثانية سنة ٨٨٧ الموافق ٢٣ يوليو سنة ١٤٨٢ وقابله أهلها بكل تحية واحترام وبعد قليل وصلت الى الجزيرة وفود من السلطان بايزيد لمخابرة رئيس الرهبنة على ابقاء أخيه جم عندهم تحت الحفظ وفي مقابلة ذلك يتعهد لهم السلطان بعدم التعرض لاستقلال الجزيرة مدة حياته وبدفع مبلغا سنويا للرهبنة المذكورة قدره ٤ ألف دوكة فقبل رئيسهم ذلك وأوفوا بوعدهم ولم يقبلوا تسليمه الى ملك المجر أو امبراطور ألمانيا الذين طالبا اطلاق سراحه ليستعمله آلة في اضعاف الدولة العثمانية بل أرسله رئيس الرهبنة الى فرانسا ووضع تحت الحفظ أولا في مدينة نيس (١) ثم في شمبيري وبقي ينقل من بلدة لاخرى مدة سبع سنوات وفي سنة ١٤٨٩ سابه رئيس الرهبنة الى البابا انوسان الثامن وهو خابر السلطان بايزيد طالبا أن يحفظه عنده وتدفع اليه الدولة ما كانت تدفعه الى رهبنة رودس فقبلت ثم مات هذا البابا وأخلفه اسكندر بورجا الشهير (٢) ويقال ان هذا البابا عرض على السلطان بايزيد أن يخلصه من أخيه وبعبارة أخرى يقتله لو دفع اليه ثلثمائة ألف دوكة

وفي أثناء هذه المخابرات أغار شارل الثامن ملك فرنسا على بلاد ايطاليا لتنفيذ مشروعه الوهمي وهو فتح مدينة القسطنطينية والوصول اليها عن طريق بلاد البنادقة فالبانيا ولذلك كان أرسل دعاة الفتنة والفساد الى بلاد مقدونيا واليونان لاثارة الافكار ضد العثمانيين لكن خشى ملك نابولي وجمهورية البنادقة من تعاضم شأن الدولة الفرنسية

(١) مدينة لطيفة في جنوب فرنسا على البحر الابيض المتوسط متدة الهواما لقلعة البرد فيها عن الجهات الشمالية يقصدها السياح في زمن الشتاء من جميع جهات الدنيا لترويح النفوس والاجسام من عناء الاشغال كانت تابعة لاطاليا ثم فتحها الفرنسيون سنة ١٧٩٢ وفي سنة ١٨١٤ ردت لاطاليا وهي أعطتها لفرنسا ثانية مع مقاطعة السافوا في سنة ١٨٦٠ مكافاة لها على مساعدتها على محاربة النمسا والحصول على الاستقلال وتكوين الوحدة لاطاليا

(٢) هو اسكندر السادس ولد سنة ١٤٣١ باسبانيا وانتخب لرئاسة المذهب الكاثوليكي سنة ١٤٩١ وخلف عدة أولاد أشهرهم في التاريخ ابنه سينزار بورجا وابنته لوكريس التي أنشأ (فكتور هوجو) الشاعر الفرنسي الذائع الصيت رواية محزنة باسمها شرح فيها ما ارتكبتته هي وأبوها من فظائع الامور وينسب لهذا البابا ارتكاب جميع الآثام والخرمات وتوفي سنة ١٥٠٣ قيل انه سم نفسه غلطا بنم كان جهازه لاعدام أحد أعدائه

فوضعوا العراقل أمامه وأرسلوا إلى السلطان بايزيد يخبرونه بمشروع ملك فرنسا ودسائسه وطلبوا منه أن يرسل جيوشه إلى بلاد إيطاليا وأن يأخذ حذرته في داخلته وفي هذه الأثناء حاصر ملك فرنسا مدينة رومه وطلب من البابا أن يسلمه الأمير جها العثماني فسلمه إليه ويقال أنه دس له السم قبل تسليمه إليه وما فتى هذا الأمر مصاحبا لجيوش فرنسا حتى توفي في يوم ١٨ جماد الأول سنة ٩٠٠ الموافق ١٤ فبراير سنة ١٤٩٥ في مدينة نابولي ودفن في البلدة (جاييت) بإيطاليا ثم نقلت جثته بعد ذلك بمدة إلى البلاد العثمانية ودفن في مدينة بورصة في قبور أجداده وتوفي رحمه الله عن ٣٦ سنة قضى منها ١٣ في هذه الحالة الشبيهة بالأسر خارجا عن بلاده

هذا ولأنات على ذكر ما حصل في مدة سلطنة بايزيد الثاني من الحروب بطريق الإيجاز لعدم حصول فتوحات في أيامه تقريبا فكانت أغلبها على الترخوم لصده هجمات المتأخمين ومجازاتهم على ما يرتكبه من السلب لكن في سنة ١٤٨٧ كانت الحروب تنشب بين العثمانيين وملك مصر لمناخمة بلادهم عند أطنه وطرشوس فبعد مناوشات خفيفة بين الطرفين على الحدود توسط بينهما باي تونس لعدم حصول الحرب بين أميرين مسلمين فاتفقا على حل مرض للطرفين وساعد على ذلك حب السلطان بايزيد للسلام كما سبق الذكر وكان ذلك في سنة ١٤٩١ وفي السنين التالية حصلت عدة وقائع ذات شأن لم تحصل منها الدولة على نتائج تذكر إذ لم تفتح مدينة بلغراد التي كانت مطمح أنظار الدولة لبقائها كدقطة سوداء على شاطئ نهر الدانوب الأيمن الفاصل بين أملاك الدولة والمجر

وفي عهد هذا السلطان ابتدأت علاقات الدولة العلية مع مملكة الروس وذلك أنه بعد تفريق مملكة الروس الأولى عقب اغارة المغول على بلادهم وتسلمهم عليها مدة استخلصها إوان الثالث وكان يلقب (دوق موسكو) (١) وأعاد لها بعض مجدها السابق في سنة ١٤٨١ م وابتدأت العلاقات بينها وبين الدولة في سنة ١٤٩٢ حيث وصل إلى القسطنطينية أول سفير روسي ومعه جملة هدايا للسلطان وبعد ذلك بأربع سنوات أتى إليها سفير آخر واستحصل من الدولة على بعض امتيازات لتجارة الروس وكذلك ابتدأت في عهده المواصلات الحبية مع مملكة (بولونيا) (٢) فعمدت معاهدة بين

اجتماع العلاقات مع دول أوروبا

(١) موسكو مدينة عظيمة في وسط بلاد روسيا كانت حاصنة لها إلى أن نقل بطرس الأكبر تحت الحكومة إلى مدينة سان بطرسبورج التي أسسها على خليج فنلاند الخارج من بحر بلطيق سنة ١٧٠٣ وبقرها اتصر نابليون الأول امبراطور فرنسا على روسيا سنة ١٨١٢ فدخلها بعد أن أحرقوها عن آخرها حتى لا يمكن العدو المكث بها ولذلك اضطر نابليون إلى العودة إلى بلاده وفي هذا التفتقر هلك أغلب جيشه مما هو مشهور ومسطور

(٢) ويسمى في كتب الترك (هستان) كانت مملكة قوية يبلغ عدد سكانها خمسة عشر مليوناً من النفوس وتحتها مدينة وارسوفيا وكانت حكومتها ملوكية مقيدة انتخابية أي أن الملك يعين بالانتخاب ويكون انتخابه من أمراء الأجانب واستمرت محترمة إلى سنة ١٧٧٣ حيث اتفقت روسيا والنمسا والبروسيا على تجزئتها فاقسموا أغلب بلادها غير تاركين إلا جزءاً قليلاً وفي سنة ١٧٩٣ قسم أغلب ما بقي منها بين النمسا

المملكتين في سنة ١٤٩٠ وتجددت في سنة ١٤٩٢ لكن لم يلبث هذا الوفاق ان تكسر صفائه بسبب ادعاء كل من الدولتين حق السيادة على بلاد البغدان واغارة ملك بولونيا عليها فالزم العثمانيون بطرد المجر منها والاغارة على حدود بولونيا بمساعدة أمير بغداد نفسه الذي قبل حماية الباب العالي عليها

وكذلك ابتدأت المحادثات بين الدولة العلية في ذلك الحين وبين البابا اسكندر السادس (بورجه) وملك نابولي ودوك ميلانو وجمهورية فلورنسا (١) فكان كل منهم يجتهد في محاربة الدولة العلية والاستعانة بجنودها البرية ومراكبها البحرية لمحاربة من عاداه وفي قطع علائق الاتحاد بينها وبين من خالفه وبذلك المساعي تمكن الايطاليون من إيجاد النفرة بين الدولة وبين جمهورية البنادقة حتى تسبب عنها حرب عوان بينهما فأرسل السلطان جيوشه من البر والبحر لفتح مدينة لينتته من بلاد اليونان وكانت تابعة للبنادقة ففتحت بكل سهولة عقب انتصار العمارة العثمانية على مراكب البنادقة التي اعترضتها عند مدخل الخليج المسمى باسم هذه المدينة وفي الوقت نفسه أغار والي بلاد البشناق على إقليم فريول ثم اجتاز نهر ايزو وطور ووصلت طلائعه الى أرباض مدينة فيشنسا وأوقف القتال بسبب اشتداد البرد وفي السنة التالية احتل العثمانيون ثغور مودون وكورون وناورين (٢) من بلاد اليونان وكانت من أملاك البنادقة في هذه البحار

نحفت جمهورية البندقية من تقدم الاتراك الى مركز حكومتها من ضياع استقلالها واستغاثت بممالك أوروبا المسيحية فأنجدها البابا وملك فرنسا ببعض مراكب حربية وساعدوها على محاصرة جزيرة ميدللي لاشغال الدولة عن بلادها فلم تتجيب بل فتح العثمانيون مدينة (رودتسو) الواقعة على بحر الادرياتيك ولولا عصيان أولاد السلطان عليه ببلاد الاناطول كما سيجيء لفتحت باقي بلاد البنادقة لكن اضطرت أحوال المملكة الداخلية

والروسيا في سنة ١٧٩٥ قسمت ما بقي منها وأعدمت هذه المملكة من الوجود ثم لما قامت دولة نابوليون الاول جمع منها نحو خمسين سبها وسبها غراندوقية وارسوفيا وفي سنة ١٨١٥ جزئت هذه الغراندوقية بين البروسيا والروسيا لكن حفظت روسيا لما أخذته استقلاله الاداري وفي سنة ١٨٣٠ ثار البولونيون طلبا للاستقلال السياسي فحاربهم الروسيا مدة عشرة أشهر وانتصرت عليهم وسلبت منهم جميع امتيازاتهم ولم يزلوا حتى الآن يسعون وراء الاستقلال بهمة لا تقهدها الصعوبات ولا تضعفها الاضطرابات (١) مدينة بايطاليا من أجل مدن الدنيا وبها كثير من العمارات الشائقة والتماثيل المتفخرة والتحف والصور الجميلة والمتبزهات العمومية كانت في القرون الوسطى جمهورية مستقلة ثم امتلكتها عائلة (مديسي) الشهيرة وأخيرًا صارت عاصمة لمملكة ايطاليا بعد انتصار الفرنسيين والايطاليين على النمسا سنة ١٨٥٩ الى ان انتقلت الحكومة الى مدينة روم بعد ان دخلها الايطاليون في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٧٠ أثناء حرب فرنسا والروسيا

(٢) مينا مجرية في بلاد اليونان شهيرة بتعدى مراكب فرنسا وانكلترا والروسيا معا على الدونامة التركية المصرية وحرقتها عن آخرها في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ بدون اعلان حرب مساعدة لليونان على الاستقلال كما سترأه في موضعه

السلطان الى ابرام الصلح مع محاربيه باوروبا وهم المجر والبنادقة فتم الصلح بينهما وبين الجمهورية سنة ١٥٠٢ وفي السنة التالية تم الصلح كذلك مع ملك المجر ولقد تسكدر صفاء حياة الملك في سنى حكمه الاخيرة بعصيان أولاده عليه واضرامهم نار الحروب الداخلية التي لولا ما وقع في قلوب أعدائها من الرعب لكانت هذه الحروب العائلية فرصة عظيمة لهم وذلك ان السلطان بايزيد الثاني كان له ثمانية أولاد ذكور توفي منهم خمسة في صغرهم وبقي ثلاثة وهم كركود وأحمد وسليم وكان أولهم مشغولا بالعلوم والآداب ومحاسبة العلماء ولذا كان يثقته الجيش لعدم ميله للحرب والثاني كان محبوبا لدى الاعيان والامراء وكان على بنشا أكبر الوزراء مخلصا له وكان ثالثهم وهو سليم محبا للحرب ومحبوبا لدى الجند عموما والانكشارية خصوصا ولاختلافهم في المشارب والآراء خشى والدم وقوع الشقاق بينهم ففرق بينهم وعين كركود والياً على احدى الولايات البعيدة وأحمد على اماسيا وسليما على طرابزون وعين أيضاً سليمان بن ابنه سليم والياً على كافا من بلاد القرم فلم يرض سليم بهذا التعيين بل ترك مقر وظيفته وسافر الى كافا بالقرم وأرسل الى أبيه يطلب منه تعيينه في احدى ولايات أوروبا فلم يقبل السلطان بل أصر على بقائه بطرابزون فعصى سليم والده جهاراً وسار بجيش جمعه من قبائل التتر الى بلاد الروملي وأرسل والده جيشاً لارهابه ولما وجد من ابنه التصميم على المحاربة قبل تعيينه باوروبا حقناً للدماء وعينه والياً على مدينتي سمندرية وودين (١)

عصيان اولاد
السلطان عليه
وتنازله عن الملك
لابنه سليم

سنة ١٥١١

ولما وصل الى كركود خبر نجاح أخيه سليم في مقاومته انتقل الى ولاية صاروخان واستلم ادارتها بدون أسر أبيه ليكون قريباً من القسطنطينية عند الحاجة ثم سار سليم الى أدرنه وأعلن نفسه سلطاناً عليها فأرسل والده اليه من هزمه وألجأه الى الفرار ببلاد القرم وأرسل جيشاً آخر لمحاربة كركود باتسيا فهزمه أيضاً لكن التزم السلطان بايزيد بالعمو عن ابنه سليم بناء على الحاح الانكشارية لتعلقهم به واعادته الى ولاية سمندرية وفي أثناء توجهه اليها قابله الانكشارية وأتوا به الى القسطنطينية باحتفال زائد وساروا به الى سراي السلطان وطلبوا منه التنازل عن الملك لولده المذكور فقبل واستقال في يوم ٨ صفر سنة ٩١٨ الموافق ٢٥ ابريل سنة ١٥١٢ وبعد ذلك بعشرين يوماً سافر للاقامة ببلدة ديموتيا فتوفي في الطريق يوم ١٠ ربيع الاول سنة ٩١٨ الموافق ٢٦ مايو سنة ١٥١٢ عن ٦٧ سنة ومدة حكمه ٣٢ سنة ويدعى بعض المؤرخين أن ولده دس اليه السم خوفاً من رجوعه الى منصة الملك كما فعل السلطان مراد الثاني الذي سبق ذكره

(١) مدينة حصينة ببلاد البلغار على نهر الدانوب على جانب عظيم من الاهمية الحربية تبعد ٢٢ كيلو متر عن بلغراد سكانها خمسون ألفا شهيرة بعصيان حاكمها (بازوان اوغلي) سنة ١٧٩٨ واستقلاله بها وهي الان داخلة ضمن حدود مملكة الصرب بمقتضى معاهدة برلين الاخيرة المبرمة سنة ١٨٧٨

ولم تزد أملاك الدولة العلية في زمن السلطان بايزيد الثاني الا قليلا لحبه السلم وحقن الدماء فكانت حروبه الخارجية اضطرابية للمدافعة عن الحدود حتى لا يستخف بها أعداؤها وكان سلمى الطباع كارها للقتل وكان أشهر وزرائه داود باشا الذي تولى الوزارة بعد كذلك أحمد ومكث بها أربع عشرة سنة واستقال منها باختياره سنة ٩٤٧ وقضى باقي عمره في عمل الخيرات والمبرات

٩ « السلطان سليم الاول الغازي الملقب باوزاي القاطع »

لما كان تعيينه بمساعي الانكشارية يقتضى توزيع المكافآت عليهم حسب المعتاد أعطى لكل نفر منهم خمسين دوكان ثم عين ابنه سماجان حاكما للقسطنطينية وسافر بجيوشه الى بلاد آسيا لمحاربة اخوته وأولاد اخوته حتى يهدأ بالهداخليته ولم يبق له منازع في الملك فاقضى أثر أخيه أحمد الى انقره ولم يتمكن من القبض عليه لوجود علاقات بينه وبين الوزير مصطفى باشا الذي كان يحبره بمقاصد السلطان لكن علم السلطان بهذه الخيانة فقتل الوزير بشرقة جزاء له وعبرة لغيره ثم ذهب الى بورصة حيث قبض على خمسة من أولاد اخوته وأمر بقتلهم وبعدها توجه بكل سرعة الى صاروخان مقر أخيه كركود ففر منه الى الجبال وبعد البحث عليه عدة أسابيع قبض عليه وقتل

أما أحمد فجمع جيشا من مجازيه وقايل العساكر العثمانية فانهمز وقتل بالقرب من مدينة يكي شهر في يوم ١٧ صفر سنة ٩١٩ الموافق ٢٤ ابريل سنة ١٥١٣

ولما اطمأن خاطره من جهة داخلية عاد الى مدينة ادرنه حيث كان بانتظاره سفراء من قبل البندقية والجر والموسكو وسلطنة مصر فأمر مع جميعهم هدنة لمسدد طويلة بما ان مطامعهم كانت متجهة الى بلاد الفرس التي كانت أخذت في النمو والارتقاء في عصر ملكها شاه اسمعيل الشيعي (١) فانه فتح ولاية شروان وجعل مركزه مدينة تبريز سنة ١٥٠١ وبعدها فتح العراق العربي وبلاد خراسان وديار بكر سنة ١٥٠٨ وأرسل أحد قواده فاحتل مدينة بغداد وفي سنة ١٥١٠ ضم الى أملاكه بلاد فارسستان واذريجان وبذلك امتدت مملكته من الخليج الفارسي الى بحر الخزر من منابع الفرات الى ما وراء نهر امو داريا ولما عصى السلطان سليم واخوته والدم السلطان بايزيد الثامن ساعد الشاه اسمعيل الامير أحمد على والده ثم على أخيه من بعده وقبل من فر من أولاده عنده وزيادة على ذلك أرسل

محاربة المعجم
ودخول العثمانيين
مدينة تبريز

(١) هو اسمعيل ابن الشيخ حيدر وينتهي نسبه الي الشيخ صفى الدين ابن جبرائيل العلوي الحسني واسمعيل هذا هو مؤسس الدولة الصفوية الفارسية وكان أبوه حيدر قد جارب صاحب شروان فانهمز وقتل صاحب شروان أولاده الا اسمعيل وأخاه بار علي فاستمر اسمعيل مختفيا عند الامراء المجازين لايه حتى اجتمع لاجئته كثير فظهر وحارب صاحب شروان وقتله واستمر في فتوحاته حتى هزمه السلطان يلوز سليم الغازي وتوفي اسمعيل شاه الصفوي سنة ٩٣٠ هجرية عن ٣٨ سنة وأربعة شهور وملك أربعا وعشرين سنة

وقد ألى سلطان مصر يطلب منه التحالف لاياف سير الدولة العثمانية ميئاً له انه ان لم يتفق احارت الدولة كلا منهما على حدته وقهرته وسلبت أملاً كد ولا يجاد سبب للحرب أمر السلطان سليم بحصر عدد الشيعة المنتشرين في الولايات المتاخمة لبلاد المعجم بطريقة سرية ثم أمر بقتلهم جميعاً فقتلوا ويقال ان عددهم كان يبلغ نحو الاربعين ألفاً وهذه المذبحة كالمذبحة التي حصلت بباريس في ٥ جماد أول سنة ٩٨٠ الموافق ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ المشهورة في التواريخ بمذبحة سان برتليمي (١)

وبعد ذلك أعلن السلطان سليم الشاه اسمعيل بالحرب وسافر بجيوشه من مدينة ادرنة في ٢٢ محرم سنة ٩٢٠ الموافق ١٩ مارس سنة ١٥١٤ وفي أثناء مسيره تبادل مع الشاه اسمعيل رسائل مفعمة بالسباب وسار الجيش للعثماني تحت قيادة السلطان سليم نفسه كما جرت به العادة قاصداً مدينة تبريز عاصمة المعجم وكانت الجيوش الفارسية تتقهقر أمامه خدعة منهم لينهك التعب الجيوش العثمانية فينقضوا عليهم واستمروا في تقهقرهم الى أرباض تبريز فوقع القتال بين الجيشين في وادي جال دران في ٢ رجب سنة ٩٢٠ الموافق ٢٤ أغسطس سنة ١٥١٤ فانتصرت الجيوش العثمانية نصراً ميئاً لمساعدة الطوبخية لها وفرت الشاه بما بقي من جيوشه ووقع كثير من قواده في الاسر وأسرت أيضاً إحدى زوجاته ولم يقبل السلطان أن يردها لزوجها بل زوجها لآخر كاتبي يده انتقاماً من الشاه وفتحت المدينة أبوابها ودخلها السلطان منصوراً في يوم ١٤ رجب سنة ٩٢٠ الموافق ٤ سبتمبر سنة ١٥١٤ واستولى على خزان الشاه وأرسلها الى القسطنطينية وكذلك أرسل اليها أربعين شخصاً من أهم صنائع هذه المدينة الامر الذي يدل على عدم اغفاله تقدم الصنائع أثناء اشتغاله بالحروب وبعد ان استراح ثمانية أيام قام بجيوشه وأخلى مدينة تبريز لعدم وجود المؤونة الكافية لجيوشه بهامة تفتيا أثر الشاه اسمعيل حتى وصل الى شاطئ نهر الرس وعندها امتنع الانكشارية عن التقدم لاشتداد البرد وعدم وجود الملابس والمؤونة اللازمة لهم فقفل راجعاً الى مدينة اماسيا بآسيا الصغرى للاستراحة زمن الشتاء والاستعداد للحرب في أوائل الربيع ومر في عودته من بلاد أرمينيا لسكرته لم يفتحها لعدم وجود الوقت الكافي لذلك

وعند ما أقبل الربيع بنضارته رجع السلطان الى بلاد المعجم ففتح قلعة كوماش الشهيرة وامارة ذى القدر سنة ١٥١٥ ثم رجع الى القسطنطينية تاركاً قواده لاتمام فتح الولايات الفارسية الشرقية ولما وصل اليها أمر بقتل عدد عظيم من ضباط الانكشارية الذين

(١) هي مذبحة البرونستانت بجميع أنحاء فرنسا ذبحهم الكاثوليك بامر ملك فرنسا شارل التاسع بناء على ايمان والدته كاترين دي مديني في يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ واختلف في عدد من قتل في هذا اليوم فأبلغه بعضهم الي ستين ألفاً منهم كثير من الاشراف والاميرال كوليني الشهير وغيره ويقال ان بعض الحكام امتنع عن تنفيذ هذا الامر فاستحقوا السخط والعقوبة من الملك وحفظ التاريخ أسماءهم محفوفة بكل تكريم وتبجيل

كانوا سبب الامتناع عن التقدم في بلاد فارس كما سبق الذكر خشية من امتداد الفساد وعدم الاطاعة في الجيوش وأمر بقتل قاضي عسكر هذه الفئة واسمه جعفر جلبي لانه كان من أكبر المحركين لهذا الامتناع وخوفاً من حصول مثل ذلك في المستقبل جعل لنفسه حق تعيين قائدهم العام ولم يكن من بينهم ليسكون له بذلك السيطرة عليهم وكان النظام السابق يقضى بتعيينه من أقدم ضباط الانكشارية

وبعد عودة السلطان الى القسطنطينية فتحت الجيوش العثمانية مدائن ماردين واورفه والرقه والموصل وبذا تم فتح إقليم ديار بكر وأطاعت كافة قبائل الكرد بدون كثير عناء بشرط بقائهم تحت حكم رؤساء قبائلهم

ولم ينته السلطان سليم من محاربة الشيعة وفتح بلاد ديار بكر والموصل حتى أخذ في الاستعداد لفتح سلطنة مصر بما ان سلطانها قانصوه الغوري (١) كان تحالف مع الشاه اسماعيل لمحاربة الدولة العلية ولما علم سلطان مصر بتأهب سلطان آل عثمان لمحاربه أرسل اليه رسولا يعرض عليه ان يتوسط بينه وبين العجم لابرأ الصلح فلم يقبل بل طرد السفير بعد ان أهانه وسار بجيشه الى بلاد الشام قاصداً وادي النيل وكان قانصوه الغوري استعد أيضاً لمحاربه فتقابل الجيشان بقرب حلب الشهباء في وادي قال له من ج دابق وهزم الغوري بسبب وقوع الخلاف بين فرق جيشه المؤلف من المماليك وساعدت المدافع العثمانية على النصر وقتل الغوري في أثناء انهزام الجيش وسنه ثمانون سنة وكان ذلك في يوم الاحد ٢٥ رجب سنة ٩٢٢ الموافق ٢٤ اغسطس سنة ١٥١٦

وبعد هذه الواقعة احتل السلطان سليم بكل سهولة مدائن حماه وحمص ودمشق وعين بها ولاية من طرفه وقابل من بها من العلماء فاحسن وفادتهم وفرق الانعامات على المساجد وأمر بترميم الجامع الاموي بدمشق ولما صلى السلطان الجمعة به أضاف الخطيب عند مادعاه هذه العبارة (خادم الحرمين الشريفين) وهي مستعملة في الخطبة الى الآن هذا ولما وصل خبر موت السلطان الغوري الى مصر انتخب المماليك طومان باي خلفاً له وأرسل اليه السلطان سليم يعرض عليه الصلح بشرط اعترافه بسيادة الباب العالي على القطر المصري فلم يقبل بل استعد لملاقاة الجيوش العثمانية عند الحدود فالتقت مقدمتا الجيشين عند حدود بلاد الشام وهزمت مقدمة المماليك واحتل العثمانيون مدينة غزة على طريق مصر وساروا نحو القاهرة حتى وصلوا بالقرب منها وعسكر السلطان بجيشه في أواخر ذي الحجة سنة ٩٢٢ بالخانقاه المعروفة بالخانكة وفي ٢٩ ذي الحجة سنة ٩٢٢ الموافق ٢٢ يناير سنة ١٥١٧ انتشب القتال بين الطرفين بجهة العادلي (جهة الوايلي) وفي أثناء القتال

(١) هو الملك الاشرف أبو النصر سيف الدين قانصوه الغوري الظاهري الاشرفي أصله من ممالك الاشرف الظاهر ختقدم ثم انتقل الى الاشرف قائم باي بوبع له بالملك سنة ٩٠٦ هجرية ومن آثاره انه بنى سور مدينة جدة ودائر الحجر الاسود وبعض أروقة المسجد الحرام وباب ابراهيم وعدة خانات وآبار في طريق الحج المصري وعمرى الماء من مصر العتيقة الى قلعة الجبل وعمر بعض أبراج الاسكندرية

فتح مصر
ودخلها ضمن
الممالك الخروسة

قصد طومان باى وبعض الشجعان مركز السلطان سلم وقتلوا من حوله وأسروا وزيره
سينان بك وقتله طومان باى بيده ظناً منه انه هو السلطان سليم بنفسه ولم تنفع شجاعتهم
شيئاً بل تغلب عليهم بدافعه ومدافعهم التي استولى عليها وقت الحرب
وبعد ذلك بثمانية أيام أى في يوم ٨ محرم سنة ٩٢٣ دخل العثمانيون مدينة القاهرة
رغمًا عن مقاومة المماليك الذين حاربوهم من شارع لآخر ومن منزل لآخر حتى قتل
منهم ومن أهالى البلد ما يبلغ خمسين ألف نسمة

أما طومان باى فالتجأ ومن بقي معه الى بر الجيزة وصار يناوش العثمانيين ويقتل كل من
يأسره منهم لكنه لم يلبث ان وقع في أيدي العثمانيين بخيانة بعض من معه وشنق بامر
السلطان سليم في ١٣ ابريل سنة ١٥١٧ الموافق ٢١ ربيع الاول سنة ٩٢٣ بباب
زويله ودفن بالقبر الذي كان أعده السلطان الغورى لنفسه وبعد ان مكث السلطان سليم
بالقاهرة نحو شهر أقام في منيل الروضة وأخذ في زيارة جوامع المدينة وكل ما بها من الآثار
ووزع على أعيان المدينة العطايا والخلع السنية وحضر الاحتفال الذي يحصل بمصر سنوياً
لفتح الخليج الناصرى عند بلوغ النيل الدرجة الكافية لرى الاراضى المصرية ثم حضر
احتفال سفر المحمل الشريف وقافلة الحجاج التي ترسل معها الكسوة الشريفة الى الاراضى
الحجازية وارسل الصرة المعتاد ارسالها الى الحرمين الشريفين بقصد توزيعها على الفقراء
من عهد السلطان محمد جلبي العثماني وأبلغها الى ثمانية وعشرين ألف دوكة

ومما جعل لفتح وادى النيل أهمية تاريخية عظيمة ان محمد المتوكل على الله آخر ذرية الدولة
العباسية الذي حضر أجداده لمصر بعد سقوط مدينة بغداد مقر خلافة بني العباس في
قبضة هولاكو خان التتارى سنة ٦٥٦ هـ الموافقة سنة ١٠٩١ وكانت له الخلافة بمصر
اسماً تنازل عن حقه في الخلافة الاسلامية الى السلطان سليم العثماني وسلمه الامتار
النبوية الشريفة وهى البيروق والسيف والبردة وسلمه أيضاً مغانيح الحرمين الشريفين
ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني أميراً للمؤمنين وخليفة لرسول رب العالمين
اسماً وفعلاً

هذا وقد جاء الجزء السابع من الخطط الجديدة التوفيقية للمرحوم على باشا مبارك
بخصوص ما أجراه السلطان سليم الغازى من الترتيبات بمصر ما يأتى
لما أخذ مصر ورأى غالب حكمائها من المماليك الذين ورثوها عن ساداتهم رأى ان بعد
الولاية عن مركز الدولة ربما أوجب خروج حاكمها عن الطاعة وتطلبه الاستقلال فجعل
حكومة مصر منقسمة الى ثلاثة أقسام وجعل في كل قسم رئيساً وجعلهم جميعاً أمنة الدين
لكلمة واحدة هي كلمة وزير الدewan الكبير وجعله مركباً من الباشا الوالى من قبله ومن
بيكوات السبع وجاقيات وجعل للباشا منزلة توصيل أوامر السلطان الى المجلس وحفظ
البلاد وتوصيل الخراج الى القسطنطينية ومنع كل من الاعضاء العلو على صاحبه وجعل

لاعضاء المجلس مزية تقض أوامر الباشا بسباب تبذولهم وعزله ان رأوا ذلك والتصديق على جميع الاوامر التي تصدر منه في الامور الداخلية وجعل حكام المديرات الاربع والعشرين من المماليك وخصهم بمزية جمع الخراج من البلاد وقمع الغزبان وصدّهم عنها والمحافظة على ما في داخلها وكل ذلك بأوامر تصدر لهم من المجلس وجردّهم عن التصرف من أنفسهم واقبأحدهم المقيم بالقاهرة بشيخ البلد ثم رتب الخراج وقسّمه أقساماً ثلاثة وجعل من القسم الاول ماهية عشرين ألف عسكرى بالقطر من المشاة واثني عشر ألفاً من الخيالة والقسم الثاني يرسل الى المدينة المنورة ومكة المشرفة والقسم الثالث يرسل الى خزينة الباب العالي ولم يلتفت الى راحة الاهالى بل تركها عرضة للمضار كما كانت ومن هذا الترتيب تمكنت الدولة العلية من ابقاء الديار المصرية تحت تصرفها نحو مائتي سنة ثم أهملت بعد ذلك القوانين التي وضعها السلطان سليم من حين استيلائه عليها وكانت هي الاساس ولم تلتفت الدولة لما كان يحصل من المماليك من الامور الخلة بالنظام فضعفت شوكة الدولة وهينها التي كانت لها على مصر وأخذت البيكوات تكثّر من المماليك وتتقوى بها حتى فاقت بقوتها الدولة العثمانية في الديار المصرية فآل الامر والنهي لهم في الحكومة وصارت حكومة الدولة صورية غير حقيقية وسبب ذلك اكثارهم من شراء المماليك ولو كانت الدولة العلية تنبّهت لهذا الامر ومنعت بيع الرقيق لكانت الامور باقية على ما وضعها السلطان سليم ولكن غفلت عن هذا الامر كما غفلت عن أمور كثيرة ومن ذلك خلق الاهالى الذل والاهانة وهاجر كثير منهم الى الديار الشامية والحجاز وغيرها وخرّبت البلاد وتعطلت الزراعة من قلة المزارعين وعدم الاعتناء بتطهير الجداول والخلجان الذي عليه مدار الخصب ونتج من ذلك ومن خوف الدولة العلية من تمكن الباشا في الحكومة أن تغلبت البيكوات وصارت كلمتهم هي النافذة وانفردوا بالتصرف اه

وفي أوائل شهر سبتمبر سنة ١٥١٧ سافر السلطان سليم من القاهرة عائداً الى القسطنطينية التي صارت من ذلك الوقت مقر الخلافة الاسلامية العظمى وكان سفره عن طريق بلاد الشام مستصحباً معه آخر بنى العباس وعين خير بك واليا على مصر وهو أحد أمراء المماليك الذين خانوا طومان باي وانضموا اليه وترك بالقاهرة حامية كافية لحفظ الامن تحت قيادة خير الدين أغا الانكشاري وفي أثناء مروره بصحراء العريش التفت لوزيره الأكبر يونس باشا الذي كان فتح مصر على غير رأيه وقال له ما معناه انه قد أنتم فتحها خلافاً لرأيه فخاوبه يونس باشا بان فتحها لم يعد عليه شيء الا قتل نحو نصف الجيش بما أنه سلمها لخائن كان غرضه التملك عليها لنفسه فلا يؤمن ولاؤه للدولة فغضب السلطان من هذا الكلام الموجه اليه بصفتة لوم وأمر بقتله في الحال وقتل وكان ذلك في ٦ رمضان سنة ٩٢٣ وعين مكانه بير محمد باشا الذي كان معيناً قائم مقام السلطان في القسطنطينية أثناء تغيبه في فتح مصر لثقلته به بناء على ما أظهره من اصابة الرأي في محاربة الشاه اسمعيل

وفي ٢٠ رمضان سنة ٩٢٣ وصل السلطان الى مدينة دمشق ومكث بها الى ٢٢ صفر سنة ٩٢٤ م سافر الى مدينة حلب بعد ان حضر الاحتفال باقامة الصلاة أول مرة في الجامع الذي أقامه بدمشق على قبر يحيى الدين بن العربي في ٢٤ محرم سنة ٩٢٤ وبعده ان أقام بحلب مدة شهرين سافر قاصداً عاصمة مملكة فوصلها في ١٧ رجب سنة ٩٢٤ الموافق ٢٥ يولييه سنة ١٥١٨ ثم ارتحل عنها الى مدينة ادرنه بعد عشرة أيام قضاه في الاستراحة من أتعاب السفر وكان ولده سليمان معيناً حاكماً لها مدة غياب والده وبعد وصول أبيه بتسعة أيام استأذنه الأمير سليمان في السفر الى ولاية صاروخان المعين والياً عليها

وفي أثناء اقامة السلطان بمدينة ادرنه وصل اليه سفير من قبل مملكة اسبانيا ليخاذه بشأن حرية زيارة المسيحيين للقدس الشريف الذي كان قبلاً تابعاً لسلطنة مصر وتبعها في دخولها تحت ظل الدولة العلية في مقابلة دفع المبلغ الذي كان يدفع سنوياً للسما لك فاحسن السلطان مقابله وصرح بقبوله ذلك اذا أرسل ملكه رسولا آخر نحو لاله حتى ابرام معاهدة مع الباب العالي وكذلك أتى اليه فيها سفير من قبل جمهورية البندقية ليدفع له خراج سنتين متاخر الخراج المقرر عليها نظير بقائها في جزيرة قبرص

وكان في هذه المدة مشغولاً تجهيز عمارة بحرية لمعاودة الكرة على جزيرة رودس بحر أو كان يستعد أيضاً لمحاربة شاه العجم تانياً فجمع خمسة عشر ألف فارس بمدينة قيصرية وضم اليهم ثلاثين ألف جندي من المشاة تحت قيادة فرحات باشا بيلر بك الانا طول وأرسل اليهم عدداً عظيماً من المدافع والذخائر لئلا يمكن لمهمله المتون ريثما يتم مشروع فتح جزيرة رودس بل عاجله في رحلته من القسطنطينية الى ادرنه فتوفي في يوم ٩ شوال سنة ٩٢٦ الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٢٠ في السنة التاسعة من حكمه والحادية والخمسين من عمره اذ كانت ولادته في سنة ٩٧٥

وأخفى طبيبه الخصوصي خبر موته عن الحاشية ولم يبلغه الا للوزراء فاجتمع كل من بير محمد باشا وأحمد باشا ومصطفى باشا وقرروا اخفاء هذا الامر حتى يحضر ولده سليمان من اقليم صاروخان خوفاً من أن تنور الانكشارية كما هي عادتهم فكانت مدة حكمه كمدة حكم جدّه محمد الفاتح أيام فتوحات خارجية وتنظيمات داخلية الا أنه كان ميالاً لسفك الدماء فقتل سبعة من وزرائه لاسباب واهية وكان كل وزير مهدد بالقتل لاقبل هفوة حتى صار يدعى على من يرام موته بأن يصبح وزيراً له وبني كثيراً من الجوامع وحول أجل كنائس القسطنطينية الى مساجد مع سبق الوعد من السلطان محمد الثاني الفاتح لبطريق الروم بعدم مني نصف الكنائس الثاني الذي تركه لهم بعد فتح المدينة كما ميز

١٠ « السلطان الغزالي سليمان خانة الدول القانوني »

ولدهذا الملك الذي بلغت الدول العلية في مدته أعلى درجات الكمال في غرة شعبان سنة ٩٠٠ هجرية الموافقة ٢٧ ابريل سنة ١٤٩٤ م وهو عاشر ملوك آل عثمان ولو عدّه بعض المؤرخين حادى عشرهم باعتبار سليمان الذي نازع أخاه محمد جلبي الملك سلطاناً فلذلك خطأ لأنه لم يحكم بصفة قانونية ولذلك أجمع المؤرخون على تسمية السلطان سليمان بالأول واعتباره عاشر ملوك هذه الدولة وهو الاصح

وبمجرد وصول خبر موت أبيه اليه قام قاصداً القسطنطينية ودخلها في يوم ١٦ شوال سنة ٩٢٦ الموافق ٣٠ سبتمبر سنة ١٥٢٠ وكان في انتظاره على افريز السراى جنود الانكشارية فقابلوه بالتهليل وطلب الهدايا المعتاد توزعها عليهم عند تولية كل ملك وبعد ظهر ذلك اليوم حضر بير محمد باشا من ادرنه وأخبر عن وصول جثة المرحوم السلطان سليم في اليوم التالي

وفي صبيحة ١٧ شوال جرت رسوم المقابلات السلطانية فوفد الاسراء والوزراء والاعيان يعززون السلطان بموت والده ويهنئونه بالخلافة في آن واحد وهو يقابلهم بلباس الحداد وعند الظهر وصل اليه خبر قدوم الجثة فخرج لمقابلة النعش خارج المدينة وسار في الجنائز حتى واروها التراب على أحد مرتفعات المدينة وأمر ببناء جامع شاهق وهو جامع سليمان ومدرسة في الحل الذي دفن فيه

وكانت باكورة أعماله بعد توزيع النقود على الانكشارية تعيين مربيه قاسم باشا مستشاراً خاصاً وإبلاغ توليته على عرش الخلافة العظمى الى كافة الولاة وأشراف مكة والمدينة بخطابات مفعمة بالنصائح والالقيات القرآنية المبينة فضل العدل والقسط في الاحكام ووخامة عاقبة الظلم وكان يستهل خطاباته بالآية الشريفة (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم)

ولما وصل خبر توليته الى حاكم الشام واسمه الغزالي وهو من أصحاب قانصوه الغوري الذين خانوه في واقعة مرج دابق تمرد وأشهر العصيان واستولى على قلعة دمشق وأرسل أحد اتباعه لاحتلال مدينة بيروت واجتهد في استمالة خير بك العامل على مصر اليه وأرسل اليه جواباً يبحث فيه على العصيان مبيناً له سهولة النجاح بالنظر الى بعدهم عن مقر الخلافة وحدائث سنن السلطان فجابه خير بك بانه لا يشترك معه الا اذا استولى على مدينة حلب ولم يكن جوابه هذا الامداهنة وخداعاً فانه أرسل خطابات الغزالي الى السلطان فعين السلطان فرحات باشا أحد وزرائه لقمع هذا المتمرد ومعه جيش كاف لاجتثاث هذه الثورة قبل امتدادها فسار فرحات باشا بكل همة في أوخر ذي الحجة سنة ٩٢٦ (نوفمبر سنة ١٥٢٠) ووصل الى

حلب في ٢٢ دسمبر وكان الغزالي اذ ذاك محاصراً لها فارتد على عقبه بدون قتال مائداً الى دمشق وتحصن فيها فتأثره فرحات باشا بجنوده وحاصره فيها وفي يوم ١٧ صفر سنة ٩٢٧ الموافق ٢٨ يناير سنة ١٥٢١ خرج الغزالي من المدينة طلباً للقتال فهزم وقتل أغلب من كان معه وفروا متنكراً لكن خانه بعض أتباعه وسلمه الى فرحات باشا فقتله في ٨ صفر وأرسل رأسه الى القسطنطينية

فتح مدينة بلنراد

وعند وصول رأسه الى العاصمة ورد خبر قتل السفير الذي أرسله السلطان الى ملك البحر يطلب منه دفع الجزية أو الحرب فاستشاط السلطان غضباً وأمر بتجهيز الجيوش وجمع كل ما يلزمهم من المؤنة والذخائر لحاربة البحر وسار هو بنفسه في مقدمة الجيش وأرسل أحد مشاهير قواده واسمه أحمد باشا محاصرة مدينة (شابتس) القريبة من بلنراد ففتحها في ٢ شعبان سنة ٩٢٧ ووصل اليها السلطان في اليوم التالي ثم سافر بالجيوش التي كانت مشغولة بحصار هذه المدينة لمساعدة وزيره بير باشا على تضيق الحصار على مدينة بلنراد ففتحت بعد دفاع شديد وأخلت الجنود المجرية قلعتها في ٢٥ رمضان سنة ٩٢٧ الموافق ٢٩ أغسطس سنة ١٥٢١ ودخلها السلطان وصلى الجمعة في إحدى كنائسها التي حولت مسجداً وصارت هذه المدينة التي كانت أمنع حصن للمجر بين ضد تقدم الدولة العلية أكبر مساعد لها على فتح ما وراء نهر الدانوب من الاقاليم والبلدان وأعلن السلطان هذا الانتصار الى جميع الولاة وملوك أوروبا ورئيس جمهورية البنادقة ثم عاد الى القسطنطينية مكلاً بالنصر والظفر على الاعداء وأرسل اليه قيصر الروس يهنئه بالفوز والظفر وكذلك رؤساء جمهوريتي البندقية وراجوزة (١)

وفي أول محرم سنة ٩٢٨ أمضيت بين الدولة العثمانية وجمهورية البنادقة معاهدة تجارية تؤيد المعاهدات السابقة وزيد عليها أن وكيل الجمهورية في الاستانة (قنصلها) يجب تغييره كل ثلاث سنوات وان قضايا التركات تنظر بطرفه وأن يكون له الحق في ارسال ترجمان لحضور المرافعة في القضايا التي تقام ضد رعايا حكومته أمام المحاكم العثمانية وأن يكون الخراج الذي يدفع منها الى الدولة نظير احتلالها جزيرتي قبرص وزانطه عشرة آلاف دوكا عن الاولى وخمسمائة عن الثانية وهذه المعاهدة أهمية عظيمة لانها أساس الامتيازات القنصلية ببلاد الدولة العلية

وبعد ذلك أخذ السلطان في الاستعداد برأ وبجراً لفتح جزيرة رودس التي لم يتمكن السلطان

فتح جزيرة رودس

(١) ميناء تجارى ببلاد دلماسيا على الساحل الشرقى للبحر الادرياتيكي أسست حوالي القرن السابع للمسيح وأقام بها أهلها حكومة جمهورية مستقلة دفعت الجزية للدولة العثمانية وأبرمت معها عدة معاهدات تجارية مشابهة لما أبرم مع جمهوريتي البندقية وجينوه واستمرت متمتعة بالحرية مستقلة تمام الاستقلال حتى احتلها نابليون الاول سنة ١٨٠٦ وظلت تابعة لفرنسا الى ان سقطت حكومة نابليون نهائياً سنة ١٨١٥ وأضافها مؤتمرويانة الذي انعقد بعد سقوطه للتسوية حالة أوروبا الى مملكة النمسا ولم تزل تابعة لها حتى الان ويبلغ عدد سكانها عشرين ألف نسمة

محمد الفاتح من فتحها لتكون حلقة اتصال بين القسطنطينية ومصر من جهة البحر ولسي لا يكون للمسيحيين مركز حصين في وسط بلاده تاجاً اليه عمارات الدول المعادية للدولة وقت الحرب وأراد الاسراع في تميم هذا العمل العظيم الذي عجز أسلافه عنه لوجود ملوك أوروبا مشتغلين في جهات أخرى لا يمكنهم مساعدة الرهينة المحتلة لها فكان ملك فرنسا (فرانسوا) (١) الاول وشارل الخامس الشهير بشارلكان (٢) ملك اسبانيا وألمانيا معاً مشتغلين بمحاربة بعضهم والبابا (لاون) العاشر مشتغلاً بمجادلة ومقاومة الراهب الألماني (لوتر) (٣) مؤسس مذهب البروتستانت وبلاد الجزر مضطربة في الداخل بسبب عدم اتفاق أمرائها وأعيانها وصغرسن ملكها لويس الثاني كل هذه الاسباب حملت السلطان على انتهاز هذه الفرصة لفتح هذا الحصن المنيع لكن اقتضت شفقتة أن يرسل الى رئيس

(١) ولدهذا الملك سنة ١٤٩٤ وتولي الملك سنة ١٥١٥ وكانت كل حروبه بسبب ادعائه أن له حقوقاً على ولاية ميلان بإيطاليا من جهة جدته فسار عقب توليه الملك الى هذه الجهة لفتحها وفتحها بعد ان تنصر على السويسريين في واقعة مارينيان ثم لما انتخب شارلكان ملك اسبانيا امبراطوراً لألمانيا وما يقبها بعد موت مكسليان جده لاسبية في سنة ١٥٢٠ ابتدأت الحروب بينه وبين فرانسوا ملك فرنسا بسبب ادعائه كل منهما الاحقية في ولاية ميلان وكانت الدائرة فيها على فرنسا فانتصر عليها شارلكان عدة كرات وأخيراً في أيار سنة ١٥٢٥ حيث أخذ فرانسوا أسيراً وسبق الى اسبانيا ولم يفرج عنه الا بعد ان أمضى ماهدة بكل ما يطلبه منه شارلكان والمخرج من السجن لم يعمل بما تعهد به بل رجع الى المحاربة واستمرت الحرب بينهما بدون انقطاع تقريباً الى سنة ١٥٤٤ وفيها تصالحا على أن تكون ولاية ميلان لدوك أورليان ثاني أولاد فرانسوا ملك فرنسا وتوفي بعد ذلك بثلاث سنوات في سنة ١٨٤٧ واشهر هذا الملك بالتعصب الديني واضطهاد البروتستانت

(٢) ولد هذا الملك الشهير سنة ١٥٠٠ وورث ملك اسبانيا عن والدته جان ابنة فردينان وايزابلا ملوك اسبانيا الذين أخرج المسلمون في أيامها من الاندلس وانتخب أميراً لألمانيا بعد موت جده لايه الامبراطور مكسليان وقضى أيامه في عارية فرانسوا الاول كما مر في ترجمة هذا الملك وبعد موت فرانسوا الاول رجع الى محاربة الفرنسيين وحاصر مدينة متس الشهيرة بدون أن يتمكن من فتحها سنة ١٥٥٢ وحارب خير الدين باشا أمير البحر العثماني الشهير بباربروس وقصد الاستيلاء على مدينة الجزائر فلم يفلح واضطهد البروتستانت الا انه اضطر أخيراً في سنة ١٥٤٧ أن يمنحهم الحرية الدينية بعد ان حاربوه وانتصروا عليه وفي سنة ١٥٥٦ سُم الملك فتنازل عن اسبانيا لابنته فيليب الثاني وعن ألمانيا وما بها لآخيه فردينان واعتزل في أحد الأديرة حتى توفي سنة ١٥٥٨

(٣) هو راهب كاثوليكي المذهب ألماني الجنس أراد اصلاح المذهب الكاثوليكي وقال بعدم مشروعية النظام الكناسي والرهينة على الاطلاق والاعتراف وتجنس القربان وغير ذلك من الامور التي أقر عليها أئمة المذهب الكاثوليكي منذ أجيال فحرمه البابا وحكم بمروقته عن الدين بنذ أن كلفه بالثوبة والرجوع عن طريقته وحرّم مطالعة تأليفه ولكن لم يكثر لوتر بهذه الاجراءات بل استمر ينشر مذهبه ويؤيده بالبراهين حتى انتشر في جميع الاطراف وتبعه كثير من أمراء ألمانيا وتوفي سنة ١٥٤٦ وكانت ولادته سنة ١٤٨٣ بعد أن تزوج راهبة اتبعت وأنت منه بعدة أولاد وهو مؤسس المذهب البروتستانتي المشتق من لفظة بروتستو أي اقامة الحجّة وهو المذهب السائد الآن في شمال ألمانيا والدانيمرك والسويد والفلمنك وانكلترا وأمريكا الشمالية ومنتشر في غالب الجهات الاخرى وتبعه بعض اقباط مصر وانتشبت بسببه عدة حروب في ألمانيا وفرنسا أهمها الحرب المعروفة بحرب الثلاثين سنة التي استمرت من سنة ١٦١٨ الى سنة ١٦٤٨ وانتهت باستحصال البروتستانت على الحرية الدينية

الرهينة قبل الشروع في الحرب كتابا يعرض عليه اخلاء الجزيرة والانسحاب منها بكل من معه من المسيحيين الذين يؤثرون المهاجرة على البقاء متمهداً له بعدم التعرض لانفسهم ولا مواهلهم ولما لم يقبل رئيسهم هذا الاقتراح أمر السلطان العمارة البحرية فأقامت قاصدة رودس وسافر هو من طريق البر الى خليج (مرمورا) المقابل للجزيرة من جهة آسيا فوصلتها الدونامة في ٢٦ يونيه سنة ١٥٢٢ وأرسلت الى البر مدافع الحصار والمؤنة والذخائر ووصل اليها السلطان في ٢٨ يوليه وبمجرد وصوله ابتدأ الحصار بقاية الشدة ودافع من بها دفاع الأبطال خصوصاً الرهبان ويقال ان النساء كانت تساعد الرجال في الدفاع بالقاء الاحجار على المحاصرين وصب الزيوت الحارة على رؤوسهم لكن لم يجد كل ذلك شيئاً أمام المدافع العثمانية التي توجد بعض قللها الى الآن في الجزيرة يستعرب رايها من ضخامتها ولما أعيت الحيل رئيس هذه الرهينة واسمه (فيلية دي ليل ادم) الفرنسي سوى الاصل وتقدت مؤنته وذخائره أرسل اثنين من رهبانه الى السلطان في ٢ صفر سنة ٩٢٩ الموافق ٢٦ ديسمبر سنة ١٥٢٢ يطالب منه السماح لهم باخلاء الجزيرة في مسافة اثني عشر يوماً بشرط أن تباعد الجيوش العثمانية عن المدينة المحصورة مسافة ميل من كل جهاتها حتى لا يحصل للمحصورين ضرر عند خروجهم فقبل السلطان ذلك لكن في ٢٥ منه دخل المدينة فريق من الانكشارية رغم أوامر السلطان واحتلوا المدينة وارتكبوا كافة أنواع القبح حسب عادتهم فغضب السلطان وأمر بمراعاة شروط التسليم وعاقب المفسدين فأعيد الامن وسادت السكينة وفي اليوم التالي قابل السلطان رئيس الرهينة وأأم عليه بخمسة سنوية وفي يوم ١٣ صفر سنة ٩٢٩ الموافق أول يناير سنة ١٥٢٣ سافرت هذه الفئة المحضة نفسها للدفاع عن الدين المسيحي ومحاربة المسلمين قاصدة جزيرة مالطه (١) التي تنازل لها عنها الملك شارل كان واستمرت هذه الرهينة نازلة بها حتى احتلها

بونابرت عند قدومه مصر سنة ١٢١٣ هـ الموافقة سنة ١٧٩٨ م وبعد ذلك عاد السلطان الى القسطنطينية ووفد اليها سفراء من قبل روسيا والبنديقية لهنئته بالنصر وأرسل اليه أيضاً ملك المعجم سفيراً لهذا الغرض وأرسل معه خمسمائة فارس ولما وصل الى الاسكندرية أمر السلطان ان لا يدخلها معه الا عشرون فقط وفي شهر يونيه سنة ١٥٢٣ عزل الوزير الاول أي الصدر الاعظم نير محمد باشا بناء على دسائس الوزير أحمد باشا طمعاً في وظيفته لكن خاب مسعاه فقد عين السلطان مكانه أحد خواصه ابراهيم باشا وعين أحمد باشا والياً على مصر لوفاة خير بك في الوقت الذي كان فيه السلطان

(١) جزيرة صغيرة في البحر الابيض المتوسط بالقرب من ساحل ايطاليا وأفريقيا ولاهيتها الحربية المظني تنازعها الملوك والأمم المختلفة من فينيقيين ورومانيين وغيرهم واحتلها المسلمون مدة من السنين وأخيراً تبعت شارل كان وهو تنازل عنها لرهينة رودس كما رأيت وظلت في حوزتهم الى سنة ١٧٩٨ حيث احتلها بونابرت أثناء مجيئه لفتح مصر وفي سنة ١٨٠٠ احتلها الانكليز ليسودوا على البحر الابيض كما احتلوا بوغاز جبل طارق من قبل وفي سنة ١٨١٥ أيد مؤتمر وبانة احتلالها لها

محاصراً لجزيرة رودس ولما وصل أحمد باشا إلى القاهرة أخذ في استئالة من بقي من أمراء المماليك إليه باقطاعهم الأراضي واغضائه عما يرتكبونه من أنواع الاضطام والمظالم ولما تحقق من اخلاصهم أعلن العصيان مرة واحدة واستولى على القلعة بعد قتل حاميتها فأرسل إليه السلطان أمراً بعزله من ولاية مصر وبالعودة إلى الاستانة وتسليم الولاية خلفه (قره موسى) فقتل الرسول وقره موسى والى الجديد ثم خانة أحد وزرائه واسمه محمد بك وأراد القبض عليه فهرب واختفى عند عرب البادية فاقتفى أثره حتى ضبطه وقتله وأرسل رأسه إلى الاستانة فعين بدله قاسم باشا والى الأسبق وكوفي محمد بك بتقليده وظيفته

دفتر دار الولاية سنة ١٥٢٤

وفي ٢٤ رجب سنة ٩٣٠ الموافق ٢٨ مايو سنة ١٥٢٤ ولد للسلطان غلام سمي سلما وهو الذى خلفه باسم سليم الثانى وفى ٢ شعبان الموافق ٥ يونيه احتفل بالاستانة بزواج الصدر الاعظم ابراهيم باشا باحدى أخوات السلطان ثم أرسله إلى مصر مع عدد عظيم من الانكشارية والسباه (السوارى) لارجاع الامن إلى ربوعها وترتيب مالياتها وتنظيم أمورها فصار ووصل إليها فى ٢٤ مارث سنة ١٥٢٥ وأقام بالقاهرة حتى أتم ما مورته وغادرها فى ٢٢ شعبان سنة ٩٣١ الموافق ١٤ يونيه سنة ١٥٢٥ قاصداً الاستانة عن طريق البر ماراً بدمشق وقيصرة ووصل القسطنطينية فى ٧ سبتمبر من السنة نفسها وقوبل بكل اجلال واحترام اعلى منزله عند السلطان

وفى هذه الاثناء حصلت بعض فتن داخلية فى بلاد القرم وذلك ان غازى وبابا ولدنى محمد كراى خان القرم ثارا على والدهما وعمهما فقتلها سنة ٩٢٩ (سنة ١٥٢٢) وتقدم غازى كراى أكبرهما الامارة وجعل أخاه وزيراً له لكن لم يقبل السلطان ذلك بل عين عمهما سماعات كراى خانا بدلاً أخيه محمد كراى المقتول وأمدته بجيش من الانكشارية فقبل غازى تعيين عمه وصار هو وزيراً له وبعد ذلك بستة أشهر قتل غازى وأخوه بابا بأمر عمهم سماعات وفى سنة ٩٣٨ (سنة ١٥٣٠) قام أخوهما اسلام كراى واستولى على الامارة وفر سماعات إلى القسطنطينية ومكث بها حتى توفى سنة ٩٤٤ (سنة ١٥٣٧) ودفن بجامع أبى أيوب بالاستانة وكانت نتيجة هذه الفتن زيادة تداخل الدولة العلية فى أمور بلاد القرم حتى فى تعيين أمرائها وصارت بذلك ولاية عثمانية تقريباً

وفى سنة ١٥٢٤ أراد السلطان أن يجعل إقليم الفلاخ ولاية عثمانية ولم يكن للدولة عليه اذ ذلك الا سيادة الجزية فسير إليها جيشاً استولى على عاصمتها وعلى أميرها وأرسلوه إلى الاستانة فثار الاعيان وعينوا خلفاً له وساعدوه على ذلك أمير إقليم ترانسلفانيا المجاور له فقبل السلطان من عينوه فى مقابلة زيادة الجزية عما كانت عليه

هذا وفى ٢٥ مارث سنة ١٥٢٥ تضر الانكشارية بعد عودة السلطان من مدينة أدرنه التي كان توجه إليها للاقامة بها فى فصل الشتاء ونهبوا سراى ابراهيم باشا الصدر الاعظم

تداخل الدولة العلية في بلاد القرم والفلاخ وقتنة الانكشارية

الذى كان اذ ذاك بمصر ومحل الجرك وعدة أماكن أخرى من منازل الاعيان وحارة اليهود ولولا أن تدارك السلطان الخطب بنفسه لامتد العصيان لكنه أسكتهم عن السلب وأنهب بتوزيع ألف دوكا عليهم ثم بعد ذلك عزل بعض رؤسائهم الذين كانوا سبب هذا العصيان وقتل بعضهم

وبتبدأ المخابرات والمراسلات بين الدولة العلية وملك فرنسا وفي ذلك العهد ابتدأت المخابرات بين ملك فرنسا والدولة العلية وذلك أن شارل كان ملك النمسا كان في آن واحد ملكا لاسبانيا والبلاد المنخفضة (هولاندا) وامبراطوراً لالمانيا وحاكما لجزء عظيم من ايطاليا الجنوبية وكانت جمهوريتا جنوا وفلورنسا تابعتين اليه وجمهورية البنادقة طوع أمره ومدينة وهران باقليم جزائر الغرب تابعة له وكذلك جزيرة مينورقة وجزيرة صقلية فكانت أملاكه محيطة بملك فرنسا من جميع الجهات الامن جهة البحر

ولذلك سعى فرنسيس الاول ملك فرنسا في التحالف مع دولة آل عثمان والاتحاد معها على محاربة شارل كان لتحراره الدولة العلية من جهة البحر والنمسا وتشغله عن جيوش فرنسا من جهة الغرب فيتمكن ملك فرنسا بذلك من الاخذ بثار واقعة (بافيا) بايطاليا التي أخذ فيها فرنسيس الاول أسيراً

ويظهر من سعى فرنسا في استيالة الدولة العلية الاسلامية اليها وبذل الجهد في محالقتها مع كون فرنسا معتبرة لدى البابا أول الدول الكاثوليكية وأهمها محافظة على عدم تقدم الاسلام باوروبا ان الدولة العثمانية بلغت في ذلك الوقت شأناً عظيماً لم تبلغه من قبل وصار وجودها ضرورياً لحفظ التوازن السياسي باوروبا

وأول سفير أرسل من قبل فرنسا الى الباب العالي أرسلته الملكة لويز زوجة فرنسيس الاول حالة وجوده ما سوراً في بلاد اسبانيا لكن لم يصل هذا السفير الى الباب العالي بل قبض عليه حاكم بوسنه أثناء مروره قاصداً القسطنطينية وقتله هو وأتباعه وفي أواخر سنة ١٥٢٥ أرسل سفير آخر وهو جان فرنجياني ووصل القسطنطينية ومعه جواب من ملك فرنسا الى جلالة السلطان الاعظم يطلب منه بكل تواضع أن يهاجم ملك البحر أحد حلفاء شارل كان حتى يمنعه من مساعدته ويمكن فرنسا بذلك أن تنتصر على شارل كان وتسترد ما سلبه منها من الشرف في واقعة بافيا

وقابل السلطان سليمان السفير الفرنسي في ٦ ديسمبر سنة ١٥٢٥ باحتفال زائد وأجزل له العطايا وبعد أن عرض عليه السفير مطالب ملكه وعده السلطان بمحاربة البحر لكن لم تمض بينهما معاهدة بل اكتفى السلطان بأن كتب للملك فرنسا بتاريخ أوائل ربيع الثاني سنة ٩٣٢ جواباً يظهر له فيه استعداد له لمساعدته وهذه صورته قلاً عن ترجمة الجزء الاول من تاريخ جودت باشا

الله العليّ المعطى المعنى المعين

بعناية حضرة عزة الله جلّت قدرته وعلمت كلمته وبمعجزات سيد زمرة الانبياء
وقدوة فرقة الاصفياء محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الكثيرة البركات وبموازرة
قدس ارواح حامية الاربعة ابي بكر وعمر وعثمان وعليّ رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
وجميع اولياء الله انا سلطان السلاطين وبرهان الخواقين بتوحي الملك ظل الله في الارضين
سلطان البحر الابيض والبحر الاسود والاناضول والروملى وقرمان الروم وولاية ذى
القدرية وديار بكر وكردستان واذريجان والعجم والشام وحلب ومصر ومكة والمدينة
والقدس وجميع ديار العرب واليمن وممالك كثيرة أيضاً التى فتحتها آبائى الكرام وأجدادى
العظام بقوتهم القاهرة أثار الله براهمهم وبلاد أخرى كثيرة افتتحتها يد جلالى بسيف
الظفر انا السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان الى فرنسيس
ملك ولاية فرنسا ووصل الى أعتاب ملجأ السلاطين المكتوب الذى أرسلتموه مع
تابعكم فرانقبان النشيط مع بعض الاخبار التى أوصيتموه بها شفاهياً وأعلمنا أن عدوكم
استولى على بلادكم وانكم الآن محبوسون وتستعدعون من هذا الجانب مدد العناية
بخصوص خلاصكم وكل ما قلتموه عرض على أعتاب سرير سدتنا الملوكانية وأحاط
به علمى الشريف على وجه التفصيل فصار بتمامه معلوماً فلا عجب من حبس الملك
وضيقهم فمكن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر فان آبائى الكرام وأجدادى
العظام نور الله مراقدهم لم يكونوا خاليين من الحرب لأجل فتح البلاد وردّ العدو ونحن
أيضاً سالكون على طريقهم وفى كل وقت نفتح البلاد الصعبة والقلاع الحصينة وخيولنا
ليلاً ونهاراً مسروجة وسيوفنا مسلولة فالحق سبحانه وتعالى ييسر الخير بارادته ومشيئته
وأما باقى الاحوال والاخبار تفهمونها من تابعكم المذكور فليكن معلومكم هذا نحريراً فى
أوائل شهر آخر الربيعين سنة اثنتين وثلاثين ونسعمائة

بمقام دار السلطنة العلية

القسطنطينية المحروسة المحمية

فتح بلاد البحر
وعاصمتها

وفى ٢٥ ابريل سنة ١٥٢٦ سافر السلطان سليمان من القسطنطينية لمحاورة الجز
الذين كانت الحرب غير منقطعة بينهم وبين العثمانيين على التخوم وكان الجيش العثمانى
مؤلفاً من نحو مائة ألف جندى و ٣٠٠ مدفع و ٨٠٠ سفينة فى نهر الطونة لنقل الجيوش
من بر الى آخر ففسار الجيش تحت قيادة السلطان ووزرائه الثلاثة الى بلاد البحر من
طريق الصرب مارين بقلعة بلغراد التى جعلت قاعدة لاعمالهم الحربية
وبعد ان افتتح الجيش عدة قلاع ذات أهمية حربية على نهر الطونة وصل باجمعه الى
وادي موهاكس فى ٢٠ ذى القعدة سنة ٩٣٢ الموافق ٢٨ أغسطس سنة ١٥٢٦ وفى
اليوم الثانى اصطفت الجنود العثمانية على ثلاثة صفوف وكان السلطان ومعه كافة المدافع

وفرقه الانكشارية في الصف الثالث فهجم فرسان الجر المشهورون بالبسالة والاقدام تحت قيادة السلطان لويس على صفوف العساكر العثمانية الاولى فتقهقر امامهم العثمانيون خلف المدافع ولما وصلت فرسان الجر بالقرب من المدافع أمر السلطان باطلاقها عليهم فاطلقت تباعاً وتوالى اطلاقها بسرعة غريبة أوقعت الرعب في قلوب الجر فأخذوا في التقهقر تتبعهم العساكر المظفرة حتى قتل أغلب الفرسان الجرية وقتل ملكهم ولم يعثر على جثته فكانت هذه الواقعة سبب ضياع استقلال بلاد الجر بأسرها لعدم وجود جيش آخر يقاوم العثمانيين في مسيرهم ولحصول القوضى في البلاد بسبب موت سلطانهم ولذلك أرسل أهالي مدينة بود (١) عاصمة الجر مفتاح المدينة الى السلطان فاستلمها وسار يحف به النصر ويحده الجلال حتى وصل الى مدينة بود ودخلها في ٣ ذى الحجة سنة ٩٣٢ الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٥٢٦ مشدداً الاوامر على الجنود بعدم التعرض لئلاهمالي والحفاظة على النظام لكن لم تجد تنبيهاته شيئاً بل انتشرت الجنود في جميع أنحاء المدينة وفي جميع أرجاء بلاد الجر ناهبين قاتلين مرتكبين كل الفظائع التي ترتكبها الجيوش الغير منتظمة عقب الانتصار كما شوهد ذلك في جميع البلاد حتى في هذا العصر الموسوم بعصر التمدن

وبعد دخول السلطان الى مدينة بود جمع أعيان القوم وأمرهم ووعدهم بأن يعين جان زا بولي أمير ترانسلفانيا ملكاً عليهم ثم عادرهم الله الى مقر خلافته مستصحباً معه كثير من نفائس البلاد وأهمها السكتب التي كانت موجودة في خزائن متياس كورفن وكذلك فعل نابليون الشهير حينما دخل مصر في أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة فانه أخذ كثيراً من كتب الفقه وأحكام الشريعة الفراء وتلك كانت عادته عند دخوله أى مملكة من ممالك أوروبا فانه كان يحمل الى فرنسا كل ما بها من التحف كالصور والتماثيل والسكتب والآثار ولولا هذه العادة لما أفعمت متاحفها بالآثار والنفائس وفي أثناء عودته أقام أسبوعاً في مدينة أدرنه ووصل الى مدينة القسطنطينية الحمية في ١٧ صفر سنة ٩٣٣ الموافق ٢٣ نوفمبر سنة ١٥٢٦

وفي أواخر سنة ١٥٢٧ ادعى فردينان ملك النمسا (وهو أخو شارلكان الشهير) الاحقية في أن يكون ملكاً على بلاد الجر بسبب قرابته مع الملك لويس الذي قتل في واقعة موهاكس وسار بجنوده لمحاربة جان زا بولي أمير ترانسلفانيا الذي عينه السلطان سليمان ملكاً على بلاد الجر وهزمه فارسيل زا بولي الى السلطان سليمان يستجده على منازعه في

اغارة ملك النمسا على الجر وفتحه مدينة بود وانتصار العثمانيين عليه واسترجاع الجر

(١) مدينة قديمة على نهر الطونة في مقابل مدينة بوست وتبعد عن مدينة ويانه نحو مائتي كيلومتر وكان بينها وبين بوست كوبرى أقيم على عدة مراكب ثم أنشئ مكانه كوبرى حديد على الطراز الجديد وهي في غاية الروق والجمال وبها كثير من المدارس وهي معتبرة تحت مملكة الجر مع انضمامها في العموميات الى امبراطورية النمسا ولذلك يلقب امبراطور النمسا بملك الجر ويسمى بالنمساوية (أوفن) ويبلغ عدد سكانها مائة وخمسين ألف نسمة أو يزيدون

الملك ووصل رسوله الى الباب العالي وقابل السلطان في ٣ فبراير سنة ١٥٦٨ فوعده السلطان بمساعدته وأمضيت معاهدة بذلك بتاريخ ٢٩ فبراير سنة ١٥٢٨ م وبناء على هذا الاتفاق أصدر السلطان الاوامر الى جميع الجهات بالاستعداد للحرب وجمع الجيوش والذخائر وعين وزيره الاول ابراهيم باشا السابق ذكره مراراً سر عسكر للجيش أى قائداً عاماً له مكافأة له على خدماته الجليلة في مصر حين أرسل اليها لتزيتب أحوالها ولما أظهره من المعلومات العسكرية في واقعة موها كس الاخيرة وبعد ذلك بسنة تقريباً سافر السلطان سليمان من الاستانة قاصداً محاربة المجر في ١٠ مايو سنة ١٥٢٩ يقود جيشاً مؤلفاً من مائتين وخمسين ألف جندي ونحو ثلاثمائة مدفع ووصل الى مدينة فليسه في ١٢ شوال سنة ٩٣٦ الموافق ٩ يونيه سنة ١٥٢٩ ومنها الى مدينة (موها كس) حيث أتى (زابولى) لمقابلة السلطان فقال له في ١٦ ذى الحجة سنة ٩٣٦ الموافق ٢٠ يولييه سنة ١٥٢٩ مخاطباً بوزرائه الثلاثة ابراهيم باشا وايباس باشا وقاسم باشا وبكافة القواد وبعدان مكث زابولى ملك المجر بمحضرة العلية وقتاً قليلاً أذن له السلطان بالانصراف بعد ان أعطاه ثلاثة من الخيول المطهمة وثلاث خلع سنية

ابتداء الحروب
مع النمسا وحصار
ويانه عاصمتها
اول دفعة

ثم سار الخليفة الاعظم الى مدينة (بود) عاصمة المجر التي كان فردينان ملك النمسا محاصراً لها فوصلها في ٣ سبتمبر وابتدأ الحصار لكن لم يلبث فردينان ان فرّ هارباً من بود قاصداً مدينة (ويانه) عاصمة النمسا (١) وفي ٨ منه طلب قائد الحامية النمساوية بمدينة بود تسليم المدينة وقلاعها اذا وعدم السلطان بالسماع لهم بالخروج بدون تعرض لحياتهم ولما أجابهم السلطان لذلك أدخلوا المدينة وفي حال خروجهم منها انقض عليهم الانكشارية وقتلوا أغلبهم غير طائفتين لاوامر رؤسائهم مهتدين من رغب في منعهم من القواد والضباط وبعد ذلك بسبعة أيام أى في يوم ١٥ منه أرسل السلطان أحد قواد الانكشارية ليرافق (زابولى) الى القصر الملوكي ويقلده تاج الملوكيه

وبعد اعادة زابولى الى عرش ملك بلاد المجر بمساعدة الجيوش العثمانية قام السلطان بجيوشه قاصداً مدينة (ويانه) لغزوها مستصحباً معه الملك زابولى تاركاً في مدينة بود حامية عثمانية تحت قيادة أحد أغاوات (ضباط) الانكشارية لحفظ الامن بها وتوطيده في جميع أنحاء الى أن يعود الملك زابولى اليها وفي ٢٧ سبتمبر من السنة المذكورة وصل السلطان سليمان بجيوشه أمام عاصمة بلاد النمسا ووضع الحصار حولها وسلط مدافعه على أسوارها فهدم

(١) هي عاصمة امبراطورية النمسا ومملكة المجر مما قائمة على نهر الطونة وكانت عاصمة الامبراطورية الالمانية الى ان سقطت سنة ١٨٠٩ وحاصرها العثمانيون مرتين الاولى سنة ١٥٢٩ والثانية في سنة ١٦٨٣ كما سترى ودخلها نابليون الاول فاتحاً مرتين في سنة ١٨٠٥ وسنة ١٨٠٩ وفي هذه المرة تزوج نابليون بانية الامبراطور فرنسوا السمية (مارى لويز) وفي سنة ١٨٤٨ حصلت بها ثورة عظيمة أفقت الى اطلاق المدافع عليها وتدمير جزء عظيم منها ثم أعيد بناؤها أحسن مما كانت وبها كثير من المتزهات الجميلة ويعدّها البعض أجمل مدينة في العالم بعد باريس الفناء الملقبة بجنة الفردوس الارضية

جزأ منها وفتح بها المأصار توسيعه بالعام البارود حتى صار يمكن الجيوش الهجوم منه بكل سهولة ثم أمر الجنود بالهجوم فهجمت كالا سود في أيام ١٠ و ١١ و ١٢ أكتوبر وأخير أفي يوم ٢٠ صفر سنة ٩٣٧ هـ الموافق ١٤ أكتوبر سنة ١٥٢٩ وبعده ان استمر القتال طول يومه عادت الجنود العثمانية الى معسكرها بدون أن تقوى على الدخول في المدينة ولما رأى السلطان أن ذخيرة الطوبجية التي عليها المعول في الحصار قد نفذت والشتاء قد أقبل بشدته وثوجه المعهودة في هذه الجهات الشديدة البرودة أصدر أوامره بالرجوع عن ويانه هذه السنة وأعداد الجيوش لمعاودة الكرة عليها في أقرب وقت وكانت هذه هي المرة الاولى التي لم يفز السلطان سلمان بالنصر فيها ومر في عودته على مدينة (بود) عاصمة المجر وبعد ان ودّع ملكها ازابولى عاد الى أنقسطنطينية من طريق بلغراد وفي ربيع سنة ١٥٣١ أرسل ملك النمسا جيشاً لمحاصرة مدينة (بود) واستخاضها من قبضة (زابولى) خليفة العثمانيين وحليفهم فصدوا عنها بقوة الحامية الاسلامية المعسكرة فيها وفي ١٩ رمضان سنة ٩٣٨ الموافق ٢٥ ابريل سنة ١٥٣٢ سار السلطان سليمان قاصداً مدينة ويانه ثانية لفتحها ومحوما لحقه من الفشل أمامها في المرة الاولى بعد ان رفض ما عرضه عليه فرديتان ارشيدوق النمسا من الصلح ولما وصل الى مدينة نيش ببلاد الصرب وجد في انتظاره سفراء من قبل ارشيدوق النمسا ووجد بمدينة بلغراد سفيراً جديداً من قبل ملك فرانسوا (فرنسوا الاول) وهو الميسو (رلسون) فقابله السلطان في أول ذى الحجة سنة ٩٣٨ الموافق ٥ يوليو سنة ١٥٣٢ باحتفال فائق لم يسبق مثله لاي سفير غيره وذلك أنه صف لاستقباله عدد عظيم من الجنود وأطلقت المدافع تحية لقدومه وقابله السلطان مقابلة خصوصية محاطا بوزرائه وقواد جيوشه على ضفة ما حصل لمرسلى فرديتان الذين قوبلوا بكل تحقير وامتهان وبعد المقابلة وتبادل عبارات السلام بين السفير الفرنسي و جلالة الخليفة الاعظم عاد السفير للمسكة حاملا خطاباً لمرسله يؤكد السلطان فيه اتحادهما على محاربة شارلكان ووعده بمادده بالعمارة العثمانية اذا مست الحاجة ثم سار السلطان بجيوشه التي كان يبلغ عددهم مائتي ألف مقاتل وانضم اليهم بعد مزاولتهم مدينة بلغراد خمسة عشر ألف فارس من تتر القرم تحت قيادة صاحب كراي اخي خان القرم وفي أثناء المسير نحو مدينة ويانه فتح الجيش عدة قلاع وحصون بدون مقاومة تذكر الآن مدينة (جائز) (١) أبدت من الدفاع أكثر مما كان يتوقع منها اقلية حاميتها السكن لم تجد مدافعتها شيئاً بل سلم قائدها القلعة في ٢٦ محرم سنة ٩٣٩ الموافق ٢٩ اغسطس سنة ١٥٣٢ بشرط عدم دخول الجنود العثمانية المدينة فقبل السلطان هذا الشرط مكافأة

(١) قرية ببلاد المجر على نهر بهذا الاسم ويسميتها المجرىون كرج ولم يزد عدد سكانها على سبعة آلاف نسمة ولولا الشهامة التي أبدتها في الدفاع عن نفسها عند ما حاصرها العثمانيون في سنة ١٥٣٢ ل.ا. ذكر لها اسم في التاريخ

لا هالها على ما أبدوه من حب الوطن والشهامة والاقدام في الدفاع عنه
ثم سار الجيش الهولندي الى عاصمة النمسا واما اقترب منها مال الى جهة اليسار قاصداً اقليم
(استيريا) ومنها عاد الى بلغراد ثانياً بدون أن يحاصر مدينة ويانه لما بلغه من استعداد
شارلكان للدفاع عنها وجمع الجيوش فيها بين نمساويين وألمان واسبانيول وغيرهم وعدم
وجود مدافع حصار معه ولا اقتراب فصل الشتاء بزهريره وجليده اللذين لا يمكن معهما
استمرار الحصار بكيفية ضامنة لفتحها وادخالها في حوزة الاسلام كما فتحت بلاد الحجر
وعاصمتها من قبلها

ولما وصل السلطان في اياه الى مدينة فيليبين (صاحب كراي) التتري خانا لبلاد القرم
بدل أخيه مكافاة له على خدماته أثناء مرور الجيش باراضي النمسا ورتب لآخيه سعادت
كراي معاشاً سنوياً يليق بمقامه وفي ١٩ ربيع آخر سنة ١٣٤٩ الموافق ١٨ نوفمبر سنة
١٥٣٢ عاد السلطان الى مدينة القسطنطينية وزينت المدينة وضواحيها عدة ليال
متواليات احتفالاً بعوده جلالته

وفي أثناء انتشار هذه الحروب من جهة البرأت تحت إمرة الاميرال (اندرى دوريا) (١)
عمارة بحرية مؤلفة من سفن شارلكان الحربية ومعها عدة من سفن البايا بقصد محاربة
العثمانيين من جهة البحر فاحتل (اندرى دوريا) المذكور مينى كورون وباتراس ببلاد
موره بعد قتل من كان بها من الجنود الانكشارية وتدمير القلعتين اللتين أقامهما
السلطان بيزيد الثاني على ضفتي خليج لياليت ببلاد اليونان وتهديد جزائر الروم الخاضعة
لسلطان الدولة العلية

وفي أوائل سنة ١٥٣٣ أرسل فردينان ارشيدوق النمسا سفيراً من قبله يدعى جيروم دى
زارا الى الاستانة يعرض طلب الصلح على جلالة السلطان فقابل الصدر الاعظم ابراهيم باشا
وتباحثا في شروط الصلح وفي يوم ١٤ يناير سنة ١٥٣٣ قابل السلطان السفير ولم يقبل
السلطان الصلح بل قبل المهادنة مؤقتاً حتى تسلم اليه مفاتيح مدينة (جران) وبعدها تحول
المهنة الى صلح فأرسل السفير ابنه فسيبازيان دى زارا في أول فبراير الى ويانه بصحبه رسول
من قبل السلطان لعرض هذه الشروط على فردينان فعرضها فردينان على أكبر الدولة
وأعيانها فقبلوها وأرسل الى الاستانة خطاباً بذلك على يد الرسول العثماني في ٢٩ مايوسنة
١٥٣٣ وبعد ذلك تحررت بين الطرفين معاهدة الصلح في ٢٢ يونيو سنة ١٥٣٣ الموافق

(١) هو قائد بحرى شهير من عائلة جنوبية الاصل عريقة في المجد والشرف كان ضد الفرنسيين في
حروب ايطاليا التي آثارها شارلكان وفرنسا الاول ملك فرنسا ثم انحاز الى فرنسا وحارب سفن
شارلكان وانتصر عليها وحصلت بينه وبين مراكب العثمانيين عدة وقائع ثم ترك فرنسا وانحاز الى
شارلكان مقابل ارجاعه مدينة جنوه الى استقلالها الاصل في سنة ١٥٢٨ وحارب مراكب فرنسا والدولة
العثمانية وأخيراً اشتغل بتنظيم جمهورية جنوه حتى استحق أن يلقب بأبي الوطن وأقيم له بها تمثال عظيم
كتب عليه (الي أي الوطن) وكانت ولادته سنة ١٤٦٨ ووفاته سنة ١٥٦٠ بعد أن عمر نحو قرن كامل

٢٨ القعدة سنة ٩٣٩ وأهم ما فيها أن يرد النمساويون مدينة كورون للدولة العلية ولا يردوا شيئاً مما فتحوه من بلاد الجر وأن ماتفق عليه النمسا مع زابولي صاحب بلاد الجر لا ينفذ ما لم يعتمد عليه جلالته السلطان العثماني وهي أول معاهدة صلح بين النمسا والباب العالي هذا وقد حصل في أثناء اشتغال السلطان بمحاربة النمسا بعض اضطرابات على حدود بلاد العجم وساعد على ذلك خيانة شريف بك خان مدينة بدليس الواقعة على حدود المملكتين وانحيازه الى مملكة العجم ولذلك أرسل السلطان وزيره الاول ابراهيم باشا لمحاربة هذا العاصي والسير بعد ذلك الى مدينة تبريز عاصمة العجم لفتحها فسافر ابراهيم باشا وقبل وصوله الى قونية وصل اليه في ٢ ربيع الآخر سنة ٩٤٠ الموافق ٢١ اكتوبر سنة ١٥٣٣ شمس الدين ابن حاكم اذربيجان الذي كان تابعاً لملك العجم وانضم الى السلطنة العثمانية ومعه رأس شريف بك الذي حاربه والده وقتله ولذلك سار ابراهيم باشا الى مدينة حلب لامضاء فصل الشتاء بها وفي أوائل ربيع سنة ١٥٣٤ قام منها بجيوشه قاصداً مدينة تبريز ففتح في طريقه جميع الحصون والقلاع المجاورة لبحيرة (وان) ووصل بدون كبير معارضة الى تبريز ودخلها بسلام في غرة شهر محرم الحرام سنة ٩٤١ هـ الموافق ١٣ يوليو سنة ١٥٣٤ م وبني بها قلعة وجعل في وسطها حامية عثمانية لمنع السكان عن اتيان كل ما يمكن أن يكدر صفو الراحة العمومية

دخول العثمانيين
مدينة تبريز ثاني
دفعة

وفي ٢٧ سبتمبر من السنة المذكورة الموافق ١٦ صفر سنة ٩٤١ وصل السلطان سليمان الغازي الى تبريز فقابلته الاهالي بكل ترحيل وتعظيم وبعد ان عين السلطان ابن الامير شروان قائد الحامية مدينة تبريز وقبل خضوع امير كيلان المدعو ملك مظفر خان وغيره من أمراء الفرس الذين تركوا لواء شاه طهماسب ملك العجم وانحازوا الى ظل الخليفة الاعظم سار السلطان بجيوشه الى مدينة سلطانية التي تقهر اليها الشاه بجيوشه لكن لصعوبة الطرق واستحالة مرور المدافع الضخمة وعربات النقل بها لكثرة الامطار والاحوال تركها السلطان وقصد مدينة بغداد لفتحها فلما اقترب منها تقدم ابراهيم باشا الصدير الاعظم وسر عسكر الجيوش العثمانية لاحتلالها قبل قدوم السلطان فدخلها في يوم ٢٤ جمادى الآخرة سنة ٩٤١ الموافق ٣١ ديسمبر سنة ١٥٣٤ ووجدها خاوية من الجنود اذ تركها حاكمها بكل جنوده هرباً من الوقوع في قبضة الجنود العثمانية فيذبحونه الحمام وبعد ان أقام السلطان في مدينة بغداد مدة أربعة أشهر رتب الادارة الداخلية في خلالها وزار قبور الأئمة العظام وقبر الامام علي رابع الخلفاء الراشدين كرم الله وجهه في مدينة نجف وقبر ابنته الحسين في كربلا وأرسل الخطابات الى البندقية وويانه اعلاناً باقتضاره على الشاه طهماسب وافتتاحه مدائن تبريز وبغداد

فتح مدينة بغداد

وفي ٢٨ رمضان سنة ٩٤١ الموافق ٢ ابريل سنة ١٥٣٥ سافر السلطان بجيوشه عائداً الى مدينة تبريز ماراً ببلاد الاكراد واقليم المراغة وولى سليمان باشا أحد قواد جيوشه

على مدينة بغداد ومعه ألف جندي لحمايتها وفي أثناء مسيره وصل الى معسكره سفير فرنسا وى اسمه مسيو (لافورى) أرسل له تهنئته على فتوحاته الاخيرة ثم وصل الى مدينة تبريز رابع الحرم سنة ٩٤٢ وأقام بها ١٥ يوما قضاه في تعيين الولاة على المدن المفتوحة حديثا وترتيب شؤون الداخلية ثم قفل راجعا الى الاستانة فوصلها في ١٤ رجب سنة ٩٤٢ الموافق ٨ يناير سنة ١٥٣٦

الامتيازات
الفصلية

وفي أوائل شهر فبراير سنة ١٥٣٦ تم الاتفاق بين المسيو لافورى سفير فرنسا والباب العالي وصدر به خط شريف بمنح بعض امتيازات لرعايا ملك فرنسا النازلين باراضى الممالك المحروسة وهذا نص هذه المعاهدة مترجما من مجموعة البارون دى تسنا الموجودة فى الكتبخانة الخديوية

ليكن معلوما لدى العموم أنه فى شهر ... سنة ٩٤٢ من الهجرة الحمديّة الموافق شهر فبراير سنة ١٥٣٦ من الميلاد قد اتفق بمدينة الاستانة العلية كل من المسيو جان دى لافورى مستشار وسفير صاحب السعادة الامير فرنسوا المتعمق فى المسيحية ملك فرنسا المعين لدى الملك العظيم ذى القوة والنصر السلطان سليمان خاقان الترك الى آخر ألقابه والامير الجليل ذى البطش الشديد سرعسكر السلطان بعد ان تباحثا فى مضمار الحرب وما ينشأ عنه من المصائب وما يترتب على السلم من الراحة والطمانينة على البند الاول **﴿** قد تعاهد المتعاقدان بالنيابة عن جلالة الخليفة الاعظم وملك فرنسا على السلم الاكيد والوفاق الصادق مدة حياتهما وفى جميع الممالك والولايات والحصون والمدن والمين والثغور والبحار والجزائر وجميع الاماكن المملوكة لهم الآن أو التى تدخل فى حوزتهم فيما بعد بحيث يجوز لرعاياها وتابعيها السفر بحرا برا كى مسلحة أو غير مسلحة والتجول فى بلاد الطرف الآخر والحيء اليها والاقامة بها أو الرجوع الى الثغور والمدن أو غيرها بقصد الاتجار على حسب رغبتهم بكمال الحرية بدون أن يحصل لهم أدنى تعد عليهم أو على مثا جرهم

﴿ البند الثانى **﴿** يجوز لرعايا وتابعى الطرفين البيع والشراء والمبادلة فى كافة السلع الغير ممنوع الاتجار فيها ولسيرها ونقلها برا وبحرا من مملكة الى أخرى مع دفع العوائد والضرائب المعتادة قديما بحيث يدفع الفرنسيون فى البلاد العثمانية ما يدفعه الاتراك ويدفع الاتراك فى البلاد الفرنسية ما يدفعه الفرنسيون بدون أن يدفع أى الطرفين عوائد أو ضرائب أو مكوسا أخرى

﴿ البند الثالث **﴿** كلما يعين ملك فرنسا قنصلا فى مدينة القسطنطينية أو فى برا أو غيرها من مدائن المملكة العثمانية كالتفصيل المعين الآن بمدينة الاسكندرية يصير قبوله ومعاملته بكيفية لائقة ويكون له أن يسمع ويحكم ويقطع بمقتضى قانونه وذمته فى جميع ما يقع فى دائرته من القضايا المدنية والجنائية بين رعايا ملك فرنسا بدون أن يمنعه من ذلك حاكم

أو قاضي شرعى أو (صوباشى) أو أى موظف آخر ولكن لو امتنع أحد رعايا الملك عن اطاعة أوامر أو أحكام القنصل فله أن يستعين بموظفى جلالة السلطان على تنفيذها وعليهم مساعدته ومعاونته وعلى أى حال ليس للقاضى الشرعى أو أى موظف آخر أن يحكم فى المنازعات التى تقع بين التجار الفرنساويين وباقى رعايا فرنسا حتى لو طلبوا منه الحكم بينهم. وإن أصدر حكماً فى مثل هذه الاحوال يكون حكمه لاغياً لا يعمل به مطلقاً

البند الرابع لا يجوز سماع الدعاوى المدنية التى يقيمها الاتراك أو جباة الخراج أو غيرهم من رعايا جلالة السلطان ضد التجار أو غيرهم من رعايا فرنسا أو الحكم عليهم فيها ما لم يكن مع المدعين سندات بخط المدعى عليهم أو حجة رسمية صادرة من القاضى الشرعى أو القنصل الفرنساوى وفى حالة وجود سندات أو حجج لا تسمع الدعوى أو شهادة مقدمها لا يجوز وترجمان القنصل

البند الخامس ولا يجوز للقضاة الشرعيين أو غيرهم من مأمورى الحكومة العثمانية سماع أى دعوى جنائية أو الحكم ضد تجار ورعايا فرنسا بناء على شكوى الاتراك أو جباة الخراج أو غيرهم من رعايا الدولة العلية بل على القاضى أو المأمور الذى ترفع اليه الشكوى أن يدعو المتهمين للحضور بالباب العالى محل إقامة الصدر الأعظم الرسمى وفى حالة عدم وجود الباب المشار اليه (أى اذا حصلت الواقعة فى محل غير الاستانة) يدعوم أمام أكبر مأمورى الحكومة السلطانية وهناك يجوز قبول شهادة جاني الخراج والشخص الفرنساوى ضد بعضهم

البند السادس لا يجوز محاكمة التجار الفرنساويين ومستخدميهم وخادميهم فيما يختص بالمسائل الدينية أمام القاضى أو السنجق بيك أو الصوباشى أو غيرهم من المأمورين بل تكون محاكمتهم أمام الباب العالى ومن جهة أخرى يكون مصرح لهم بتبائع شعائر دينهم ولا يمكن جبرهم على الاسلام أو اعتبارهم مسالمين ما لم يقرروا بذلك غير مكرهين البند السابع لا يجوز لو تعاقد واحد أو أكثر من رعايا فرنسا مع أحد العثمانيين أو اشتري منه بضائع أو استئذنان منه نفوداً ثم خرج من الممالك العثمانية قبل أن يقوم بما تعهده فلا يسأل القنصل أو اقارب الغائب أو أى شخص فرنساوى آخر عن ذلك مطلقاً وكذلك لا يكون ملك فرنسا مازماً بشئ بل عليه أن يوفى طلب المدعى من شخص المدعى عليه أو أملاكه لو وجدت باراضى الدولة الفرنساوية أو كان له أملاك بها

البند الثامن لا يجوز استخدام التجار الفرنساويين أو مستخدميهم أو خدامهم أو سفنهم أو فلائكتهم أو ما يوجد بها من اللوازم أو المدافع والذخائر أو التجارة جبراً عنهم فى خدمة جلالة السلطان الأعظم أو غيره فى البر والبحر ما لم يكن ذلك بطوعهم واختيارهم البند التاسع يكون لتجار فرنسا ورعاياها الحق فى التصرف فى كافة متعلقاتهم بالوصية بعد موتهم وعند وفاة أحد منهم وفاة طبيعية أو قهرية عن وصية فتوزع أمواله وباقى

ممتلكاته على حسب ما جاء بها ولو توفي ولم يوص فتنسب تركته الى وارثه أو الوكيل عنه بمعرفة القنصل لو كان في محل وفاته قنصل والافتحفظ التركة بمعرفة قاضي الجهة بعد ان تعمل بها قائمة جرد على يد شهود أمالو كانت الوفاة في جهة بها قنصل فلا يكون للقاضي أو مأثور بيت المال أو غيرهما حق في ضبط التركة مطلقاً ولو سبق ضبطها بمعرفة أحد منهم يصير تسليمها الى القنصل أو من ينوب عنه لو طلبها قبل الوارث أو وكيله وعلى القنصل توصيلها وتسليمها الى صاحب الحق فيها

﴿ البند العاشر ﴾ بمجرد اعتماد جلالة السلطان وملك فرنسا لهذه المعاهدة فجميع رعاياهما الموجودين عندهما أو عند تابعيهما أو على مراكبهم أو سفنهم أو في أي محل أو إقليم تابع لسلطتهما في حالة الرق سواء كان ذلك بشراهم أو بأسرهم وقت الحرب يصير اخراجهم فوراً من حالة الاسترقاق الى بحبوحة الحرية بمجرد طلب وتقرير السفير أو القنصل أو أي شخص آخر معين لهذا الخصوص ولو كان أحدهم قد غير دينه ومعتقده فلا يكون ذلك مانعاً لا لطلاق سراحه

ومن الآن فصاعداً لا يجوز لجلالة السلطان أو ملك فرنسا ولا لاقبودانات البحر ورجال الحرب أو أي شخص آخر تابع لأحدهما أو لمن يستأجرهم لذلك سواء في البر والبحر أخذ أو شراء أو بيع أو حجز أسراء الحرب بصفة أرقاء ولو نجس سرقة قرصان أو غيره من رعايا إحدى الدولتين المتعاقدين على أخذ أحد رعايا الطرف الآخر أو اغتصاب أملاكه أو أمواله يصير اخبار حاكم الجهة وعليه ضبط الفاعل ومعاقبته على مخالفته شروط الصلح عبءاً لغيره ورد ما يوجد عنده من الأشياء المنعصبة الى من أخذت منه وإذا لم يضبط الفاعل فيمنع هو وجميع شركائه من الدخول في البلاد وتضبط ممتلكاته لجانب الحكومة التابع اليها ويصير التعويض على ما حصل له من الضرر مما يصادر من أملاك الجاني وهذا لا يمنع من مجازاته لو صار ضبطه فيما بعد وللمجنى عليه أن يستعين على الحصول على ذلك بضامني هذا الصلح وهم السرعسكر عن الجناب السلطاني وأكبر القضاة عن ملك فرنسا

﴿ البند الحادي عشر ﴾ لو تقابلت دوناتات إحدى الدولتين المتعاقدين ببعض مراكب رعايا الدولة الأخرى فعلى هذه المراكب تنزيل قلعها ورفع أعلام دولتها حتى إذا علمت حقيقتها لا تحجزها أو تضيقها السفن الحربية أو أي تابع آخر للدولة صاحبة الدونامة وإذا حصل ضرر لأحدهما فعلى الملك صاحب الدونامة تعويض هذا الضرر فوراً وإذا تقابلت سفن رعايا الدولتين فعليهما رفع العلم وابداء السلام بطلقة مدفع والحجوبة بالصدق لو سئل رباها عن الدولة التابع اليها ولما تعلم حقيقتها لا يجوز لأحدها أن تفش الأخرى بالقوة أو تسببها أي عائق كان

﴿ البند الثاني عشر ﴾ إذا وصلت إحدى المراكب الفرنسية سواء بطريق الصدفة أو غيرها الى إحدى مين أو شطوط الدولة العلية تعطى ما يلزمها من الماء كولات وغيرها من

الاشياء مقابلة دفع الثمن المناسب بدون الزامها تفرغ ما بها من البضائع لدفع الاثمان ثم يباح لها الذهاب أينما تريد واذا وصلت الى الاستانة وأرادت السفر منها بعد الاستحضار على جواز الخروج من أمين الجرك ودفع الرسم اللازم وتفتيشها بمعرفة الامين المشار اليه فلا يجوز ولا يمكن تفتيشها في أى محل آخر الا عند الحصون المقامة بمدخل بوغاز جاليبولي (الدردينيل) بدون دفع شيء مطلقاً لا عند هذا البوغاز ولا في أى مكان آخر عند خروجها خلاف ما صار دفعه سواء كان الطالب باسم جلالة السلطان أو أحد مأموريه

البند الثالث عشر لو كسرت أو غرقت مراكب إحدى الدولتين بالصدفة أو غيرها عند البلاد التابعة للطرف الآخر فن يخومن هذا الخطر يبقى متمتعاً بحريته لا يباع في أخذ ما يكون له من الامتعة وغيرها أموال غرق جميع من بها فلا يمكن تخليصه من البضائع يسلم الى القنصل أو نائبه لتسليمها لاربائها بدون أن يأخذ القبودان باشا أو السنجق بيك أو الصوباشي أو القاضي أو غيرهم من مأموري الدولة أو رعاياها شيئاً منها والافيعاقب من يرتكب ذلك بشدة العقاب وعلى هؤلاء المأمورين أن يساعدوا من يخصص لاستلام الاشياء المذكورة

البند الرابع عشر لو هرب أحد الارقاء المملوكين ل أحد العثمانيين واحتفى في بيت أو مركب أحد القرساويين فلا يجبر القرساوى الاعلى البحث عنه في بيته أو مركبه ولو وجد عنده يعاقب القرساوى بمعرفة قنصله ويرد الرقيق لسيده واذا لم يوجد الرقيق بدار أو مركب القرساوى فلا يسأل عن ذلك مطلقاً

البند الخامس عشر كل تابع لملك فرنسا اذا لم يكن أقام باراضى الدولة العلية مدة عشر سنوات كاملة بدون انقطاع لا يلزم بدفع الخراج أو أى ضريبة أيا كان اسمها ولا يلزم بحراسة الاراضى المجاورة أو مخازن جلالة السلطان ولا بالشغل في الترسانة أو أى عمل آخر وكذلك تكون معاملة رعايا الدولة في بلاد فرنسا

وقد اشترط ملك فرنسا أن يكون للبابا وملك انكلترا أخيه وحليفه الابدى وملك ايقوسيا الحق في الاشتراك بمنافع هذه المعاهدة لو أرادوا بشرط انهم يملكون تصديقهم عليها الى جلالة السلطان ويطلب منه اعتماد ذلك في ظرف ثمانية شهور تمضى من هذا اليوم

البند السادس عشر يرسل كل من جلالة السلطان وملك فرنسا تصديقه للآخر على هذه المعاهدة في ظرف ستة شهور تمضى من تاريخ امضائها مع الوعد من كليهما بالمحافظة عليها والتنبيه على جميع العمال والقضاة والمأمورين وجميع الرعايا بمراعاة كامل لصوصها بكل دقة ولكي لا يدعى أحد الجهل بهذه المعاهدة يصير نشر صورتها في الاستانة واسكندرية ومصر ومرسيليا وناربونة وفي جميع الاماكن الاخرى الشهيرة في البر والبحر التابعة لكل من الطرفين انتهت المعاهدة

وبذلك صارت فرنسا الدولة الاورپاوية الوحيدة الحائزة امتيازات لرعاياها ولكن كان

هذا الاتفاق سبباً في تداخل فرنسا وباقي دول أوروبا في شؤون المملكة الداخلية خصوصاً في هذا القرن الأخير كما سيجيء وكانت هي آخر أعمال الصدر الأعظم إبراهيم باشا فان السلطان توجس منه خيفة لا زدياد نفوذه على الجنود والقواد وأزداد تحذره منه بعد حاربة العجم الأخيرة التي كان فيها إبراهيم باشا المذكور سر عسكر لجميع الجيوش فانه أمضى بعض الأوامر العسكرية بلقب سر عسكر سلطان وخسى السلطان أن تكون تلك الأعمال مقدّمات لاغتصابه الملك لنفسه فامر بقتله في ٢٢ رمضان سنة ١٠٤٢ هـ الموافق ١٨ مارس سنة ١٥٣٦ قتل وخلفه في مركز الصدارة إياس باشا بدسياسة روكسلان الروسية إحدى حظيات السلطان وسيأتي ذكر ما أتته من الدسائس والمقاسد عند الكلام على قتل السلطان لابنه مصطفى

خير الدين باشا
البحري وفتح
اقلية الجزائر
وتونس

ولنا ههنا على ملخص تاريخ خير الدين باشا البحري الذي اشتهر في كتب الافرنج باسم (بارب روس) أي ذى اللحية الصهباء وما فتحه من البلاد في سواحل بلاد الغرب وجنوب إيطاليا وإنما لم تذكر حوادثه حسب ترتيبها لعدم الفصل بها بين أعمال السلطان سليمان الخيرية في جهات النمسا غرباً وبلاد العجم شرقاً خوفاً من تشييت فكر المطالع فنقول ان أصل خير الدين باشا من أروام جزيرة (مدلى) إحدى جزائر الروم وكان هو وأخ له يدعى (أروج) يشتغلان بحرفة القراصين يجران الروم ثم أسلما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحفصى صاحب تونس واستمرّا في حرفتهما وهي أسر مراكب المسيحيين التجارية وأخذ كافة ما بها من البضائع وبيع ركابها وملاحها بصيغة رقيق وفي ذات يوم أرسل إلى السلطان سليم الأوّل إحدى المراكب الماسورة اظهاراً لخصوعهم لسلطانه فقبلها منهما وأرسل هما خلعاً سنوية وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الافرنج فقبولت شوكتهمما وأشرأت أعتاقهما لاحتلال بعض سواحل الغرب باسم سلطان آل عمان فاستولى خير الدين على نهر (شرشل) باقليم الجزائر ثم عاد إلى تونس ومنها أرسل إلى السلطان سليم الذي كان اذ ذاك بمصر رسولا يدعى (كرداوغلى) يؤكّد لديه اخلاصه وولاه للسلطنة السلطانية العثمانية أما أروج فبعد ان استولى على مدينة الجزائر نفسها وهزم الجيوش الاسبانية التي أرسلها شارليكان لمساعدة الجزائريين على محاربة أروج فتح أيضاً مدينة تلمسان وقتل بعدها بقليل في محاربة الاسبانيين لكن لم يتمكن هؤلاء من استخلاص تلمسان والجزائر بل حفظهما خير الدين وقتل أمير الجزائر وأرسل من قبله احداً بانه واسمه الحاج حسين إلى السلطان سليم (وقد كان أم فتح مصر) ليخبره بفتح مدينة الجزائر باسمه الشريف فقام به السلطان وعين خير الدين باشا بكار بك على اقليم الجزائر وبذا صار هذا الاقليم ولاية عثمانية يدعى فيه في خطبة الجمعة باسم السلطان سليم وتضرب النقود باسمه وبعد ذلك استمر خير الدين باشا في غزو مراكب الافرنج والنزول على بعض شواطئ إيطاليا وفرنسا واسبانيا واخذ كل ما تصل اليه يده من اموال وأهالي وفتح الحصن الذي أقامه

الاسبانيول في جزيرة صغيرة أمام مدينة الجزائر ثم أرسل اليه السلطان سليمان بعد تحالفه مع فرانسوا أن يكف عن مراكب فرنسا وبين وشواطئهم فحول كل قوادة على شاطئ اسبانيا وانتقم من أهلها على ما ارتكبه من الفظائع والمنكرات مع المسلمين بعد سقوط غرناطة في أيديهم وساعد كثيراً ممن بقي ببلاد الاندلس من المسلمين على الرجوع الى بلاد الغرب والاستيطان بها فراراً من اضطهاد الاسبانيول واجبارهم لهم على الخروج من دين الاسلام واعتناق الدين المسيحي مما لا يدخل في موضوع هذا الكتاب

وفي أوائل سنة ١٥٣٣ استدعاه السلطان سليمان الى الاستانة ليتفق معه على ما يلزم اتخاذه من الاحتياطات لصدد هجمات الاميرال (آندرى دور يا) الجنوى أجير شاركان فسافر ببعض المراكب ووصل القسطنطينية بعد سفر الصدر الاعظم ابراهيم باشا لمحاربة العجم بقليل فقابلته الملك وأحسن وفادته وأمره بالاستعداد وانشاء المراكب الكافية لفتح اقليم تونس فاشتغل خير الدين باشا طول الشتاء بائشاء المراكب

وفي أوائل صيف سنة ١٥٣٤ بعد ماسافر السلطان سليمان قاصداً مدينة تبريز كما مر خرج خير الدين بمرآكبه من بوزار الدردنيل غير قاصد تونس مباشرة بل عرج في طريقة على جزيرة مالطه وبعض موانئ جنوب ايطاليا لغزو مراكبها وأهلها بدون احتلالها حق لا يعلم قصده الاصلى وهو فتح تونس ثم قصد مدينة تونس في أوائل سنة ١٥٣٥ وأعلن الاهاالي انه آت لعزل السلطان مولاي حسن آخر سلالة بني حفص (١) وكان الاهاالي ناقلين عليه ليليه لشاركان ونصيب أخيه حسن الرشيد مكانه وبذلك احتل مدينة تونس ونغرها المسمى حلق الوادى بدون كثير عناء باسم السلطان سليمان العثماني

ولما وصل الامبراطور شاركان خبر سقوط تونس اتحد مع رهبنة القديس حنا الاورشليمي التي نزلت بجزيرة مالطه بعد فتح جزيرة رودس على استرجاع تونس واعادة مولاي حسن الى تحت ملكه وجمع عمارة قوية قادها هو بنفسه ونزل مع أشراف اسبانيا من نغر برشلونه في ٢٩ ما يوسنة ١٥٣٥ ووصل الى حلق الوادى في ١٦ يونيو وحاصرها هي ومدينة تونس مدة شهر تقريباً وفتحها في ١٤ يوليو واستولى على ما بقلعتها ونغرها من المدافع والمراكب وفي يوم ٢١ يوليو دخلت جيوش شاركان المدينة وصرح لهم بنهبها ففتلوا ونهبوا وفسقوا وارتكبوا كل أنواع المحرمات وهدموا المساجد وحرقوا وأغلب الكتب النفيسة وفي أول اغسطس دخلها شاركان ومنع الجيش عن هذه الاعمال فاستتب الامن وسادت السكينة وفي ثمانية منه أمضيت معاهدة بين شاركان ومولاي حسن الذي أعيد الى ملكه تقضى عليه باخلاء سبيل الارقاء المسيحيين والاباحة لجميع المسيحيين

(١) أولهم أبو محمد عبدالواحد بن أبي بكر بن الشيخ أبي حفص ولي امارة تونس في ١٠ شوال سنة ٦٠٣ ولما توفي سنة ٦١٨ خلفه ابنه زكريا يحيى وفي سنة ٦٤٧ ملك بعده ابنه أبو عبدالله محمد ولقب بالمستنصر ودعي بامير المؤمنين واستمرت هذه العائلة مالكة على اقليم تونس الى ان فتحها العثمانيون نهائياً في سنة ٩٨١ فتكون مدة حكمهم ٣٧٨ سنة

بالاستيطان في اقليم تونس واقامة شعائر دينهم بدون معارضة وأن يتنازل لشارلكان عن مدائن بونه وبنى زرت وحلق الوادى وأن يدفع له مبلغ اثني عشر ألف دوكامصار يف الحرب وأن يقدم له سنوياً اثني عشر حصاناً وقدرها من المهارة العربية علامة امتنانه بشرط انه لو خالف احدى هذه الشروط يدفع أول مرة خمسين ألف دوكا وفي الثانية مائة ألف وفي الثالثة يسقط حقه في الملك وفي ١٧ اغسطس سافر الامبراطور شارلكان تاركا في حلق الوادى ألف جندي اسبانيولى وعشرة مراكب حربية أما خير الدين باشقانه لما رأى تحزب الاهالى وميلهم لسلطانهم المعزول وعدم وجود الجنود الكافية معه وبعده عن مركز السلطنة لامداده في الوقت اللازم ارتحل بجنوده على مراكبه

اتحاد فرنسا
والدولة العلية
علي عمارية
النمسا وبعض
وقائع اخرى

ولترجع الى ذكر محالفة فرنسا مع الدولة العلية ونتائجها فنقول ان اتفاقهما كان قاضياً بأن الدولة العلية تجمل وجهة حروبها بلاد نابولى وجزيرة صقلية واسبانيا عوضاً عن مهاجمة النمسا التي تحدد جميع امارات وممالك ألمانيا للمدافعة عنها اذ هي مع استقلالها جزء من التحالف الالمانى وأن جيوش فرنسا تدخل بلاد ايطاليا من جهة (اقليم ييمونى) بشمال ايطاليا حينما تدخلها الجيوش العثمانية من جهة مملكة نابولى لكن عدم دخول جمهورية البندقية في هذا التحالف واطهارها العدوان لهم كان سبباً في عدم نجاح كل هذه التدبيرات وساعد على ذلك هياج الرأى العام المسيحي ضد التحالف القراساوى العثمانى واحجام فراسوا الاول أمام النفور العام خشية أن يرمى بالمرق عن دينه المسيحي باتحاده مع دولة اسلامية لمحاربة دولة تدين بدينه

فأراد السلطان سليمان الانتقام من جمهورية البنادقة على عدم انحيائها للتحالف مع انه راعى جوارها ولم يغز بلادها فأرسل خير الدين باشا الذى ترقى الى رتبة قبودان باشا جميع الدونمات العثمانية ومعه نحو ألف سفينة لمحاصرة جزيرة كورفو فحاصرها في شهر سبتمبر سنة ١٥٣٧ وأتى السلطان بنفسه لمناظرة الحصار لئلا يتركه أسر برفعه عنها لشدة دفاع أهلها وعدم ضياع وقته النفيس حول هذه الجزيرة الصغيرة وعاد هو الى القسطنطينية فوصلها أول نوفمبر من السنة المذكورة وأرسل خير الدين باشا لفتح ما بقي من جزائر الروم ففتح أغلبها وغزى جزيرة كريد (١) وفي عودته قابل دوناتمة مؤلفة من مائة وسبعين سفينة تقريباً يقودها اندرى روبا أميرال شارلكان فخار بها وانتصر عليها في ٢٥ سبتمبر سنة ١٥٣٨ وفي مايو سنة ١٥٣٨ جمع السلطان سليمان ببلاد الارنؤود جيشاً عظيماً مؤلفاً من مائة

(١) جزيرة شهيرة بالبحر الابيض المتوسط ذات موقع حربي من الاهمية على جانب عظيم لوجودها عند مدخل ارخبيل اليونان بحيث يكون المحتل لها كلقايش على بوغاز الدردنيل احتلها العرب مدة من الزمان ثم استرجعها الروم سنة ٩٦١ ميلادية وفي سنة ١٢٠٤ أخذها البنادقة لما فتح الصليبيون مدينة الاسطانة وفتحها العثمانيون ولم تزل تابعة لهم حتى الآن الا أنها الانخلو دائماً من الاضطرابات بسبب الدسائس ولها بعض امتيازات وتبذل مملكة اليونان وسما لضمها اليها الا أن بعض الدول ذوات الصالح في البحر المتوسط لا تسمح لها بذلك خوفاً من ازدياد نفوذ اليونان في هذا البحر

ألف مقاتل لشن الغارة على بلاد إيطاليا وكان معه ولده محمد وسليم وسفير فرنسا المسيو (دولافوري) وفي الوقت نفسه نزل خير الدين باشا بجيئنا وترانته بجنوب إيطاليا استعداداً لمهاجمتها من جهة الجنوب بينما يهاجمها السلطان سلمان من جهة الشرق وملك فرنسا من جهة الغرب لكن اجحاجم فرنسا عن التقدم أطاعة للرأى للعام كما ذكرنا كان السبب في عدم نجاح هذا المشروع الذي لو تم لكانت نتيجته دخول بلاد إيطاليا بأسرها تحت ظل الدولة العلية وانتهى الامر بان تهادن ملك فرنسا مع الامبراطور شارل كان وأمضيا مهادنة نيس سنة ١٥٣٨ أما من جهة البندقية فاستمرت الحرب بينها وبين الدولة العلية سجالات انتهت بالصلح في أواخر سنة ١٥٣٨ بتنازل البندقية عن ملقوازي ونابولي دى رومانيا من بلاد موره

هذا أما من جهة بلاد المجر فابتدأت الحروب ثانية سنة ١٥٣٧ وانتهت بانضمام جيش ألماني مرسل من قبل شارل كان تحت رياسة أشهر قواده في ٢ ديسمبر سنة ١٥٣٧ وفي سنة ١٥٣٨ عصى أمير البغدان بناء على تحريض فردينان ملك النمسا له فقهر وولى مكانه أخوه اسطفن وعززت الحماية العثمانية منعاً لحصول مثل ذلك وفي هذه الاثناء اتفق فردينان وزابولى ملك المجر على اقتسام البلاد أولى من تداخل العثمانيين في شؤونهم كسابق ووجود المجر تحت حمايتهم الامر المشين لكافة الممالك المسيحية وكانت هذه دسيسة من فردينان للايقاع بزابولى الذي قبل حماية العثمانيين له مدة من الزمن فارسل صورة هذا الاتفاق الى الباب العالي ليعلمه بعدم ولاء زابولى له

ثم مات زابولى سنة ١٨٤٠ قبل أن تقتض الدولة العلية منه على خيائته تاركاً طفلاً صغيراً ولد قبل موته بخمسة عشر يوماً فاغارت على الثغور جيوش النمسا على المجر من مزين هذه القرصة انوال ماآز بهم أى استخلاص بلاد المجر من حماية وبابعة الدولة العلية وحاصروا أرملة زابولى وابناها في مدينة بود واحتلوا مدينة بيس (١) المقاتلة لها على نهر الطونة وعدة قلاع بالقرب منها وبمجرد وصول هذا الخبر للدولة العلية قام السلطان بنفسه قاصداً بلاد المجر في شهر يوليو سنة ١٥٤١ ووصل في ٢٩ أغسطس الى مدينة بود التي رفع النمساويون عنها الحصار بمجرد سماعهم خبر قدوم السلطان وجيوشه واشتد يأس الجنود المجرية المحصورة داخلها خشية من وقوعهم بين نارين وفي اليوم التالي قدم الى السلطان سلمان ولد زابولى وفي أثناء الاحتفال بقدومه احتل الانكشارية المدينة ثم دخلها السلطان باحتفال زائد وجعل بلاد المجر ولاية عثمانية وحول أكبر كنائسها الى مسجد جامع وتعهد جلالة السلطان كتابة الى أرملة زابولى بان لا يحتل بلادها الا مدة طفولته ويعيدها له متى بلغ رشده

موت زابولى ملك
المجر وسفر
السلطان الى بود
لحاربة النمساويين

(١) مدينة شهيرة ببلاد المجر على نهر الطونة أمام مدينة بود كانت بمزول عنها صارتا مدينة واحدة بعد بناء الكوبرى الموصل بينهما وأطلق عليها اسم (بودابست)

وعقب ذلك بقليل وصل الى معسكر السلطان سليمان وقد من قبل ملك النمسا يحمل اليه
كثير من الهدايا النفيسة منها ساعة تدل على الايام والشهور وسير السكاك وعرض
عليه هذا الوفد دفع مائة ألف فلورين سنوياً جزية عن جميع بلاد المجر لوتركها له
السلطان أو أربعين الفا فقط عن الجزء المحتلة له جيوش النمسا فاجابه السلطان أن لا يتخير
معهم بخصوص الصلح الا من بعد أن يخلى فرينان القلاع المجرية التي بيده ولذا لم يتم الصلح
وبقي العدوان مستمراً وبعد ذلك بأيام قلائل وصل الى السلطان سفير فرنساوى يخبره
باستئناف الحروب بين فرنسا وشارلكان وأنه يسعى في تجديد التحالف بين الدولة
والباب العالي لمخاربة شارلكان ومما يدل على ضعف سياسة فرانسوا الاول وعدم ثباته أنه
بعد أن أمضى مع شارلكان هدنة (نيس) ساعده أيضاً لدى الدولة العثمانية للحصول على
هدنة بينهما وبينه وكتب في سنة ١٥٣٩ بذلك خطابا للسلطان سليمان فجاوبه السلطان انه
لا يهادنه الا اذا رد له (الملك فرنسا) جميع القلاع والحصون التي فتحها ولما لم يقبل شارلكان
ذلك فمرت العلاقات بينهما وصارت الحرب قاب قوسين أو أدنى (سنة ١٥٤١) وأرسل
المسيو (رلسون) الى القسطنطينية ليتفق مع السلطان على الترتيبات الحربية اللازمة
وفي أثناء مسير هذا السفير من اقليم ميلان قتله أحد أعوان حاكم هذا الاقليم التابع
لشارلكان وبناء على أوامره طمعا في العرش على أوراق معه للسلطان يوجد بها مايس
الدين المسيحي فينشرها بين ملوك وأمرأه أوروبا ليوغر صدورهم عليه ويتركوه بلا مساعدة
فيفوز هو بالغلبة عليه لكن خاب مسعاه حيث لم يجد معه أوراقا من هذا القبيل بل أهرق
دم السفير هدرأ

ولما بلغ فرانسوا الاول خبر قتل سفيره أرسل بدنه أحد ضباطه المسيو بولان الى
السلطان سليمان يطلب منه مساعدته على محاربة شارلكان بسفنه وقائدها خير الدين باشا
فتوّد السلطان أولاً لعدم ثبات ملك فرنسا وضعف عزيمته وقبل أخيراً بناء على الحاح
السفير وتعضيد خير الدين باشا له لا سيما وقد وصل اليه خبر مهاجمة شارلكان بجيوشه لمدينة
الجزائر وارتداده عنها خائباً في ٣١ أكتوبر سنة ١٥٤١ وفي ربيع سنة ١٥٤٣ سافر
السلطان بجيوشه الى بلاد المجر لاستئناف المحاربات وفي الوقت نفسه أقبل خير الدين باشا
من مياه الاستانة بمراكبه ومعه السفير الفرنسي بولان قاصداً مرسيه احدى مين
فرنسا الجنوبية فوصلها بعد أن غزى في طريقه سواحل جزيرة صقلية وقوبل من
الفرنساويين بكل تجلة واكبار وانضمت سفنه الى سفنهم ومنها أقلعوا الى مدينة نيس
فحاصروها من جهة البحر وفتحوها عنوة في ٢١ جمادى الاولى سنة ٩٥٠ الموافق ٢٠
أغسطس سنة ١٥٤٣ ولوقوع الشجناء بين العسكريين لم يتم احتلالها
ثم أذن لخير الدين باشا ومراكبه بتضمية فصل الشتاء في ميناء طولون (١) بفرنسا وأعطى

(١) مدينة شهيرة في جنوب فرنسا على البحر الايض المتوسط بها مرسي سفنها الحربية وفي سنة ١٧٩٣

سفر الدونانحة
العثمانية الى
فرنسا وفتح
مدينة نيس

له ثمانمائة ألف ريال فرانسواوى للصرف على جنوده
وفي ربيع من السنة التالية سنة ١٥٤٤ رفض فرانسوا الاول مساعدة العمارة العثمانية
له لمياج جميع المسيحيين عليه ونسبتهم اياه المروق عن دينه لاستعانتهم بالمسلمين وأبرم مع
شارلكان في مارت سنة ١٥٤٤ معاهدة (كريسى) القاضية بالصلح فعاد خير الدين باشا
الى القسطنطينية وتوفي سنة ٩٥٣ هـ الموافق سنة ١٥٤٦ م ودفن بحجة بشكطاش على شاطئ
البوسفور في الحبل المعد لمرسى الدونائمات العثمانية

ارام الصلح مع
النمسا

أمان جهة النمسا فاستمر القتال بينهما وبين العثمانيين مدة من الزمن كان النصر فيها
غالباً في جانب الجنود المظفرة الاسلامية وأخيراً ابتدئ في المخابرات بين الطرفين للتوصل
الى عقد صلح مرضي لكل منهما واستمرت المخابرات جارية الى سنة ١٥٤٧ لعدم اتفاقهما
وسمى سفير فرانسوا المسيو جبريل درامون في عدم الوصول الى الوفاق طمعاً منه في تجديد
علائق الافة بين دولته والدولة العلية لكن وفاة فرانسوا الاول في شهر مارت سنة ١٥٤٧
ساعدت على تمام الصلح فتم الامر بينهما في ١٩ يونيه (أول جمادى الاولى سنة ٩٥٤)
على هدنة خمس سنوات بشرط أن يدفع فردينان ملك النمسا جزية سنوية مقدارها ثلاثون
ألف دوكان نظير ما بقى تحت يده من بلاد المجر (١) وأن تبقى بلاد المجر تابعة لابن زابولي
أميرها الاخير تحت وصاية أمه (ايزابلا) ورعاية الدولة العلية

هذا ولندكر ما حصل في هذه المدة من الحروب في جهات آسيا فنقول انه حضر الى
دار الخلافة العظمى سنة ١٥٣٧ سفير من قبل صاحب دهل بالهند يستنجد ضد همايون
ابن ظاهر الدين محمد الشهير ببار صاحب دهل وآخر من قبل صاحب الجوزرات بالهند
أيضاً يطلب منه المساعدة ضد البرتغاليين الذين أغاروا على بلاده واحتلوا أهم ثغورها

فتح عدن

فارس السلطان أوامره الى من يدعى سلمان باشا الى مصر اذ ذاك بتجهيز عمارة بحرية
بشرف السويس على البحر الاحمر لمحاربة البرتغاليين وفتح عدن (٢) وبلاد اليمن حتى
لا تستولى عليها البرتغال أو أى دولة أوروبية أخرى فتصير حجرة عثرة في سبيل تقدم الدولة
العلية في جهات الشرق وقاعدة لاعداء الدولة التي تحتلها ضد مصر فصعد سلمان باشا
بأمره وشيد عمارة بحرية هائلة مؤلفة من سبعين سفينة في أقرب وقت وسلاحها بالمدايع

سلمها المحاربون للملوك الى الانكليز ثم استردها الفرنسيون في ديسمبر من السنة المذكورة بهمة واستعداد
بابليون يونايرت التي كانت هذه الواقعة فتحة أعماله ومقدمة انتصاراته

(١) قد استمرت النمسا على دفع الجزية للدولة العلية الى سنة ١٦٩٩ فبطلت بمقتضى معاهدة كارلوفتس
(٢) بحيث جزيرة بجنوب بلاد اليمن وبها مدينة مهمة بالنسبة لمركزها المتوسط بين مصر والهند ولقربها
من بوغاز باب المندب ولذلك تنازعها الفاتحون وأخيراً فتحها العثمانيون كما رأيت ثم خرجت من تحت
سلطتهم وتناوبتها أيدي كل من تغلب على اليمن من العرب وغيرهم وفي سنة ١٨٣٩ احتلها الانكليز
وأقاموا بها مستودعاً للفحم الحجري وزادت أهميتها بالنسبة لهم بعد فتح بوغاز السويس واتخاذ مراكزهم
هذه الطريق لانها أفضل الطرق الى هندهم التي هي لهم بمثابة الروح من الجسد

الضخمة وسار بها في يونيه سنة ١٥٣٨ ومعه عشرون ألف جندي وفتح مدائن عدن ومسقط وحاصر جزيرة هرمز عند مدخل المعجم ثم قصد سواحل الجوزرات وفتح أغلب الحصون التي أقامها البرتغاليون هناك لكن أخفق أمام نغر (ديو) بعد أن حاصره مدة ثم قفل راجعاً بالغنائم وفتح في أيامه باقي إقليم اليمن وجعل ولاية عثمانية

وفي سنة ١٥٤٧ قبل إتمام الصلح مع النمسا أتى إلى الباب العالي أخ لشاه المعجم يدعى (القاصب مرزا) وطلب من السلطان أن يجاده ضد أخيه الذي اهتمهم له حقوقاً فاتهمز السلطان هذه الفرصة لتجديد الاغارة على بلاد المعجم وانتظر ريثما يتم الصلح باوروبا ويهدأ باله من جهتها

دخول العثمانيين
مدينة تبريز ثالث
دفعة

وفي أوائل سنة ١٥٤٨ سار بجيوشه قاصداً مدينة تبريز فدخلها ثالث دفعة وفتح في طريقه الجزء التابع للمعجم من بلاد السكرد وقلعة (وان) الشهيرة وعاد يحفر به النصر والظفر إلى القسطنطينية في ديسمبر سنة ١٥٤٩ أما القاصب مرزا فأخذ أسيراً في إحدى الوقائع

الحربية بعد أن سار مع جيش من الأكراد إلى قرب مدينة أصفهان ولم تدم السكنية في ربوع بلاد البحر والمسايد سبعة رهاب يدعى مارتنوزي كانت قرينته اليها الملكة (إزابيلا) بناء على وصية زوجها لها قبل موته فانه سعى في التوفيق بين الملكة وفردينان ملك النمسا حتى انه تحصل بقوة دهائه وسلطته الدينية على أن تنازلت الملكة إلى فردينان عن إقليم ترانسلفانيا ومدينة تسفار خلافاً لشروط الهدنة وسير فردينان جيشاً نمساوياً لاحتلالهما وفي أثناء هذه المخبرات كان الراهب يكتاب السلطان سليمان ويظهر له الاخلاص وصدق الولاء لكن لم تخف حقيقة الامر على السلطان بل علم بهذا التنازل المخالف للعهد وأرسل على الفور جيوشه المظفرة للمحافظة على تفاذ شروط الهدنة وارجاع النمساويين إلى حدودهم فأرسل جيشاً مؤلفاً من ثمانين ألف جندي إلى بلاد البحر في شهر سبتمبر سنة ١٥٥١ ولم يقابل هذا الجيش في طريقه مقاومة تذكر بل فتح بكل سهولة القلاع والحصون المحتلة لها جيوش النمسا لاختلاء النمساويين لها عند اقتراب الجنود العثمانية اليها ودنوها منها ولما رأى الراهب مارتنوزي أفول نجمه وععدم نجاحه في الحصول على مرغوبه أراد السعي لدى السلطان سليمان مظهرأ له ميله لمساعدته في اخضاع إقليم ترانسلفانيا الذي قاوم الجيوش العثمانية مقاومة شديدة طمعاً في أن يعين هو والياً عليها فأحس فردينان بخيائته ودس عليه من قتله في ديسمبر سنة ١٥٥١

وفي سنة ١٥٥٢ انتصر العثمانيون على النمساويين في عدة وقائع وفتح الوزير الداني احمد باشا مدينة (تسفار) وحاصرت الجيوش بعد ذلك مدينة (ارلو) (١) ببلاد النمسا الحصينة مدة

(١) مدينة صغيرة ببلاد البحر واقعة في الشمال الشرقي لمدينة بود على مسافة مائة كيلو متر وتماين اشتهرت في التاريخ بصدهجمات العثمانيين والزامهم رفع الحصار عنها في سنة ١٥٥٢ لكن فتحها العثمانيون عنوة سنة ١٥٩٦ وبعد صلح سنة ١٦٠٦ صارت تتبع النمسا تارة وامارة ترانسلفانيا تارة أخرى واسمها بلفة البحر البحر

من الزمن ثم رفع عنها الحصار لمنعتها وعدم وجود الوقت الكافي لتشديد الحصار عليها واجبارها على التسليم بمنع المؤونة عنها لاقترب فصل الشتاء وشدته في هذه الاقاليم وفي أثناء ذلك كان القبودان (طرغول) الذي أخلف القبودان الشهير خير الدين باشا في غزو صراكب الافرنج وشواطئ بلادهم حاز شهرة عظيمة في الحروب البحرية وخافت بأسه جميع دول الافرنج المعادية للدولة العلية وحفظ اسم البحرية العثمانية من السقوط بموت رئيسها بل ومؤسسها الأكبر خير الدين باشا

وبعد موت السلطان فرانسوا الأول ملك فرنسا حذولده هنري الثاني حذوه ونسج على منواله في موالاة الدولة العلية والمحافظة على محبتها وتوثيق عرى الالفة والاتحاد معها للاستعانة بحريتها عند الحاجة فأبقى المسيو جبريل درامون سفيراً له بدار السعادة وامره بمرافقة السلطان في حملته الاخيرة على بلاد المعجم فراققه وفي عودته زار بيت المقدس فقابل به الرهبان والقسوس بكل احتفال لتأييد المعاهدات السابقة القاضية بجعل جميع السكاوتليك المستوطنين باراضي الدولة العلية تحت حماية فرنسا ثم عاد الى فرنسا فوجد نيران الحرب قد اشتعلت ثانياً بينها وبين النمسا فعاد الى القسطنطينية واتفق مع الباب العالي على أن تحمد الدونامة التركية مع العمارة الفراساوية لفتح جزيرة كورسيكا (١) مجازاة لاهالي جنوه المحتلين لها على مساعدتهم لشارلكان ولتكون مركزاً لاعمال الدونانتين في غزو سواحل اسبانيا واطاليا وأبرمت بذلك معاهدة بتاريخ ١٦ صفر سنة ٩٦٠ الموافق أول فبراير سنة ١٥٥٣ وهذا نصها مترجمة عن مجموعة البارون دي تستا السابق ذكرها

ان جلالة السلطان سليمان وهنري دى فالوا الثاني ملك الفرانك قد أبرما اتحاداً مشتملاً على العبارة الاتية بخصوص الحرب البحرى (جعل الله حميد العاقبة) الذى سيشرعان فيه ضد الامبراطور شارلكان

في البند ١ بما أن جلالة السلطان سليمان الترك بارساله عمارة بحرية في بحر التوسكان ضد الامبراطور شارل الخامس قد أمان بذلك هنري دى فالوا مدة سنتين بناء على طلبه المتكرر في بادىء الامر وبالمخصوص بناء على ترجيانه البالغة أقصى درجات الخض فقد اتفق بان الملك هنري يدفع ثلاثمائة الف قطعة من الذهب بصفة متأخر مرتب الدونامة وذلك حين ماتصير الملاحة مأمونة لنقل النقود بالعمارة وأن السفن الحربية التابعة للملك هنري لا تتباعد عن العمارة المذكورة وتعتبر كأنها مرهونة نظير المبلغ المذكور حتى يدفع لاميرال عمارة السلطان سليمان

(١) احدى جزائر البحر الابيض الكبيرة وأقربها لفرنسا احتلها المسلمون مدة وصارت أخيراً تابعة لجمهورية جنوة وفي سنة ١٧٦٨ تنازلت عنها هذه الجمهورية للوزير الخامس عشر ملك فرنسا وفي سنة ١٧٩٣ احتلها الانجليز ثم استردتها فرنسا سنة ١٧٠٦ ولم تنزل تابعة لها حتى الآن وبها ولد نابليون الاول امبراطور فرنسا في سنة ١٧٦٩ أى بعد تنازل جنوه عنها لفرنسا بسنة واحدة

معاهدة سنة
١٥٥٣ بين
الدولة العلية
وفرنسا

﴿ البند ٢ ﴾ متى توفر هذا الشرط بوجه العدالة فان جلالة سلطان الترك سليمان يقوم تجهيز ستين مركبا حربيًا ذات ثلاثة صفوف و ٢٥ قرصانا بحريا ويرسلها للملك هنري في مدة أربعة شهور متوالية من ابتداء أول مايو القابل

﴿ البند ٣ ﴾ أما في حالة ما اذا أراد هنري دى فالوا أن يستعمل العمارة المذكورة في أثناء هذه المدة للاستعانة بها على الجهات الغربية أى الجهات الواقعة من ابتداء كروتون لغاية (جاءت) فانه يقوم بدفع مائة وخمسين ألف قطعة من الذهب الى جلالة سلطان الترك سليمان بغاية من الضبط

﴿ البند ٤ ﴾ كل سفينة تابعة للإمبراطور أو للمتحالفين معه سواء كانت معدة للتقل أو كانت من المراكب الخفيفة وسواء كانت سفنا حربية صغيرة أو كبيرة فمجرد وقوعها أسيرة لدى العمارة العثمانية تصير من تلك اللحظة ملكا للسلطان سليمان ملك الترك

﴿ البند ٥ ﴾ المدن والقصبات والقرى والكفور التى تتغلب عليها هذه العمارة تكون مباحة غنيمة للترك وجميع سكانها راشدين أو قاصرين رجالا كانوا أو نساء ولو أنهم معتنقون الديانة المسيحية ويكونون قد سلموا أنفسهم باختيارهم فانه لا بد من تركهم أسراء وعبيدا للترك بمقتضى واجبات الاتفاق الصريحة بهذا الصدد التى قررها الامر بين السلطان سليمان وبين فرانسوا أبى هنري من منذ سبع عشرة سنة الآن امتلاك هذه المدن والقصبات والقرى والكفور والمؤن والذخائر وكذلك مدافع البرونز صغيرة كانت أو كبيرة مع جميع متعلقاتها من حيوانات وغيرها التى توجد فيها فانها تترك للملك هنري بموجب هذه المعاهدة

﴿ البند ٦ ﴾ اذا أصدر الملك هنري أمره الى عمارة جلالة السلطان سليمان بان تحارب شارل ملك النمسا غير متجهة نحو الغرب بل نحو الشرق والجنوب ويقصد بذلك مسيرها في الشواطىء من عند مصب نهر ترونتو لغاية كروتون بحيث ان هذه العمارة تقوم بإعلاء أوامر هنري بدون مقابل فقد اتفق على أن المواد الحربية ومؤنات المدن والقصبات التى تقع تحت يد الترك يتنازل عنها للملك هنري ولكن المدن والقصبات والقرى والكفور فانها تترك غنيمة للترك كما تقرر ذلك بالبند السابق وأما الوطنيون والمزارعون والقاطنون بالبلد والناصرين والرجال منهم والنساء فانهم يسلمون للأسر بدون معارضة حتى ولو كانوا ممن يعتنقون الديانة المسيحية بل ولو كانوا ممن أسلم نفسه بمحض ارادته

﴿ البند ٧ ﴾ يمكن لاميرال جلالة الملك سليمان أن يستولى ويأسر باسم مليكة الانغم كل مكان تقدم عليه العمارة التركية المظفرة متى رأى ثمة من فائدة وذلك من ابتداء حدود نهر ترونتو لغاية أوترانت وكروتون ومن ثم لغاية صقلية وقابولى وعموما جميع الاقاليم المملوكة للإمبراطور شارل الخامس ملك النمسا سواء كان ذلك المكان داخل الاراضى أو سواء كان مدينة أو قسبة أو قرية أو كفراً أو ميناء أو خليجاً وله الحق في الاستيلاء على أى

سفينة يصادفها وله أن يغزو بل وأن يهبط ويأسر الرجال والنساء البالغين وأالقاصرين حتى أنه يمكنه متى شاء أن يحافظ ويملك جميع ما يفتنمه سواء كان من بني الإنسان أو المدن أو البيوت الخلوة وأن يعدها ويستعملها لاحتياجاته ولوضد رغبة الفرنك وبالرغم عن مضادتهم الشديدة في ذلك

البند ٨ ✽ إذا تحصيل جلالة السلطان سليمان على ملك إحدى الأربعة مدن مع حصنها في إقليم (البوى) بواسطة مساعى فردينان سنسيفرن برنس دى سالرنتين بمقتضى تعهد هذا الأمير لجلالة السلطان سليمان يعيد الى هنرى مبلغ الثلاثمائة ألف قطعة من الذهب التى ضمن له كما تقدم دفعها وذلك في حالة ما اذا كانت دفعت اليه

البند ٩ ✽ جلالة السلطان سليمان يسلم غدا عن ذلك الثلاثين سفينة حربية ويهاجرتها بدون أدنى فدية وكذا المدافع والمؤن وجميع المواد ويستثنى من ذلك رجال بحريته المخصوصيون وعساكره كما وأنه يدفع في أقرب وقت لبرنس سالرن الذى بذل نفسه وكل ما فى وسعه للحصول عليها وكان نصيبه أن يحرم من منصبه وطرد من وطنه ويمنه مبلغ الثلاثين ألف قطعة من الذهب التى صرفها بكل ارتياح وكرم

فهذه البنود بالحالة التى هى مكتوبة بها أعلاه قد وضحت بحسب ما جرت به العادة بكلام مضبوط لا يقبل التأويل بواسطة أرامونت سفير هنرى لدى جلالة السلطان سليمان الذى أضاف اليها قسماً صريحاً بحضور برنس سالرنتين بصحة كونه نائباً أميناً ومن جهة أخرى فقد تصدق عليهما من رستم باشا بموجب السلطة الممنوحة له من لدن جلالة السلطان سليمان

وقد أبرم جميع ذلك واتفق عليه بالقسطنطينية في أول فبراير سنة ١٥٥٣ فسارت مراكب الدولتين وفتحت جزيرة كورسيكا بعد شن الغارة على بلاد كلابريا وجزيرة صقلية (١) من أعمال إيطاليا لكن لوقوع النفرة بين القائدين لم يستمر احتلالها بل افتقرت العمارتان ورجع القبودان العثماني الى الاستانة

وكانت هذه آخر دفعة حارب فيها العثمانيون والفرنساويون كتفالكثف لتغير الظروف والاحوال حتى أنتت حرب القرم الأخيرة التى حصلت في أواسط هذا القرن وحاربت فيها فرنسا وانكلترة مع الدولة العلية دولة الروس لادفاعا عن الدولة العثمانية بل لاضعاف

الروسيا حتى لا تتمكن من الاستيلاء على بوزار البوسفور كما سياتى مفصلاً ولندكر هنا حادثة شنيعة وهى قتل السلطان لولده الأكبر مصطفى بناء على دسيسة إحدى زوجاته المسماة في كتب الأفرنج وركسلان أما في كتب الترك فاسمها (خورم) أى الباسمة

(١) هي أكبر جزائر البحر المتوسط وواقعة في طرف مملكة إيطاليا وعاصمتها مدينة بالرمه واحتلتها العرب عدة قرون في أيام دولة بني الاغلب والفاطمين بثونس ثم استقلت وهي الآن تابعة لمملكة إيطاليا وبها ولد المؤرخ الشهير ديودور الصقلي وغيره من فحول الرجال

ذلك حتى يتولى بعده ابنها سليم ولما لها من الثقة بالصدر الاعظم رستم باشا اذ كان تعيينه بمساعدها لدى السلطان بعد موت اياس باشا وما زالت تساعده حتى زوجه السلطان ابنته منها كاشفته بمرغوبها وهو عميد الطريق لتولى ابنها سليم فانتهز هذا الوزر فرصة انتشار الحرب بين الدولة ومملكة العجم في سنة ١٥٥٣ ووجود مصطفى ضمن قواد الجيش وكتب الى أبيه بأن ولده يمرض الانكشارية على عزله وتنصيبه كما فعل السلطان سليم الاول مع أبيه السلطان بايزيد الثاني فلما وصل هذا الخبر الى السلطان وكانت والدته سليم قد تمكنت من تغيير أفكاره نحوه قام في الحال قاصداً بلاد العجم متظاهراً بأنه يريد أن يتولى قيادة الجيش ولما وصل الى المعسكر استدعى ولده المسكين الى سرادقه في يوم ١٢ شوال سنة ٩٦٠ هـ الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٥٥٣ و بمجرد وصوله الى الداخل خنقه بعض الحجاب المتوطنين بتنفيذ مثل هذه الاوامر فقتل رحمه الله شهيداً دسائس زوجة والده وعدم ثبوت أبيه مما نسب اليه وكانت هذه الشبهة السوداء نقطة سوداء في تاريخ السلطان سليمان الذي اتسعت دائرة السلطنة في أيامه ولولا دسيسة هذه المرأة الاجنبية التي ربما كانت مؤجرة لهذه الغاية لبقى اسمه لا تشوبه شائبة ثم نقلت جثته هذا الشهيد الى مدينة بورصة ودفنت مع جثث أجداده ولم تكف هذه المرأة البربرية الطباع بقتل مصطفى سلطان بل أرسلت الى مدينة بورصة من قتل ابنه الرضيع وقال في ذلك بعض الشعراء

يادهر ويحك ما بقيت لي جليداً * وأنت والد سوء تأكل الولدا

وكان رحمه الله محبوباً لدى الانكشارية لشجاعته ولدى العلماء والشعراء لاشتغاله بالادب وميله الى الشعر فرائه كثير من الشعراء بقصائد رنانة ولم يخشوا سطوة أبيه

أما الانكشارية فخاروا وطلبوا من السلطان قتل الوزر رستم باشا المدبر لهذه المكيده حبا في حفظ منصبه فزاله السلطان تسكيناً لخطايرهم وولى مكانه الوزر أحمد باشا لكن لم يبدأ بالزوجه السلطان حتى أغرت زوجها على قتل هذا الوزر وارجاع رستم باشا مكافأة له على تنفيذ سىء أغراضها

وبعد قتل هذا البريء توجهت الجيوش الى بلاد العجم ولم يحصل في هذه المرة وقائع مهمة بل بعد ان غزت الجيوش العثمانية بلاد شروان بدون فائدة تذكر مال القرىقان للصالح فتم بينهما في ٨ رجب سنة ٩٦٢ الموافق ٢٩ مايو سنة ١٥٥٥ على أن يباح للاجاجم الحج الى بيت الله الحرام ويأولوا مذهبيهم بدون تعرض وكان للسلطان سليمان ابن آخر اسمه (جهانكير) حزن حزناً شديداً على قتل أخيه مصطفى حتى توفي شهيداً المحبة الاخوية بعد موت أخيه بقليل واختلف في موته فقيل انه قتل نفسه أمام والده بعد أن بكته على قتل أخيه وقيل غير ذلك

وبعد ذلك بقليل توفيت هذه المرأة التي سودت بدسائسها آخر سن في حكم السلطان سليمان الذي اشتهر قبل ذلك بكل الكمالات

ولم تكن هذه الحادثة خاتمة القضاة بل أعقبها بقتل ابنه الثاني بايزيد وأولاده الخمس وذلك ان
مرى بايزيد المدعو (لاله مصطفى) عين ناظر خاصة بسلم سلطان ولكون هذا الامير كان
يخشى مزاحمة أخيه بايزيد في الملك بعدموت أبيهما كاشف لاله مصطفى بأنه يريد اغتار
صدرابه على بايزيد ليقته ويكون هو (سليم) الوارث الوحيد للملك آل عثمان فأخذ مصطفى
يبحث عن الطريقة الموصلة لهذه الغاية المشؤمة حتى هداه شيطان عقله وابليس سريره الى
أن يكتب لبازيد يقول له ان سلما منهمك في الشهوات ولا يليق أن يخلف والده ومع ذلك
فوالده مصمم على استخلافه مع عدم أهليته للملك وعدم استعداده للخلافة فتبادلت بينهما
المكاتبات بشأن ذلك وأخيراً كتب بايزيد الى أخيه سليم خطابا به بعض عبارات تمس
كرامة والدهما فإرسل سليم الخطاب لابيه ولما اطلع السلطان سليمان على هذا الخطاب غضب
غضباً شديداً وكتب لبازيد يوبخه على ما أتاه ويأمره بالانتقال من قونية التي كان معيناً والياً
عليها الى مدينة اماسية فخشى بايزيد أن يكون قصداً بيه الغدر به وامتنع عن التوجه الى اماسية
وجمع جيشاً يبلغ عدده عشرين ألف لاسمة وأظهر التمرد فأرسل اليه أبوه الوزير محمد باشا الملقب
بصفه الى محاربته فتيق بال الجيوشان بقرب قونية واستمر القتال يومى ٣٠ و ٣١ مايو سنة
١٥٦١ وأخيراً هزم بايزيد وتقهقر الى اماسية ومنها الى بلاد العجم حيث التجأ هو وأولاده
الى الشاه طهماسب فقبله وأظهر له الاخلاص والاستعداد للحماية لكنه كاتب السلطان
سليمان وابنه سليمان سرّاً على تسليم بايزيد وأولاده اليهما مع انهم احتموا بحماه ولم يرع
ذمتهم بل خنهم وسلمهم الى رسل السلطان فقتلهم جميعاً وهم بايزيد وأولاده الاربع أورخان
ومحمود وعبدالله وعثمان في مدينة قزوين ببلاد العجم في ١٥ محرم سنة ٩٦٩ الموافق ٢٥
سبتمبر سنة ١٥٦١ ونقلت جثثهم الى مدينة سيواس حيث واروها الثرى وكان لبازيد
ابن صغير في مدينة بورصة فخنق أيضاً ودفن في جانب والده واخوته
هذا أمان جهة البحر فلم تنقطع الحروب بينهما وبين الدولة العلية وكذلك الخبايا كانت غير
منقطعة للوصول الى الصلح ولا حاجة لنا في تفصيل الوقائع التي حصلت بين الجيشين لعدم وجود
قائدة في ذلك سوى ملال المطالع بل نكتفي بالقول انه في سنة ١٥٥٥ حصلت هدنة بين
الطرفين لستة أشهر ومثلها في سنة ١٥٥٧ وفي شهر يونيو سنة ١٥٦٢ تم الصلح بينهما لمدة
ثمانية سنوات بشرط استمرار النمسا على دفع الجزية السنوية التي قررتها المعاهدات
السابقة وساعد على ذلك حب سميز على باشا الذي أخلف رستم باشا بعد موته في منصب
الصدارة العظمى للسلم وعدم ميله لسفك الدماء
ومع ذلك فلم تنقطع المناوشات بالمرّة على حدود النمسا والمجر بل استمرت بنوع غير رسمي وبعد
هذا الصلح الا وهى من بيت العنكبوت لما بين العنصرين المتجاورين من عوامل البغضاء
تمكن السلطان من توجيه اهتمامه الى تعزيز سدة الحربية لحماية الجزائر وطرابلس الغرب
الى افتتاحها طرغول في غضون سنة ١٥٥١ الموافقة لسنة ٩٥٨ لبعدها عن مقر الخلافة

العظمى وطموح أنظار اسبانيا الى ارجاعها اذ أن محتلمها يكون دائماً مهدداً لسواحل اسبانيا ونابولي التي كانت تابعة لاسبانيا في هذا الحين

حصار جزيرة
مالطة

فعزيزت الدولانات العثمانية وفي أوائل سنة ١٥٦٥ أرسلت عمارة بحرية مؤلفة من نحو مائتي سفينة لفتح جزيرة مالطة مقر رهبنة القديس حنا الاورشليمي لاهمية هذه الجزيرة الواقعة بين اقليم تونس وجنوب ايطاليا وضرورة احتلالها السكل دولة تر يد أن تكون لها اليد الطولى على البحر الابيض المتوسط فابتدى حصارها في شهر مايو من السنة المذكورة واستمر نحو الاربعة شهور بدون أن يكون موت القبودان الشهير طرغول المعروف عند الافرنج باسم دراجوت في أثناء الحصار سبباً في عدم استمراره ولما قرب فصل الشتاء الذي تكثرت فيه الزوابع البحرية رفع الحصار عنها في ١١ سبتمبر سنة ١٥٦٥ وعادت السفن بحيوشها الى دار السعادة

فتح مدينة
سكودار

وفي أثناء ذلك قامت الحرب على قدم ببلاد الجرجلان مكسمليان (١) الذي خلف والده فردينان ملك النمسا بعد موته سنة ١٥٦٤ احتل مدينة نوكاى (٢) من أعمال الجرجر مقابلة احتلال اسطيفن زابولى ملك الجرجلان حدى مدائنه ولان الصدر الاعظم الطويل محمد باشا الذي تولى منصب الصدارة عقب موت سميز على باشا كان محباً للحرب لانه من صقلية البشناق الميالين للقتال والجلاد

ومع ان السلطان كان يتالم من داء النقرس تقلد بنفسه رئاسة الجيش في تاسع شوال سنة ٩٧٣ الموافق ٢٩ ابريل سنة ١٥٦٦ م وسار اصد هجمات النمسا عن بلاد الجرجر التابعة له سيادة وعند ما وصل اليها قابله ملكها الشاب اسطيفن فاحسن اليه وأكرم مثنواه ووعدته انه لن يبرح حتى يعيد له ما اغتيل من بلاده ثم قام بصحبته قاصداً قلعة (ارلو) الشهيرة التي عجز عن فتحها قبل ذلك التاريخ باربع عشرة سنة كما سبق ذكره لكن بلغه في أثناء الطريق ان أمير سكودار (٣) تغلب على فرقة من جيوشه فاراد أن يغزو بلاده قبل محاصرة قلعة (ارلو) فسار الى مدينة سكودار وابتدأ في حصارها وفي أقل من أسبوعين احتل معاقها الامامية وبعد ذلك أخلى المحصورون المدينة خفية واحتتموا بقلعتها مصرين على الدفاع عنها لا آخر رفق

موت السلطان
سليمان

وفي أوائل شهر سبتمبر اشتد مرض السلطان وتوفي في ٢٠ صفر سنة ٩٧٤ الموافق ٥ سبتمبر سنة ١٥٦٦ عن أربع وسبعين سنة قمرية أى بعد حصار المدينة بنحو خمسة شهور وكانت مدة ملكه ثمانية واربعين سنة قضاه في توسيع نطاق الدولة واعلاء شأنها حتى بلغت في أيامه أعلى درجات الكمال واخفى الوزير خبر موته خوفاً من وقوع الفشل في

- (١) هو مكسمليان الثانى ابن فردينان الاول ولد سنة ١٥٢٧ وأخلف والده سنة ١٥٦٨ وتوفي سنة ١٥٧٦ ولم يحصل في أيامه شيء يذكر سوى محارباته مع الدولة العلية المنفصلة في هذا الكتاب
- (٢) مدينة صغيرة ببلاد الجرجر شهيرة بما يصر فيها من اللذات الذى يصدر منها الى جميع جهات الدنيا
- (٣) مدينة ببلاد الجرجر تسمى (زيجت) وذكر في تاريخ القرماني باسم سكودار

المعسكر وأرسل لولده سليم بمدينة كوناويه يخبره بذلك ويطلب منه الحضور على جناح السرعة الى الاستانة منعاً للقلاقل وفي يوم ٨ سبتمبر هجم العثمانيون على القلعة واحتلوها عنوة وفي انتهاء القتال حصلت فرقة عظيمة انفجرت بسببها أرض القلعة وانهدم بناؤها على من بها من طرفي المتحاربين وذلك أن المحصورين لما رأوا أن لا مناص لهم من الانهزام أو الموت دبوا هذه المسكدة بأعمال عدة ألغام أشعلوها بعد احتلال العثمانيين أياها حتى يموتوا ويهلك كافة من دخلها من جنود العثمانيين وأعلن الوزير هذا الانتصار لكافة الجهات باسم الملك حرصاً على عدم اذاعة موته الذي لم يذعه إلا بعد أن أتت اليه أخبار أكيدة من الاستانة بوصول ولده سليم اليها واستلامه مهام الاعمال بها

واشتهر المرحوم السلطان سليمان بالقانوني لما وضعه من النظمات الداخلية في كافة فروع الحكومة فدخل بعض تغييرات في نظام العلماء والمدرسين الذي وضعه السلطان محمد الفاتح وجعل أكبر الوظائف العلمية وظيفة المفتي وقسم جيش الانكشارية الى ثلاث فرق بحسب سني خدمتهم وجعل مرتب كل نفر من الفرقة الاولى من ثلاثة غروش الى سبعة غروش يومياً والثانية من ثمانية غروش الى تسعة غروش يومياً للنفر الواحد وفي الثالثة المؤلفة ممن أصيبوا بآفات دائمية جعل مرتب النفر منهم ثلاثين غرشاً الى مائة وعشرين غرشاً شهرياً وكان عدد الجيش عند وفاته ثلاثمائة ألف منها خمسون ألفاً من الجيش المنتظمة والباقية غير منتظمة وعدد المدافع ثلاثمائة والسنن الحربية ثلاثمائة أيضاً وتقدمت الفتوحات في أيامه تقدماً عظيماً لم تحصل اليه بعده وبلغت الدولة أوج سعادتها وأخذت بعده في الوقوف تارة والتقدم أخرى حتى وصلت الى الحالة التي عليها الآن لجملة أسباب منها زيادة الثروة بسبب الفتوحات العديدة والغنائم الكثيرة ولا يخفى أن الثروة تورث غالباً المفاخرة في المصروف والتعالي في الزهو والتزف وكل أمة سادت فيها هذه الخصال لا بد لها من التأخر ومنها أن الانكشارية كانوا لا يخرجون الى الحرب إلا إذا كان السلطان معهم ولذا كانت أهم الحروب والغزوات تحت إمرة السلطان وقيادته لانه ان لم يخرج بنفسه لما حاربت الانكشارية التي علمها المدار الاول في الحروب فغير السلطان سليمان هذه السنة الحميدة وأجاز للانكشارية القتال تحت إمرة قائدهم الأكبر ولولم يكن السلطان موجوداً فكان هذا التغيير سبباً في تقاعس أغلب من خلقه من السلاطين عن الخروج من قصورهم الباذخة وتفضيلهم البناء بين غلمانهم وجوار بهم المختلفات الاجناس على الخروج للقتال وتكبد مشاقه ومنها أن كافة أمور الدولة المهمة كانت تنظر في ديوان الوزراء تحت رئاسة السلطان فابطل السلطان سليمان هذه العادة وصار الديوان ينعقد تحت رئاسة أكبر الوزراء وهو الصدر الأعظم والسلطان لاه عن ذلك معرض لدسائس الوزراء ومن يستعينون بهم من جواربه وأزواجه وترتب على ذلك ان صارت الامور بيد الوزراء المغايرين للجنس العثماني أصلاً ونسباً اذ ان أغلبهم ممن أسلم أو تظاهر

اسباب الانحطاط

بالاسلام من النصرارى أو من غلمان وخدم السلاطين ونتيجة ذلك واضحة كما ظهر للقارىء عند مطالعة أسباب قتل مصطفى بن السلطان سليمان بناء على دسائس زوجته والوزير رستم باشا ومنها الاباحة للانسكشارية بالزواج والاقامة خارج ثكناتهم مع اعطائهم بعض امتيازات وقبول الاخلاط ضمن زميرتهم مما جعلها من أكبر موجبات نأخر الدولة بعد ان كانت من أعظم عوامل تقدمها الى غير ذلك من الاسباب التى سنوردها تباعاً بحسب مقتضيات الاحوال

« السلطان الغازى سليم خان الثانى »

ولد السلطان سليم الثانى فى ٦ رجب سنة ٩٣٠ هجرية الموافق ١٠ مايو سنة ١٥٣٣ م وهو ابن روكسلان الروسية سابقة الذكر وتولى الملك بعد موت أبيه ووصل الى القسطنطينية فى ٩ ربيع أول سنة ٩٧٤ الموافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٥٦٦ م وبعد ان مكث بها يومين سار على عجل الى مدينة سكودار للاحتفال بارجاع جثة والده المرحوم الى القسطنطينية فقابلته خارج المدينة سفراء فرانسوا والبندقية القادمين لتهنئته بالملك ولما وصل مدينة صوفيا فى ١٦ اكتوبر أرسل الرسل الى كافة الممالك الخارجية والولايات الداخلية يخبرهم بعوت أبيه وتوليته على عرش آل عثمان ومنها قصد مدينة بلغراد ومكث فيها حق أنى الوزير محمد باشا صقلى بحجة والده المرحوم وذلك ان الوزير محمد باشا لم يعلن بوفاته السلطان سليمان الا فى أثناء عودته من مدينة سكودار الى بلغراد بل أومم الجند ان السلطان مريض ولا يمكن لاحد مقابله ولما أعلن موته الى الجنود بعد موته بنحو خمسين يوماً لبست الجيوش عليه الحداد وساروا الى بلغراد حيث كان سليم الثانى فى انتظارهم فطلبت الجنود منه أن يوزع عليهم العطايا المعتادة فانى ثم أذعن لطلباتهم لظاهرهم العضيان والتمرد وعدم اطاعتهم وأمر ضباطهم وامتهانهم لهم بحضور السلطان

ولم يكن السلطان متصففاً بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه فضلاً عن اضافة شىء اليها ولولا وجود الوزير الطويل محمد باشا صقلى المدرب على الاعمال الحربية والسياسية للحق الدولة الفشل لكن حسن سياسة هذا الوزير وعظم اسم الدولة ومهايتها فى قلوب أعدائها حفظتها من السقوط مرة واحدة فتم الضامح بينها وبين النمسا بمعاهدة تاريخها ١٧ فبراير سنة ١٥٦٨ من شروطها حفظ النمسا أملاكها فى بلاد المجر ودفعها الجزية السنوية المقررة بالمعهود السابقة واعترافها بتبعية أمراء ترانسلفانيا والفلاخ والبغدان الى الدولة العلية وتجددت أيضاً الهدنة مع ملك بولونيا باعتراف الباب العالي بالتحالف الذى حصل ما بين ملك بولونيا وأمير البغدان وكذلك جددت مع شارل التاسع (١) ملك فرنسا فى سنة

(١) هو ثاني أولاده من الثاني وكان بن دى مديسي ولد سنة ١٥٥٠ وتولى سنة ١٥٦٠ بعد موت أخيه فرانسوا الثاني ولعدم باوغه سن الرشد عينت والدته وصية عليه وفي أيامه استمرت الحروب الداخلية بين

١٥٦٩ الاتفاقيات التي تمت بين الدولتين في عصر السلطان سليمان وأيد السلطان سليم الامتيازات القنصلية وزاد عليها امتيازات أخرى أهمها معاقبة كل فرساوى من دفع الخراج الشخصى وأن يكون للقناصل الحق في البحث عنم يكون عند العثمانيين من الفرنساويين في حالة الرق واطلاق سراحهم والبحث عنم أخذهم وباعهم بصفة رقيق لخازانه وان يرده السلطان كافة الاشياء التي تأخذها قرصانات البحر من المراكب الفرنسية ومعاقبة الاسخذه لها وأن تكون المراكب العثمانية ملزمة بمساعدة ما يرتطم من السفن الفرنسية على شواطئ الدولة ويحفظ ما بها من الرجال والمتاع وأن يكون لفرنسا كل الامتيازات الممنوحة لجمهورية البنادقة

ولزيادة توثيق عرى الاتحاد بين الدولة وفرنسا وزيادة نفوذاتحادهما اتفقت الدولتان على ترشيح (هنرى دى فالوا) أخى ملك فرنسا لعرش بولونيا ليكون لهم ظهرأضد النمسا من جهة والروسيا من أخرى وقدم ذلك فعلا وصارت بولونيا تحت حماية الدولة العلية حماية فعلية وان لم تكن اسمية وبذلك صارت فرنسا ملكة التجارة في البحر الابيض المتوسط وجميع البلاد التابعة للدولة وأرسلت تحت ظل هذه المعاهدات عدّة ارساليات دينية كاثوليكية الى كافة بلاد الدولة الموجود بها مسيحيون خصوصاً في بلاد الشام لتعليم أولادهم وتربيتهم على محبة فرنسا وكانت هذه الامتيازات الموجبة لضعف الدولة بسبب تداخل القناصل في الاجراءات الداخلية بدعوى رفع النظام عن المسيحيين واتخاذها لها سنيلا لا متداد نفوذها بين رعايا الدولة المسيحيين واهم نتائج هذا التداخل وأضره ما لا وأوجه عاقبة استعمال هذه ارساليات الدينية في حفظ جنسية ولغة كل شعب مسيحي حتى اذا ضعفت الدولة أمكن هذه الشعوب الاستقلال بمساعدة الدول المسيحية أو الانضمام الى احدى هاته الدول كما شوهد ذلك في هذا القرن الاخير مما سيأتى مفصلاً بالشرح الكافي والبيان الوافى

ومن أعمال الوزير محمد باشا صاعقة الى أن أرسل جيشاً عظيماً الى بلاد اليمن في سنة ٩٧٦ الموافقة سنة ١٥٦٩ م تحت قيادة عثمان باشا الذي عين عاملاً عليها لقمع ثورة أهاليها الذين عصوا الدولة انبعاثاً لمرسلاتهم الشريف مطهر بن شرف الدين بحجي فانتصر عثمان باشا عليهم بمساعدة سنان باشا الى مصر ودخلت الجيوش المظفرة بمدينة صنعاء بعد ان فتحت جميع القلاع

وفي أوائل السنة التالية اعترف الشريف مطهر بسيادة الباب العالي على بلاده ومن

فتح جزيرة قبرص

الكاتوليك والبروتستانت الي ان تم بينهما الصلح سنة ١٥٧٣ واتفق الفريقان على أن يزوج الملك أخته الملك (ناذر) الذي صار قياً بعد ملكا لفرنسا باسم هنرى الرابع أعد زعماء البروتستانت لكن لم ترغ والدته كاترين لهذا الزواج بل دبرت مذبة سان برنلى وأثرت على فكر ولدها فأمر بقتل جميع البروتستانت في كافة أنحاء المملكة وفي مدينة باريس أثناء الاحتفال بزواج أخته ونفذ هذا الامر الوحيم في مساء ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ وتولى هذا الملك بعد ذلك بستين أى سنة ١٥٧٤

أعماله أيضاً فتح جزيرة قبرص (١) التي كانت تابعة للبندقية فأرسلت اليها المراكب الحربية في سنة ٩٧٨ الموافقة سنة ١٥٧٠ تحت أمرة بيالى باشا تحمل مائة ألف جندي بقودها لاله مصطفي باشا الذي كانت له اليد الطولى في عصيان وقتل بايزيد أخى السلطان سليم فرست السفن أمام مدينة ليمازون (لقوسه كذا ذكرها القرمانى) في أول أغسطس وفتحت في ربيع الآخر سنة ٨٧٨ الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٥٧٠ ثم وضع الحصار أمام مدينة قاجوس (ماغوسه كذا ذكرها القرمانى) ولما اقترب فصل الشتاء أمهل فتحها الى أوائل الربيع وابتدأت أعمال الحصار ثانياً في أبريل سنة ١٥٧١ وفتحت في ١٠ ربيع الأول سنة ٩٧٩ الموافق ٢ أغسطس من السنة المذكورة وبذلك تم فتح جزيرة قبرص وصارت من ذلك العهد تابعة للدولة العثمانية الى ان احتلها الانكليز بكيفية غريبة سنة ١٨٧٨ كما رى في أواخر هذا الكتاب

واقعة لبيات
البحرية

وفي هذه الاثناء غزت المراكب العثمانية جزيرة كريد وطنته (٢) وغيرهابدون ان تفتحها واحتلت مدائن دلسنيو وانتيبارى (٣) على البحر الادرياتيكي ولما رأت البندقية تغلب العثمانيين عليها وفتح كثير من بلادها استعانت باسبانيا والبابا وتم بينهم الاتفاق على محاربة الدولة بجزراً خوفاً من امتداد سلطانها على بلاد ايطاليا فجمعوا امراهم وجعلوا دون جوان (٤) ابن شارل كان سفاحاً من احدى خليلاته أميراً عليها فسارت سفن المسيحيين الى شواطئ الدولة وكانت تلك الدونامة المختلطة مؤلفة من ٧٠ سفينة اسبانية و ٤٠ من سفن البنادقة و ١٢ للبابا و ٩ من سفن رهبنة مالطة

وقابلت هذه الدونامة العمارة العثمانية مؤلفة من ٣٠٠ سفينة في ١٧ جمادى الاولى سنة ٩٧٩ (٧ أكتوبر سنة ١٥٧١) بالقرب من لبينته واشتبك بينهم القتال مدة ثلاث ساعات متوالية انتهى الامر بعدها بانتصار الدونامة المسيحية فأخذت ١٣٠ سفينة

(١) قبرص جزيرة صغيرة مهمة بالذخيرة لمرکزها الجغرافي بالقرب من سواحل الشام ومرصرواحتلالها ضرورى لمن يريد بقاء هاتين الولايتين في حوزته ومع ضرورتها للدولة العلية سلمتها لانكلتره بمقتضى معاهدة بتاريخ ٤ يونيه سنة ١٨٧٨ حينما كان الروس محتلين ضواحي الاستانة وتمهدت باخروج منها لو خرجت الروسية من مدائن قارص وباطوم واردهان التي فتحتها أثناء الحرب الروسية التركية الأخيرة وامتلكتها بمقتضى معاهدة برلين

(٢) احدى جزائر الروم الكائنة غرب اليونان ولا تبعد عن ساحل موريه الا بمسرتين كيلومتروهي جيدة الهواء تنتج كافة أنواع الفواكه ويصنع بها الزيت والنيذ ويبلغ عدد سكانها خمسين ألف نسمة وتكثر بها الزلازل الشديدة

(٣) هما بلدتان باقليم الجبل الاسود ثانيتهما على البحر الادرياتيكي وأضيفتا الى امارة الجبل بمقتضى معاهدة برلين الرقعة ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨

(٤) ولد هذا الأمير من سفاح شارل كان بمدينة راتسبون سنة ١٥٤٥ وبعد موت أبيه أراد قلب الكانى ادخاله ضمن احدى الرهينات ولما لم يقبل عنه قائداً في جيشه وفي سنة ١٥٧٠ كلفه باذلال من بقي من المسلمين باقليم غرناطة فأذاقهم أنواع الذل والعذاب حتي هاجروا الي أفريقية ولم يبق منهم أحد وفي سنة ١٥٧٦ كلفه بمحاربة أهالي القلمنك فتهرهم في سنة ١٥٧٨ وتوفي بعد ذلك ببضع أشهر

عثمانية وأحرقت وأغرقت ٩٤ وغنمت ٣٠٠ مدفا و ٣٠ ألف أسيراً وهذه أول واقعة حصلت بين الدولة من جهة وأكثر من دولتين مسيحيتين من جهة أخرى واشترك البابا فيها يدل على أن الحرك لهذه التآلبات ضد الدولة الاسلامية الوحيدة هو الدين كما أيدته الحوادث والحروب فيما بعد لا السياسة كما يدعون

وكان لهذا الفوز رنة فرح في قلوب المسيحيين أجمع حتى أن البابا خطب في كنيسة ماري بطرس برومه وشكر دون جوان على انتصاره على السفن الاسلامية وذلك مما لا يجعل عند المطالع أقل رية أو شك في أن المسئلة الشرقية مسئلة دينية لاسياسية كما ادعاه ويدعيه الأوروبيون وبتغز به السذج الغير المطلعين

ولما وصل خبر هذه الحادثة الى الاستانة هاج المسلمون على المسيحيين وهموا بقتل المرسلين الكاثوليك لولا تدارك الوزير محمد باشا صغلي الأمر بان حجز هؤلاء المرسلين تحت الحفظ حتى تعود السكينة الى ربوعها وقد أخرجهم بناء على الحاح سفير فرنسا ولم تقعد هذه الحادثة المشؤمة همة هذا الوزير بل انتهز فرصة الشتاء وعدم إمكان استمرار الحرب لتشييد دوناغة أخرى وبذل النفس والنفس في تجهيزها وتسليحها حتى إذا أقبل صيف سنة ١٥٧٢ كان قد تم استعداد ٢٥٠ سفينة جديدة وفي هذه السنة لم تحصل وقائع بحرية مهمة لوقوع الشقاق بين القبودان البندقي والقبودان الاسبانيولى حتى أن جمهورية البندقية سمعت في التقرب الى الدولة العلية فعرضت عليها الصلح واستمرت بينهم المحابر مدة وفي ٣ ذى القعدة سنة ٩٨٠ الموافق ٧ مارث سنة ١٥٧٣ تم الصلح على أن تنازل البندقية للدولة عن جزيرة قبرص وأن تدفع لها غرامة حربية قدرها ٣٠٠ ألف دوكا

أما من جهة اسبانيا فقد قصد دون جوان مدينة تونس في أواخر سنة ١٥٧٢ واحتلها بدون مقاومة لا تحال من كان بها من العثمانيين عند قدوم السفن الاسبانيولية وتحققهم من أن الدفاع لا يجدى فعماً لقلّة عددهم بالنسبة للاسبانيول فاحتلها دون جوان وأعادها لسلطانها مولاي حسن الذي التجها اليهم عند احتلال العثمانيين لبلادهم لكن لم يلبث الانحوا ٨ أشهر لاسترجاعها ثانية الى أملاك الدولة بعرفة سنان باشا في أغسطس سنة ١٥٧٥ وفي جهة بلاد البغدان انتصر العثمانيون بعد موقعة هائلة أهرقت فيها الدماء كاسيول المنهرة في ٩ يونيو سنة ١٥٧٤ على الأمير (ابو نيا) الذي تمرّد على الدولة طلباً للاستقلال وصلب جزاء عصيانه وعبره لغيره

وفي ٢٧ شعبان سنة ٩٨٢ الموافق ١٢ ديسمبر سنة ١٥٧٤ توفي السلطان سليم الثاني وعمره اثنين وخمسون سنة قريّة ومدة حكمه ثمانية سنين و٥ أشهر وتوفي عن ستة أولاد وهم مراد ومحمد وسليمان وممصطفى وجها نكبر وعبد الله وثلاثة بنات تولى بعده ابنه السلطان مراد الثالث

ولد هذا السلطان بالقسطنطينية في ٥ جمادى الاولى سنة ٩٥٣ هـ الموافق ٤ يولييه سنة ١٥٤٦ وكانت فاتحة أعماله أن أصدر أمراً بعدم شرب الخمر الذى شاع استعماله أيام السلطان السابق وأفرط فيه الجنود خصوصاً الانكشارية فنار الانكشارية لذلك واضطروه لباحثه لهم بمقدار لا يترتب منه ذهول العقل وتكدير الراحة العمومية وأمر بقتل اخوته وكانوا خمسة ليأمن على الملك من المنازعة اذ صار قتل الاخوة عادة تقر بها وفي أوائل سنة ١٥٧٥ ترك (هنرى دى قالوا) ملك بولونيا مقر حكومته عائداً لفرنسا ولما بلغ الباب العالى خبر سفره أوصى أشرف بولونيا بانتخاب (باتورى) أمير ترنسلفانيا التابع للدولة العلية ملكاً عليهم فاتخبوه في أواخر السنة المذكورة وبذلك صارت بولونيا نفسها تحت حمايتها

وضع الحماية على بولونيا

هذا وحصلت على حدود المساعدة مناوشات سال فيها الدماء بين الطرفين بدون اشهار حرب وفي أواخر سنة ١٥٧٦ أمضيت هدنة سلم بين الباب العالى والامبراطور (رودلف) (١) الذى أخلف (مكسميليان الثانى) لمدة ثمانى سنوات تبتدىء من أول يناير سنة ١٥٧٧ وعند بيان أملاك الدولة العلية بهذه المعاهدة ذكرت بولونيا ضمن الاقاليم التى للدولة حق السيادة عليها ومما يؤيد أن مملكة بولونيا كانت تحت حمايتها استنجد (باتورى) بها ضد اغارات التتار على حدوده الشرقية وتعهد الباب العالى بحمايتها بمعاهدة رسمية تاريخها ٣٠ يوليو سنة ١٥٧٧

وكانت علاقات هذا السلطان مع فرنسا حسنة جداً وكذلك مع جمهورية البندقية فجدد لهما الامتيازات القنصلية والتجارية مع زيادة بعض بنود فى صالحهما أهمها أن يكون سفير فرنسا مقدماً على كافة سفراء الدول الأخرى فى المقابلات والاحتفالات الرسمية حيث كثرت توارد السفراء على بابه العالى للسعى فى إبرام معاهدات تجارية تكون ذريعة فى المستقبل للتدخل الفعلى وفى أيامه تحسنت ليزابلا ملكة الانكليز على امتياز خصوصى لتجار بلادها وهى ان مراكيها تحمل العلم الانكليزى وكان لا يجوز لها ذلك قبلاً بل كانت السفن على اختلاف أجناسها ماعدا سفن البندقية لا تدخل الى مين الدولة العلية الا تحت ظل العلم الفرنساوى ليس الا كما قضت بذلك المهود التى أبرمت مع السلطان سليمان وابنه السلطان سليم الثانى وتجددت فى أوائل حكم هذا السلطان

وفى سنة ١٥٧٨ حصلت فتنة داخلية فى مملكة مراكش بالمغرب الأقصى ونازع زعيمها

(١) هو ابن مكسميليان ولد فى مدينة ويانة سنة ١٥٥٢ وتعين ملكاً لبلاد المجر سنة ١٥٧٦ ثم ملكاً للممسا ثم انتخب امبراطوراً لمانيا سنة ١٥٧٦ وكان ضعيفاً مشغولاً بالكيميا والفلك قهره الترك أكثر من مرة وفى سنة ١٦١١ عزله أخوه ماتياس الذى أنتخب امبراطوراً بعده وتوفى رودلف سنة ١٦١٢

السلطان في الملك وحصلت بينهما عدة وقائع مهمة وأخيراً استنجد سلطانها بالعثمانيين واستعان مدعى الملك بالبرتغاليين فاعزت الدولة أو الحري محمد باشا صاعداً إلى لوالى طرابلس بالجناد سلطانها الشرعى فأسرع بمساعدته والتقى الترك والبرتغال بالقرب من محل يقال له القصر الكبير وكان يوم مشهوداً دارت فيه الدائرة على البرتغال وقتل فيه رئيس الثائرين المستنجد بهم وبعد تمام النصر وإعادة الأمن والسكينة إلى ربوع مراکش عادت الجيوش العثمانية حاملة ما أغدق لها من الهدايا وبذلك دخلت مملكة مراکش ضمن دائرة نفوذ الدولة وصار شمال أفريقيا بأكمله تابعاً لها تماماً أو خاضعاً لنفوذها ولم يبق لها في عصرنا هذا الا ولاية طرابلس والسيادة الاسمية على مصر واستولت فرانس على تونس والجزائر وصارت مراکش ميدان مسابقة لدسائس الاجانب تسعى كل دولة في ازدياد نفوذها بها وبعبارة أخرى لا يتلأحها فلا حول ولا قوة الا بالله

وفي هذه السنة ابتدأت المخاضات بين الدولة واسبانيا للوصول إلى الصلح وبعدها استمرت نحو خمس سنين ثم الصلح بينهما لكن لم يمنع ذلك القراصين من الطرفين على نهب السفن التجارية وسبي واسترقاق من بها من النساء والرجال حتى كان يستعد للسفر في البحر الأبيض المتوسط كما يستعد لرحلة جربية لعدم وجود الأمن وكثرة القراصين بما لم يسبق له مثيل لأن كلا من الطرفين كان يعتبر غزو سفن الطرف الآخر من الواجبات الدينية والقربات المشروعة

هذا وأتم ما حصل في أيام السلطان مراد الثالث محاربة بلاد المعجم بناء على ايعاز الصدر الأعظم محمد باشا صقلى وانتهز فرصة الاضطرابات الداخلية بها وذلك انه لما توفي الشاه طهماسب سنة ٩٨٤ هـ الموافقة سنة ١٥٧٦ م تولى بعده ابنه حيدر وقتل بعد بضعة ساعات قبل دفن أبيه ودفن معه ثم تولى بعده اسمعيل بن طهماسب وتوفي مسموماً سنة ٩٨٥ هـ وأخلفه أخوه محمد خدابنده وكانت البلاد منقسمة عليه فارسات الجيوش السلطانية لحاربته وفتح ما تيسر من بلاده وجعل لاله مصطفى باشا قائداً لها فصار بجيوشه قاصداً إقليم الكرج (١) من بلاد الجركس في أواخر سنة ١٥٧٧ م وكانت تابعة إلى مملكة المعجم وفتحها واحتل مدينة تفليس عاصمة الكرج بعد ان اختصر على جنود الشاه وتمالك على قائدهم المسمى دقاق بالقرب من حصن (جادر) في ٨ أغسطس سنة ١٥٧٨ وعين أمراء الكرج حكاماً (سناجق) من قبل الدولة وبعد أن قهر ثانياً جيوش المعجم في ٨ سبتمبر من السنة المذكورة عاد مصطفى باشا وجيوشه إلى مدينة طرابزون لتبضية فصل الشتاء

محاربة المعجم
ودخول العثمانيين
مدينة تبريز رابع
دفة

(١) الكرج أو بلاد كرستان إقليم واقع في جنوب جبال القوقاز ويحده غرباً البحر الاسود وشرقاً إقليم طاعستان وجنوباً بلاد أرمينيا وتطلبت عليها أبدي جميع الفاتحين بآسيا ففتحها العرب في خلافة مروان الثاني ثم قامت بها حكومة مستقلة ثم أغار عليها جنكيزخان وتيمور الاعرج واستولى عليها التتاريون مدة وأخيراً ألحقت بمملكة الروس ولم تنزل تابعة لها حتى الآن

الذي لا يمكن استمرار القتال في غضونه لشدة البرد وتراكم الثلوج في هذه الاصطراع وقسمت بلاد الكرج الى أربعة أقسام وهي شروان وتقاليس وتكون القسمان الباقيان من بلاد الكرج الأصلية وحصنت مدينة قارص بكيفية جعلتها أمنع معاقل الدولة على الحدود وما فتئت كذلك حتى احتلها الروس سنة ١٨٧٧ وعين لكل منها حاكم عام (بكار بك) وفي أواسط الشتاء أتت أربعة جيوش جرارة تحت أمرة الأمير حمزة مرزا وهاجمت بلاد شروان من كل فجح حتى اضطر حاكمها عثمان باشا الى اخلاء مدينة شروان والاحتفاء بمدينة (در بند) وكذلك حاصر الاعجام مدينة تفليس نفسها ولم يقووا على استرجاعها لثبات حاميتها العثمانية حتى أتى اليها المدد ورفع عنها الحصار عترة سنة ١٥٧٩ وفي غضون ذلك قتل الصدر الاعظم محمد باشا صليبي الذي حافظ على شوذ الدولة بعدموت السلطان سليمان وتمكن بسياسته ودهائه من ابرام الصلح مع دول أوروبا والمعادية لها وأنشأ عمارة بحرية بعد واقعة (ليبانت) وفتحت جزيرة قبرص بتعاليمه وارشاداته وكوفى على خدماته الجميلة بالقتل لالذنب جناء أو جناية ارتكبها لى دنشائس حاشية السلطان قضيت عليه بالموت غدرآ تبعا لدسائس الاجانب الذين لا يروق في أعينهم وجود مثل هذا الوزير يدير دولاب الاعمال على محور الاستقامة فدسوا اليه من قتله تخلفا من صادق خدمته للدولة فكان موته ضربة شديدة ومحنة عظيمة لاسيما وقد كثر بعده تنصيب وعزل الصدر فعين أولا من يدعى أحمد باشا ثم عزل في أغسطس سنة ١٥٨٠ وعين بعده سنان باشا أحد القواد المشهورين وأحدر رؤساء الجيش المحارب في بلاد الكرج وتولى قيادة هذا الجيش بعدموت قائده العام مصطفى الذي قيل أنه انتحرمسموما لعدم حصوله على منصب الصدارة ولكنه عزل من منصبه بعد قليل ونفى الى خارج البلاد وتولى مكانه (سيماوس باشا) المجرى الاصل في الصدارة العظمى وفرهاد (أفرخات) باشا أحد القواد العظام قائدا عاما للجيش المحارب في الكرج ولم يأت هذا القائد باعمال تذكر لعدم اتياد الانكشارية وامتثالهم لأوامر رؤسائهم

أما عثمان باشا حاكم اقليم شروان فسار الى فتح بلاد (طاغستان) (١) على شاطئ بحر الخزر وبعد أن أتم فتحها عقب موقعة عظيمة انتصر فيها على الاعجام نصراً ميبناً في ٩ مايو سنة ١٥٨٣ سار بطريق البر الى بلاد القرم مختاراً جبال (قاف) أو القوقاز وسهل روسيا الجنوبية لعزل خانيها عقاباً له على امتناعه عن ارسال المدد الى الدولة العلية لمحاربة المعجم فوصل اليها بعد أن هانى من المشقات أقصاها ومن الصعوبات منهاها لوعورة الطريق ومناوشة الروس له الى مدينة (كافا) عاصمة الخان محمد كراي لجمع الخان جيشاً عظيماً

(١) طاغستان ومنها البلاد الجبلية اقليم باسيا واقع شرقي بلاد كرجستان وعصوريين بحر الخزر وجبال القوقاز كان تابع للجم ثم تنازل عنه لحكومة روسيا سنة ١٨١٦ أهم مدنه مدينة ياكو الواقعة على بحر الخزر والشهيرة بمادن زيت البترول وقد أنشأت منها حديثاً طريق حديثة تصل الي ثغر باطوم على البحر الأسود مارة على مدينة تفليس لتسهيل نقل البترول وتصديره الى جميع جهات الدنيا

من الفرسان القوزاق المشهود لهم بالبدالة والاقدام وحاصر عثمان باشا وجيوشه التي أضناها التعب وأنهمكها السير ولولا عصيان أخيه اسلام كراى عليه لوعده بالامارة من قبل الدولة العلية وتفرق جيوشه من حوله وقتله غدرًا بدسيسة أخيه لانتصر على العثمانيين لكن خانه أخوه ودس اليه من قتله طمعاً في الامارة سنة ١٥٨٤ وبعد ذلك رجع عثمان باشا الى الاستانة برأ وقبول بكل تكريم واعظام وبعد أيام قلائل عين صيدراً أعظم بدل

سنياس باشا المجري وسرعسكر الجيش الكرج وكان تعيينه في سنة ٩٩٢ هـ

فسار في جيش عرمرم مؤلف من مائتين وستين ألف مقاتل قاصداً بلاد اذربيجان فاخترقها بدون كثير مقاومة ثم قصد مدينة تبريز عاصمة العجم فدخلها بعد ان انتصر على حمزة مرزا وترك فيها حامية قوية وبعد ان استمر الحرب سجالات بين الدولتين نحو ست سنوات توفي في خلالها الصدر الاعظم عثمان باشا سرعسكر الجيش ثم الصلح وأمضى بينهما في ٢١ مارس سنة ١٥٨٥ على أن تتنازل العجم للدولة العثمانية عن اقليم الكرج وشروان ولورستان وجزء من اذربيجان ومدينة تبريز وتولى بعده خادم مسيح باشا صيدراً أعظم سنة ٩٩٣ وفي السنة التالية أعيد سنياس باشا الى هذا المنصب الخطير وبذلك هدأت الاحوال وانقطعت الحروب على سائر حدود المملكة تقريباً

الآن هذه السكينة لم تكن لترضى الانكشارية الذين كانوا يفضلون استمرار الحروب للنهب والسلب وارتكاب ما لا خير فيه فكانت اذا انقطعت الحروب تمرّدوا وارتكبوا هذه القبائح في بلاد الدولة المعسكرين بها بل وفي نفس الاستانة فلما بلغهم أن الخبرات سائرة بين الدولة والعجم للوصول الى الصلح ناروا بالفسططينية وطلبوا تسليم الدفتردار (ناظر المالية) ومحمد باشا بكركي الروملي لقتلها بدعوى أنهم ما أرادوا أن يصرف اليهم نفوداً ناقصة العيار وحاصروها في منزلها الى أن قتلوها شرقية ولم يبقوا السلطان على منعهم وتمرّدوا مرة أخرى سنة ١٥٩٣ في الاستانة وأخرى في مدينة بود وقتلوا واليها وفي القاهرة وفي تبريز مما يطول شرحه ووصلت بهم القحّة الى آخرها ولذلك أشار سنان باشا الذي أعيد الى منصة الوزارة في سنة ٩٩٧ هـ بشغالهم بحاربة بلاد الجر وأوعز الى حسن باشا والي بلاد البشناق (بوسنه) أن يجتاز حدود بلاد الجر لإعلانا للحرب اسكن هل يرجي نجاح أو فلاح حقيق من جيوش بلغ عندها عدم النظام الدرجة القصوى حتى استطالت لقتل الولاة وعزل الحكام كلا ولو كان قائدها الاسكندر المقدوني أو ابراهيم باشا المصري أو نابليون الفرنسي (ورب معترض يعترض علينا في تسمية ابراهيم باشا بالمصري مع أنه لم يولد بها فتجاوبه أن ابراهيم باشا نشر الراية المصرية في بلاد العرب والشام وجنوب الاناطول والسودان وانتصر بالمصريين لا بغيرهم ولم يكن ذلك منه الا لاعلاء شأن الوطن المصري واستقلاله في الداخل ونشر نفوذه في الخارج ولذلك حق لنا أن نسميه المصري بل المصري الوحيد بعد والده محمد علي باشا الكبير) وليرجع الى ذكر حروب الدولة مع العجم فنقول

ان الحرب كانت نارة لاحد الفريقين وطوراً للآخر فقتل حسن باشا والى الهرسك وانهمز
والى (بود) وفتحت جيوش النمسا التى انحازت الى المجر عدة قلاع عثمانية ثم استردها سنان
باشا الصدر الاعظم سنة ١٥٩٥ وفى هذا الموقع يجب علينا وعلى كل عثمانى التأسف
والتحسر على عدم خروج السلطان بنفسه الى الحرب وتحججه عن أعين جيوشه وعدم
قيادتهم بذاته الشرف الى ساحات النصر فلولا ذلك لكانت الغلبة دائماً لهم باذنه تعالى فقد
عوّدهم عز وجل النصر على الاعداء فى زمن أجداده سليمان وسليم الاول ومن قبلهم لان
وجود الخليفة الاعظم فى رأس جيوشه يثبت فيهم روحاً جديدة فيتحدون معه قلباً وقلوباً
ويسرون معه الى النصر المبين والفوز العظيم وتم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
ومما زاد أحوال المملكة ارتباكاً اشهار الفلاح والبغدان وترسلفانيا العصيان بالاتحاد
وتحالفهم مع روداف الثانى ملك النمسا وامبراطور ألمانيا على محاربة الدولة والحصول على
الاستقلال فسار اليهم الصدر الاعظم سنان باشا فى سنة ١٥٩٥ ودخل مدينة بوخارست
عاصمة الفلاح عنوة ثم انتصر عليه (مخائيل) أمير الفلاح الملقب فى كتب الافرنج
بالشجاع ودخل مدينة (ترجوفتس) وقتل حاميتها ورئيسها فاخذ العثمانيون فى
الانسحاب والتقهقر خلف نهر الدانوب وتبعهم مخائيل الفلاخى وانتصر عليهم مرة ثانية
بالقرب من مدينة (جورجيو) عند عبورهم النهر وفتح المدينة وعدة مدائن أخرى أهمها
مدينة (نيكوبلى)

وفى هذه الاثناء ولى فرهاد باشا منصب الصدرارة فى سنة ٩٩٩ هـ ثم أعيد سياوس
باشا ثالثاً اليها سنة ١٠٠٠ هـ ثم أصيب السلطان بداء عياء وتوفى مساء جمادى الاولى سنة
١٠٠٣ الموافق ٢٠ يناير سنة ١٥٩٦ وله من العمر خمسون سنة وكانت مدة ماسكه
احدى وعشرين سنة تقريباً وكان شاعراً مجيداً فطناً لبيباً الا أنه كان كثير الميل
لاقتناء الجوارى الحسنات عاملات مشهورتهن وكان من ضمن حظياته جارية بندقية الاصل
من عائلة شهيرة بها السجما (بافو) سباها قرصين البحر وبيعت فى السراى السلطانية وسميت
صفية اصطفاها السلطان لنفسه وتداخلت كثيراً فى السياسة الخارجية وساعدت بلاذها
الاصلية كثيراً وهى والدة السلطان محمد الثالث

« السلطان الغازى محمد فاه الثالث »

﴿ وفتح حصن ارلو وثورة جنود العلوفه جيه ﴾

ولد هذا السلطان فى ٧ ذى القعدة سنة ٩٧٤ هـ الموافق ١٦ مايو سنة ١٥٦٦ م
وتولى بعد موت أبيه مراد الثالث ابن صفية الايطالية الاصل وكان له تسعة عشر أخاً
غير الاخوات فامر بخنقهم قبل دفن أبيه ودفنوا معاً نجاه أياصوفيا
وفى أوائل حكمه سار على أثر سلفه فى عدم الخروج الى الحرب وترك أمور الداخلية فى

أيدى وزرائه الذين منهم سنان باشا وجالة زاده (هو ابن القائد جفالة باشا الجنوى الاصل الذى قتل فى محاربة العجم الاخيرة وصحة اسمه سيكالا ثم حرف فصار جفالة) وآخر يدعى حسن باشا فسدوا فى الارض وباعوا المناصب الملكية والعسكرية وقللوا عيار العملة حتى علا الضجيج من جميع الجهات وتعاقب انهزام الجيوش العثمانية أمام مخائيل الفلاخى فضم اسلطانة بمساعدة الجيوش النمساوية اقليم البغدان وجزء عظيم من ترسلفانيا لعدم وجود القوادى الكفاء لصدهم

وما يتخذ للسلطان الغازى محمد الثالث الذكر ويجعله رصيفاً لاجداده الاوائل أنه لما تحقق أن هذا الانحلال ناشىء من تحجبه عن الاعمال وعدم قيادته الجيوش برز بنفسه وتقلد المركز الذى كان ترك مراد الثالث وسلم الثانى له من دواعى تقهقر الدولة أمام أعدائها ألا وهو مركز قيادة عموم الجيوش فسار الى بلغراد ومنها الى ميدان الحرب والتزال وبعد قليل دبّت فى الجيوش الحمية الدينية والغيرة العسكرية ففتحت قلعة (ارلو) الحصينة التى عجز السلطان سليمان عن فتحها فى سنة ١٥٥٦ ودمر جيوش المجر والنمسا نديمياً فى سهل (كرزت) بالقرب من هذه القلعة فى ٢٦ اكتوبر سنة ١٥٩٦ حتى شبهت هذه الموقعة بواقعة (موها كز) التى انتصر فيها السلطان سليمان سنة ١٥٢٦ وبعد هذه الموقعة استمر الحرب سجالات بدون أن تحصل بين الطرفين وقائع حاسمة

وفى ابتداء القرن السابع عشر للميلاد حصلت فى بلاد الاناطول ثورة داخلية كادت تكون وخيمة العاقبة على الدولة خصوصاً ونيران الحروب مستعر لهما على حدود المجر والنمسا وذلك ان فرقة من الجيوش المؤجرة (ويسمونها بالتركية علوفه جى) التى هى بالنسبة للانكشارية كنسبة الباشبوزق للجيوش المنتظمة لم تثبت فى واقعة (كرزت) المتقدّم ذكرها بل ولت الادبار وركنت الى الفرار فنفيت الى ولايات آسيا وأطلق عليها اسم (فرارى) تحقيراً لهم وعبرة لغيرهم وهناك ادعى أحد رؤسائهم واسمه (قره يازىجى) أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءه مناماً ووعده بالنصر على آل عثمان وفتح ولايات آسيا فتبعه كثير من هذه الفئة وشق عصا الطاعة ونقلب على والى القرمات ودخل مدينة (عين تاب) عنوة فارسلت اليه الجيوش وحاصرت فيها ولما رأى أن الامناس له من التسليم أو الموت عرض على الوزير الحاصر له الطاعة للسلطان بشرط تعيينه والياً لآماسيا فقبل شرطه ورفع عنه الحصار لكن بمجرد ابتعاد الجيوش عنه رفع راية العصيان ثانياً واتحد مع أخيه المسمى (دلى حسن) والى بغداد فاتبع وسوسة أخيه وكفر بنعمة الدولة وجاهر بعصيانها فارسل صقلى حسن باشا مع جيش جرار لحاربتهمما وانتصر ولا على قره يازىجى والجاه الى الاحتماء بجيالى جائق على البحر الاسود حيث توفى من الجراح التى أصابته فى الحرب تاركاً أخاه للاخذ بثأره وفلافازالى حسن على صقلى حسن باشا وقتله على أسوار مدينة (توقات) ثم هزم ولاية ديار بكر وحلب ودمشق وحاصر مدينة (كوتاهيه) فى سنة ١٦٠١

واستفحل أمره حتى خيفت العاقبة ولما رأت الدولة تجسم هذه النازلة أخذت في استعمال طرق السلم والتودد فاجزلت اليه العطايا وأغدقت عليه الهبات ثم عرضت عليه ولاية بوسسنه فقبل بعد تمللات كثيرة ووضع السلاح وأعلن باخلاصه للدولة العلية سنة ١٦٠٣ وسافر بجنوده ومن انضم اليها من أخلاط الاكراد وأوباش القرمات واستعمل قوته لمحاربة الأفرنج على حدود الدولة من جهة أوربا حتى هلكت جيوشه عن آخرها في المناوشات المستمرة

بينها وبين عساكر الجرمانيين واستراحت الدولة من شرها وأعقبت هذه الثورة العظيمة ثورة أخرى في نفس الاستانة العلية كاد شرها يتعدى الى نفس الخليفة الاعظم وذلك أن جنود السباه أى الخيالة طلبوا من الدولة أن تعوض عليهم ما فقدوه من ريع الاقطاعات المعطاة لهم في بلاد آسيا التي كانوا يسمونها (تارار) بسبب فتنة قره يازمجي ودلى حسن بآسيا الصغرى ولم يكن في وسع الدولة تلبية طلبهم لضعف دخلها هي أيضاً بسبب هذه الفتنة تمردوا وناروا وطلبوا نهب ما في المساجد من التحف الذهبية والفضية فاستعانت الدولة عليهم بجنود الانكشارية وأدخلتهم في طاعتها بعد سفك الدماء ولوانحد الانكشارية معهم وساعدوهم على مطالبهم تخفيف على حياة الدولة من الداخل والخارج

ومن ذلك يظهر جلياً اختلال النظام العسكري وعدم صلاحيته لحفظ اسم الدولة وشرفها بين أعدائها وفي هذه السنة توفي السلطان وكانت وفاته رحمه الله في ١٢ رجب سنة ١٠١٢ الموافق ١٦ دسمبر سنة ١٦٠٣ وعمره ٣٧ سنة ومدته حكمه ٩ سنين وخلفه ابنه احمد الاول

١٤ « السلطان الفاتى احمد نهار الاول »

﴿ وانتصار الشاه عباس ﴾

ولد هذا السلطان في ١٢ جمادى الثانية سنة ٩٩٨ الموافق ١٨ ابريل سنة ١٥٩٠ فتولى الملك ولم يتجاوز سنه الرابعة عشر الا بقليل ولم يأمر بقتل أخيه مصطفى بل اكتفى بحجزه بين الخدم والجواري وكانت أركان الدولة غير مابجة في كافة بلاد آسيا ونازل الحرب مستعرة على حدود العجم شرقاً والنمسا غرباً وكانت الحرب مع العجم شديدة الوطأة في هذه المرة لتولى الشاه عباس (١) الشهير قيادتها ومما جعل لها أهمية أعظم من كافة الحروب

(١) لقب هذا الشاه بالسكبير وأخلف محمد مرزا في الملك سنة ١٥٨٥ ونودى به ملكاً في خراسان ثم سار الى مدينة مشهد التي كانت قد احتلتها قبائل الازبك فاستخلصها منهم وانتصر عليهم بقرب مدينة هرات سنة ١٥٩٧ ثم حارب الترك واستخلص منهم الولايات التي سبق أخذها من مملكة العجم واحتل مدائن بندا والموصل وديار بكر ثم اتحد مع شركة الهند الانكليزية وطرد البرتغاليين من نهر هرمز وتوفي سنة ١٠٣٧ هـ الموافقة سنة ١٦٢٨ م بعد أن حكم البلاد بقاية الحكمة والسداد مدة ثلاث وأربعين سنة

السابقة اضطراب الاحوال في الولايات الشرقية عموماً وسعى كل أمة من الامم المختلفة النازلة بها للحصول على الاستقلال وكان أهم رؤساء هذه الحركة رجلاً كردياً لقب بجان بولاد (ومعناها بالعربية من نفسه كالبولاد) لشدة بأسه وقوة اقدامه والامير خرد الدين الدرزي وغيرهما لكن قبض الله للدولة في هذه الشدة الوزير مراد باشا الملقب بقوي بوجي الذي عين صدرأ أعظم وكان قد تجاوز الثمانين. ليكون عوناً وعضداً للسلطان الفتي فتقدم مع كبر سنه ووهن قواه قيادة الجيوش وحارب الثائرين بهمة ونشاط زائدين فانتصر على خرد الدين وجان بولاد واقتفى أثرهم حتى اختفيا في بادية الشام واستمال (قلندر أوغلي) أحد زعماء الثورة في الاناطول وعينه والياً على انقرة وقبض على آخر يدعي أحمد بك وقتله بعد أن فرق جنده بالقرب من قونيه ولما رأى جان بولاد الكردي عدم نجاح الثورة سافر للاستانة وأظهر الطاعة للسلطان فعفاه عنه وعينه والياً لشمسوار

وفي سنة ١٦٠٨ انتصر على من بقي من العصاة بهرب (وان) وفي السنة التالية قتل آخر زعمائهم المدعو يوسف باشا الذي كان استقل بأقاليم صاروخان ومنتشا وآيدين وبذلك عادت السكينة وساد الامن بهمة هذا الشجاع الذي لقب بسيف الدولة عن استحقاق هذا واتهم الشاه عباس هذه الفرصة لاسترجاع بلاد العراق العجمي واحتل مدائن تبريز ووان وغيرهما ولمناسبة اضممحلال جيوش الدولة في هذه الحروب التي استمرت عدة سنوات متوالية وموت أهم قوادها خصوصاً الصدر الأعظم قوي بوجي يوم ٥ أغسطس سنة ١٦١١ ترأست الدولتان على الصلح وتم الامر بينهما في سنة ١٦١٢ بمساعي لصوح باشا الذي تولى منصب الصدارة بعد موت قوي بوجي مراد باشا على أن تترك الدولة العلية لمملكة العجم جميع الاقاليم والبلدان والقلاع والحصون التي فتحها العثمانيون من عهد السلطان الغازي سليمان الأول القانوني بما فيها مدينة بغداد وهذه أول معاهدة تركت فيها الدولة بعض فتوحاتها ويمكننا القول بكل أسف وحزن أنها كانت فاتحة الانحطاط وأول المعاهدات المشؤمة التي ختمت بمعاهدة برلين الشهيرة

أما من جهة المجر والنمسا ففي أثناء اشتغال الدولة بحروبها الداخلية استبد النمساويون ببلاد المجر وأسأوا معاملتها فأنشروا نظير اخلاصهم للدولة العلية حتى رفضوا انير النمسا المسيحية وطلبوا من الدولة أن ترمقهم بعين حمايتها وتخلصهم من استرقاق النمسا لهم وانتخبوا الامير (بوسكاي) ملكاً عليهم سنة ١٦٠٥ فالشرحت الدولة لهذه النتيجة التي ما كانت تنتظرها من أمة مسيحية لاسيما وهي في حالة كربة لكثرة الحروب الداخلية وتقهقر جيوشها أمام الشاه عباس فقبلت هذا الاسترحام واعتمدت انتخاب (بوسكاي) وأمدته بجيوشها ففتحت في زمن يسير حصون (جران) و(يسجراد) و(سيزيم) وغيرها وفي سنة ١٦٠٦ خشيت النمسا من امتداد الفتوحات العثمانية فسمعت في صالح بوسكاي عن الدولة فاعترفت بانتخابه ملكاً للمجر وأميراً لأقليم ترانسلفانيا وتنازلات عن كافة الاقاليم

الجزية التي كانت للسلطان (باتوري) بشرط رجوع ما يكون منها ألمانيا وخصوصا اقليم ترنسلفانيا الى امبراطور ألمانيا بعد موت بوسكاى وزيادة اضطراب أحوال الدولة بأسيا وتعمير استمرار الحرب مع النمسا بدون مساعدة جيوش المجر لها أبرمت الصلح مع امبراطور النمسا في سنة ١٦٠٦ عينها على أن لا تدفع النمسا الجزية السنوية التي قدرها ثلاثون ألف دوكا في المستقبل مقابل التعويض عنها للدولة بدفع مبلغ مائتي ألف دوكا وأن تضم الدولة العليا لاملاكها حصون (جران) و (ارلو) و (كانيشا) وفي سنة ١٦٠٨ اجتمع نواب النمسا والمجر في مدينة برسبورج وصدّقوا على هذا الاتفاق وكذلك صدّق عليه لمدة عشرين سنة من تاريخ التصديق مندوبو مملكة ألمانيا مجتمعين بهيئة مؤتمر بمدينة (ويانه) سنة ١٦١٥ أما بلاد المجر فبقيت تابعة للدولة بعضها تبعية فعلية والبعض تبعية حماية وسميت هذه المعاهدة بمعاهدة (ستواتوروك)

وبعد التصديق نهائيا على هذا الاتفاق من جميع أولي الشأن توفي (بوسكاى) وامتنع أهالي اقليم ترنسلفانيا عن الدخول ضمن أملاك الامبراطورية مفضلين البقاء تحت حماية الدولة العثمانية الاسلامية التي لم تتعرض لهم لا في دينهم ولا في عوائدهم اكتفاء بالجزية السنوية فعينت لهم الدولة (سجسمون راجوتسكى) ثم (جبرائيل باتوري) ثم (بيلان جابور) وهون أشد خصماء دولة النمسا وألد أعدائها وتعهد هذا الأمير بمنع أمراء القلاخ والبغدان من اقتناء الاراضي والقصور في امارته حتى لا يلتجؤا اليها لتمرّدوا على الدولة وتسليمهم لها لو فروا اليها وبذلك صارت ترنسلفانيا حائلا بين الامارتين وبلاد المجر

هذا ولأن الحروب انقطعت على كافة حدود الدولة تقريرا لأنه قد حصلت ما بين سنة ١٦١١ وسنة ١٦١٤ بعض مناوشات بحرية بين مراكب الدولة وسفن رهبان مالطه وملك اسبانيا وولايات ايطاليا كان الفوز فيها غالبا لمراكب الاعداء ولذلك أمر الصدر نصوح باشا بجمع جميع سفن الدولة في مياه البحر الابيض المتوسط لصدّ تعدّيات مراكب الافرنج وحفظ طريق البحر بين الاستانة وولايات الغرب فاتهمز بعض أخلاط القوزاق انسحاب السفن الحربية من البحر الاسود وأغاروا على نفر سينوب ونهبوا مابه ولما علم السلطان بذلك غضب على الصدر الاعظم وسعى به بعض مبعضييه طمعا في نوال منصبه وما فتئوا يوغرون صدر سيدة عليه حتى أمر بقتله في ١٤ اكتوبر سنة ١٦١٤ نفي في قصره

هذا وازدادت في أيام السلطان أحمد الاول العلاقات السياسية مع دول الافرنج فجددت مع فرانسوا العقود والعهود القديمة في سنة ١٦٠٤ مع بعض زيادات طفيفة وفي سنة ١٦٠٩ جددت مع مملكة بولونيا الاتفاقات التي أبرمت معها في زمن السلطان محمد الثالث وأهم ما بها تعهد بولونيا بمنع قوزاق الروسية من الاغارة على اقليم البغدان وتعهد الدولة

العلية بمنع تمار القرم من التعدي على حدودها وفي سنة ١٦١٢ تحصلت ولايات القلمنك (١) على امتيازات تجارية تضارغ مامنته كل من فرانسوا وانكلترا وهم أى القلمنك الذين أدخلوا في البلاد الاسلامية استعمال التبغ أى تدخين الدخان فعارض المفق في استعماله وأصدر فتوى بمنعه فهاج الجند واشترك معهم بعض مستخدمى السراى السلطانية حتى اضطروه الى اباحته وفي ٢٣ ذى القعدة سنة ١٠٢٦ الموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٦١٧ توفى السلطان أحمد الاول وعمره ٢٨ سنة ومدة حكمه ١٤ سنة تقريباً ولصغر سنّ ولده عثمان الذى كان لم يتجاوز ثلاثة عشر سنة من عمره خالف العادة المتبعة من ابتداء الغازى السلطان عثمان الاول أى تنصيب أكبر الاولاد أو أحدهم مكان والده وأوصى بالملك بعده لاختيه

١٥ « السلطان مصطفى بناه الدول »

ولد هذا السلطان سنة ١٠٠١ وقضى طول عمره داخل محلات الحرم ولم يتغاطى أشغالاً مطابقاً بل ولم يعلم من أمور المملكة شيئاً كما كانت عادة بعض ملوك بني عثمان وهى أن كل سلطان يتولى يأمر بقتل اخوته أو يحجزهم فى السراى كى لا يكون منهم منازع فى الملك وهى عادة مستتبحة جداً ألما فيها من قتل أقرب الناس بلا ذنب أو جرم الا ما يخيله لهم الوهم من الخوف على الملك والاستئثار به مع أنهم لو استخدموا اخوتهم فى المناصب العالية لاسما قيادة الجيوش كما يفعل ملوك أوروبا الآن لحفظوا دمار الدولة وأخلصوا فى خدمتها أكثر من الذوات الذين أغلبهم (كما رأيت وترى فى سياق هذا الكتاب) من غير الجنس التركى بل من المماليك الجرركس أو الافرنج الذين ربما اعتنقوا الدين الاسلامى ودخلوا فى خدمة الدولة أعداء فى لباس أصدقاء لتنفيذ أغراض دولهم وكادت تقوم الحرب بين الدولة وفرنسا عند توليته وذلك أن كاتم أسرار السفارة الفرنسية ساعد أحد أشرف بولونيا وكان مسجوناً بالاستانة على الهروب منها فسيجن كاتم السرّ والمترجم والسفير ولم يلبث هذا السلطان على سرير الملك الا ثلاثة أشهر تقريباً ثم عزله أرباب الغايات وفى مقدمتهم المفق وقبزر أغاسى أى أغا السراى وضاعدهم الانكشارية على ذلك لتوزيع

(١) بلاد القلمنك أو البلاد الواطئة المشهورة الان باسم هولانده مكونة من عدة ولايات كانت فى الاصل تابعة لمملكة النمسا ثم استقلت سبعة من الولايات الشمالية فى أواخر القرن السادس عشر وشكلت بهيئة جمهورية سميت بالولايات المتحدة واستمرت الباقية تابعة لملك اسبانيا لا تتقالها اليه بالارث وفى سنة ١٧١٤ أعطيت الى النمسا وبقيت فى حيازتها الى سنة ١٧٩٠ تقريباً حيث فتحها فرنسا وفى سنة ١٨١٤ شكلت جميع البلاد الواطئة بما فيها الولايات التى كانت متحدة والاراضى المكونة لمملكة بلجيكا الان بهيئة حكومة ملكية مستقلة وفى سنة ١٨٣٠ انقسمت هذه المملكة الى قسمين سمي الجزء الشمالى منها بمملكة هولاندا والجنوبى باسم مملكة البلجيكا وهى مكونة من الولايات التى كانت تابعة لاسبانيا والنمسا أما هولاندا فمكونة من الولايات التى كانت مشكلة بهيئة جمهورية مستقلة

الهابت عليهم عند تولية كل ملك جديد فعزل في أول ربيع الأول سنة ١٠٢٧ الموافق ٢٦ فبراير سنة ١٦١٨ وأقاموا مكانه السلطان عثمان الثاني المولود في غضون سنة ١٠١٣ هـ

١٦ « السلطان عثمان خان الثاني وخلفه ثم قتل » (وارجاع السلطان مصطفى ثم عزله)

هو ابن السلطان أحمد الأول وأمر بإطلاق قنصل فرنسا وكتبه ومترجمه وأرسل مندوبا للملك فرنسا لويس الثالث عشر يسمى حسين جاوش بجواب اعتذار عما حصل من الاهانة لسفيره . بذلك انحسرت هذه المشكلة

وحدث في هذه الاثناء أن تداخلت بولونيا في شؤون امارة البعدان لمساعدة (جراسياني) الذي عزل بناء على مساعي بتان جابور أمير ترانسلفانيا وأضيفت امارته الى اسكندر شربان أمير الفلاح وصارت الامارتان تابعيتين له فالتخذ السلطان عثمان هذا التداخل سببا في اشهار الحرب على مملكة بولونيا وتحقيق أمنيته وهي فتح هذه المملكة وجعلها فاصلا بين أملاك الدولة ومملكة روسيا التي ابتدأت في الظهور وقبل الشروع في الحرب أمر بقتل أخيه محمد تبعا للعادة المشروعة فقتل في ١٢ يناير سنة ١٦٢١ ماسوقا عليه

ثم أصدر أمرا بتقليل اختصاصات المفق ونزع ما كان من السلطة في تعيين وعزل الموظفين وجعل وظيفته قاصرة على الافتاء حتى يأمن شر دسائسه التي ربما تكون سببا في عزله كما كانت سبب عزل سلفه لكن أتى الأمر على الضد كما كان يؤمل كما سيحىء وبعد أن أتم هذه التمهيدات الداخلية سير الجيوش والكتائب لمحاربة مملكة بولونيا قاتلت بحيشهم تحت قيادة أمير (ولنا) وكان متحصنا في محل منيع بالقرب من بلدة يقال لها (شولكزيم) فهاجم العثمانيون في حصونهم عدة دفعات متوالية بدون أن ينزحزحوم عن معانقهم فطلبت الانكشارية الكف عن الحرب وطلب البولونيون الصلح ففقد قائدهم وتبادلت بينهما المخابرات وتم الصلح وأمضى من الطرفين في ٦ أكتوبر سنة ١٦٢٠ فتحقق السلطان على الانكشارية من طلبهم الراحة وخلودهم الى الكسل والزامه على الصلح مع بولونيا بدون تتميم قصده أي ضمها الى أملاكه وعزم على ابطالها وافنائها عن آخرها ولاجل التناهب لتنفيذ هذا الأمر الخطير أمر بحشد جيوش جديدة في ولايات آسيا وتنظيمها وتدريبها على القتال حتى اذا كملت عددا وعددا استعان بها على اباداة هذه القمة الباغية وشرع فعلا في نفاذ هذا المشروع لكن أحس الانكشارية بذلك فهاجوا وماجوا وتذمروا واتفقوا على عزل السلطان وتم لهم ذلك في يوم ٩ رجب سنة ١٠٣١ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٦٢٢ وأعادوا مكانه السلطان مصطفى الأول ولم يكتفوا بعزله بل هجموا عليه في سرايه واتهكوا حرمتها وقبضوا عليه بين جواريه وزوجاته وقادوه

قهرأ الى ثكنانهم موسعياً سباً وشها واهانة مما لم يسبق له مثيل في تاريخ دولتنا العلية وزيادة على ذلك أنهم نقلوه من هناك الى القلعة المعروفة بذات السبع قلل (يدى قله) حيث كان بانتظاره كل ممن يدعى داود باشا وعمر باشا الكيخيا وقلندر اوغلي وغيرهم فأعدموا السلطان عثمان الحياة غير مباين بهذا الجرم العظيم والاثم الذي مابعده اثم الا الكفر المبين فانه ان كانت مخالفة أوامر الخليفة الاعظم تعد ككفرأ بنص الكتاب الشريف فأبالك بقتله وهنا يقف القلم ويكف المداد عن وصف هذه الفعلة الشنعاء والكبيرة الشعواء ناركا وصفها للقارئ اللبيب والمطلع الاديب اميجزى عن هذا المقام العالى وتقديرى عن هذه المراتب العوالى وقلة بضاعتى وقصور قوتى بحق مكتفياً بنقل أسماء مرتكبها الى الخلف لتكون هدف سخطنهم ومرمى سهام فضيحتهم وقتل رحمه الله ولم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ومدة حكمه أربع سنين وأربعة أشهر

وبعد ذلك صارت الحكومة العوبة فى أيدي الانكشارية ينصبون الوزراء ويمزلونهم بحسب أهوائهم فعزلوا داود باشا قاتل السلطان بعد بضع أيام وصاروا يمنحون المناصب لمن يحزل اليهم العطايا فكانت الوظائف تباع جهاراً وارتركبوا أنواع المظالم فى القسطنطينية ولما بلغ خبر قتل السلطان الى الولاة وانتشرت بينهم أخبار القوضى السائدة فى الاستانة وسوس لهم ابليس الطمع فأطاعوه وسرى فى عروقهم شيطان الغواية فاتبعوه فأشهر الى طراباس الشام استقلاله وطرده الانكشارية من ولايته واقفى أثره الى أرضروم المدعو أباطه باشا مدعياً انه يريد الانتقام للمرحوم السلطان عثمان شهيد الانكشارية وسار بمن تبعه الى سيواس وانقره ففتيحهما مصادرا التزامات الانكشارية واقطاعاتهم قاتلا كل من وقع فى مخالفته من هذه الفئة التى تلوثت بدم سلاله سلاطينهم وتبعه الى سيواس وسنجد قره شهر ثم سار الى مدينة بورصة فحاصرها ودخلها بعد ثلاثة أشهر الا قلعتهما فلم تسلم

واستمرت الاضطرابات الداخلية فى نفس كرسى الخلافة العظمى ولا أمن ولا سكينه مدة ثمانية عشر شهراً متوالية حتى اذا شعر العموم بما وراء هذه القوضى من الدمار والخراب وشبع الانكشارية نهبا وسلباً وقتلا فى نفوس الاهالى وأموالهم عينوا من يدعى (كياكش على باشا) صديقاً أعظم لتوسمهم فيه الخبرة والاستعداد فأشار عليهم بعزل السلطان مصطفى ثانياً لضعف عزيمته ووهن قواه العقلية فعزلوه فى ١٥ ذى القعدة سنة ١٠٣٣ الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٦٣٣ وولوا مكانه السلطان مراد الرابع وبقي فى العزل الى أن توفى فى غضون سنة ١٠٤٩ هـ الموافق سنة ١٦٣٩ م

١٧ «السلطان الفاضل مراد خامس الرابع»

هو ابن السلطان أحمد الاول ابن السلطان محمد الثالث ولد فى ٢٨ جمادى الاولى سنة

١٠١٨ الموافق ٢٩ أغسطس سنة ١٦٠٩ وولاه الانكشارية بعد عزل عمه السلطان مصطفى الاول ابن السلطان محمد الثالث مع حداثة سنه كي لا يكون معارضاً لهم في أعمالهم الاستبدادية ولا مضجعاً لنفوذهم الذي اكتسبوه بقتل سلطان وعزل غيره واستمر وامدة العشر سنين الاولى من حكمه على غنهم وطغيانهم

وانتهز الشاه عباس ملك المعجم هذا الاختلال فرصة لتوسيع أملاكه من جهة حدود الدولة العلية فكان الامر حينئذ بعكس ما كان عليه أيام المرحوم الغازي السلطان سليمان القانوني وذلك أن رئيس الشرطة في مدينة بغداد واسمه بكير أغاثار على الوالي وقتله واستبد في الاحكام فأرسلت له الدولة قائد يدعى حافظ باشا حاربه وحصره في دار السلام فسولت لبكير أغا نفسه الخبيثة أن يخون الدولة وراسل الشاه عباساً وعرض عليه تسليم المدينة فصار الشاه مجنونه لاحتلالها وفي الوقت نفسه عرض بكير أغا على القائد العثماني ان يرد المدينة للعثمانيين لو أقرته الدولة على ولايتها فقبل ذلك واحتلتها الجنود المنظرة قبل وصول شاه المعجم وهو لما وصلها حاصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها بخيانة ابن بكير اغا الذي ساء له بشرط تعيينه حاكماً عليها من قبلهم لكن خاب سعيه فقد قتله الشاه جزاء خيائته كما قتل أباه وفي ذلك عبرة لكل جاهل خائن يظن أن الاجنبي يعتد فيه الاخلاص ويكافئه لو ساعده على ابتلاع وطنه فهل يرجو من باع وطنه العزيز بيع المتاع خيراً من تلك الدولة كلها فانها تستعمله آلة لنوال غرضها ثم تلقفه لفظ النواة فيرجع بمص بنان الدم على ضياع شرفه وتسويد صفحات تاريخه حيث لا ينفع الندم ويتكس على عقبيه مذموماً مدحوراً وبمناسبة سقوط بغداد في أيدي المعجم وعدم إخباره السلطان بذلك سعى المنافقون بالصدر الأعظم كائنكش على باشا الذي السلطان وأفهموه أنها لم تسقط الا لخيايته فحق عليه وأمر بقتله وولى مكانه جركس محمد باشا ولم يلبث هذا الأخير أن توفي وعين بعده حافظ أحمد باشا سنة ١٠٣٣ هجرية الموافق سنة ١٦٢٤ وهو الذي اشتهر في منكاخه بأبائه باشا والقوز عليه في واقعة قيصريه ومحاصرته في أرضروم حتى التزم بالخضوع للدولة واطهار الولاء لها فعفت عنه عفواً كريم مقتدر وأقرته في ولايته سنة ١٦٢٤ فسار حافظ باشا الصدر الجديد الى مدينة بغداد لاستردادها وحاصرها في أوائل سنة ١٦٢٤ وضميق عليها الحصار ولما استمر الحصار مدة بدون أن تنثنى عزيمة المحصورين تدمر الانكشارية وأظهروا عدم الرغبة في الحرب بكيفية اضطرت له لرفع الحصار عن المدينة والرجوع الى الموصل ومنها الى ديار بكر حيث ثار الجند مرة ثانية فعزل السلطان حافظ باشا سنة ١٠٣٤ هجرية الموافقة سنة ١٦٢٤ وعين بدله من يدعى خليل باشا الذي سبق تقلده هذا المنصب في عهد السلاطين أحمد الاول ومصطفى الاول وعثمان الثاني شهيد الانكشارية وكانت فاتحة أعماله انه استدعى أبائه باشا الى معسكره فظن انه يريد العذر به ففر رابة العصيان ثانياً وقتل حامية أرضروم من الانكشارية وانتصر على القائد حسين

محاربة المعجم
واستيلائهم على
بغداد

باشا وجيشه فسار اليه الصدر خليل باشا بنفسه وحصره ثم رفع عنه الحصار بعد شهرين (نوفمبر سنة ١٥٢٧) فعزل من الصدارة سنة ١٥٣٥ هجرية وولى مكانه خسرو باشا وهو عاود الكرة على أرضروم وأدخل أباطه باشا في طاعة الدولة وعينه والياً على البشناق (يوسنه) سنة ١٥٣٧ هـ الموافق سنة ١٦٢٨ م وفي هذه الاثناء كانت ثورات الجنود متتابعة بالاستانة وفي كل مرة يطلبون قتل من يشاؤون من رؤساء الحكومة المخالفين لهم في الرأي ولا يرى السلطان مندوحة من اجابة طلباتهم اسكانهم وخوفهم أن يصل اليه اذاهم ثم توفي الشاه عباس وتولى ابنه شاه مرزا وكان حديث السن فدخل العثم في أفئدة القواد العثمانيين وسار خسرو باشا من حينه الى بلاد العجم رغماً عن تدمير جنوده ووصل بعد العناية الشديد الى مدينة همدان فدخلها فجأة في أواخر شوال سنة ١٥٣٩ الموافق ١٨ يونيو سنة ١٦٣٠ ثم قصد مدينة بغداد وانتصر أثناء عودته اليها ثلاث دفعات متواليات على جيوش العجم ووصل اليها وابتدأ في محاصرتها في شهر سبتمبر من السنة المذكورة فدافع عنها قائد حاميتها دفاعاً شديداً وصعد هجوم العثمانيين عنها في ٧ ربيع الثاني سنة ١٥٤٠ الموافق ١٤ نوفمبر سنة ١٦٣٠ وهجوم الشتاء رفع خسرو باشا عنها الحصار ورجع الى مدينة الموصل لقضاء فصل الشتاء وفي الربيع التالي أراد معاودة الكرة على مدينة بغداد فلم تمثل الجنود أوامره ولذلك اضطر الى التوجه الى مدينة حلب خوفاً من وصول العدو اليه بالموصل وهو غير واثق من جنوده

وفي غضون ذلك أصدر السلطان أمره بعزل خسرو باشا وإعادة حافظ باشا الى منصب الصدارة فسمى المعزول لدى الجند وأفهمهم أنه لم يعزل الا لمساعدته لم يقاتروا وأرسلوا الى الاستانة يطلبون ارجاعه ولم يحبب السلطان طلبهم ساروا الى القسطنطينية وقاموا بثورة عظيمة خيف منها على حياة الملك فانهم دخلوا السراي السلطانية في ١٨ رجب سنة ١٥٤١ الموافق ٩ فبراير سنة ١٦٣٢ وقتلوا حافظ باشا رغماً عن تدخل السلطان ومنعهم عنه فاغتاز السلطان وأمر بقتل خسرو باشا محرّك هذه الفتنة فقتل ولم ينل بغيته من البقاء في الصدارة وعين من يدعى بيزام محمد باشا صندراً أعظم ومن ذلك الحين أظهر السلطان عزماً شديداً وثباتاً قوياً في مجازاة رؤس الانكشارية وغيرهم من كان يهيج الخواطر ويقلق الراحة العمومية وصار يأمر بقتل كل من ثبت عليه أقل اشتراك في الحركات الاخيرة وبذلك داخلهم الرعب ووقعت مهابته في قلوبهم وخشيه الصغير والكبير والامير والحقير وسار كل في طريقه مكباً على عمله بدون أن ياتي مايكدّر صفوكا من الراحة العمومية وأمن الناس على أموالهم وأعراضهم من التعدي وسادت السكينة في القسطنطينية وضواحيها وجميع أنحاء المملكة وكانت آخر ثورة للانكشارية في آخر شوال سنة ١٥٤١ الموافق ١٨ مايو سنة ١٦٣٢ حرّكها من يدعى رجب باشا لغاية في النفس قاصر السلطان بقتله وإلقاء جثته من شبايك السراي حتى براها المتجمهرون

ثورة الانكشارية
وقتلهم الصدر
الاعظم حافظ
باشا وثورة فخر
الدين الدرزي

فسكنت الخواطر ولم يحصل ما يعيث بالامن بعد ذلك في مدّته وبعد كسر شوكة الانكشارية أراد السلطان أن يعيد للدولة ما فقدته من النفوذ بسبب اهمال بعض أسلافه وعدم اطاعة الانكشارية وامتناعهم عن الحرب عند الحاجة القصوى فأرسل الى والى دمشق بمحاربة نحر الدين أمير الدروز وادخله في طاعة الدولة فقام الوالى بالمامورية خير قيام وهزم نحر الدين وأسر هو وولديه وأرسلهم الى القسطنطينية حيث حاكمهم السلطان بكل احتفاء وإكرام ولكن لما بلغ السلطان أن أحد أحفاده ثار ثانياً ونهب بعض مدائن الشام أمر بقتله وولده الاكبر فقتل في ذى القعدة سنة ١٠٤٤ (ابريل سنة ١٦٣٥) فاطاع الدروز وبقيت الامارة في ذرية نحر الدين المذكور نحو مائة سنة ثم انتقلت الى عائلة شهاب التي منها الامير بشير الشهير في حروب ابراهيم باشا ابن محمد على باشا والدولة في النصف الاول من هذا القرن المهيحي

فتح اريوان واسترجاع بغداد

ثم سار السلطان بنفسه الشريعة الى بلاد العجم لاسترجاع فتوحات السلطان الغازي سليمان الاول القانوني ففتح مدينة اريوان في ٢٥ صفر سنة ١٠٤٥ الموافق ١٠ اغسطس سنة ١٦٣٥ وأرسل السلطان رسولين الى الاستانة لتزيين المدينة مدة سبعة أيام وقتل أخويه بايزيد وسليمان لبلوغه عنهما ما كدر خاطره وانبا على العادة المذمومة وبعد ذلك قصد السلطان مدينة تبريز ففتحها عنوة في ٢٨ ربيع الاول سنة ١٠٤٥ الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٦٣٥ المذكورة ثم عاد الى الاستانة للاستراحة من عناء السفر ومشقات الحرب ومما يدل على أن وجود السلطان مع جيوشه له أهمية عظيمة ويثبت فيهم روحاً جديدة أنه بمجرد رجوع السلطان اشتد عزم العجم ووقفوا أمام الجيوش العثمانية بعد أن كانوا يفرون من أمامهم أينما التقوا بهم والسلطان قائمهم ثم تغلبوا عليهم واستردوا مدينة (اريوان) وقازوا بالعلبة في واقعة منتظمة في وادي مهربان سنة ١٦٣٦

فلما وصل خبر انتصار العجم على الجنود العثمانية الى مسامع السلطان أراد اذلالهم وكسر شوكتهم فسار بجيش عظيم كامل العدد والعدد الى مدينة دار السلام وابتدأ حصارها بكيفية منتظمة في ٨ رجب سنة ١٠٤٨ الموافق ١٥ نوفمبر سنة ١٦٣٨ وكان يشغل بنفسه في أعمال الحصار الشاقة تنشيطاً للجند وسلط على أسوارها المدافع الضخمة التي قلها اليها ولما فتحت المدافع فيها فتحة كافية للهجوم أصدر السلطان أوامره بذلك فجمعت الجيوش كالليوث الكواسر في صبيحة ١٨ شعبان سنة ١٠٤٨ الموافق ٢٥ ديسمبر سنة ١٦٣٨ ولم يثنها قتل الصدر الاعظم طيار محمد باشا الذي تولى بعد موت بيرام محمد باشا المتوفى في ٦ ربيع الآخر سنة ١٠٤٨ الموافق ١٧ اغسطس سنة ١٦٣٨ بل استمرت الحرب ٤٨ ساعة متوالية ختمت بانتصار الجنود العثمانية انصراً مبدئياً ودخلهم المدينة وارجاعها الى المملكة العثمانية ولم تزل تابعة اليها حتى الآن وبعد ذلك رغب شاه العجم عدم استمرار القتال وعرض الصلح على الدولة العلية بأن يترك لها

مدينة بغداد بشرط أن تتركه الى مدينة (اريوان) ودارت المخابرات بين الدولتين نحو عشرة أشهر كاملة وفي ٢١ جمادى الاولى سنة ١٠٤٩ الموافق ١٩ سبتمبر سنة ١٦٣٩ تم الصلح على ذلك وانقطعت أسباب العدوان من بينهما وكان يؤمل في السلطان مراد الرابع أن يضارع السلطان الغازي سليمان الاول القانوني في الفتوحات وبعد الصلح لولا أن قصفت المنون عود حياته الرطيب وهو في مقتبل الشباب فتوفي رحمه الله عن غير عقب في ١٦ شوال سنة ١٠٤٩ هجرية الموافق ٩ فبراير سنة ١٦٤٠ وسنه ٣١ سنة ومدة حكمه ١٦ سنة ١١ شهراً وتولى بعده اخوه ابراهيم

١٨ « السلطان الغازي ابراهيم خان الاول » (وفتح جزيرة كريد)

هو ابن السلطان أحمد الاول ولد في ١٢ شوال سنة ١٠٢٤ الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٦١٥ وكان غير ميال لمحاربة النمسا فاطمأن خاطرها وأوعز لامير ترانسلفانيا بكف العدوان عنها لئلا كان من جهة أخرى محافظاً على كرامة الدولة غير مترخ في معاقبة من يسوء أو يتعدى حدودها ولذلك افتتح حروبه الخارجية بإرسال جيش جرار الى بلاد القرم لمحاربة القوزاق الذين احتلوا مدينة ازاق فحاربهم العثمانيون وأبوا فيهم بلاء حسناً واستردوا المدينة منهم بعد أن أحرقوها وذلك سنة ١٦٤٢ ومن أعماله أيضاً فتح جزيرة كريد وكانت تابعة لجمهورية البندقية وحصل فتحها بسبب حكاية غريبة تسكدت قرب من الروايات الموضوعة وذلك أن أغات السراري (قنزل أغاسي) كان عنده جارية حسنة وضعت حديثاً فاعجب السلطان واختارها لأن تكون ظهراً أى مرضعة لابنه الوحيد محمد واشغف السلطان بالجارية ومحبه لا ينها حصلت بعض أمور داخلية مكدره فاراد أغات السراري ملافاة لهذه الشقاكات العائلية أن يبتعد عن الاستانة بحجة زيارة بيت الله الحرام ويستصحب الجارية وابنها معه ولما أذن له السلطان بذلك سافر وبينما هو في الطريق أذهجته مراكب رهبان مالطه وقتلوه وأخذوا الولد ظناً منهم أنه ابن السلطان ولما تحققوا من غلطتهم ربوا الولد على الدين المسيحي وأدخلوه طائفتهم واشتهر عند الافرنج باسم (بدرى اوتوماتو) أى الاب العثماني وبعد ذلك نزل الرهبان الى جزيرة كريد وأحسن البنادقة وفادتهم فاغتاظ السلطان من ذلك غيظاً شديداً وحبس قناصل البندقية وانكثرتا وهولندا ولم يخرج عنهم الا بعد أن أقنعه وزيره الاول بان أغلب هؤلاء الرهبان بل كلهم من الفرنسيين ومع ذلك فانهم غير تابعين للحكومة الفرنسية ولا لغيرها فهدأ باله لئلا يتركهم من تجهيز عمارة بحرية قوية لفتح جزيرة كريد لاهمية موقعها الجغرافي الحربي عند مدخل بحر ارجيل اليونان ولتوسطها في الطريق بين الاستانة وولاية الغرب فجهزت الدوناعة وسارت باحتفال زائد تحت قيادة من يدعى يوسف باشا الى أن ألقت مراسيها أمام مدينة

خانية أهم تغور الجزيرة في ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٠٥٥ الموافق ٢٤ يونيو سنة ١٦٤٥ وافتتحها بدون حرب تقريباً لعدم وصول الدونامة البندقية إليها في الوقت المناسب فانتقم البنادقة بخرق تغور بتراس وكورون ومودون من بلاد موره ويقال ان السلطان أراد في مقابلة ذلك قتل المسيحيين أجمع ولولا معارضة المفتي أسعد زاده أنى سعيد أفندي لم هذا الأمر وبما كانت هذه دسيسة في كتب الافرنج الا انها تشهد على أى حال بحسن سياسة هذا المفتي لسعيه في منع هذا الأمر الذى لو تم كان يلحق بالدولة عار عظيم كما لحق بمسيحي اسبانيا لما ارتكبوا من القتل والفتك بالمسلمين بعد فتح مدينة غرناطة (١) وفي سنة ١٦٤٦ فتح أغلب الجزيرة وفي السنة التالية وضع الحصار أمام مدينة (كنديا) عاصمة الجزيرة لكن حال دون آتامه وفتح المدينة عصيان الجنود في الاستانة

وتفصيله ان السلطان ابراهيم أراد أن يفتك برؤس الانكشارية في ليلة زفاف إحدى بناته على ابن الصدر الاعظم لتذمرهم وانتقادهم على أعماله ورغبتهم في التداخل في شؤون الدولة والخروج عن حدودهم فعلموا بقصد السلطان وتأمرؤا على عزله واجتمعوا بمسجد يقال له (أورطة جامع) وانضم اليهم بعض العلماء والمفتي عبدالرحيم أفندي وأهاجوا عساكر الانكشارية والسباه وقرروا جميع بعزله وتولية ابنه محمد الرابع المولود في ٢٩ رمضان سنة ١٥٠١ الموافق أول يناير سنة ١٦٤٢ أى الذى لم يتم السابعة من عمره وتمت هذه الثورة يوم ١٨ رجب سنة ١٠٥٨ الموافق ٨ أغسطس سنة ١٦٤٨ وبعد ذلك بعشرة أيام أظهر السباه عدم ارتياحهم من الملك الفتى وطلبوا إعادة السلطان ابراهيم الى عرش الخلافة فغشى رؤساء العصاة التي عزلته من تغلب السباه وارجاعه رغم أنهم وصمموا على قتله فساروا الى السراى ومعهم الجلاد (قره على) وقتلوه خنقاً كما قتلوا السلطان عثمان الثانى من قبله فكانت مدة حكمه ٨ سنين و٩ شهور وسنه ٣٢ سنة وبذلك ارتاح خاطرهم واطمأن بالهم وانقرض

١٩ « السلطان الغازى محمد زاده الرابع »

بالملك ولصغر سنه وقعت المملكة في الفوضى وصارت الجنود لا ترحم صغيراً ولا نوفر كبيراً وسعوا في الارض فساداً ورجعت الحالة الى ما وصلت اليه قبل تولى السلطان مراد الرابع بل الى أتعس منها وسرى عدم النظام الى الجنود المحاصرة لمدينة (كنديا) بكيفية اضطرت قائدهم السرعسكر حسين باشا لرفع الحصار عنها وكذلك كان سريان هذا الداء العضال الى

(١) هي مدينة بيلاد الاندلس كانت مقر المملكة بن أمية الفريزية ودخلها الافرنج سنة ١٤٩٢ في خلافة أبى عبدالله محمد ومن بقي بها من المسلمين أجبر على الردة أو المهاجرة مع مصادرة أموالهم فهاجر أغلبهم واضطهد من تخاف منهم اضطهاداً شديداً لم ينفع مثله في التاريخ حتى لم يبق بها ولا يجتمع بلاد الاندلس مسلم واحد وحولت جميع مساجدهم الى كنائس وبددت كتبهم العلمية وبوجدها كثير من الابنية الفريزية محفوظ حتى الآن وخصوصاً قصر الحمراء الشهير

الجنود البحرية سبب انهزام الدونامة العثمانية أمام دونامة العدو أمام مدينة فوقيه (١) سنة ١٦٤٩ ثم ثار باسيا الصغرى في هذه السنة أيضاً رجل يدعى (قاطر جى أوغلى) وانضم اليه آخر يدعى (كورجى بنى) وهزما أحمد باشا والى الاناطول وسار الى القسطنطينية ولولا وقوع الشقاق بينهما لحيف على العاصمة من وقوعها في قبضتهما السكن وقع الخلاف بينهما وافترا فحار بهما الجنود وهزم الثانى وقتل وأرسل رأسه الى السلطان وتمكن الآخر وهو قاطر جى أوغلى من الحصول على العفو عنه وتعيينه والياً للقرمان وبذلك انتهت هذه الثورة ولولا اشتغال النمسا بالحرب الهائلة الدينية المعروفة بحرب الثلاثين سنة (٢) لا انتهت هذه الفرصة وفتحت بلاد الحجر بدون مقاومة ومن جهة أخرى لولا ولاعاجر وتفضيلهم الحكومة العثمانية على حكومة النمسا لثاروا طلباً للاستقلال وبعد ذلك توالى الثورات تارة من الانكشارية وطوراً من السباه وآتة من الالهالى لما يشغل علمهم نير استبداد الجنود وتعاقب عزل وتنصيب الصدور بسرعة غريبة لم تسبق في الدولة ولا في أيام حكم السلطان سليم تبعاً لالهواء والغايات واختل النظام أو بعبارة صريحة صار عدم النظام نظاماً للدولة وفي هذه الاثناء تغلبت مراكب جمهورية البندقية على عمارة الدولة عند مدخل الدردنيل واحتلت (نيدوس) وجزيرة لنوس وغيرهما ومنعت بذلك المراكب الحاملة للقمح وأصناف الماكولات عن الوصول الى القسطنطينية من هذا الطريق حتى غلت جميع الاصناف واستمر الحال على هذا المتوال ولا نظام ولا أمن ولا سكينه وبالاختصار لا حكومة ثابتة الى أن قبض لها المولى سبحانه وتعالى الوزير محمد باشا الشهير بكور بلى الذى تولى منصب الضمارة سنة ١٠٦٧ الموافقة سنة ١٦٥٦ فاعمل الانكشارية معاملة من يريد أن يطاع اطاعة عمياء وقتل منهم خلقاً كثيراً عند ما نارا كما دهمهم لما رأوه رجلاً خبيراً بدخائل الامور قادراً على قمعهم والزاهمهم العود الى السكينه وأمر بمد تعينه قليل بشنى بطريك الاروام لما ثبت له تدخله في الدساس والفتن الداخلية

ومما يؤثر عن هذا الوزير الجليل انه استصدر أمر من السلطان بمنع قتل سلفه وكان قد أمر بقتله وتعيينه والياً على (كانيشه) وفي أواسط بوليه سنة ١٦٥٧ أرسل المراكب لحاربة سفن البنادقة المحاصرة لمدخل الدردنيل فحاربتهما ولم تساعدها الظروف عن نوال النصر ثم بعد موت القائد البحرى البندقى الشهير (موشنجر) (٣) بنحو ستة أسابيع انتصرت

(١) مدينة يونانية قديمة اسمها (فوسه) على ساحل البحر المتوسط وتبعد عن مدينة أزمير بنحو ٤٢ كيلومتر وكانت في أيام اليونان القديمة زاهرة متقدمة ويقال ان مؤسس مدينة مرسيليا بفرنسا من سكانها وهي الآن منحة وتجارها لا تذكر بسبب وقوعها بالقرب من أزمير ولا يزيد عدد سكانها عن أربعة آلاف نسمة

(٢) هي الحرب التي تأجج سعيها بين الكاثوليك والبروتستانت من سنة ١٦١٨ الى سنة ١٦٤٨ وانتهت بمعاهدة وستفاليا التي تعتبر أساس التوازن الدولي في أوروبا

(٣) قائد بحرى من عائلة قديمة جداً بالبندقية نهب منها عدة رؤساء لهذه الجمهورية

العمارة العثمانية على البنادقة واستردت منهم ما احتلوه من الثغور والجزائر وفي أثناء ذلك كانت نيران الحروب متأججة بين مملكة بولونيا وشارل جوستاف (١) ملك السويد فأرسل هذا سفراء الى الباب العالي يطلبون منه ابرام معاهدة هجومية ودفاعية لمحاربة بولونيا وتكون هذه المملكة تحت حماية الدولة بالفعل فامتنت عن قبول هذا الوفاق ولما علمت ان (راكوكسى) أمير ترانسلفانيا اتحد مع السويد على قتال بولونيا باتحاده مع قرال الفلاخ والبغدان أمرت بعزله وعزل قرال الفلاخ المدعو قسطنطين الاول وتعيين (ميهن) الرومى مكانه فقابل راكوكسى الارادة السلطانية بالعصيان وانتصر على العثمانيين بالقرب من (ليبا) سنة ١٦٥٨ لحصول عصيانه فجأة وعدم الاستعداد لهده ثم سار كوبرلى لقمعه وضم الى جنوده جيوش ميهن أمير الفلاخ الجديد الذى كان يريد مساعدة راكوكسى لكنه لم يردأ من مرافقة كوبرلى خوفا من ظهور خيائته في وقت غير مناسب وبالتحاد الجيشين تمكن كوبرلى من قهر هذا العاصى وطرده من البلاد وتعيين من يدعى (اشاتىوس بركى) قرا لى ترانسلفانيا بشرط أن يدفع خراجا سنويا قدره أربعون ألف دوكا وبعد استتباب الأمن عاد الصدرالى الاستانة وبعجرت عودته أظهر ميهن قرال الفلاخ العصيان واضطهد المسلمين وقتل منهم خلقا كثيرا وصادرهم فى أموالهم وأملأهم واستدعى راكوكسى المعزول لمساعدته وأعدأ له بارجاءه الى ولايته بعد النصر على العثمانيين وأرسلوا الى (غيك) قرال البغدان يوسوسون له بالانضمام اليهما فلم يصغ الى وسائسهم ولذلك ساروا اليه وانتصروا عليه بالقرب من مدينة (ياسى) (٢) عاصمة امارته ولما وصل خبر تمردهم الى الاستانة رجع كوبرلى على جناح السرعة لمحاربتهم فقبل اشتداد الخطب واتساع الخرق على الراقع وانتصر عليهما نصراً فبيدأ ثم عزل ميهن جزاء خيائته وعين (غيك) قرال البغدان قرا لى الفلاخ أيضاً سنة ١٦٥٩ وفى السنة التالية احتل والى بود عاصمة المجر مدينة (جروس واردين) التابعة للنمسا بعد مناوشات خفيفة فاعتبرت النمسا ذلك اعلاناً للحرب وابتدأت الحركات العدوانية بين الطرفين هذا ولندكر هنا شيئاً من علاقات الدولة مع فرنسا أثناء هذه الاضطرابات الداخلية التى جرت فيها الدماء وقتل فيها ملكان كما مرفئقول أنه لم يحصل تغير فى هذه العلاقات الا في وقت اشتغال فرنسا فى محاربة النمسا أيام وزارة (الكاردينال ريشليو) (٣) الذى كان حاملاً على

- (١) ولد هذا الملك الشهير فى سنة ١٦٢٢ وتولى ملك السويد سنة ١٦٥٤ وكان ميالاً للحرب لتوسيع نطاق مملكته والسيادة على شمال أوروبا فعارب بولونيا سنة ١٦٥٥ وقهر جيوشها فى واقعة وارسو ففتح معظم ولاياتها ثم جارب الدايمرك فى شتاء سنة ١٦٥٧ ولشدة البرد ونجمد مياه البحر بين سواحل السويد ومدينة كوبنهاج عاصمة الدايمرك سربجيوشه على البحر وهاجم المدينة ودخلها وألزم ملكها أن يتنازل له عن عدة مقاطعات مهمة ثم حاود عليها الكثرة فى أثناء حصارها توفي فى سنة ١٦٦٠ ونجت الدايمرك منه (٢) تسمى هذه المدينة ياش عند الترك وهى مدينة رومانية قديمة وعاصمة ولاية البغدان وأطلق اسمها على معاهدة أمضيت فيها بين الروس والدولة العلية فى ٩ يناير سنة ١٧٩٢ (٣) أشهر هذا الكردينال فى تاريخ العالم الاوروبى بالسياسة والتدبير ويسميه البعض ببنهارك

اذلالها اعلاء لشأن فرنسا فاخذ نفوذ فرنسا لدى الباب العالي في الضعف شيئاً فشيئاً حتى تقاسمت معها البندقية حق حماية الكنائس المسيحية في غلطة أيام السلطان مراد الرابع الذي طرد طغمة اليسوعيين من الاستانة سنة ١٦٢٨ بناء على الحاح سفراء انكلترا وهولاندا سعيًا وراء اضعاف نفوذ الكاثوليك وتقرير نفوذ البروتستانت بما ان دولتي انكلترا وهولاندا كانتا في ذلك العصر بروتستانتين دون باقي الدول الاوروبية ولمدم مدافعة فرنسا عن امتيازاتها اختص اليونانيون بخدمة بيت المقدس مع ان ذلك كان مشوطاً بارهبان الكاثوليك بمقتضى المعاهدات المبرمة مع سليمان الاول وتجددت أيام محمد الثالث وأحد الاول كما مر وما زاد علاقات الدولتين فتوراً وجعل الحق بجانب الدولة العثمانية تداخل فرنسا سرّاً بمساعدة البنادقة على الدفاع عن جزيرة كريد وامدادها لهم بالسلاح وضبط عدة مراسلات رمزية كانت مرسلة الى المسيو (دى لاهي) مع شخص فرنساوي موظف في بحرية البندقية وهو سلمها بنفسه الى الوزير (كويريلي) سنة ١٦٥٩ طمعاً في المال وكان اذ ذلك بمدينة أدرنه ولما لم يتمكنه حل رموزها أرسل الى الاستانة يستدعي السفير الفرنسي ولنرضيه أرسل ولده الى أدرنه مكانه فلما مثل بين يدي الصدر الاعظم وسأله عن معنى هذه الرموز لم يراع في جوابه آداب الخطابة فامر بسجنه في الحال ولما بلغ خبر سجنه الى والده سافر الى أدرنه خوفاً على حياة ولده ولم يمنعه اشتداد مرضه عن السفر وقابل الوزير كويريلي محمد باشا ولما لم يرشده السفير عن معنى الجوابات الرموزة لم يقبل اخلاء سبيل ابنه بل سافر الى ولاية ترنسلفانيا ولم يطلق سراحه الا بعد عودته في سنة ١٦٦٠ ولما علم الكردينال مازرين (١) بحبس ابن السفير أرسل الى الاستانة سفيراً فوق العادة اسمه المسيو دى بلانديل ومعه جواب من سلطان فرنسا يطلب فيه الاعتذار عما حصل وعزل الصدر الاعظم لكن لم يسمح لهذا السفير بالوصول الى السلطان بل قابله الصدر الاعظم

زمانه وكانت كل مساعيه موجهة نحو أسر من أولها اذلال أشراف فرنسا لتقوية سلطة الحكومة وثانيها اضعاف مملكة النمسا حتى لا يخشي منها على فرنسا فساعد جوتساف اذولف ملك السويد على محاربتها ثم حاربها فرنسا جهاراً وبسبب سياسته هذه أمضيت معاهدة وست فاليا الشهيرة سنة ١٦٤٨ بعد موته بست سنوات واضطهد البروتستانت وفتح مدينة لاروشيل التي احتماوا بها سنة ١٦٢٨ وكان مجباً للانتقام لا يتأخر أمام أي أمر لئلاذ أغراضه لكنه أفاد فرنسا في الداخل والخارج ولولا له لسقطت بسبب ضعف ملكها لويز الثالث عشر ووهن عزيمته ولهذا الكردينال الفضل في تأسيس مجلس العلوم الفرنسي (اكاديمي) سنة ١٦٣٥ وتأسيس حديقة النباتات وعدة مدارس أخرى وكانت ولادته سنة ١٥٨٥ ووفاته سنة ١٦٤٢

(١) ولد هذا الكردينال باحدى مدن إيطاليا سنة ١٦٠٢ واستدعاه ريشليو الى فرنسا ليرشحه لمنصب الوزارة ولما قرب موته أوصى الملك لويز الثالث عشر بتعيينه بمدة فيمنه وزيراً بعد وفاته سنة ١٦٤٣ ثم عضوا في مجلس الوصاية على ولده لويز الرابع عشر وبحسن سياسته أمضيت معاهدة وست فاليا ومعاهدة البيريني وتوفي سنة ١٦٦١ بعد ان سبل ارتقاء فرنسا الى أوج عظمتها في عهد لويز الرابع عشر الملقب بالكبير

بكل تعاضل وكبرياء ولذلك ساعدت فرنسا جزيرة كريدجها وأرسلت إليها أربعة آلاف جندي وأجازت إلى البندقية جمع عساكر متطوعة من فرنسا وأمدت النمسا بالمال طمعاً في اشغال الدولة وانتقاماً منها لكن لم تكن هذه الاجراآت عزيزة كوبريلي محمد باشا بل ما لبثت يقاوم أعداء الدولة في الداخل والخارج حتى أعاد لها سالف مجدها وجعلها محترمة في أعين الدول أجمع بعد ان كادت تؤدي بها الفتن الداخلية إلى الدمار ولما أحس باقتراب أجله لاشتداد المرض عليه طلب منه السلطان محمد الرابع أن يدلّه على من يعينه خلفاً له بعد وفاته فأوصاه بتولية ابنه أحمد ثم توفي سنة ١٠٧٢ الموافقة سنة ١٦٦١ وخلق له ابنه كوبريلي زاده أحمد باشا

فتح قلعة نوهزل

وكان خير خلف لخير سلف فانه كان متمسكاً بالشجاعة والاقدام وحسن الرأي واصالة التدبير واستمر على خطة أبيه من عدم التساهل مع الجندية ومجازاة من يقع منه أقل أمر محل بالنظام بأشد العقاب ومحاربة أعداء الدولة بدون فتور أو ملال حتى يزيل من أذهانهم ما خمرها من تضعيع أحوال الدولة وقرب زوالها ولذلك لم يقبل ما فتنه به دولة النمسا وجمهورية البندقية من الصلح وقاد الجيوش بنفسه وعبر نهر الطونة لمحاربة النمسا ووضع الحصار أمام قلعة (نوهزل) في يوم ١٣ محرم سنة ١٠٧٤ الموافق ١٧ أغسطس سنة ١٦٦٣ ومع ان هذه القلعة كانت مشهورة في جميع أوروبا بالمناعة وعدم امكان أى أحد التغلب عليها وفتحها فقد اضطر كوبريلي أحمد باشا حاميتها إلى التسليم بشرط خروج من بها من الجنود بدون أن يسهم ضرر تاركين ما بها من الاسلحة والذخائر وأخوها فعلاً في ٢٥ صفر سنة ١٠٧٤ الموافق ٢٨ سبتمبر سنة ١٦٦٣ بعد البدء في حصارها بستة أسابيع ولذلك اضطررت أوروبا بجمعها لهل هذا الخبر الذي دوى في آذان ملوك أوروبا ووزرائها كالزعد حتى وضعوا أصابعهم في آذانهم من المصواعق حذر الموت وكان هذا الفتح المبين أشد تأثيراً على ليوبولد (١) امبراطور النمسا أكثر من غيره لدخول الجيوش العثمانية في بلاده وانتشارها في اقليمى مورافيا وسيليزيا فاتحين غازين حتى خيل له أن السلطان سليمان قد بعث من رمسه لفتح ويانه عاصمة دولته ولذلك وسط الباشا باسكندر السابع في طلبه المساعدة له من لوز الرابع عشر (٢) ملك فرنسا وكان قد عرض عليه في

(١) هو ليوبولد الاول امبراطور ألمانيا ولد سنة ١٦٤٠ وتولي بعد موت أبيه فردينان الثالث سنة ١٦٥٨ وحارب الترك وقاومهم مقاومة شديدة في واقعة سان جوتار حيث كانت جيوشه تحت قيادة الجنرال منت كوكلي في سنة ١٦٦٤. وفي عهده ضمت بلاد الازراس إلى فرنسا وفي سنة ١٦٨٣ قصداً الفمانيون مدينة ويانه عاصمة بلاده وحاصروها بالاتحاد مع المجر ولولا مساعدة جميع الممالك المسيحية له تقريباً لسقطت في قبضتهم وفي سنة ١٦٩٩ أمضى مع الباب العالي معاهدة كارلوفتس الشهيرة التي ساقى ذكرها في صلب هذا الكتاب وفي آخر حكمه ابتدأت بينه وبين فرنسا الحرب بسبب ملك اسبانيا الذي كان يريد لوز الرابع عشر إقامة حفيده فيليب الخامس ملكاً عليها وتوفي سنة ١٧٠٥ قبل انتهاء هذه الحروب

(٢) ولدهذا الملك العظيم الشان سنة ١٦٣٨ وتولي الملك بعد موت أبيه لوز الثالث عشر وسنه خمس سنوات وكانت أيامه أيام حروب مع اسبانيا والنمسا وغيرهما وتالبت عليه أغلب الدول أكثر من مرة وتاريخه

ابتداء الحرب امداده باربعين ألفا من الالمانيين المحالفين له فافى خوفا من اظهارالضعف فسعى البابا جهده لدى ملك فرنسا حتى قبل بارساله ستة آلاف جندي فرساوى وأربعة وعشرين ألفا من محالفيه الالمانيين تحت قيادة الكونت دى كوليفي وانضم هذاالجيش الى الجيش النمساوى القائله الكونت دى ستورتزى وابتدأت المناوشات بين الجيشين المتحاربين فقتل القائد العام النمساوى وخلفه القائد الشهير (مونت كوكوللى) وكان قد انضم الى الجيش الفرنساوى عدد عظيم من شبان الاشراف تحت رئاسة الدوك دى لافوياد وفى الاوائل كان النصر فى جانب العثمانيين فاحتل كوبريلى أحمد باشامدينة (سرنوار) وعسكر على شاطئ نهر يقال له نهر(راب) والاعداء معسكرون أمامه وبعد ان حاول عبوره وصدّه الجيش النمساوى الفرنساوى جمع كل قواه فى يوم ٨ محرم سنة ١٠٧٥ الموافق أول اغسطس سنة ١٦٦٤ وعبر النهر عنوة وبعد قليل انتصر على قاص جيش العدو ولولا تدخل الفرنساويين وخصوصا الاشراف منهم اثم للعثمانيين النصر لكن لم يمكن الانكشارية الثبات أما جنود العدو الاكثر منهم عددا فانهم كلما قتل منهم صف تقدّم الاخر وبذلك انتهى اليوم بدون انتصار تام لاحد الفريقين فان العثمانيين حافظوا على مراكزهم بدون تقدم الامام وبسميت هذه الواقعة بواقعة (سان جونار) نسبة لكنيسة قديمة حصلت الحرب بالقرب منها وبعد ذلك تبادلت المخابرات توصلا للصلح وبعد عشرة ايام أبرمت بين الطرفين معاهدة أهم ماها اخلاء الجيش لاقام ترسلانينا وتعيين (ابافى) حاكما عليها تحت سيادة الدولة العلية وتقسيم بلاد البحر بين الدولتين بان يكون للنمسا ثلاث ولايات وللپاب العالي أربعة مع بقاء حصنى (نوفيجراد) (ونوهزل) تابعين للدولة العلية

هذاولأن الحرب انتهت على حدود النمسا الا ان فرنسا مازالت مراكمها تطاردسفن المغرب بحجة انها تغزوسفنها ومازالت هذه حجتهم حتى استولوا على اقليمى الجزائر وتونس فى هذا القرن واستمر هذا الحرب مدة غير صفة رسمية وفى سنة ١٦٦٦ أرسل الوزير بالفرنساوى (كولبر) (١) الذى خلف (مازارين) سفيراً للدولة لاصلاح ذات بينهما لكن لم يصيب فى

مشحون بالوقائع الشهيرة التي امتاز فيها كثير من القواد البرية والبحرية مما يطول شرحه وفى عصره تقدمت جميع العلوم ونمت التجارة والزراعة لكن تضرعت الاحوال فى آخر حكمه بسبب استمرارالحروب ومما يجعل فى تاريخه نقطة سوداء اضطهاد البروتستانت والفاؤه مامنحهم هنرى الرابع من الحرية الدينية عتقضى الامرالساي الصادر فى مدينة (نانت) حتى هاجر كثير من الاشراف والمزارعين والصناع الى البلاد الخارجية للتمتع بالحرية الدينية وتوفى فى أول سبتمبر سنة ١٧١٥ عن ٧٧ سنة وكانت مدة حكمه ٧٢ سنة وخلفه فى الملك لويز الخامس عشر ابن أحد أحفاده

(١) اقتصادى شهير ولد سنة ١٦١٩ فتررب على الاعمال فى وزارة الكردينال مازرين وفى سنة ١٦٦٢ عين مراقبا عاما للمالية فأجرى بماعدة اصلاحات وسوى كافة ديون الحكومة ونقص الضرائب حتى عمت الرفاهية والثروة واليه رجح فضل تأسيس المرصد الفلكي وفتح خليج لانج دوك الموصل بين البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلانطيقي لسهولة الملاحة وله عدة ماثر أخرى يضيق المقام عن حصرها وفى سنة

الاختاب فانه أرسل ابن المسيودي لاهي الذي حبسه الوزر كوبريلي أحمد باشا في ادرنه
 كما سبق ذكره ولذلك لم تقم مأمورته شيئاً بل أنى الصدر تجديد الامتيازات الفرنسية
 التجارية وحررها حق أمرار بضائعها من مصر فالسويس الى الهند وزيادة على ذلك منحت
 الى جمهورية (جنوا) امتيازات خصوصية شبيهة بامتيازات انكلترا ولذلك جازت
 فرنسا بمساعدة مدينة (كانديا) على محاربة العثمانيين فسار الصدر سنة ١٦٦٧ بنفسه لتتميم
 فتح هذه المدينة الحصينة التي كادت تعمي الدولة واستمر الحصار والقتال مدة أكثر من
 سنتين لامداد فرانسائها بالمال والرجال والسفن الحربية وأخيراً اضطرت الحامية الى
 التسليم فسلمها قائدها (موروزيني) في ٢٩ ربيع الثاني سنة ١٠٨٠ الموافق ٢٦ سبتمبر
 سنة ١٦٦٩ بعد ان أمضى مع الصدر معاهدة بالنياية عن جمهورية البندقية تقضى بالتنازل
 للدولة العلية عن جزيرة كريد ماعد اثلاث قرى وهي (قره بوزا) و (سودا) و (سبيندا
 لونجا) وصدقت البندقية عليها في فبراير سنة ١٦٧٠ وفي هذه الاثناء كان المسيودي لاهي
 سفير فرانساهما بالاستانة يسعى جهده في الحصول على تجديد الامتيازات فلم يفلح
 وفي سنة ١٦٧٠ أرسل لويز الرابع عشر سفيراً غيره يدعى الماركيز دي نوانتل بمحاربة بحرية
 حربية بقصد ارباب الصدر وتهديده بالحرب اذ لم يذعن لطلبات فرانساهما لم ترهبه هذه
 التظاهرات بل قابل السفير بكل سكون وقال له ان تلك المعاهدات لم تكن الامتيازات السلطانية
 لمعاهدات اضطرابية واجبة التنفيذ وانه ان لم يرتح لهذا الجواب فاعليه الا الرحيل
 ولما وصل هذا الجواب الى ملك فرانساهما أراد اعلان الحرب على الدولة ولولا نصائح
 الوزير (كولبر) تركبت فرانساهما هذا المركب الخشن وجلبت لنفسها ضرراً فادحاً بقفل
 أبواب الشرق أمام مراكها بل تمكن كولبر بحكمته وسياسته ومعاملة الدولة العلية باللين
 والخضوع من تجديد المعاهدات القديمة في سنة ١٦٧٣ وفوض ثانياً الى فرانساهما حق
 حماية بيت المقدس كما كان لها ذلك من أيام السلطان سليمان وبذلك عادت العلاقات الى
 سابق صفائها بين الدولتين ومما زاد حدود الدولة اتساعاً ومنعة من جهة الشمال خضوع
 جميع القوزاق الساكنين بالجزء الجنوبي من بلاد روسيا الى الخليفة الاعظم محمد الرابع
 بدون حرب بل حباً في الدخول في حامي دولة الاسلام ولذلك أغارت بولونيا على ولاية
 (أوكرين) فاستعجد حاكمها الاكبر بالعثمانيين فانجده السلطان وسار بنفسه في جيش
 جرار ووصل في قليل من الزمن الى حصن رامنيك في ٢٣ ربيع آخر سنة ١٠٨٣ الموافق
 ١٨ أغسطس سنة ١٦٧٢ واحتل هذا الحصن عنوة بعد محاصرة استمرت عشرة أيام
 وكذلك احتل مدينة لمبرج الشهيرة (١) فطلب سلطانهم (ميشل) الصلح على أن يترك إقليم
 ١٦٦٩ أضاف اليه الملك نظارة البحيرة فرتبها أحسن ترتيب وأنشأ عدة سفن وتوفي سنة ١٦٨٣ بعد
 ان خلد اسمه في تاريخ فرنسا بأعماله التي لم يزل كثير منها باقياً الى الان
 (١) هي عاصمة ولاية غاليسيا التابعة لملك النمسا وبلغ عدد سكانها ١٢١ ألف نسمة وتبعد عن مدينة

أوكرين للقوزاق وولاية (بودوليا) للدولة العلية ويدفع لها جزية سنوية قدرها مائتان وعشرين ألف بندق ذهباً فقبل السلطان هذه الشروط وأمضيت بينهما في ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٠٨٣ الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٦٧٢ أى بعد اعلان الحرب بشهر واحد وسميت هذه المعاهدة بمعاهدة بوزا كس

لكن لم تقبل الامة البولونية بهذا الوفاق بل أصرت على استمرار القتال وأرسلت قائدهم الشهر سويسكى بجيوش جرارة لمحاربة العثمانيين فاستردت مدينة لمبرج واطهاراً لمنونية الامة اتجته ملكاً عليها بعد موت ميشل سنة ١٦٧٣ واستمرت الحرب بين الدولتين سجلاً الى سنة ١٦٧٦ وفيها جدد الملك سويسكى الصلح بعد أن فقد معظم جيوشه في هذه الحروب المستمرة وتنازل للدولة العلية عما كان تنازل لها عنه الملك ميشل الى بعض مدن قليلة الاهمية وكانت هذه المعاهدة خاتمة أعمال كوبريلى أحمد باشا الذى توفى بعد انعاما بقليل في ٢٤ رمضان سنة ١٠٨٧ الموافق ٣٠ اكتوبر سنة ١٦٧٦ عن واحد وأربعين سنة قضى منها خمسة عشر سنة في منصب الصدارة العظمى بكل أمانة وصدقة سائراً في ذلك على خطة والده المرحوم كوبريلى محمد باشا وتقلد منصب الصدارة بعده زوج أخته موصطفى ولم يكن كفواً للسيرة في الطريق الذى رسمه كوبريلى الكبير وولده بل اتبع مصالحة الذاتية وبيع المناصب العالية والمعاهدات والامتيازات المحقة بالدولة حالاً واستتبلاً بدراهم معدودة وبسوء سياسته كدر خواطر القوزاق وأبعدهم عن الدولة حتى ان خان اقليم (أوكرين) عصاهاجهاراً في فبراير سنة ١٦٧٧ واستنجد بالروسيا التي كانت آخذة اذ ذاك في تنظيم داخلتها وتقديم أمتها وكانت تتوق للدخول ضمن المجتمع الاوروبى فامدته بالرجال وحاربت عساكر الدولة واستمرت الحرب بين القوزاق والروس من جهة والعثمانيين من جهة أخرى بين أخذ ورد حتى سنة ١٦٨١ حيث تم الصلح بينهم على بقاء الحالة على ما كانت عليه قبل ابتداء الحرب وسميت هذه المعاهدة بمعاهدة رادزين

وفي هذه السنة سار قهر مصطفى باشا الى بلاد المجر لمحاربة النمسا بناء على استدعاء (تيليسكى) أحد أشرف المجر الذى أنار الايلات المجرية التابعة للنمسا للتخلص من استبدادها الدينى فان الامبراطور ليوبولد لكونه كانولىكيا كان يأمر بقتل كل من يلوح عليه أدنى ميل الى مذهب البروتستانت

وبعد ان انتصر عدة مرات على النمساويين قضى مدينة ويانة عاصمة النمسا فحاصرها سنة ١٦٨٣ مدة شهرين واستولى على كافة قلاعها الامامية وهدم أسوارها بالمدافع وأنعام

ويانة بمسافة ٥٨٠ كيلو متراً في الاتجاه الشمالى الشرقى واشتهرت في التاريخ بدخول شارل الثاني ملك السويد بها عنوة سنة ١٠٧٤ وتنصيبه ستانسلاس ملكاً على بولونيا ضد رغائب في الدول وهي تابعة للنمسا من عهد تقسيم بولونيا سنة ١٧٧٣

حصار مدينة
ويانة اخر دفعة

البارود ولما لم يبق عليه الا المهاجمة الاخيرة المتممة للفتح أنى سويسكى ملك بولونيا ومنتحبي
(ساكس) و(بافيرا) بجيوشهم بناء على الحاح البابا عليهم واستنهاضهم همهم لمحاربة المسلمين
حتى أضرم في قلوبهم نار التعصب الدينى وفى يوم ٢٠ رمضان سنة ١٠٩٤ الموافق
١٢ سبتمبر سنة ١٦٨٣ هاجم سويسكى ومن معه العثمانيين فى المرتفعات المتحصنين
بها وبعد ان استمر القتال طول النهار فاز المسيحيون بالنصر وانهمز قره مصطفى باشا
وجيوشه أمامهم تاركا كافة المدافع والذخائر والمؤن فكان يوماً مشهوداً يجعل الولدان
شبيهاً ثم جمع قره مصطفى باشا ما بقى من جنوده ولمشهم على نهر (راب) ومن هناك قفل
راجماً الى مدينة بود والملك سويسكى سائر خلفه يقتل كل من يتخاف فى السير وفتح مدينة
جران بكل سهولة ولما وصل خبر هذا الخذلان الذى لم يسبق لجيوش الدولة أمر السلطان
محمد الرابع بقتل الصدر قره مصطفى باشا وأرسل أحد رجال حاشيته فقتله وأرسل برأسه
الى القسطنطينية وعين مكانه ابراهيم باشا سنة ١٠٩٥

وبعد استخلاص مدينة ويانه تألفت كل من النمسا وبولونيا والبندقية وrehنة مالطه والبابا
ومملكة الروم على محاربة الدولة الاسلامية الوحيدة لحوها من العالم السياسى والذى
يدل على ان هذا التحالف كان دينياً محضاً تسميته بالتحالف المقدس ومما زاد احوال
هذه الدولة القائمة بمفردها أمام جميع الدول المسيحية ارتباكاً قطع العلاقات بينها وبين
فرنسا بسبب المناوشات البحرية المستمرة بين مراكبها وقرصانات المغرب فان الاميرال
دوكين (١) تبع ثمان مراكب من ميناء طرابلس الغرب الى جزيرة ساقر ولما التجأت الى
فرصتها واراد الاميرال الدخول الى الميناء خلفها ومنعه حاكم الجزيرة اطلق مدافعه على المدينة
بدون اعلان حرب وجاوبته قلاعها ولم يمنع عن القاء القنابل على بيوت السكان حتى دمر
المدينة وفى سنة ١٦٤٨ اطلق دوكين ايضا المدافع على مدينة الجزائر بالغرب مدة ولم يكف
عن القاء المقذوفات النارية عليها حتى دفع اليه اهلها مليونين ومائتى الف قرش غرامة حربية
واطلقوا سراح من عندهم من اسرى الفرنسيين وفى السنة التالية فعل هذا الأمر
الشيخ أيضاً فى ميناء طرابلس الغرب ولاشتغال الدولة بحجارة التحالف المقدس ضربت
كشاحاً عن هذه التعديلات المخالفة لقوانين الحرب ووجهت اتهامها الى الجيوش المتعددة
التي زحفت على بلادها من كل حدب فان جيوش الملك سويسكى كانت تهدد بلاد البغدان
وسفن البنادقة تهدد سواحل اليونان وبلاد موره ولعدم وجود المراكب الكافية لصيد
هجمات سفن البنادقة التي كانت تهزها مراكب البابا وrehنة مالطه احتلت جيوش

(١) وللهذا الاميرال بمدينة (ديب) من أعمال فرنسا سنة ١٦١٠ من عائلة شريفة واتخذ الملاحة مهنة
ونبح فيها بسرعة فورية حتى صار زبانا لسفينة وسنه سبعة عشر سنة ولما حصلت الاضطرابات فى صفر
لويس الرابع عشر هاجر الى بلاد السويد وعين بها (فيس اميرال) وانتصر على دوناخه الانبارك وفى سنة
١٦٤٧ رجع الى فرنسا واشهر فى عدة وقائع شهيرة وبسبب اتباعه لهذه البروتستانت لم يعين اميرالاً ولم
يمنح ما كان يستحقه من القاب الشرف وتوفي سنة ١٦٨٨ -

البنادقة في سنة ١٦٨٦ أغلب مدن اليونان حتى كورانتته وأثينته أما النمسا فاغارت جيوشها على بلاد المجر واحتلوا مدينة بست الواقعة امام مدينة بودوحاصر هذه المدينة أيضا ولولا مدافعة حاكمها وحاميتها دفاع الابطال لسقطت في ايديهم وفي سنة ١٦٨٥ احتل النمساويون عدة حصون وقلاع شهيرة اهمها قلعة نوهزل وبسبب هذه الانهزامات المتعاقبة عزل الصدر ابراهيم باشا ونفى في جزيرة رودس ولم يلبث في منصب الصدارة الا سنتين وتعين مكانه السر عسكر سليمان باشا وكان مشهوراً بحسن التدبير والشجاعة والاقدام لكن كانت الدولة قد وصلت الى درجة من التهمقر امام هذه القوى المتألبه عليها صار معها الخلاص صعبا سيما وقائد الجيوش النمساوية كان الدوك دي لورين الشهير

وكان اول اعمال سليمان باشا الاسراع الى انجاد مدينة بود التي كان يحاصرها الدوك دي لورين بتسعين الف جندي لكن لم تجد مساعده شئ فان القائد المذكور دخلها عنوة في يوم ١٣ شوال سنة ١٠٩٧ الموافق ٢ سبتمبر سنة ١٦٨٦ بعد ان قتل حاكمها عبيد باشا وأربعة آلاف من جنوده في الدفاع عنها ولم تدخل هذه المدينة ثانياً في حوزة العثمانيين الى الآن

وبعد سقوط هذه المدينة في قبضة النمساويين ومخالفهم اراد الصدر سليمان باشا أن يأتي عملا يكفر عنه عند الامة ما أتاه من التهاون في مساعدة مدينة بود لكن اتاه الضرر من حيث كان يريد النفع لنفسه فانه جمع من بقايا كتائبه جيشا مؤلفاً من ستين الف مقاتل يعززم سبعون مدفعا وانتظر انقضاء الشتاء والربيع لشدة بردها وكثرة ما بسط فيهم من الثلوج في هذه الجهات باذلا جهده في جمع الذخيرة الكافية وفي تدريب جنوده خينة الفشل والتصاق الهوان باسمه ثم هاجم جيوش التحالف المقدس في سهل موهاكر الذي سبق انتصار العثمانيين فيه على المجر نصراً عزيزاً قبل هذا التاريخ بمائة وستين سنة فالتحم الجيشان في ٣ شوال سنة ١٠٩٨ الموافق ١٢ اغسطس سنة ١٦٨٧ وبعد قتال شديد دارت الدائرة على الجيوش العثمانية فانهمزوا عن آخرهم وأخذ العدو في جمع مامعهم من المدافع والسلاح والمؤن والذخائر واحتلت جيوشه اقليم ترانسلفانيا وعدة قلاع من (كرواسيه) ولما ذاع خبر هذا الانكسار بين الجيوش الموجودة بالاستانه هاجوا وماجوا وأرسلوا للجيوش الباقية مع الصدر سليمان باشا فاشهروا عليه العصيان ولولا فراره الى بلغراد لاعدموه الحياة ثم ارسل الانكشارية والسياه وفداً للاستانة يطلب من السلطان الامر بقتل الصدر فلم يرد ذلك وامر بقتله تسكيناً لثورة غضب الجند ولما لم يقد شيئا ولم تعد السكينة بين الجيوش وخيف على المملكة العثمانية من الداخل قرر الوزير الثاني (القائم مقام) قره مصطفي بانحاده مع العلماء عزل السلطان محمد الرابع فعزلوه في ٢ محرم سنة ١٠٩٩ الموافق ٨ نوفمبر سنة ١٦٨٧ بعد ان حكم

أربعين سنة وخمسة أشهر وبقى في العزلة الى أن توفي في ٨ ربيع الآخر سنة ١١٠٤ الموافق ١٧ ديسمبر سنة ١٦٩٢ بالغاً من العمر ٥٣ سنة ودفن في تربة والدته ترخان سلطان وولوا بعد عزله أخاه

٢٠ « السلطان الغازي سليمان خان الثاني »

هو ابن السلطان ابراهيم الاول ولد في ١٥ محرم سنة ١٠٥٢ الموافق ١٥ أبريل سنة ١٦٤٢ فأغدى العطايا على الجنود ولم يعاقبهم على عصيانهم الذي كانت نتيجة عزل خلفه ولذلك ما لبثت ان تمردت ثانياً وقتلت قوادها وحاصرت الصدر الجديدياوس باشا في سرايه وقتلوه وسبوا أزواجه فكانت الاستانة فوضى وانتهمز الاعداء هذه الاختلالات والاضطرابات المستمرة لفتح الحصون العثمانية فاحتل النمساويون قلاع (ارلو) و (لبا) وغيرها واحتل موروز بني الهند في مدينة لييه من بلاد اليونان وكافة سواحل دالماسيا سنة ١٦٨٧ وفي السنة التالية أي سنة ١٦٨٨ سقطت مدائن سمندرية وقلومبار وبلغراد في أيدي النمساويين ثم فقدت الدولة العثمانية في سنة ١٦٨٩ مدائن نيش وودين من بلاد الصرب وذلك لعدم كفاءة الصدر مصطفى باشا الذي خلف سياوس باشا قتيلاً الانكشارية ولما رأى السلطان توالي المصائب عزل هذا الصدر وعين مكانه كوبرلي مصطفى باشا ابن كوبرلي محمد باشا الكبير ولم يكن أضعف هممة من والده بل كان يشبهه في علو المكانة ومضاء العزيمة فبذل جهده في بث روح النظام في الجنود باللين طوراً وبالشدّة أخرى ومنعهم عن اغتيال حقوق الاهالي وصرف لهم متأخراتهم من مال الاوقاف حتى لا يكون لهم حجة في اختلاس شيء من الاهالي فانتظم حال الجيش وصار يمكن التعويل عليه في الحروب ومن جهة أخرى أباح للمسيحيين بناء مائتة من كنائسهم في الاستانة وعاقب بأشد العقاب كل من تعرّض لهم في اقامة شعائر دينهم حتى استمال جميع مسيحيي الدولة وكانت نتيجة معاملته المسيحيين بالقسط أن ناراهالي مورده الاروام على البنادقة فطردوهم من ديارهم لتعرّضهم لهم في اقامة شعائر مذهبهم الارثوذكسي واجبارهم على اعتناق المذهب الكاثوليكي ودخلوا في حيا الدولة العلية طائعين مختارين لعدم تعرّضها لديانتهم مطلقاً ولما انتظم الجيش وطهر من الادران التي كادت تؤدي به الى الدمار وساد الامن داخل البلاد سار بنفسه لحاربة الاعداء فاسترد في قليل من الزمن مدائن نيش وودين وسمندرية وبلغراد في سنة ١٦٩٠ بينا كان سلم كراي خان القرم يخضع ثائري الصرب وتيكللي المجري يرجع اقليم ترانسلفانيا الى أهلاك الدولة وبذلك أعاد كوبرلي مصطفى باشا بعض ما فقدته الدولة من المجد والسؤدد بسبب ضعف الوزراء وعدم اطاعة الانكشارية وفي ٢٦ رمضان سنة ١١٠٢ الموافق ٢٣ يونيو سنة ١٦٩١ توفي السلطان سليمان الثاني عن غير عقب وعمره ٥٠ سنة بعد أن حكم ثلاث سنوات وثمانية أشهر ودفن في تربة جده

السلطان سليمان الاول وتولى بعده أخوه

٢١ « السلطان الغازي احمد خان الثاني »

المولود في ٦ الحجة سنة ١٠٥٢ الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٦٤٣ فابقي الصدر الاعظم اعتماداً عليه في الحرب والسلم لكن لم تمهل المنية هذا الوزير الشهير بل قضت عوده الرطيب وهو في عنفوان شبابه فتوفي في ٢٤ ذي القعدة سنة ١١٠٢ الموافق ١٨ أغسطس سنة ١٦٩١ في ساحة القتال عند مهاجمة الجيوش النمساوية القائدها لوزيدي باد فكان موته ضربة على الدولة لعدم كفاءة عريه جى على باشا الذي أخلفه في منصب الصدرية ولم تحصل أمور ذات بال في أيام هذا السلطان بل اقتضت الحرب على بعض مناوشات ليس لها من الاهمية شأن يذكر غير أن البنادقة احتلت في سنة ١٦٩٤ جزيرة ساقر ثم انتقل الى رحمة مولاه في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١١٠٦ الموافق ٦ فبراير سنة ١٦٩٥ وعمره ٥٤ سنة قرية تقريباً بعد أن حكم ٤ سنين و ٨ أشهر ودفن في تربة جده سليمان الاول مع أخيه سليمان الثاني وتولى بعده

٢٢ « السلطان الغازي مصطفى خان الثاني »

ابن السلطان محمد الرابع المولود في ٨ ذي القعدة سنة ١٠٧٤ الموافق ٢ يونيه سنة ١٦٦٤ وكان متصفاً بالشجاعة وثبات الجاش ولذلك أعلن بعد توليته ثلاثاً أيام رغبته في قيادة الجيوش بنفسه فسار الى بلاد بولونيا مستعيناً بفرسان القوزاق وانتصر على البولونيين عدة مرات ولولا ملاقاته من الدفاع أمام مدينة لمبرج لتقدم كثيراً لكن كان هذا الحصن المنيع من أكبر العوائق لاستمرار فتوحاته ومن جهة أخرى حارب الروس واضطرم لرفع الحصار عن مدينة ازاق ببلاد القرم التي حاصرها بطرش الاكبر (١) لتكون نفراً لبلاده على البحر الاسود اذ كانت قبائل القوزاق تحول بين هذا البحر وبين بلاده فرفع الحصار عنها رغم أنه في أكتوبر سنة ١٦٩٥ معاملاً نفسه بمعاودة الكرة عليها عند تهيم الأسباب وبعد ذلك أغار السلطان بجيوشه ثانياً على بلاد الجرج وفتح حصن (لبا) عنوة وهزم الجنرال (فتزاني) في موقعة لوجوش وقتل من عساكره ستة آلاف

(١) ولدهذا الامبراطور الشهير ممدن الروسية سنة ١٦٧٢ وتولي الملك سنة ١٦٨٢ فزاره أخوه الاكبر (ايوان) وأخته صوفيا وفي سنة ١٦٨٩ استقل بالملك بعد استقالة أخيه وحجز أخته في أحد الاديرة ومن ذلك الحين أخذ في اصلاح داخلية ثم سافر الى ممالك أوروبا سنة ١٦٩٧ للنظر في نظماتها وتقليد ما ينطبق منها على عوائد بلاده وعاد الى موسكو بعد سنة وأبطل جيش (الاسترلن) الذي كان أشبه بمساكر الانكشارية وجعلت الممالك بمهر وأسس مدينة سان بطرسبورج ونقل اليها عاصمة أملاكه وحارب شارل الثاني عشر ملك السويد وملكه العجيب وأخذ منها عدة ولايات مهمة وتوفي في ٨ فبراير سنة ١٧٢٥ وخلفته زوجته كاترين الاولى.

جندى وأخذه أسيراً وقتله في ٢٢ سبتمبر سنة ١٦٩٥ الموافق ١٢ صفر سنة ١١٠٧ وفي سنة ١٦٩٦ فاز السلطان فوزاً ميبناً على منتخب (ساكس) في موقعة أولاش وبعد ذلك تلمد البرنس (أوجين دى سافوا) القائد الشهير قيادة الجيش النمساوى فعمل الفكرة في عدم ملاقاته لجيش العثماني في الاراضى السهلة بل حاوله مدة بدون أن يمكن السلطان من مهاجمته حتى فاجاه هو أثناء عبور الجنود العثمانية لنهر (تيس) وعدم استعدادها للدفاع بالقرب من قرية صغيرة اسمها زينتاً فقتل منهم عدداً عظيماً من ضمنهم الصدر الأعظم الماس محمد باشا وغرق منهم في النهر أكثر ممن قتل ولولا وجود السلطان على الضفة الاخرى لسهط في أيديهم أسيراً وكان ذلك في ٢٥ صفر سنة ١١٠٩ الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٦٩٧ ثم تبعهم البرنس أوجين ودخل بلاد البوسنة فاتحاً وعين بعد ذلك عموجه زاده حسين باشا كوزير إلى صدر أعظم

وفي أثناء اشتغال السلطان ببلاد المجر عاد بطرس الاكبر الروسى لفتح ميناء ازاك لاهميتها لمملكته فدخلها في خلال سنة ١٦٩٦ ولم تزل تابعة للروسيا حتى الآن فكانت الدولة في خطر شديد من جهة روسيا والنمسا لكن أوقف الصدر الأعظم كوزير إلى حسين باشا البرنس أوجين في سيره وألزمه التمسك أمامه حتى أدخل بلاد البوسنة ورجع إلى ما وراء نهر (ساف) واسترد الأميرال البحري العثماني الملقب (مزومورتو) جزيرة ساقز بعد أن انتصر دفعتين على مراكب البندقية ثم ابتدأت المحادثات للوصول إلى الصلح فدخل ملك فرنسا لويس الرابع عشر وأراد أن يدخل الدولة في معاهدة (ريسويك) (١) فلم تقبل لعلمها أن جميع الدول يد واحدة عليها ولو أظهرت لها احداها التودد فذلك لم يكن الا لغاية كامنة في النفس والتاريخ الحالي شاهد عدل

وبعد خسارة طويلة أمضيت بين الدولة العلية والنمسا والروسيا والبندقية وبولونيا معاهدة كارلوفتس في ٢٤ رجب سنة ١١١٠ الموافق ٢٦ يناير سنة ١٦٩٩ فتزكت الدولة ببلاد المجر بأجمعها واقليم ترانسلفانيا لدولة النمسا وتنازلت عن مدينة ازاك وفرضتها للروسيا فصار لها بذلك يد على البحر الاسود وزادت أهمية جوارها للدولة العلية أضعاف ما كانت عليه من قبل وردت لمملكة بولونيا مدينة (كامينك) واقليمى (بودوليا) واوكرين وتنازلت للبندقية عن بحيرة جزيرة مورا إلى نهر (هكساميلون) واقليم دلماسيا على البحر الادرياتيكي بأجمعه تقريباً واتفقت مع النمسا على معاهدة خمس وعشرين سنة وأن لا تدفع هي أو غيرها شيئاً للدولة العلية على سبيل الجزية أو مجرد الهدية وبهذه المعاهدة فقدت الدولة جزءاً ليس بقليل من أملاكها بأوروبا وزادت أطماع الدول في بلادها كما سيأتى مفصلاً

(١) قرية ببلاد هولانده أمضيت فيها في ٢٠ سبتمبر سنة ١٦٩٧ معاهدة بين فرنسا من جهة وألمانيا واسبانيا وانكلترا وهولانده من جهة أخرى وبمقتضاها اعترفت الدول بامتلاك فرنسا لمدينة ستراسبورج وبلاد الألزاس

ويمكننا القول بان الاتفاق قد تم من ذلك التاريخ بين جميع الدول ان لم يكن صراحة فضمننا على الوقوف امام تقدم الدولة العلية أولا ثم تقسيم بلادها بينهم شيئا فشيئا وهو ما يسمونه في عرف السياسة بالمسألة الشرقية المبنية على الخوف من انتشار الدين الاسلامي وحلوله محل الدين المسيحي ليس الا أما ما يسترون خلفه غاياتهم من الدفاع عن حقوق الامم المسيحية الضعيفة الخاضعة للدولة فما لم يعد أحد يعتز به

وبعد اتمام هذه المعاهدة التي ربما كانت أوحش عاقبة لولا استظهار كور بريلى حسين باشا على البرنس أوجين قائد الجيوش النمساوية في بلاد البوسنة وجه هذا الوزير اهتمامه الى الامور الداخلية والشؤون المالية والاحوال العسكرية مما لا قوام لاي دولة الا بانتظامها وتقويم المعوج منها فاتي لسكل منها بالدواء الكافي والعلاج الشافي وترك كثيراً من الاموال المتأخرة على الاهالي لاسيما المسيحيين منهم حتى لا يجد منهم المتفسدون المضلون نصراء الا جانب وسماستهم أذنا صاغية لدسائسهم الايهامية ووساوسهم الشيطانية التي يسمعون بها بلادهم للجاناب طمعا في مال أواجه ان يكونوا بالغية والله في خلقه آيات ثم استقال هذا الوزير المصلح في ١٢ ربيع الآخر سنة ١١١٤ الموافق ٥ سبتمبر سنة ١٧٠٢ وعين مكانه في منصب الصدارة (دال طهان مصطفى باشا) وكان جنديا ميالا للحرب ولذلك لم يسر على خطة سلفه من اصلاح الشؤون الداخلية وتنظيم البلاد وانشاء الطرق العمومية وغيرها من الاعمال والانشغال العمومية وعدم اضاءة النفوس والاموال في الحروب وازدانة البلاد لبعضها بدون اصلاح أو تنظيم اكتفاء بما يؤخذ من الغنائم وقت الحرب بل أراد أن يخرق عمدة كارلوفنس مع حداثتها ويثير الحرب على النمسا ولشعور الاهالي والجنود بمضار هذه السياسة على الدولة لما وراءها من تألب الدول عليها ثانياً وأخذ بعض بلادها تدمروا ضد الوزير واشترك معهم بعض الجنود وطلبوا من السلطان عزله فاقاله في ٦ رمضان سنة ١١١٤ الموافق ٢٦ نوفمبر سنة ١٧٠٢ وتعين محله (رامى محمد باشا) فسار على أثر كور بريلى حسين باشا وشرع في ابطال المقاسد ومعاينة المرتشين ومنع المظالم فهاج ضده أرباب الغايات وكثير عداهم وأثاروا عليه الانكشارية لميلهم بالطبع الى الهياج للسلب والنهب وهتك الاعراض فطلبوا عزله من السلطان فامتنع وأرسل لقمعهم فرقة من الجنود فانضمت الى الفائزين وعزلوا السلطان مصطفى الثاني في ٢ ربيع الآخر سنة ١١١٥ الموافق ١٥ أغسطس سنة ١٧٠٣ بعد أن حكم ٨ سنوات و٨ شهور وبقي معزولا الى أن توفي في ٢٢ شعبان من السنة المذكورة الموافق ٣١ ديسمبر سنة ١٧٠٣ وعمره أربعون سنة تقريبا وأقاموا مكانه بعد عزله أخاه

٢٣ « السلطان الغازى احمد ماه الثالث »

ابن السلطان الغازى محمد الرابع المولود في ٣ رمضان سنة ١٠٨٣ الموافق ٢٣

دسمبر سنة ١٦٧٣ وعند تعيينه وزع أموالا طائلة على الانكشارية وسلم لهم في قتل الملقى
فيض الله أفندي لمقاومته لهم في أعمالهم ثم لما قررت الاحوال وعادت السكينة اقتص من
رؤس الانكشارية فقتل منهم عددا ليس بقليل وعزل في ٦ رجب سنة ١١١٥ المصدر
الاعظم نشايجي أحمد باشا الذي انتخبه الانكشارية وقت ثورتهم وعين في هذه الوظيفة
المهمة وزوج أخته داماد حسن باشا لكن لم تحمه مصاهرته للسلطان ولما آتاه من الاعمال
النافعة كاستجديد الترسانة وانشاء كثير من المدارس من أن يكون هدف الدسائس المفسدين
أرباب الغايات الذين لا يروق في أعينهم وجود أعنة الامور في قبضة رجل حازم يحول بينهم
وبين ما يشتهون فاعملوا فكرموا وبذلوا جهدهم حتى تحصلوا على عزله في ٢٨ جمادى الاولى
١١١٦ ومن بعده كثر تغير الصدور تبعاً للاهواء وكانت نتيجة ذلك ان الدولة لم تلقت
لاجرا آت بطرس الاكبر ملك روسيا في داخلية بلاده ولم تدرك كنه سياسته الخارجية المبنية
على أضعاف الاقوياء من مجاوريه أى السويد و بولونيا والدولة العثمانية وانه قد ابتدأ
في تنفيذ مشروعه هذا بان حارب شارل الثاني عشر (١) السويدي وانتصر عليه أخيراً
نصراً عظيماً في واقعة (بولتاوا) في سنة ١٧٠٩ ولو فطنت الدولة ووزرائها الى ما نطوت عليه
هذه السياسة للزمها مساعدة السويدي على الروسي حتى يكونا مع بولونيا حاجزاً ضد أطماعها
لكنها لم تفقه هذا السر السياسي فقبلت لشارل الثاني عشر ظهر المجن حتى لما التجأ بعد واقعة
بولتاوا الى مدينة (بندر) وأخذ في استمالة الدولة لخاربة روسيا ولكن لم ينجح في مسعاه
لمعارضة الوزير نعمان باشا كوبرلي للحرب

ثم لما عزل الوزير وتولى بعده (بلطجى محمد باشا) مال لا تارة الحرب على روسيا فاشهر عليها
الحرب وقاد الجيوش بنفسه وبعده مناورات مهمة حصرت الجيوش العثمانية البالغ قدرها
مائتي ألف جندي قيصر روسيا وخيلته كاترينا (٢) ولواستمر عليهم الحصار قليلاً
لاخذ أسيراً هو ومن معه واتمحت الدولة الروسية كلية من العالم السياسي أو بالأقل بقيت في

(١) هو ابن شارل الحادي عشر ولد سنة ١٦٨٢ وتولى الملك سنة ١٦٩٧ ولصفرته تألب ضده ملك
الدانيمرك وملك بولونيا وقيصر روسيا فحارب الدانيمرك أولاً وانتصر عليها ثم حارب روسيا ففقرها
ثم سار الى بلاد بولونيا وانتصر عليها وعزل ملكها وأقام مكانه أحد محالفيه وفي سنة ١٧٠٩ قصد مدينة
موسكو فانتصر عليه بطرس الاكبر في واقعة يولتاوه واحتوى هو بمدينة بندر بيلاد الترك حيث أقام
عدة سنين وفي أثناء غيابه عن بلاده عاد ملك بولونيا اليها واستولى الروس على عدة ولايات من أملاكه
وأخيراً خرج من بلاد الترك قهراً عنه بعد أن قاوم مقاومة شديدة وقتل سنة ١٧١٨ عند حصاره احدي
بلاد اندروبيج

(٢) هي كاترينا الاول وأصلها من عائلة فقيرة باحدى ولايات ليقونيا تزوجت أولاً بيسكرى سويدي ثم
أخذت أسيرة سنة ١٧٠٢ عند دخول الروس مدينة مريم بروج واقربط جاهلها اتخذها البرنس منسكوف
خليفة وفي سنة ١٧١١ أعجبت بطرس الاكبر فأتخذها لنفسه ورافقه في أغلب حروبه وبعد أن آت منه
بعدة أولاد أعلن تزوجها وتوجها امبراطورة في سنة ١٧٢٤ ولما توفي في السنة التالية خلفته على سرير
الامبراطورية واتبعت خطته في الاصلاحات وتوفيت سنة ١٧٢٧

التوحش والهمجية عدّة أجيال لكن استمالت كاترينا بلطجي محمد باشا اليها وأعطته كافة ما كان معهم من الجواهر الكريمة والمصوغات الثمينة فخان الدولة ورفع الحصار عن القيصر وجيشه مكتفياً بامضاء القيصر لمعاهدة (فلكرزن) المؤرخة ٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٣ الموافق ٢٥ يولييه سنة ١٧١١ الذي أدخل بمقتضاها مدينة أزاك وتعهد فيها بعدم التدخل في شؤون القوزاق مطلقاً لكن لا يخفى على كل مطلع له ذرة من العقل ان هذه المزية لم تكن شيئاً مذكوراً في جانب ما كان يمكن الدولة أن تناله من القيصر لو أهلكت جيشه واستولت عليه أسيراً ولذلك احتدم شارل الثاني عشر السويدي نزال بنادر غيظاً وسعى لدى السلطان بمساعدة خان القرم دولت كراي حتى تحصل على عزله وإبعاده الى جزيرة لنوس

وتولى بعده يوسف باشا وكان محباً للسلم فامضى مع الروسيا معاهدة جديدة تقضى بعدم الحاربة بينهما مدّة ٢٥ سنة لكن لم تمض على هذا المعاهدة بضعة أشهر حتى قامت الحرب ثانية بين الدولتين بسبب عدم قيام بطرس الأكبر بأحد شروط معاهدة فلكرزن القاضي بتخريب فرضة تجار ترك الواقعة على بحر ازاك فتدخلت انكلترا وهولانده في منع الحرب لاضرارته بتجارتهما وبعد مخبرات طويلة أمضيت بينهما معاهدة جديدة سميت بمعاهدة أدرنه في ٢٤ جمادى الاولى سنة ١١٢٥ الموافق ١٨ يوليوس سنة ١٧١٣ تنازلت الروسيا بمقتضاها عمالها من الاراضي على البحر الاسود حتى لم يبق لها عليه مين أو ثغور وفي مقابلة ذلك أطل ما كانت تدفعه سنوياً الى أمراء القوم بصفة جزية كي لا يتمدّ واعلى قوافلها التجارية وعند ذلك ينس شارل السويدي من نوال غرضه وهو مساعدة الدولة العلية على الروسيا فبارح بلاد الدولة في أول اكتوبر سنة ١٧١٣ بعد ان أقام فيها نحو سنتين

ثم تولى منصب الصدارة على باشا اماديد يوسف باشا وكان ميالاً للحرب غيوراً على صالح الدولة ميالاً لاسترجاع ما ضاع من أملاكها خصصوا بلاد موره ولذلك أعلن الحرب على جمهورية البندقية وفي قليل من الزمن استرد البندقية جزيرة باجمر والمدين التي كانت باقية للبندقية بحزيرة كريد حتى لم يبق لهم ببلاد اليونان الا جزيرة كورفو فاستغانت البندقية بشارل الثالث امبراطور النمسا أحد الماضيين على معاهدة كارلوفتس ولكون الحرب كانت قد انتهت ووضعت أوزارها بين النمسا وفرنسا وتم الصلح بينهما بمعاهدتي أوترك ورستاه أسرع الامبراطور النمساوي الى البندقية بان أرسل الى السلطان بلاغا يطلب منه فيه ارجاع كل ما أخذ من البندقية وكان أعطى لهم بمقتضى معاهدة كارلوفتس والا فيكون امتناغه بمثابة اعلان للحرب فلم تقبل الدولة هذا الطلب وفضلت الحرب في هذا الوقت الغير مناسب بعدم تبصر وزيرها فانه كان من الواجب عليه عدم عمل ما يسبب هذه الحروب مع عدم اشتغال النمسا بحاربة فرنسا وامكانها توجيه كل قواها وأمهر قوادها الى ساحة القتال خصوصاً القائد الذائع الصيت البرلس (أوجين دي سافوا) الذي سبق ذكره أكثر من مرة

معاهدة بارس
وقفس

فكان من المحقق تقريباً فوزه على العثمانيين لتضامه من فتون الحرب التي لا تقوى عليها
شجاعة العثمانيين وما اتصفوا به من الثبات

وما يؤيد ذلك أن البرنس أوجين انتصر عليهم في موقعة بترواردين في يوم ٥ أغسطس
سنة ١٧١٦ وفيها قتل الصدر الأعظم على باشا داماد لاقتحامه مواقع الخطر حتى لا يعيش
بعد الانهزام وبعد ذلك فتحت النمساويون مدينة (تمسوار) بعد أن حاصروها أربعة وأربعين
يوماً ووضعوا الحصار أمام مدينة بلغراد ودخلوها في ١٩ أغسطس سنة ١٧١٧ بعد أن
تغلبوا على الصدر الجدي خليل باشا الذي أتى لمساعدة المدينة ثم ابتدأت المخاضات للصالح
فتم بينهما في ٢٢ شعبان سنة ١١٣٠ الموافق ٢١ يوليو سنة ١٧١٨ على أن تأخذ النمسا
ولاية تمسوار ومدينة بلغراد مع جزء عظيم من بلاد الصرب وآخر من بلاد الفلاخ وأن تبقى
جمهورية البندقية محتلة ثغور شاطئ دالماسيا أما بلاد مورده فتتبع إلى الدولة وسميت
هذه المعاهدة معاهدة (بارسوقفس) وعقب ذلك طلبت روسيا من الدولة تحوير المعاهدة
السابقة بكيفية تيسر لتجارها المرور من أراضي الدولة وبيع سلمهم فيها ولحاجتها التوجه
ليبت المقدس وغيره من الأماكن والأديرة المقدسة عندهم بدون دفع خراج مدق قاصتهم
أو رسوم على جوزات المرور فقبلت الدولة وأضافت إلى هذه المعاهدة الجديدة المؤرخة ٩
نوفمبر سنة ١٧٢٠ شرطاً من الأهمية السياسية بمكان عظيم وهو تعهد كل من روسيا
والباب العالي بمنع زيادة نفوذ الملك المنتخب ببولونيا على نفوذ الأشراف وعدم تمكينه من
جعل منصبه وراثياً في عائلته ومنع حصول هذين الأمرين بكل الوسائل الممكنة بما
فيها الحرب

ولا تخفى أهمية هذا الشرط الأخير الذي لم يقصد به بطرس الأكبر الإيجاد النفرة بين ملوك
بولونيا والدولة انفاذاً لما كان ينويه لها كما سنشرحه في موضعه فإن جل مقاصد هذا
القيصر المؤسس الحقيقي للمملكة الروسية وواضح دعائماً كان التفريق بين محاوريه الثلاثية
(السويد وبولونيا والدولة العثمانية) وأضعافهم الواحد بعد الآخر فتريد قوته بنسبة
تأخرهم وتقهقرهم وقد نجح تماماً بما يتعلق بالسويد بجعل بعض وزراء الدولة العلية
ضروب السياسة وعدم اطلاعهم على دخائل علاقات الدول ببعضها ثم شرع في تنفيذ
ما ينويه ضد بولونيا والدولة العلية وكان قد سافر إلى باريس سنة ١٧١٧ وقابل ملكها
الفي لويس الخامس عشر (١) ووصيه ليستميلهما لسياسته فاخفق مسعاه ولذلك استعان

(١) وللهذا الملك في سنة ١٧١٠ وتولي سنة ١٧١٥ بموت لويس الرابع عشر جد أبيه وأصغر سنه عين
فيليب دوك أورليان وصياً عليه ولما بلغ الرشد في سنة ١٧٢٣ أبقى وصيه وزيراً له ولما توفي هذا الوزير عين
بعده الدوك دي بوريون وفي وزارته تزوج السلطان بابتة ملك بولونيا ثم خلفه في الوزارة مربي الملك المدعو
(فلوري) ولما توفي شارل السادس إمبراطور النمسا عن غير وارث ذكر وقبضت ابنته (مارية تريزه) على
أعنة الملك فارض ملك فرنسا وساعد ملك بافيري على أن ينتخب إمبراطوراً وانتخب فعلاً فشب نار الحزب
بين فرنسا والإمبراطورة شوباً هائلاً انتهى بفوز ماريه تريزه وأمضيت بذلك معاهدة (اكس لاشابيل)

بوزراء الدولة العلية نفسها ووضع أول حجر لهذا المشروع باضافة البند المتعلق ببولونيا في
المعاهدة الجديدة

تقسيم مملكة العجم بين العثمانيين والروس وعزل السلطان الغازي أحمد الثالث
هذا ولما تولى من يدعى داماد ابراهيم باشا منصب الصدارة سنة ١١٣٠ هـ أراد ان
يستعيز عما فقدته الدولة من ولايات أوروبا بفتح بلاد جديدة في جهة آسيا ولقد أتاح له
الخط حصول انقلابات ببلاد العجم بسبب تنازل الشاه حسين عن الملك جبراً الى مير محمد
أمير أفغانستان فأسرع الصدر ابراهيم باشا باحتلال أرمينيا وبلاد الكرج لكن كان سببه
بطرس الاكبر واجتاز جبال القوقاز التي كانت تحد بلاده من جهة الجنوب واحتل اقليم
طاغستان مع كافة سواحل بحر الخزر الغربية فكادت الحرب تقوم بين الدولة والروس
ولعدم امكان الروس مقاومة الجيوش العثمانية وتحقق بطرس الاكبر من عدم اقتداره
على محاربتها طلب من سفير فرنسا بالاستمارة المسمى (دوبو) أن يتوسط بينهم فقبل هذه
المبادرة ووفق بين الطرفين بان يمتلك كل منهما ما احتله من البلاد وقبلت الدولتان بذلك
وأضمتا بهذه الشروط معاهدة بتاريخ ٢ شوال سنة ١١٣٦ الموافق ٢٤ يونيو سنة

١٧٢٤

أما الروس فلم يقبلوا هذا التقسيم المزمري بشرفهم والقاضي بضماح جزء ليس بقليل من
بلادهم بل قاموا كرجل واحد لمحاربة الاجانب واخراجهم من ديارهم لكن لم تكن
شجاعتهم كافية لصد هجمات العثمانيين الذين فتحوا في سنة ١٧٢٥ عدة مدن وقلاع
أهمها مدائن همدان واريوان وتبريز وساعد ذلك تسلط القوضى في داخلية ايران
وتنازع كل من الشاه أشرف الذي قتل مير محمد أمير أفغانستان والشاه طهماسب ملك
ساسان وانتهت هذه الحرب بالصالح مع الشاه أشرف في ٢٥ صفر سنة ١١٤٠ الموافق
١٣ اكتوبر سنة ١٧٢٧ انما لمات الشاه أشرف وانقرض طهماسب بالملك طلب من
الدولة العلية أن ترد اليه كل ما أخذته من بلاد أجداده فلم تحيه الدولة ولذا أغار على بلادها
ولعدم ميل السلطان الى الحرب ورغبته في الصلح ثار الانكشارية وأهاجوا الاهالي
فأطاعوهم طلباً للسلب والنهب في ١٥ ربيع الأول ١١٤٣ الموافق ٢٨ سبتمبر سنة ١٧٣٠
وطلب زعيم هذه الثورة المدعو (بترونا خليل) من السلطان قتل الصدر الاعظم والمفتي
وقبودان باشا أي أميرال الاساطيل البحرية بحجة انهم مائلون لمسالمة العجم فامتنع
السلطان عن اجابة طلبهم ولما رأى منهم التصميم على قتلهم طوعاً أو كرهاً فخوفهم أن

سنة ١٧٤٨ وفي سنة ١٧٥٦ ابتدأت الحرب المعروفة بحرب السبع سنين التي أخذت انكلترا في خلالها
اقليم كندا بالامريكا وغيرها من المستعمرات الفرنسية وانتهت بمعاهدة باريس سنة ١٧٦٣ واشتهر هذا
الملك بعدم الاهتمام بامور الدولة والاسترسال في الشهوات واتخاذ الخليلات العديداً حتى أثقل كاهل
الحكومة بالديون وأضاع المستعمرات وتوفي سنة ١٧٧٤ وكانت ادارته السيئة من أقوى الاسباب التي
ادت الي الثورة الفرنسية المعظمي في أواخر الجيل الثامن عشر

بتعدى اذاهم الى شخصه سلم لهم يقتل الوزير والاميرال دون الملقى قبلوا وألقوا جثثهم الى البحر لكن لم يمنهم انصياح السلطان لطلباتهم من التطاول اليه بل جرّاهم تساهله معهم على العصيان عليه جهاراً فاعلنوا باسقاطه في مساء اليوم المذكور عن منصة الاحكام ونادوا بابن أخيه السلطان محمود الأول خليفة للمسلمين وأمير المؤمنين فاذعن السلطان أحد الثالث ونسازل عن الملك بدون معارضة وكانت مدة حكمه ٢٧ سنة و١١ شهراً

ومما يذكر في التاريخ لهذا الملك ادخال المطبعة في بلاده وتأسيس دار طباعة في الاستانة العملية بعد اقرار الملقى واصداره الفتوى بذلك مشروطاً بعدم طبع القرآن الشريف خوفاً من التحريف واسترجاع اقليم موره وقلعة آراق وفتح عدة ولايات من مملكة المعجم وبقي معزولاً الى ان توفي في سنة ١١٤٩

٢٤. « السلطان الغازي محمود شاه الدول وظهور نادر شاه »

هو ابن السلطان مصطفى الثاني ولد في ٤ محرم سنة ١١٠٨ الموافق ٣ أغسطس سنة ١٦٩٦ ولما تولى لم يكن له الا الاسم فقط وكان النفوذ لبطريركنا خليل يولى من يشاء وعزل من يشاء تبعاً للأهواء والاعراض حتى عيل صبر السلطان من استبداده وتجهيز حوله رؤساء الكشيارية لتعدى هذا الزعيم على حقوقهم وانفقوا على العذر به تخلصاً من شره فقتلوه ولم يبقو حاربوه على الاخذ بثأره بل اطفئت نورتهم في دماهم وبذلك عادت السكينة للمدينة وأمن الناس على أموالهم وأرواحهم

وبعد استتباب الامن استأنفت الدولة الحرب مع مملكة الفرس وتغلبت الجيوش العثمانية على جنود الشاه طهماسب في عدة وقائع اهرقت فيها الدماء مدراً فأطلب الشاه الصلح وتم بين الدولتين الامر في ١٢ رجب سنة ١١٤٤ الموافق ١٠ يناير سنة ١٧٣٢ على ان تترك مملكة المعجم للدولة العلية كل ما فتحته ماعدامدائن تبريز وأردهان وهمدان وباقي اقليم لورستان لكن عارض نادرخان (١) أكبر ولاية للدولة في هذه المعاهدة وسار بجيوشه الى مدينة أصفهان وعزل الشاه طهماسب وولى مكانه ابنه القاصر عباسا الثالث وأقام نفسه وصياً عليه ثم قصد البلاد العثمانية وبعد ان انتصر على جنود الدولة حصر مدينة بغداد

(١) لم يكن هذا القائد من احدى العائلات الملوكة بل غاية ما يعلم عنه انه ولد في بلاد خراسان سنة ١٦٨٨ م تقريباً وبعد ان اشتغل في من كثره مختلفة ألف عصابة متسلحة للسلب والنهب واستولى على خراسان واستبد بها أثناء الاضطرابات التي أعقبت موت الشاه حين في سنة ١٧٢٢ ثم دخل في خدمة الشاه طهماسب وحارب معه مقتضي الملك من الافغان ثم لما قبل الشاه المذكور معاهدة ١٢ رجب سنة ١١٤٤ عزله نادرخان وأقام مكانه ابنه الرضيع عباسا الثالث وبعد أربع سنوات توفي عباس هذا واغتصب نادر الملك وحارب الموغول في الهند وفتح مدينة دهلي وأخيراً قتله قواد جيوشه سنة ١٧٤٧ لظلمه واعتسافه

فأسرع الوزير طوبال (أى الاعرج) عثمان باشا الى محاربتة وجرت بينهما عدة وقائع قتل فيها عثمان باشا المذكور فطلبت الدولة الصلح وبعد مفاوضات طويلة اتفق مندوب الدولة مع نادرخان فى ١٨ جمادى الاولى سنة ١١٤٩ الموافق ٢٤ سبتمبر سنة ١٧٣٦ فى مدينة تفليس حيث نودى بنادرخان ملكا على العجم على أن ترد الدولة الى العجم كل ما أخذته منها وأن تكون حدود الدولتين كما تقرر بماهدة سنة ١٦٣٩ المبرمة فى زمن السلطان الغازى مراد الرابع

ماهدة بلنراد

وفى غضون ذلك قامت الحرب بين الدولة والروسيا بسبب مملكة بولونيا وذلك أن كل من الروسيا والنمسا والبروسيا اتفقت فى سنة ١٧٢٢ بمقتضى اتفاق سرى على أن لا يجوز تعيين ملك وطنى على بولونيا خوفا من اتحاده مع الالهالى الامر الذى يكون من ورائه استقامة أحوال هذه المملكة الداخلية مع ان قصد الروسيا وجود الاضطرابات بها دائما حتى تضعف كلفة فتستولى عليها باجمعها أو تقسمها مع مجاورها تبعا لسياسة بطرس الاكبر القاضية بالسعى فى تلاشى دولتى السويد وبولونيا فالدولة العلية فلما توفى اوغست الثانى ملك بولونيا انتخب الالهالى فى سنة ١٧٣٣ ستانسلال لكزينسكى ملكا عليهم بسعى فرنسا التى كان من صالح سياستها بقاء بولونيا فى العالم السياسى عزيزة الجانب يحكمها ملك من أهلها

فاعلمت الروسيا والنمسا الحرب على بولونيا ونادوا باغوست الثالث ابن اغوست الثانى ملكا عليها ولم ينتخبه الالهالى ومن جهة أخرى أشهرت فرنسا الحرب على النمسا دفعا عما لبولونيا من الحق الضريح فى انتخاب من تريد وسعت لدى الباب العالى بواسطة المسيو دى بوفال الذى خدم الدولة بعد ان أسلم واشتهر فيها باسم أحمد باشا قائد للطلوبجية لاستمالته للدفاع عن استقلال بولونيا الحاجز الحصين بينها وبين الروسيا موضحة لها سياسة هذه الدولة الطامحة أنظارها لامتلاك القسطنطينية كما أوصى لها بذلك بطرس الاكبر فلم يصغ وزراء الدولة لندائها لجهل فى السياسة أو لأسباب أخرى ولذلك تغلبت الروسيا على ستانسلال واحتلت جنودها مملكة بولونيا بأسرها ووزراء الدولة لاهون عن نتائج هذه السياسة الوخيمة التى ربما كانت السبب فى وصول الدولة الى الدرجة التى هى عليها الآن ولما أحسست النمسا ان فرنسا تسمى وزراء التحالف مع الدولة فخشيت من حصول هذا الاتفاق الذى يكون نتيجته عدم نجاح مسعاها مع الروسيا فى بولونيا أسرعت فى ارضاء فرنسا فأبرمت معها معاهدة وياها فى سنة ١٧٣٥ وأخذت فى التاهب والاستعداد للاشتراك مع الروسيا فى محاربة الدولة وأوعزت الى الروسيا بافتتاح القتال فأنفذت هذه الاخيرة مرور بعض قوزاق القرم من أراضها فى مارت سنة ١٧٣٦ متجهين الى بلاد الكرج لمساعدة الدولة ضد العجم حجة لا إعلان الحرب وأغارت بكل قواها على بلاد القرم واحتلت مينا أراق وغيرها من الثغور البحرية وهو ما حدى بالدولة الى ابرام الصلح مع نادرشاه بالسكيفية التى

سبق شرحها لتتفرغ لصدد هجمات الروس ولحسن حظ الدولة كان قد تقلد منصب الصدارة رجل محنك اشتهر بحسن السياسة وسمو الادراك وهو الحاج محمد باشا فلم يغفل طرفة عين عن جمع الجيوش وتجهيز المعدات حتى أمكنه في أقرب وقت إيقاف تقدم الروس الذين كانوا قد احتلوا اقليم البغدان ودخلوا مدينة ياسي عاصمة هذا الاقليم ومن جهة أخرى انتصرت الجيوش العثمانية على جيوش النمسا التي أغارت على بلاد البوسنة والصرب والفلاخ فانتصر المسلمون في الصرب وألجأوا النمساويين على الجلاء عنها تاركين في كل موضع قدم جهت رجالهم وتقهقروا الى ماوراء نهر الدانوب في سنة ١٧٣٧ واستمر الحال على هذا المنوال مما تنوسى عهده في الدولة من النصر والفوز على الاعداء حتى طلبت النمسا الصلح بواسطة الميسيو (فلنوف) سفير فرنسا قبل التوسط بكل ارتياح وسار الى معسكر الصمدرا لا عظم وعرض عليه الصلح بالنيابة عن النمسا فاشتراط شروطا ما كانت النمسا لتقبلها لولا انتصار المسلمين على قائدها الشهير (وليس) في يوم ٢٣ يوليو سنة ١٧٣٩ فكان هذا الفوز الاخير أكبر مساعد للوصول الى الصلح الذي تم بينهما وبين روسيا في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١١٥٢ الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٧٣٩ على أن تتنازل النمسا للدولة العلية عن مدينة باغراد وما أعطى لها من بلاد الصرب والفلاخ بمقتضى معاهدة ساروفتس أما الروسيا فتعهدت قبضتها (حنه) (١) بهدم قلاع ميناء آراق وعدم تجديدها في المستقبل وعدم انشاء سفن حربية أو تجارية بالبحر الاسود أو بحر آراق بل تكون تجارتها على مرآكب أجنبية وبأن ترد للدولة كل ما فتحت من الاقاليم والبلدان وسميت هذه المعاهدة بمعاهدة بلغراد وبذلك انتهت هذه الحرب باسترداد جزء عظيم مما فقدته الدولة من ممالكها بمقتضى معاهدة كارلوفتس بضعف وعدم كفاءة أو عدم صداقة وإخلاص بعض الوزراء مما جعل الدولة على شفا جرف هار ولو أخلص هؤلاء الوزراء وجعلوا ترقية شأن الدولة نصب أعينهم ونهذوا الغايات الشخصية ظهروا بالما فقدت شبرا من أرضها ولكن يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الاباب وبعد ذلك بذل الميسيو (فلنوف) سفير فرنسا جهده في اقناع الباب العالي بضرورة الاتحاد مع السويد لمحاربة الروسيا لوتعدت على أحدها خوفا من أن يلحق بهما تباها ما أودى ببولونيا وجعلها خاضعة فعلا لا واما الروسيا فاقترنت الدولة وأبرمت مع السويد محالفة هجوم ودفاع ضد الروسيا في سنة ١٧٤٠ وفي هذه السنة تحصل سفير فرنسا على تجديد الامتيازات القنصلية وكافة المزايا الممنوحة

(١) حنه ايوانوفنا امبراطورة الروسيا هي بنت (ايوان) أخى بطرس الاكبر ولدت سنة ١٦٩٢ وتوفيت سنة ١٧٤٠ تزوجت بدوك كوسلاند وتولت ملك الروسيا سنة ١٧٣٠ عقب موت بطرس الثاني واتحدت مع النمسا في مسألة وراثة عرش بولونيا ونجحت في انتخاب أوغست الثالث ملكا لها وحاربت الترك من سنة ١٧٣٥ الى سنة ١٧٣٩ بدون فائدة تذكر وكانت سياسة ألمانيا سائدة في بلادها بجسماعي ودسائس خيلها الالمانى المدعو (جان بيرن)

للتجار الفرنسيين وأمضى الطرفان هذه المعاهدة الجديدة في ١٧ سبتمبر سنة ١٧٤٠ وهي عبارة عن معاهدة سنة ١٦٧٣ مع بعض تسهيلات جديدة لفرنسا وتجارتها وأرسل السلطان سفيراً من طرفه اسمه محمد سعيد ليقدّم صورة المعاهدة الى ملك فرنسا لويس الخامس عشر مع كثير من الهدايا الثمينة فقابله الملك بالاحتفاء والاكرام اللائق بمقام مرسله السامي وعند عودته شيعه بالتبجيل والاحلال وأرسل معه مركبين حربيين وجملة من المدفعية الفرنسية هدية منه للخليفة الاعظم ليكونوا معلمين في الجيوش العثمانية فيمروا الجنود المظفرة على النظم الجديدة التي أدخلها (لوفوا) الشهير في الجيوش الفرنسية

وبعد ذلك بقليل توفي شارل السادس امبراطور النمسا في ٢٠ من شهر اكتوبر سنة ١٧٤٠ وتولت بعده ابنته (مارية تيريزه) (١) فانحدت فرنسا مع بعض الدول على محاربة هذه المملكة واقتسام أملاكها لما بين فرنسا والعائلة الحاكمة في النمسا من الضغائن القديمة وسعى فرنسا دائماً في اذلال النمسا وهدم أركان سلطتها وبسبب موت هذا الملك حصلت الحرب الشهيرة بين فرنسا والنمسا المعروفة في التاريخ بمحاربة ارث ملك النمسا التي استمرت عدة سنين وانتهت بفوز ماريه تيريزه على فرنسا مما لا يدخل في موضوع هذا الكتاب ولما ابتدأت هذه الحرب أظهرت فرنسا للدولة العلية بواسطة سفيرها لدى الباب العالي ما يعود عليها من القوائد وانحدت معها على محاربة النمسا وعرضت عليها احتلال بلاد الجر واسترجاعها الى أملاكها بحيث ترجع الدولة الى ما كانت عليه من الاتساع أيام سليمان الاول القانوني ويمكنها بعد ذلك مقاومة روسيا والوقوف في طريق تقدمها وأبانت لها انها ان لم تفعل ذلك تقدمت الروسية شيئاً فشيئاً وقويت شوكتها تدريجاً حتى يخشى منها على وجود الدولة ولا يخفى انها ملاحظات صادقة ولوانها صادرة من فرنسا طمعاً في نوالها فاتها وهي اذلال النمسا الا أنه كان يجب على رجال الدولة النظر اليها بعين الاعتبار فان هذه فرصة لم تتجدد بعد لكن قضت التقادير الالهية أن لا تصنع الى هذه النصائح حياً في السلم وعدم اراقة دماء العباد والاشتغال بالاصلاحات الداخلية وكتبت الى الدول ذات الشأن تدعوهم للتصالح وهذه سياسة صادرة عن احساسات شريفة الا

(١) ولدت في سنة ١٧١٧ وتزوجت بالدوك دي لورين سنة ١٧٣٦ ولعدم وجود اخوة لها أوصيها والدها شارل السادس بالملك لكن لما توفي سنة ١٧٤٠ لم يعترف ملكا روسيا وفرنسا بهذه الوصية بل أغار ملك بروسيا على اقليم سيليزيا وادعى أمير بافاريا الاحقية في الملك وساعده فرنسا على ذلك وتوجته امبراطوراً باسم شارل السابع ثم تركت بلاد النمسا والتجأت الى بلاد الجر حيث أقسم لها أشرفها بمساعدتها حتى المات فجمعت الجيوش وبعد ان استمر الحرب خمس سنين توفي شارل السابع منازعها بالملك وانتخب زوجها امبراطوراً باسم فرنسوا الاول وفي سنة ١٧٤٨ فازت بالنصر بمساعدة انكلترا وأمضت معاهدة (أكس لا شابل) ثم حاربت البروسيا بمساعدة فرنسا لاسترجاع اقليم سيليزيا وهي الحرب المعروفة بحرب السبع سنين فلم تفلح وفي سنة ١٧٦٢ شاركت روسيا والبروسيا في تقسيم بولونيا وتوفيت سنة ١٧٨٠

أنها تعد من الغلطات المهمة التي عادت على الدولة بوخم العواقب لانها أضاعت فرصة لو انتهزتها لفازت بالقدح المعلى واسترجعت ما فصل عنها من الفتوحات بدون كثير عناء وهناك غلطة أخرى ارتكبها رجال الدولة وهي نزع السلطة في اقليمى الفلاخ والبغدان من أشرف البلاد خوفاً من تمردهم وطلبهم الاستقلال وتعيين بعض أغنياء الروم من تجار الاستانة قرالات ممتازين فيهما في مقابل جعل سنوى يدفع للخزانة السلطانية وكانت تعطى لمن يدفع خراجاً أكثر من غيره وظاهر أن من يقدم على التمهيد بمثل هذه المبالغ الطائلة حازم ولا شك على الحصول على ما يدفعه أضغافاً مضاعفة من دماء الالهالى فاستبدت هؤلاء المعينون بالسكان وساموهم الذل والخسف وفتكوا بالأشراف الاصيلين وقتلوا كل من خالفهم منهم وابعوا ألقاب الشرف جهاراً حتى انقرضت أغلب العائلات الانيلة في الجند وحلت محلها عائلات جديدة أغلبها من تجار الاروام الذين اشتروا الألقاب بديارهم معدودة وكانت نتيجة هذه السياسة أن سئم الالهالى هذه السلطة ومالوا بكليانهم الى الروسية ووجهوا أنظارهم لها معتقدين أنها ستكون منقذتهم من هذه المظالم المستمرة ولو ألصفت الدولة لجلعتهم ولا يتبين بدون امتيازات تتناولها الولاية فما كانت تطمح الى الاستقلال الادارى فالسياسى

وفي يوم الجمعة ٢٧ صفر سنة ١١٦٨ الموافق ١٣ دسمبر سنة ١٧٥٤ توفى السلطان محمود الأول بالغا من العمر سنتين سنة ما سؤفا عليه من جميع العثمانيين لاتصافه بالعدل والحلم وميله للمساواة بين جميع رعاياه بدون نظرفئة دون أخرى وكانت مددة حكمه ٢٥ سنة وفي أيامه السعيدة اتسع لطاق الدولة باسبيا وأوروبا ومحت معاهدة بالغراد مالحق بالدولة من العار بسبب معاهدة كارلوفتس ومن آثاره الحسنة تأسيس أربع كتبخانات ألحقها بجوامع آياصوفيا ومحمد الفاتح والوالدة وغلظه سراى ومن وزرائه الذين تركوا لهم فى التاريخ اسما طوبال عثمان باشا وحكيم زاده على باشا

٢٥ « السلطان الفاتح عثمان بنه الثالث »

ولد هذا السلطان فى سنة ١١١٠ هـ الموافقة سنة ١٦٩٦ م وبعد أن تقلد السيف فى جامع أبى أيوب الانصارى على حسب العادة القديمة وأبقى كبار الموطفين فى وظائفهم عين فى منصب الصدارة العظمى لشانجى على باشا بدل محمد سعيد باشا الذى سبق تعيينه صدراً بعد عودته من مأموريته فى فرانسفا فاعتمد على باشا هذا على ميل السلطان اليه وسار فى طريق غير حديد حتى أهاج ضده الالهالى أجمع واسكون السلطان كان من عادته المرور ليلا فى الشوارع والازقة متنكراً لتفقد أحوال الرعية والوقوف على حقيقة أحوالهم سسمع أثناء تجواله بما يرتكبه وزيره من أنواع المظالم والمغارم وبعد أن تحقق ما نسب اليه بنفسه أمر بقتله جزاء له وبوضع رأسه فى صحن من الفضة على باب السراى عبرة لغيره فقتل فى ١٦

محرم سنة ١١٦٩ الموافق ٢٢ اكتوبر سنة ١٧٥٥ وعين مكانه من يدعى مصطفى باشا ثم عزله في ٢٠ ربيع الاول سنة ١١٧٠ الموافق ١٣ ديسمبر سنة ١٧٥٦ وعين مكانه محمد راغب باشا الشهير (١) وكان من فحول الرجال الذين تقلبوا في المناصب على اختلافها ومما زاده خبرة في أمور السياسة الاورباوية واطلاعا على دقائقها مباشرة تحرير معاهدة بفراد بصيغة مكتوب بحجى واطلاعه على كافة المخبرات التي دارت بين الدولة والدول ذات الشأن للوصول الى ابرامها ثم توفي السلطان عثمان الثالث في ١٦ صفر سنة ١١٧١ الموافق ٣٠ اكتوبر سنة ١٧٥٧ بدون أن يحصل في أيام حكمه القلائل ما يستحق الذكر وكانت مدة حكمه ٣ سنين و ١١ شهراً وعمره ستون سنة وخلفه

٢٦ « السلطان الغازى مصطفى خامه الثالث »

ابن السلطان أحمد الثالث المولود سنة ١١٣٩ وكان ميالا للاصلاح محبا لتقدم بلاده خصوصاً وزيره الاول راغب باشا الذى مرّ ذكره فأخذ هذا الوزير في اصلاح بعض الشؤون بمساعدة السلطان وتعميده له فعمد بادارة الاوقاف العمومية الى أحد أغوات السراى (قنزل أغاسى) وأسس مستشفيات للحجر على الواردات الخارجية اذا كانت الاوبئة منتشرة في الخارج لعدم تعدّيها الى الممالك المحروسة وأنشأ مكتبة عمومية على مصاريفه الخاصة وفكر في طريقة غريبة لتسهيل المواصلات داخل المملكة منعاً لحصول الغلاء والمخاضات في احدى الولايات وذلك أن يصل بين نهر الدجلة وبوغاز الاستانة بخليج عظيم تستعمل الانهار الطبيعية بحرى له على قدر الامكان فيسهل نقل الغلال من أطراف المملكة الى الاستانة فيمتنع عنها الغلاء كلية وهو مشروع جليل يقدره العارفون حق قدره ولوأمله المنون لأتمه وسبق المسعودى لسبب الى ايهال بحر الروم بخليج فارس فالخيط الهندي لكانه توفي رحمه الله في ٢٤ رمضان سنة ١١٧٦ الموافق ٨ أبريل سنة ١٧٦٢ ولم يجد مشروعه منفذاً حتى الآن

وبعد موت هذا الوزير الجليل انتشب الحرب بين الدولة العلية والروسيا وذلك انه لما توفي

(١) محمد راغب باشا صاحب السفينة المشهورة هو ابن رجل من كتاب المالية اجهد في تحصيل العلوم والمعارف حتى نبغ فيها وعين في عدة وظائف حسابة وكتابية مهمة في الجيوش البحرية في بلاد المعجم ثم عاد الى الاستانة ووظف مأموراً بالادارة الخارج ثم بعد ان انتقل الى عدة وظائف أخرى تدل على ثقة الحكومة به واعتماده على أمانته عين بوظيفة كاتب بالصدارة العظمى فحضر المخبرات التي دارت مع مندوبى نادر شاه للوصول الى الصلح وكذلك كانت له اليد الطولى في ابرام معاهدة بفراد وبهذا عين بوظيفة رئيس أفندى التي تماثل وظيفة ناظر الخارجية الان ثم عين والياً على مصر فولاية آيدى فحلب وأخيراً عين صبراً أعظم سنة ١١٧٠ واستمر في الصدارة ست سنوات حتى توفي في ٢٤ رمضان سنة ١١٧٦ وله عدة تأليف مهمة في السياسة ودواوين مشهور وكان محبا لتقدم العلوم وأسس بالاستانة مدرسة عالية ألحق بها مكتبة جمعت أنفس الكتب وأندر المؤلفات

أوغست الثالث ملك بولونيا سمعت كاترين الثانية امبراطورة روسيا (١) التي تولت عقب قتل بطرس الثالث في تعيين عاشقها ستاناسلاس بونياوسكى ملكا عليها باستعمال نفوذها في مجلس الامة عند الانتخاب خلافا لما تمهدت به للدولة العلية وما ذلك الانفاذا لسياسة بطرس الا كبر القاضية بازالة الحواجز الثلاثة الحائلة بينها وبين أوروبا الغربية وهي السويد وبولونيا والدولة العلية وقد أزيل الحاجز الاول باستيلاء روسيا على جميع الولايات السويدية الفاصلة بينها وبين ألمانيا بحيث لم يبق للسويد أملاك خارجة عن بلادها الاصلية بمقتضى معاهدة (نيستاد) المبرمة بينهما سنة ١٦٧٢ وأزيل الثاني تقريرا بتعيين أحد أتباع الامبراطورة كاترين ملكا على بولونيا

ولذلك انتهت الدولة الى نتيجة هذه السياسة وعلمت أنها ان لم تضع حداً لتقدم نفوذ روسيا في بولونيا فلا تلبث هذه المملكة أن تعصى من العالم السياسى بالضمها للروسيا أو بتجزئتها بينها وبين مجاورها لكن كان تنبها هذا بمدفوات الوقت المناسب فانه كان يجب عليها مساعدة السويد وبذل النفس والنفس في حفظ ولاياتها الواقعة على بحر بلطيق من الوقوع في أيدي الروسيا أولى من تركها غنيمه باردة لها مما يطعمها في الاستمرار في تنفيذ وصية بطرس الا كبرو بحمل بنا في هذا الموقع أن نأتى للمطالع بنص الوصية المذكورة وهى منقولة بحروفها من الجزء الاول من تاريخ جودت باشا

وصية بطرس
الاكبر

البند الاول من اللازم أن تقاد العساكر دائماً الى الحرب وينبغى للامة الروسية أن تكون متبادية على حالة الكفاح لتكون أليفة الوغاء وترك وقت لراحة العساكر وألاجل اصلاح المالية وتوفيرها وان كان ضروريا يلزم أن يكون تنظيم المعسكرات متعاقبا وتكون مراقبة الوقت الموافق للهجوم متصلة آناً بأن وعلى هذه الصورة ينبغى لروسيا أن تتخذ زمن الصلح والأمان وسيلة قوية للحرب وهكذا من الحرب للصلح وذلك لأجل زيادة قوتها وتوسيع منافعها

البند الثانى في وقت الحرب ينبغى اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لاستجلاب ضباط للجنود من بين الملل والاقوام الذين هم أكثر معلومات في أوروبا وكذلك في زمن الصلح يتعين استجلاب أرباب العلم والمعارف منهم أيضاً ويلزم الاعتناء بما يجعل الامة الروسية تستفيد من منافع سائر الممالك ومحسناتها بحيث أنها لا تضيق سعيها أصلا في تحسين المحسنات المخصوصة بمملكاتها

(١) هي بنت البرنس (انهل زربست) الالماني ولدت سنة ١٧٢٩ وتزوجت بالامير الالماني الذي عينته الامبراطورة اليزيت وارثا لها في الملك ثم لما تولى زوجها الملك باسم بطرس الثالث استمالت كاترينه أهالي روسيا اليها وعزلته في سنة ١٧٦٢ وبعد موته توجت هي امبراطورة للروسيا واشهرت بالسير على خطة بطرس الاكبر فاستولت على بلاد القرم وقلمه ازاقي وغيرها واقتسمت مملكة بولونيا مع النمسا والبروسيا وتوفت سنة ١٧٩٧ وكانت محبة للعلوم مساعدة للطماء على بث معارفهم في بلادها لكن دنت اسمها باتخاذها الاخلاء المديدين من رجال حكومتها بل ومن خدمها

﴿البند الثالث﴾ عند سنوح الفرصة ينبغي وضع اليد والمداخلة في جميع الامور والمصالح التجارية في أوروبا وفي اختلافاتها ومنازعاتها وعلى الخصوص في وقوعات ممالك ألمانيا الممكن الاستفادة منها بلا واسطة بسبب شدة قربها

﴿البند الرابع﴾ ينبغي استعمال أصول الرشوة لاجل القاء الفساد والبغضاء والحسد دائماً في داخلية ممالك (له) أي بولونيا وتفرق كلمتهم واستمالة أعيان الأمة ببذل المال واكتساب النفوذ في مجلس الحكومة حتى يتمكن من المداخلة في انتخاب الملك وبعد الحصول على انتخاب من هو من حزب روسيا من تلك الأمة ينبغي حينئذ دخول عساكر روسيا الى داخل البلاد لاجل حمايتهم والتعصب لهم باقامة العساكر المذكورة مدة مديدة هناك الى أن تحصل الفرصة لاتخاذ وسيلة تمكننا من الاقامة وعندما تظهر مخالفة في ذلك من طرف الدول المجاورة فلاجل اخراج نار الفتنة مؤقتاً ينبغي أن نقاسم المخالفين في ممالك (له) ثم نترقب الفرص لاسترجاع الحصص التي تكون قد أعطيت لهم

﴿البند الخامس﴾ ينبغي الاستيلاء على بعض الجهات من ممالك اسوج بقدر الامكان ثم نسعى في اغتنام وسيلة لاستكمال الباقي منها ولا نتوصل الى ذلك الا بوجه تضطرب فيه تلك الدولة الى أن تعلن الحرب على دولة روسيا وتهاجمها والذي يلزم أولاً هو أن نصرف المساعي والهمة لاقاء الفساد والنفرة دائماً بين اسوج والدانرك بحيث أن يكون الاختلاف والمراقبة بينهم دائماً باقيين

﴿البند السادس﴾ يجب على الاسرة الامبراطورية الروسية أن يتزوجوا دائماً من بنات العائلة المالكية الألمانية وذلك لتكثير روابط الزوجية والاتحاد بينهم واشترائهم في المنافع ان بهذه الصورة يمكن اجراء نفوذهم في داخل ألمانيا ويربطون أيضاً الممالك المذكورة لجهة منافعنا ومصالحنا

﴿البند السابع﴾ أن دولة انسكاتره هي الدولة الأكثر احتياجاً إلينا في أمورها البحرية وهذه الدولة فائدة عظيمة جداً أيضاً في أمر زيادة قوتنا البحرية فلذلك من الواجب ترجيح الاتفاق معها في أمر التجارة على سائر الدول وبيع محمولات ممالكنا كالأخشاب وسائر الأشياء الى انسكاتره وجلب الذهب من عندهم الى ممالكنا واستكمال أسباب الروابط والمناسبات متبادياً بين تجار وملاحى الطرفين فيتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير السفن في ممالكنا

﴿البند الثامن﴾ على الروسين أن ينتشروا يوماً ما في شمالاً في سواحل بحر البلطيق وجنوباً في سواحل البحر الاسود

﴿البند التاسع﴾ ينبغي التقرب بقدر الامكان من استانبول والهند وحيث أنه من القضايا المسلمة أن من يحكم على استانبول يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها فلذلك من اللازم احداث الحاربات المتتابعة نارة مع الدولة العثمانية وتارة مع الدولة الايرانية وينبغي

ضبط البحر الاسود شيئاً فشيئاً وذلك لاجل انشاء دار صناعات بحرية فيه والاستيلاء على بحر البلطيق أيضاً لأنه ألزم موقع لحصول المقصود وللتعجيل بضعف بل بزوال دولة ايران لنتمكن من الوصول الى خليج البصرة وربما نتمكن من اعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة الى بلاد الشام والوصول منها الى بلاد الهند التي هي بمثابة مخزن للدنيا وبهذه الوسيلة نستغنى عن ذهب انكثته

البند العاشر * ينبغي الاهتمام بالحصول على الاتفاق والاتحاد مع دولة أوستريا والمحافظة على ذلك ومن اللازم التظاهر بترويج أفكار الدولة المشار اليها من جهة ما ينبغي اجراؤه من النفوذ في المستقبل في بلاد ألمانيا وأما باطناً فينبغي لنا أن نسعى في تحريك عروق حسد وعداوة سائر حكام ألمانيا لها وتحريك كل منهم لطلب الاستعانة والاستمداد من دولة روسيا ومن اللازم اجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة يتسنى لها فيها الحكم على تلك الدول في المستقبل

البند الحادي عشر * ينبغي تحريض العائلة المالكة في أوستريا على طرد الاتراك وتبعيدهم من قطعة الرومل وحينا نستولى على استانبول علينا أن نسلط دول أوروبا القديمة على دولة أوستريا حرباً أولسكن حسدها ومراقبتها لنا باعطائها حصصاً صغيرة من الاماكن التي نكون قد أخذناها من قبل وبعده نسعى بنزع هذه الحصص من يدها

البند الثاني عشر * ينبغي أن نستميل لجهتنا جميع المسيحيين الذين هم من مذهب الروم المنسكين رياسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد الحجر والممالك العثمانية وفي جنوبى ممالك (له) ونجعلهم أن يتخذوا دولة روسيا مرجعاً ومعيناً لهم ومن اللازم قبل كل شئ ما يحدث رياسة مذهبية حتى نتمكن من اجراء نوع نفوذ وحكومة رهبانية عليهم فنسعى بهذه الوسيلة لاكتساب اصدقاء كثيرين ذوي غيرة نستعين بهم في ولاية كل من أعدائنا

البند الثالث عشر * حينما يصبح الاسوحيون متشككين والابرايون مغلوبين واللاهيون محكومين والممالك العثمانية مضبوطة أيضاً حينئذ نجتمع مفسكراتنا في محل واحد مع المحافظة على البحر الاسود وبحر البلطيق بقوتنا البحرية وعند ذلك نظهر أولاً لدولة فرنسا كيفية مقاسمة حكومات الدنيا بأسرها بيننا ثم لدولة أوستريا ويعرض ذلك على كل من الدولتين المشار اليهما كل منهما على حدة بصورة خفية جداً لقبول ذلك وحيث انه لا بد من أن احدهما تقبل بهذه الصورة فعند ذلك ينبغي مداراة واحترام كل منهما ونجعل من كان منهما قابلاً لعرضنا عليهم واسطة لتسهيل الاخرى واذ تكون دولة روسيا حينئذ قد ضبطت جميع الممالك الشرقية ويكون مثل ذلك أعظم قطع أوروبا حديثة الدخول في يد تصرفها فعنده يسهل عليها أن تقهر وتنسكل فيما بعد أية دولة بقيت في الميدان من الدولتين المذكورتين

البند الرابع عشر * على فرض الحال أن كلا من الدولتين المشار اليهما لم تقبل بما

عرضته عليهم روسيا فينبغي حينئذ لروسيا أن تصرف الافكار لمراقبة ما يحدث من النزاع والخلاف بينهما فاذا وقع ذلك فلا بد أن يحصل تعب للطرفين وبشتبك هذا مع الآخر وفي ذلك الوقت يجب على روسيا أن تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق حالا معسكراتها المجتمعة أول بأول على ألمانيا فتحجم في تلك الجهات ثم تخرج قسمين كليين من السفن أحدهما من بحر ازاق المملوء بالعساكر الوافرة المجتمعة من أقوام الاناضول المتنوعة والثاني من ليمان ارخانكل السكائية في البحر المنجمد الشمالى فتسير هذه السفن وتعم في البحر الابيض والبحر المحيط الشمالى مع الاسطول المرتب في البحر الاسود وبحر البلطيق وتهمج كالسيل على سواحل فرنسا وألمانيا فانها تكون اذذاك مشغولة بحالها وبأذكرناه تصبح المملكتان الواسعتان المذكورتان مغلوبتين على هذه الصبورة فاقطعة التي تبقى من أوروبا تدخل بالطبع تحت الانقياد بسهولة وبدون محاربة وتصير جميع قطعة أوروبا قابلة للتفتح والتسخير اه

ومع كل فأرادت الدولة استدرالك ما فأت وأعزت الى (كريم كراى) خان القرم أن يفتح بأباله حرب فصعد بالامر ولكى يجعل الحق من جهة الدولة احتمال على بعض القوزاق التابعين للروسيا حتى أوقعهم في حباله نصيبها لهم وأدت بهم الى التعدى على حدود الدولة العلية والاغارة على احدى المدن التابعة اليها وقتل بعض سكانها فأشهرت الدولة الحرب على روسيا وافتتحها كرم كراى بأن أغار بخيله ورجله على اقليم سربيا الجديدة الذى عمرته الروسية مع أن المعاهدات التي بينها وبين الدولة كانت تقضى عليها بتركه صحرأ بدون استعمار لى يكون فاصلا بين أملاك الدولتين وعمرته الروسية لمنع وصول المساعدة من خان القرم الى بولونيا عند مسبب الحاجة وكانت نتيجة اغارة كرم كراى على هذه الولاية خراب كثير من المستعمرات الروسية وعودته بكثير من الاسرى وتوفى قبل أن تنتهى الحرب

ثم سار الوزير شانجى محمد أمين باشا الذى تولى الصدارة في جمادى الآخرة سنة ١١٨٢ بمجيوشه للدفاع عن مدينة (شوكريم) التي حاصرها البراس جالتسين الروسى فلم ينجح لعدم اتباعه الاوامر العسكرية الواردة اليه من السلطان المهتم بنفسه بامور الحرب ولو لم يقد الجيوش بذاته الشريفة وكان جزاء القائد المذكور أن قتل بأمر السلطان في ٩ ربيع الآخر سنة ١١٨٣ وأرسل رأسه الى الاستانة عبرة لغيره من القواد وعين مكانه في الوزارة والسر عسكرية مولدوانى على باشا وكان أشد اهتماماً من سلفه بامور الجنود وكثراطلاعا على ضروب القتال لكن عاكسته الطبيعة وكانت هى السبب في تقهقره فانه حين كان يعبر مع جيوشه نهر (دينستر) على جسر من المراكب ليهاجم الجيش الروسى المعسكر على الضفة الاخرى زادت مياه النهر بغتة وفاضت على شواطئه بكيفية مريعة حتى استولى

الجزع على العساكر المارّين فوقه وهموا بالرجوع الى معسكرهم وتبعهم بعض من كان قد وصل الى الشاطئ الاّ خرف فرقت المراكب واستشهد نحو ستة آلاف جندي وصار من بقي منهم على الشاطئ الروسي هدفا لمدافعهم وبنادقهم التي صوّبت اليهم من كل فيج حتى قتلوا عن آخرهم في ١٧ جمادى الاولى سنة ١١٨٣ الموافق ١٨ سبتمبر ١٧٦٩

وبعد هذا الانهزام الذي لم يكن فيه للروس من غرّ التزم مولدواني على باشا بالتقهقر بعد اخلاء مدينة شوكونيم فدخلها البرنس جاتسين واحتل على الفور اياها القلاع والبعدان وفي هذه الاثناء كانت رسل الروس تعمل على اثارة الخواطر في بلاد مورده حتى اذا استعدت الاهالي للثورة خرجت بعض المراكب الروسية من بحر البلطيق قاصدة بلاد اليونان بعد الطواف حول أوروبا الغربية واستولت على مدينة كورون باليونان لتشجيع الاروام على العصيان لكن لم تلبث هذه الفتنة ان أطفئت وخرجت مراكب الروس من ميناء كورون قاصدة جزيرة ساقر فالتقت بالمراكب العثمانية في المضيق المارّ بين الجزيرة وساحل آسيا وبعد ان استمرّ القتال عدّة ساعات انتصر العثمانيون ورجعوا بعد تمام النصر الى ميناء جشمه فتبعهم حراقتان من مراكب الروس ظنّ العثمانيون انهم فارّون من دوناعة العدو وآتون للانضمام اليهم فلم يعارضوهم في الدخول الى الميناء فبمجرد دخولهم ألقوا النيران على المراكب العثمانية فاشتعلت واحترقت عن آخرها باشتعال ما كان بها من البارود في يوم ١١ ربيع الاول سنة ١١٨٤ الموافق ٦ يوليو سنة ١٧٧٠

وبعد ذلك قصده الاميرال الروسي (الفنستون) الهجوم على مدينة القسطنطينية لعدم وجود ما يمنعه من الاستحكامات من المرور في بوغاز الدردنيل ولكن لم يوافقه القائد (ارلوف) على ذلك ففضل احتلال جزيرة لمنوس قبل ذلك لتسكون قاعدة لاعمالهم الحربية لحاصرها وتمكن في أثناء ذلك (البارون دي توت) (١) المجري الذي دخل في خدمة الدولة العلية من تحصين مضيق الدردنيل وبناء القلاع فيه على ضفتيه وتسليحها بالمدافع الضخمة حتى صار المرور منه من رابع المستحيلات ثم حوّل عدّة مراكب تجارية الى سفن حربية بوضع المدافع فيها وزيادة على ذلك كافه السلطان مصطفى الثالث بانشاء مسبك لصب المدافع بالاستانة وبترتيب الطوبجية على النظم الجديدة فقام بالامر خير قيام وأسس مدرسة لتخريج ضباط للطوبجية وأركان حرب متعلمين القنون العسكرية الحديثة وأخرى لتربية ضباط للبحرية كان مركزها بالترسانة تخرج منها في قليل من الزمن عدّة قباطين قادرين على أخذ الارتفاعات ورسم بعض الشواطىء بالطرق الهندسية المضبوطة

(١) ولد بفرنسا سنة ١٨٣٣ وتجنّس بالجنسية الفرنسية واستخدم في سفارة فرنسا بالاستانة وفي سنة ١٧٦٧ عين قنصلاها في القرم ثم استخدمه السلطان مصطفى الثالث فخلص في خدمته وأصلح الطوبجية وحسن الدردنيل حتى صار من أحسن المعامل البحرية ثم عاد الى فرنسا وعين مفتشا عاما لمراكبها القنصلية بالشرق وبلاد المغرب ولما حصلت الثورة الفرنسية الشهيرة هاجر سنة ١٧٩٠ وأقام في بلاد المجر الى أن توفي سنة ١٧٩٣

وكانت نتيجة هذه الاصلاحات التي تمت بسرعة غريبة ان هاجم القبطان حسن بك مع بعض السفن الحربية سفن الروس المحاصرة لجزيرة لمنوس سنة ١٧٧١ وألزمها رفع الحصار عنها بعدمقاتلة خفيفة وكوفى حسن بك على هذا الانتصار بتعيينه قبطان باشا الدونانجات العثمانية ورفق الى رتبة باشا ومن جهة أخرى لم يفلح الروس في طرابزون التي أرادوا الاستيلاء عليها وبالاعتصار كان النصر حليف الجنود العثمانية برأ وبجراً الا في بلاد القرم فقد احتلتها البراس (دلجوروكي) الروسي ثم أعلن انفصالها عن الدولة واستقلالها تحت سيادة وحماية روسيا وأقام من يدعى جاهين كراي خاناً عليها باسم كاترينه الثانية وفي ٩ ربيع الاول سنة ١١٨٦ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٧٧٣ تم اعلان القريقان بناء على توسط النمسا والروسيا وأضربت الهدنة في مدينة (جورجيو) من مدن البلغار وأرسل كل منهما مندوبيه للمخاطبة في شأن الصلح الى مدينة فوكشان بولاية البغدان فاجتمع المؤتمر أول اجتماع في ٩ جمادى الأولى سنة ١١٨٦ الموافق ٨ أغسطس سنة ١٧٧٣ وبعد ان اتفق الجميع على امداد أجل المهادنة الى ٢٣ جمادى الثاني سنة ١١٨٦ الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٧٧٣ طلب مندوبو كاترينه الاعتراف باستقلال نثار القرم وحرية الملاحة لسفن روسيا التجارية في البحر الاسود وجميع بحار الدولة عليه ولما تقبل الدولة هذه الشروط انقض الجمع على غير جدوى ثم مدت المهادنة سبعة أشهر واجتمع المؤتمر ثانياً في مدينة بخارست في ١٣ شعبان سنة ١١٨٦ الموافق ١٢ نوفمبر سنة ١٧٧٣ وفيه طلبت كاترينه بلسان مندوبها طلبات أكثر اجحافاً بحق الدولة وأرسلت بها بلاغاً نهائياً في ٢٣ القعدة سنة ١١٨٦ الموافق ١٥ فبراير سنة ١٧٧٣ وهي

﴿أولاً﴾ أن تتنازل الدولة للروسيا عن حصن (كريش) ويكي قلعه حفظاً لاستقلال التتار
﴿ثانياً﴾ أن تمنح المراكب الروسية تجارية كانت أوحربية حرية الملاحة في البحر الاسود وبحر جزائر اليونان

﴿ثالثاً﴾ تسليم ما بقي من حصون القرم مع الدولة العلية الى التتار
﴿رابعاً﴾ اعطاء جرجوار غيكا والى الفلاخ (وكان أسيراً في روسيا) هذه الولاية له ولورمته الشرعيين بشرط دفع جزية معينة كل ثلاث سنوات مرة
﴿خامساً﴾ التنازل عن مدينة (قلبورن) للروسيا وهدم حصون مدينة اوكراف (اوزي)
﴿سادساً﴾ أن يعطى لقب باديشاه الى قيصر أو قيصرة روسيا في المعاهدات والمخاطبات السياسية

﴿سابعاً﴾ أن يكون للروسيا حق حماية جميع المسيحيين الارثوذكسين في بلاد الدولة

فيظهر للمطلع على هذه الشروط أن كاترينه ما كانت تظن قبول الدولة لها بل جعلتها طريقة لاستمرار الحرب ولذلك رفضتها الدولة بكل شتم في ٢٨ ذي الحجة سنة ١١٨٦ الموافق ٢٢

مارث سنة ١٧٧٣ وأصدرت أوامرها للجيش باستئناف القتال بكل شدة خصوصاً في بلاد الطونة فانهزم الروس أمام مدينة روستجوق وكذلك أمام مدينة سلسيتريا التي حاولوا الاستيلاء عليها في ٣٠ مايو سنة ١٧٧٣ بعد أن قتل منهم ثمانية آلاف جندي وبمناسبة هذا الانتصار منح السلطان لقب غازي للقائد عثمان باشا الذي حامي المدينة فتقهقر الروس وفي رجوعهم مروا بمدينة بازارجق ولم يجدوا بها حامية قتلوا جميع من فيها من شيوخ ونساء وأطفال وبمجرد ما شعروا بقدوم الجنود المظفرة انسحبوا منها بكل سرعة تاركين أمعتهم حتى قال المؤرخ (همر) ان العثمانيين وجدوا اللحم في القدير على النار وهذا مما يدل على ما وقع في قلوب الجنود الروسية من الرعب من الاسود العثمانية التي لولا عدم كفاءة وقلة صداقة بعض قوادهم لما علموا للتهقر أو الهزيمة اسما

عصيان على بك
بمصر

وفي ذلك الوقت كان على بك الملقب بشيخ البلد الذي استقبل تقريباً بشؤون مصر تخابر مع قائد الدونامة الروسية بالبحر الأبيض المتوسط ليمدّه بالخبايا والأسلحة حتى يتم استقلال مصر فساعدته للقائد الروسي رغبة في وجود الحروب الداخلية في الدولة وبذلك أمكن على بك فتح مدائن غزة ونابلس وأورشليم ويافا ودمشق وكان يستعدّ للسير الى حدود بلاد الاناطول اذ ناز عليه أحد بيكوات المماليك وهو محمد بيك الشهير بأبي الذهب فعاد على بك الى مصر لمحاربتة فانهزم

وبعد ان تحصن في القلعة التجأ الى الشيخ طاهر الذي كان حاملاً على مدينة عكة من قبل الدولة العلية واستأثر بها واتحد معه على محاربة العثمانيين بالاتحاد مع الروس وتخليص مدينة صيدا التي كانوا يحاصرونها فساروا الى هذه المدينة والتقىا بالعثمانيين خارجها وانتصرا عليهم بمساعدة المراكب الروسية التي كانت ترسل مقتذوفاتها على الجيش العثماني ثم أطلقت السفن الروسية قنابلها على مدينة بيروت فأخربت منها نحو ثلاثمائة بيت وبعد ذلك عاد على بك الى مصر في محرم سنة ١١٨٧ الموافق ابريل سنة ١٧٧٣ لمحاربة محمد بيك أبي الذهب والضم الى جيوشه أربع مائة جندي روسي فقاتلهم أبو الذهب عند الصالحية بالشرقية وفاز عليهم بالنصر وأسر على بك وأربعة من ضباط الروس بعد ان قتل كل من كان معهم ورجعوا الى مصر حيث توفي على بك مما أصابه من الجراح فقطع رأسه وسلم مع الاربعة ضباط الروسين الى الوالي العثماني خليل باشا وهو أرسلهم الى القسطنطينية

ثم توفي السلطان مصطفى الثالث في ٨ ذي القعدة سنة ١١٨٧ الموافق ٢١ يناير سنة ١٧٧٤ وبلغت مدة حكمه ستة عشرة سنة وثمانية شهور وكان رحمه الله عادلاً محباً للخير وله عدة ماثر خيرية كالمدارس والتكايا

ومن آثاره ان أنشأ في اسكدار جامعاً على قبر والدته ووقف عليه خيرات كثيرة وأصلح جامع السلطان محمد الفاتح التي زلزلت أركانه زلزلة شديدة وتولى بعده أخوه

٢٧ « السلطان الغازى عبد الحميد خان الاول »

ابن السلطان أحمد الثالث ولد سنة ١١٣٧ هـ الموافقة سنة ١٧٢٤ م وقضى مدة حكم أخيه مصطفى الثالث مجزواً في سرايته كما جرت به العادة وفي اليوم الثالث من توليته توجه في موكب حافل الى جامع أبى أبوب للتقد سيف السلطان عثمان مؤسس هذه الدولة ولم يوزع على الجنود الانعامات المعتادة لنضوب خزائن الدولة التى استنزفتها الحرب الاخيرة ثم أقر الصدر الاعظم محسن زاده وأغلب كبار الموظفين والقواد البرية والبحرية في مناصبهم لعدم وقوع الخلل في الاعمال أما الروسية فكانت تستعد استمداداً هائلاً لرد ما قدته من الاسم والشرف في أواخر أيام المرحوم مصطفى الثالث ولم يأت شهر يونيو سنة ١٧٧٤ الا وقد زحف القلدمارشال رومانزوف الروسى بعد ان انضم اليه ما جمع من الجيوش تحت قيادة (سواروف) وكرامنسكى وبعدها عدة مناورات وبتناوشات اجتاز القلدمارشال نهر الطونة وسار قاصداً مدينة وارنه فالتقى مع الجيش الذى أرسله الصدر الاعظم من معسكره بمدينة (شوملا) تحت قيادة الرئيس أفندى عبدالرزاق وهزمه بالقرب من مدينة يقال لها (قوزليجق) في ١٤ يوليو سنة ١٧٧٤ وسار قاصداً معسكر محسن زاده الصدر الاعظم فطلب الصدر من رومانزوف المهادنة وتوقيف القتال وأرسل اليه مندوبين للاتفاق على عقد الصلح وقبول الشروط التى رفضتها الدولة عند اجتماع مؤتمر بوخارست فاجتمع المندوبان العثمانيان مع البرانس رابنن سفير الروسى في مدينة قسنارجهو بعد محادثات طويلة واخذ ورد بين الطرفين قبل الصدر المعاهدة التى تم الاتفاق عليها في ٢١ يوليو سنة ١٧٧٤ وهى مكوّنة من ثمانية وعشرين بنداً أهمها استقلال تنار القرم وبسارابيا وقوبان مع حفظ سيادة الدولة العلية فيما يتعلق بالامور الدينية وتسليم كافة البلاد والاقاليم التى احتلتها الروسية الى خان القرم ماعدا قلعتى كريس ويكى قلعه ورد ما أخذ من أملاك الدولة بالفلاخ والبعدان وبلاد الكرج ومنكريل وجزائر الروم ماعدا قبرطه الصغيرة وقبرطه الكبيرة وآزاق وقلبورن وأن يعطى الى امبراطور روسيا لقب باديشاه في المعاهدات والمحركات الرسمية وأن يكون للمراكب الروسية حرية الملاحة في البحر الاسود والبحر المتوسط وأن تبقى روسيا كنيسة بقسم بيرا بالاستانة ويكون لها حق حماية جميع المسيحيين التابعين للمذهب الارثوذكسى من رعايا الدولة وأن تسكون كافة المعاهدات السابقة لاغية وغير ذلك ومن الغريب انه لم يذكر شئ فيها عن مملكة بولونيا (لهستان) سبب هذه الحرب التى عادت على الدولة باوخم العواقب

وأضيف الى هذه المعاهدة بندان سرعان جاء في أحدهما أن الدولة تدفع الى الروسية مبلغ خمسة عشر ألف كيسة بصفة غرامة حربية على ثلاثة أقساط متساوية في أول يناير سنة ١٧٧٥ وسنة ١٧٧٦ وسنة ١٧٧٧

وفي الثاني انها تقدم للروسيا المساعدات المقتضية للجللاء عما احتلته من جزائر الروم
وسحب دونائتها منها وهذا نص معاهدة قينارجة نقلا عن ترجمة الجزء الاول من تاريخ
جودت باشا

﴿المادة الاولى﴾ كل ما سبق وقوعه بين الدولة العلية ودولة روسيا من عداوة ومخاصمة
قد حى وأزيل من الآن الى الابد وكل الاضرار والتعديت التي صار الشروع في استعمالها
واجرائها من الطرفين بالات الحربية وبغيرها صارت لسيا منسيا الى الابد ولا يجزى
بعد الآن ولا في وقت ما انتقام بل صار الصلح برأ وبجزأ عوضاً عن العدوان بوجه لا يعترف
التغير بل يراعى ويصان من طرفي الهمايون ومن طرف خلفائى الاماجد وكذلك يحفظ
ويصان ما جرى تمهيد مع ملكة روسيا المشار اليها وحلفائها من الاتفاق والموالات الصافية
المؤبدة والسالمة من التغير وتستمر هذه المواد جارية ومعتبرة بكل الدقة والاهتمام وتكون
قضية الموالات مرعية بهذه الصورة بين الدولتين وفي املاهما وبين رعايا الطرفين بحيث
لا تقع فيما بعد ضدية بين الفريقين لاسراً ولا جهرأ ولا نوع من أنواع البغضاء والاضرار
وبحسب الموالات والمصافاة المتجدتين تكون جرائم جميع الرعايا المتهمين لدى الدولتين
وكيفما كانت تهمتهم بلا استثناء لسيا منسيا ويعرض عنها بالسكية من الجهتين والذين
أخذوا منهم ووضعوا في السجون يطلق سبيلهم وتعطى الرخصة برجوع الاشخاص الذين
نفوا الى الجهات وبعد امضاء المصالحة برء الهم ما كانوا أحرزوه من الرتب والاموال
والذين استحقوا منهم عقاباً من أى نوع كان لا يتعرض لهم بسبب ما أصابوا أو بوسيلة ما أصابوا
ولا بضرر وتأديب واذا تصدى أحد للضرر والتعرض لهم يصير تأديبه وكل من
المذكورين يكون تحت حماية ومحافظة القوانين ومن الواجب معاشرتهم بحسب عادات
الولايات قياساً على الولايات المتاخمة

﴿المادة الثانية﴾ بعد تنقيح هذه العهدة المباركة ومبادلة صكوك التصديق اذا ظهر من
بعض رعايا الدولتين عدم الطاعة أو خيانة أو انهموا بتهمة أخرى ووجدوا في بلاد إحدى
الدولتين لقصد الاختفاء أو الالتجاء فهؤلاء ماعدا الذين دخلوا منهم في الدين الاسلامى في
دولتي العلية والذين تنصروا في دولة روسيا لا يقبلون أصلاً ولا تجزى لهم الحماية بل بالحال
يردون الى بلادهم أو يطردون من بلاد الدولة التي التجأوا اليها وذلك حتى لا يحصل بين
الدولتين بسبب اشخاص لا تنفع فيهم أمر يفضى الى البرودة بين الطرفين أو يكون باعثاً
لبحث لا طائل تحته كذلك اذا حصل من أحد رعايا الطرفين سواء كان من الاسلام أو من
زمرة المسيحيين ذنب أو تقصير وعلى أى ملاحظة كانت التجأ لاحدى الدولتين فانه
ينبغى رده عند طلبه بلا تأخير

﴿المادة الثالثة﴾ جميع قبائل القريم وطوائف بوجاق وقوبان وبديسان وجانبويق
ويديجول التناارية يصير قبولها والاعتراف بحريتها بلا استثناء من طرف الدولتين بشرط

أن لا تكون تلك القبائل تابعة لدولة أجنبية بوجه ما والخانات المنتخبون من نسل آل جنكيز المستقلون في حكوماتهم باتفاق جميع طوائف التاتار يبقون على ما هم عليه يحكمون في الطوائف المرقومة بحسب قانونهم وعاداتهم القديمة بشرط أن لا يؤدوا ضريبة عن مادة ما لدولة من الدول الأخرى ودولتنا العلية ودولة روسيا لا يتدخلان في أمر انتخاب الخانات الموصى اليهم ونصيبهم ولا فيما يحدث من أمورهم المخصوصة ولا في أمور حكومتهم بوجه ما بل يكون حكمهم نافذاً في حكومتهم وفي الأمور الخارجية كدولة مستقلة مثل سائر الدول المستقلة وطائفة التاتار المرقومة تكون مقبولة ومعترفاً بكونها غير تابعة لأحد سوى الحق سبحانه وتعالى وحيث أن الطائفة المذكورة هي من أهل الاسلام وكون ذاتي السلطانية الموسومة بالعدالة هي أمام المسامين وخليفة الموحدين فانها توجب على الطائفة المرقومة أن لا تنافي خلافاً في الحرية الممنوحة لدوائهم وبلادهم بل يجب أن تنظم أمورهم المذهبية من طرفي الهمايوني بمقتضى الشريعة الاسلامية وأراضي كرش وأراضي القلعة المسماة بالقلعة الجديدة التي خصصت لدولة روسيا والقصبة الواقعة بجانب قريم وقوبان ماعدا ثغورها والقلاع والاماكن والأراضي التي وقع الاستيلاء عليها وجميع الأراضي الواقعة بين مياه نهري بزا دولسكي ودي دادزي ومياه نهري آق صو وطورله حتى حدود مملكة (له) فهذه جميعها ترد للطوائف المرقومة وقلعة اوزى مع قطعها القديمة تبقى تحت تصرف دولتي العلية كالمسابق وبعد تسهيل عهدة المصالحات بتعهد دولة روسيا باخراج جميع عساكرها من الممالك التاتارية وتتعهد دولتي العلية أيضاً بكف يداهما عنها كلاً كاملاً كان أو جزئياً من جميع أنواع القلاع والقصبات والمساكن وسائر الاشياء الواقعة في جزيرة القريم وجزيرة قوبان وطمان وأن لا ترسل فيما يأتي بحفاظاً عسكرياً للمحل المرقوم أو عساكر بل ترد الممالك المذكورة للطوائف التاتار المرقومة بالوجه المحرر وكما أن دولة روسيا جعلت الطوائف المرقومة غير تابعة لأحد ومستقلة حقيقة في حكومتها على وجه أن تكون الحرية المطلقة معمولاً بها فيها كذلك دولتنا العلية تتعهد بان لا ترسل فيما يأتي للقصبات والقلاع والأراضي والمساكن المذكورة محافظاً عسكرياً ولا غيره من زمرة عساكر السكان أو غيرها كيفما كان اسمهم ونوعهم والحرية الممنوحة للطوائف المرقومة من طرف دولة روسيا تمنحها لها أيضاً دولتنا العلية مع الاستقلال بحيث لا تكون الطوائف المذكورة تابعة لأحد

المادة الرابعة (هـ) لما كان بمقتضى القواعد الاصلية المخصوصة بجميع الدول يجوز لكل دولة أن تجري في ممالكها ما تراه مناسباً من النظام فللدولتين المتعاقدين الرخصة الكاملة المطلقة بدون تقييدان بتبني ما تستنسيه من القلاع والمدن والقصبات والابنية وأن يصلح كل منهما ويجدد ما يكون قديماً من قلاعهما وحصباتهما وسائر أملاكهما

المادة الخامسة (و) وحيث انه قد تبين تجديدها ما للجوار من حقوق الموالاة والمصافاة

بأنعقاد هذه المصالح المباركة فلدولة روسيا أن تعين من طرفها في الاستانة (انوبياتو) يعني سفيراً متوسطاً أو مرخصاً من الدرجة الثانية فيقيم دائماً لدى دولتنا العلية وعلى الدولة العلية أن تجري للسفير المسمى اليه بالنظر لرتبته مراسيم الاعتبار والرعاية الجارية منها لسفراء الدول الأوفراً اعتباراً وإذا وقع احتفال رسمي عمومي وكان سفيراً امبراطور الالمان في رتبة رفيعة أو صغيرة فانه يكون بعد سفير ندرلاندا (أي هولاندا أو الفلمنك) الكبير وإذا لم يكن لدولة ندرلاندا سفير كبير فانه يكون بعد سفير ونديك الكبير (أي الهنديقية)

المادة السادسة إذا وقعت سرقة أو تهمة عظيمة أو أمر غير لائق يستوجب التعذر من الذين هم بالفعل في خدمة سفير دولة روسيا فبعد التقرر يجب استرداد تلك الاشياء المسروقة بالتام على الوجه الذي يبينه السفير والذين يتصورون قبول الدين المحمدي وهم في حالة السكر فلا يقبلون في الدين المحمدي بل بعد زوال السكر ورجوعهم الى حالتهم الأصلية بعد عقوبتهم لرؤوسهم يطلب منهم بيان اقرارهم واعترافهم في مواجهة من يرسله السفير أيضاً وأمام بعض المسامين ممن ليس لهم غرض ثم يصير قبولهم على هذا الوجه

المادة السابعة تتعهد دولتنا العلية أن تصون حق الديانة المسيحية وكنائس المسيحيين صيانة قوية وتمنح سفراء دولة روسيا الرخصة بإبراز التقيبات المتنوعة عند كل احتياج سواء كان متعلقاً في الكنيسة المذكورة في المادة الرابعة عشرة الكائنة في محروسة القسطنطينية أو في صيانة خادميها وإذا عرض السفير المسمى اليه شيئاً ما بواسطة معتمده يتعلق بدولة مصافية ومحاورة لدولتي العلية فتتعهد دولتنا العلية بقبول المعارض والمعتمد

المادة الثامنة تعطى الرخصة التامة لرهبان دولة روسيا ولسائر رعاياها بزيارة القدس الشريف وسائر الاماكن التي تستحق الزيارة ولا يتكلف المسافرون ولا السائحون لدفع نوع من أنواع الجزية والخراج والويركو أصلاً ولا يطلب ذلك منهم أثناء الطريق لا في القدس الشريف ولا في سائر الاماكن وتعطى لهم القرمانات بالوجه اللائق مع أوامر الطريق التي تعطى الى رعايا سائر الدول والذين يقيمون منهم في أراضي دولتي العلية لا يمكن أن يحصل لهم تعرض ومداخلة بوجه من الوجوه بل تصير حمايتهم وصيانتهم تماماً بمقتضى قوة أحكام الشريعة

المادة التاسعة المترجمون الموجودون في خدمة سفراء روسيا المقيمين في محروسة القسطنطينية من أي ملة كانوا حيث خدموا أمورا الدولة وخدمتهم هذه راجعة للدولتين فانهم يعاملون بكمال المروءة والاعتبار ولا تجوز مؤاخذتهم في الامور المكلفين بها من طرف من هم بخدمتهم

المادة العاشرة لحين امضاء هذه المصالح المباركة وايصال التنبيهات اللازمة من طرف سردارية عساكر الطرفين للمجلات المختصة اذا حدثت خلال ذلك مخاصمة في أي محل كان لا يعد ذلك تعرضاً وما يحصل بسبب ذلك من الفتوحات والاستيلاء لا يعتبر

ويكون كانه لم يكن ولا أحد من الدولتين يستفيد من مثل هذا شيئاً
 المادة الحادية عشرة قد تقرر لاجل منفعة الدولتين سيرسفنهما وسفن تجارهما
 بلا مانع في جميع بحارهما وتعطى الرخصة من جانب دولتي العلية الى سفن روسيا وسفن
 تجارها بان تتمتع بالتجارة في كل الاسا كل وكل محل بالوجه الذي أجازته دولتي العلية فيها
 لسائر الدول وأن يمشوا في الممار والنفور المتصلة بالبحار المذكورة وفي عموم المرافئ
 والشطوط الساحلية من البحر الابيض الى البحر الاسود ومن البحر الاسود الى البحر
 الابيض وكما صار البيان أعلاه بحق هذه المادة قد أعطيت الرخصة من جانب دولتي
 العلية الى رعايا دولة روسيا بان يجروا برأ مع أهالي ممالك دولتنا العلية ويكون لهم ما حصلت
 به المساعدة والمسألة والمعافيات في التجارة البحرية الى أحب أصدقاءنا فرانسوا وناكاته
 ويسهرون على هذا المنوال في نهر الطونة وعند ظهور أي نوع كان من الاحتياج سواء كان
 في أمر التجارة أو فيما يتعلق بنفس التجار أو بالجميع تراعى شروط الملتين المذكورتين
 وتعتبر على الوجه المحرر لفظاً بلفظ في هذه المادة وللتجار روسيا أن ينقلوا ويخرجوا كل
 نوع من الامتعة بعد ان يؤدوا الرسوم التي يعطيها غيرهم من الملل المذكورة ويجوز لهم
 أن يصلوا الى سواحل ومرافئ البحر الاسود وسائر البحار والى محروسة القسطنطينية
 وقد رخص لرعايا الطرفين بالتجارة وتسيير السفن في عموم مياه المواضع المذكورة بلا استثناء
 وأعطيت لهم الرخصة من جانب الدولتين بالاقامة في بلادهما المدة اللازمة لادارة
 مصالحهم وتجارتهم وحصل التعمد بذلك من الطرفين بهذا الباب بان يكون لتجار روسيا
 أيضاً ما لرعايا الدول المتحابة من الحرية والمسألة ولكون المحافظة على النظام في كل
 المواد هي من أزم الامور أعطيت الرخصة من جانب دولتنا العلية بتعيين قناصل ووكلاء
 قناصل من طرف دولة روسيا في عموم المواقع التي ترى انها لازمة لذلك ويعتبرون في سائر
 الامور مثل قناصل سائر الدول المتحابة وقد رخص لهؤلاء القناصل ووكلاء القناصل
 بان يستخدموا في معيهم مترجمين من المسلمين الحائزين برآ في الشاهانية المبرع عنهم
 ببرأ تلى ويكون لهؤلاء المترجمين ما لامثالهم الموجودين في خدمة انكاته وفرلسا وسائر
 الملل من المعافيات وأعطيت الرخصة من جانب دولة روسيا الى رعايا دولتي العلية بان
 يتاجروا برأ وبحراً في ممالك روسيا ويكون لهم ما لسائر الملل المتحابة مع روسيا من
 الامتيازات والمعافيات وذلك بعد أداء الرسوم المعتادة وتجري المساعدة بكل وجه لسفن
 الدولتين التي تطرأ عليها الطوارئ في أثناء سيرها في البحر يعني عند وقوع حوادث تلزمها
 الاعانة بما يلزم لجانب سائر الدول الا وفرصداقة ويؤخذ لهذه السفن ما يلزمها من الاشياء
 بالاسعار الجارية

المادة الثانية عشرة اذا رغبت دولة روسيا أن تعقد معاهدة تجارية مع الافريقيين
 أي حكومات طرابلس الغرب وتونس والجزائر فدولتنا العلية تتعهد ببذل اعتبارها

وجهدا للحصول دولة روسيا على مزغوبها وتسكفل حكومات الايلات المذكورة بانها
تحافظ على العهود المرسومة

المادة الثالثة عشرة () يلزم استعمال هذه العبارة في اللسان التركي (تماماً روسيه
لورك بادشاهى) يعنى (امپراطور جميع بلاد الروسيا) من طرف دولتنا العلية في جميع
السندات وعامة المكاتيب وفي كل خصوص اقتضى وضع هذا اللقب المعتبر أعنى (تماماً
روسيه لورك امپراطور يحه سى)

المادة الرابعة عشرة () يجوز لدولة روسيا أن تبني كنيسة على الطريق العام في محلة بك
أو غلى في جهة غلظه غير الكنيسة المخصوصة قياساً على سائر الدول

هذه الكنيسة هي كنيسة العوام وتسمى باسم كنيسة (دوسوغرنه) وتكون تحت صيانة
سفير دولة روسيا الى الابد وتكون أمينة من كل تعرض ومداخلة واضير حراستها

المادة الخامسة عشرة () انه تمتضى النظام الذى به تعينت وتحددت حدود الدولتين
يبعد عن الملاحظة وجود أمر يستوجب نزاع جسمي بوجوب المباحثة لرعايا الطرفين لكن

لاجل دفع أسباب المضار والخسائر المحتمل ظهورها من عوارض غير مأمولة قد وقع
القرار بالاتفاق بين الدولتين انه عند حدوث أمر كهذا يجب على الحاكم الموجود على طرف

الحدود أن يفتش على المادة التي حدثت أو انه يجرى فحصها بمعرفة مأمورين يتعينون
لذلك وبعد تفيش المادة كما ينبغي يجرون احقاق الحق لصاحبه بلا تأخير وحصل

التعهد الصافي بأن مادة حسن النظام والموالاته التي تمهدت حديثاً وانعقدت بهذه العهدة
المباركة لا تتغير أصلاً بحدوث قضايا كهذه

المادة السادسة عشرة () تردّ دولة روسيا لدولى العلية مملكة البوجاق مع قلاع اقكرمان
وكلى واساعيل وسائر القصبات والقرى بما فيها من جميع الاشياء وتردّ لدولى العلية قلعة

بندر أيضاً وكذلك تردّ لدولى العلية ابالى الأفلاق والبغدان مع كافة قلاعها ومدنها
وقصباتها وقراها وما هو داخلها من جميع الاشياء وقد قبلت دولتى العلية الممالك المرقومة

على الشروط الآتى ببيانها وتمهدت بحفظ الشروط المذكورة تماماً ووعدت بذلك وعداً
معمولاً به (أولاً) يجرى العفو عن أهالى هاته الحكومات الجديدة جميعاً من أى قسم

كانوا من المراتب والكييفيات والحال والاسم والوجهة بلا استثناء وأن تغضى عما ظنّ
فيهم من الاعمال المغيرة وكل نهمة تتعلق بهم من الحركات التي كانت مخالفة لأموور

دولى العلية تكون لسياً منسياً الى الابد وعلى موجب مضمون المادة الاولى يصير
امادتهم الى مناصبهم ورتبهم وتردّ أملاكهم السابقة ويعودون الى ما كانوا يملكونه من

الاملاك قبل الحرب وتحدد أمورهم (ثانياً) الديانة المسيحية تكون من كل الوجوه
حرّة كالاول ولا يحصل ممانعة لاجرائها قط ولا يمنع احداث كنائس جديدة ولا ترميم

الكنائس القديمة (ثالثاً) الاراضى والاملاك الموجودة ضمن دائرة ابرائل وخوتين

وفي سائر المواضع المأخوذة بغير حق المتعلقة من القديم بالاديرة وبسائر الاشخاص فهذه
جميعاً ردّ للمرسومين المعبر عنهم الآن بالرأيا (رابعاً) يكون لجماعة الرهبان الاعتبار
بما يناسبهم من الامتياز (خامساً) يرخص للاعيان الذين يرغبون التوجه الى محل
آخر بترك الوطن أن ينقلوا أشياءهم بالحرية وأن يملوا مدة سنة للانتقال من وطنهم
وذلك ليكون لهم وقت كافٍ لتنظيم مصالحهم وتعتبر هذه المهلة من تاريخ التصديق على
الصك (سادساً) لا يصير تحصيل شيء لا نقود ولا خلاف ذلك من الحسابات القديمة مهما
كانت (سابعاً) لا يصير تكليفهم ولا مطالبتهم بشيء عن مدة الحرب بتماها بل نظراً
لما صادفوه أثناء امتداد الحرب من المضرات والتخريب قد أعطى بعد ذلك للمذكورين
أيضاً مهلة سنتين تعتبر من تاريخ مبادلة صك التصديق الهامبوني (ثامناً) بعد انقضاء
هذه المهلة تتعهد دولتنا العلية بمعاملتهم بالمروءة السليمة في أمر تعيين الجزية وتحافظ
على سخائها الجليل على قدر الامكان ويصير تأدية جزيتهم بواسطة مبعوثهم مرة
في كل سنتين وبعد أداء هذه الجزية بتماها فلا يتعرض لهم أحد أصلاً كائناً كان من
باشا أو حاكم ولا يظالبون بشيء ما من اقتراحات الضرائب بأي اسم كانت بل يكونون
متمتعين بالامتيازات التي تمتعوا بها في الزمن السعيد أيام سلطنة جدسى الاحبجد السلطان محمد
خان الرابع (تاسعاً) يرخص لامراء هذه الحكومات أن يقيم كل منهم من طرفه
وكيلاً لدى دولتي العلية باسم مصالحه كمدار ويكونوا هؤلاء الوكلاء انصارى من ملة الروم
بدلاً عن القبول كمدخايات الذين كانوا يتعاطون رؤية أمور الملك ونجربى في حقهم من جانب
دولتي العلية المعاملة بكمال المروءة وينالون ما يستحقونه بحسب قواعد الملل أى انهم
يكونون معترين ومن كل تعرض آمنين ومصانين (عاشراً) تعطى الرخصة وتحصل
الموافقة من جانب الدولة العلية الى سفراء امبراطورية روسيا بأن هذا كروا عند الانقضاء
فيما يتعلق بصيانة ومساعدة الحكومتين المذكورتين وتتعهد الدولة العلية برعاية ما يعرضه
سفراء روسيا من المواد بحسب اعتبار الصداقة اللاحقة بالدولتين

المادة السابعة عشرة (أولاً) يلزم دولة روسيا أن ردّ الى دولتي العلية جزائر البحر الأبيض
التي هي الآن تحت حكمها وتتعهد دولتي العلية بأن تجربى في حق أهل الجزائر المذكورة
كإل الرماية والعدل وتعاملهم بالعفو عن جميع أنواع الفياحات المصرح بها في المادة السالفة
وعموم الافعال التي جرت بمظنة المخالفة لامور دولتي العلية فهذه جميعها تكون نسباً منسياً
ومعفى عنها بالسليمة (ثانياً) لا يصير أدنى تعرض وتضييق على ديانة المسيحيين ولا يحصل
ممانعة بوجه ما في أمر تعيين وتجديد الكنائس ولا يصير التعرض والمداخلة أصلاً في
حق الاشخاص الذين يخدمون الكنائس المذكورة (ثالثاً) بسبب التكدرات
والتيخريبات التي أورثتها لهم هذه الحاربة من تاريخ وجودهم تحت حكومة دولة روسيا وبعد
مرور سنتين من تاريخ استرداد الجزائر المذكورة لدولتي العلية لا يستحصل من أهالى الجزائر

المذكورين رسم سنوى من أى نوع كان أصلاً (رابعاً) الذين يرغبون في ترك الوطن ويريدون التوجه الى بلاد أخرى تعطى لهم الرخصة من جانب دولتي العلية بنقل أموالهم وأشياهم ولكن يكون لهم وقت كافى لتنظيم مصالحهم يملون مدة سنة كاملة اعتباراً من تاريخ مبادلة التصديق على صك المعاهدة (خامساً) يلزم رجوع اسطول روسيا من مياه الدولة العلية في مدة ثلاثة أشهر من بعد مبادلة التصديق على هذا الصك واذا احتاج الاسطول لشيء فعلى دولتي العلية أن تعينه على قدر الامكان

المادة الثامنة عشرة ﴿ قلعته قلوبون الواقعة في بوزار اوزى صوى مع مقدار كافى من الاراضى الكائنة في ساحل الطرف الشمالى من النهر المذكور مع الصحراء الخالية الواقعة بين آق صوواوزى صو تبق مستقلة على الدوام تحت تصرف روسيا بلا معارضة

المادة التاسعة عشرة ﴿ يكى قلعه الواقعة في جزيرة القريم وجميع ما هو موجود داخل كرش ونغورها مع اراضيها من البحر الاسود الى حدود كرش القديمة طولاً لحد المحل المسمى بوجارجه وسن بوجارجه على خط مستقيم من الاعلى الى بحر ازاك يبقى تحت تصرف روسيا على الدوام بلا معارضة

المادة العشرون ﴿ بحسب مفهوم السندات التى عقدت بين الحاكم نواستوى وبين حسن باشا محافظ آجو بتاريخ سنة ١٧٠٠ ميلادية وسنة ١١٠٠ هجرية خصصت قلعة ازاك بحدودها الاولى الى دولة روسيا للابد

المادة الحادية والعشرون ﴿ وحيث ان القبارطتين أى القبارطة الكبيرة والقبارطة الصغيرة هما تعلق مع خانات القريم بسبب وقوعهما في جوار طائفة التانار قد أحيلت مادة تخصيصها لدولة روسيا الى خانات القريم ومشورتهم والى رأى رؤساء التانار

المادة الثانية والعشرون ﴿ قد تقرر بالاتفاق بين الدولتين محو وازالة جميع الشروط والعهود السابقة والعهد الواقعة في قلعة بلغراد المنعقدة بينهما وما حدث بعدها من كافة الشروط محواً أبدياً وهو ان كلا من الدولتين المتعاقبتين لا يقوم بداعية ما من حيث العهود المذكورة ويستثنى من تلك الشروط الواقعة في سنة ١٧٠٠ ميلادية بين الحاكم نواستوى وبين حسن باشا محافظ قلعة آجو فيما يتعلق بتعيين وتحديد حدود القلعة المذكورة وحدود قوبان فان الشروط المذكورة تبقى كالأول بلا تغيير

المادة الثالثة والعشرون ﴿ ان قلاع بغداد جق وكوتالسى وشهر بان الكائنة في حوالى كورجى ومكريل المستولية عليها عساكر الروسيا تقبلها دولة الروسيا على أن تكون هذه القلاع لاصحابها الاصليين وذلك انه بعد التحقيق اذا تبين ان دولتي العلية كانت مالكة لها منذ القديم أو منذ مدة مديدة حينئذ تكون عائدة لدولتي العلية وبعد مبادلة التصديق على هذا الصك المبارك تحلى عساكر الروسيا القلاع المذكورة في الوقت المعين ودولتي العلية تعهد أيضاً بحسب مضمون المادة السابقة بان تشمل بالعفو جميع الذين صدرت منهم

حركات ضد دولتي العلية في أثناء امتداد الحاربة وأن تكف يدها الى الابد عن أخذ البركو
عن الصبيان والبنات وعن طلب أى نوع كان من الجزية وانه ماعدا الذين لهم تعلق بهامن
القديم لا تدعى على فرد واحد من الطوائف المذكورة بكونه من رعاياها وانها تترك مرة
أخرى جميع الاراضى وسائر الاستحكامات التى ضبطها الكرجيون والمسكر يون لحكومتهم
ولحافظتهم المطلقة وانها لا تتعرض ولا تجرى تضييعة على أديرة وكنائس الديانة بوجه ما
ولا تمنع جميع القديم ولا بناء الجديد منها وبأن تمنع باشاجلدر وجميع رؤساء الجيوش والضباط
من التعرض بأى داع كان لاموال الاديرة والكنائس المذكورة واضاعتها ولا تتعرض دولة
الروسيا للطوائف المذكورة ولا تتدخل في أمورهم لانهم من رعايا دولتي العلية
المادة الرابعة والعشرون بعد امضاء المواد والتصديق عليها تنهيا بالحال جميع عساكر
الروسيا الموجودة في الجهة اليمنى من نهر الطونة للعودة والرجوع بحيث في ظرف شهر
واحد تقطع الضفة اليسرى من نهر الطونة المذكور بعد مرور العساكر المذكورة تماماً
الى الضفة اليسرى المرقومة بصير إخلاء قلعة حرسوه وتسلم عساكر الاسلام وبعده تحصيل
المبادرة دفعة وفي آن واحد لتخليه مملكتى الافلاق والبوجاق وقد تمين لهذا الاخلاء مهلة
شهرين وبعده اسحاب كافة عسكر روسيا من المملكتين المذكورتين تترك عساكر روسيا
من الجهة الواحدة قلعة يركوك وبعده قلعة ابرائل ومن الجهة الاخرى قسبة اسمعيل وقلاع
كلى واكرمان وتسعى متوجهة للتحقق بسائر عساكرها تاركة القلاع المذكورة للعساكر
الاسلامية وقد خصص لتخليه المملكتين المذكورتين مهلة ثلاثة أشهر وبعده تترك
عساكر روسيا مملكة بغداد وتغري الجهة اليسرى من نهر طورله وعلى هذه الصورة تحصيل
تخليه المواضع والممالك السابق ذكرها يعنى في مدة خمسة أشهر بعد امضاء المعاهدة
والمصالحة المؤبدة بين الدولتين وعند مرور كافة عساكر روسيا للضفة اليسرى من نهر طورله
حينئذ يصير تسليم قلاع خوتين وبندر للعساكر الاسلامية وأما اراضى قاپرون التى سبق
التصريح عنها وزاوية الصحراء الواقعة بين آق صو وأوزى صو يصير تسليمها على الوجه
الموضح في المادة الثامنة عشرة بهذه الشروط وفي الوقت المذكور لدولة الروسيا وتكون الى
الابد مصبونة من التعرض وعلى عساكر روسيا الموجودة في جهات جزائر البحر الابيض
أن تجرى السرعة الممكنة ما يتعلق باسطول الجزائر المذكورة من المصالح والتنظيمات
الداخلية وترد الجزائر المذكورة كالأول لتضبطها دولتي العلية مصبونة من التعرض لانه
نظر أبعاد المسافة لا يمكن تعيين وقت لذلك ونظر ألاستعمال عزيمة اسطول روسيا واسكونها
دولة مصافية فدولتي العلية تعتمد باعانة الاسطول المذكور في ايفاء لوازمه وباعطائه كل
شئ في الوسع والامكان وما دامت عساكر روسيا موجودة في الممالك المستردة لدولتي
العليه على الصورة المذكورة فحكومتها وما يتعلق بهامن النظامات تستمر جارية فيها كما
كانت في الوقت الذى كانت فيه بيدها والى حين خروج جميع عساكر روسيا من الممالك

المذكورة لا تقع مداخلة من جانب دولتي العلية في أمورها ويبقى العمل في كيفية تناول ما يلزم من المأكولات ومداركة سائر لوازم عساكر روسيا في الممالك الموجودة فيها على ما هو الآن الى حين خروجها منها تماماً ولا تضع دولتي العلية قدماً في القلاع المستردة المذكورة ما لم يرسل سر عسكر روسيا الاول الخبر الى مأموري دولتي العلية الذين عينوا لهذا الامر بخليعة وفراغ كل محل من الممالك المذكورة وبعدم اجراء حكومتها فيها والذخائر والمهمات التي للروسيا في هذه القلاع والقصبات يصير اخراجها من طرف عساكر روسيا بالوجه الذي تريده وتترك مدافع دولتي العلية التي وجدت في القلاع المستردة لدولتي العلية والذين استعملوا في خدمة دولة روسيا من أهالي الولايات المستردة لدولتي العلية من أي جنس وفي أي حال وكيفية كانوا اذا رغبوا في الانسحاب والانتقال بأهلهم وعيالهم وأموالهم مع عساكر روسيا في المدة السنوية المنعقدة لا يمنعون وتتعهد دولتي العلية بعدم ممانعتهم بأي وجه كان بموجب الشروط المذكورة سواء خرجوا في ذلك الزمن أو في مدة سنة كاملة.

المادة الخامسة والعشرون **✽** جميع أسرى الحرب من ذكور وإناث من أي درجة ورتبة كانوا يسرحون ويزدون الى أوطانهم ما عدا المسيحيين الذين دخلوا في الدين الحمدي بأرادتهم في دولتي العلية والمسلمين الذين تنصروا بأرادتهم في أثناء وجودهم في أراضي روسيا وهذا كله بعد مبادلة التصديق على صكوك هذه العهدة المباركة حالا بلا عذر أصلاً وبلا عوض وبغير فدية وكذلك جميع المسيحيين الذين وقعوا في الاسترقاق من لهيمن وبغدانيين وأفلاقيين ومن أهالي المورة والجزائر والسكريين كافة بلا استثناء يعتقون بلا ثمن وبغير عوض وكذلك الذين استرقوا من رعايا روسيا ووجدوا في ممالك الحروسية يصير تسليمهم وردتهم الى مواطنهم وذلك بعد انعقاد هذه المصالحة المباركة وكذلك تجرى هذه الامور ايضاً بهذه الصورة عينها في حق رعايا دولتي العلية

المادة السادسة والعشرون **✽** لا أول وصول الخبر عن امضاء هذه المواد الى القرم واويزي يخبر سر عسكر روسيا الموجود في القرم بالواقع محافظ أوزي وفي مدة شهرين يرسلان مأمورين معتمدين لاجل تسليم وتسليم قلبيرون مع الصبحاري المصححة في المادة الثامنة عشرة التي مر ذكرها والمعتمدون المذكورون يجرون تمام المادة المذكورة في مدة شهرين من تاريخ مقابلتهم واجتماعهم يعني ان المادة المذكورة تجرى بتمامها في مدة أربعة أشهر من تاريخ يوم امضاء هذه المعاهدة وان أمكن ففي أقل من ذلك بدون تأخير يخبرون المصدر الاعظم والقائد مارشال عن اكمال مأموريتهم

المادة السابعة والعشرون **✽** لاجل زيادة تأكيد وتمهيد وتقوية هذه المصالحة المباركة والموالات والمصافاة بين الدولتين يصير بعث وتسيير سفيرين كبيرين فوق العادة حاملين صكوك التصديق لهذه المصالحة الخيرية ويكون ذلك في الوقت الذي يتعين برضاء الطرفين

فيتقابل السفيران في رأس الحدود بمعاملة متعاقبة ويراعي بحق السفيرين المسمى الهما
الرسم المعتاد المرعى بحق سفراء دول أوروبا الاوفا اعتباراً لدى دولتي العلية وترسل هدايا
بواسطة السفيرين المسمى الهما لاثنته بشأن دولتيهما ليكون ذلك دليلاً على صفاء الجهتين
في المادة الثامنة والعشرون بعد امضاء مواد هذه المصاحلة المؤبدة من معتمد دولتي
العلية وهما الموقع الرسمي أحمد ورئيس السكتاب ابراهيم منيب دام مجدهما ومن مرخص
دولة روسيا البرنس ربنين جنرال لقونيا ختمت عواقبه بالخير تصدر التنبيهات من جانب
الصدر الاعظم والجنرال فلدمارشال الى جميع عساكر الدولتين الموجودة برأ وبحراً في كل
جهة لمنع كل نوع من معاملة خصامية بينهم ويرسل أيضاً في الحال من جانب الصدر الاعظم
والجنرال فلدمارشال معاونان الى أساطيلهم الموجودة في البحر الابيض والبحر الاسود
وتجاه بلاد القرم والى جميع المواقع الحربية لمنع العدوان وأسباب القتال في كل محل بعد
الاعتقاد المصاحلة والمعينان المرسلان من طرف الصدر الاعظم والجنرال فلدمارشال لا بد أن
يكونا بحسب التنبيهات مصونين ومأمونين من كل وجه واذا سبق وصول معاون روسيا الى
سر عسكرها فالقوى اليه يبعث الى سر عسكر دولتي العلية أمر الصدر الاعظم الحاوي على
التنبيه وان سبق وصول معاون الصدر الاعظم يبعث سر عسكر الدولة العلية الى سر عسكر
الروسيا أمر الفلدمارشال الحاوي كذلك على التنبيه وبما ان الصدر الاعظم والفلدمارشال دولة
روسيا (بتروقونت رومانجوف) قد فوض اليهما من طرفي الهما بوني ومن طرف امير بطوربة
روسيا المشار اليها أمر تمهيد عقود وعهود عهد الصلح المباركة المنعقدة فجميع مواد
الصلح المؤبد المسطورة في العهدة المذكورة يصير امضاءها من طرف الصدر الاعظم
والفلدمارشال وختمها باختتامهما للتصديق كما لو كانت جرت بحضورهما والمواد المنعقدة التي
تمهدت وصاروا وعد بها تراعى مراعاة قوية بدون تغيير ولا تبدل ونجربى بالدقة بحسب
منطوقها ولا يفل شيء مخالف لها قطعياً ويجربى في المواد المذكورة التي تقررت ويجربى
التصديق عليها من طرف الصدر الاعظم والفلدمارشال المسمى الهما سندانان تمضيان
بامضاءهما ومختومان بختميهما أحدهما وهو سندان الصدر الاعظم تجربى بالتركية
والايطالية وسندان الفلدمارشال يكتب بالروسية والايطالية أيضاً وبمقتضى الرخصة
المعطاة الى المرخصين من طرف الدولتين ينبغي أن يوصلوا الى الفلدمارشال السندان الواحد
باعتبار كونه صادراً من جانب دولتي العلية وبعدها امضاء المواد بخمسة أيام وان أمكن في مدة
أقل من ذلك تجربى مبادلة السندات وحالما يسلم المرخصون سندات الصدر الاعظم
يأخذون سندات الفلدمارشال القونت رومانجوف

الحاتمة ان ما جرى تحديده وتمهيد بحسب المواد المذكورة من الصلح والصلح
المبطل للحرب والكفاح يكون مقررأ ومعتبرأ من بعد الآن وبحسب ما اعتادت عليه
سلطنتي من شيم الصداقة السكرية ومن الوفاء بالعهود فاننا نجربى العهد والميثاق والتصديق

تماماً ونراعى حق الرعاية جميع ما وقع من قيود وشروط في الثمان والعشرين مادة المذكورة ونجربى جميع عهود ومواثيق الصالح والصالح وكذلك شرط المادتين الحريتين في نيشانيّ الهمايونيين اللذين صار اعطاؤهما ويكون ذلك مدة دوام واستمرار المواد التي صار تأييدها والتصديق عليهما من مرخص دولة روسيا ومصر خضنا بحيث انه لا يحصل فيها خلل ولا مخالفة من طرفها ولا من طرفنا السلطاني الهمايونى ولا من طرف اخلافنا ووكلائنا ذوى المقام المتصفين بالانصاف والميرميرانيين أصحاب الاحتشام والامراء ذوى الاحترام وعموم عساكرنا المنصورة وكافة المتشرّفين بشرف العبودية من صنوف الخدمة (تمت)

ذكر مادتان في خاتمة العهدة احدهما تتضمن المصاريف الحربية وذلك لان الدولة العلية كانت تعهدت بتأدية خمسة عشر ألف كيس للروسيا في مدة ثلاث سنين يدفع منها في كل سنة قسط وهو خمسة آلاف كيس والمادة الثانية سرعة تخليّة جزائر البحر الابيض تأييداً لما هو مذكور في المادة السابعة عشرة من العهدة المذكورة وأسطول روسيا الموجود في البحر الابيض وان كان مشتركاً في المادة المذكورة انه يخرج في مدة ثلاثة أشهر فدولة روسيا قد تعهدت باخراجه قبل المدة المذكورة اذا أمكن

وبذلك انتهت هذه الحرب ونالت روسيا أقوى أمانها بعد اذلال مملكة اسوج ومحوها من العالم السياسى تقريباً بحصرها ضمن حدودها الطبيعية وهى طمى آثار مملكة بولونيا من الوجود كلية تقريباً ونجزة معظمها بينها وبين النمسا والبروسيا بمقتضى معاهدة بين روسيا والبروسيا في ١٧ فبراير سنة ١٧٧٢ وقيمتها النمسا في ابريل وأعلنت ملك بولونيا في ١٨ سبتمبر سنة ١٧٧٢ وبذلك سقطت الحجازان الاولان من الحواجز الثلاثة الحائلة بين تقدّم روسيا من جهة أوروبا وأمكنتها ان توجه كل قواها لمسكافة الدولة العلية التي عملت بجهد بعض وزرائها ومحاكاة البعض الآخر على تقدّم روسيا بدون تبصر في نتائج هذه السياسة ولو أصغت الى طلبات شارل الثاني عشر السويدي وساعدته على محاربة بطرس الاكبر في بدء ظهوره وسعت معه على اطفاء هذه الشرارة التي امتدت لهيبها وكادت تلتهمها ولو لم يرفع الوزير بلطه جى محمد باشا الحصار عن بطرس الاكبر لما أحاط به وخيلته وجيوشه احاطة السوار بالمعصم على نهر البروت لما وصلت دولتنا العلية الى ما وصلت اليه بمعاودة قينارجه التي ما لبثت ان ظهرت نتائجها في العالم

وبعد ذلك أخذت الدولة في اصلاح بعض الشؤون الداخلية وبذل القبطان باشى حسن باشا جهده في الشاء المراكب الحربية بذل ما فقد في محاربة الروسية الاخيرة ومن جهة أخرى استعانت بمحمد بيك أبي الذهب على طاهر عمر فأتى لمحاصرته بمدينة عكا من جهة البر وحاصرها حسن باشا البحري من جهة البحر وضايق عليه الحصار حتى فرّ هارباً من العقاب على عصيانه قاصداً جبال (صفد) فقتل في أثناء هروبه وتخلصت الدولة من شره وكذلك قتل

استيلاء روسيا
على بلاد القرم

أبو الذهب أثناء محاصرة عكا ثم سقطت المدينة في أيدي العثمانيين وانتهت الفتنة بسلام أما روسيا فأخذت تبت رجليها في بلاد القرم لايجاد المشاغب الداخلية بها وبالتالي لابتلاعها وضمها الى أملاكها حيث لم يكن قصدها من استقلالها السياسي وقطع روابط تبعيتها للدولة الا الوصول لهذه الغاية وما زالت مستمرة في القاء الدسائس ونشر الفتنة بين الأهالي حتى عزلوا أميرهم دولت كراي الذي اتخذه الأهالي بمقتضى لصوص دهاشة قينارجه وأقاموا جاهين كراي مكانه فلم يقبل تعيينه فريق عظيم من الاعيان وخيف من وقوع حروب داخلية ولذا امرت روسيا الجنرال بوتكين باحتلالها فدخلها بسبعين ألف جندي كانوا منتظرين على الحدود هذه الغاية فتم لها مقصدها الذي كانت تسعى وراءه من مدة وهو امتلاك كافة سواحل البحر الاسود الشمالية في غضون سنة ١٧٧٣ فهاجت الدولة وأرادت اشهار الحرب على روسيا لانزامها باحترام معاهدة قينارجة القاضية باستقلال بلاد القرم استقلالاً سياسياً تاماً لكن حوّلت أنظارها ثانياً عن الحرب بمساعي فرنسا التي أقنعتها بان هذه الحرب مع استعداد كاترينه وتأهبها لها لا يكون وراءها الا الخراب والدمار لعلها أن روسيا أبرمت مع النمسا وفاقاً سرّياً تم بين كاترينه الثانية وبين الامبراطور يوسف الثاني عند مقابليتهما بمدينة (كرزن) قاضياً بحاربة الدولة لانشاء حكومة مستقلة تكون حاجزاً بينهما وبين الدولة ومكوّنة من الفلاخ والبغدان واقليم يساريا يكون اسمها مملكة (داسي) (١) ويعين لها ملك من المذهب الارثوذكسي وبأن تأخذ روسيا مينا (اوشا كوف) التي تسمى في كتب الترك بمدينة اوزي وبعض جزائر الروم وتأخذ النمسا بلاد الصرب وبوسنة وهرسك من أملاك الدولة وبلاد دلماسيا من أملاك البندقية وتعطيا عوضاً عن ذلك بلاد مورده وجزيرتي كريدوقيرص وأن تعطى باقي دول أوروبا أجزاء أخرى يتفق عليها فيما بعد

أما ان أتيح لهم النصر ودخلوا مدينة الاستانة فيعيدون مملكتهم بيزاطية الاهلية كما كانت قبل الفتح العثماني ويعين الفرانك والروسى قسطنطين بن بولص ملكاً عليها بشرط أن يتنازل عن حقوقه في مملكة الروسيا حتى لا يتفق وجود المملكتين الروسية والبيزاطية (الوهمية) في قبضة ملك واحد

نخوفاً من وقوع الحرب بسبب القرم مع عدم استعداد الدولة وقدرتها في ذلك الوقت على مقاومة روسيا فضلت قبول مشورة فرنسا والاعتراف بضم القرم للروسيا على أن تتعرض لحرب تكون عاقبتها وخيمتها واعترفت بذلك في سنة ١٧٧٤ لكن لم يكن قصدها الروسية ومساعدتها الا انتشابه القتال ليحظى كل منهم بامنيته عملوا على اثارة خاطر الدولة وإيقاعها

(١) اسم كان يطلق قديماً في أيام الرومانيين على اقليم متسع واقع على الشاطئ الايسر لنهر الطونة ويشمل البلاد المندماة الآن رومانيا وترانسلفانيا والجزء الشرقي من بلاد المجر فتحة الامبراطور الروماني تراجان حوالي سنة ١٠٠ ميلادية ثم لما تولى الملك الامبراطور اوريليان أطلق هذا الاسم على الاقليم المكون الآن للروماني الشرقية وجزء من بلاد مقدونية

في الحرب فأخذوا في تحصين ميناء (سباستوبول) وأقاموا ترسانة عظيمة في ميناء (كرزن) وأنشأوا عمارة بحرية من الطراز الأول في البحر الاسود وأرسلوا جواسيسهم الى بلاد اليونان وولاي القلاخ والبغدان لتهييج المسيحيين على الدولة ثم توصلت كاترينه الى ادخال هرقل ملك السكرج تحت حمايتها مقدمة لفتح بلاده نهائياً

وأخيراً في سنة ١٧٨٧ ساحت كاترينه في البلاد الجنوبية وبلاد القرم بابهة واحتفال زائد وأقام لها القائد بوتسكين أقواس نصر كتب عليها (طريق بينا لظه) فعلمت الدولة من كل هذه الاحوال أنها تقصد محاربتها ثانياً وتأكد لها هذا العزم لما تقابلت كاترينه في سباحتها هذه مع ملك بولونيا وامبراطور النمسا ولذلك أرادت هي المبادرة باعلان الحرب قبل تمام استعداد أعدائها ولايجاد سبب له أرسلت بلاغا الى سفير روسيا بالاستئانة المسبو (جولغا كوف) في صيف سنة ١٧٨٧ تطلب به منه تسليم (موروكردانو) حاكم القلاخ الذي كان عضى الدولة والتجاً الى روسيا والتنازل عن حماية بلاد السكرج بما أنها تحت سيادة الدولة وعزل بعض قناصلها المهيجين للاهالي وقبول قناصل للدولة في مياي البحر الاسود وأن يكون لها الحق في تفتيش مراكب روسيا التجارية التي تمر من بوزار الاستئانة للتحقق من أنها لا تحمل سلاحاً أو ذخائر حربية

فرفض السفير هذه الطلبات باذن دولته فأعلن الباب العالي الحرب عليها فوراً وسجن سفيرها في أغسطس سنة ١٧٨٧

ولما كان الجنرال بوتسكين لم يتم معدّات الحرب وقع في حيص بيص وكتب الى كاترينه يخبرها بعدم صلاحية البقاء في القرم ناصحاً لها باخلاصها في أقرب وقت لاسيما وأن ملك السويد (جوستاف الثالث) أراد انتهاز هذه الفرصة لاسترجاع ما فقدته دولته من المقاطعات والبلاد التي أخذتها منها روسيا. لكن لم تنف هذه الحوادث همه هذه الامبراطورة التي أعانتها الايام بل كتبت للجنرال بوتسكين بعدم انتظار العثمانيين والسير بكل شجاعة واقدام على مدينتي بندر واوزي فصدع بأمرها وسار نحو (اوزي) فحاصرها مدة ثم دخلها عنوة في ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٢٠٣ الموافق ١٩ نوفمبر سنة ١٧٨٨ وفي هذه الاثناء كانت النمسا أعلنت الحرب على الدولة مساعدة للروسيا وحاول امبراطورها يوسف الثاني (١) الاستيلاء على مدينة بلغراد فعاذ بالخبيبة الى مدينة تمسوار حيث اقتفى أثره

(١) هو ابن الامبراطورة ماريه تريزه من زوجها الدوك دي اورين الذي تسمى فيما بعد نرسوا الاول ولد سنة ١٧٤١ وتوفي سنة ١٧٦٥ سكن لم يصير ملكاً حقيقياً الا بعد موت أبيه سنة ١٧٨٠ ومن ثم أخذ في تنفيذ أفكاره فالفى استعباد الفلاحين وأبطل التعذيب وأجاز الطلاق والزواج المدينين ومنع الحرية الدينية لجميع رعاياه رغماً عن معارضة الاشراف والقسوس وسفر البابا بيوس السادس الى ويانه للحصول على ابطال التساهل في أمر الدين وتوفي سنة ١٧٩٠ وهو أخو الملكة ماري انتوانيت زوجة لويس السادس عشر ملك فرنسا التي قتلها الفرنسيون في أكتوبر سنة ١٧٩٣ كما قتلوا زوجها وأخته إليزابيت وغيرها أثناء الثورة

الجيش العثماني وانتصر عليه نصراً ميبداً ولذلك ترك الامبراطور قيادة جيوشه الى القائد (لودن) ثم بعد ذلك بقليل توفي السلطان عبد الحميد الاول في ١٢ رجب سنة ١٢٠٣ الموافق ٧ أبريل سنة ١٧٨٩ بالغاً من العمر ٦٦ سنة ومدة حكمه ١٥ سنة وثمانية شهور وتولى بعده

٢٨ « السلطان الغازي سليم خان الثالث »

ابن السلطان مصطفى الثالث المولود سنة ١١٧٥ هـ الموافق سنة ١٧٦٢ م وجو السياسة مكشهر ورعي. الحرب دائرة بلا انقطاع فبذل جهده في تقوية الجيوش وارسال المؤن والذخائر لكن كان الياس قد استولى على الجنود وغادر كثير منهم مراكزهم وفي هذه السنة اتحد القائد الروسي مع قائد الجيوش النمساوية في الاعمال الحربية وضما جيوشهما لبعضهما فاستظهرا على العثمانيين في ٣١ يولييه وفي ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٨٩ وكانت عاقبة ذلك أن استولى الروس على مدينة بندر الحصينة واحتلوا معظم بلاد القلاخ والبعدان وبسارايا ودخل النمساويون مدينة بلغراد وفتحوا بلاد الصرب

مما هدى رشتوى
وياس

فكانت الدولة في خطر عظيم ولو استمر اتحاد النمسا والروسيا لفقدت أغلب أملاكها لكن من حسن حظها توفي الامبراطور يوسف الثاني في ٢٠ فبراير سنة ١٧٩٠ وخلفه ليوبولد الثاني (١) فشعلته الثورة الفرنسية التي قامت على الملك لويس السادس عشر (٢) خوفاً من امتداد هبها وسعت في مصالحة الدولة بتوسط بعض الدول المعادية لفرنسا وأمضى معها في سبتمبر سنة ١٧٩٠ شروط صلح ابتدائية صارت نهائية بمقتضى معاهدة أبرمت بينهما في ٢٢ ذى الحجة سنة ١٢٠٥ الموافق ٤ أغسطس سنة ١٧٩١ بمدينة (ستوا) التي تسمى في كتب الترك (زشتوى) ولم تترك الدولة بمقتضاها الاملايذكر

(١) ولد هذا الامبراطور سنة ١٧٤٧ وكان أميراً لتسكانا بإيطاليا ثم تولى الامبراطورية بعد موت أخيه يوسف الثاني سنة ١٧٩٠ وأهم أعماله اخضاع ولايتي المجر والبلاد الواقعة الى سلطته وكانتا قد اشهرتا المصيان طلباً للاستقلال ثم اتحد مع روسيا على محاربة فرنسا وتوفي سنة ١٧٩٢ قبل اشهار الحرب وخلفه ابنه فرنسوا الثاني
(٢) هو حفيد لويس الخامس عشر وتولى سنة ١٧٧٤ بعد موت جده وكان ميالاً للحرية الا أن ضعفه أضربه كثيراً وحارب انكليترا وساعد الامريكيين على الاستقلال اضلعا لشوكتها ثم ابتدأت الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ ولمدم ثباته صار يقيم رأى الاعيان تارة ويميل الى رجال الثورة تارة أخرى حتي أغضب الجميع بترده وعدم ثباته وبعد ان اعترف بالقانون الاساسي الذي سنته جمعية النواب للمملكة أراد الهروب من فرنسا والالتجاء الى الاجانب فضبط في مدينة رافين في ٢٠ يونيو سنة ١٧٩١ ومن ذلك الوقت توالى عليه المصائب وأهين عدة مرات ثم حصلت حادثة عشرة أغسطس سنة ١٧٩٢ التي أفضت الى اسقاط الملكية ولما اجتمع مجلس الامة المعروف بالكوفاتسيون في ٢١ سبتمبر التالي قرر بايصال الملكية واقامة الجمهورية ومحاكمة الملك على التجاؤه الى الاجانب وحجسه مدة المحاكمة هو وزوجته وولده وابنته وأخته وكثير من الاعيان وفي ١٩ يناير سنة ١٧٩٢ حكم عليه مجلس الامة بالاعدام ونقل هذا الحكم في ٢١ منه فقتل الملك مأسوفاً عليه لانه لم يكن جانياً فلما بل أطلع زوجته عن غير ترو

من بلادها وردت اليها النمسا بلاد الصرب ومدينة بلغراد وجميع فتوحاتها تقريراً وهذا نص معاهدة زشتوي مترجمة عن إحدى المجموعات السياسية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية.

﴿ البند الأول ﴾ سيكون الصلح من الآن بين الدولة العلية وامبراطورية النمسا صاحبا أدياً برأ وبحراً بينهما وبين متبوعيهما ومن يكون لهما حق السيادة عليهم ويكون الاتحاد بينهما في غاية الاحكام ويمنع كل من الطرفين حصول التعدي والاهانة على الآخر ويعفو عن اشتراك في الحرب من رعايا أحد الطرفين ضد الآخر وعلى الاخص جميع صنوف أهالي الجبل الاسود والبوسنة والصرب والافلاق والبغدان بحيث يكون لهم الحق بمقتضى هذا العفو العمومي في الرجوع الى أوطانهم والتمتع بجميع أملاكهم وحقوقهم أي كانت بدون أن يسألوا أو يحاكموا أو يعاقبوا على عصيانهم ضد ملكهم صاحب السيادة عليهم (الخليفة الاعظم) أو لظهار ولائهم للحكومة الامبراطورية الملوكية (النمسا)

﴿ البند الثاني ﴾ يتخذ كل من الطرفين العاليين المتعاقدين ما كانت عليه الحالة العمومية قبل اشهار الحرب في ٩ فبراير سنة ١٧٨٨ أساساً للمعاهدة الحالية ولذلك فانهم يجددان ويؤيدان تمامها مع مراعاة معناها ومبناها بقاية الضبط والدقة بدون أدنى تغيير فيها أو عمل أو اتيان أى أمر مناقض لما جاء بهامعاهدة بلغراد القيمة ١٨ سبتمبر سنة ١٧٣٩ واتفاق ٥ نوفمبر من السنة المذكورة واتفاق ٢ مارت سنة ١٧٤١ المعسر لمعاهدة بلغراد واتفاق ٢٥ مايو سنة ١٧٤٧ الذى جعل الصلح المبرم في بلغراد دائم الوجود واتفاق ٧ مايو سنة ١٧٧٥ الخاص بالتنازل عن اقليم (بوكوفين) واتفاق ١٢ مايو سنة ١٧٧٦ المبين لحدود هذا الاقليم بحيث ان جميع المعاهدات والاتفاقات السالف بيانها يكون معمولاً بها والاجراء على موجبها واجب الى ما شاء الله كما لو كانت مسطرة حرقياً في هذه المعاهدة

﴿ البند الثالث ﴾ ان الباب العالي يجدد ويؤيد بالصفة المشروعة أعلاه الاتفاق الرقم ٨ أغسطس سنة ١٧٨٣ الذى تعهدت الدولة العلية بمقتضاه بحماية جميع المراكب الالمانية التجارية المختصة بأحد ثغور ألمانيا من تعديات قراصين بلاد المغرب وباقي رعايا الدولة وأن تعوض على أصحابها كل ما يعود عليهم من الضرر وكذا يجدد الاتفاق الرقم ٢٤ فبراير سنة ١٧٨٤ الخاص بمنح تجار الحكومة الامبراطورية الملوكية حرية التجارة والملاحة في جميع بلاد الدولة وبحارها وأنهارها وفرمان ٤ دسمبر سنة ١٧٨٨ الخاص بمرور واقامة وعودة الماشية ورعائها من اقليم ترانسلفانيا الى ولايتى الافلاق والبغدان وجميع القرمانات والاتفاقيات واللوائح الوزارية التى كانت معتبرة لدى الطرفين ومعمولاً بها قبل ٩ فبراير سنة ١٧٨٨ لوجود الراحة واستتباب الأمن على الحدود والخاصة بصالح وراحة وقائدة رعايا النمسا وتجارها وملاحتها بحيث ان جميع

هذه الاتفاقات والقرمات والوائح تكون معمولاً بها كما لو كانت منسوخة حرفياً في هذه المعاهدة

﴿البند الرابع﴾ ان الحكومة الامبراطورية الملكية تتعهد بان ترد الى الباب العالي العثماني جميع ما احتلته من الاقاليم والاراضي والمدن والقلاع والحصون التي احتلتها جيوش الامبراطور أثناء هذه الحرب بما فيها اجماعة الافلاق والاجزاء المحتلة من بلاد البغدان حتى تعود الى الحالة وحدود المملكتين الى ما كانت عليه يوم ٩ فبراير سنة ١٧٨٨ وللمقابلة تساهل الباب العالي واجرا آتة المبنية على المحبة والعدالة بمثلها وتتعهد الحكومة المذكورة برد القلاع والحصون الى الحالة التي كانت عليها وقت احتلالها مع المدافع العثمانية التي كانت بها اذ ذلك

﴿البند الخامس﴾ أما قلعة (شوتيم) واقليمها المسمى على لسان العوام باسم (ريا) فيصير اخلاؤها وتسليمها للدولة العثمانية بالشروط السابقة المختصة بباقي القلاع لكن لا يكون تسليمها الا بعد أن يتم الصلح بينها وبين امبراطور جميع الروسية وفي الوقت الذي يعين لاخلاء جنود الروسية لما فتحت في هذه الحروب والى هذا الوقت تبقى الجيوش الامبراطورية الملكية محتلة لهذه القلعة واقليمها بصفة ودعة حرّة بدون أن تشتبك في الحرب الحاضرة أو تقدم أي مساعدة للحكومة الروسية ضد الباب العالي العثماني بأي كيفية كانت

﴿البند السادس﴾ بعد مبادلة التصديق على هذه المعاهدة يتبدى الفريقان في اخلاء وتسليم ما تعاهدا باخلائه وتسليمه الى الفريق الآخر لارجاع الحدود الى ما كانت عليه في المواعيد المحددة بعد تمّ تعيين كل منهما مندوبين كما جاء في المادة الثالثة عشرة من معاهدة بالجراد يخصص بعضهم بما يتعلق بالقلاع وأقاليم البغدان الخمسة وعليهم نهوا في ظرف ثلاثين يوماً تمضي من تاريخ التوقيع على المعاهدة ويخصص الباقي لارجاع حدود البوسنة والصرب وقرية حرصو القديمة وضواحيها الى الحالة التي كانت عليها قبل ٩ فبراير سنة ١٧٨٨ ويعطى للفريق الآخر مدة شهرين من التاريخ السابق ذكره لضرورة هذا الميعاد لتدمير ما ألشئ من الاستحكامات الجديدة في القلاع المراد ارجاعها وتسليمها في الحالة التي كانت عليها وقت فتحها ونقل ما بها من المدافع والمؤن والذخائر

﴿البند السابع﴾ حيث ان الحكومة الامبراطورية الملكية قد أخلت بسبيل كل من أسر من رعايا الدولة العلية المسلمين والعسكريين في الحرب الاخيرة وسامتهم الى المندوبين العثمانيين في روستجق وودين وبوسنه ولم تسلمها الحكومة العثمانية في مقابل ذلك الا رعايا الحكومة الامبراطورية وعساكرها الذين كانوا موجودين في السجون العمومية أو في حوزة بعض أمراء البشناق

وحيث انه يوجد منهم عدد عظيم في حالة الرق بالممالك الحروسية فيتعهد الباب العالي اتباعا

لقاعدة ارجاع كل شيء الى ما كان عليه قبل الحرب ولحوكل ما نشأ عنها من المصائب بان يرده الى الحكومة الامبراطورية الملوكة في ظرف شهرين من تاريخ التوقيع على المعاهدة كل من يوجد من رعاياها في حالة الرق أو أخذ أثناء الحرب ذكراً كان أو أنثى أيا كان سنه أو حالته وفي حوزة من كان وفي أي جهة من أملاك الدولة يكون مجاناً بدون دفع فدية أو غيرها بحيث لا يوجد من الآن فصاعداً رعايا لاجد الطرفين تحت حكم الاخر الا الذين يدخلون في الدين الاسلامي من جهة أو في الدين المسيحي من جهة أخرى باختياره وبعد الاثبات بالطرق المقررة لمثل هذه الحالة

البند الثامن (٨) ومع ذلك فان الرعايا الذين يكونون قد تركوا الدولة التابعين اليها قبل هذه الحرب أو في أثناءها وأقاموا باراضى الدولة الاخرى ولا يزالون مقيمين بها باختيارهم لا يجوز لحاكمهم الاصلى طلبهم بل يبقون تابعين لحاكم البلاد التي هاجروا اليها ويعاملون كباقي رعاياه ومن جهة أخرى فان من يكون له عقارات في كل من الدولتين يكون له الخيار في الاقامة في ظل الدولة التي يريد بها بشرط أن لا يكون لهم الا حاكم واحد ولذا فيجب عليه بيع عقاراته السكائنة في الدولة التي لا يروم البقاء تحت لوائها

البند التاسع (٩) قد تعاهد الفريقان المتعاقدان رغبة منهما في احياء التجارة التي هي ثمرة السلم في أقرب وقت وفي معاملة التجار الذين لا تخفى منفعتهم على العمران بقاعدة ارجاع كل شيء الى ما كان عليه قبل الحرب في البندين الثاني والثالث على أن لا يلحق برعاياهما ضرر بسبب هذه الحرب بل يكون لهم الحق في العودة الى أعمالهم في النقطة التي كانت عليها وقت اعلان الحرب والتمسك بما لهم من الحقوق والطلبات السابقة للحرب أيا كانت والمحافظة على ديونهم ومطالبة مديونهم والمطالبة بالتعويضات التي تستحق لهم بسبب عدم دفع بعض ديونهم أو الضرر الذي لحق بهم عند اعلان الحرب خلافاً لما جاء بالمادة السابعة عشرة من معاهدة بلغراد والثامنة عشرة من معاهدة بيساروفتس التجارية وأن يستعينوا في جميع الاعمال بالحكام والحكومات المختصة وعليها أن تنصفهم بالسرعة وبدون محاباة وبدون أن تعتبر مدة الحرب وجهاً شرعياً لرد طلباتهم

البند العاشر (١٠) تعطى الاوامر المشددة الصارمة في أقرب وقت الى الحكام وولاة الدولتين المتعاقدتين العاملين على المقاطعات الواقعة على تخوم الدولتين باعادة السكينة والطمانينة العمومية ومراعاة حقوق الجوار على جميع الحدود واحترام ما وضعته لجان التحديد من الحدود وعدم تعديها وارتكاب السلب والنهب فيما وراءها والتعويض عما ينشأ عنها من الضرر وبجازاة المخالفين لذلك والمذنبين بنسبة ذنوبهم وجرائمهم مع مراعاة القواعد والمبادئ المقررة لذلك في المعاهدات والاتفاقات السابقة بين الطرفين المتعاقدين وبالاختصاص ترسل اليهم الاوامر بارجاع الحالة الى ما كانت عليه من النظام والهدوء قبل الحرب وجعلهم مسؤولين عن جميع ذلك شخصياً

البند الحادى عشر ﴿ ويصير التنبيه أيضاً على الولاية المذكورين والتأكيد عليهم بحماية رعايا الطرف الآخر الذين تضطروهم تجارنتهم أو أشغالهم الى اجتياز الحدود والسفر فى داخل الولايات وأن يساعدوهم على السفر فى الأنهر ذهاباً أو إياباً بكل الحرية مراعين وملزمين غيرهم بمراعات واجبات الوفادة والضيافة وجميع بنود ومواد المعاهدات والاتفاقات وغيرها المؤيدة فى البندين الثانى والثالث من هذه المعاهدة بدون أن يطلبوا أو يسمحوا لائى أحد أن يطلب منهم أى مكوس أو ضرائب أخرى على أشخاصهم أو بضائعهم غير المحددة فى المعاهدات المذكورة

البند الثانى عشر ﴿ أما بخصوص اجراء أصول الدين الكاثوليكي المسيحي فى الدولة العثمانية وحرية قسوسه والمتمسكين به وحفظ واصلاح كنائسه وحرية التعبد والمتعبدين والتزدد على الأماكن المقدسة بأورشليم وغيرها وحماية هذه الأماكن والحج إليها فان الباب العالى السلطاني يحدد ويؤيد تبعاً لقاعدة ارجاع كل أمر الى ما كان عليه جميع الامتيازات الممنوحة للدين الكاثوليكي بمقتضى البند التاسع من المعاهدة السابقة وبمقتضى جميع القرارات والاوامر الاخرى الصادرة من بادىء أمره

البند الثالث عشر ﴿ يرسل كل من الطرفين الى الطرف الآخر سفراء من الدرجة الثالثة لمناسبة هذا الصلح وعند تبليغ تولى جلالة ملوك الدولتين على كرسى أجدادهم ويصير مقابلة هؤلاء السفراء على حسب الرسوم المتبعة وبالأبهة والاعتبار والمعاملة التى كانت جارية قبل الحرب ويكون لهم حق التمتع بما يخوله لهم قانون الملل والامتيازات المرتبة بوظيفتهم بمقتضى المعاهدات السابقة ويكون الحال كذلك للسفراء المعيينين الآن لدى الباب العالى العثمانى ومن يخلقهم مع مراعاة اختلاف درجاتهم ورتبهم وبالنسبة لجميع الموظفين المعينين معهم وتابعيهم وخدامهم ومساكنهم وبما ان كثيراً من السعاة المكلفين بحمل الرسائل والمكائنات من الى الحكومة الامبراطورية الملكية صار التعدي عليهم وسلب ما معهم قبل الحرب فالباب العالى العثمانى لا يترك أى طريقة للتعويض عنهم كما انه سيتخذ الاحتياطات القوية الضامنة لذهاب هؤلاء السعاة وإيادهم تحت حمايته بكل ضمان

البند الرابع عشر ﴿ قد صار تحرير لستين من هذه المعاهدة مطابقتين لبعضهما احدهما باللغة الفرنسية التى استعملت لسهولة التفاهم ويصير التوقيع عليها من مندوبى ملك النمسا والامبراطور ألمانيا والثانية باللغة التركية ويصير امضاءها من مندوبى جلالة السلطان الاعظم ثم يصير مباداتهما بمعرفة وكلاء الدول المتوسطة وارسالهما الى الطرفين العالين المتعاقدين وبعد امضاءهما بثلاثين يوماً أو أقل ان أمكن يصير تبادل براءة اعتمادهما بحملات امضاء جلالة الملكين الانجمنين بواسطة سفراء الدول المتوسطة وتسليمهما الى مندوبى المتعاقدين مرفقة بصور المعاهدات والاتفاقات والاوراق التى تجددت وتأيدت

وصارت أبدية الوجود بمقتضى هذه المعاهدة مصدقا عليها بانها طبق الاصل اه
الا أن الروسية لم تتبع النمسا حليفها في طريق الصلح بل استمرت على محاربة الدولة
بمفردها وفي ١٦ ربيع آخر سنة ١٢٠٥ الموافق ٢٢ دسمبر سنة ١٧٩٠ استولى القائد
سوواروف على مدينة اسماغيل عنوة وارتكبت فيها من الاعمال الوحشية ما تشعرونه
الابدان من قتل وقتك وسبي ولم يرحموا النساء ولا الاطفال ولا وصل خبر سقوط هذه
المدينة الى الاستانة هاج الشعب ضد حسن باشا البحرى الذى كان مكلفاً بحمايتها وطلبوا
من السلطان قتله فأمر بذلك

ثم توسطت انكلترا والبروسيا وهولندا بين الدولة والروسية ودارت المخابرات مدة ثم تم
الصلح بين الطرفين في ١٥ جمادى الاولى سنة ١٢٠٦ الموافق ٩ يناير سنة ١٧٩٢ على أن
تملك الروسية بلاد القرم نهائياً وجزء من بلاد القوبان وبساراييا والاقالم الواقعة بين نهري
بوج ودينستر بحيث يكون هذا النهر الاخير فاصلا بين المملكتين وتتنازل لها الدولة عن
مدينة اوزنى (أو تشا كوف) وأمضيت بذلك معاهدة في مدينة ياش أطلق عليها اسم هذه
المدينة نسبة اليها

بعض اصلاحات
داخلية

وبعد تمام الصلح مع النمسا والروسيا أخذت الدولة في اصلاح داخليتها وخصوصاً
المسكرية والبحرية فعين أحد المتقربين من الذات السلطانية واسمه كوشك حسين باشا
قبوداناقا وكان من الشبان الاذكياء الذين درسوا أحوال أوروبا ووقفوا على دخائل
سياستها حتى وثق به السلطان ونوقاً تاماً وزوجه إحدى اخواته فيذل جهده في مطاردة قراصين
البحر لتسهيل سبيل التجارة وشمر عن ساعد الجدى في اصلاح الثغور وبناء القلاع الحصينة
لحمايتها ثم أنشأ عدة مراكز حربية على شاكله أحدث المراكب القرساوية والانكازية
واستحضر عدداً عظيماً من مهرة المهندسين من السويد وفرنسا لصب المدافع في معامل
الطوبخانة العامرة وأصاح مدرسة البحرية ومدرسة الطوبخية التي أسسها البارون دى
توت المجرى وترجم لتلاميذها مؤلفات المعلم فوبان القرساوى في فن الاستحكامات
وأضاف الى مدرسة الطوبخية مكتبة جمع فيها أهم ما كتب في الفنون الحربية الحديثة
والرياضيات لتكون التلامذة على اطلاع تام في كل ما يخص بترقية شأن الطوبخية ثم
وضع نظاماً للجنود المشاة وشرع في تنسيق الفرق الجديدة وتدريبها على النظام الاوروبى
فأنشأ أول فرقة منتظمة في سنة ١٧٩٦ وجعل عددها ١٦٠٠ جندي تحت قيادة ضابط
انكليزى دخل في الدين الاسلامى وسمى انكليز مصطفي وكان القصد من ترتيب العساكر
النظامية الاستغناء بهم عن جنود الانكشارية الذين صاروا عالة على الدولة ومن عوامل
تأخرها بعد ان كانوا أهم عوامل تقدمها وقت الفتوحات المستمرة التي كانوا يعدون منها
بكثير من الغنائم حتى اعتادوا النهب وصاروا لما لم يجدوا بلاداً مفتوحة حديثاً لسلب أهلها
يتعدون على أهالى الاستانة والعواصم الاخرى بالسلب والنهب وغير ذلك فضلاً عن

عصيانهم المرة بعد الاخرى وعزلهم الصدور والوزراء وتعديهم على السلاطين بالعزل أو القتل لما يرون منهم معارضا لفسادهم أو ضعفاً في معاقبتهم هذا وقد كانت الدولة في أشد الحاجة والافتقار لهذه الاصلاحات الداخلية فان روابط الولاء بين الولاة والعاصمة كانت ضعفت وسعى كل في الاستقلال أو في عدم دفع الاموال الاميرية الى الخزينة السلطانية مع نضوبها بسبب الحروب واغتيالها لا تقسم واستبد المماليك بمصر برئاسة الأمراء المصرية وأشهرهم مراد بك وبرايم بك وعثمان بك البرديسي وغيرهم مما هو مذکور تفصيلاً في تاريخ الجبرتي وكذلك ظهرت في هذه الاثناء فتنة عثمان باشا والى ودين الملقب ببازوندوغلي (١) وانضمام كثير من أهالي الصرب اليه واستنظامه على جنود الدولة التي أرسلت لاقامه واخيراً سافر اليه كوجك حسين باشا بنفسه وبعد عدة مناوشات كان الحرب فيها سجالاً بينهما خشي هذا الوزير من دسائس أرباب الغايات ان تعصى كافة ايلات البلقان فتدرك الامر ومنع بازوندوغلي ولاية ودين طول حياته وبذلك حسمت الفتنة سنة ١٢١٢ الموافقة سنة ١٧٩٧

دخول
الفرنساويين
مصر

وفي سنة ١٢١٣ الموافقة سنة ١٧٩٨ أمرت الجمهورية الفرنسية بونا بورت (٢) القائد الشهير بالمسير الى مصر لفتحها بغير اعلان حرب على الدولة العلية وأوصته بكتان هذا الامر حتى لا تعلم به انكليترا فتسعى في احباطه مع ان القصد منه لم يكن الا منع مرور تجارة الانكليز من مصر الى الهند وبالعكس فجز في مدينة طولون جيشاً مؤلفاً من ٣٦ ألف مقاتل أغلبهم من العساكر المدربين في الحروب التي جرت بين فرنسا واطاليا وانتهت بمعاهدة كامبوفورميه وعشرة آلاف بحري تحملهم دوناعة مركبة من ٣٠ سفينة حربية و ٧٢ قراويت و ٤٠٠ مركب حمل وأضاف الى جيشه ١٢٢ عالماً على اختلاف العلوم والمعارف لدرس القطر المصري والبحث عما يلزم لاصلاحه واستغلاله

عصيان
بازوندوغلي

(١) قال جودت باشا في تاريخه ان هذا الاسم أصله باسبان وجرف في الاستعمال فصار بازوند (٢) ولد هذا الرجل الشهير في ١٥ أغسطس سنة ١٧٦٩ بمدينة اجاكسيو بجزيرة كورسيكا ثم دخل المدارس الحربية وترقى الى وظيفة ملازم ثاني طوبجي سنة ١٧٨٥ واشتهر في استخلاص مدينة طولون من قبضة الانكليز ثم عين قائداً عاماً للجيش المحارب في ايطاليا سنة ١٧٩٦ وبعد ان قهر الجيوش النمساوية عاد الى باريس حيث كاف بفتح مهرولاً أتم مأموريته عاد الى فرنسا لتتيم نوابه في أغسطس سنة ١٧٩٩ وتولي بها قيادة جميع الجيوش وعين بعد قليل رئيساً للحكومة (قنصل) وفي ١٨ مايو سنة ١٨٠٤ نودي به امبراطوراً على فرنسا باسم نابليون الاول وفي ٢ ديسمبر من السنة المذكورة أي البابايوس السابع الى مدينة باريس وتوجه بيده في حفلة عمومية وقهر جيوش أوروبا التي تالبت عليه عدة مرات وانهمز أخيراً في سنة ١٨١٤ واستسلم في ١١ ابريل وسافر الى جزيرة اليه التي عينت منفي له بجوار ايطاليا ولم تلبث ان عاد منها ونزل بخليج جوان بجنوب فرنسا في اول مارس سنة ١٨١٥ قتالبت عليه الدول أجمع وقهرته في واقعة وترلو بيلاند البلجيكي في ١٨ يونيو سنة ١٨١٥ وأرسل أسيراً الى جزيرة سانت هيلانة اخذى جزائر افريقيا التابعة للانكليز وتوفي بها في ٥ مايو سنة ١٨٢١ ودفن فيها ثم نقلت جثته الى باريس في سنة ١٨٤٠ ودفنت بسرائي الاقاييد في قبر من الرخام الاخر وقد زرته في يوليو سنة ١٨٩٥

وفي ١٩ مايو سنة ١٧٩٨ رحل بونابرت بهذا الجيش بدون أن يعلم أحداً بوجهته فوصل جزيرة مالطة في ١٠ يونيو واحتلها بعد أن دافع من فيها من رهبان القديس حنا الاورشليمي وفي ١٧ محرم سنة ١٢١٣ الموافق ٢ يوليو وصل أمام مدينة الاسكندرية وأنزل عساكره على بعد أربع فراسخ منها وبعد أن دخلها عنوة ترك بها القائد كليبر وسار هو قاصداً مدينة القاهرة عن طريق الصحراء الممتدة غرب فرع رشيد قاصداً بله مراد بليك بشرذمة من المماليك عند مدينة شبراخيت بالبحيرة في ٢٩ محرم الموافق ١٣ منه فهزمه بونابرت وواصل السير حتى وصل الى مدينة انبابة مقابل القاهرة وحصلت بينه وبين ابراهيم بليك ومراد بليك أمراء المماليك واقعة الالهام الشهيرة في ٧ صفر الموافق ٢١ يوليو التي أظهر فيها المماليك من الشجاعة ما أدهش الفرنسيين وبعد أن بذلوا وسعهم في الدفاع عن مصر لا أقول بلادهم بل غنيهم تقهقروا أمام المدافع الفرنسية فدخل بونابرت وجيوشه مدينة القاهرة بعد أن أعلن بها أنه لم يأت لفتح مصر بل أنه حليف الباب العالي أي لتوطيد سلطته ومحاربة المماليك العاصين أو أمره كما قال الانكليز عند دخولهم مصر سنة ١٨٨٢ وأرسل القائد (دسكس) الى الصعيد لاقتفاء أثر مراد بك فقبضه حتى وصل جزيرة فيله (قصر أسس الوجود) في ٢٥ رمضان سنة ١٢١٣ الموافق ٣ مارس سنة ١٧٩٩ ووجه فرقة أخرى احتلت مدينة القصير على البحر الأحمر في ٢٤ ذى الحجة من هذه السنة الموافق ٢٩ مايو من السنة المذكورة وبذلك صار القطر المصري من البحر الأبيض المتوسط الى اقاصي الصعيد في قبضته ثم أسس المجلس العلمي للبحث عما يجعل احتلاله بوادي النيل دائماً

لكن لم يلبث أن وصله خبر واقعة أبي قير البحرية التي دمر فيها نلسن (١) أمير البحر الانكليزي الشهير جميع المراكب والسفن الحربية الفرنسية في ١٧ صفر سنة ١٢١٣ الموافق أول أغسطس سنة ١٧٩٨ وتسلطن الانكليز على البحر المتوسط وقطع المواصلات بينه وبين فرنسا وذلك أن وقت خروج المراكب الفرنسية من طولون كان نلسن المذكور يحاصر مدينة قادس بإسبانيا فتك الحصار وأخذ يبحث عن الدونامة الفرنسية فلم يعثر عليها الا بعد أن احتلت جزيرة مالطة ومدينة الاسكندرية كما سبق ولما علمت الدولة العلية باحتلال الفرنسيين القطر المصري أخذت في الاستعداد لمحاربتهم لاسيما وانها كانت مطمئنة بالبال هادئة البلبال من جهة النمسا والروسيا اللتين كانتا

(١) ولد هذا الاميرال سنة ١٧٥٨ ودخل البحرية وسنة ١٢ سنة وامتاز بين أقرانه وتقدم بسرعة حتى عين وكيل أميرال في سنة ١٧٩٧ وفي سنة ١٧٩٨ حاول الاستيلاء على جزيرة تنريف إحدى جزائر كناريا التابعة لإسبانيا فلم ينجح وتبع الدونامة الفرنسية حتى أحرقها في أبي قير في ٢١ أكتوبر سنة ١٨٠٥ قابل دونامي فرنسا وإسبانيا بالقرب من رأس الطرف الاغر المشهور بترافلجار فحاربا وانهزم عليهما وقتل في هذه الواقعة ونقل جثته الى لوندرة ودفنت في كنيسة وستمنستر لمدة لدفن ملوك انكلترا ومشاهير رجالها وزرت قبره في يوليو سنة ١٨٩٥ وأقيم له بلوندره عدة تماثيل أشهرها ما أقيم في ساحة ترافلجار

مشتغلين بمحاربة الجمهورية الفرنسية اوية خوفا من امتداد مبادئها الحرة الى بلادها فتفل عرشهما كما حصل للويس السادس عشر ملك فرنسا ومن جهة أخرى عرضت عليها الدولة الانكليزية مساعدتها على اخراج الفرنسيين من مصر لارغبة في حفظ أملاك الدولة بل خوفا على طريق الهند من أن تكون في قبضة دولة قوية يمكنها معاكستها فقبلت الدولة العلية مساعدتها بكل ارتياح وكذلك عرضت عليها روسيا امدادها بمراكبها الحربية والضماد دوناتها الى الدولتين العثمانية والانكليزية فقبلت ايضاً وأعلنت الحرب رسمياً على فرنسا في ٢١ ربيع الاول سنة ١٢١٣ الموافق ٢ سبتمبر سنة ١٧٩٨ وأخذت في جمع الجيوش بمدينة دمشق وبجزيرة رودس لارسالها الى مصر وأنت الدونامة الروسية من البحر الاسود الى بوزازا لاستانة وخرجت الى البحر الابيض مع الدونامة العثمانية وذلك بمقتضى معاهدة أبرمت بين هذه الدول الثلاث التي اتفقت لأول مرة على عمل حربي مع ما بين الدولة العلية والروسية من العداوة القديمة المستمرة

ولما شعر بونايرت باجتماع الجيوش لمحاربه تحقق انه ان لم يهاجىء الدولة العلية في بلاد الشام قبل أن تتم استعداداتها الحربية تكون عواقب الحرب وخيمة عليه وان من يحتمل مصر لا يكون آمناً عليها الا اذا احتل القطر السوري فلهذه الدواعي عزم بونايرت على فتح بلاد الشام وقام من مصر ومعه ثلاثة عشر ألف مقاتل قاصداً بلاد الشام من طريق العريش فاحتلها في اواخر شعبان سنة ١٢١٣ ثم دخل مدينة غزة في ١٩ رمضان وارتحل عنها في ٢٣ منه ووصل الرملة في ٢٥ منه ومنها الى يافة فوصلها في ستة وعشرين رمضان الموافق ٧ مارث ولما آس منها المقاومة حاصرها ودخلها عنوة في يوم أول شوال ثم رحل منها قاصداً مدينة عكا وقبل مزاولة ليافا ارتكب أمراً شنيعاً لم يسبق في التاريخ وهو أمره بقتل جميع الجرحي والمرضى من عساكره حتى لا يعوقوه في سيره ثم حاصر مدينة عكا من جهة البر وهاجها مراراً لكن لم يتمكن من فتحها لوصول المدد اليها تباعاً من طريق البحر واستيلاء الاميرال الانكليزي (سدي سميت) (١) على مدافع الحصار التي أرسلها من مصر لاطلاقها على الاسوار ولتليقظ احمد باشا الجزائر قائد حاميتها لافساد الالغام التي ينشئها الفرنسيون لنفسها وفي أوائل أبريل بلغه تحرك جيش دمشق العثماني لالنجاد مدينة عكا فأرسل القائد كبير مع فرقة من الجيش لمحاربه ومنعه من الوصول اليها فالتقى هذا القائد بالعثمانيين عند جبل طابور وأحاطوا به احاطة السوار بالمعصم وكادوا يفوزون عليه لولا مجيء بونايرت اليه بثلاثة آلاف مقاتل ومهاجمته لهم من الخلف ففرق الجيش العثماني في ١٦ أبريل ثم عاد بونايرت الى عكا فوصله خبر تقدم الجيش المجتمع

(١) أميرال انكليزي ولد سنة ١٧٦٤ وتوفي سنة ١٨٤٠ كلفه الاميرال هودجين عندما كان محتالاً لمدينة طولون بحرق الدونامة الفرنسية فحرقها في سنة ١٧٩٣ ثم أخذ أسيراً في فرنسا وبقي بها ستين مسجوناً بسجن التامبل بباريس ثم هرب فساعد على الدفاع عن مدينة عكا وعين أميرالاً سنة ١٨٢١ ثم اعتزل الاعمال وتوفي باقي عمره في تأسيس ومساعدة الاعمال الخيرية

في جزيرة رودس فقطع بعدم النجاح وعاد بنى بقى من جيوشه الى القاهرة ودخلها في ٢١ مايو من السنة المذكورة

وفي يوليو نزل جيش رودس العثماني بأبى قير وتحصن بها وكان يبلغ عدده ١٨ ألف مقاتل فسار بونا بارت من القاهرة لمحاربتهم فتغلب عليهم والتجأ من لم يقتل منهم الى المراكب في ٢٤ صفر سنة ١٢١٤ الموافق ٢٥ يوليو وأسر قائدهم الأكبر مصطفى باشا وكثيراً من الجنود

وفي ٢٢ أغسطس سافر بونا بارت من الاسكندرية قاصداً فرنسا خفية مع بعض قواده حتى لا يضبطه الانكليز القاطعون بمراكبهم سبل البحر الابيض على الفرنسيين وذلك ان الاميرال الانكليزي أرسل اليه عدة نسخ من الجرائد الفرنسية المذكور بها خبر تغلب النمساويين على فرنسا ووقوع الفوضى في داخلها فأراد بونا بارت الرجوع اليها لاستئالة الخواطر اليه وتأليف حزب يعضده في الوصول الى غرضه وهو أن يعين رئيساً للجمهورية أو أكثر من ذلك خصوصاً وقد نال اسماً عظيماً في محاربات ايطاليا والنمسا قبل مجيئه لمصر وحاز فخراً أنيلاً بسبب فتحه وادى النيل فعادته تاركا القائد (كليبر) وكيلاً عنه ويقال انه أذنه باخلاء القطر لورأى تغلب القوى الخارجية عليه لعدم امكان مساعدته بالمال أو الرجال نظراً لوجود السفن الانكليزية تشق عباب البحر الابيض طولا وعرضاً فبقى الجيش الفرنسي بمصر بدون مراكب تحميه من نزول الانكليز والعثمانيين الى الثغور أو تأني اليه بالمدد أو مجرد الاخبار من فرنسا ونقص عدده الى خمسة عشر ألفاً بعد مات بير الشام بالطاعون والحرب وظهر أن هذا العدد غير كاف لحماية السواحل وحفظ طريق الصالحية والحفاظة على الأمن في الداخل ولذلك ينس القائد كليبر من حفظ مصر واتفق مع الباب العالي والاميرال سديني سميت في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ على أن تنسحب العساكر الفرنسية بسلاحها ومدافعها وترجع الى فرنسا على مراكب انكليزية لكن بعد أن ابتدأ الفرنسيون في اخلاء القلاع أرسل الاميرال كيث الانكليزي الى كليبر يخبره أن الحكومة الانكليزية لم تقبل هذا الاتفاق الا اذا ألقى الفرنسيون سلاحهم بين أيادي الانكليز فاغتاز القائد الفرنسي لذلك وسار لمحاربة الجيش التركي الذي أتى الى مصر تحت قيادة الوزير يوسف باشا لاستلامها من الفرنسيين فتقابل الجيشان عند المطرية في ٢٣ شوال سنة ١٢١٤ الموافق ٢٤ مارس سنة ١٨٠٠ وبعد محاربة عنيفة فاز كليبر بالنصر وعاد الى القاهرة فوجدها في قبضة ابراهيم بيك أحد الامراء المصرية وكان دخلها حال اشتغال الفرنسيين بالحاربة فأطلق القنابل عليها وخرّب منها جزءاً عظيماً واستمرّ الحرب في شوارعها نحو العشرة أيام مما هو مذكور في تاريخ الجبرتي تفصيلاً عن ذكر حوادث الشهر المذكور (راجع جزء ثالث صحيفة ٩٠ وما بعدها)

وبعد ذلك ساد الأمن بالقاهرة وفي ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ الموافق ٢١ محرم سنة ١٢١٥ قتل شخص حلبي اسمه سليمان القائد الكبير في بستان سراي الاني بالاز بكية (الموجود محلها الآن فندق شبرد) وهرب فبحثوا عليه حتى وجدوه مختفياً ببستان مجاور للبستان الذي حصل فيه القتل فضبطوه وبعد تحقيق طويل قتلوه هو ورفاق له ثلاثة انهموا معه في القتل وبعد دفن القائد الكبير عين مكانه الجنرال (منو) وكان قد اعتنق الدين الاسلامي وتسمى عبد الله منو

ولما علم الانكاز والعثمانيون بموت كبير وخروج بونابرت ومعه امهر القواد من مصر أيقنوا بالغلبة عليهم وأنزلوا بأبي قير ثلاثين ألف مقاتل تحت قيادة الجنرال (ابركومبي) في أوائل سنة ١٨٠١ فسار القائد منو لحاربهم فانهزم أمامهم في ٢١ مارت ورجع الى مدينة الاسكندرية ليحصن بها فقطع الانكاز سبيل أبي قير المانع لمياه البحر الابيض من الاغارة على أرض مصر حتى يحصر القائد منو وجيوشه في الاسكندرية غير مباينين بما يجثم عن قطع هذا السبيل من الخراب والدمار لجزء ليس بقليل من الوجه البحري ثم سار الانكاز والأتراك الى القاهرة عن طريق الصحاحية وحاصروا من بقي منهم من الفرسان وبنو القناد (بليار) أن لا مناص له من التسليم خابر القاندين العثماني والانكازي وطلب منهما اخلاء وادي النيل بالشروط السابق تدوينها باتفاق العريش في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ فقبلا منه وأمضيا معه اتفاقاً بذلك في ١٦ صفر سنة ١٢١٦

الموافق ٢٧ يونيو سنة ١٨٠١

فاخلي المدينة في ٢٨ صفر من السنة المذكورة وخرج منها بجميع أسلحته ومدافعه ومهمات

وبعد ان أقاموا في بر الجزيرة أربعة أيام ساروا الى ثغر رشيد لتبعمهم فرق من الجنود الاسلامية والانكازية لمنع تعرض الاهالي لهم وفي أواخر ربيع الاول أبحروا من رشيد على مراكب انكازية

أما القائد منو فبقى محصوراً في الاسكندرية ولم يقبل التسليم الا في ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٢١٦ الموافق ٢ من شهر سبتمبر سنة ١٨٠١ بعد ان وقعت بينه وبين العثمانيين والانكاز موقعة عظيمة قتل فيها كثير من الطرفين فخرج منها مع من بقي معه وسافر الى بلاده على مراكب الانكاز وبذلك انتهت الحرب ورجعت البلاد الى حاكمها الشرعي ومالكها الاصل وخليفة رسول رب العالمين بعد أن وطئها منها الاجنبي وارتكب فيها من الاعمال ما يضيق نطاق هذا الكتاب عن وصفه نسأله تعالى أن يعنّ عليها بالخلص من الأجانب المحتلين لها الآن عسكرياً ومدنياً كما حررها من رقية الفرسان وبنو قان (مضر كنانة الله في أرضه من أرادها بسوء أهلكه الله انه هو السميع الجيب)

وبعد ذلك تخارب بونابرت الذي كان تعين رئيساً للجمهورية الفرسان وبنو قان فحصل مع

خروج
الفرسان
من مصر

سفير الدولة العلية المدعو أسعد افندى وأظهر له ضرر اتحاد الدولة مع روسيا وانكاثره خصوصاً وأن روسيا قد احتلت جزائر اليونان الواقعة ما بين جنوب ايطاليا وبحيث جزيرة مور و جنود انكاثره باقية بمصر مماطلة في اخلائها هي وما احتلته من ثغور الشام وأخيراً أقنعه بوجوب تجديد العلاقات الودية مع فرنسا فكتب السفير العثماني دولته بذلك وبعد الحصول منها على الاذن أمضى مع بونابرت مشروع معاهدة بتاريخ أول جمادى الآخرة سنة ١٢١٦ الموافق ٩ أكتوبر سنة ١٨٠١ و ١٧ فاندعير من العام العاشر للجمهورية الفرنسية أساسها اخلاء مصر وتأييد امتيازات فرنسا السابقة في الشرق وهذا نصها نقلاً عن قاموس فيليب جلاد

﴿البند الاول﴾ ينعقد السلم والولاء فيما بين الجمهورية الفرنسية والباب العالي فزول بناء على ذلك ما كان بينهما من العدوان ابتداء من اليوم الذي تبادل فيه التصديقات على هذه البنود الابتدائية وبعد أن تجرى مبادلة التصديق تنجلي في الحال العساكر الفرنسية عن مملكة مصر وترد المملكة المذكورة الى الباب العالي المحفوظة أراضيها وممالكها بالتمام والكمال كما كانت قبل الحرب الحالية على أنه من المقرر أن كل ما يسمح به من الامتيازات في الممالك المصرية لسائر الممالك الاجنبية بعد انحلاء الفرنسيين عنها يكون مسموحاً بها للفرنساويين أيضاً

﴿البند الثاني﴾ تعترف جمهورية فرنسا بتشكيل جمهورية السبع جزائر وبلاد البندقية السابقة وتكفل استمراره ويقبل الباب العالي كغاية فرنسا وروميا بذلك

﴿البند الثالث﴾ ستفق الجمهورية الفرنسية والباب العالي العثماني على تعيين طريقة نهائية تختص بأموال رعاياهما وأمتعهما التي حيزت أو أخذت معصادة أثناء الحرب ويطلق سراح الوكلاء السياسيين والوكلاء التجاريين والاسرى على اختلاف درجاتهم حال حصول التصديق على هذه البنود الابتدائية

﴿البند الرابع﴾ ان المعاهدات السكائنة فيما بين فرنسا والباب العالي حتى قبل الحرب الحاضرة تجددت بتمامها وبناء على ذلك حق للجمهورية فرنسا أن تتمتع في كافة أنحاء الممالك العثمانية بجميع الحقوق التجارية وحقوق الملاحة التي كانت تتمتع بها قبلاً أو سيتمتع بها غيرها من الدول الاكثر تفضيلاً في مستقبل الايام

وتبادل التصديقات على هذه البنود في ظرف ثمانين يوماً وحرر عن باريس في ١٧ فنديمار من العام العاشر لجمهورية فرنسا الموافق يوم غرة جمادى الآخرة سنة ١٢١٦ وعقب ذلك أبرم بونابرت مع عامل الجزائر معاهدة بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٨٠١ وأخرى مع تونس بتاريخ ٢٣ فبراير سنة ١٨٠٢ قاضيتين باحترام سفن فرنسا التجارية كما كان في زمن السلطان سليمان القانوني

ولما دارت المخبرات بين فرنسا وانكلترا للوصول الى مصالحة اميان (١) أرادت انكلترا ادخال الباب العالى فيها حتى تثبت اشتراكها وتحالفها معها بصفة دولية فلم تقبل الدولة ولا فرنسا بذلك وأصرّ بونايرت على الاتفاق مع الدولة رأساً وتم الاتفاق بينهما في ٢٣ صفر سنة ١٢١٧ الموافق ٢٥ يونيه سنة ١٨٠٢ على أن ترجع مصر الى الدولة مع كافة ما كان لها من الحقوق وأن يقام في جزائر اليونان جمهورية مستقلة تحت حماية الباب العالى (وكان ذلك بالاتفاق مع روسيا) وتعهدت الدولة العلية برّد ماصودر من أملاك فرنسا وبين بلادها ومنح فرنسا جميع امتيازاتها السابقة المضمونة لها بمعاهدة سنة ١٧٤٠ وأن يكون لمراكبها التجارية حق الملاحة في البحر الاسود اسوة بمراكب روسيا وبعد ذلك أخذت انكلترا جيوشها عن مصر والاسكندرية في ذى القعدة سنة ١٢١٧ الموافقة شهر فبراير سنة ١٨٠٣

وفي هذه الاثناء حصلت في داخلية الدولة بعض اضطرابات بسبب شروع السلطان سليم الثالث في تنظيم الجيوش على النظام الجديد فان الانكشارية لم ينظروا لهذه الاصلاحات العسكرية بعين الارتياح لخوفهم من أن تكون مقدمة لالغاء وجاقاتهم فلما مات الجنرال دوبايت فرنساوى الذى كان استحضرت لدرىب النظام فى سنة ١٧٩٧ سعى الانكشارية مع بعض العلماء المتعازين لكل أمر مستحدث بدون نظرائى ماجهره من النفع لدى جلالة السلطان وتحصلوا على لغو الفرق المنتظمة فاخذ القبودان كوجك حسين باشا نحو ٦٠٠ منهم وشكلهم على هيئة أورطة منتظمة على نفقته الخصوصية وأجزل اليهم الهبات حتى أتى الشبان للانضمام اليها باختيارهم وأخذ الانكشارية ينفقون أمام سرايه وقت تعليم العساكر ويهزؤون بهم تارة ويهددونهم أخرى وحسين باشا لا يعبأ بهم بل جدّ في طريقه وسار في مشروعه ولما سار بونايرت من مصر الى الشام سافر هو الى عكا مع فرقة فكانت العساكر النظامية في مقدمة المدافعين ومن أشدهم بأساً على جيوش فرنساويين ولما عادوا من مدينة عكا تحفّق عليهم رايات النصر أمر السلطان أن تكون نفقتهم على الحكومة وأن يزداد عددهم لما تحقّقه جلالته من فائدة النظام فى الجندية بأزاء جيوش أوروبا المنتظمة ثم اتهمز فرصة وجود أكبر قواد الانكشارية بمصر لحاربة فرنساويين وأصدر أمرأ سامياً (خط شريف) قاضياً بفصل المدفعية عن

(١) مدينة شهيرة بشمال فرنسا تبعد عن باريس بمسافة ١٣٣ كيلو متر ويبلغ عدد سكانها ثمانين ألفاً من النفوس وبها معامل كثيرة لفزل القطن وحياتو كثير من المدارس الابتدائية والتجهيزية ومدرسة تجهيزية للطب والصيدليه وبها مكتبة عمومية بلغ عدد ما بها من الكتب في السنة الاخيرة ستين ألف مجلد وبها أيضا محكمة ابتدائية وأخرى استئنافية وفي ٢٥ مارث سنة ١٨٠٢ أمضيت بها معاهدة بين فرنسا وانكلترا وهولاندا واسبانيا ملخصها ان حفظت فرنسا جميع فتوحاتها ماعدا مدينتي روما و نابولي وجزيرة الهوردت انكلتره مأخذته من المستعمرات من اسبانيا وهولاندا وفرنسا ماعدا جزيرة سيلان بجنوب الهند وجزيرة ترينيتى بامريكا الوسطى

الانكشارية وتنظيمها على الطراز الاوروى وكذلك البحرية وبانشاء اورطتين سوارى
والاين مشاة منتظمين ويكون مقرهم في الاستانة وأن يكون لكل منهم موسيقى
عسكرية وامام لتعليم الدين واقامة الصلاة وأن يبنى قشلاقان أحدهما باسكدار والاخر
بيو كدره وأن يخصص للصرف عليهم جميع الاقطاعات العسكرية التي تحمل بموت أصحابها
وتعود للحكومة ثم أصدر أوامره الى عبدالرحمن باشا والى بلاد القرم بأن يألّف عدة أليات
وتدرّسها على النظام الجديد فصدع بالامر بكل اهتمام حتى لم تعض ثلاث سنوات الاوقد
ثم تنظم ثمانية أليات كاملة العدد والعدد

الفن الداخلية
واسبابها

ولنأت هنا على تلخيص ما كان واقعاً ببلاد الصرب والارنؤد من الفن ليكون القارىء
مطلعاً على حالة الدولة الداخلية وما بهامن موجبات التدهور التي أساسها الاصلى عدم السعي
وقت الفتح في نحو عصبية الامم المختلفة بعد الاستيلاء عليها ببذل الجهد في اضعاف ثم
تلاشى لغتهم وعوائدهم حتى يصير الكل أمة واحدة عثمانية فنقول
لما فتحت بلاد الصرب نهائياً بعد واقعة (قوص اوه) الشهيرة أعطيت كافة أراضيها
اقطاعات الى الفرسان العثمانية (سباه) أى انها تبقى تحت يد ملاكها الاصليين المسيحيين
بشرط دفع جعل أو خراج معين لمن أعطيت له وترك لهم حق انتخاب مشايخ بلادهم
فاستبد معهم ملتزموا الاقطاعات وعاملوهم معاملة شرت قلوبهم وأوجدت فيهم حبة
الاستقلال فكثرت منهم قطاع الطرق

ولما انتشبت الحرب الاخيرة بين الدولة والنمسا والروسيا هاجر كثير منهم الى بلاد المجر
والمخروطوا في سلك الجندية النمساوية لمحاربة الدولة ولما وضعت الحرب أوزارها عادوا الى
بلادهم بعد ان تمرّنوا على فنون الحرب وضروب القتال وأشربوا حب الاستقلال والحرية
وبعد عودتهم اضطهدهم الانكشارية لرفعهم السلاح ضد دولتهم في صفوف أعدائهم ولو
أن الباب العالي عفا عنهم عفواً عمومياً الا أن هذه الفئة المفسدة اتخذت ذلك سبباً لنهب
قرى الصرب والتعمّد على عليهم بكافة أنواع الاهانة

ولما اشتكى الاهالى من هذه المظالم أمرت الدولة والى بلغراد بمعاينة الانكشارية
واخراجهم من أراضي الصرب قاطبة فلم يمتثلوا هذه الاوامر ولذا حاربهم الوالى بمساعدة
السباه وغلب عليهم وأخرجهم من ولاية بلغراد بعد ان قتل رئيسهم دلى أحمد فالتجأوا الى
بازونداوغلى الذى سبق ذكره واستقلاله تقريباً بولاية (ودين) وهو توسط لهم لدى
الباب العالي واستحصل لهم على الاذن بالعودة الى بلغراد بشرط ملازمة الهدوء والسكينة
لكنهم لم يرجعوا عن غيهم بل بمجرد عودتهم استأنفوا اضطهادهم للصرب ثم تطاولوا الى
محاصرة مدينة بلغراد بمساعدة بازونداوغلى ودخلوها عنوة وقتلوا واليها وانتشروا في
أطراف البلاد يغنون في الارض فساداً

ولما ضاق الصربون ذرعاً اجتمعوا للدفاع عن أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وانتخبوا

لهم رئيساً من أهلهم وهو جورج بتروفش (١) وطاردوا الانكشارية حتى أبعدهم عن الاراضي والقرى وصار لا يمكنهم الخروج من المدن لترى الالهالى لهم ثم أرسل الباب العالي الى بكير باشا والى بوسنه يامره بمساعدة الصرب ومحاربة الانكشارية وطردهم ثانية من باغراد فأتى بجيشه وحاصرها مع بتروفش حتى دخلها وأخرج الانكشارية منها

وبعد ذلك رجع بكير باشا الى ولايته ومن ذلك الحين لم ترجع السكينة الى بلاد الصرب بل تألبوا جماعات تحت رئاسة بتروفش للدفاع عن أنفسهم ولم يهدأ لهم بال حتى تحصلوا على الاستقلال الادارى ثم السياسى كما سيأتى فى موضعه

وفى هذه الاثناء كانت الاضطرابات سائدة فى بلاد الارنؤود لقيام على باشا والى يانيه على الباب العالي واستثنائه بالسلطة حول ولايته أما على باشا المذكور فهم وابن أحد بيكوات الاروام الذين اعتنقت عائلاتهم الاسلام فى بدء الفتح العثمانى ثم صار رئيساً لأحدى المصبات التى تألفت بإيعاز روسيا ودسائسها لقطع السبل وإيقاف حركة التجارة فى جبال اليونان والارنؤود بدعوى الوطنية وما ذلك فى الحقيقة الا للسلب والنهب ثم رأى ان موالاة الدولة أنفع لصالحه فعزل عن طريقته الاولى ونبد وسوسة الاجانب ظهر يا وطلب من الباب العالي تعيينه حاكماً على الجهة التى ولد بها من بلاد ايروس العليا باليونان فقبل منه الباب العالي هذا الطلب رغبة منه فى اطفاء الفتن الداخلية وكلفه بحاربة والى اشقودره ووالى (دلوينو) اللذين عصيا الدولة طمعاً فى الاستقلال فخار بهما وتغلب عليهما

ثم بعد محاربة روسيا عين فى سنة ١٧٨٧ در بند باشى أى محافظاً على السبل والطرق من تعدى العصب المتسلحة التى تكثر عادة فى البلاد أثناء الحروب وبعدها وفى سنة ١٧٨٨ عين والياً على يانيه وفى سنة ١٧٩٧ لما استولت فرنسا على كافة السواحل والشفور التابعة لجمهورية البندقية راسلهم على باشا مؤكداً لهم حسن ولائه لبونا برت وحكومته ولم يكن ذلك منه الا لحفظ البلاد العثمانية من تعدى القرلساويين

ولما أعلنت الدولة الحرب على فرنسا بسبب احتلال مصر احتل صاحب الترجمة نهر (بوترنتو) وسار لفتح مدينة بروازه فقابله عدد من القرلساويين فخار بهم وقاز عليهم بالنصر ودخل المدينة عنوة

(١) ولد هذا الثائر الصربى بمدينة بلغراد سنة ١٧٧٠ وكان يلقب بقره جورج أى الاسود وهو أول من جمع كلمة الصربيين على مقاومة الدولة العلية وطلب الاستقلال وفى سنة ١٨٠٦ نال بعض امتيازات استرجعها الدولة فيما بعد وطردته منها سنة ١٨١٣ فهاجر الى روسيا حيث أكرمه الحكومة وعيخته قائداً فى جيوشها وفى سنة ١٨١٧ حاول الرجوع الى الصرب لاثارة الفتن فقبض عليه (ميلوش اورسوفتش) وقتله وأرسل رأسه الى الاستانة علامة على ولائه للدولة وينسب الى جورج المذكور أنه قتل أباه وأخاه بمجرد ما آتس منهم الميل الى الدولة العثمانية

ثم في سنة ١٨٠٢ كلفه الباب العالي بمحاربة قبيلة (السوليين) (١) التي عصت الدولة واعتصمت بالجبال المنيعه فسار اليها بجيشه المؤلف من الارنؤود ومسلمي الاروام الناشئين بين قلال الجبال ووهادها وحاصرهم من كل صوب حتى اذا لم يروا بداً من التسليم أو الموت طلبوا الامان في غضون سنة ١٨٠٣ بشرط أن يؤذن لهم بالمهاجرة الى جزائر اليونان المستقلة فأذن لهم وفي أثناء اسجابهم انقضت عليهم جيوشه الغير منتظمة وقتلت منهم خلقاً كثيراً وبذلك ساد الامن في كافة بلاد الارنؤود وابيروس وجبالها وضربت السكينة أطناها في جميع البلاد ومفاوزها وطرقاتها وكافأه السلطان على ايجاد الامن في هذه المسالك الوعرة بان قلده رتبة (روملى واليسى) أى والى الروملى وبما أن هذه الرتبة تحول للحائز عليها حق قيادة الجيوش حال اشتغال المصدر الأعظم في مهام الدولة الاخرى سار على باشا في ثمانين ألف مقاتل لمحاربة أهالى مقدونيا الذين ثاروا طلباً للاستقلال بناء على ايعاز روسيا وتغلب عليهم بعد محاربات عنيفة وأدخلهم كرهاً في طاعة الدولة وكانت هذه الخدمة الجليلة من موجبات زيادة تقوذه فداخله الفرور وأوجست منه الدولة خيفة لما ظهر لها من ميله الى الاستقلال ولما أحس هو بذلك خشى أن يناله أذى منها فتحصن في بلاد ابيروس وأخضع لسلطانه من بها من الامراء وصار كحكم مستقل بها وسند كرم محلّه به من الدمار جزاء نبذه طاعة الدولة في حينه

ولم تسكن بلاد الروملى خالية من الاضطرابات بل وصل البهاشر العصابات المسلحة وانتشرت فيها أزيد من انتشارها في باقي ولايات الدولة باوروبا حتى لم يتمكن الانكشارية من كبح جماحهم بل فاز المفسدون عليهم في عدة وقائع وصارت البلاد في كرب عظيم وبلاء شديد وهذا هؤلاء الثائرون مدينة أدرنه نفسها مع مناعتها

فأراد السلطان تجربة الجيوش المنتظمة في محاربهم وارسل في سنة ١٨٠٤ الأيا من الاستانة مع فرقة من المدفعية وأخرى من الخيالة وثلاثة أليات من التي نظمها والى بلاد القرمات فقامت هذه الجنود بما عهد اليها خيراً قيام ولم تقو العصب على الوقوف أمامها كما هو محقق ومثبت من أن العسكى المنتظم يقاوم عشرة أو أكثر من الغير منتظمين وبعد قليل طهرت بلاد الروملى من أدران الفساد وعادت السكينة الى ربوعها ورجعت الجنود المنتظمة الى الاستانة مكللة بالظفر فانشرح السلطان من نجاح مشروع هذا النظام الجديد وأغدى عليهم العطايا والهبات ثم أصدر في شهر مارت سنة ١٨٠٥ أمراً سامياً (خط شريف) الى جميع الولايات بتركية أوروبا بجمع جميع الشبان من الانكشارية والاهالى البالغين سن الخامسة والعشرين وإدخالهم العسكية وتدريبهم على النظام الجديد فلم

(١) هم سكان بلدة صغيرة في وسط جبال الارنؤود تبعد عن مدينة يانيه بمسافة ٤٥ كيلو مترات دعى سولي اشتروا بمقاومتهم الدولة العلية وعدم الرضوخ لها واعتصامهم بالجبال فطار صيهم في جميع أنحاء أوروبا

يقبل الانكشارية هذا الامر وأظهروا المرء ولذا أرسل السلطان الى عبد الرحمن باشا والى بلاد القرماني الذي كان من أكبر المعضدين للإصلاح العسكري أن يأتي الى الأستانة بجيوشه المنتظمة ليوجهوا الى البلاد التي امتنع بها الانكشارية عن تنفيذ الامر السلطاني فاتي الى القسطنطينية في أوائل سنة ١٨٠٦ وبعد ان مكث نحو شهر استعرض السلطان في خلاله الجنود النظامية سافر عبد الرحمن باشا وجنوده قاصداً مدينة أدرنه في أواسط يولييه من السنة المذكورة ولما وصل اليها وجد الانكشارية تآمرين وأبوابها موصدة أمامه فعاد الى الأستانة بعد حصول عدّة وقائع حرية بينه وبين الثائرين ولما رأى السلطان امتداد الثورة واتحاد بعض العلماء والطلبة ضد النظام الجديد أذعن لمطالب الانكشارية وأرجع العساكر النظامية الى ولايات آسيا وعزل الوزراء وعين أفاة الانكشارية صديراً أعظم ومع ذلك فلم تنته هذه المسئلة بسلام بل جرت بعد قليل الى عزل السلطان كما سيحكي وفي غضون ذلك كانت بلاد الصرب قائمة قاعدة في طلب الاستقلال وحصلت بين أهلها وبين العساكر الشاهانية عدّة محاربات كان النصر فيها تارة لفرق وطورا للفرق الآخر واستمر الحال على هذا المنوال الى أواخر سنة ١٨٠٦ فعرض عليهم والى اشتهر قديره ان الباب العالي يمنحهم ادارة مستقلة لكن بما ان أغلب أراضيهم معطاة الى العساكر السباه فيدفع الصربيون تعويضا قدره ستائة ألف فلورين لتوزع على أصحاب الالتزامات بصفة تمويض على تركهم التزاماتهم للادارة الصربية فقبل زعيمهم جورج بتروفتش بذلك لكن رفض الباب العالي هذا الاقتراح وأبي الادخالهم في طاعته كما كانوا وعند ذلك انتشب الحرب بين الدولة العلية والروسيا التي سيأتي بيان أسبابها

هذا ولترجع الى ذكر علاقات الباب العالي وفرنسا والروسيا وانكارتا بعد خروج القراماويين من مصر فقول ان بونا برت أرسل الى بلاد الشرق الجنرال سبستيانى لتجديد ربط الاتحاد والوداد مع الدولة العلية فسافر الى الأستانة حاملا خطاباً من بونا برت الى السدة السلطانية وفي أثناء اقامته بالأستانة تمكن بمساعدة من عزل أميرى الافلاق والبغدان الحازين للروسيا فعزلا في ٥ جمادى الثاني سنة ١٢٢١ الموافق ٢٠ اغسطس سنة ١٨٠٦ وعين بدلها من المخلصين للدولة العلية فساء ذلك روسيا وخشيت من امتداد نفوذ فرنسا في الشرق فارسلت جيوشها لاحتلال هاتين الولايتين بدون اعلان حرب بدعوى ان تغيير أميريهما مضر بحقوق جوارها فانتشبت نيران القتال بينها وبين الدولة واتحدت انكارتا مع الروسية في هذه الحرب لتأييد طلباتها فارسلت احدى ذواتها تحت قيادة اللورد (دوق وورث) أمام الدردنيل وأرسل سفيرها السير (ار بوثنوت) بلاغاً الى الباب العالي يطلب منه تحالف الدولة العلية وانكارتا وتسليم الاساطيل العثمانية وقلاع الدردنيل الى انكارتا والتنازل عن ولايتى الافلاق والبغدان الى روسيا وطردها الجنرال (سبستيانى) من الأستانة واعلان الحرب على فرنسا والا تكن انكارتا مضطرة لاجتياز بوزاز الدردنيل

واطلاق مدافعها على الاستانة نفسها فلم تقبل الدولة هذه المطالب بل أخذت في تحصين البوغاز واقامة القلاع على ضفتيه لكن لم يكن الوقت كافياً لتحصينه بكمية تجعل المرور منه غير ممكن وفي ١٢ ذى الحجة سنة ١٢٢١ الموافق ٢٠ فبراير سنة ١٨٠٧ قرن الانكليز القول بالفعل واجتاز الاميرال اللورد (دوك وورث) بوغاز الدردنيل بدون أن يحصل لمراكبه ضرر يذكر من مقذوفات القلاع ووصل الى فرضة (جاليبولي) ودمر كافة السفن الحربية العثمانية الراسية بها ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ لأمره التي سبق ذكرها

وبورود الخبر الى الدولة بذلك وقع الرعب في قلوب سكان الاستانة خشية من وصول السفن الانكليزية الى البوسفور وهناك تكون الطامة الكبرى لوجود أغلب السرايات الملكية ودواوين الحكومة على ضفتيه ووقع الوزراء في حيص بيص فاقرّوا بعدمداوات طويلة أن يدعوا لطلب انكيترا وأرسلوا الى الجنرال سبستيانى يدعونه للخروج من الاستانة خوفاً من تفاقم الخطب فقابل الجنرال الفرنسي اوى الرسول العثمانى محاطاً بجميع مستخدمى السفارة والضباط الفرنسيين المستخدمين بحيوش الدولة وبحريتها وأجابه قائلاً انى لا أخرج من الاستانة الا مكرها ثم طلب أن يقابل السلطان مقابلة خصوصية فاجيب عليه ولما قبله أظهر له استعداد فرنسا لمساعدة الدولة وان الامبراطور نابليون قد أصدر أوامره الى جيوشه المعسكرة بسواحل الادرياتيك للسفر الى الاستانة لمساعدة الدولة على مقاومة انكيترا ورفض طلباتها فاقنع جلالته بعدم جواز الانصياع لطلبات الانكليز وانها لو رأت من الدولة العلية مقاومة أذعمت هي اسحب مطالبها خوفاً على تجارتها من البوار لو صدرت الاوامر بعدم قبولها في الممالك المحروسة

فأخذ في تحصين العاصمة وبناء القلاع حولها وتسليحها بالمدافع الضخمة وشكل الفرنسيون والنازلون بالاستانة فرقة من مائتى مقاتل أغلبهم من المدفعية وكذلك الاسبانيون لمضادة سفيرهم المركز دالنييرا لسياسة انكيترا في الشرق واهم كل من في الاستانة في هذا العمل الوطنى حتى الشيوخ والاطفال والنساء وبذل الانكليز كل من الاهتمام أكثر مما كان يؤمل منهم وكان السلطان بنفسه يناظر الاشغال ويحث المشتغلين بها على مواصلة الليل بالنهار لانعام القلاع لصد هجمات الاعداء فلم يمض بضعة أيام حتى صارت المدينة فى مأمن من كل طارئ ووقفت عدة سفن فى مدخل البوسفور لمنع كل مهاجم هذا مع استمرار الاشغال فى بوغاز الدردنيل فلما رأى الاميرال الانكليزى استحالة دخوله البوسفور وقرب انتهاء تحصينات الدردنيل خشى من حصر مراكبه بين البوغازين وقفل راجعاً الى البحر الابيض فى ٢٠ ذى الحجة سنة ١٢٢١ الموافق أول مارث سنة ١٨٠٧ فتيجا منه بمراكبه بعد ان قتل من رجاله ستمائة وغرق من سفنه اثنتان من مقذوفات قلاع الدردنيل واجتمع بمراكب الروسيا عند مدخل البوغاز

ثم أراد الاميرال الانكازى أن يأتي عملاً يحجوا بالحقه من العار بسبب فشله في هذه
المأمرية فقصده نغرا لاسكندرية ومعه خمسة آلاف جندي برى تحت قيادة الجنرال
فريذر فاحتلها في ١٠ محرم سنة ١٢٢٢ الموافق ٢٠ مارث سنة ١٨٠٧ ثم سير فرقة الى
نغرا رشيد لاحتلاله فانهزمت وعادت بخفي حنين ثم أعاد الكرة عليها في شهر ابريل
وحاصر المدينة في ٨ صفر الموافق ١٨ أبريل لكن لم يقو على فتحها لازسال محمد علي باشا
المدد اليها وأخيراً رحلوا عن الديار المصرية ونزلوا في مراكزهم في ١٠ رجب سنة ١٢٢٢
الموافق ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ لعدم امكانهم التفرغ لفتحها مع اشتغالهم بالحروب في
أوروبا ولوجود الحكومة المصرية في قبضة ممدن مصر وباعثها من رمسها ومعبد محمد هامن
له عليها الايادي البيضاء طول الدهر الامير الجليل المرحوم (محمد علي باشا) مؤسس العائلة
السكرية الخديوية وثالث جد الخديونا الحالي (فد بننا عباس باشا حلى الثاني)
ولنأت هنا على كيفية حصول محمد علي باشا على ولاية مصر بعارة وجيزة وعلى من
يريد معرفة تاريخه بالتطويل أن يرجع لمؤلفنا كتاب البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس
العائلة الخديوية المطبوع بمطبعة بولاق الاميرية سنة ١٣٠٨ هجرية

محمد علي باشا
والي مصر

ولد هذا الرجل العظيم الشان في مدينة قوله (١) سنة ١٨٨٢ هـ الموافقة لسنة ١٧٦٩
وتوفي والده وهو صغير فرباه عم له حتى بلغ أشده فزوج له ابنته ثم اشتغل بتجارة الدخان
وربح منها كثيراً

ولما دخل الفرنسيون مصر كما سبق شرحه أتى محمد علي مع من أرسل من الجنود
لحار بهم وشهد واقعة أبي قير وعينه خسرو باشا الذي عين والياً لمصر بعد خروج الفرنسيين
برتبة (سرجشمة) أي قائد فرقة تبلغ أربعة آلاف مقاتل ومن ثم أخذ في استمالة قلوب
الجنود اليه للاستعانة بهم عند سبوح الفرصة ثم وقع النفور بينه وبين والي لنسبة خسرو باشا
اليه الاتحاد مع المماليك فسعى والي بالاقناع به لكن لم يتمكن من التنفيذ لقيام جنود
الارنؤد عليه (وربما كان ذلك بإيعاز من محمد علي) وطردهم إياه من القاهرة لعدم دفعه
مرتباتهم واختار الا هالي بعده طاهر باشا والياً مؤقتاً حتى يعين الباب العالي بديلاً لخسرو
باشا لكن لم يلبث أن قام الانكشارية عليه وقتلوه لدفعه مرتبات الارنؤود دونهم وأراد
الانكشارية تنصيب أحد الذوات العثمانيين واسمه أحمد باشا وكان آتياً لمصر قاصداً
التوجه الى الاقطار الحجازية فلم يقبل محمد علي بذلك وأراد انتهاز هذه الفرصة للحصول
على ما كان يكتنه صدره وهو الاستئثار بوادي النيل وكاتب أمراء المماليك فأتى عثمان بيك

(١) بلدة قديمة من بلاد مقدونية وطن اسكندر الاكبر واسمها عند اليونان نيا بوليس أي البلاد الجديدة
واقعة على بحر جزائر الروم بها ميناء متسعة وتجارها ليست بقليلة ويبلغ سكانها ثمانية آلاف نسمة جلهم من
المسلمين وتبعد مقدار ١٢٨ كيلو متر عن مدينة سلايك وهي وطن المرحوم الحاج محمد علي باشا مؤسس
العائلة الخديوية ولد به سنة ١٧٦٩ وتوفي بالقاهرة في ١٣ رمضان سنة ١٢٦٥ الموافق ٣ أغسطس
سنة ١٨٤٩ ودفن في الجامع الذي بناه بالقلة

١٩٣

البرديسي وغيره للقاهرة

ولما وجد محمد علي أن عدد من أتى منهم كاف لمحاربة الانكشارية حاصر أحمد باشا في منزله وألزمه الخروج من مصر ثم سلبت الارنؤد على الانكشارية فخار بوم في مصر القديمة وقتلوا أغلبهم وفر الباقون وبذلك لم يبق بمصر منازع لمحمد علي ثم سار هو والبرديسي الى دمياط لمحاربة خسرو باشا الذي كان متحصنا بها فخار به وأسراه في ١٤ ربيع الاول سنة ١٢١٨ الموافق ٤ يوليه سنة ١٨٠٣ وعاد به الى القاهرة حيث سجنه بالقلعة وبعد ذلك بقليل عاد من انكضته محمد بيك الالفي أحد زعماء المماليك وكان ذهب اليها ليطالب منها مساعدته على الاستقلال بمصر ويقال انه وعدها بتسليم بعض الثغور لو حصل على مرغوبة فخشي محمد علي باشا من اتحاده مع البرديسي وعمد الى ايجاد الثغرة بينهما ولما أحس الالفي بما يدبره له سافر الى الصعيد ثم أهاج محمد علي الالهالي بمصر على البرديسي فحاصروه في منزله وأطلق محمد علي المدافع عليه حتى أخرجه من مصر وهو كافة المماليك ثم أخرج خسرو باشا من سجنه وأرسله الى رشيد ومنها الى اسلا مبول بناء على طلب الاعيان واقام الجند مكانه من يدعي خورشيد باشا ومحمد علي وكيله لكن لم يلبث ان اتخب الالهالي محمد علي والياً وكتبوا الى الباب العالي فأصدر فرمانا بذلك وصل مصر في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٢٢٠ الموافق ٨ يوليه سنة ١٨٠٥

ثم سعى الانكيز لدى الباب العالي وطلبوا منه عزله او نقله الى ولاية اخرى لتوسمهم فيه المعارضة ومشروعاتهم المحجفة باستقلال مصر فصنعى الباب العالي الى وساوسهم وامر بنقله الى ولاية سلا نيك فلم يقبل علماء مصر ولا قواد الجيوش بذلك وكتبوا الى الدولة يلمسون منها ابقاءه في ولاية مصر فقبل السلطان وارسل اليه فرمانا بتثبيتته وصل اليه في ٢٤ شعبان سنة ١٢٢١ الموافق ٧ نوفمبر سنة ١٨٠٦ وفي ٧ رمضان توفي محمد بيك الالفي وفي ٢٠ شوال توفي عثمان بيك البرديسي وبذلك صفا الجو لمحمد علي باشا ولم يبق له منازع من الامراء المماليك الا انه كان مضطراً لمراعاة من بقي منهم ومن جنودهم المنتشرين في اغلب جهات القطر للافساد لا لحفظ الأمن الى ان اجيز عليهم في واقعة القلعة الشهيرة التي حصلت في يوم الجمعة ٥ صفر سنة ١٢٢٦ الموافق اول مارت سنة ١٨١١ ولترجع لذكرا حصل بالاستانة من الحوادث بعد خروج المراكب الانكليزية من الدردنيل فنقول

عزل السلطان
سليم الثالث

انه في هذه الاثناء كانت رعى الحرب دائرة بين العثمانيين والروس فدخل والى بوسنه بجيوشه الى بلاد الصرب لمنع الثائرين من اللحاق بالجيوش الروسي وسار الصدر الاعظم وفرقتان من الانكشارية وجيوش آسيا المنتظمة الى مدينة (شومله) وكان مصطفى باشا البيرقدار حاكم مدينة (روسجوق) يستعد للاغارة على بلاد الافلاق بخمسة عشر الف جندي قام هو بتنظيمهم وتدريبهم وخصص نفراً ليس بقليل من النظام الجديد للبقاء في

قلاع الدردنيل والبوسفور لدفع الطوارئ البحرية وفي غضون ذلك توفي المفق الذي كان معضدا للسلطان على ادخال الاصلاحات العسكرية وتولى مكانه قاضي عسكر الرومالي وكان على الضد من سلفه فاتخذ مع مصطفى باشا قائم مقام الصدر الاعظم المتغيب في سحابة الروس ولقيف من العلماء على السعي في ابطال النظام العسكري الجديد قائلين انه بدعة مخالفة للشرع وللوصول الى غايتهم هذه اخذوا يغرون العساكر الغير منتظمة التي كانت اضيفت الى الفرق المنتظمة حتى اذا القوا النظام ادرجوا ضمن العساكر النظامية وادخلوا في آذانهم انهم لم يأتوا بهم من بلادهم الا لاجبارهم على الانخراط في سلك النظام وكرههم على لبس الملابس الافرنكية والتزيى بزى النصارى مع ما في ذلك من مخالفة القرآن الشريف والشرع المنيف على زعمهم

ولما ملأت هذه الاوهام عقول هؤلاء السذج واشربت قلوبهم هذه الاضاليل ارسل مصطفى باشا القائم مقام الى احدى القلاع الموجود بها جنود منتظمة وغير منتظمة رسولا أظهر انه آت لالباس الغير منتظمين الملابس النظامية فاجوا وماجوا وقصدوا قتل الرسول فنهزم المنتظمون وحصلت بينهم معركة سالت فيها الدماء ثم انتشرت هذه الفتنة وامتد هيبها الى جميع القلاع وحصلت عدة معارك بين الفريقين كانت نتيجة قتل رسول السوء والتجنا الجنود النظامية الى ثكناتهم ولما بلغ السلطان خبر هذه الحادثة أتهم عليه مصطفى باشا القائم مقام الامر وافهمه أنها حادثة غير مهمة

وبعد هذا النجاح أخذت الجنود الغير منتظمة تستعد بايعاز مهيجها لمرآخري بال واجتمعوا في الجهة المعروفة ببينوكدره وانتخبوا لهم رئيساً منهم اسمه قباقي اوغلي وهو أخذ في الاستعداد للدخول الى الاستانة وفي صبيحة يوم ٢٧ مايو سنة ١٨٠٧ دخل هو ومن معه من الجنود الغير منتظمة وانضم اليهم نحو مائتين من البحرية وثمانائة من الانكشارية حتى اذا وصل هذا الجمع الى المحل المعروف باسم (آت ميدان) أتوا بقدر الانكشارية وصفوها علامة على العصيان وقرى عليهم أسماء جميع المعضدين لشرع النظام العسكري من الوزراء والدوات والاعيان فانتشر الناثرون الى منازلهم وقتلوهم وأنوا برؤوسهم ووضعوها أمام القدر ولما بلغ السلطان خبر هذه الثورة أصدر على الفور أمراً بالغاء النظام الجديد وصرف العساكر النظامية لكن لم يكتف الناثرون بذلك بل قرروا عزل السلطان خوفاً من أن يعود لتنفيذ مشروعه وساعدهم على ذلك المفق الذي هوى الحقيقة المحرك لهذه الثورة فافق بأن كل سلطان يدخل نظمات الافرنج وعوائدهم ويحجب الرعاية على اتباعها لا يكون صالحاً للملك واستمرت هذه الثورة يومين ثم نودى في ٢١ ربيع الآخر سنة ١٢٢٢ الموافق ٢٨ يونيه سنة ١٨٠٧ بفصل السلطان سليم الثالث فعزل وكانت مدة حكمه ١٩ سنة وبقي الى ان توفي في ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٢٣ وعمره ٤٨ سنة تقريباً وقيم بعده

٢٩ « السلطان الغازى مصطفى فاه الرابع »

ابن السلطان عبد الحميد الاول المولود سنة ١١٩٣ هـ الموافقة سنة ١٧٧٩ م وكلف الملقى بتبليغ السلطان سليم خبر عزله فذهب اليه وبلغه ذلك مظهراً أسفه من هذه الحادثة الجبرية فقبل السلطان وذهب الى سرايه الخصوصية وتفرق الجنود النظامية شذراً مذرراً وأهمل هذا المشروع الجليل لعدم موافقته لاغراض الانكشارية ومن حازبهم ولم يكن السلطان مصطفى الا كآلة يديرها مبعضو النظام الجديد كيف شاؤوا تبعاً لاهوائهم فثبت الوزراء الذين لم يقتلوا في الثورة في وظائفهم واعتمد تعيين قباقيبى اوغلى حاكماً لجميع قلاع البوسفور فأعاد الانكشارية قدورهم الى ثكناتهم دلالة على ارتياحهم مما حصل وخلوهم الى الراحة والسكينة

ولما وصلت أنباء هذه الثورة الى الجيوش العثمانية المشتغلة بمحاربة الروس عند نهر الطونة شمل الانكشارية السرور لابطال النظام الجديد ولما رأوا من قائدهم العام وهو الصدر الاعظم حلمى ابراهيم باشا عدم الاستحسان لما حصل قتلوه وأقاموا مكانه جلى مصطفى باشا فوقع القتل في الجيوش ولولا وجود أغلب جيوش الروسية في ألمانيا لمحاربة الامبراطور نابليون الذى كانت تخرع عروش الملوك امامه سجداً لكانت نتائج هذه الحروب أوخماً مما سبقها ومن حسن الحظ أيضاً أن وصل في أثناء ذلك خبر انتصار نابليون على الروس ومخالفتهم في واقعة (فريدلاند) (١) في ٦ ربيع الثانى سنة ١٢٢٢ الموافق ١٤ يونيه سنة ١٨٠٧ فتقهقرت الجنود الروسية المحتلة لولاية البغدان من غير محارب ولا قتال

وعقب ذلك حصل الصلح بين فرنسا وروسيا بمقتضى معاهدة (تسليت) (٢) في أول جمادى الاولى سنة ١٢٢٢ الموافق ٧ يوليه سنة ١٨٠٧ التى جاء بالبند الثانى والعشرين وما بعده منها ان روسيا تكشف عن محاربة الدولة حتى يتوسط نابليون بين الطرفين وانه بمجرد ما أمضيت الهدنة الابدائية تخرج جيوش روسيا ولا يبقى الا فلاق والبغدان بدون أن تدخلها الجيوش العثمانية حتى يتم الصلح نهائياً وجاء في المعاهدة السرية التى اتفق عليها نابليون واسكندر الاول قيصر روسيا أنه ان لم يقبل الباب العالى توسط فرنسا بسبب الحوادث الاخيرة التى حدثت بالاستانة أو ان لم يتم المقصود بكيفية مرضية بعد قبول هذا التوسط بخمسة وثلاثين يوماً فتسجد فرنسا مع روسيا على سلاح جميع الولايات العثمانية باوروبا ما عدا

(١) مدينة صغيرة ببلاد روسيا الشرقية لا يتجاوز عدد سكانها أربعة الاف نسمة واشتهرت بانتصار نابليون الاول بها على جيوش الروس

(٢) قرية بشرق بروسيا على نهر (نيمن) الفاصل بين روسيا والبروسيا بها اجتمع نابليون الاول بامبراطور روسيا اسكندر الاول واتفقا على تقسيم أوروبا بينهما ثم حال دون اتمام مشروعهما عدم الاتفاق على الاستانة اذ كل منهما كان يود جعلها من نصيبه وينسب لنابليون أنه قال ان الاستانة مفتاح العالم من استول عليها أمكنه أن يسود على العالم بأسره

الاستانة وما حوطها وتقسيمها فيما بينهما مع ارضاء النمسا بحجزه يسير وكيفية ذلك التقسيم أن يكون لفرنسا بلاد بوسنه وألبانيا (الارنؤود) وابتروس وبلاد اليونان وققدونيا والنمسا بلاد الصرب وللروسيا الافلاق والبغدان والبلغار واقليم تراس لغاية نهر ماريتسا (راجع مؤلف الميسولافاليه على تاريخ الدولة العلية)

ولا يخفى ما في هذه المعاهدة من الاضرار بحقوق الدولة العلية والتخلى عنها وتركها بفردتها أمام روسيا رغماً عن وعود فرنسا السابقة التي كانت سبباً في اثاره هذه الحرب وناهيك ماجاء في المعاهدة السريّة من تقسيم الاملاك المحروسة فيظهر للمطالع أن كل وعود الاجانب للشرقيين وعود عرقوبية وسراب كاذب بحسبه الظمان ماء وان اظهروا لنا الولاء والصدقة لم يكن الا لنوال امانهم والقوز بغاياتهم فالعاقل من لم يتمسك بذيل وعودهم ولا يخالج فكره أن دولة أوروبية تودّ خيراً أو تبني صلاحاً لدولة أو أمة شرعية مطلقاً والحوادث التاريخية التي ذكرت وستذكر في هذا الكتاب أكبر شاهد فعلها تكون عبرة لمن تذكر

هذا تم إرسال نابليون في ٣ جمادى الاولى الموافق ٩ يوليو الجنرال (جليمينو) أحد اركان حزبه الى الجيوش العثمانية والروسية المتحاربة لتبليغهم المعاهدة المذكورة وعرض توسط الدولة الفرنسية عليهم فقبل الفريقان بذلك وفي ١٩ جمادى الثانية الموافق ٢٤ أغسطس أمضيت بينهما بحضور المندوبين الفرنسيين هدية ابتدائية ومع ذلك فلم تخل روسيا ولا ياق الافلاق والبغدان وهو أول اخلال بشروط معاهدة تسليت ولذا لم يمكن الفريقان ان يتفقا على شروط الصلح النهائي لكن لم يستأنف القتال الا بعد سنتين لاستتعال كل فريق منهما بما هو أهم من ذلك

ولنرجع الى ذكر ما حصل في الاستانة بعد نجاح ثورة قباقيجي اوغلي فنقول انه لم يمض قليل حق وقع الخلاف بين رؤساء الثورة فانحدأولاً قباقيجي اوغلي مع المفق على عزل القائم مقام مصطفى باشا فعزل وأبعد الى خارج البلاد وأقيم مكانه من يدعى طاهر باشا ثم عزل لرغبته المحافظة على حقوق وظيفته وسافر الى روستيجق والتجأ الى حاكمها مصطفى باشا البيرقدار وكان هذا الاخير من محازي السلطان سليم ويود ارجاعه لمنصبه الاحكام فكاشف بذلك جلبي مصطفى باشا الصدر الأعظم وباقي الوزراء وأقنعهم بوجوب مجازاة المفق وقباقيجي مصطفى على تهيج الجنود الغير منتظمة وعزل السلطان والاستئثار بالسلطة فوافقه على هذا الامر كل من كاشفهم به وأصدر الصدر حكماً على قباقيجي مصطفى قاضياً باعدامه ووكّل على تنفيذه أحد رجال هذه المؤامرة واسمه حاجي علي وهو تمهد بالقبض عليه عنوة وسار الى الاستانة في مائة فارس بينما كان البيرقدار قاصدها في ستة عشر ألف جندي عن طريق أدرنه ولما وصل حاجي الى ضواحي الاستانة علم أن قباقيجي مصطفى مقيم في قصره خارج المدينة فهاجمه فيه وقتله ثم أبرز لجنوده حكم الصدر الاعظم وأخبرهم أنه عين قائدهم فلم

يقبلوا بذلك بل أحاطوا به وبين معه من الفرسان وكادوا يأسرونه لولا ما أظهره من الشجاعة التي تمكن بها من التخلص واللحاق بالبيرقدار وكان قد وصل هو والصدور الأعظم الى الاستانة وعسكر خارجها

ولما علم السلطان بهذه الوقائع خشي من تعدى الثورة عليه ووصول ضررها اليه وأمر بعزل المفتي وصرف جنود قباقي مضطفي الغير منتظمة التي عضدته على عزل السلطان سليم فأظهر البيرقدار الاكتفاء بما حصل ولم يكشف أحداً بعزمه على إعادة السلطان سليم الى عرش الخلافة العظمى وأشاع أنه عازم على العودة الى روسيا حتى لکن في صبيحة ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٢٣ الموافق ٢٨ يونيه سنة ١٨٠٨ ألقى القبض على شلي مصطفى باشا الصدر الأعظم وسار بجيوشه الى السراي السلطانية وطلب ارجاع السلطان سليم الثالث الى الملك فامر السلطان مصطفى بقتله والقاء جثثه الى النائرين كي يكفوا عن الثورة لما يعلمون ان الذي يريدون ارجاعه قد دخل في خبر كان لكن أنى الامر على عكس ما كان يؤمل فقد زاد النائمون هياجاً ونادوا على الفور بعزل السلطان مصطفى الرابع وحجزه في نفس السراي التي كان محجوزاً بها السلطان سليم فعزل بعد أن حكم ثلاثة عشر شهراً وقتل في سرايه بعد ذلك بقليل وأقيم بعده

٣٠ « السلطان الغازي محمود ثمانه الثاني »

ابن السلطان عبد الحميد الاول ولد في ١٣ رمضان سنة ١١٩٩ وافتتح أعماله بأن قد مضطفي باشا البيرقدار منصب الصدرة العظمى ووكل اليه أمر تنظيم الانكشارية واجبارهم على اتباع نظامهم القديمة المسنونة من عهد السلطان سليمان القانوني واهملت شيئاً فشيئاً فبعد ان انتقم البيرقدار من قاومه عند ارجاع السلطان سليم وكانوا سبباً في قتله استدعى جميع ذوات الدولة ووزرائها السابقين وأعيانها لمجلس حافل ولما لبوا دعوته قام فيهم خطيباً وأظهر لهم ما كانت عليه حالة الانكشارية وما وصلت اليه وما يجب ان تكون عليه من النظام وضرورة تقليدهم الاسلحة النارية المخترعة حديثاً والتي كان استعمالها في جيوش روسيا سبب انتصاراتهم الاخيرة على جيوش الدولة ثم ختم كلامه بان عرض عليهم عدة اقتراحات مهمة منها الزامهم بملازمة ثكناتهم العسكرية خصوصاً غير المتزوجين منهم وقطع علائف ومراتب الساكنين خارجاً عنها وجعل ثمنهم على التعليمات العسكرية المسنونة في قانون السلطان سليمان الزامياً وتسليحهم بالاسلحة الجديدة النارية وتدريبهم على الاصول العسكرية الجديدة المستعملة في جيوش أوروبا التي اكتسبتهم قوة عظيمة وغير ذلك من الاصلاحات والترتيبات التي لو انبعت لاصبح جيش الانكشارية اقوى جيوش العالم كما كان في بادىء الامر قبل تسلط الخلل عليه وتداخله في الامور الداخلية والخارجية ونصب الوزراء والملوك وعزلهم بلا حق مطلقاً فأقر الجميع على

كل ماجاء في مشروع البيرقदार وحرروا محضراً بذلك ثم لم يكتف هو بذلك بل استحصيل على فتوى بضرورة تنفيذ نظمات الانكشارية بكل صرامة وأصدر أوامره بذلك وأدخل أغلب ضباط الجيوش المنتظمة التي أمر بإبطالها في جيش الانكشارية بالوظائف العالية فأخذوا في تنفيذ رغائبه بكل اعتناء وشدة فاغتياظ الانكشارية لذلك واتحدوا على مقاومته وتضافروا على الايقاع به ولم يكن للبيرقदार معين في تنفيذ قرار الجمعية الا ستة عشر ألف مقاتل أنت معه من روستجق وثلاثة آلاف جندي تحت قيادة عبد الرحمن باشا رئيس الجنود المنتظمة سابقاً وبعض سفن حربية تحت امره أمير البحر رامز باشا

ثم لم يمض قليل حتى ساروا الى فيلييه وأظهروا التمرد والعصيان فارسل البيرقदार اثني عشر ألف مقاتل من جيوشه لمحاربتهم ولم يبق الا أربعة آلاف والثلاثة آلاف القائد لهم عبد الرحمن باشا ولذلك انتهز الانكشارية هذه الفرصة وقاموا كرجل واحد في ٢٧ رمضان سنة ١٢٢٣ الموافق ١٤ نوفمبر سنة ١٨٠٨ وساروا الى سراي السلطان مصطفى بقصد ارجاعه الى عرش الحكومة فاعترضهم البيرقदार وقاومهم مقاومة عنيفة ولما أحس بان الضعف قد داخل جيوشه وخشى من فوز الثائرين وعزل السلطان محمود أمر بقتل مصطفى الرابع والقاء جثته للثائرين كما فعل مصطفى الرابع مع السلطان سليم الثالث فلما رأى الانكشارية جثة السلطان مصطفى زادوا هياجاً واضرموا النار في السراي الملكية لكي يلجئوا البيرقदार على الفرار منها لكن فضل الصدر الاعظم الموت على التسليم لهذه الفئة الباغية والانصياع لطلباتها وبقي بدافع هو ومن معه حتى مات حرقاً ويقال أنه تحصن في أحد الابراج ثم اشعل ما كان به من البارود ومات هو ومن معه تحت أقدامه ولوحث هذه الرواية أو تلك فكتاهما تشهدان على ما كان متصفاً به من الشهامة والشجاعة وأنه يخدم مبدأ لا شخصاً وهذا المبدأ هو اصلاح الجندي وندريها على النظمات المستحدثة لتحقيقه ان الانكشارية مهما كانت قوتهم ومنعتهم لا يقووا على الثبات امام الجيوش المنتظمة المتقدمة اجود الاسلحة واتقنها

— هذا وفي اثناء دفاع البيرقदार كان أمير البحر رامز باشا قد احضر ثلاث سفن حربية ووقفها بمرّ البوسفور وسلط مدافعها على ثكنات الانكشارية ثم نزل الى البر مع فريق من البحارة والمدفعية وسار بهم لمساعدة البيرقदार بينما كان عبد الرحمن باشا آتياً مع فرقته المؤلفة من ثلاثة آلاف جندي لموازة الوزير لكن كان قد سبق السيف العذل وقتل مصطفى باشا البيرقदार الا ان رامز باشا وعبد الرحمن باشا ومن معهم ما فتؤا يقاتلون الانكشارية حتى انهزموا امامهم في جميع الجهات بعد ان استمر اطلاق البنادق والمدافع في الاستانة طول اليوم وفي آخر النهار ارتأى رامز باشا البحرى الفوعن الثائرين جميعاً لوالقوا سلاحهم وسلموا انفسهم لرحمة السلطان فلم يوافق عبد الرحمن باشا بل اراد اتخاذ

هذه الثورة وسيلة لاعداد الانكشارية وابطال طائفتهم كاية ووافقه السلطان محمود على ذلك

وبناء على هذا القرار سارت جيوش السلطان في صبيحة اليوم التالى تتقدمها المدافع تقذف الصواعق على الانكشارية من كل صوب وحذب ولما رأى النائمون أن لامناص لهم من الهلاك أضرموا النار في جميع جوانب المدينة ولما كانت أغلب أماكنها من الخشب علا لهيب النيران وكاد الحريق ياتهمها بأجمعها فاضطر السلطان للاذعان لطلبات الانكشارية حتى يمكنه انقاذ المدينة من الدمار العاجل مؤجلا ابطال هذه الفئة المفسدة الى فرصة أخرى وبذل جهده في اخماد النيران التي كادت تلتهم المدينة بأسرها ولم يتداركها السلطان محمود بحكمته واستمر الانكشارية في نوزتهم وهيجهنهم

وبعد انتهاء هذه الفئة وجه السلطان اهتمامه لاصلاح الشؤون الداخلية والاستعداد لاهلاك طائفة الانكشارية ولتفرغ لذلك عقد الصلح مع دولة الانكاز في ٢٤

مهادنة بخارست
مع روسيا

ربيع الثانى سنة ١٢٢٤ الموافق ٦ يناير سنة ١٨٠٩ وافتتح المحادثات مع روسيا بدون أن يتوصل إلى اتفاق مرض للطرفين فاستؤنفت الحركات العدوانية ودارت رحى الحرب بين الجيشين وكانت نتيجةها ان انهزم الصدر الاعظم ضيا يوسف باشا الذى عين في هذا المنصب الرفيع بعدموت مصطفى باشا البيرقدار مع أنه هو الذى انتصر فى الراساويون عليه بمصر بالقرب من المطرية سنة ١٧٩٩ وهذا مما يدل على عدم المامه بفنون الحرب واستولى الروس على مدائن اسماعيل وسلاستريه وروستيجق ونيكوبلى وبازارجق في سنتي ١٨٠٩ و ١٨١٠ ثم عزل وتولى مكانه من يدعى أحمد باشا وهو سار الى الروس في ستين ألف مقاتل في سنة ١٨١١ وانتصر عليهم واضطروهم لاخلاء مدينة روستيجق فأخلوها في ١٣ جمادى الثانية سنة ١٢٢٦ الموافق ٥ يولييه من السنة المذكورة مكرهين بعد ان هدموا قلاعها وأسوارها بالانغام وأضرموا النار في منازلها وعبروا نهر الطونة راجعين الى شواطئه الايسر فتبعهم أحمد باشا بجيوشه وبعد عدة وقائع لاحاجة لذكرها تفصيلا عاد الروس فاحتلوا روستيجق ثانية

وفي هذه الاثناء فترت العلاقات بين روسيا ونابوليون لعدم تنفيذ شروط معاهدة تلسيت وكانت الحرب بينهما قاب قوسين أو أدنى فسعت روسيا في مصالحة الدولة لعدم وقوف وزراء الدولة على ماجريات الامور السياسية بأوروبا قبلوا افتتاح المحادثات وعينت الدولة مندوبين من قبلها اجتمعوا مع مندوبي روسيا في مدينة بخارست وبعد مداولات طويلة توصل الفريقان الى امضاء معاهدة عرفت في التاريخ باسم معاهدة بخارست أمضيت في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٢٢٧ الموافق ٢٨ مايو سنة ١٨١٢ أهم شروطها بقاء ولايتي الافلاق والبغدان تابعتين للدولة ورجوع الصرب الى حوزتها مع بعض امتيازات قليلة الاهمية عديمة الجدوى وحفظت روسيا لنفسها اقليم بساريا وأحد

مصبات الدانوب

ولقد اعتبرت فرنسا هذه المعاهدة خيانة من الدولة للروابط القديمة الموجودة بين الدولتين
اذ بارامها تمكنت روسيا من استعمال الجيوش التي كانت مشغولة بمحاربة العثمانيين في
صد اغارات فرنسا عن بلادها والزام نابليون القمقري بعد حرق مدينة موسكو واهلاك
أغلب جيوشه عند عبورهم نهر (بيرينا) عائدتين الى بلادهم مكسورين مدحورين
واسنى نابليون أن الدولة لم تأت أمراً جديداً بل اقتدت بما فعله هو في تلسيت من التخلي
عنها والزامها على ايقاف الحرب فضلاً عما جاء بمعاهدة تلسيت من الشروط السرية القاضية
بتجزئة الدولة العلية الامر الذي كاد يخرج من حيز الفكر الى حيز الوجود لولا طلب
القيصر اسكندر الاول ضم مدينه القسطنطينية اليه ليكون له بوزالابوسفور والدرنديل
وبالتالى مفاتيح أوروبا بل مفاتيح العالم بأسره وعدم قبول نابليون بذلك خوفاً على مملكته
الشاسعة من تعدى الروس

ومن الغريب أن جميع دول أوروبا لا تأنف من استعمال أنواع الغش والخديعة في
سياستهم حتى صارت لفظة سياسة عندهم مرادفة للكذب والمين والتظاهر بغير الحقائق ولو
عالمهم احدى الدول الشرقية لا يمثل هذه السياسة التي يتبرأ منها الشرقيون بل بالصدقة
مع المحافظة على الحقوق فما دام حقنا منافياً كما هو الغالب لمطامعهم في بلادنا ومونا بما اتصفوا
به ونحن نراء منه

هذا ولما بلغ رؤساء ثورة الصرب خبر معاهدة بخارست القاضية بارجاعهم الى
سلطة الدولة العلية المطلقة بعد ما بذلوه من الاموال والارواح في اعطائهم نوعاً من
الاستقلال الادارى ووعيد قيصر روسيا بمساعدتهم احتدموا غيظاً ولم يقبلوا الرجوع الى
حالتهم الاصلية وآثروا الفناء في الدفاع عن استقلالهم فسيرت الدولة اليهم الجيوش
فأخضعهم الى سلاطنتها قهراً وعاد الموظفون العثمانيون الى مراكزهم كما كانوا قبل الثورة
واسترجع جنود السباه اقطاعانهم الاصلية فهاجر زعماء الثورة الى النمسا والمجر منتظرين
أول فرصة لاهاجها الامة ثانية طلباً للاستقلال الا احدثهم المدعو (ميلوش أوبرينوفتش) (١)
فانه بقى في بلاده وأظهر الولاء للدولة حتى عينته بوظيفة شمينخ بلد لاحدى القرى وظل
يهيج أفكار الالهالى على الثورة ويبيت فيهم روح الحرية حتى اذا أنس منهم الاستعداد
للقيام كرجل واحد انتهز فرصة عيد الزحف في سنة ١٨١٥ الذي يحتفل به
المسيحيون في يوم الاحد السابق لعيد الفصح حيث كان جميع أهالى قريته والقرى المجاورة
مجتمعين ونشر بينهم لواء العصيان ودعاهم الى الثورة فلبوه مسرعين وانضم اليهم وجميع

(١) أحد زعماء الثورة الصربية ولقبه الحقيقي تيودور زوقش وسمي أوبروفتش نسبة لابن زوج
والدته وكان أبوه من رعاة الخنازير أما هو فتأراً ولا باتفاق قره جورج الذى سبق ذكره ثم لما هاجر
جورج الى روسيا صار هو رئيساً للحركة الثورية وقتل قره جورج ليتخلص من منافسته وباتى
تاريخه يعلم من سياق هذا الكتاب

الاهالى وعاد المهاجرون الى اوطانهم وامتد العصيان فى جميع أنحاء بلاد الصرب
وبعد ان استمر القتال سجلا بينهم وبين الجيوش العثمانية نحو السنتين قبل ميلوش
أوبرينوفتش بالنياية عن الامة الصربية الرجوع الى سلطان الدولة بشرط أن لا يتدخل
فى شؤونهم الداخلية ولا فى تحصيل الضرائب بل يعين لادارة البلاد وتوزيع الضرائب
وتحصيلها مجلس مؤلف من اثني عشر عضوا ينتخبهم الاهالى من أعيان الامة وهم ينتخبون
رئيساً لهم من بينهم يكون كحاكم عمومي وتكتفى الدولة بالمراقبة واحتلال الحصون والقلاع
فقبل الباب العالي هذه الشروط وعين من يدعى مرعشلى باشا والياً للصرب وأعطيت اليه
تعليمات شديدة تقضى عليه بمعاملة الصربيين بالرفق واللين كي يحافظوا على ولاء الدولة ولا
يسعوا فى فصح ما بقى بينهما من عرى التبعية (سنة ١٨١٧) ثم عين ميلوش أوبرينوفتش
رئيساً لمجلس الصرب الذى يمكننا أن نسميه من الآن مجلس نوابهم وأطلقوا عليه اسم
(سوبرانيا) وصارت الصرب مستقلة تقريباً واستبد ميلوش بكل ما مطلق التصرف لاسلطة
للولى العثمانى عليه مطلقاً اكتفاء باحتلال الحصون والقلاع ولم يكن له منافس فى السلطة
الا قره جورج أكبر زعماء الثورة الذى هاجر الى بلاد الروسيا فأكرم القيصر مثواه ومنحه
رتبة جنرال عسكري ونشان (سانت آن) ولذلك خشى ميلوش من نفوذه ومساعدة الروسيا
له فأصر على قتله وترتب له حتى اذا حضر مختفياً الى بلاد الصرب قاصداً بلاد اليونان بناء
على طلب زعمائها أرسل اليه ميلوش من قتله ثم أرسل رأسه الى الاستانة علامة على حسن
ولائه وإخلاصه للدولة العلية صاحبة السيادة الاسمية على بلاده

الوهابيون
ومذهبهم

الوهابيون قوم من العرب اتبعوا طريقة عبد الوهاب وهو رجل ولد بالدرعية بأرض
العرب من بلاد الحجاز كان من وقت صغره تظهر عليه النجابة وعلو الهمة والكرم
وشب على ذلك واشتهر بالسكرام عند كل من يلود به
وبعد ان درس مذهب أبى حنيفة فى بلاده سافر الى أصفهان ولاذ بعلمائها وأخذ

عنهم حتى اتسعت معلوماته فى فروع الشريعة وخصوصاً فى تفسير القرآن ثم عاد الى بلاده فى
سنة ١١٧١ هجرية فأخذ يقرر مذهب أبى حنيفة مدّة ثم أدّته الملعية الى الاجتهاد
والاستقلال فأنشأ مذهباً مستقلاً وقرّره لتلاميذه فاتبعوه وأكبوا عليه ودخل الناس فيه
بكثرة وشاع أمره فى نجد والاحساء والقطيف وكثير من بلاد العرب مثل عمان وبنى عتبة
من أرض اليمن ولم يزل أمرهم شائعاً ومذهبهم منازيداً الى أن قبض الله لهم عزيز مصر محمد على
باشا فأطلقاً سراحهم فى سنة ١٢٣٢ وكسر شوكتهم وأخفى ذكرهم وهاك رسالة من كلامهم
تدل على بعض مذهبهم ومعتقداتهم وهى منقولة حرفياً من الجزء الثانى عشر صحيفة ٨٣
من كتاب الخطط الجديدة التوفيقية تأليف العالم العلامة فقيده الوطن المرحوم على مبارك
باشا المتوفى ليلة الثلاث هـ جمادى الاولى سنة ١٣١١ (١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٣)

اعلموا رحمكم الله ان الحنيفية ملة ابراهيم أن نعيد الله خلاصاً له الدين وبذلك امر الله جميع

الناس وخلقهم له كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاذا عرفت أن الله خلق
 العباد للعبادة فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد كما ان الصلاة لا تسمى صلاة
 الا مع الطهارة فاذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحديث اذا دخل في الطهارة كما قال
 الله تعالى ما كان للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك
 حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون فمن دعا غير الله طالبا منه ما لا يقدر عليه الا الله من جلب
 خير أو دفع ضرر أشرك في العبادة كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من
 لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء
 وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان
 تدعوه لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا
 ينفعكم مثل خير فخير تبارك وتعالى أن دعا غير الله شرك فمن قال يارسول الله أو يا ابن عباس
 أو يا عبد القادر زاعما انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه فهو المشرك الذي
 يهدر دمه وماله الا أن يتوب من ذلك وكذلك الذين يحلفون بغير الله أو الذي يتوكل على غير
 الله أو يرجو غير الله أو يخاف وقوع الشر من غير الله أو يلتجئ الى غير الله أو يستعين بغير الله
 فيما لا يقدر عليه الا الله فهو أيضا مشرك وما ذكرنا من أنواع الشرك هو الذي قال الله فيه
 ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهو الذي قال رسول الله المشركين
 عليه وأمرهم باخلاص العبادة كلها لله تعالى ويصبح ذلك أى التشنيع عليهم معرفة أربع
 قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه أولها ان تعلم ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله بقرآن ان
 الله هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الامور والدليل على ذلك قوله تعالى قل من
 يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والا بصر ومن يخرج الحي من الميت ويخرج
 الميت من الحي ومن يدبر الامور فسيقولون الله فقل أفلا تتقون وقوله تعالى قل لمن الارض ومن
 فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب
 العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يحير ولا
 يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني تسحرون اذا عرفت هذه القاعدة وأشكل
 عليك الامر فاعلم انهم بهذا اقرؤا ثم توجهوا الى غير الله يدعونه من دون الله فاشركوا القاعدة
 الثانية انهم يقولون ما نرجوهم الا لطلب الشفاعة عند الله نريد من الله لا منهم ولكن
 بشفاعتهم وهو شرك والدليل على ذلك قول الله تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم
 ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في
 الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وقال الله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما لعبدهم
 الا ليقربوا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب
 كفار واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف القاعدة الثالثة وهى ان منهم من طلب
 الشفاعة من الاصنام ومنهم من تبرأ من الاصنام وتعلق بالصالحين مثل عيسى وامه

والملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ورسول الله يفرق بين من عبد الأصنام ومن عبد الصالحين بل كفر الكل وقاتلهم حتى يكون الدين كله لله وإذا عرفت هذه القاعدة فاعرف القاعدة الرابعة وهي أنهم يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون والدليل على ذلك قوله تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون وأهل زماننا يخلصون الداء في الشدائد لغير الله فإذا عرفت هذا فاعرف القاعدة الخامسة وهي أن المشركين في زمان النبي أخف شركا من غفلاء مشركي زماننا لأن أولئك يخلصون لله في الشدائد وهؤلاء يدعون مشائخهم في الشدائد والرخاء والله أعلم بالصواب (انتهى)

محاربة محمد على باشا
للهوهابيين

ولما رأى السلطان محمود أنه من الضروري قمع هذه الفئة التي يخشى من امتدادها على تفريق كلمة الاسلام الامر الذي جعله الاوروبيون مطمح أنظارهم للتمكن من فصر عرى اتحادهم وامتلأ له بلادهم ولبعد ولايات الشام وبعداد عن مركز الفتنة كلف محمد علي باشا والى مصر ومؤسس عائلتها الخديوية بمحاربتها واسترجاع مكة المشرفة والمدينة المنورة من أيدي زعمائها وأرسل اليه فرمانا بذلك في ذي القعدة سنة ١٢٢٢ الموافق ديسمبر سنة ١٨٠٧ ولما كان ارسال الجيوش الى بلاد العرب عن طريق البر أمرا متعسرا ان لم يكن مستحيلا لا تتشار الوهابيين في جميع الطرق وقطعهم المواصلات عزم محمد علي باشا على ارسالهم بطريق البحر الاحمر فأمر بإنشاء السفن في السويس لنقل الجنود الى فرضة ينبع فكانت الاخشاب الصالحة لعمل المراكب تقطع في جميع جهات القطر ويؤتى بها الى الورش التي اقيمت في بولاق فتجهز فيها ثم تنقل على ظهور الجمال الى السويس فتركب بكل سهولة

ولما استعدادت المراكب وجمعت الجيوش والكتائب أضمر هذا الشهم على ابادنة طائفة المماليك ليخلص البلاد من شرهم ويمكنه التفرغ لاصلاحها واخراج مشروعاته المقيمة من حيز الفكر الى حيز العمل

ابادة المماليك

ولتتميم هذا المشروع أعدت حفلة في القلعة في يوم الجمعة ٥ صفر سنة ١٢٢٦ الموافق أول مارث سنة ١٨١١ لتسليم ولده طوسن باشا الفرمان المؤذن بتقليده قيادة الجيش المزمع ارساله الى بلاد العرب لمحاربة الوهابيين والسيف المهدى اليه من قبل الحضرة السلطانية وفي اليوم المعهود طلع جميع رؤساء المماليك الى القلعة في موكب منتظم ولما دخل الجميع من باب العزب وانحشروا في المضيق الموصل منه الى الباب الاوسط أغلقت الابواب وأطلقت عليهم البنادق من خلف الاسوار ومن أعلاها حتى قتلوا عن آخرهم وفي الوقت نفسه نهبت جنود محمد علي باشا منازلهم بالمدينة وقتلت من تخلف منهم عن الحضور ثم أرسل الى عماله في الاقاليم بقتل جميع المماليك القاطنين خارج العاصمة فقتلوهم وصاروا

يتنافسون في ارسال رؤوسهم اليه وبذلك ظهرت مصر من أدران هذه الفقة ولو لم يكن
محمد علي باشا من الايادى البيضاء على مصر سوى تخليصها من شر الممالك لكنى
لتخليد ذكره وتعجيد اسمه

وبعد ذلك سافر طوسن باشا بجيوشه الى بلاد العرب وحارب الوهابيين واستخلص
المدينة المنورة بعد ان نسف أسوارها بالانغام ودخلها عنوة وكتب لوالده بذلك ثم
حصره الوهابيون في مدينة الطائف فسافر محمد علي باشا الى مدينة مكة في ٢٨ شعبان سنة
١٢٢٨ الموافق أغسطس سنة ١٨١٢ وقبض على الشريف غالب شريف مكة المكرمة وأرسله
الى مصر وأقام مكانه الشريف يحيى بن سرور واحتل عدة مراكز مهمة من مراكز
الوهابيين فتم وضع حاكم خصوصاً وقد توفى زعيمهم سعود في ١٩ ربيع الآخر سنة
١٢٢٩ الموافق ١٧ ابريل سنة ١٨١٤ فساد الامن في طريق الحج وأتى الناس أفواجا
للتأدية فريضة الحج في الحجة سنة ١٢٢٩ وحج محمد علي باشا وجميع من معه ثم عاد الى
مصر فوصلها في ١٥ رجب سنة ١٢٤٠

وقبل عودته كان قد سار طوسن باشا الى بلاد نجد لمهاجمة الوهابيين في مدينة (الدرعية)
عاصمة زعيمهم فاحتل مدينة الرس الواقعة على مقربة من الدرعية ثم راسله عبدالله بن
سعود الذى تولى زعامة الوهابيين بعد موت أبيه وأرسل اليه رسولا يدعى الشيخ احمد
الحنبل يطلب منه الكف عن القتال والخضوع لأمير المؤمنين وترك ضلالتهم فاجابه طوسن
باشا بأنه لا يمكنه اجابة ملتمسه الا بعد أخذ رأى والده وانفق على مهادة عشرين يوماً
رئيساً يخبر طوسن باشا والده وعند ذلك أتى اليه خبر عودة والده الى مصر فاحذ على نفسه
آتام الصلح واخبار والده بعد ان اقامه فاتفق مع عبدالله بن سعود الوهابى على أن يحتل طوسن
باشا بجيوشه مدينة الدرعية ويرد الوهابيون ما أخذوه من المجوهرات والنفائس من الحجرة
الشريفة النبوية خصوصاً الكوكب الدرى الذى زنته مائة وثلاثة وأربعون قيراطاً من
الماس وكتب لوالده بذلك فأتى اليه الرد بتكليف عبد الله بن سعود بالتوجه الى
الاستانة وان لم يقبل يرسل اليه جيشاً جديداً لمحاربتة

وفى هذه الاثناء جمع طوسن باشا خبر تمرّد الجنود على والده بالعاصمة ونهزم المدينة
فرجع هو أيضاً الى العاصمة منيطة بقيادة جيوشه لاحد من كان معه من القواد ووصل هو
الى القاهرة في غاية ذى القعدة سنة ١٢٣٠ الموافق ٧ نوفمبر سنة ١٨١٥

وبعد استتباب الامن في العاصمة أخذ محمد علي باشا في تجهيز حملة جديدة لمحاربة
الوهابيين فجهزها وجعل قائدها بكر أولاده ابراهيم باشا فسار هذا الشبل الى بلاد العرب من
طريق قنا فاقصر فجدة وأبحر من فرضة بولاق في ١٢ شوال سنة ١٢٣١ فوصل ينبع في ٩
ذى القعدة من السنة المذكورة ومنها قصد المدينة المنورة لزيارة قبر خاتم المرسلين سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم ثم سار بجيوشه الى بلاد نجد بعد ان رتب النقط في خط رجعتة الى فرضق

ينبع وجدة لعدم انقطاع وصول المدد اليه فاحتل الرس ومدينة عنيزة وغيرها وفي ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٢٣٣ الموافق ٦ أبريل سنة ١٨١٨ وصل أمام مدينة الدرعية وكان

بها عبدالله بن سعود ومعه جنوده

ولما كانت هذه المدينة متسعة الأرجاء ولا يمكن لإبراهيم باشا حصارها بكيفية تضطرها الى التسليم أشار عليه أحد أركان حربه من الفرنسيين المدعو المسيو (فسير) بحصار القرى الأربعة المحيطة بالمدينة الواحدة بعد الأخرى حتى اذا احتملها أمكنه محاصرة المدينة الأصلية بكل سهولة فاتبع إبراهيم باشا هذا الرأي لما فيه من المطابقة على أصول الحرب ومع ذلك فاستمر الحصار عدة أشهر لكن لما رأى عبدالله بن سعود ان المصريين قد احتلوا ثلاث قرى من ضواحي المدينة مال الى التسليم وطلب من إبراهيم باشا ٧ ذى القعدة سنة ١٢٣٣ الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٨١٨ إيقاف القتال للمفاوضة في الصلح فأوقفه وأتى عبدالله بن سعود الى إبراهيم باشا في معسكره فأكرمه وأحسن وفادته وبعد محادثة طويلة قبل الوهابي تسليم مدينة الدرعية اليه بشرط عدم تعرضه للإهانة وبالسفر الى الاستانة كربة الحاضرة السلطانية وبركة الكوكب الدرري وما بقى من المجوهرات والتحف التي أخذها الوهابيون حين استيلائهم على المدينة سنة ١٢٢٠ هجرية

ثم سافر عبدالله بن سعود الى الاستانة من طريق مصر فوصل القاهرة في يوم الاثنين ١٧ محرم سنة ١٢٣٤

وبعد ان قابل محمد علي باشا برأى شبراً سافر قاصداً الاستانة في ١٩ من الشهر المذكور الموافق ١٨ نوفمبر سنة ١٨١٨ وقتل بالقسطنطينية بمجرد وصوله

ولما بدأت الحال في بلاد الحجاز ونجد وضرب الأمن أطنابه بها واستؤصلت شأفة الوهابيين منها عاد إبراهيم باشا الى مصر فوصل القاهرة في يوم الخميس ٢١ صفر سنة ١٢٣٥ الموافق ١٠ ديسمبر سنة ١٨١٩

وفي يوم الخميس دخلها بموكب حافل ماراً من باب النصر الى القلعة وزينت المدينة سبعة أيام متوالية

وبعد ذلك أمكن عزيز مصر التفرغ لاصلاح البلاد فنظم الجندية على النظامات الأوروبية وعاونه على ذلك الكلونيل سيف الفرنسي الذي تسمى فيما بعد باسم سليمان باشا ثم شرع في فتح بلاد السودان ففتحها ولده اسمعيل باشا الذي مات بها حرقاً وبطل الحجاز إبراهيم باشا من سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٢٣

عصيان على باشا
والهياينة

سبق لنا ذكر تحصين علي باشا في اقليم ابيروس وما جاورها واستخفافه بالدولة وأوامرها وتقول ان الدولة لم ترد المسارعة في تجازاته لاشتغاله بما هو أهم منه من الشؤون الداخلية والخارجية فحمل هذا التهاون على الخوف وزاد في عدم احترام الأوامر التي ترد اليه من الاستانة حتى وصلت به الحالة الى الامتناع عن دفع الخراج وعدم ارسال من يطلب منه من

الشبان للعسكرية وأخيراً أرسل أحد أتباعه الى الاستانة لقتل بعض خواص السلطان لعدم مساعدته له في الديوان السلطاني فقتله رسول السوء في إحدى شوارع الاستانة العلوية ولما ظهر ان ذلك بايعاز على باشا أمر السلطان بحماكمته وكتب بطلبه الى القسطنطينية لمعاقبته أو تبرئته حسب ما يظهره التحقيق فامتنع عن الحضور وجاهر بالعصيان غير مبال ببطش الدولة وراسل زعماء اليونان الذين كانوا ابتدأوا في الهياج والاضطراب طلباً للحرية لكن تداركت الدولة الامر قبل تفاقم الخطب وأرسلت اليه جيوشاً كافية لقمعه فمحت قيادة من يدعى خورشيد باشا فخاربه هذا القائد وحصره في يانيا مدة وضائق عليه الحصار حتى يش من وصول المدد اليه من زعماء اليونان

ولما رأى أن لامناص له من التسليم فاتح خورشيد باشا في ذلك في يناير سنة ١٨٢٢ ثم اجتمع به في ١٣ جمادى الاولى سنة ١٢٣٧ الموافق ٥ فبراير التالي للاتفاق على شروط التسليم فبرز له خورشيد باشا فرمان السلطان القاضي بقتله جزاء تمرده وعصيانه على الدولة التي والت عليه لعمائمها ورفعته الى أعلى الدرجات وفي الحال أحاط به الجند وقبضوا عليه وأوردوه الحمام ثم جزوا رأسه وأرسلوها الى الاستانة وبذلك انتهت فتنته وعادت السكينة الى ربوع بلاد الارنؤد

قد علم المطالع من سياق هذا الكتاب ان الدولة العلية كانت كلما فتحت اقلها اكتفت من أهله بالخراج غير متعرضة لهم في دينهم أولعتهم أو عوائدهم وأظهرنا مضار هذه الطريقة التي تحفظ بها كل أمة لغتها ورابطها وعصبيتها حتى اذا ساعدتها الظروف لشطت من عقاها وقامت من رقدتها طالبة نصيبها من شمس الاستقلال المنعشة فلما قامت الثورة الفرنسية على دعائم الحرية والمساواة والاخاء وانتشرت مبادئها في جميع أنحاء أوروبا التي وطئها نابليون بحبوشه تعدت منها الى غيرها ووصات فصائلها الى بلاد اليونان فوجدت من أفكار وألباب سكانها مغرماً طيباً فنمت وأبنت وامتدت فروعها الى سهلها وجبلها واجتمع تحت ظلها الوارف زعماء الامة اليونانية لكنهم أيقنوا أنهم لا يقرون على طلب الاستقلال الا اذا كان من أبنائهم شبان متعلمون يبنون المبادئ الجديدة بين جميع طبقات الامة فيعلمون أن لهم حقوقاً يطالبون بها وواجبات يطالبهم الغير بها ولذلك عمد أغنياؤهم الى ارسال أولادهم الى مدارس الممالك الأوروبية ليتحلوا بالعلوم والمعارف وليكونوا رؤساء الامة ودعاة حريتها في المستقبل ثم ألقوا عدة جمعيات للنشر العلم بها بين أفراد الامة وبث روح الوطنية بينهم وشكوا جمعيات أخرى سياسية محضة وجعلوا مراكزها في روسيا والنمسا وأهم هذه الجمعيات الجمعية السرية المسماة (هيتيرى) (١)

ثورة اليونان
وطلبها الاستقلال

(١) كلمة يونانية معناها جمعية أخوية أطلقت على جمعيتين أسست احدهما في مدينة ويانة عاصمة النمسا بدعوى تأسيس المدارس ونشر العلوم بين اليونان والثانية لقصد سياسي محض وهو السعي في استخلاص بلاد اليونان من الحكومة النمساوية وبقيت سرية الى سنة ١٨٢١ حيث ابتدأت الثورة جهاراً وكان

وقيل أن تشكيلها كان بحريض من اسكندر الأول (١) قيصر روسيا لايجاد المشاكل الداخلية في الدولة كي يتسنى له تنفيذ وصية بطرس الاكبر القاضية بحمل مدينة القسطنطينية مفتاح الممالك الروسية

وكانت هذه الجمعية أشبه شيء بجمعيات الكر بوناري (٢) التي انتشرت أثناء ذلك في الممالك اللاتينية أمى فرنسا والبرتغال واسبانيا وإيطاليا لتحرير هذه الامم بمبادئ الثورة الفرنسية وانتشرت جمعية الهيرى بين جميع اليونان المجتمعين في اقليم مورا والمتفرقين في باقي أملاك الدولة حتى بلغ عدد أعضائها في أوائل سنة ١٨٢١ نيفا وعشرين ألفاً وجميعهم من الشبان الاقوياء القادرين على حل السلاح كاملى العدد متأهبين للثورة عند أول إشارة تبدو لهم من رؤسائهم ومما ساعد على امتداد جذورها وفروعها بهذه الكيفية الغريبة اشتغال الدولة بمحاربة على باشا والى يانيا الذى سبق ذكره

وانتهزوا فرصة تفرغها لقمعة لنشرواء العصيان ومقاتلة الجنود العثمانية المحتلة لخصونهم وقلاعهم وبمجرد انتهاء فتنة والى يانيا بقتله في ٥ فبراير سنة ١٨٢٢ كما مر وجهت الدولة خورشيد باشا الى بلاد اليونان لاختضاعها فتغلوا عليه في واقعة الترمويل (٣) وفرقوا شمل جنوده في ذى الحجة سنة ١٢٣٧ الموافق أغسطس سنة ١٨٢٢ أما هو فأثر الموت على تحمل عار هذه الموقعة بعد ما ناله من القبح في قهر والى يانيا فاتحاً ومات مسموماً

ومما زاد في أهمية انهزام خورشيد باشا أن البحارة اليونانيين تمكنوا في يوم ٢٧ رمضان

سركرها أولاً بمدينة اودسا ثم انتقلت الى مدينة كيف وكتناهما لبلاد روسيا الامر الذى يدل على أن للروسيا ضلعا مهما في تأسيسها والصرف عليها

(١) هو ابن الامبراطور بولس الاول ولد سنة ١٧٦٧ وتولي بمدة قبل أبيه في ٢٣ مارش سنة ١٨٠١ وأدخل في بلاده عدة اصلاحات داخلية منها ابطال المصادرة والتعذيب وتخفيف الضرائب وأسس عدة مدارس جامعة ولطف قانون العقوبات وحارب نابليون الاول بانحاده مع جميع أوروبا عدة مرات وانهمز أمام فرنسا في وقائع متعددة وأخيراً لما قصد نابليون بلاده وتفرق أمام مدينة موسكو التي أحرقها الروس انحدت أوروبا ضده بناء على إيعاز المترجم واستظهروا على فرنسا ودخل اسكندر الاول مدينة باريس في ٣١ مارش سنة ١٨١٤ ثم لما عاد نابليون من منفاه الاول حاربه اسكندر المذكور مع جميع أوروبا وانتصروا عليه في ١٨ يولييه سنة ١٨١٥ في واقعة وترلو

واشتهر الامبراطور المذكور بمضادته لاستقلال الامم ولذلك ألف مع البروسيا والنمسا الاتحاد المقدس

لمعارضة كل أمة تود الاستقلال وتوفي عن غير عقب من المذكور في ديسمبر سنة ١٨٢٥ (٢) جمية سرية نشأت بإيطاليا في أوائل هذا القرن لطرد الاجانب منها وتوحيدها ثم انتقلت الى فرنسا سنة ١٨١٨ علي ما يظن وانتشرت فيها بكيفية غريبة وكانت من أكبر أسباب سقوط حكومة شارل العاشر ملك فرنسا الذى أراد ارجاع بعض النظمات القديمة الخافضة لروح الحرية ويقال ان لقيت الشيركان من أكبر زعمائها

(٣) مضيق شهير ببلاد اليونان دافع فيه ليونيداس ملك اسبارطه فاع الابطال عن وطنهم لما هاجهم اكثر زخس ملك العجم وجوعه سنة ٤٨٠ قبل المسيح وفي هذه الواقعة ثبت ليونيداس ومن معه حتى قتلوا عن آخرهم ثم نقلت عظامه الى مدينة اسبارطه حيث اقيم له أثر عظيم تخليداً لذكرك وتمجيداً لاسمه

سنة ١٢٣٧ الموافق ١٨ يونيو سنة ١٨٢٢ من حرق الدوناغة التركية في ميناء جزيرة ساقر واستشهاد ثلاثة آلاف بحرى بسببها بعد ان استخلصت جزائر ساموس وساقز وغيرهما من ايدى ثائرى اليونان ومجازاة سكانها ومساعدتهم بقتل الرجال وسبي النساء وارتكاب أنواع السلب والنهب مما كان له دوى فى أوروبا واستمال رأى العام بها لمساعدة اليونان وبقى الحرب بعد ذلك سجالا الى سنة ١٨٢٤

ولما رأى السلطان محمود ما ألم بحيوشه فى هذه الحروب المستمرة والمناوشات الغير منقطعة وثبات اليونانيين أمام الجيوش العثمانية واعتصامهم بالجبال وعدم قدرة الجنود على اللحاق بهم فى جبالهم الوعرة أراد أن يحيل مامورية محاربهم على محمد على باشا الى مصر نظراً لما أبداه هو وولده الشهم الممام ابراهيم باشا فى محاربة الوهابيين من جهة وليسغله عما كان يظن أنه بنويه من طلب الاستقلال من جهة اخرى اذ توهى الباب العالى انه لو لم تكن هذه وجهته الحقيقية لما بذل وسعته فى تنظيم جيش جديد مؤلف من الشبان المصريين الذين جعل اعتماده عليهم بدل اخلاط الترك وتدريبهم على النظام الاوروبى بمساعدة ضباط من الفرنساويين فلهذه المناسبات اصدر السلطان فرماناً بتاريخ ١٢ رجب سنة ١٢٣٩ الموافق ٦ مارث سنة ١٨٢٤ بتعيين محمد على باشا والياً على جزيرة كريد واقليم موره وما بورتا هذه الثورة

سفر الجنود
العثمانية الى اليونان

فلم يسع محمد على باشا الا الاذعان لاوامر متبوعه الاعلى خوفاً من حمل امتناعه على العصيان والاستقلال الامر الذى ما كانت قواه الحربية تساعده على اتماحه وفى الحال اصدر اوامره باستعداد سبعة عشر الف جندي كلهم مصريون من المشاة للسفر وعدد من الفرسان والمدفعية وعين بكر اولاده تخضع الوهابيين وفتح السودان قائداً عاماً لهذه الحملة وارفعه بسلطان بيك (هو الكولونيل سيف الذى سبق ذكره) الفرنساوى منظم هذه الجيوش ليساعده بمعلوماته العسكرية التى تحصل عليها اثناء وجوده ضمن جيوش نابوليون الشهيرة بحسن الترتيب وكمال النظام

فاستعدت هذه الارسالية للسفر من ثغر الاسكندرية وابحرت منه تحت قيادة بطل مصر ابراهيم باشا فى ١٩ ذى القعدة سنة ١٢٣٩ الموافق ١٦ يولييه سنة ١٨٢٤ على سفن مصرية تسكنها سفن حربية مصرية ايضاً من سفن الدوناغة التى انشأها محمد على باشا فى البحر الابيض لحماية ثغور مصر من هجمات الاعادى كما حصل من الانكليز سنة ١٨٠٧ فسارت السفن بسم الله محريها الى جزيرة رودس للاجتماع بالدوناغة العثمانية ثم ترك ابراهيم باشا فيها بسلطان بيك الفرنساوى مع حامية كافية لحفظها من تعدى الثائرين عليها وقصد هو جزيرة كريد فاحتلها وبنى اقام الى سواحل بلاد موره محاول انزال جنوده فيها وبعد العناء الشديد تمكن من ازامم فى مينامودون ولم يكن باقياً فى ايدى العثمانيين اذ ذلك من جميع سواحل اليونان الا هذه المدينة ومدينة كورون ولو لم تكن مساعدة

أوروبا لليونانيين بالمال والرجال لما أمكنهم مقاومة الجنود العثمانية فانه لما شرعت اليونان في طلب الاستقلال شكلت في أوروبا عدة جمعيات دعيت بجمعيات محبي اليونان وجمعت كثير آمن المال أرسلت به الى الثائرين كميات وافرة من الاسلحة والذخائر وتطوع كثير من أعضائها في عداد الحار بين ومن ضمنهم كثير من مشاهير أوروبا وأمريكا مثل وشنطون ابن محرر أمريكا الشهير واللورد بيرون الشاعر الانكليزي وغيرهما من فحول الرجال الذين وقفوا حياتهم للدفاع عن الحرية في أي زمان ومكان انتصاراً لمبادئهم لا لامة معلومة أو رجل معلوم ومما ساعد على دخول بعض الشبان المشهورين في جيوش اليونان القصائد الحماسية التي نشرها فيما بينهم (فيكتور هوغو) الشاعر الملق بالفرساوي و (كازيمير دلافين) الناظم الشهير

ولم يلبث ابراهيم باشا ان أمد مدينة (كورون) التي كان يحصرها اليونانيون بالرجال والذخائر في ٣ شعبان سنة ١٢٤٠ الموافق ٢٣ مارث سنة ١٨٢٥ ثم فتح مدينة (ناورين) (١) الشهيرة بعد حصار شديد ودخلها منصوراً في ٢٨ رمضان سنة ١٢٤٠ الموافق ١٦ مايوسنة ١٨٢٥ وبعد قليل فتح مدينة (كلاماتا) وفي ٢٣ مايواحتل مدينة (تريبولتسا) ثم استدعا رشيد باشا الذي كان محاصراً مدينة (ميسولونجى) لمساعدته على فتحها وكانت قد أعيته في ذلك الحيل لوقوعها على البحر ووصول المدد اليها تباعاً من جهة البر فقام ابراهيم باشا بجيوشه ملبياً دعوته واتبع في فتحها الطريق التي أرشده سليمان بيك الفرساوي اليها في محاصرة (ناورين) ففتحت المدينة بعد عناء شديد وحصار جهيد ودخلها العثمانيون والمصريون في ١٤ رمضان سنة ١٢٤١ الموافق ٢٢ أبريل سنة ١٨٢٦ وفي يونيو من السنة التالية فتح العثمانيون مدينة آتيناً وقلعتها الشهيرة (اكروبول) رغماً عن دفاع اللورد كوشران القائد البحري الانكليزي الذي عين من قبل اليونانيين قائداً عاماً لجيوشهم البرية والبحرية لعدم اتفاقهم على تعيين أحدهم

تداخل الدول

وبينما يستعد ابراهيم باشا لفتح ما بقى من بلاد اليونان في أيدي الثائرين اذ تداخلت الدول بين الباب العالي ومتبوعيه بحجة حماية اليونانيين في الظاهر وفتح المسألة الشرقية وتقسيم بلاد الدولة بينهم في الباطن وبيان هذا التداخل ان الدولة لامت روسيا أكثر من مرة على مساعدتها الثائرين وحماية من يلتمجئ منهم الى بلادها وهي لا تصنى لهذا اللوم ولا تنصت للحق بل استمرت على مساعدتهم طمعاً في نوال بغيتها الاصلية وهي احتلالها الاستانة وجعلها مركزاً للديانة الارثوذكسية كما ان مدينة رومة مركزاً للديانة الكاثوليكية ثم استمرت المخبرات بين الدولتين مدة بدون فائدة لرغبة روسيا التداخل بين التابع والمتبوع

(١) مدينة بلاد اليونان على بحر أرخبيل قليلة السكان اشتهرت في التاريخ بتدمير مراكب انكلترا وفرنسا والروسيا للدونامة المصرية العثمانية في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ مساعدة لليونان للحصول على استقلالها السياسي بدون اعلان حرب كما هي عادة الامم المتعددة

وعدم قبول الباب العالي أى تدخل أجنبي في شؤونه الداخلية بين رعاياه ولما توفي القيصر
اسكندر الاول في ١٨ ربيع الثاني سنة ١٢٤١ الموافق أول ديسمبر سنة ١٨٢٥ وتولى
بعده نقولا الاول (١) أهتم بمسألة اليونان متبعاً خطة سلفه السياسية وبتحقيقه مع
انكلترا التي كان قصدها منع الحرب بين الدولتين اضطر الباب العالي الى التصديق على
معاهدة (آق كومان) في ٢٨ صفر سنة ١٢٤٢ (سبتمبر سنة ١٨٢٦) وملخصها أن
يكون للروسيا حق الملاحة في البحر الاسود والمرور من البوغازين بدون أن يكون للدولة
وجه في تفتيش سفنها وان تنتخب حكام ولايتي الافلاق والبغدان بمعرفة الاعيان لمدة
سبع سنوات مع عدم جواز عزلهما أو أحدهما الا باقرار روسيا وأن تكون ولاية العرب
مستقلة تقريباً وأن لا تحتل العساكر التركية الاقلعة بلغراد وثلاث قلاع أخرى ولم يذكر
بهذه المعاهدة شيء عن اليونان لايجاد سبب للاشكال في المستقبل بل انقضت روسيا
وانكلترا على استعمال كل نفوذهما لوضع حد للحروب المستمرة بها ولوكره الباب العالي
وواقتهما دول النمسا والبروسيا وفرنسا وهذا نص اتفاق آق كومان

اتفاق آق كومان

البند الاول في جميع قيود واشترطات معاهدة الصلح المبرمة في بخارست بتاريخ
١٧ جمادى الاولى سنة ١٢٢٧ الموافق ١٦ مايو سنة ١٨١٢ قد قررت بهذا الاتفاق
الحالي من حيث قوتها الجوهرية ومبناها كما لو كانت معاهدة بخارست هذه ذكرت فيه
كلمة فكلمة أذن الغرض من الايضاحات التي هي موضوع هذا الاتفاق الحالي ليس
الاتحاد معني بنود المعاهدة المذكورة بالضبط وتقوية دعائمها

البند الثاني في حيث أن ما جاء في البند الرابع من معاهدة بخارست بخصوص تحديد
تخوم الدولتين في الجزيرتين العظيمتين الموجودتين بالدانوب أمام مدينتي اسمايل وكلتي
التيين مع استمرارهما ملكاً للباب العالي كان تقرر بقاء جزء منها قاحلاً غير أهل بالسكان
علم فيما بعد عدم امكان تنفيذه نظراً لظهور الامواج الناشئة عن فيضان النهر حيث ثبت بالتجربة ضرورة
اقامة حد فاصل ثابت ذي امتداد كاف بين سكان الشواطئ المملوكة للطرفين لمنع حصول
أى اختلاط بينهم فتنة طلع بهذه الوسطة كافة المنازعات والارتباك المستمرة التي تنتج

(١) هو ثالث أولاد بولس الاول وتول بعد موت أخيه اسكندر الاول في سنة ١٨٢٥ بسبب تنازل
أخيه الاكبر قسطنطين عن حقه في الملك وكان أشد ملوك روسيا عداوة للدولة العلية فعارها وأمضي
مهاوفاق (آق كومان) ثم معاهدة أخرى في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩ وحارب النجم وأخذ منها عدة ولايات
ثم لما حصلت حرب الشام بين مصر والعلوة العلية أبرم مع الدولة معاهدة خونسكاراسكله في سنة ١٨٣٣
القاضية بمساعدته للدولة وكان من أكبر مساعدي اليونان على الاستقلال كما انه محي ما كان باقيا لبولونيا
من الاستقلال الاداري وساعد النمسا على قهر بلاد المجر وألزمها البقاء تحت سلطة النمسا في سنة
١٨٤٩ وأخيراً تسبب بزيادة عدم احترامه لحقوق الدولة العلية في حرب القرم التي اتحدت فيها فرنسا
وانكلترا مع الدولة ضده وانتهت بسقوط قلعة سيستابول في أيدي المتحالفين وامضاء معاهدة باريس
في ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ المدرجة في هذا الكتاب وتوفي هو أثناء الحرب في ٢ مارس سنة ١٨٥٥

عنها فتمهد الباب العالي العثماني مجاملة لحكومة روسيا الملكية ورغبة في اظهار صريح رغبته المخلصة في توثيق عرى الصلات الحبية بين الدولتين ومراعاة لحسن الجوار بأن يجري ويحافظ على النظام الذي اتفق عليه بهذا الصدد في القسطنطينية بين مبعوث روسيا ووزراء الباب العالي في المؤتمر المنعقد بتاريخ ٢١ اغسطس سنة ١٨١٧ وفقاً للنصوص المدونة بحضور ذلك المؤتمر وعلى ذلك فالنصوص المذكورة في هذا المحضر بالنسبة لموضوع بحثنا تعتبر كأنها جزء متمم للاتفاق الحالي

البند الثالث (ب) بما أن التعهدات والعقود المختصة بالامتيازات التي تتمتع بها البغدان والإفلاق قد تقررّت بقيد خصوصي في البند الخامس من معاهدة بخارست فالباب العالي يتعهد تعهداً صريحاً بأن يراعى تلك الامتيازات والتعهدات والعقود في كل حين بالصدقة التامة ويعد بان يجدد الخطوط الشريفة الحرة في سنة ١٨٠٢ التي خصصت وضمنت الامتيازات المذكورة وذلك في مسافة ستة شهور تمضي من تاريخ التصديق على الاتفاق الحالي وزيادة على ذلك فانه بالنظر الى المصائب التي تحملتها هاتان الولاياتان بسبب الحوادث الاخيرة وبالنظر الى اختيار بعض اشراف البغدانيين والافلاقيين لاجل أن يكونوا ولاية هاتين الامارتين ونظراً لان حكومة روسيا الملكية قد قبلت هذا الانتخاب فقد حصل الاعتراف من الباب العالي وروسيا بان الخطوط الشريفة المذكورة سابقاً الصادرة في سنة ١٨٠٢ يجب من كل بدّ تكميلها بواسطة القيود المدونة بالعقد المنفصل المرفق بهذا الذي اتفق عليه بين مندوبي الطرفين السياسيين والذي يعتبر جزءاً متكاملاً للاتفاق الحالي

البند الرابع (ب) اشترط في البند السادس من معاهدة بخارست أن تحدّد التخوم بين الدولتين المتعاقبتين من جهة آسيا بالكيفية التي كانت عليها سابقاً قبل الحرب وأن تعيد حكومة روسيا الامبراطورية الى الباب العالي الحصون والقلاع الكائنة ضمن هذه التخوم التي فتحها جنود روسيا أثناء الحرب فبناء على هذا الشرط ونظراً لكون حكومة روسيا الامبراطورية قد أخذت وأعادت بعد الصلح مباشرة الحصون المشار اليها التي كانت أخذت في أثناء الحرب من جنود الباب العالي فقد اتفق الطرفان بانه من الآن فصاعداً تبقى التخوم الاسيوية بين المملكتين كما هي عليه الآن وأنه قد تحدّد ميماد سنين لاتخاذ الوسائل الناجمة من الطرفين في المحافظة على سكينه وأمن الرعايا التابعة لكل منهما

البند الخامس (ب) بما أن الباب العالي العثماني يرغب في أن يبرهن للحكومة الروسية الامبراطورية على ميله الودّي وتيقظه التام لالتزام كافة شروط معاهدة بخارست فسيشرع في اجراء جميع قيود البند الثامن من المعاهدة المذكورة المختصة بالامه المصرية التي لكونها من قديم الزمان تابعة للباب العالي وتدفع له الخراج تستحق أن تنال في كل حين بواعث رحمة وكرامه فملى هذا ينظم الباب العالي مع مندوبي الامه المصرية الطرق التي

يحكم بانها أكثر موافقة لتأمين تلك الامتيازات التي اشترطت لصالحها فان التمتع بهذه الامتيازات يكون في آن واحد مكافأة عادلة وأعظم باعث لصداقتها التي برهنت عليها هذه الامتيازات نحو المملكة العثمانية وحيث رأى ان ميعاد ثمانية عشر شهراً ضروري للشروع في التحقيقات التي يتضمنها هذا الموضوع بناء على العقد المنفصل المرفق مع هذا المتفق عليه بين مندوبي الطرفين السياسيين فتقرر الطرق السالف ذكرها بالاتفاق مع الوفد الصربي المنتدب الى القسطنطينية ويصدر بها فرمان على محلي بالخط الشريف الهمايوني ويجرى مقتضاه بالدقة في أقصر مدّة ممكنة وغايتها مدّة الثمانية عشر شهراً السالف ذكرها وهذا فرمان يرسل لحكومة روسيا الامبراطورية وحينئذ يعتبر كجزء متمم للاتفاق الحالي

البند السادس * حيث أنه بمقتضى الاشتراطات الخصوصية المذكورة في البند العاشر من معاهدة بخارست جميع قضايا وطلبات رعايا أحد الطرفين التي كانت أخرت بسبب حصول الحرب يجب الشروع فيها وانهاؤها أيضاً وحيث أن الديون التي يمكن أن تكون لرعايا كل طرف على الطرف الآخر وكذا المسائل المختصة بالخراج يجب فصلها والفصل فيها بالمطابقة للعادلة من كل الوجوه وتصفياتها تماماً بالسرعة فقد اتفق على أن جميع قضايا وطلبات الرعايا الروسين بسبب الخسائر التي تكبدوها باسباب غزو قرصانات المغاربة والمصادر التي حصلت في وقت انقطاع العلاقات بين الدولتين في سنة ١٨٠٦ والاجراآت الأخرى التي من هذا القبيل بما فيها ما وقع منذ سنة ١٨٢١ يعمل عنها تصفية ويعطى عنها التعويضات العادلة وللوصول لهذا الغرض ينتدب الطرفان بدون امهال مأمورين بحقوق الخسائر ويعينون مقدار التعويض اللازم عنها ولما انتهت أعمال هؤلاء المأمورين يرسل المجموع الذي يتكون من التعويضات السابق ذكرها اجمالاً لسفارة روسيا بالقسطنطينية في ميعاد ثمانية عشر شهراً من ابتداء تاريخ التصديق على الاتفاق الحالي وبمثل ذلك يكون الحال بالنظر لرعايا الباب العالي

البند السابع * حيث أن القيام بتعويض الخسائر التي حصلت لرعايا وتجار دولة روسيا الامبراطورية بسبب قرصانات ايلات الجزائر وتونس وطرابلس والعمل بشروط المعاهدة التجارية بكل دقة وصحة وبالبند السابع من معاهدة ياش من أهم واجبات الباب العالي بمقتضى العبارات الصريحة المذكورة في البند الثاني عشر من معاهدة بخارست الذي بانضمامه الى البند الثالث يقوى ويؤكد جميع الاتفاقات السابقة فالباب العالي يكرر بكل صراحة وعده باتمام جميع تعهداته من الآن فصاعداً بالصداقة التامة للغاية وينبئ على ذلك ما يأتي

(أولاً) يعتنى الباب العالي اعتناء تاماً بمنع قرصانات المغرب من تعطيل التجارة والملاحة الروسية بأي حجة كانت فاذا حصل منهم شيء فيه مجرد علم الباب العالي بحدوده يتعهد من الآن

بان يقوم باعادة جميع المأخوذات التي استولى عليها اولئك اللصوص بدون أدنى تأخير وأن يعوّض على الرعايا الروسيين ما لحقهم من الخسائر وأن يحرر بهذا الصدد فرماناً صارماً الى بلاد المغاربة بحيث لا تدعو الضرورة الى تكراره مرة ثانية وفي حالة ما اذا لم ينفذ مفعول هذا فرمان في دفع مقدار التعويض من الخزينة الملكية في مسافة الشهرين المنصوص عنهما في البند السابع من معاهدة ياش ابتداء من تاريخ يوم الطلب الذي يقدم بهذا الشأن من وزير روسيا بناء على التحقيق الذي يكون قد أجراه

(ثانياً) يعد الباب العالي بان يلاحظ بغاية الدقة جميع شروط المعاهدة التجارية السابق ذكرها وأن يعفى جميع الموانع المضادة للسببي الصريح لهذه الاشتراطات وأن لا يتسبب في احداث العراقيل في طريق ملاحاة السفن التجارية الحاملة للعلم الروسي في جميع بحار ومياه المملكة العثمانية بدون استثناء مطلقاً وبالاختصار أن يسعى في تمتع تجار روسيا وقباطين مراكزها وجميع رعاياها عموماً بالامتيازات والخصوصيات وكذلك بالحرية التامة في التجارة بما أن هذه الامور نص عنها نصاً صريحاً في المعاهدات الموجودة بين الطرفين

(ثالثاً) حيث أنه بمقتضى البند الاول من المعاهدة التجارية الذي يضمن لجميع الرعايا الروسيين عموماً حرية الملاحة والتجارة في جميع ممالك الباب العالي سواء كان برا أو بحراً وفي كل مكان يريدون الملاحة والتجارة فيه وحيث أنه بالنظر للقيود المذكورة في بندي (٣١ و ٣٢) من المعاهدة المشار اليها التي تضمن حرية المرور من قنال القسطنطينية للسفن التجارية المشحونة بالمؤنات أو ببضائع أخرى أو بمحصولات روسيا أو بمحصولات الممالك الاخرى الغير تابعة للدولة العثمانية وكذلك حرية التصرف في هذه المؤنات والبضائع والمحصولات فالباب العالي يعهد بان لا يقيم عقبات ولا موانع في أن المراكب الروسية المشحونة بالغلالل أو بمؤنات أخرى عند وصولها في قنال القسطنطينية وفي وقت الاقتضاء تتمكن من نقل ما بها الى مراكب أخرى سواء كانت روسية أو تابعة لامم أخرى أجنبية لكي تنقل خارجاً عن ممالك الباب العالي

(رابعاً) يحيز الباب العالي بناء على توسط حكومة روسيا الامبراطورية قياساً على ماسبق دخول البحر الاسود لمراكب الحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية التي لم تحصل لغاية الآن على هذا الامتياز بحيث أن توريد التجارة الى روسيا بواسطة هذه السفن وتصدير محصولات الروسية عليها لا يمكن أن يحصل له أدنى تعطيل

البند الثامن بما أن الغرض من الاتفاق الحالي هو ايضاح وتبكية معاهدة بخارست فيصدق عليه من جلالة امبراطور وبادشاه جميع روسيا ومن جلالة ملك وبادشاه العثمانيين بواسطة اعتمادات صريحة موشاة على حسب العادة بعلاتهما الخصوصية ويعمير تبادل التصديق بين مندوبي الطرفين السياسيين في ميعاد أربعة أسابيع

أو أقل ان أمكن ابتداء من اليوم الذى يتم فيه هذا الاتفاق تحريراً باق كرماني ٢٥

سبتمبر سنة ١٨٢٦

العقد المنفصل المختص بالافلاق والبغدان

بما أن ولاية البغدان والافلاق يختارون من بين أشرف الوطنيين فاختارهم يكون في كل من هاتين الولايتين من الآن فصاعداً بتصديق وإرادة الباب العالي بواسطة جمعيات الديوان العمومية بحسب عادة البلاد القديمة وديوان كل ولاية بصفة أنهم نائبون عن الامة و باتحادهم مع عموم السلطان ينتخبون لوظيفة واحد الاشرف العريقين في الاقدمية والذين يكونون أكثر كفاءة للقيام جيداً باعباء ولايتهم ثم انهم يقدمون الى الباب العالي محضراً بمن وقع عليه الانتخاب فاذا قبل الباب العالي تعيينه فيعين والياً ويستلم براءة توكيله واذا اتفق أنه لأسباب قوية وجد المنتخب غير موافق لرغبة الباب العالي ففي هذه الحالة بعد تحقيق هذه الاسباب بمعرفة الدولة العلية والروسية يسمح للاشراف المذكورين بان يشرعوا في انتخاب شخص آخر موافق ومدة تولية الوالى تحد دائماً كما في الماضي بسبع سنوات كاملة من تاريخ يوم التعيين ولا يمكن رفعهم قبل هذا الميعاد واذا ارتكبوا في مدة حكمهم بعض جنايات فالباب العالي يخبر عنها وزير روسيا وبعد اجراء التحقيق بواسطة الطرفين وظهور ادانة الوالى يسمح برفعه في هذه الحالة فقط

الولاية الذين يتكون مدة تعيينهم الى هي سبع سنوات بدون أن يبدو منهم أى أمر يوجب شكوى مهمة وحقيقية سواء كان بالنسبة للدولتين أو بالنسبة لولايتهم يعينون من جديد لسبع سنوات أخرى اذا طلبت دواوين الولاية تعيينهم من الباب العالي واذا اتضح رضاء عموم الاهالى عنهم

اذا اتفق ان احده الولاة استعفى قبل انتهاء ميعاد السبع سنوات بسبب الهرم او المرض أو لاي سبب آخر فالباب العالي يخبر بذلك حكومة روسيا ويحصل الاستعفاء بموجب اتفاق الدولتين عليه من قبل

عزل أى وال بعد انتهاء مدته أو تنازله يستوجب سقوط عنوانه ويمكنه أن يعود ثانياً الى طبقة الاشراف بشرط أن يبقى ساكناً ومطمئناً ولكن لا يجوز له ان يصير عضواً في الديوان ولا ان يؤدي أى وظيفة عمومية ولا ان ينتخب والياً ثانية أولاد الولاة المعزولين والمستعفين يحفظون صفة الاشراف ويمكنهم ان يشغلوا بمصالح البلاد وان ينتخبوا ولاية في حالة عزل أو استعفاء أو موت احد الولاة ولغاية تعيين خلف له يعين ديوان تلك الولاية قائم مقام يكلف بإدارة تلك الولاية

من حيث ان الخط الشريف المحرر في سنة ١٨٠٤ الى الاموال الاميرية والتعيينات السنوية والمطالب الرسمية التي ادخلت منذ سنة ١٧٨٣ ق لولاية بالاشتراك مع اشراف دواوينهم يعينون ويحددون الاموال الاميرية والضرائب السنوية في ولايتي البغدان

والافلاق مع اعتبار الضرورات التي تدوّنت بموجب الخط الشريفي المحرر في سنة ١٨٠٢ أساساً لذلك ولا يجوز للولاية في أيّ حالة كانت أن يقصروا في الاجراء بغاية الدقة بمقتضى هذا النظام وعليهم أن يصنعوا للمحفوظات وزير جلالة السلطان وقناصل روسيا على أوامرهم سواء كان في هذا الموضوع أو في المحافظة على امتيازات البلاد وخصوصاً في ملاحظة القيود والبنود المدخلة في العقد الحالي

يعين الولاية بالاتحاد مع دواوينهم عدد العساكر في كل ولاية بمقدار ما كان يوجد منهم قبل حوادث سنة ١٨٢٩ ومضى تعين هذا العدد فلا يمكن أن يزداد فيه بوجه ما لم يعترف الطرفان بأهمية الضرورة الملجئة الى ذلك ومن الواضح أن تكوين العساكر وتشكيلهم يستمر بالكيفية التي كانواعليها قبل تلك الحوادث وأن يستمر انتخاب الاغوات (الضباط) وتعيينهم على حسب الطريقة المتبعة قبل الوقت المذكور وأخيراً فإن العساكر وأغواتهم لا يقومون مطلقاً الا بالوظائف التي تحدّدت لهم في حال الاصل ولا يجوز لهم التدخل في أمور البلاد ولا في أي أعمال أخرى

الاغتصابات التي وقعت في اراضي الافلاق من جهة ابراهيم وجرجيو وافيا بعدنهر الاولتا يصير عاداتها المالية كما ويحدّد ميعاد لهذه الاعادة في القرمات المختصة بها التي تصدر لاصحاب الشأن

الاشراف الذين رأوا انفسهم مجبورين على ترك وطنهم بسبب القتل الاخيرة يمكنهم أن يعودوا اليها باختيارهم بدون أن يحصل لهم أدنى تشويش من أي شخص وبشرعون في التمتع الكامل المطلق بحقوقهم واختصاصاتهم وأموالهم وأملاكهم كما في الماضي ويمتنع الباب العالي لولايتي البغدان والافلاق مدّة سنتين يعفيهما في أثناءهما من الاموال الاميرية والتعيينات السنوية المزمّتين بدفعها اليه وذلك بالنظر الى المصائب التي أثقلت كاهلها بسبب القلاقل الاخيرة ومضى انتهت مدّة الاعفاء السالف ذكرها فالجزة والتعيينات المذكورة يصير تسديدها بحسب المعدّل المعين بالخط الشريفي المحرر في سنة ١٨٠٢ ولا يمكن زيادتها في حال من الاحوال

ويمتنع الباب العالي ايضاً لسكان الولاياتين حرية الاتجار بجميع محصولات اراضيهم وصناعاتهم فيتصرفون في ذلك كيف يشاؤون ماعدا القيود المختصة من جهة بالتعيينات الواجبة سنوياً للباب العالي الذي يعتبرهاتين الولاياتين كمخازن له ومن جهة أخرى بمؤونة القطر نفسه اما جميع تعليمات الخط الشريفي المحرر في سنة ١٨٠٢ المختصة بهذه التعيينات وتسديدها بالانتظام وبالاتمان الجارية التي تخصم لهم على حسابها والتي تحديدها في حالة التنازع يختص بدواوين كل ولاية فيجري مقتضاها بكل دقة وتعتبر في المستقبل بضبط تام

وينبه على الاشراف ان ينفذوا اوامر الولاية وان ينقادوا لهم تمام الانقياد واما من جهة

الولاة فانهم لا يمكنهم ان يعاملوا الاشراف بعنف وبالميل مع أهوائهم وأن لا يعاقبهم بدون وجه حق وبدون أن يكونوا ارتكبوا جرائم مثبوتة ولا يترتب عليهم عقاب الا بعد أن يحاكموا بحسب قوانين وعوائد البلاد

بما أن الاقلايات التي وقعت في السنين الاخيرة بولايي البغدان والافلاق كان لها تأثير سيء جداً بالنظام في فروع الادارة المختلفة الداخلية فعلى الولاة أن يشتغلوا بدون ادنى اهمال مع دواوينهم في اتخاذ التدابير اللازمة لتحسين حالة الولايتين المعهود ادارة شؤونهما الى مهارتهم وهذه التدابير يعمل عنها نظام عمومي لكل ولاية يجري مقتضاه بدون تأخير اما الحقوق والامتيازات الاخرى لولايتي البغدان والافلاق وجميع الخطوط الشريفة التي تختص بهما فانه يستمر مراعاتها ما دام الاتفاق الحالي لا يغير منها شيئاً

فلهذا نحن الموقعين على هذا المفوضين السياسيين عن جلالة امبراطور وبادشاه جميع روسيا المؤمنين بالاواسر الجلييلة المملوكة بالاتحاد مع المفوضين السياسيين عن الباب العالي العثماني قد قررنا ونظمتنا الاصول المذكورة اعلاه بخصوص البغدان والافلاق وتلك الاصول هي نتيجة البند الثالث من الاتفاق المقرر لمعاهدة بخارست الذي ابرم مشتملا على ثمانية بنود في المؤتمرات المنعقدة باقى كرمان بيننا وبين المفوضين السياسيين العثمانيين فبناء على ذلك الخ

مقد المنفصل
خاص بالصرب

بما ان قصص الباب العالي الوحيد هو ان يجري مفعول الاشتراطات المذكورة في البند (٨) من معاهدة بخارست بكل صداقة فقد سمح للمندوبين الصربيين في القسطنطينية بان يقدموا له طلبات امتهم بخصوص المواضيع الاكثر موافقة لتشديد دعائم الاطمئنان ورفاهية البلاد فكان هؤلاء المندوبون عرضوا في بادىء الامر في عرضهم ما تمناه الامة بالنسبة لبعض هذه المواضيع مثل حرية الاديان وانتخاب رؤسائها واستقلال ادارتها الداخلية وانضمام الاقسام المنفصلة عنها وتوحيد الاموال الاميرية المتنوعة الى نوع واحد وتسليم ادارة واستغلال العقارات المملوكة لبعض المسلمين الى الصربيين بشرط ان يدفعوا عنها جعلا معينا ضمن الخراج وحرية التجارة والتصرف للتجار الصربيين بالسفر في الممالك العثمانية ببطاقات الجواز الخصوصية بهم وتشديد الاسبتياليات والمدارس والمطابع وأخيراً منع المسلمين الغير داخلين في زمرة العسكرية من التوطن بالصرب لسكن عند فخص الطلبات الميمنة سابقاً وتنظيمها قد حصلت مواعل اوجبت تأجيلها وبما أن الباب العالي لا يزال ثابتاً للآن بعزم راسخ في أن يمنح الامة الصربية القويمة المشتربة في البند (٨) من معاهدة بخارست فسيقرر بالاتحاد مع المندوبين الصربيين بالقسطنطينية الطلبات المذكورة اعلاه الصادرة عن امة صادقة ومنقادة له وكذا جميع الطلبات الاخرى التي ترفع اليه بواسطة الوفد الصربي ما دامت لا تناقض في شيء لصفة التبعية للدولة العثمانية على الباب العالي أن يخبر الدولة الروسية الامبراطورية عن طريقة الاجراء التي يقتضيها

البند (٨) من معاهدة بخارست وأن يرسل لها فرمان المحلى بالخط الشريف الذى به تمنح الفوائد السابق الكلام عليها
فلهذا نحن الموقعين على هذا المفوضين السياسيين عن جلالة امبراطور وبادشاه جميع الروسيا مؤيدين بالاوامر الجليلة الملوكية باتحادنا مع المفوضين السياسيين عن الباب العالى العثمانى قد قررنا ونظمتنا الاصول المذكورة أعلاه التى هى نتيجة البند (٥) من الاتفاق التفسيرى والمقرر لمعاهدة بخارست المبرمة بيننا وبين المفوضين السياسيين العثمانيين فى المؤتمرات المنعقدة بأق كمرمان والمشمول على ثمانية بنود فبناه على ذلك الخ

واقعة ناورين

وفى ٨ رجب سنة ١٢٤٢ الموافق ٥ فبراير سنة ١٨٢٧ عرضت انكلترا رسمياً على الدولة العلية توسط جميع الدول بينها وبين متبوعيهافلم تقبل ذلك بل أجابت سفير الانكليز بتاريخ ١٥ القعدة سنة ١٢٤٢ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٨٢٧ بعد التروى والتأمل فى عاقبة هذا التدخل انها لم تسمح ولن تسمح به مطلقاً فاعتاضت الدول من هذا الجواب الحق وافترقت كل من فرنسا وانكلترا والروسيا بمقتضى وفاق تاريخه ١١ الحجة سنة ١٢٤٢ الموافق ٦ يوليو سنة ١٨٢٧ على الزام الباب العالى بالقوة بمنح بلاد اليونان استقلالها الادارى بشرط أن يدفع اليونانيون جزية معينة يتفق على مقدارها فيما بعد كما يتفق على حدود الفريقين وامهل الباب العالى شهراً لايقاف الحركات العدوانية ضد اليونان والافتضطر الدول لاتخاذ طرق أخرى لنفاذ مرغوبها ولما بلغت صورة هذه المعاهدة الى الباب العالى لم يحفل بها وبعد انقضاء الشهر أصدرت الدول الثلاث أوامرها الى قواد أساطيلها بالتوجه لسواحل اليونان. وطلبت بعد ذلك من ابراهيم باشا السكف فوراً عن القتال فاجابهم انه لا يتلقى أوامر الامن سلطانه أو أبيه ومع ذلك فانه قبل ايقاف الحرب مدة عشرين يوماً تأتية تعليمات جديدة وترى هو وجنوده على أهبة القتال واجتمعت سفن الثلاث دول المتحالفة فى ميناء ناورين لمنع الدوانتين التركية والمصرية من الخروج منها

وفى ٢٨ ربيع أول سنة ١٢٤٣ الموافق ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ تكامل اجتماع سفن الدول المتحدة وكانت الدوانمة الفرنسية تحت قيادة الاميرال (رينى) والروسية تحت امرة الاميرال (هيدن) وكان اللورد كودرنجتون أميرالاً للأساطيل الانكليزية وقائداً عاماً لمراكب الدول بالنسبة لاقدميته فى الوظيفة عن زميله الفرنسي والروسى ولم تلبث السفن متعابدة لبعضها حتى انتشبت نيران الحرب بين الفريقين لسبب واه وسلطت جميع السفن الاوروبية مدافعها على المراكب التركية والمصرية فدمرتها بعد ان استمر القتال عدة ساعات والسبب فى حدوث هذه الموقعة على ما جاء به المؤرخون ان واحدى

الحراقات التركية اقترنت في أثناء المناورات الابتدائية من احدى البوارج الانكليزية فارسيل قبطاتها ضابطا في زورق ليستعلم عن سبب اقترابها فاطلق عليه أحد الجنود التركية رصاصة قتلتها وعند ذلك اقتتل السفينتان وامتد لهيب الحرب الى باقى السفن حتى انتهت بانتصار الدول المتحدة وما كانت تقصد فرنسا بتظاهرها هذا الا اكتساب الاسم والفخر بعد ما ألم بها عقب حروب نابوليون وارجاعها الى حدودها الاصلية سنة ١٨١٥ وتداخلت انكلترا خوفا من استئثار فرنسا بالنفوذ في الشرق ولذا فلم تعد فوائذ هذه الواقعة الاعلى الروسية فقط

ولما وصل خبر هذه الحادثة التي حصلت بدون اعلان حرب كما هي العادة بين الدول المتعدنة الى الباب العالي أرسل بلاغا الى سفراء هذه الدول الثلاثة يقيم فيه الحججة ضد هذا العمل المخالف للقوانين الدولية ويطلب به أن تمتنع الدول كلية عن التدخل في شؤون الممالك المحروسة وأن تدفع له تعويضاً عن الخسائر التي لحقت من تدمير المراكب العثمانية فلم يجابوا السفراء على هذا البلاغ بل قطعوا العلائق مع الباب العالي ونزلوا الى مراكبهم مسرعين في ٨ ديسمبر سنة ١٨٢٧ وفي ١٨ منه نشر السلطان في جميع الولايات منشوراً عاماً (خط شريف) يبين فيه سوء مقاصد الدول عموماً والروسيا خصوصاً نحو الدولة العلية أى الدولة الاسلامية الوحيدة مثبتاً للاهالى على أن الباعث على هذا العدوان الدين لا السياسة وختمه بحض المسلمين على القتال دفاعاً عن الدين والملة والوطن فاغتاضت الروسية لذلك وأعلنت الحرب على الدولة في ١٢ شوال سنة ١٢٤٣ الموافق ٢٦ ابريل سنة ١٨٢٨

هذا ولما رأى ابراهيم باشا تألب الدول على الدولة العلية وان فرنسا أمرت بارسال جيش عظيم لمحاربهه وتقم استقلال اليونان اتفق في ٢١ محرم سنة ١٢٤٤ الموافق ٣ أغسطس سنة ١٨٢٨ بناء على أوامر والده مع الدول المتحدة على اخلاء موره وارجوع الى مصر على ما بقى من السفن المصرية غير تارك فيها سوى ألف ومائتي جندي للمحافظة على مودون وكورون وناورين ريثما تستلمها العساكر العثمانية وفي ٢٦ صفر الموافق ٧ سبتمبر اتالى ابتداء السحاب الجنود المصرية وكانت كلما أخلت محلادخله القرساويون الذين نزلوا ببلاد اليونان في ١٧ صفر الموافق ٢٩ أغسطس تحت قيادة الجنرال (ميزون) وبذلك انتهت مأمورية ابراهيم باشا التي كادت تتم على يديه ومن معه من الجنود المصرية اولا اتفاق الدول على سلب هذه الولاية المهمة من أملاك الدولة سعيّاً وراء اضعافها حتى يتمكنوا من تنفيذ مآربهم وفي ٨ جماد أول سنة ١٢٤٤ الموافق ١٩ نوفمبر سنة ١٨٢٨ عقدت الدول الثلاث مؤتمراً في مدينة لندن لئيرر احوال اليونان ودعت اليه الدولة فأبى عن ارسال مندوب من طرفها حتى لا يعد ذلك اقراراً منها على ما يتفق عليه وما فعلوه من مساعدة اليونان على الاستقلال

خروج العساكر
المصرية من موره

فلم تعبأ الدول بهذا الالباب اجتمع مندوبوها في اليوم المعين واتفقوا على استقلال مورده
وجزائر سبكلاه واجتماعها على هيئة حكومة مستقلة يحكمها أمير مسيحي تنتخبه الدول
ويكون تحت حمايتها وعلى أن تدفع الحكومة اليونانية للباب العالي جزية سنوية قدرها
خمسمائة ألف قرش فلم يقبل الباب العالي هذا القرار الصادر من دول غير مختصة فيما
يقع بينه وبين متبوعيه واشتغل بمحاربة الروسيا التي أعلنت الحرب عليه بعد أن دمرت
دونائمه وقبل أن يتم استعداد الجيش النظامي الجديد الذي أخذ في انشائه وتدريبه بعد
الغاء طائفة الانكشارية كلية ولتقف هنا هنيئة نأى فيها بذكر ما حصل عند الغائبان
الحروب الداخلية وكيفية الوصول الى هذه الغاية الحميدة

الغاء طائفة
الانكشارية

لما تحقق السلطان محمود أفضلية النظمات العسكرية المستعملة في جيوش أوروبا
وسمع بما أنته الجنود المصرية المنتظمة من الاعمال الباهرة في محاربة مورده وعلم أن
انتصارات ابراهيم باشا على اليونانيين لم تكن الا نتيجة النظام العسكرى زادت به باصلاح
العسكرية وأراد اتمام المشروع الذى لم يمكن السلطان سليم الثالث اتمامه فجمع جميع
ذوات وأعيان المملكة وكبار ضباط الانكشارية في بيت الملقى في أوائل سنة ١٨٢٦
مسيحية الموافقة سنة ١٢٤١ هجرية

ولما تكامل الحضور خطب فيهم الصدر الاعظم سليم خمد باشا مظهر أما وصلت اليه
حالة الانكشارية من الضعفة والانحطاط وعدم الانقياد لرؤسائها حتى صارت من أكبر
دواعي تأخر الدولة العلية بازاء تقدم الدول الأوروبية المستعمر بعد ان كانت هذه الفئة
من أكبر عوامل تقدم الدولة وامتداد فتوحاتها ثم أبان لهم ضرورة ادخال النظام العسكرى
في أورط الانكشارية اذ لا يمكنها بحالتها الحالية الوقوف أمام الجيوش الأوروبية المنتظمة
فلما اقتنع الحاضرون باصانة فكره وضرورة اصلاح الجندية وأقر وأعلى هذا المبدأ
الحسن قام كاتب سر (مكتوبى) الصدر الاعظم وتلا عليهم مشروعا محتويا على ستة
أربعين بنداً ذكر بها بكل ايضاح كيفية التنظيمات المراد ادخالها وبعد اقرار الجمعية عليه
حرر بذلك محضراً ختمه جميع الحاضرين حتى ضباط الانكشارية وأقضى الملقى بمجواز العمل
بها شرعاً ومعاينة من يعارض في اتقادها ثم تلا المشروع على جميع ضباط الانكشارية
فأقرّوا عليه لكن لم تكن موافقتهم الا ظاهرية فقط فانه لما ابتدئ في تعليم الضباط
بمعرفة من تعين من ضباط الافرنج بصفة معلمين تلبه الانكشارية الى عواقب الامر
وعلموا أنه لو تم هذا النظام كان سبباً في ضياع كافة امتيازاتهم من جهة وأزمووا بمراعاته
منع ما فيه من سلب حريتهم من جهة أخرى أخذوا يستعدون للثورة والعصيان ليوقفوا تنفيذ
كما فعلوا قبلاً واسمألوا بعض الرعاى الذين اتبعوهم طمعاً في السلب والنهب

ولما كان يوم ٨ القعدة سنة ١٢٤٠ الموافق ١٥ يونيو سنة ١٨٢٦ تعرض بعضهم
للجند وقت التمرين فاصدر السلطان أمره بمعاينة كل متعرض لهم بالقتل ولذا تجمع

المتعصبون في مساء ذلك اليوم وتآمروا على العصيان

وكان السلطان في سراي بشكطاش فحضر على الفور إلى سرايته وجمع العلماء وأخبرهم بما ينويه الانكشارية فاستمعوا لعملهم وشجعوه على المقاومة فاستدعى الأليات الطوبجية التي نظمها نوعاً عقب توليته واستعد لقتال الثائرين وعزم على عدم التساهل معهم خوفاً من تقاوم شرورهم واسترسالهم في التمرد والطغيان

وفي صباح ٩ القعدة الموافق ١٦ يونيو أخرج السلطان العلم النبوي الشريف وسار بجنود الطوبجية يتقدمه العلم إلى ساحة (آت ميداني) حيث كان الثائرون مجتمعين في هرج ومرج لا مزيد عليهما وتبعه كثير من العلماء والطلبة ولم يمس قليل حتى أحاطت الطوبجية بالميدان واحتلت جميع المرتفعات المشرفة عليه وسلطت مدافعها على الانكشارية من كل صوب فخرج جميع الانكشارية ونجمهم وأقاصدين المهجوم على المدافع للاستيلاء عليها فقتلت عليهم من صيب قتلها ما أوقعهم في القشل وأيقنوا معه أن لا طاقة لهم على مقاومتها فكفوا إلى نكسناهم طالبين النجاة لكن أنى لهم ذلك وقد سلطت أفواه المدافع عليها فهدمتها وأشعلت فيها النيران حتى دمرت على من التجأ إليها وبذلك انتهت هذه الفتنة المريعة وفي اليوم التالي صدر فرمان سلطاني بإبطال فئتهم كلية وملايسها واصطلاحاتها واسمها من جميع الممالك المحروسة ونودي بذلك في الشوارع وصدرت الأوامر إلى جميع الولايات بالتفتيش على كل من بقي منهم واعدامه أو تقيمه إلى أطراف البلاد حتى لا تبقى منها بقية ومن ثم أخذ السلطان في ترتيب وتنظيم الجيوش بهمة لم يمسسها ملال وعين لادخال هذه التنظيمات لجنة من أكابر الوزراء وقد الوزير حسين باشا الذي كانت له اليد الطولى في اباداة الانكشارية قائداً عاماً لهم (سر عسكر) وبذل السلطان ومشيره اهتمامهم حتى لم تغض السنة الا وقد تم تنظيم عشرين ألفاً وتمت المعدات لابلأغهم في ختام السنة التالية مائة وعشرين ألفاً

هذا ولترجع الى ذكر الدولة الروسية وبيان ماتم بالنسبة لليونان واستقلالها فنقول بمجرد ما أعلنت روسيا الحرب سارت جيوشها التي كانت منتظرة ومتأهبّة على الحدود واجتازت نهر (بروت) الفاصل بين أملاك الدولتين واحتلت مدينة (ياش) عاصمة البغدان

الحرب مع
الروسيا ومعاهدة
أدرنه

وفي ٢٨ القعدة سنة ١٢٤٣ الموافق ١٣ مايو سنة ١٨٢٨ دخلت (بوخارست) عاصمة الافلاق وقبضت على حاكمي الولاياتين وصارت ادارتهما في أيدي مندوبين من طرفهما وبعد ذلك احتلت الجيوش الروسية البلاد العثمانية إلى نهر الطونة وعدة مدن واقعة على ضفتيه واجتازته بدون كثير ممانعة ثم حاصرت مدينة (وارنه) براً وبحراً لعدم وجود مراكب عثمانية تحميها من جهة البحر بعد واقعة ناورين وأتى القيصر نقولاً بذاته لمراقبة الحصار وبعد قليل سار في جيش عظيم لمحاصرة السر عسكر حسين باشا في مدينة (شومله)

واحتل مدينة (اسكى استانبول) للتمكن من كمال محاصرتها لكن لم يلبث ان رفع عنها الحصار لما شاهده من انتظام الجيوش الجديدة وجمع كل قواه حول مدينة وارنه وقصد تمكن القبودان باشا عزت محمد من ادخال المدد اليها بحراً رغماً عن مراقبة السفن الروسية ودخل هو أيضاً اليها وتولى الدفاع عنها وأتى من جهة البر اسر عسكر حسين باشا لاشغال المحاصرين لها ولذلك كاد القيصر يئس من دخولها لولا خيانة أحد القواد المدعو يوسف باشا فانه ساهبا الى الروس في أول ربيع الثاني سنة ١٢٤٤ الموافق ١٠ اكتوبر سنة ١٧٢٨ والتجأ الى بلادهم فراراً من العقاب وليته بشجرة خيانتة ومن جهة آسيا احتل الروس عدة قلاع وحصون أهمها قلعة قارص الشهيرة ثم توقف القتال بسبب اشتداد البرد وتراكم الثلوج وبالاختصار فقد شهد الروس أنفسهم أن نتائج الحرب كانت أقل مما كانوا ينتظرون وما ذلك الا لالغاء طائفة الانكشارية وترتيب الجيوش الجديدة واطاعتها لاوامر رؤسائها اطاعة عمياء

وما يؤيد ذلك ما كتبه الميسيو (بوتزودى بورجو) (١) سفير الحكومة الروسية بباريس في رسالة مؤرخة في نوفمبر سنة ١٨٢٨ ومخلصها أن الجنود الروسية لاقت من الجيوش العثمانية الجديدة ما لم تعانه قبلاً من الانكشارية ولو تأخرت روسيا في اشهار الحرب على الباب العالي سنة واحدة لما أمكنها أن تحصل على النتائج التي تحصلت عليها في هذه السنة اه

وفي ذلك برهان كاف على اصابة رأى السلطان محمود الغازى واصالة فكره في الغاء طائفة الانكشارية لكن لم تكن الجيوش المنتظمة كافية لاستمرار القتال لقلّة عددها بالنسبة لجيوش الروسية الكثيرة العدد ولذلك لما استؤنف القتال في ربيع سنة ١٨٢٩ كان الفوز غالباً للجيوش الروسية رغماً عما بذله القواد العثمانيون من المهاراة في ضروب القتال وما أظهرته الجنود المنتظمة من الثبات والانتظام

ولنقل باختصار بدون تفصيل جميع الوقائع التي حصلت بين الجيشين في فصلي الربيع والصيف أن الجيوش الروسية اجتازت نهر الطونه ثم اخترقت جبال البلقان بعد أن تغلبت على من عارضها من الجيوش العثمانية وأخيراً وصلت الى مدينة أدرنه واحتلتها عنوة وعند ذلك لم يبق أمامها حائق يوقفها عن التقدم الى مدينة الاستانة المحمية الا عدم رغبة الدول في سقوطها في أيدي الروسية واتفاقها ضمناً على اضعاف الدولة العلية الى حد لم يمكنها معه التقدم والارتقاء مع بقائها عقبية في سبيل روسيا وحاجزاً بينها وبين البحر الأبيض المتوسط

(١) ولهذا السفير في جزيرة كورسيكا سنة ١٧٦٣ قبل ضمها لفرنسا وكان معاد للحكومة الفرنسية فانه مع من يدعي (باولي) علي تسليمها للانكليز في سنة ١٧٩٣ ورحل الى انكلترا بعد استرجاعها ثم دخل في خدمة روسيا في سنة ١٨٠٣ وفي سنة ١٨٠٥ طرده القيصر بناء على طلب نابليون الاول وأعادها في سنة ١٨١٣ وبعد سقوط نابليون دین سفيرا لروسيا بباريس من سنة ١٨١٤ الى سنة ١٨٣٠ ثم في لوندرة وأخيرا اعتزل الاعمال واستوطن في باريس حيث توفي في سنة ١٨٤٢

ولذلك لما رأت ان الروس قد اقتربا منها رصاروا على طريقها وسيصلون اليها لاجل التلوم
بتدخلوا بشدة فحاربت مع الدولتين المتحاربتين فافقت الروسية جيوشها ودارت
الخبايا بينهما بتوسط مملكة بروسيا حتى تم الصلح وأضيفت به معاهدة عدسة أدردن في
١٥ ربيع الاول سنة ١٢٤٥ الموافق ١٤ سبتمبر سنة ١٧٢٩ هذا نصها
(البند ١) كل عداوة ومجافاة بقيت لغاية الآن بين الدولتين تنقطع من تاريخ هذا
اليوم سواء كانت برية أو بحرية ويخلفها الصلح الابدى والمحبة وحسن الموافقة بين جلالته
امبراطور وبادشاه جميع روسيا وبين عظمة امبراطور وبادشاه العثمانيين وكذا بين
الوارثين والمتعاقبين على عرش المملكتين ويبدل الطرفان الساميان المتعاقدان ما في
وسمهما من الانتباه الزائد لمنع جميع ما من شأنه توليد الشقاق بين رعاياهما ويقومان بتنفيذ
جميع شروط معاهدة الصلح الحالية بغاية العناية ويعتنيان أيضاً بأنها لا تنكث بأى كيفية
سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة

(البند ٢) حيث ان جلالته امبراطور وبادشاه جميع روسيا يريد أن يبرهن لعظمة
امبراطور وبادشاه العثمانيين على اخلاص أمياله الودية فيعيد الى الباب العالي اماره
البغدان بمحدودها التي كانت عليها قبل ابتداء الحرب التي انتهت بالمعاهدة الحالية وامارة
الافلاق ومقاطعة قره جهادوه بدون أى استثناء والبغار واقليم دوبروجه من الدانوب
لغاية البحر مع مدائن سيلستريه وحرصو وماجين وايزا كنجه وتولتاو وباطاغ وبازارجق
ووارنه وبرافودى وجميع المدن والضياع والقرى التابعة لها وجميع بلاد البلقان من أمينه
بورنو لغاية قزار والاقليم الممتد من بلاد البلقان الى البحر الاسود مع مدائن سليمان وتشامبولى
ايدا وكرنيات وميسيميز ياواكهيولى وبورجاس وسيزيبولى وقرق قلديس وأدردن ولوله
بورجاس وأخيراً جميع البلاد والضياع والقرى وعموماً جميع الامكنة التي احتلتها جنود
الروسيا من بلاد الروملى

(البند ٣) يستمر نهر بروث لان يكون الحد الفاصل بين الدولتين من النقطة
التي يس فيها تخوم البغدان لغاية التقائه مع الدانوب ومن هذا المكان توجه التخوم بمحاذاة
مجرى الدانوب لغاية مصب مارى جرجس بحيث أن جميع الجزائر المتكونة بفروع هذا
النهر المختلفة تكون ملكاً للروسيا وأما الشاطئ الايمن منه فيبقى تابعاً للباب العثمانى
كلسابق ومع ذلك فقد اتفق على أن الشاطئ الايمن المذكور من السكان الذى فيه انفصل
فرع مارى جرجس عن فرع سولينيه يبقى غير مسكون على بعد ساعتين من هذا النهر
وأن لا يشيد به مبان من أى نوع كان وكذلك فى الجزائر التي تبقى فى ملك دولة
الروسيا ويستثنى من ذلك الكورتينات التي تعمل فيها ولا يسمح مطلقاً بأن يشيد
فيها أى بناء آخر ولا استحكامات ومراكب الدولتين التجارية يكون لها الحق فى الملاحة
بالدانوب فى جميع طوله والمراكب الحاملة للعلم العثمانى يمكنها أن تدخل بدون ممانعة فى

مصبى قبلى وسولينيه أمام مصب مارى جرجس فتمرفيه مراكب الدولتين الحربية والتجارية ولكن المراكب الحربية الروسية لا يمكنها عند صعودها فى الدانوب أن تتجاوز محل التقائه مع البروت.

﴿البند ١٠﴾ بما أن مقاطعات الكرج والامريثيا ومنكريل وجوريل وغيرها من مقاطعات القوزاق منضمة من سنين عديدة وعلى الدوام الى المملكة الروسية وبما أن هذه الدولة قد اكتسبت بالمعاهدة المبرمة مع دولة المعجم ببلدة نورامان جاي فى ١٠ فبراير سنة ١٨٢٨ خلاف ذلك خانات اريقان وناخيتشيفان والدولتان العليتان المتعقدتان قد علمتا ضرورة تحديد ممالكهما فى هذه الجهة بحيث ان هذا التحديد يكون معيناً تعييناً تاماً ضامناً لاجتناب كل اختلاف أو نزاع فى المستقبل وقد شرعنا من جهة أخرى فى اتخاذ الطرق الفعالة لرد هجمات وصد اغارات الامم المجاورة التى كانت تجربها لغاية الوقت الحاضر والتى كانت غالباً السبب الوحيد فى نقض الصلوات الودية وحسن المجاورة بين الدولتين وبناء على ذلك فقد اتفق بين حكومتى الدولة الامبراطورية الروسية وبين الباب العالى العثمانى بأن تكون حدود ولايات المملكتين بأسيما من الآن فصاعداً خطأ يتبع الحدود الحالية لاقليم جوريل من ابتداء البحر الاسود ثم يصعد لغاية حدود مقاطعة اميرثيا ومن هناك يعرج نحو الانحاء الاكثر استقامة لغاية مكان التقاء حدود ولايات اخانريك وقارص مع ولايات الكرج بحيث تكون مدينة اخانريك وقلعتها فى شمال هذا الخط على مسافة ليست باقل من ساعتين أما جميع البلدان الكائنة فى الجنوب والغرب من خط التحديد المذكور القريبة من ولايتى قارص وطرابزون بما فيها الجزء الاعظم من ولاية اخانريك فانها تبقى على الدوام تحت حكم الباب العالى وأما البلاد الكائنة فى الشمال والشرق من الخط المذكور القريبة من الكرج وأميرثيا وجوريل وكذلك جميع شواطئ البحر الاسود من مصب نهر قوبان لغاية ميناء مارى نقولا بما فيها هذه الميناء فانها تبقى الى الابد تحت حكم المملكة الروسية فبناء على ذلك ترد حكومة روسيا الامبراطورية الى الباب العالى باقى ولاية اخانريك وكذا مدينة وولاية قارص وأيضاً مدينة وولاية بايزيد ومدينة وولاية أرضروم وجميع الاماكن المحتلة لها جيوش روسيا والتى توجد خارجا عن الخط المذكور أعلاه.

﴿البند ١١﴾ حيث ان امارتى البغدان والافلاق قد قبلتا أن تكونا تحت سيادة الباب العالى يقتضى القوانين الاساسية للامارتين وبما أن دولة روسيا قد ضمنت نجاحهما فقد صار الاتفاق على أنهما تحفظان جميع الامتيازات والاختصاصات التى ضمنت لهما سواء كانت بمقتضى القوانين الاساسية للبلاد أو بحسب نص المعاهدات المبرمة بين الدولتين أو المؤيدة بالخطوط الشريفة الصادرة فى ازمنة مختلفة وبناء على ذلك تتمتع هاتان الدولتان بالحرية الدينية وبالأمن العمومى ويكون لهما ادارة اهلية مستقلة.

بحرية التجارة وأما القيود اللازم اضافتها الى الاشتراطات المتقدمة لضمان تمتع هذين الاقليمين بحقوقهما فقد اتفق عليها في العقد المنفصل المرفق بهذا المعتبر كجزء من المعاهدة الحالية

البند ٦ ﴿ بما أن الظروف التي حصلت من ابتداء عقد اتفاق آق كرماني لم تسمح للباب العالي بالاهتمام في تنفيذ ما جاء بالعقد المنفصل المختص بالصرب الملاحق بالبند (٥) من الاتفاق المذكور فهو يتعهد بكيفية جلية بان يقوم بتتبعهم بدون أدنى إهمال وبالضبط الا تم وخصوصاً في أن يعيد الستة أقسام المنفصلة عن الصرب اليها حتى تتمتع هذه الامة الصادقة الطائفة بالراحة والرفاهية أما الفرمان الموشى بالخط الشريف الذي يصدر بتنفيذ القيود المذكورة فيرسل الى دولة روسيا الامبراطورية وتعلن به رسمياً في ميعاد شهر من تاريخ التصديق على هذه المعاهدة

البند ٧ ﴿ يتمتع رعايا روسيا في سائر أنحاء المملكة العثمانية برّاً أو بحراً بحرية التجارة التامة التي تسكفلها لهم المعاهدات المبرمة سابقاً بين الدولتين العظيمتين المتعاقبتين ولا يصح مس حرية التجارة بأي وجه كان ولا يمكن أن تعطل في أى حال من الاحوال ولا بأي حجة كانت ولا يضيق نطاقها مطلقاً ولا بسبب أى قرار أو تعديل سواء كان من جهة الادارة أو من جهة القضاء في داخلية البلاد والرايا والسفن والتجار الروسيون يكونون في حمى من كل شدة في المعاملة ويبقى الرايا الروسيون تحت السلطة القضائية والبوليس الخاصين بوزير وقناصل الروسية وأما المراكب الروسية فلا يحصل بها مطلقاً أى تفتيش من جهة الحكومة العثمانية لافي شاسع البحار ولا في داخل أى ميناء أو ماردة مما يدخل تحت حكم الباب العالي وكل أنواع المتجر أو الغلال المملوكة لاحد رعايا روسيا يمكن بيعها بكل حرية بعد تسديد عوائد الجمارك عنها بمقتضى التعريفات وأن تنزل الى البري في مخازن صاحبها أو عميله بل ويصبح نقلها على سفن أخرى أيا كانت جنسيتها بدون أن يحتاج التابع الروسى في هذه الحالة لأن يشعر الحكومة المحلية ولا أن يطلب اذناً بذلك مطلقاً وقد اتفق اتفاقاً صريحاً على ان أنواع القمح الالية من روسيا تتمتع بنفس هذه الامتيازات وان نقلها من أراضي الدولة لاي جهة لا يحصل فيه أقل صعوبة او عمانية مطلقاً ولا بأي حجة وماعدا ذلك فيتعهد الباب العالي بان يتيقظ بكل اعتناء الى عدم حصول أى تعطيل مهما كانت طبيعته للتجارة والملاحة في البحر الاسود على الخصوص وللوصول الى هذا الغرض يعترف ويعلن بان المرور في قنال القسطنطينية وبيوزا الدردنيل يكون بحرية تامة وانهما مفتوحان للسفن الروسية الحاملة للعلم التجارى سواء كانت مشحونة او مصبرة وسواء كانت آتية من البحر الاسود بقصد الدخول في البحر الابيض المتوسط او عابرة من البحر الابيض المتوسط تريد الدخول في البحر الاسود وما دامت هذه السفن تجارية فهما كانت كبيرة ومهما كان قدرها لا تكون معرضة لادنى مانع او لاي تعبد كما تقرر

ذلك أعلاه وتتفق الدولتان على اتخاذ أنجع الطرق للتوقي من أى تأخير في تخلص المراسلات الضرورية فبناء على نفس هذه القاعدة يعلن بأن المور من قنال القسطنطينية وبوغاز الدردنيل يكون حراً وفتوحاً لجميع المراكب التجارية التابعة للممالك الموجودة في حالة الصلح مع الباب العالي سواء كانت متوجهة نحو المين الروسية التي على البحر الاسود أو آتية منه مشحونة أو مصيرة وذلك بمقتضى الشروط عينها التي اشترطت بخصوص السفن الحاملة للعلم الروسى

وأخيراً بما أن الباب العالي يعترف بما لحكومة روسيا الامبراطورية من الحق في أن تتأكد من الضمانة التامة لهذه الحرية التجارية ومن الملاحة في البحر الاسود بتلك الكيفية فهو يعلن على رؤوس الاشهاد بأنه لا يحصل في ذلك مطلقاً من جهة أدنى مائق مهما كان ولا بأى حجة كانت ويتمتع خصوصاً بأنه لا يستبيح لذاته من الآن فصاعداً إيقاف أو إلقاء القبض على السفن المشحونة أو المصيرة سواء كانت روسية أو تابعة للممالك التي لا تكون الدولة العثمانية معها في حالة حرب معان حينما تكون مارة بقنال القسطنطينية وبوغاز الدردنيل لاجل أن تتوجه من البحر الاسود الى البحر الابيض المتوسط أو بالعكس

وإذا حصل لاسمح الله مخالفة لبعض الاشتراطات التي اشتمل عليها البند الحالى بدون أن تنال طلبات وزير الروسيا بهذا الشأن الرضوية التامة في أسرع وقت فالباب العالي يعترف مقدماً لحكومة روسيا الامبراطورية بأن لها الحق في أن تعتبر هذا الخلف كعمل عدائى وأن لها الحق في أن تقابل الدولة العثمانية بمثله

البند ٨ ﴿ بما أن الوفاقات التي اشترطت سابقاً في البند السادس من اتفاق آق كرمان التي موضوعها تنظيم وتصفية طلبات الرعايا والتجار التابعين للطرفين بخصوص تعويضات الخسائر التي نشأت في أزمدة مختلفة من حرب سنة ١٨٠٦ لم تنفذ وبما أن التجارة الروسية من منذ عقد اتفاق آق كرمان المتقدم ذكره قد حصل لها خسائر جسيمة أخرى بسبب الترتيبات التي صدرت بخصوص الملاحة في البوسفور فقد اتفق وتقرر بأن الباب العالي العثمانى يدفع لحكومة روسيا الامبراطورية تعويض هذه الاضرار والخسائر في مدة ثمانية عشر شهراً وفي مواعيد تعين فيما بعد بمبلغ مليون وخمسمائة ألف دوقه هولندية بحيث أن تسديد هذا المبلغ يمنع كل طلب أو ادعاء صادر من احدى الدولتين المتعاقدتين بخصوص الظروف المذكورة أعلاه ضد الاخرى

البند ٩ ﴿ بما أن طول مدة الحرب التي انتهت بنجر بعقد هذه المعاهدة قد تسبب عنه لحكومة روسيا الامبراطورية مصاريف جسيمة فالباب العالي يعترف بضرورة تقديم تعويض موافق لتلك الحكومة ولهذا فانه عدا عن تنازله عن قطعة صغيرة من الاراضى في آسيا المذكورة في البند (٤) والتي قبلت حكومة روسيا باستلامها من اصل

التعويض المذكور فان الباب العالى يتعهد بأن يدفع لها مبلغاً من النقود يقدر فيما بعد باتحاد الطرفين

﴿البند ١٠﴾ بما أن الباب العالى قد أعلن تمسكه التام باشتراطات المعاهدة المبرمة في لوندريه بتاريخ ٦ يولييه سنة ١٨٢٧ بين روسيا وبريطانيا العظمى وفرنسا فهو يقبل أيضاً بالمقد الذى تقرّر في ٢٢ مارث سنة ١٨٢٩ باتحاد جميع هذه الممالك فيما يتعلق بخصوص أساس المعاهدة المذكورة وهذا العقد يشتمل على التنظيمات القنصلية المختصة بتنفيذها نهائياً في حال تبادل التصديق على معاهدة الصلح الحالية وبعد استلام كل طرف لسخته يعين الباب العالى مفوضين سياسيين لكي يتفقوا مع مفوضى حكومة روسيا الامبراطورية وحكومتي انكلترة وفرنسا بقصد اجراء تنفيذ الاشتراطات والتنظيمات التى سبق الكلام عليها

﴿البند ١١﴾ بعد التوقيع على معاهدة الصلح الحالية بين الدولتين مباشرة وتبادل تصديق المليكين عليها يشرع الباب العالى في أخذ الاحتياطات الضرورية لتنفيذ الاشتراطات التى تحتوى عليها بالسرعة وبوجه الدقة وخصوصاً بنهضى (١٣ و ٤) الخاصين بالحدود المعنية لفصل المملكتين عن بعضهما سواء كان في أوروبا أو في آسيا وكذا بنهضى (٥ و ٦) المختصين بامارات البغدان والافلاق والصرى ومضى جاء الوقت الذى فيه يمكن اعتبار هذه البنود المختلفة كأنها تنفذت في حكومة الدولة الروسية الامبراطورية تشرع في الجلاء عن أراضي الدولة العثمانية بناء على القواعد المقررة بعقد منفصل يكون جزءاً متمماً من معاهدة الصلح الحالية أما إدارة ونظام الامور التى تكون قد تقرّرت في هذه الامارات في الحال تحت رعاية الدولة الروسية الامبراطورية فانها تبقى ثابتة لغاية انحلالها انجلاء تاماً من الاقاليم المحتلة والباب العالى العثمانى لا يمكنه أن يتدخل فيها بأى كيفية كانت ﴿البند ١٢﴾ بعد التوقيع على معاهدة الصلح الحالية تعطى الاوامر في الحال الى قواد جيوش الطرفين البرية والبحرية بمنع الحرب أما الوقائع التى تحصل بعد التوقيع على المعاهدة الحالية فتعتبر كأنها لم تحصل ولا تستدعى أدنى تغيير في الشروط التى تشتمل عليها وبمثل ذلك جميع الاماكن التى تأخذها جيوش احدى الدولتين العظيمتين المتعاقدتين في هذه المدة فانها تعاد بدون أدنى امهال

﴿البند ١٣﴾ بما ان الطرفين العظيمين المتعاقدتين قد أعادا فيما بينهما روابط المودة الخالصة فانها بمنحان عفواً عمومياً لجميع رعاياهما مهما كانت ظروف أحوالهم وجنسياتهم وكانوا قد اشتركوا في أثناء الحرب التى انتهت بحمد الله في هذه الايام في الاعمال العسكرية أو تظاهروا سواء بسلوكهم أو بأرائهم بالليل نحو أحد الطرفين المتعاقدتين

وبناء على هذا فأى شخص من أولئك لا يحصل له تكدير ولا يحاكم بالنسبة لشخصه ولا في

أمواله بسبب سلوكه السالف ولكل منهم أن يسترد الاملاك التي كان يمتلكها سابقاً وأن يتمتع بها مطمئناً تحت حماية القوانين والافله الخيار بأن يخلص منها في مدة ثمانية عشر شهراً لكي ينتقل بعائلته وأمواله المنقولة الى أى قطر شاء بدون أن يقاسى ظلماً أو موانع باى وجه كان

وما عدا ذلك فإنه يسمح لرعايا الطرفين القاطنين في البلاد المعادة الى الباب العالى والمتنازل عنها لدولة روسيا المملوكية مدة ثمانية عشر شهراً أيضاً ابتداء من تاريخ تبادل التصديق على معاهدة الصلح هذه لكي يتصرفوا في مملوكانهم المكتسبة سواء كان قبل الحرب أو في مدة وقوعه متى رأوا أن ذلك موافق لهم وليخرجوا بنقودهم ومنقولاتهم من ممالك إحدى الدولتين المتعاقدين الى ممالك الاخرى وبالعكس

﴿ البند ١٤ ﴾ جميع أسرى الحرب مهما كانت جنسيتهم وظروف أحوالهم رجالاً كانوا أو نساء الذين يوجدون عند الدولتين بحسب اخلاء سبيلهم بدون أقل فدية أو دفع شيء عنهم وذلك بعد تبادل التصديق على معاهدة الصلح الحالية مباشرة ويستثنى من ذلك النصارى الذين يعتنقون الديانة المحمدية برضاهم واختيارهم في ممالك الباب العالى وكذلك المسلمون الذين يعتنقون برضاهم واختيارهم الديانة النصرانية في ممالك الدولة الروسية

وهكذا يكون الاجراء أيضاً في شأن الرعايا الروسين الذين يقعون باى كيفية كانت في الاسر بعد التوقيع على هذه المعاهدة ويوجدون في ممالك الباب العالى وكذا دولة روسيا الامبراطورية تتعهد من جهتها أيضاً بأن تعمل بموجب الطريقة عينها بالنظر لرعايا الباب العالى

ولا يقتضى مطلقاً دفع المبالغ التي تكون أنفقها إحدى الدولتين العظيمتين المتعاقدين على الاسارى بل كل منهما يزودهم بجميع ما يكون ضرورياً لهم لسفرهم لزيارة الحدود وهناك يحصل التبادل فيهم بواسطة ما مورين معينين من كلا الطرفين

﴿ البند ١٥ ﴾ جميع المعاهدات والاتفاقات والاشتراطات المقررة التي أبرمت في أعصار مختلفة بين حكومة روسيا الامبراطورية والباب العالى العثمانى ما عدا البنود التي تخالف المعاهدة الصاحية الحالية فانها تبقى معمولة بها بكل قوة معانيها ومبانيها ويتعهد الطرفان الفخيمان المتعاقدان بأن يعتنيا بملاحظتها الملاحظة التامة وعدم مخالفتها مطلقاً

﴿ البند ١٦ ﴾ المعاهدة الحالية هذه يصدق عليها الخ
﴿ ملحق مختص بولايتى الافلاق والبغدان تاريخه ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩ ﴾
زيادة على اتفاق الحكومتين العظيمتين المتعاقدين على جميع ما اشترط بالعقد المنفصل عن الاتفاق المبرم في آق كرمان المختص بكيفية انتخاب ولاية البغدان والافلاق فقد

اعترفنا بضرورة اعطاء ادارة هاتين الامارتين أساساً أعظم ثباتاً وأكثر موافقة للصالح الحقيقي في هاتين الولايتين وللوصول لهذا الغرض قد اتفق وتقرر نهائياً بأن مدة حكم الولاة لا تكون أبداً مقصورة على سبع سنوات كما كان حاصلها في الماضي بل انهم يتقلدون من الآن فصاعداً هذا المنصب مدة حياتهم ماعداً أحوال الاستعفاء أو العزل بسبب الارتكابات المنصوص عنها . لعقد المنفصل المذكور

ينظم الولاة الاحوال الداخلية . منهم بكمال الحرية بالاستشارة مع دواوينهم بدون أن يتمكنوا من مس الحقوق المضمونة لتطرين بالخطوط الشريفة بادنى شيء وبدون أن يكونوا مشغولين في ادارتهم الداخلية بأى أمر يخالف هذه الحقوق ثم ان الباب العالى يعد ويتعهد بأنه يتيقظ تيقظاً تاماً الى عدم مس الامتيازات الممنوحة الى البغدان والافلاق بأى كيفية كانت بواسطة قواده المجاورين لحدودهما وأن لا يتحمل أى تدخل منهم في أحوال الامارتين وأن يمنع كل توغل من سكان الشاطئ الايمن من نهر الطونة في التخوم البغدانية أو الافلاقية ويهتبر كجزء مكمل لهذه التخوم جميع الجزائر المجاورة للشاطئ والايسر من الدانوب ويجرى هذا النهر يعتبر حداً للامارتين من ابتداء مدخله في الممالك العثمانية لغاية التقائه مع نهر البروت

ولاجل التثبت جيداً من عدم استباحة تخوم البغدان والافلاق فان الباب العالى يتعهد بان لا يبقى بها أى مكان محصن وأن لا يسمح بتشيد أى بناء لربايه المسلمين على الشاطئ الايسر للدانوب وبناء على ذلك فقد تقرر تقريراً لاتغير معه . بأنه فى امتداد جميع هذا الشاطئ وفى الافلاق الكبيرة أو الصغيرة وكذا فى البغدان لا يمكن لاي مسلم أن يخذ مسكناً ثابتاً فى بقعة منها وإنما يقبل فيها التجار الحاملون لقرمانات فقط ليشترؤا على حسابهم الخاص من تينك الولايتين المحصولات الضرورية لمقطوعة القسطنطينية أو أشياء أخرى

أما البلاد التركية الواقعة على الشاطئ الايسر للدانوب فانها تسلم الى الافلاق لتنضم من الآن فصاعداً الى هذه الولاية وكذا الحصون الموجودة من سابق على هذا الشاطئ لا يمكن اعادتها ثانياً ويجبر الذين يمتلكون عقارات غير معتصبة من الغير سواء كانت فى هذه المدن أو فى أى نقطة غيرها على الشاطئ الايسر المذكور على بيعها للوطنيين فى مدة ثمانية عشر شهراً وحيث ان حكومة الامارتين متمتعة بجميع امتيازات الادارة الداخلية المستقلة فيمكنها بكل حرية أن تقيم كردونات صحية وقورنينات بمحازاة طول الدانوب وفى أمكنة أخرى على حسب البلاد التى تحتاج لذلك بدون أن يتمكن أحد من الاجانب الاثنين اليها سواء كان مسلماً أو نصرانياً من أن يخلى عن ملاحظة القواعد الصحية بكل دقة وأمان من جهة مصلحة القورنينات وكذا من جهة التيقظ للائمن بالحدود واستتباب النظام فى الماسدن والارياف وتنفيذ القوانين والقرارات فانه يمكن للحكومة كل ولاية أن

تستخدم عدداً من الحرس المسلمين الذين تدعو اليهم الضرورة ليقوموا باعباء هذه الوظائف وعدد هؤلاء الحراس والاعتناء بشأنهم يقرر بمعرفة الولاة بالاتفاق مع دواوينهم بمقتضى القواعد القديمة

حيث ان الباب العالي مشغوف برغبته المخلصة بان يدخل في الامارتين جميع أنواع الراحة الممكنة لهما ولوقوفه على أنواع الظلم والتعديلات التي تحصل فيهما بسبب المؤن المطلوبة للاسطنطينية وللقلاع القائمة على ضفاف الدانوب واحتياجات الترسانة فهو قد تنازل بالسكينة عن حقه في هذا الخصوص وبناء عليه فالافلاق والبغدان قد عوفيتا أبدىا من تقديم الحبوب والمحصولات الاخرى والاغنام وأخشاب البناء التي كانتا ملزمة بتوريدها سابقاً وبهذه المثابة لا يطالب سكان هاتين الولايتين في أى حال من الاحوال بعمل الاشتغال بتشديد الحصون ولا لاي سخرة مهما كان نوعها ولكن لكي تعوض الخزينة الملكية عن الخسائر التي يمكن أن تسببها من ترك كل حقوقها المذكورة فقد تقرر أن يدفع كل من البغدان والافلاق سنوياً للباب العالي نظير ذلك مبلغاً من النقود يمين مقداره فيما بعد باتفاق الطرفين هذا بخلاف الجزية السنوية التي سبب على الامارتين دفعها الى الباب العالي باسم خراج وغيره بمقتضى عبارة الخطوط ١٨٠٢ يفة المحررة في سنة ١٨٠٢ وكذلك فانه عند تجديد الولاة بسبب الموت والاستعفاء والعزل القانوني للمقلد فالولاية التي يحصل فيها ذلك تجبر بان تدفع للباب العالي مبلغاً مكافئاً لخراج السنوي للولاية المقرر بالخطوط الشريفة وما عدا هذه المبالغ فلا يطلب من البلاد ولا من الولاة أى خراج آخر ولا تعين ولا هدية بوجه من الوجوه

بما أن التوريدات المنوّه عنها أعلاه قد ألغيت فسكان الامارتين يتمتعون بحرية التجارة تماماً تاماً بمحصولات أرضهم وبصناعاتهم (المشترط ذلك بالعقد المفضل من اتفاق آق كومان) بدون أدنى تضيق ما خلا التحوطات التي تخضعها الولاة بالاتحاد مع دواوينهم ويرون أنه من الضروري تقريرها لعدم وقوع القحط في البلاد وبمكنتهم أن يسافروا بحرية على الدانوب عبرا كهم المحصوينة مصحوبين ببطاقة الجواز المحررة من حكومتهم ويتوجهوا للتجار في المدن والمين الاخرى التابعة للباب العالي بدون أن يحصل لهم تعب أو اصب من جباة الخراج ولا أن يكونوا معرضين لاي أمر آخر ظلمي

وزيادة على ذلك فان الباب العالي عنسد ما تامل جميع المصائب التي نجمت لها البغدان والافلاق ونحرت فيه عواطف الانسانية بكيفية خصوصية قد قبل باعفاء سكان هاتين الامارتين من دفع الخراج السنوي وتوريده للخزينة مدّة سنتين ابتداء من اليوم الذي تحلى فيه الجيوش الروسية تماماً عن الامارتين

وأخيراً فان الباب العالي لما له من الرغبة في تمكين الرفاهية في المستقبل بالامارتين بجميع الكيفيات فهو يتعهد تعهداً صريحاً بان يوافق على اللوائح الادارية التي تقررت بناء على

رغبات مجالس أعيان السكان وذلك في مدّة احتلال جيوش الدولة الامبراطورية
للأمارتين وبأنه يعتبر اتخاذ تلك القرارات في المستقبل أساساً لسن الاحكام الداخلية
في الولايتين مادامت هذه القرارات لا تشتمل على أدنى مخالفة لحقوق سيادة الباب العالي
كما هو مفهوم

فلهذا نحن الموقعين على هذا المفوضين السياسيين عن جلالة امبراطور وبادشاه جميع
الروسيا بالاتفاق مع المفوضين السياسيين عن الباب العالي العثماني قد قررنا بخصوص
البعدان والافلاق الشروط المذكورة أعلاه التي هي نتيجة (البند ٥) من معاهدة الصلح
المبرمة في أدرنه بيننا وبين المفوضين السياسيين العثمانيين وبناء على هذا فالتعهد الحالى
المنفصل قد تحرر الخ اه

فيظهر للمطالع ان أهم ما جاء بهذه المعاهدة ان نهر البروت يبقى حداً بين المملكتين
كما كان قبلاً وأن تنازل الدولة العلية للروسيا عن مصبات نهر الطونه وما حولها من
الاراضى وعن وادى الخور والقلمة التي به في حدود الاناطول لتسكون مالهاً للتواصل بين
بلاد الدولة وقبائل الجركس المستقلة لتتمكن الروسية من الاستيلاء على بلادهم في المستقبل
وأن يكون للروسيا حق الملاحة من البحر الاسود الى البحر الابيض أى حق المرور من
بوغازى البوسفور والدرديل بدون أن يفرض عمال الدولة مرابهم وأن تعطى الدولة الى
تجار الروس الذين أصابهم ضرر بسبب الحروب تعويضاً مالياً قدره ستة عشر مليوناً فرنكاً
تقريباً وأن يكون تعيين أمراء ولايى الافلاق والبعدان لمدة حياتهم وعدم عزلهم الا
لاسباب قوية وباتحاد الروسية والدولة مع حفظ جميع الحقوق والامتيازات المعطاة لهما
الولايتين بمقتضى العهود السابقة وأن تمنح ولاية الصرب الامتيازات المبنية في معاهدة
(آق كمران) أما بخصوص اليونان فقبل السلطان التضديق على كل ما جاء في الاتفاق
الذى أمضى بين الدول في لوندرة سنة ١٧٢٧ وأن يعين بعد اتمام الصلح مندوباً مخصصاً
من طرفه للاتفاق مع مندوبى فرنسا والروسيا وانكثرتا على حدود هذه المملكة اليونانية
الجديدة التي أوجدتها رغبة الدول في أضغاف الدولة الاسلامية الوحيدة وتخليص جميع
المسيحيين الموجودين ببلادها من سلطتها وتحريرهم على طلب الاستقلال مكافأة لها
على عدم تعرضها لدينهم وعوائدهم وبجائزة لها على هذه الغلطة السياسية ولا أقول غير ذلك
لان عملها هذا منطبق كل الانطباق على قواعد العدل وأصول الانسانية الآن السياسة
في عرف الدول الاوروبية لا تعترف بهذه المبادئ الجلييلة بل تنظر الى الغاية المقصودة بقطع
النظر عن طرق الوصول اليها وقد قالوا في أمثالهم الجارية حتى على أسنة الاطفال ان الغاية
تبرر الوسيلة أيا كانت هذه الوسيلة ولو ألحقت الخراب والدمار لاي بعض الافراد بل بامة
باجمعها أو باكثر من أمة واحدة

هذا ثم أضيف الى هذه المعاهدة ذيل ذكر فيه ان مبلغ التعويض الذى اتفق على دفعه

للتجار الروسين يدفع على أربع سنوات وأن تدفع الدولة مبلغ خمس مليون جنيه إنكليزي
تعويضاً حريياً للروسيا على عشرة أقساط سنوية متساوية وأن تبقى الجيوش الروسية في
الممالك العثمانية ثم تنسحب منها تدريجياً فتنتجلى عن مدينة أدرنه بعد دفع القسط الأول
وترجع إلى ما وراء جبال البلقان بعد دفع الثاني وإلى ما وراء نهر الطونة بعد دفع الثالث وتخلي
إمارة البلغار ولا تتجلى تماماً عن ولايتي الأفلاق والبغدان إلا بعد دفع آخر قسط أى بعد
عشر سنوات وأن يرحل جميع السكان المسلمين القاطنين بهاتين الولايتين ويبيعوا ما لهم
بها من العقار والمنقول في مسافة ثمانية عشر شهراً

وأخيراً في ٧ الحجة سنة ١٢٤٥ الموافق ٣٠ مايو سنة ١٨٣٠ أعلن الباب العالي
بتصديقه على الشروط المدونة في الاتفاق الذي أمضى بين الدول في لوندرة في نوفمبر
سنة ١٨٢٨ القاضي باستقلال اليونان

يتضح للمطالع من ذلك أن روسيا وإن لم تأخذ شيئاً يذكر من أملاك الدولة بمقتضى
هذه المعاهدة إلا أن ما وضعته فيها من الشروط كانت تقصد بها إضعاف الدولة بكيفية
لا يمكنها معها إتمام النظمات العسكرية ولا تجديد عمارتها البحرية التي دمرت في واقعة
ناورين كما سبق وأنى لها ذلك وهي ملزمة بدفع هذه الغرامة الحربية الفادحة بالنسبة
لما لديها والجيوش الأجنبية محتلة جزأً عظيماً من بلادها وفصلت عنها اليونان تماماً والأفلاق
والبغدان والصرب تقريباً وما بقي لها أنقلت كاهله الضرائب اللازمة للحرب الداخلية
والخارجية

هذا ثم سار السلطان في خطة الإصلاحات الداخلية مهمة لا يعترى بها ملال وعزيمة
لا يعبدها كلال فأبطل طوائف السلاحدارية والعلوفه جية وباقي الطوائف الغير منتظمة
وصار الجيش كله مؤلفاً من جنود منتظمة مسلحة باتقن الأسلحة وألغيت جميع الامتيازات
السابقة ولم تؤثر على السلطان أى معارضة بل كان يجازى كل من آس منه أقل انتقاد
على الإصلاحات الجديدة بأشد العقاب وصارم العذاب حتى أنه لما رأى أن جماعة البكطاشية
محازبة للانكشارية واستعصمت نفوذها في تهيج الأهالي أمر بالقائها وإبطال جميع
تكاليها فالغيت وشتتت أعضائها في أطراف الدولة حتى لا يخشى من تجمعهم بالاستتار
وقتل ثلاثة من رؤسائها النافذى الكلمة بناء على فتوى شرعية ومن جهة أخرى أخذ
في تغيير العوائد القديمة واتباع المستحسن من عوائد أوروبا فاستبدل العمامة بالطربوش
الرومى وتزيا بالزى الأوروبي وأمر بأن يكون هو الزى الرسمى في العسكرية والممكية
وأسس وساماً دعاه وسام الأفخار وأخيراً تجول بذاته في ممالكه بأوروبا ليستطلع أحوالها
ويقف على خفايا الأمور وشكاوى الأهالي وبالاختصار فانه سار سير من يريد بحجارة
أوروبا في نظامها وعدم الوقوف حال تقدم الدول الأخرى بسرعة لعلمه أن الوقوف في
مثل هذه الظروف هو عين التأخر ولو لم يكن له من الأيدى البيضاء على الممالك المحروسة

الانغام طائفة الانكشارية لكفى ذلك لتخليد اسمه في بطون التاريخ مشكوراً ومدوحاً الى ابد الابدين وزيادة على ذلك أحيا ما أقامه السلطان مصطفى الثالث من مدارس الطوبخية بعد ان صارت دوارس والمشاء مدرسة حربية لتخريج الضباط على مثال مدرسة سانسير الفرنسية (١) التي أسسها نابليون الاول بفرنسا لثرية أولاد الضباط والاشراف على المنظمات العسكرية الحديثة

احتلال فرنسا
لجزائر الغرب

وفي أواسط سنة ١٨٣٠ نفذت فرنسا ما كانت تنويه من مدة ضد ولاية الجزائر بدعوى منع تعدى قرصانات البحر المسلمين على مراكزها التجارية والحقيقة ليكون لها مركز حربي بشمال أفريقيا حتى لا تكون انكشارية صاحبة السيادة بمفردها على البحر الأبيض المتوسط باحتلالها ماعقل جبل طارق وجزيرة مالطة وانخذت لذلك سبيلاً وقوع الخلاف بينها وبين عامل الدولة العلية عليها المدعو حسين باي بسبب بعض ديون كانت مطلوبة لبعض تجار الجزائريين على الحكومة الفرنسية وحجزها جزءاً منها بدعوى أن هؤلاء التجار مديونون لتجار فرنسا وبين وخروج الميسو دو فال قنصل فرسان عن حد الادب مع الامير حسين باي في حفلة عمومية بحضرة جمهور من الامراء والوزراء حتى اضطر حسين باي جفلاً لناموسه وكرامته بين قومه أن يضرب القنصل بمنشة كانت بيده فبمجرد ما وصل خبر هذه المسئلة الى آذان ولاية الامور بهار يس عدوها أهانة لشرفهم وأرادوا اتخاذها وسيلة للتنفيذ ما كانوا مضميرين عليه من مدة وقرروا في مجلس الوزراء المنعقد تحت رئاسة الملك نفسه في ١٣ شعبان سنة ١٢٤٥ الموافق ٧ فبراير سنة ١٨٣٠ وجوب الاستيلاء على هذا الاقليم ثم أرسل اليها جيشاً مؤلفاً من نحو ثمانية وعشرين ألف مقاتل وعمارة بحرية مؤلفة من مائة سفينة وثلاثة سفن تحمل سبعة وعشرين ألف جندي بحري ولما علمت انكشارية بذلك خشيت على نفوذها من مشاركة فرنسا واحتجبت ضد هذا المشروع ولما لم يفسد احتجاجها شيئاً أو عزت الى الباب العالي أن يأمر عامله على الجزائر بالتساهل مع فرنسا وتقديم ما تطلبه من الترضية والتعويضات فأرسل الباب العالي مندوباً من طرفه لتبليغ هذه التعليمات الى عامل الجزائر لاسكن لم يصل هذا المندوب الى محل مأموريته بل قبضت السفن الفرنسية على المركب الحاملة له وأوصلتها الى ميناء طولون تحت الحفظ ولم تسمح لها بالخروج الا بعد اتمام مقصدهم وفي ٢٠ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ الموافق ١٣ يونيو سنة ١٨٣٠ نزلت عساكر فرنسا بالقرب من مدينة الجزائر وانتشبت القتال بين الفريقين في ١٩ يونيو وبعد محاربة شديدة فاز الفرنسيون بالغبلة وفي ١٤ محرم سنة ١٢٤٦ الموافق ٤ يوليو احتلوا القلعة المسماة (سلاطينيه قلعه سي) الواقعة أمام مدينة الجزائر

(١) هي قرية صغيرة بالقرب من قصر فرساي بضواحي باريس أسس بها لويز الرابع عشر في سنة ١٦٨٠ مدرسة مجانية للتربية ٢٥٠ بنتاً من بنات الاشراف الفقراء ولما حصلت الثورة الفرنسية أبطلت هذه المدرسة وفي سنة ١٨٠٨ أنشأ بها نابليون الاول المدرسة الحربية الشهيرة التي لم تنزل قائمة حتى الان

٢٣٣

محمد علي باشا
وحرب الشام
الاولي

وفي تلوه دخلت الجيوش مدينة الجزائر نفسها بعد خروج حسين باي منها وأعلنت فرنسا
امتلاكها لها وبعد ذلك أخذت ترسل الجيوش تباعاً إلى الجزائر لفتحها وما زال الاهالي
يقاومونها تحت امرة الوطني الشهير السيد عبد القادر الجزائري الذي دافع عن بلاده مدة
سبع عشرة سنة وسلم نفسه في ٢٤ رجب سنة ١٢٦٣ الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٨٤٧
ولم نزل الاهالي غير راضية عن الاحتلال الفرنسي حتى الآن ولم تدع فرصة للتخلص
منه الا اتخذتها لکن لم تقو حتى اليوم على التخلص من ربة الاجنبي

لم يكن اهتمام والي مصر ومؤسس العائلة السعيدة الخديوية بشؤون بلاده وادخال
النظامات الجديدة فيها بأقل من اهتمام السلطان محمود في اصلاح داخلية مملكته التي مصر
لانزال ولن نزال ان شاء الله جزءاً منها فانشأ عدّة ترع عظيمة لاصلاح الري أهمها
ترعة المحمودية الخارجة من النيل وواصلت الى اسكندرية لتسهيل الملاحة وشرب أهل
الشعر وأقام جسوراً على النيل لحفظ البلاد من الغرق ونظم وأقام المدارس والورش
الصناعية حتى صار لا يأتي بلوازم جيوشه من الخارج بل يصنع جميعه بالورش المصرية من
المرکوب والطربوش الى البندقية والمدفع وأنشأ عدّة سفن حربية بدل التي دمرها التمدن
الاوروبي في ناورين لکن لم تكن ماليته تكفي لمصاريف هذه الاعمال فاستعان على
انعامها بالضرائب الفادحة واستعمال الانفاق تسخيراً بلا عوض (العونة) ولجمل الاهالي بان
قوائد أنعامهم يستعود عابهم أجلاً باضعاف أضعاف ما يدفعونه عاجلاً تمكن بعض أرباب
الغابات من استئثارهم للمهاجرة الى بلاد الشام فهاجر منهم خلق كثير والتجأ والي عبدالله
باشا والي عكا المشهور بالجزار

ولما طلب منه محمد علي باشا رجا عهم خوفاً من كثرة عدد من يتبعهم الى الشام امتنع من
ذلك بدعوى ان الاقليمين تابعان لسلطان واحد وسواء أقام بعض سكان أحدهما في
الاخر أو بالعكس مادام أحد الاقليمين لم يكن حائزاً على امتيازات مخصوصة كحالة مصر الآن
ولذلك أمر محمد علي باشا في سنة ١٢٤٧ الموافقة سنة ١٨٣١ بأعداد الجيوش والتأهب
للسفر الى بلاد الشام عن طريق العريش وعن طريق البحر في آن واحد لمحاصرة عكا من
الجهتين قبل أن ياتيها المدد وعين ولده ابراهيم باشا قائداً عاماً للجيوش المزمع سفرها وسلمان
بيك الفرنسي قاصداً له فسار هذا السبل بحراً في ٢٦ جماد أول سنة ١٢٤٧ الموافق
٣ نوفمبر سنة ١٨٣١ الى مدينة حيفا تحف يد الدونامة المصرية في أكمل نظام وأتم هندام
وكانت الجيوش البرية قد سبقته من طريق العريش وفتحت في مسيرها مدائن غزة وباقا
وبيت المقدس ونا بلس وجعل ابراهيم باشا مدينة حيفا مقراً لاعماله ومركزاً لاركان
حربه ومستودعاً للمؤن والذخائر ثم ارتحل عنها لمحاصرة مدينة عكا فحاصرها براً وبحراً في
٢٠ جماد آخر سنة ١٢٤٧ الموافق ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٣١ حتى لا ياتيها المدد بحراً فلا يقوى
على فتحها كما حصل لبونا برت من قبل حين حاصرها سنة ١٧٩٩

فلما علم الباب العالي بدخول الجيوش المصرية الى بلاد الشام وحصارها لمدينة عكا اعتبر ذلك عصياناً من محمد علي باشا وأوعز الى والى حلب المدعو عثمان باشا بالسير لمحاربة المصريين والبحرى ابراهيم باشا وردّه الى حدود مصر فجمع هذا الوالى نحو عشرين ألف جندى وقصد مدينة عكا لكن لم يمهله ابراهيم باشا ريثما يأتي اليها بل ترك حول عكا عدد أقليلاً من الجنود لاستمرار الحصار وسار هو بمعظم الجيش للملاقاة الجيش العثمانى فالتقى الجمعان بالقرب من مدينة حمص وانتصر المصريون على العثمانيين بسبب استعدادهم وكمال نظامهم ثم عاد ابراهيم باشا الى مدينة عكا وشدّد عليها الحصار ودخلها عنوة في ٢٧ الحجة سنة ١٢٤٧ الموافق ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ وأخذ عبد الله باشا الجزار سبب هذه الحرب أسيراً وأرسله الى مصر

وبمجرد وصول خبر سقوط مدينة عكا في أيدي المصريين أمر السلطان محمود بجمع كل ما يمكن جمعه من الجيوش المنتظمة فجمع في أقرب وقت نحو ستين ألف مقاتل وعين حسين باشا الذي امتاز في مكافحة الانكشارية قائد أها فاسار الى بلاد الشام بكل تان و بطء حتى أمكن ابراهيم باشا الاستعداد للملاقاة فتغلب أولاً على مقدمته وانتصر عليها في ١٠ صفر سنة ١٢٤٩ الموافق ٩ يوليو سنة ١٨٣٢ واقتفى أثرها حتى دخل مدينة حلب الشهباء في ١٨ صفر الموافق ١٧ يوليو المذكور

ولما علم حسين باشا بانهمز ام المقدمة تقهر بمن معه من الجيوش وتحصن في أهم مضائق جبال طوروس الفاصلة بين الشام والاناطول ويسمى هذا المضيق بمضيق بيلان وهو مشهور في التاريخ لمرور الاسكندر المقدوني منه حين أتى لفتح بلاد الشام ومصر ومرور الافرنج حين أتوا من طريق القسطنطينية لفتح بيت المقدس واستخلاصه من أيدي المسلمين أثناء الحروب الصليبية فلحقه ابراهيم باشا وفاز عليه فوزاً عظيماً وفرق شمل جيوشه في غرة ربيع أول سنة ١٢٤٨ الموافق ٢٩ يوليو من السنة المذكورة وتبع من بقي منهم الى ان نزلوا بمراكبهم في ميناء اسكندرونه فجمع السلطان جيشاً آخر وقلدرأسته الى رشيد باشا الذي امتاز مع ابراهيم باشا في حرب موره خصوصاً في محاصرة وفتح مدينة (ميسولونجى) وأرسله الى بلاد الاناطول لصد هجمات ابراهيم باشا عن القسطنطينية نفسها اذ كان ابراهيم باشا قد اجتاز جبال طوروس واحتل اقليم (اطنه) وماوراءه الى مدينة قونية في وسط الاناطول والتقى بالقرب من هذه المدينة برشيد باشا وجيشه فانتصر عليه وأخذه أسيراً في ٢٧ رجب سنة ١٢٤٨ الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢ وعند ذلك ساد القلق في الاستانة وخيف تقدم ابراهيم باشا بجيوشه المصرية اليها أما هو فسافر حتى وصل الى ضواحي مدينة بورصة

ولما تواترت أخبار انتصار المصريين على العثمانيين خشيت الدول أن يكون قصد محمد علي باشا احتلال الاستانة واسقاط عائلة بني عثمان والاستئثار بالخلافة الاسلامية فيحصل

اضطراب عمومي في التوازن الاوروي وكانت الروسية أشد قلقاً من غيرها لخوفها من سقوط الاستانة في قبضة من يمكنه الذب عنها أكثر من الملوك العثمانيين فلا يمكنها تنفيذ وصية بطرس الاكبر ولذلك عرضت على الدولة العلية مساعدتها بالرجال وأزلت فعلاً على شواطئ الاناطول خمسة عشر ألف جندي لحماية الاستانة فاضطربت فرنسا وانكشرا وخشيت سوء عاقبة تداخل روسيا بصفة عسكرية وألحت على الباب العالي بسرعة الاتفاق مع محمد علي باشا قبل تفاقم الخطب واتساع الخرق على الراعي وتوسطت بينهما قبل الباب الهمايوني بهذا التوسط

معاهدة كوتاهيه

وبعد مخبرات ومداولات لاحاجة لتفصيلها اتفق الطرفان على أن يخلى المصريون اقليم الاناطول وترجع جيوشهم الى ما وراء جبال طوروس وتمطى لمحمد علي باشا ولاية مصر مدة حياته أو يعين هو والياً على ولايات الشام الاربع (عكا وطرابلس وحلب ودمشق) وعلى جزيرة كريدو وأن يعين ابنه ابراهيم والياً على اقليم أطنه وصدرت بذلك ارادة سنية في ٥ مايو سنة ١٨٣٣ ودعيت هذه المعاهدة بمعاهدة كوتاهيه نسبة الى المدينة التي كان بها ابراهيم باشا عند انعامها وبذلك انتهت هذه المسئلة مؤقتاً اذ لم يقبل السلطان بهذه التسوية الا لئلا يمكن من الاستعداد للحرب وارجاع ما أخذ منه قهراً

معاهدة خونكار اسكله سي

ولقد تمكنت روسيا أثناء وجود عساكرها بارض الدولة من ابرام معاهدة هجومية ودفاعية مع الباب العالي في ١٨ محرم سنة ١٢٤٩ الموافق ٨ بونيه سنة ١٨٣٣ دعيت بمعاهدة (خونكار اسكله سي) تمهدت بها الروسية بالدفاع عن الدولة لو هاجمها المصريون أو غيرهم ليسكون لها بذلك سبيل في شؤون الدولة الداخلية

حرب الشام الثانية

ولم تكن هذه التسوية الا وقتية فان محمد علي باشا لم يقبل بها الا خوفاً من اجبار الدولة له على ترك فتوحاته مع كونه عازماً على تميم مشروعه وهو الاستقلال التام عند سنوح القرصة وكذلك لم يقبل السلطان محمود بها الا لتفريق جيوشه وعدم امكانه صد هجمات ابراهيم باشا عن الاستانة لا بمساعدة الروسية الامر الذي سعى في تلافيه بابرام هذه المعاهدة حتى اذا استعد لاسترداد ما فقد كرها أغار على بلاد الشام وجعل مصر ولاية عثمانية بدون أقل امتياز

ولما كانت هذه افكار كل فريق منهما كان لا بد من اشتعال نار الحرب بينهما ثانية عاجلاً أو آجلاً ولقد كان من أهم دواعي استئناف هذه الحروب عصيان أهل الشام على محمد علي باشا ومعاملته اياهم بكل صرامة لا خضاعهم لسلطانه ثم عصيان الدروز وامدادهم بالمال والسلاح من الخارج سرراً لاضعاف شوكرته وفي أثناء ذلك فاتح محمد علي باشا بعض وكلاء الدول بمصر بأنه يرغب أن تكون مصر والشام وبلاد العرب له ولا ولاده من بعده فأبلغ الوكلاء ذلك لدولهم وهي خابرت الدولة العلية بذلك بكيفيات مختلفة فعضدت فرنسا مطالبه وخسنت له الدول الاخرى عمارته بكل شدة واخضاعه خوفاً من تطلعه الى غير ما في يده من

الاقالم وتغلب نفوذ سفير فراسا قبل الباب العالي ارسال مندوب من طرفه الى محمد علي باشا للاتفاق على حل مرض للطرفين وأرسل الى مصر من يدعى سارين افندي أحد موظفي الخارجية فأثنى هذا المندوب الى مصر في غضون سنة ١٢٥٣ الموافق سنة ١٨٣٧ وقابله واليه بكل تجلة واكرام

وبعد مداولات طويلة اتفقا على أن تعطى له ولايتي مصر والعرب ارثا لاولاده وبلاد الشام الى جبال طوروس مدة حياته وعاد سارين افندي الى الاستانة بهذا الوفاق فلم يقبله الباب العالي بل أصر على أن تكون جبال طوروس ومقاروها في أيدي العثمانيين لا المصريين وصمم محمد علي باشا على عكس ذلك بما ان هذه المقاوز بمثابة أبواب لبلاد الشام بأجمعها فلو احتلتها الدولة العلية أمكنها الاغارة على بر الشام في أي وقت أرادت

واقعة نصيبين

وبذلك عاد الخلف الى ما كان عليه وصارت الحرب قاب قوسين أو أدنى وأوعز الباب العالي الى حافظ باشا الذي عين سرعسكر الجيوش المجتمعة في سيواس بأرمينية بعد موت رشيد باشا أسير قونيه الذي مات قبل أن يأخذ بثأر هذه الواقعة ويحجوا ملحقه فيها من الفشل الى أن يتقدم الى ولايات الشام بكل سرعة فتقدم اليها في أوائل سنة ١٢٥٥ الموافقة سنة ١٨٣٩ وعبر نهر الفرات عند مدينة (بلاجيق) في ابريل من السنة المذكورة ثم التقى الجيشان بعد عدة مناورات بالقرب من بلدة تدعى نصيبين وهي المشهورة في جميع كتب الافرنج باسم (نزيب) في ١١ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ الموافق ٢٤ يونيو سنة ١٨٣٩ وفاز المصريون بالنصر وتمهقر الجيش العثماني نازكا في أيدي المصريين ١٦٦ مدفعاً وعشرين ألف بندقية وغيرها من الذخائر والمؤن وكان هذا اليوم مشهوداً يجعل الولدان شيباً

ومن غريب المصادفة أن المسيو (دي مولتك) (١) القائد البروسياني الذي طار صيته في الاتقاق وملاً ذكره الاوراق في الحرب التي حصلت بين فرنسا والبروسيا في سنة ١٨٧٠ كان من ضمن اركان حرب الجيش العثماني وولى الادبار مع باقي الضباط بدون أن يتمكن من أخذ ملاسسه وأوراقه الخصوصية

ولم يصل خبر هذه الحادثة الى آذان السلطان محمود الثاني فانه توفي الى رحمة الله وانتقل من دار الشقاء الى دار الهناء في يوم ١٩ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ الموافق أول يوليو سنة ١٨٣٩

(١) هو القائد الالماني الشهير ولد سنة ١٨٠٠ وتربى في إحدى المدارس (بكوبنجا) عاصمة الدانمرك ثم التحق بالجيش البروسي وحضر في إحدى مدارسها الحربية ولا تميزه في الهندسة وما يلحقها عين في أركان حرب البروسيا ثم ساه في الشرق وتوظف بالجيش العثماني وبعد أن حضر واقعة نصيبين عاد الى بلاده وترقى تدريجياً حتى وصل الى وظيفة رئيس أركان حرب البروسيا ومن ثم أخذني تنظيم الجيش حتى صار أول جيش في أوروبا فكانت له اليد الطولي في الانتصار على الدانمرك سنة ١٨٦٤ وعلى النمسا سنة ١٨٦٦ وعلى فرنسا سنة ١٨٧٠ حتى استحق مجبة الاهالي له وأقيم له تماثيل في حياته وفي سنة ١٨٨٨ اعتزل الاعمال لهزمه وتوفي سنة ١٨٩١

خفاة بدون أن يعلم بها لعدم وجود الاسلحة البرقية في هذا العهد بالغاً من العمر ٥٥ سنة وتولى بعده ابنه

٣١ « السلطان الغازي عبد المجيد ناه »

وكانت مدة خلافة السلطان محمود احدى وثلاثين سنة وعشرة شهور ومات عن أربع وخمسين سنة تقريباً وكانت ولادة السلطان عبد المجيد في ١٤ شعبان سنة ١٢٣٧ وكان اذ ذلك سنه ١٧ سنة فتولى الخلافة ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره وكانت الحكومة في غاية الاضطراب بسبب انتصار جيوش محمد علي باشا بنصيبين كافر واحتلال جيوشه لمدائن عين تاب وقيصرية ومطية

ومما زاد أحوال الدولة ارتباكاً وشغل الخواطر بأوروبا أن أحمد باشا القبودان العام للدونامة التركية خرج بجميع مراكزه الحربية وأتى بها الى نهر الاسكندرية وسلمها الى محمد علي باشا في ٢ جماد أول سنة ١٢٥٥ الموافق ١٤ يوليو سنة ١٨٣٩ وكان فعل أحمد باشا القبودان مسبباً عن توجيه منصب الصدارة العظمى الى خسرو باشا الذي كان قد سبق تعيينه والياً على مصر وخرج منها بناء على رغبة الاهالي في تعيين محمد علي باشا والياً عليها وخوفه من الايقاع به بسبب ما كان بينه وبين محمد علي باشا من علائق الارتباط والمحبة لما علم قناصل الدول بالاستانة بتسليم الدونامة التركية الى محمد علي باشا خشوا زحف ابراهيم باشا على القسطنطينية فترسل الروسيات جيوشها لمحاربتة بناء على معاهدة (خونسكار انسكله سي) لاسما وقد فقدت الدولة جميع جيوشها البرية وسفنها الحربية فأرسلوا الى الباب العالي لائحة اشتراكية بتاريخ ١٦ جماد أول سنة ١٢٥٥ الموافق ٢٨ يوليو سنة ١٨٣٩ مضية من سفراء فرنسا وانكلترا والروسيا والنمسا والبروسيا يطلبون منه أن لا يقرر شيئاً في أمر المسئلة المصرية الا باطلاعهم واتحادهم وانهم مستعدون للتوسط بينه وبين محمد علي باشا لحل هذه المسئلة المهمة فقبل الباب العالي هذه اللائحة واجتمع السفراء عند الصدر الاعظم في ١٨ جماد أول الموافق ٣٠ من الشهر المذكور وتداولوا فيما يجب اعطاؤه لمحمد علي باشا فأبدى سفيراً انكلترا والنمسا ضرورة ارجاع الشام للدولة العلية وعارضهم في هذا الرأي سفيراً فرنسا والروسيا وطلبوا أن يمنح محمد علي باشا ملك مصر وولايات الشام الأربع لكن انحاز سفير البروسيا الى الرأي الاول فقرر بالاغلبية ثم طلب الميسو (دي مترنيخ) (١) أكبر وزراء النمسا أن يعقد مؤتمراً دولياً في مدينة (فيينا) أو (لوندرة) لاتمام المداولات بشأن المسئلة المصرية فلم يقبل منه ذلك عند الكل سيما فرنسا

(١) سياسي نمساوي شهير ولد سنة ١٧٧٣ وتقدم سريراً وعين سفيراً للنمسا في باريس سنة ١٨٠٦ وانتخب رئيساً لمؤتمر وياه في سنة ١٨١٤ وسنة ١٨١٥ الذي عقد لتسوية حالة أوروبا بعد سقوط نابليون واشتهر هذا الوزير بمعارضة انتشار الحرية في أوروبا ولذلك اعتزل الاعمال بعد حركة سنة ١٨٤٨ العمومية وبقي في العزلة الى أن توفي سنة ١٨٥٩

وانكلترا فلم يقبل ذلك ولم يميل لهذا الطلب لعدم تقهيم بالمسيو (دى مازنيخ) وكذلك
الروسيا لم تقبل تحويل مؤتمر دولي حق تحديد علاقتها مع الباب العالي بل أعلنت أنها
مصرّة على التمسك بنصوص معاهدة (خونكاراشكله سي) وهي حماية الدولة بعساكرها
ومراكبها وبالتالي احتمال معظم أملاكها بدون حرب لو تعدى ابراهيم باشا حدود الشام
فعند ذلك طلبت كل من فرنسا وانكلترا من الباب العالي التصريح لمراكبها بالمرور من
بوغاز الدردنيل لحمايته عند الضرورة من روسيا ومن العساكر المصرية وجاء الاميرال
(ستوفورد) بنفسه الى القسطنطينية للحصول على هذا التصريح ولما علم باقي السفراء بهذا
الطلب اضطر بوغاز وخشوا حصول شقاق بين الدول المتوسطة وأعلن سفير روسيا بانها اذا
دخلت المراكب الفرنسية والانكليزية البوغاز يقطع علاقته السياسية مع الباب
العالي ويسافر في الحال وكانت حكومته أرسلت له مراكباً حربيّاً ليسافر عليها اذا اقتضى
الحال ذلك وكتبت النمسا الى وزارتي لوندرد وباريس بان طلبهما هذا يخل بسلم أوروبا وانهما
لو أصراً عليه تخرج من التحالف وتحفظ لنفسها حرية العمل فلما علم الباب العالي بذلك
خاف من تفاقم الخطب ورفض طلب حكومتي فرنسا وانكلترا وطلب منهما ابعاد
مراكبهما عن مدخل البوغاز فلهذه الاسباب وعدم الاتفاق بين وزراء الدول توقفت
المخابرات الى أوائل شهر رجب سنة ١٢٥٥ الموافق سبتمبر سنة ١٨٣٩ حتى عرض اللورد
(بولسوني) سفير انكلترا على الباب العالي أن دولته مستعدة لأكراه محمد علي باشا على
ردّ الدونامة التركية بشرط أن يكون لها حق ادخال مراكبها في خليج اسلامبول لصدد روسيا
عند الضرورة فلما علمت بذلك حكومة فرنسا أرسلت الى الاميرال (لالاند) قائداً سطوها
في مياه تركيا أمراً بتاريخ ١٨ ديسمبر سنة ١٨٣٩ أنه لا يشترك مع مراكب انكلترا في
أى حركة عدوانية ضد حكومة محمد علي باشا فعلم الكل أنه لا بد من حصول خلاف بين
فرنسا وانكلترا بخصوص المسئلة المصرية وأخذت الدول حذرهما مما عساه يحصل من الامور
التي تنشأ بسبب هذا الخلاف فاعلنت النمسا بانها لا ترغب التدخل لعدم نجاح طلبها المختص
بالعقاد مؤتمر دولي في فيينا أو برلين وأعلنت بروسيا والروسيا بانهما يقبلان كل ما تقرره
الدول في هذا الشأن بشرط أن يكون موافقاً لرغبة الباب العالي وأن يكون قبوله لهذا القرار
صادراً عن كمال الحرية فكان الدول قبلت ما اتفق عليه فرنسا وانكلترا بالاتحاد مع
الباب العالي ولكن لم يتم الاتفاق بين هاتين الدولتين لسمي انكلترا في ارجاع المصريين
الى حدودهم الاصلية وعدم قبول فرنسا ذلك ورغبتها في مساعدة محمد علي باشا
وذلك ان فرنسا كانت تود أن تكون ولايتا مصر والشام له ولذرتيه واقليم اطنه وطرسوس
لعمدة حياته وأما انكلترا فكانت لا تريد أن يعطى الولاية مصر لكن رغبة في ارضاء
فرنسا قبلت أن يعطى مدة حياته نصف بلاد الشام الجنوبي بشرط أن لا تكون مدينة عكا
من هذا النصف فرفضت فرنسا هذا الاقتراح وقالت كيف نحرّمه من كل فتوحاته خصوصاً

بعد ان قهر الجيوش العثمانية في واقعة نصيبين واننا لو جردناه منها لتكنا له بالالحرب مرة أخرى وهو أمر لا تكون عاقبته حسنة لانه يوجب تداخل حكومة روسيا في أمر الدولة العلية بمقتضى العهد ولا تكون نتيجة ذلك الا حربا عامة فالاولى منعاً لسفك دماء العباد أن تعطى لمحمد علي باشا البلاد التي فتحها لانه أقوم بإدارتها وأحق بها لما تكبدته في فتحها من المشاق الصعبة والمصاريف الزائدة وبذل الارواح ولما علمت الدول بوقوع الخلاف بين فرنسا وانكلترا أعلنت النمسا وبروسيا رسمياً أنهما يغازان الى احدى الدولتين التي لا تحرم الدولة من أملاكها وبعبارة أخرى الى انكلترا

وأما روسيا فأرادت أن تنتهز فرصة عدم اتحاد الدولتين لتقر برقوقها في الشرق وحق حمايتها على الدولة العلية دون غيرها وأرسلت الى لوندريه البارون (دي برونو) بصفة سفير فوق العادة فوصلها في أواخر سبتمبر سنة ١٨٣٩ وعرض على حكومتها بالنيابة عن قيصره أن روسيا مستعدة لأن تترك لانكلترا حرية العمل في مصر وتساعد على اذلال محمد علي باشا بشرط أن تسمح لها بانزال جيش بالقرب من اسلامبول في مدينة (سيدنيوب) الواقعة على شاطئ البحر الاسود ببر الاناطول لكي يتيسر لها اسعاف الباب العالي لو أراد ابراهيم باشا الزحف على القسطنطينية فصنع اللورد بالمرستولون (١) الى كلام سفير روسيا ومال الى هذا الرأي ميلاً شديداً ولولا استعجاب الرأي العام له لقبلة كل القبول وسلم بكل التسليم لكنه لما رأى عدم موافقة الرأي العام لهذا المشروع اقترح على روسيا أن تعلن أولاً بتنازلها عما تحوله لها معاهدة (خونكاراسكله سي) من حق حماية الدولة العلية فرفضت روسيا ذلك وأجلت المخبرات بشأن تسوية المسئلة المصرية الى شهر يوليو سنة ١٨٤٠ لعدم اتفاق الدول على حالة مرضية للكل وافية بغرض الجميع لتباينهم في الغايات والمقاصد وفي خلال هذه المدة أرسلت روسيا الميسيو (برونو) ثانية الى لوندريه ليطلب تعديل المشروع الاول بان يخول لكل من انكلترا وفرنسا الحق في ارسال ثلاث سفن حربية في بحر (مرمره) للاشتراك مع الجيش الروسي في حماية اسلامبول لوهاجمها ابراهيم باشا فلم تفر روسيا بمرامها في هذه المرة أيضاً

هذا ولما علم محمد علي باشا بهذه المخبرات وتحقق أن الدول الاوروپاوية عموماً وانكلترا خصوصاً ساعية في ارجاع جيوشه الى مصر وجبره على رد كل ما فتحه من البلاد وأن فرنسا لا يمكنها مساعدته فضلاً عن تعصب باقي أوروبا ومضادتها باجمعها له أخذ في

(١) سياسي انكليزي شهير ولد سنة ١٧٨٤ وبعد ان أتم دراسته في مدرسة كمبرج العليا انتخب في مجلس العموم سنة ١٨٠٦ وانضم الى حزب المحافظين وفي سنة ١٨٣٧ تحول عنهم وانخرط في سلك الاحرار وصار وزيراً للخارجية من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤١ ومن سنة ١٨٤٦ الى سنة ١٨٥١ ومن ١٨٥٥ الى ١٨٥٨ وأخيراً من سنة ١٨٥٩ الى تاريخ وفاته الواقع في سنة ١٨٦٣ واشتهر بمقاومة محمد علي باشا الكبير حتى يمكن القول أن مساعيه كانت السبب الوحيد في اخفاق مشروع هذا الرجل العظيم وعدم نجاح مقصوده

الاستعداد لصمد القوة بالقوة بحيث لا يسلم شيئا من الارض التي صرف ماله ورجاله في فتحها
الامضطراً وكلف سلبان باشا بتفقد سواحل الشام وتحصينها بقدر الامكان سيما مدني
عكا وبيروت وأمر بتعليم كافة الالهالي جميع الحركات العسكرية وحمل السلاح لكي يسهل
له حفظ الامن الداخلي بواسطتهم وصد المهاجمين بواسطة الجيش المنتدب على الحرب
ولزيادة جيشه استدعى من الاقطار الحجازية والنجدية الجيوش المصرية المحتلة لها وأخذ
أيضاً في توفير الاموال من بعض وجوه مصر فيها وأطلق سراح محمد بن عون شريف مكة
الذي كان قد ألزمه الإقامة بمصر من مدة وبالجملة تخلى عن بلاد العرب وتركها هملاً كما
كانت لاحتياجه الى المال والرجال لانها كانت تكلفه سنوياً مبلغاً قدره سبع مائة ألف جنيه
مصري تقريباً بلا فائدة ثم أرسل الى ولده ابراهيم باشا الاوامر المشددة بان يجتهد في اطفاء
كل ثورة جزئية يبدىها سكان الجبل من أى طائفة خوفاً من اشتداد الخطب في الداخل
حين الاحتياج للانتباه لما يأتى من الخارج

ثم في أوائل سنة ١٨٤٠ عاودت النمسا الكرة وطلبت من الدول اجتماع مؤتمر في
مدينة فيينا لتسوية هذه المسئلة التي أقلقمت بالجميع فقبلت الدول عقده في مدينة لوندبره
لا فيينا وطلبت فرنسا أن يكون للباب العالي مندوب خصوصى في هذا المؤتمر مراعاة له
لما له من السيادة العظمى على البلاد المتنازع بخصوصها

فلهذا اجتمع هذا المؤتمر طلبت فرنسا ابقاء الشام كلها تحت يد محمد على باشا فعارضتها الحكومة
الانكليزية في ذلك وأصرّت على ما طلبته أو لا وهو انه لا يعطى له الا النصف الجنوبي
منها لكنها قبلت أخيراً بناء على الحاح فرنسا ادخال عكا ضمن هذا القسم بشرط أن يكون له
مدة حياته فقط ولا ينتقل الى ورثته بل يعود الى الدولة العلية وقبلت الروسي والنمسا والبروسيا
ذلك لكن لم تقبله فرنسا بحجة أن حرمان ورثة محمد على باشا من بلاد صرف السنين الطوال
في فتحها ليزكها لهم بعد موته مما يزيد في حنقه على دول أوروبا وربما لم يقبل هذا القرار
المجحف فتلتزم الدول باكرامه وسفك دماء العباد ظلماً الامر الذي لم تجر هذه المخابرات الا
لمنعه فشددت انكلترا وخصوصاً اللورد المرستون وزيرها الاول وأبت الارجونع ما يعطى
محمد على باشا من البلاد الشامية الى الدولة العلية بعد موته فن عدم الاتفاق وتشدت الآراء
وبعد الوفاق لم ينجح هذا المؤتمر وبقيت الحالة على ما هي عليه ثم لما توفي المسيو (تيريس) (١)

(١) هو سياسى شهير ولد في مرسيليا في ١٦ ابريل سنة ١٧٩٧ وتعلم الشريعة في مدارس مرسيليا
واكس واشتغل بالهاماة الى سنة ١٨٦١ ثم سافر الى باريس واشتغل بالتحرير في الجرائد وكتب تاريخ
الثورة الفرنسية في ١٠ مجلدات طبعت من سنة ١٨٢٣ الى سنة ١٨٣١ وكان من أكبر الساعين في
قلب حكومة لوس الماشر في شهر يوليو سنة ١٨٣٠ ولما تولى لوس فيليب أريكة الملك بعد هذه الثورة
عينه مأموراً في الخزينة ثم ولاء وزارة المالية ثم نظارة الداخلية في وزارة المارشال سولت الاولى في ١١
اكتوبر سنة ١٨٣٤ ثم صار رئيساً لمجلس النظار أول مرة في ٢٢ فبراير سنة ١٨٣٦ وعهدت اليه أيضاً نظارة
الخارجية واستمرت وزارته الى ٦ سبتمبر سنة ١٨٣٦ ثم عاد الى منصة الاحكام في أول مارش سنة ١٨٤٠

رئاسة الوزارة الفرنسية في أول مارث سنة ١٨٤٠ لم يتبع خطة أسلافه في إنهاء المسئلة المصرية بالاتحاد مع انكلترا بل أراد أن يضع لها حداً باتفاقه رأساً مع الباب العالي ومحمد علي باشا بأن يلزم الباب العالي أن يترك لمحمد علي باشا ولايات مصر والشام له ولذريته ويهدده بمساعدة فرنسا لوالى مصر ان لم يذعن الباب العالي لهذه المطالب

فارسل لمحمد علي باشا يخبره بان لا يقبل مطالب انكلترا بل يقوى مركزه في الشام ويتأهب للكفاح وان فرنسا مستعدة لتجديته لو عارضته انكلترا

معاهدة ١٨٤٠ يوليو
سنة ١٨٤٠

فلما علم اللورد بالمستون بهذه المخبرات حقق على الحكومة الفرنسية وبذل جهده في الاتفاق مع روسيا وبروسيا والنمسا لارجاع محمد علي باشا الى حدود مصر والزامه بالقوة ان لم يطع ولقد نجح بالمستون في مسعاه وأمضى بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ مع من ذكر من الدول معاهدة صدق عليها مندوب الدولة العلية مقتضاها

﴿ أولاً ﴾ أن يلزم محمد علي باشا بارجاع ما فتحه للدولة العلية ويحفظ لنفسه الجزء الجنوبي من الشام مع عدم دخول مدينة عكا في هذا القسم

﴿ ثانياً ﴾ أن يكون لانكلترا الحق بالاتفاق مع النمسا في محاصرة فرض الشام ومساعدة كل من أراد من سكان بلاد الشام خلع طاعة المصريين والرجوع الى الدولة العلية وبعبارة أخرى نحر يضهم على العثمان لاشغال الجيوش المصرية في الداخل كي لا تقوى على مقاومة المراكب النمساوية والانكليزية

﴿ ثالثاً ﴾ أن يكون لمراكب روسيا والنمسا وانكلترا معاً حق الدخول في البوسفور لوقاية القسطنطينية لو تقدمت الجيوش المصرية نحوها

﴿ رابعاً ﴾ أن لا يكون لاحد الحق في الدخول في مياه البوسفور مادامت القسطنطينية غير مهددة

﴿ خامساً ﴾ يجب على الدول الموقع مندوبوها على هذا الاتفاق أن تصدق عليه في مدة

فطلب تحصين مدينة باريس والقيام بتجهيزات عسكرية مهمة خوفاً من الارتباك الناشئة من تداخل الدول بين محمد علي باشا والسلطان ثم استقال لاختلافه في الرأي مع ملكه بخصوص المسئلة المصرية وحينئذ ابتدأ في تاريخه عن القنصلية والامبراطورية ثم في سنة ١٨٤٨ طعن في سياسة لويس فيليب الخارجية وساعد على عزله وانتخب عضواً في الحكومة المؤقتة وفي سنة ١٨٥١ عارض لويس نابليون في تأسيس امبراطورية ثانية فسجنه لما أعاد الامبراطورية من ٩ ديسمبر سنة ١٨٥١ الى ٧ يوليو سنة ١٨٥٢ ثم في سنتي ٦٥ و ٦٦ أخذ يندد على سياسة الامبراطور وصرفه النفقات الباهظة في حرب ايطاليا وحالة المسكيس وفي سنة ١٨٧٠ كان ضد الحرب لتحقيقه من عدم استمداد حكومة فرنسا ولما حصل ما أناب به من تغلب البروسيا ألح بالدفاع عن باريس وسعى لدى الدول للمساعدة في إقامة هدنة فلما لم يفلح عاد الى فرنسا وانتخب في مجلس نوابها ثم في ١٧ مارث سنة ١٨٧١ عين رئيساً للسلطة الاجرائية فتمكن من دفع الزرامة الحربية قبل ميادها وخلص بذلك وطنه من احتلال الاجنبي وفي ١٦ أغسطس أطل مجلس النواب مدته ثلاث سنين ولقبه بلقب رئيس الجمهورية ثم استقال في ٢٤ مايو سنة ١٨٧٣ لما كسبه الاحزاب له وخلفه المارشال ما كماهون وله تأليف سياسية شهيرة واشتهر أيضاً في الخطابة وتوفي في سنة ١٨٧٩ واحتفلت الامة الفرنسية بجنائزه احتفالاً عظيماً

لا تزيد عن شهرين بحيث يكون التصديق في مدينة لوندريه
وشغعت هذه المعاهدة بملحق مصدق عليه من مندوب الدولة العلية مبين فيه
الحقوق والامتيازات التي يمكن منحها لحمد علي باشا وقبل امضاء هذه المعاهدة ابتدأت
انكساراً في تحريض سكان لبنان من دروز ومارونية ولصيرية على شق عصا الطاعة وارسل
اللورد بولسوني سفيرها لدى الباب العالي ترجمانه المسترود الى الشام لهذه الغاية واعلم بذلك
اللورد بالمستون برسالة تاريخها ٣٠ ربيع الثاني سنة ١٢٥٦ الموافق ٢٩ يونيو سنة ١٨٤٠
محفظة في سجلات المملكة وبمجرد وصول المسترود الى محل مأموريته اخذ في نشر
ذلك بين الاهالي ولقد نجح في مأموريته وأشهر الجليليون العصيان وتجمعوا متساحين
وامتنعوا عن تأدية الخراج والمؤن العسكرية لكن لم تسع هذه الثورة الا ابتدائية لتداركها
في أولها فارسل المدد من مصر واهتم كل من ابراهيم باشا وسليمان باشا الفرساوي وعباس
باشا الاول (١) في احمادها فاطقت قبل أن يتعاظم أمرها وقادت السكينة في كافة الانحاء
ومن ثم أخذ سليمان باشا الفرساوي في تحصين مدينة بيروت لعلمه انها أول ميناء
معرضة لمراكب الانكاز وكذلك بني القلاع لحماية كل الثغور ووضع بها المدافع الضخمة
ولكن لسوء الحظ لم تجد هذه الاستحكامات قعاً امام مراكب الانكاز والنساء كما سيحدث
ولما علمت الحكومة الانكليزية ان المرحوم محمد علي باشا همتم في ارسال العساكر والذخائر
من طريق البحر الى الشام ارادت ان تعارضه وتعاكسه اما باخذ دونائمه او تشتيتها
وتقريقها ليتعذر ارسال المدد برأ لوجود الصحراء الرملية الفاصلة بين مصر والشام من
طريق العريش فارسلت اوامرها في اوائل شهر يوليو سنة ١٨٤٠ الى الكومودور
نايبر بان يتوجه بمراكبه الى مياه الشام ومصر لاستخلاص الدونائمه التركية لوخرجت من
ميناء الاسكندرية واسر أو احرق الدونائمه المصرية لو قابلها فلما علمت فرسان هذا الخبر
ارسلت احدى بوارجها البخارية الى بيروت لتبليغ قائد الجيوش المصرية هذا الخبر المشؤوم
فرجعت في الحال المراكب المصرية الى الاسكندرية حتى اذا وصل الكومودور نايبر
لم يجد لها فاعمالاً لذلك ويقال انه قبل ان يبرح ميناء بيروت ارسل الى سليمان باشا كتاباً
بتاريخ ٢٤ يوليو يظهر له فيه تكدره من اجراءات القواد المصريين في الشام ومعاملتهم
الثائرين بالقسوة وانهم ان لم يكفوا عن اعمالهم البربرية (على رءمهم) اضطر للتدخل وانزال
عساكره الى بيروت فاجابه سليمان باشا بانه لا يقبل ملحوظاته ويعلمه بانه لا يخاطبه من
الآن فصاعداً واذا كان عنده ملحوظات مثل هذه فليدها لحمد علي باشا
ولم يتددى شهر اغسطس سنة ١٨٤٠ الا وقد ورد خير معاهدة ١٥ يوليو الى مصر

(١) هو عباس باشا الاول ابن طوسن باشا ابن محمد علي باشا الكبير ولد في جدة سنة ١٨١٦ حين
كان والده يلازم العرب لمقاتلة الوهابيين وتولى على الاريكة المصرية في ٢٧ الحجة سنة ١٢٦٤ الموافق ٢٣
نوفمبر سنة ١٨٤٨ بموت عمه ابراهيم باشا وتوفي في ١٨ شوال سنة ١٢٧٠ الموافق ١٤ يولييه سنة
١٨٥٤ واختلف في سبب وفاته قيل بالسكتة وقيل مقتولا

والشام ووردت الاوامر الى الدونامة الانكازية بمحاصرة سواحل الشام وأسر المراكب المصرية حربية كانت أو تجارية فعاد نابير الى بيروت بعد ان اخذ في طريقه كل ما قبله من المراكب ووصلها في ١٥ جمادى الثانية الموافق ١٤ أغسطس وأعلن العساكر المصرية باخلاء بيروت وعكا في أقرب وقت ونشر في أنحاء الشام منشورات لاعلام الاهالى بما قرره الدول من بقاء الشام لمصر ماعدا عكا ونجر يضمهم على العصيان على الحكومة المصرية واظهار ولائهم للدولة العلية العثمانية

وفي اليوم المذكور (١٥ جمادى الثاني) بلغت هذه المعاهدة رسمياً الى محمد علي باشا وأتت اليه بعد ذلك قناصل الدول الاربع المتحدة وعرضوا عليه باسم دولهم أن تكون ولاية مصر له ولورثته وولاية عكاله مدة حياته وأمهله عشرة أيام لاعطاء جوابه فطلب منهم كتابة بذلك فلبوا طلبه ثم في اليوم التالي اقدموه ان فرنسا لا يمكنها مساعدته قط وان الدول مصممة على تنفيذ ما اتفقت عليه ولو ادى ذلك الى حرب اوربية لكنه اصّر على عدم القبول والدفاع عن حقه الى آخر رفق من حياته وفي يوم ٢٥ جمادى الثاني الموافق ٢٤ أغسطس الذى هو غاية الميعاد المعطى له حضر اليه القناصل ومعه مندوب الدولة واخبروه بأنه لاحق له الآن في ولاية عكا وان الدول لا تسمح له الا بولاية مصر فقط له ولورثته فاحتدم عليهم غضباً وطردهم من عنده قائلاً لهم كيف يجوز ان اسمح لكم بالمقام في بلادى واتم وكلاء اعدائى في هذه الديار فانصرفوا واعطوه عشرة ايام آخر لابتداء جوابه بحيث ان لم يجابوا تكون الدول غير مسؤولة عما يحضل له من الضرر وبعد انقضاء هذه المدة بدون أن يبدى لهم جوابه كتب القناصل بذلك الى سفراء الدول باستانبول فاجتمعوا مع الصدر الاعظم وقرروا بانحادهم أخذ مصر والشام من محمد علي باشا وفي أثناء هذه المدة كانت فرنسا اتباعاً لرأى الميسو تيرس تستعد للقتال مساعدة لمحمد علي باشا ولكن لسوء حظ الامة المصرية كانت هذه الاستعدادات غير كافية ولا تتم الا بعد ستة أشهر لعدم وجود السلاح والذخائر الكافية للحرب لاسيما وان فرنسا تكون في هذه الحالة مقاومة لا كبر دول أوروبا

ولما تحقق أهالى فرنسا أن حكومتهم لا تقوى على مساعدة محمد علي باشا فعلا بعد أن جرائته على المقاومة ووعدته بالمساعدة هاج الرأي العام على الميسو تيرس المعتمد لهذه السياسة التي عادت على مصر بالضرر العظيم حتى التزم بالاستعفاء في يوم ٣ رمضان سنة ١٢٥٦ الموافق ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٤٠ لكن لم يجد استعفاؤه لمصر نفعاً لوقوفها بمفردها أمام أربع دول من أعظم الدول شأنها وأعلامها مكانة وأكثرها قوة إذ أرسلت فرنسا أوامرها لدوناتها أولاً بالانسحاب الى مياه اليونان ثم بالعودة الى فرنسا وترك مصر والشام لمراكب انكلترا تحرق مينها بمقدوفاتها الجهنمية

وكان رجوع الدونامة الفرنسية الى فرنسا في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٤٠ أى قبل استعفاء الميسو

تبرس بعشرين يوماً

هذا ولم تشترك الدول الأربع في محاربة محمد علي باشا بل قامت انكلترا وحدها بهذا العمل وساعدتها النمسا والدولة ببعض مراكبها وعساكرها البرية للنزول الى البر اذا اقتضى الحال ذلك

وأما دولة البروسيا فلم يكن لها مراكب اذذاك والروسيا لم ترد الابتعاد عن القسطنطينية ولما وصل الى سليمان باشا بلاغ الكومودور ناير وعلم بعنصراته للالهالي أعلن في الحال بجعل البلاد تحت الاحكام العسكرية وذلك خوفاً من قيام الجبلين اتباعاً لمشورة الانكليز وأدخل في مدينة بيروت العدد الكافي من الجند وأرسل لاراهيم باشا أن يحضر اليه بحيشته الذي كان معسكره اقرب مدينة (بعلبك) ليستركا في المدافعة عن مين الشام فوصل اراهيم باشا الى بيروت وعسكر في ضواحيها وفي ١٢ رجب سنة ١٢٥٦ الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٨٤٠ وصل الاميرال (ستوفورد) الذي كان يجول بمراكبه أمام الاسكندرية الى ميناء بيروت ليسترك مع الكومودور ناير في اطلاق المدافع على مين الشام وفي اليوم التالي وصلهما العساكر البرية وكانت مؤلفة من ألف وخمسمائة من البيادة الانكليزية وثمانية آلاف بين أترك وأرثود

وفي يوم ١٤ رجب الموافق ١١ سبتمبر أنزلت هذه العساكر الى البر في نقطة تبعد نحو ستة أميال في شمال بيروت ولم يتمكن اراهيم باشا من منعهم لوجود هذه النقطة تحت حماية المدافع الانكليزية

وفي ظهر ذلك اليوم بعد نزول هذه العساكر الى البر أرسل الى سليمان باشا بلاغ من الاميرالين الانكليزي والنمساوي بان يحل مدينة بيروت حالا فطلب منهم مسافة أربع وعشرين ساعة كي يتداول مع اراهيم باشا في هذا الامر الجليل فلم يقبل طلبه وابتدأ في اطلاق المدافع على المدينة واستمر اطلاقها حتى المساء وابتدى أيضاً في اليوم التالي قبل الفجر ولم تقطع الا بعد هدم أو حرق أغلب المدينة وأحرقت كذلك كل الغور الشامية قصد استخلاصها من محمد علي باشا وارجاعها الى الدولة العلية كما كانت مع ان محمد علي باشا لم يأت بأمر يدل على رغبته في الخروج من تحت ظل الراية العثمانية بل لم يزل مؤكداً اخلاصه وولاه للدولة ولم يطلب الا بقاء هذه الولايات له ولذريته مع تبعيتهم للباب العالي ودفعهم الخراج لاعترافاً ببقاء تلك التبعية ولولا تقلب الاحوال بينه وبين السلطان لم بينهما الاتفاق على أحسن وفاق وحقت دماء العباد ويدل على رغبة الطرفين في ذلك ارسال الباب العالي ساريه بك أولاً وما كفى أفندي ثانياً الى محمد علي باشا لحل هذه المسألة ولا يخفى ان محمد علي باشا هو الذي خاض مصر من فئة المالك الباغية ونشر بجمع جوانبها لواء الأمن وتسبب في ازدياد الزراعة ونمو التجارة حتى توفرت لمصر أسباب التمدن وتيسر بهذه الكيفية لقوافل التجارة الاوروپاوية المرور بين الاسكندرية والسويس

بدون خوف من تعدى أحد عليها وله الفضل أيضاً في استئصال شافة الوهايين من بلاد العرب وإعادة الأمن إلى طريق الحجاج واستخلاص مدينتي مكة والمدينة منهم بعد أن استحال ادلاهم على أبدى العساكر الشاهانية فضلاً عن أنه هو الذي فتح بلاد الروم ولولا ما حصل لاعادها إلى الدولة العلية بعد ما بنست من رجوعها إليها وهو الذي أعاد الأمن إلى ربوع الشام بعد احتلالها ومنع تعدى البدو على الحضر كما أنه أبطل القبايل المستعمر الذي كان لا يتقطع دائماً بين الدروز والمارونية الأمر الذي لم يحصل مثله قبل احتلاله ولا بعده (١) وقد انحراف الأمير الكبير بشير عن موافقة إبراهيم باشا بعد أن حافظ على ولائه مدة رغبة في أن يعطى له من لدن الباب العالي أنهم أمير الجبل وينادي له بذلك على رؤوس الأشهاد فانعكس عليه أمره وعاد عليه شؤم خيانتة فعزل عن إمارة الجبل والزم بفارقة الشام فانتبه من غفلته وندم على ما كان منه حيث لا ينفعه الندم ثم أوصلته إحدى السفن الانكليزية إلى بيروت فقابلته هناك الأميرال ستوفورد وبعد أن عنفه على تذبذبه الذي حصل منه وثاقه الذي أداه إلى أن يتبع الأقوى شوكة وعدم حفظه للعهد أمر بإرساله وتابعه مع قليل من عائلته إلى جزيرة مالطة ولم يجبه إلى ما طلبه من إرساله إلى إيطاليا أو فرنسا فوصل هذه الجزيرة في ٦ رمضان سنة ١٢٥٦ الموافق أول نوفمبر سنة ١٨٤٠ وكان عمره إذ ذاك خمساً وعشرين سنة ومضى ما بقي من عمره مفسكراً في أسباب زوال النعمة وسوء عاقبة التذبذب وأن الاحوط للإنسان والاجدر به أن يحافظ على عهده لأنه لو مات مع المحافظة عليها لمات بالشرف والمجد ولو عاش مع الخيانة والتلون لعاش مع الفضيحة والعار وتوفي في سنة ١٢٦٧ الموافقة سنة ١٨٥٠ في القسطنطينية ودفن في غلطة هذا ولتقل بالاختصار أن المراكب الانكليزية والعساكر المختلطة التي أنزلت إلى البر في عدة مواضع تمكنت من أخذ جميع المدن الواقعة على البحر وإخراج المصريين منها حتى لم يبق على باشا بداً من الأذنان إلى مطالب أوروبا وأنه من العيث المحض مقاومة الدول المتحددة فأصدر أوامره إلى ولده إبراهيم باشا بعدم تعريض عساكره للقتال والموت بلا فائدة وبإستدعاء الجنود المبسكرة في حدود الشام والانجلاء عنها مع اتخاذ أنواع الاحتراس السكلى من العرب وسكان الجبل فبلغ إبراهيم باشا هذه الأوامر إلى القواد جميعهم وأخذ الجنود في الرجوع من كل فج وصاروا يتجمعون حول قائدهم الأعظم الذي قادم غير مرة إلى النصر والظفر وبعد ذلك قسم الجيش عدة فرق كل منها تحت إمرة أحد ممن اشتهر من القواد بالبسالة والتبصر في عواقب الأمور وسار السكل راجعين إلى مضر تاركين البلاد التي سفكوا فيها دماءهم وتركوا فيها قبور أخوانهم

اغلاء المصريين
ببلاد الشام

(١) أريد بذلك ما حصل في بلاد الشام من تعدى الدروز على المارونية بل وعلى كافة المسيحيين من الطوائف الأخرى سنة ١٨٦٠ وقتلهم إياهم وأحرقهم بيوتهم وأتواهم حرمة كتابهم وعرض نسائهم ولولا حماية عيد القادر الجزائري لنصارى دمشق لقتلوا عن آخرهم الأمر الذي أوجب تدخل فرنسا واحتلال عساكرها البلاد الشامية مدة سنتين تقريباً ولولا نزاهة نابليون الثالث لنصارى هذا الاحتلال أبدى

وكان ابتداء الجيش في الرجوع الى مصر في شوال سنة ١٢٥٦ الموافق أواسط شهر
دسمبر سنة ١٨٤٠ ووصل الكل الى القاهرة بعد ان ذاقوا مرارة النصب وتحملوا أنواع
الذل والتعب وقاسوا شديد الوصب مما تكلم عن وصفه الاقلام ولا تحيط ببعته
الاوهام ويكدر الاذهان فضلا عن موت كثير منهم في الطريق بسبب مناوشات
العرب الذين زادت قوتهم وجرائعهم لما تحققوا عدم تمكن المصريين من العودة وراءهم
واقتراف آثارهم ومع ذلك فقد تمكن سليمان باشا من ارجاع مائة وخمسين مدفعا
بخيولها الى مصر وكثير من خيول السوارى التي هلك قسم عظيم منها بسبب العطش
وشدة التعب

وأما ابراهيم باشا وفرقة فلم يتمكنهم العودة الى القاهرة من طريق صحراء العريش
لشدة ملاحقه أثناء مرورهم في فلسطين من معارضة العرب لهم وسدّهم الطريق عليهم
واحتلالهم جميع القناطر المبنية على الانهر حتى اضطر لحاربهم في كل يوم بل وفي
كل ساعة

وأخيراً وصل مدينة غزة بعد أن استشهد في الطريق ثلاثة أرباع من معه وكثير من
المستخدمين الملكيين الذين أرادوا الرجوع الى وطنهم مع عائلاتهم فلما وصل غزة كتب
لوالده اشعاراً بقدومه وطلب منه ارسال ما يلزم لهم المراكب لنقل فرقة الى الاسكندرية
وما يلزم لمؤنهم وملبسهم

وفي أثناء هذه المدة عرض الكومودور نابير على محمد علي باشا أن الحكومة
الانكليزية تسمى لدى الباب العالي في اعطاء مصر له ولورثته لوتنازل عن الشام وردّ الدونامة
التركية الى الدولة العلية فامثل لهذا الامر وقبل هذه الشروط لحفظ مضر لذريته وتم
بينهما الاتفاق في ٢ شوال سنة ١٢٥٦ الموافق ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠

ولم يقبل الباب العالي هذا الاتفاق الا بعد تردد واحجام وتداول عدّة مخاطبات
بينه وبين وكلاء الدول الاربع المتحددة المجتمعين بمدينة لوندريه بصفة مؤتمر وصدر بذلك
فرمان همايوني في تاريخ ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٥٦ الموافق ١٣ فبراير سنة ١٨٤١
هذا نصه نقلا عن قاموس جلاد

رأينا بسرور ما أعرضتموه من البراهين على خضوعكم وتاكيدات أمانتكم وصدق
عبوديتكم لذاتنا الشاهانية ومصالحنا بائنا العالي فطول اختياركم وما لكم من الدراية
بأحوال البلاد المسماة ادارتها لكم من مدة مديدة لا يتركان لنا ريباً بأنكم قادرون
بما تبدونه من الغيرة والحسكة في ادارة شؤون ولايتكم على الحصول من لدنا الشاهاني
على حقوق جديدة في تعطفاتنا الملوكية وثقتنا بكم فتقدرون في الوقت نفسه احساناتنا
اليكم قدرها وتجتهدون ببث هذه المزايا التي امنتم بها في أولادكم وبمناسبة ذلك صممنا
على تثبيتكم في الحكومة المضرة الميمنة حدودها في الخريطة المرسومة لكم من

لأن صدرنا الاعظم ومنحناكم فضلاً على ذلك ولاية مصر بطريق التوارث بالشروط الآتية بياناها

مضى خلا منصب الولاية المصرية تعهد الولاية الى من تدينه سدتنا الملوكة من أولادكم الذكور ونجربى هذه الطريقة نفسها بحق أولاده وهلم جرأوا اذا انقضت ذريتهم الذكور لا يكون لأولاد نساء عائلتكم الذكور حق أيا كان في الولاية وارثها ومن وقع عليه من أولادكم الانتخاب لولاية مصر بالارث بعدكم بحسب عليه الحضور الى الاستانة لتقليده الولاية المذكورة على أن حق التوارث الممنوح لوالى مصر لا يمنحه رتبة ولا لقباً أعلى من رتبة سائر الوزراء ولقبهم ولا حقاً في التقدم عليهم بل يعامل بذات معاملة زملائه وجميع أحكام خطنا الشريف الهايونى الصادر عن كاخانة وكافة القوانين الادارية الجارية العمل بها أو تلك التى سيجرى العمل بموجبها في ممالكنا العثمانية وجميع العهود المعقودة أو التى ستعقد في مستقبل الأيام بين بابنا العالى والدول المنتخبة يتبع الاجراء على مقتضاها جميعها في ولاية مصر أيضاً وكلما هو مفروض على المصريين من الاموال والضرائب يجرى تحصيله باسمنا الملوكة

والكى لا يكون أهالى مصر وهم من بعض رعايا بابنا العالى معرضين للمضار والاموال والضرائب غير القانونية يجب أن تنظم تلك الاموال والضرائب المذكورة بما يوافق حالة ترتيبها في سائر الممالك العثمانية وربع الايرادات الناتجة من الرسوم الجمركية ومن باقى الضرائب التى تحصل في الديار المصرية تحصل بتمامه ولا يخصم منه شىء ويؤدى الى خزينة بابنا العالى العامة والثلاث أرباع الباقية تبقى لولايتكم لتقوم بمصاريف التحصيل والادارة المدنية والجهادية وبنفقات الولى وبأمان الغلال الملزومة مصر بتقديمها سنوياً الى البلاد المقدسة (مكة والمدينة) ويبقى هذا الخراج مستمراً دفعه من الحكومة المصرية بطريقة تأديته المشروحة مدّة خمس سنوات ابتداء من عام ١٢٥٧ أى من يوم ١٢ فبراير سنة ١٨٤١ ومن الممكن ترتيب حالة أخرى بشأنهم في مستقبل الأيام تكون أكثر موافقة لحالة مصر المستقبلية ونوع الظروف التى ربما تحدث عليها

ولما كان من واجبات بابنا العالى الوقوف على مقدار الايرادات السنوية والطرق المستعملة في تحصيل العشور وباقى الضرائب وكان الوقوف على هذه الاحوال يستلزم تعيين لجنة مراقبة وملاحظة في تلك الولاية فينظر في ذلك فيما بعد ويجرى ما يوافق ارادتنا السلطانية

ولما كان من اللزوم أن يعين بابنا العالى ترتيباً لصك النقود لما في ذلك من الاهمية بحيث لا يعود يحدث فيها خلاف لا من جهة العيار ولا من جهة القيمة اقتضت ارادتي السنية أن تكون النقود الذهبية والفضية الجائز لحكومة مصر ضربها باسمنا الشاهانى معادلة للنقود المضروبة في ضربنا العامة بالاستانة سواء كان من قبيل عيارها أو من

قبيل هيتها وطرزها

ويكنى أن يكون لمصر في أوقات السلم ثمانية عشر ألف نفر من الجند للمحافظة في داخلية مصر ولا يجوز أن تتعدى ولا يتك هذا العدد ولكن حيث أن قوات مصر العسكرية معدة لخدمة الباب العالي كاسوة قوات المملكة العثمانية الباقية فيسوغ أن يزداد هذا العدد في زمن الحرب بما يرى موافقاً في ذلك الحين على أنه بحسب القاعدة الجديدة المتبعة في كافة ممالكنا بشأن الخدمة العسكرية بعد أن نخدم الجند مدة خمس سنوات يستبدلون بسواهم من العساكر الجديدة فهذه القاعدة يجب اتباعها أيضاً في مصر بحيث ينتخب من العساكر الجديدة الموجودة في الخدمة حالا عشرون ألف رجل ليبدوا الخدمة فيحفظ منها ثمانية عشر ألف رجل في مصر وترسل الألفان لنا لاداء مدة خدمتهم وحيث أن خمس العشرين ألف رجل واجب استبدالهم سنويا فيؤخذ سنويا من مصر أربعة آلاف رجل حسب القاعدة المقررة من نظام العسكرية حين سحب الفرقة بشرط أن تستعمل في ذلك مواجب الانسانية والنزاهة والسرعة اللازمة فيبقى في مصر ثلاثة آلاف وستمائة جندي من الجنود الجديدة والاربع مائة يرسلون الى هنا ومن أتم خدمته من الجنود المرسلين الى هذا الطرف ومن الجنود الباقية في مصر يرجعون الى مساكنهم ولا يسوغ طلبهم للخدمة مرة ثانية ومع كون مناخ مصر ربما يستلزم أقمشة خلاف الاقمشة المستعملة للمبوسات العساكر فلا بأس من ذلك فقط يجب أن لا تختلف هيئة الملابس والعلامم التمييزية ورايات الجنود المصرية عن مثلها من ملابس ورايات باقي الجنود العثمانية وكذا ملابس الضباط وعلامم امتيازهم وملابس الملاحين وعساكر البحرية المصرية ورايات سفنها يجب أن تكون ماثلة لملابس ورايات وعلامم رجالنا وسفننا

وللحكومة المصرية أن تعين ضباطاً برية وبحرية حتى رتبة الملازم أما ما كان أعلى من هذه الرتبة فالتعيين إليها راجع لارادتنا الشاهانية

ولا يسوغ لوالى مصر أن ينشئ من الآن فصاعداً سفناً حربية الا باذننا الخصوصى وحيث ان الامتياز المعطى بوراة ولاية مصر خاضع للشروط الموضحة أعلاه فعلم تنفيذ أحد هذه الشروط موجب لا بطل هذا الامتياز والقائه للحال وبناء على ذلك قد أصدرنا خطنا هذا الشريف الملوكى كى تقدروا وأنتم وأولادكم قدرا إحساننا الشاهانى فتمتعنوا كل الاعتناء باتمام الشروط المقررة فيه وتحملوا أهالى مصر من كل فعل اكراهى وتكفلوا أمنيتهم وسعادتهم مع التحذر من مخالفة أوامرنا الملوكية واخبار بابنا العالى عن كل المسائل المهمة المتعلقة بالبلاد المعهودة ولايتها لكم اه

وافد منحه الباب العالى أيضاً ولايات النوبة ودارفور وكردفان وستار مدة حياته بدون أن تنتقل الى ورثته كمصر بمقتضى فرمان شاهانى أصدر في اليوم الذى أصدر فيه فرمان

الاول أعني في ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ هذا نصه
 ان سددتنا الملوكية كما توضح في فرماننا السلطاني السابق قد ثبتتكم على ولاية مصر
 بطريق التوارث بشروط معلومة وحدود معينة وقد قلدتكم فضلا على ولاية مصر ولاية
 مقاطعات النوبة ودارفور وكردفان وسنار وجميع توابعها وملحقاتها الخارجة عن حدود
 مصر ولكن بغير حق التوارث فبقوة الاختيار والحكمة التي امتازت بها تقومون بادارة
 هاته المقاطعات وترتيب شؤونها بما يوافق عدالتنا وتوفير الاسباب الاليلة لسعادة الالين
 وترسلون في كل سنة قائمة الى بابنا العالي حاوية بيان الايرادات السنوية جميعها
 وحيث أنه يحدث من وقت لآخر أن تهجم الجنود على قرى المقاطعات المذكورة
 فيأسرون القتيلان من ذكور وأناث ويقتلونهم في قبضة يدهم لقاء رواتبهم وحيث ان هذه
 الامور مما تفضي معها الحال ليس فقط لانقراض أهالي تلك البلاد وخرابها بل انها أمور
 مخالفة للشريعة الحقة المقدسة وكلاهما تين الحالتين ليست أقل فظاعة من أمر آخر كثير
 الوقوع وهو تشويه الرجال ليقوموا بخمر الحريم ذلك مما لا ينطبق على ارادتنا السنية مع
 مناقضته كل المناقضة لمبادئ العدل والانسانية المنتشرة من يوم جلوسنا المائوس على
 عرش السلطنة العلية فعليكم مداركة هذه الامور بما ينبغي من الاعتناء لمنع خسودها
 في المستقبل ولا يبرح عن بالكم ان فيما عدا بعض أشخاص توجهوا الى مصر على أسطولنا
 الملوكي قد عفوت عن جميع الضابطان والعساكر وقى الامور من الموجودين في مصر نعم
 ان بموجب فرماننا السلطاني السابق تسمية الضابطان المصرية لما فوق رتبة المعاون يستلزم
 العرض عنها لاعتبارنا الملوكية الا أنه لا بأس من ارسال بيان باسم من رقيتم من ضباط جنودكم
 الى بابنا العالي كي ترسل لهم الفرمانات المؤذنة بثنيتهم في رتبهم هذا ما نطق به ارادتنا
 السامية فعليكم الاسراع في الاجراء على ممتضاها اه

فقبل محمد علي باشا كل هذه الشروط ولوعن غير رضاء ثم طلب من الدول أن تساعده
 في تخفيف بعضها وتغيير البعض الآخر فقبلت ذلك وأرسلت الى الباب العالي لائحة
 بتاريخ ١٣ مارث سنة ١٨٤١ طلبت منه بها أن يعامله على حسب ما هو مدون بملاحق
 معاهدة ١٥ يولييه سنة ١٨٤٠ وبلائحة ٣٠ يناير سنة ١٨٤١ فتنازلت الحضرة السلطانية
 بمقتضى لائحة أرسلت للدول بتاريخ ١٩ أبريل سنة ١٨٤١ بتجوير فرمانها الصادر
 في ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ هذه صورتها

ان الحضرة السلطانية الفخيمة تلقت ماتعظفت عليها به الدول المتحالفة من النصائح
 هذه الدفعة أيضا وبمناسبتها قدمته محمد علي باشا احسانا جديدا هو التكرم منها باعطائه
 الامتيازات الاتمية ولسكتها قد اشترطت عليه الانقياد التام الى جميع الوثائق والمعاهدات
 المبرمة حالا والتي سترهم استقبالا فيما بين الباب العالي والدول المتحالفة وعلى ذلك أصبحت

ولاية مصر تنتقل بالارث لمحمد على باشا وأولاده وأولاد أولاده المذكور بصورة أن يتولى الأكبر فالأكبر فيقلده الباب العالي منصب الولاية كل ما خلا هذا المنصب من وال وقد تنازل الباب العالي عن استيلائه على ريع إيرادات مصر وسيعين فيما بعد قيمة الخراج الواجب على ولاية مصر دفعه وترتيب مقداره وطريقة تحصيله بما يناسب حالة إيرادات الولاية أما مخصص التسميات في الرتب المختلفة في العسكرية المصرية فمخصص لمحمد على باشا أن يمنحها من نفسه حتى رتبة الاميرالاي فقط أما التسمية لما فاق على هذه الرتبة فيجب عليه أن يعرض بشانه الى الباب العالي

أما ما كان متعلقاً بالادارة الداخلية وكان اتباعه واجماً في مصر كاتباعه في سائر الممالك العثمانية فيظهر ان محمد على باشا لا يرغب التكلم بشانه بما ينبغي من الصراحة مع كونه قد سبق تقرير ذلك في العقد المفرد التابع لمعاهدة الحاققة ولكن كي لا يدع الباب العالي سبيلاً للدول المتحالفة بالتضرر منه بامر من الامور كما لو حدث ان ارتكب محمد على في المستقبل أعمالاً مخالفة لنقطة مهمة مسندة على المعاهدة المحكى عنها قد قرر وزراء الباب العالي والحالة على ما ذكر أمر أشديد الأهمية هو أن تطلب بادىء بدء الايضاحات والتقارير الصريحة بهذا الصدد ولذلك نحرر هذا لسعادتكم ارجاء اعطاء الايضاحات والتقارير المذكورة من قبلكم خطأ اه

ولما أقرت الدول على هذا التحوير بمقتضى لائحة تاريخها ١٨١٨ ربيع الاول سنة ١٢٥٧ الموافق ١٠ مايو سنة ١٨٤١ اصدرت الحضرة الشاهانية فرماناً آخر في ١١ ربيع آخر سنة ١٢٥٧ الموافق أول يونيو سنة ١٨٤١ مؤيداً لما في فرمان السابق وفي غرة جمادى الآخر سنة ١٢٥٧ الموافق ٢٠ يوليو سنة ١٨٤١ صدر فرمان آخر يجعل مقدار مائتة الف كيسة المصرية الى الدولة العلية سنوياً ثمانين ألف كيسة (١) ثم أخذت فرنسا وانكلترا تسعيان في ابطال شروط معاهدة (خونسكار اسكله سي) القاضية بان يكون لمراكب روسيا حق المرور من بوغازى البوسفور والدردنيل في أى

(١) واستمر دفع الخراج بهذه الكيفية لغاية سنة ١٢٨٢ هـ ثم زيد مقداره الى مائة وخمسين ألف كيسة أعني ٧٥٠٠٠٠ جنيه عثماني بمقتضى فرمان صادر بتاريخ ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ الموافق ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ عقب تنازل الدولة العلية لمصر عن مدينتي سواكن ومصوع ومدينة الناكسة وتغيير ترتيب الوراثة في خديوية مصر في عهد الخديوى السابق المرحوم اسمعيل باشا بان حصرت الوراثة في الأكبر من أولاده ثم أولاد الأكبر ثم في أخوته عند عد- وجود ولده ثم أولاد الاخوة على هذا الترتيب وفي أول يوليو سنة ١٨٧٥ الموافق ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٢٩٢ صدر فرمان بتحويل ادارة مدينة زليخ الى الخديوى المرحوم اسمعيل باشا بزيادة خمسين ألف جنيه عثماني على الجزية وفي ١٠ شعبان سنة ١٣٠٨ صدر أمر حال من الخديوى المرحوم توفيق باشا بالتعهد عن نفسه وعن خلفائه في الحال والاستقبال بان تدفع الحكومة المصرية للخوارج روتشيلد وأولاده بلوندره وروتشيلد اخوان يابرس والبنك الملوكانى العثماني من أصل البويركو الواجب على الحكومة المصرية للحضرة الشاهانية مبلغ بلس شلن جنيه انكليزى سنوياً لمدة ستين سنة ابتداء من ١٠ ابريل سنة ١٨٩١ ٤ ١٨ ٢٨٠٦٢٢

وقت شاءت

وبعد مخاضات طويلة اتفقت الدول أجمع بما فيها الروسية على أن لا يكون لاحدا من هذا الحق مطلقاً بل تبقى بوغازات الاستانة مقفلة امام جميع الدول وأمضيت بذلك معاهدة بتاريخ ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٢٥٧ الموافق ١٣ يوليو سنة ١٨٤١ بين الباب العالي والنمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى والروسيا والبروسيا دعيت بمعاهدة البوغازات وبذلك تساوت الروسية بباقي الدول وفقدت كل ما اكتسبته بمساعيها السابقة وهاك صورة هذه المعاهدة

﴿ البند الاول ﴾ ان جلالة السلطان يعلن عزمه وتصميمه على حفظ واتباع القاعدة القديمة في المستقبل التي بموجبها منعت جميع مراكب الدول الاجنبية الحربية من المرور من بوغازى البوسفور والدردنيل وانه مادام في حالة السلم لا يسمح لاي مركب حربية اجنبية بالمرور من هذين البوغازين

ويعلن كل من جلالة امبراطور النمسا وملك المجر وبوهيميا وملك الفرسا وبين وملكة بريطانيا العظمى وارانلنده المتحدة وملك البروسيا وامبراطور جميع الروسيا باحترام هذا العزم الصادر من جلالة السلطان واتباع القاعدة المقررة سابقاً

﴿ البند الثانى ﴾ وقد تقرر انه مع الاقرار بعدم جواز مس هذه القاعدة المقررة قديماً فان السلطان يحفظ لنفسه الحق كما كان له ذلك في السابق في اصدار فرمانات بجواز مرور بعض السفن الحربية الخفيفة لتكون في خدمة سفارات الدول المتحاجة

﴿ البند الثالث ﴾ وكذلك يحفظ جلالة السلطان لذاته الشريعة الحق في تبليغ صورة هذا الاتفاق لجميع الدول التي بينها وبين الباب العالي العثمانى صلة مودة ودعوتهم الى القبول باحكامه

﴿ البند الرابع ﴾ يصير التصديق على هذا الاتفاق في مدينة لوندرة وتبادل التصديقات عليه بعد شهرين أو قبل ذلك ان أمكن

وبمقتضى ذلك قد أمضاه مندوبو الدول المذكورة وبصموا عليه أختامهم
تحريراً في مدينة لوندرة في ١٣ يوليو سنة ١٨٤١ ميلاديه الامضات

﴿ مسألة لبنان ومقتلة المارونية ﴾

بمجرد اخلاء الجيوش المصرية لبلاد الشام وجبال لبنان وعدم شعور سكانها بسطوة ابراهيم باشا وبطشه تحركت فيهم العداوة الدينية القديمة الكامنة في نفوسهم خوفاً من شدة بأس ابراهيم باشا وعدم رأفته في معاقبتهم وزادت الدسائس الاجنبية لاضرام نار الشقاق وبذر الفتنة الداخلية توصلاً لغاياتهم الشخصية فكانت فرنسا مساعداً للمارونية الكاثوليك وانكساراً معصداً للدروز ضدّهم لتلجئهم على ترك المذهب الكاثوليكي واعتناق المذهب البروتستانتي فيدخلوا بذلك تحت حمايتها الفعلية ولم يعد لفرنسا حجة لحمايتهم لسبب

مذهبي ووطن كل فريق من هؤلاء التمساء أن الدولة التي تغرره تود صلاح حاله وترقيه في المدنية ولم تفقه لدخائل هذه السياسة الخبيثة التي لا يتأخر أصحابها أمام اهراق دماء الاربااء توصلا لما آثرهم

وبهذه الدسائس ساد الهياج في جميع أنحاء لبنان وظهر ما تسكنه صدور سكانه من الاحتقاد الجنسية والدينية حتى تعدى الدروز على المارونية في سنة ١٢٥٧ هجرية الموافقة سنة ١٨٤٩ ودخلوا دير القمر وارتكبوا فيه ما تقشعر منه الابدان من النهب والسلب وقتل النساء والولدان وسبي الحرائر ولولا تدخل الجيوش بشدة لامتدت الثورة

لكن لم يرق ذلك في أعين أرباب الغايات بل ما انفكوا يوالون دسائسهم ويلقون بذور الفساد ويعمدون بالمداومة والمثابرة حتى قام الدروز ثانية في سنة ١٢٦١ هجرية الموافقة سنة ١٨٤٥ وقتلوا المسيحيين وتعدوا على قبس الكاثوليك الفرنسيين وقتلوا رئيس أحد الاديرة واسمه (شارل دي لوريت) واثنين من رهبان الدير وحرقوا جهنهم ثم أضرموا النار في الدير حتى صار قاعا صنفصفاً بعد ان نهبوا كل ما به من المنقولات والامثلة بدون أن يحصل أقل أذى للرسولين البروتستانت الامر يكتفين والانكيز الامر الذي يدل دلالة واضحة على أن هذه المذاهب لا تخلو من تأثيرهم حتى يثبتوا للمارونية الكاثوليك انهم لو اعتنقوا المذهب البروتستانتي لا يلحقهم ضرر ويصيرون في مأمن من تعدى الدروز فيستميلونهم للتمذهب بمذهبهم ولا يبقى لفرنسا وجه لحمايتهم وبسبب هذه الاضطرابات المتعاقبة لم ير الباب العالي بدأ من التدخل في ادارة الجبل لمنع هذه الفتنة فعزل الامير بشير الشهابي بعد خروج العساكر المصرية من الشام كما مر وعين مكانه والياً عثمانياً وأبطل بذلك جميع امتيازات سكان الجبل الممنوحة لهم قديماً بمقتضى عدة معاهدات وما منح لهم أخيراً باتفاق الدول عقب جلاء العساكر المصرية عنه لتحقيقه أن وجود الشعوب المختلفة القاطنة به تحت حكم واحد أقطع للفساد وأمنع لظهور الضغائن الدينية بين الموارنة والدروز فلم تقبل الدول ذلك بل اضطرت الباب العالي بناء على مساعيها أن يعيد للجبل بعض امتيازاته وانفق مع سفراء الدول على أن يكون للوالي العثماني قائماً مقام أحدهما ماروني والاخر درزي يتولى كل منهما النظر في شؤون أبناء جنسه وذلك في سنة ١٢٥٨ هجرية الموافقة سنة ١٨٤٢ لكن لم تنجح هذه الطريقة أيضاً لاختلاط سكان بعض القرى من موارنه ودروز فسلخ الباب العالي اقليم الجبائل الاهل بالموارنة من حكومة الجبل وضمه الى ولاية طرابلس بالامتيازات كباقي اقاليم الجبل فعارض بطرق الموارنة في ذلك وأرسل الى جميع القناصل يحثهم ضد هذا العمل المنافي للاتفاق الاخير مدعياً أن الدولة لم ترد بذلك الا اضعاف النصر الماروني وتقوية العنصر الدرزي فبناء على هذه الشكوى أرسل الباب العالي بصفة وال على الشام رجلاً اصنف بالاستقامة واصالة الرأي يدعى أسعد باشا للنظر في تسوية هذه المسئلة فارتأى ضرورة اعادة الامير بشير الشهابي الى اماره الجبل كما كان فلم يقبل الباب

العالى هذا الحل واستدب آخر يدعى خليل باشا لتحقيق تشكيكات الطرفين وتقديم تقرير عما يراه حاسماً للنزاع فاختلف مع أسعد باشا فى الرأى وقال بافضلية اعتبار جبل لبنان كباقى الولايات العثمانية بدون أدنى امتياز

ولعدم قبول القناصل بهذا الرأى انفقوا أخيراً فى غضون سنة ١٢٥٩ هجرية الموافقة سنة ١٨٤٣ على أن يعين فى القرى المختلطة وكيلان أحدهما درزى والآخر مارونى ويكون كل منهما تابعاً للقائم مقام الذى على مذهبه فلم يقبل الدرّوز الا أن يكون لهم السيادة على المارونية فى الجهات المختلطة وهؤلاء أثروا التتبع لاحدى الولايات العثمانية المحضة على أن يكونوا تحت سيادة الدرّوز

واستحسن الباب العالى هذا الرأى الاخير لسكن لم يرق ذلك فى أعين الدرّوز ولا فى أعين المغرّين لهم فهاجوا ثانياً وقاموا على المارونية وحصلت مذبحه جهادى الاولى سنة ١٢٦١ هجرية الموافق سنة ١٨٤٥ السابق ذكرها فارسلت الدولة جيوشها واحتلت البلاد سهلاً وجبلاً بصفة عسكرية وأجرت فيها الاحكام العرفية ثم دارت المحاربات بين الدول العظمى والباب العالى للتقرير ما يضمن السلام فى الحال والاستقبال فاجتمعت آراؤهم أخيراً بعد مداورات طويلة وأخذ ورد على أن يبقى فى القرى المختلطة وكيلان درزى ومارونى ويعين لكل من القائم مقام مجلس يشاركه فى الادارة مع بقائه تحت رئاسته وبشكل كل من هذين المجلسين من عشرة أعضاء خمسة قضاة وخمسة مستشارين اثنان منهما من الدرّوز واثنان من المارونية واثنان من المسلمين واثنان من الملاكين واثنان من الممتذهبين بمذهب الاروام الارثوذكس ويكون من اختصاصها توزيع الضرائب بالسواء بدون نظراى اختلاف دين أو مذهب أما تحصيلها فيكون بمعرفة القائم مقام وكلاهما فى القرى والضيايع

ومن اختصاصهما أيضاً النظر فى القضايا الحقوقية والجنايئة وان امتنع مندوب أى طائفة عن الاقرار على قائمة توزيع الضرائب بدعى أنها محجفة بحقوق أبناء طائفتهم يرفع الامر للوالى العثمانى فيحكم فيها نهائياً وقبل تنفيذ احكامها يعضى عليها القائم مقام المختص وجعل راتب كل عضو من أعضاء المجلسين ألف وخمسمائة فرنك فى السنة وراتب القائم مقام ٤٨ ألف فرنك سنوياً وكل من وكلائه ألف وثمانمائة فرنك

وبذا انتهت مسئلة لبنان مؤقتاً بما أن الدرّوز لم يقبلوا هذه التسوية الا مؤملين نوال زيادة عما فيها طبقاً لوساوس مندوبى انكارتا لهم بانها ستمنحهم مع الوقت السيادة على جميع الشعوب الساكنة بلبنان واستمرت الفتن جارية مجراها حتى حصلت مذبحه سنة ١٢٧٧ هـ (سنة ١٨٦٠) وتداخلت فرنسا عسكرياً لحماية المارونية وانسحبت ثانياً بعد توطيد الامن وحفظ حقوق الموارنة كما سييجى

هذا وسار السلطان عبد المجيد خان على خطة والده المرحوم السلطان الغازى محمود خان فى الاصلاحات الداخلية حتى تجارى الدولة العثمانية باقى الدول فى التمدن والعمران

فاصدر عقب توليته منصب الخلافة العظمى بقليل أمراً سامياً قرىء علناً في جمهور من الوزراء والاعيان في يوم ٢٦ شعبان سنة ١٢٥٥ هـ الموافق ٣ نوفمبر سنة ١٨٣٩ وهذا نصه مترجماً من كتاب أحمد مدحت المسمى (أس انقلاب)

فرمان الكلخانه

لا يخفى على عموم الناس ان دولتنا العلمية من مبدأ ظهورها وهي جارية رعاية الاحكام القرآنية الجلية والقوانين الشرعية المنيفة بتمامها ولذا كانت قوة ومكانة سلطتنا السنية ورفاهية وعمارة اهلها وصلت حد الغاية وقد انعكس الامر منذ مائة وخمسين سنة بسبب عدم الاقياد والامثال للشرع الشريف ولالقوانين المنيفة بناء على طرود الكوارث المتعاقبة والاسباب المتنوعة فتبدلت قوتها بالضعف وثروتها بالفقر وبما أن الممالك التي لا تكون ادارتها بحسب القوانين الشرعية لا يمكن أن تكون ثابتة كانت أفكارنا الخيرية الملوكية منحصرة في عمار الممالك واتحاد ورفاهية الاهالي والفقراء من يوم جلوسنا السعيد وصار التشبث في الاسباب اللازمة بالنظر الى واقع ممالك دولتنا العلمية الجغرافية ولا راضها الخصبة ولا استعداد وقابلية اهلها لتحصيل بمشيئة الله تعالى الفائدة المقصودة في ظرف خمس أو عشر سنين واعتماداً على المعونة الالهية واستناداً على الامدادات الروحانية النبوية قدر روى من الآن فصاعداً أهمية لزوم وضع وتأسيس قوانين جديدة تتحسن بها ادارة ممالك دولتنا العلمية المحروسة والمواد الاساسية هذه القوانين هي عبارة عن الامن على الارواح وحفظ العرض والناموس والمال وتعيين الخراج وهيئة طلب العساكر للخدمة ومدّة استخدامهم لانه لا يوجد في الدنيا أعز من الروح والعرض والناموس والمال فلورأى الانسان ان هؤلاء مهددون وكانت خلقته الذاتية وقطره الاصلية لا تميل الى ارتكاب الخيانة فوقاية لحفظ روحه وناموسه لا بد أن يتشبت في بعض اجراءات لتخلص منها وهذا الامر لا يخفى انه مضر بالدولة والملة كإياه اذا كان أميناً على ماله وناموسه لا يحمي عن طريق الاستقامة وتنحصر أفكاره وأشغاله في القيام بواجب الخدمة لدولته وملته وكما انه في حال افتقاد الامن على المال لا يميل الشخص الى دولته وملته ولا ينظر للانتفاع باملاكه بل كإياه لا يخلو دائماً من الفكر والاضطراب فلو قدر العكس أعنى لو كان الانسان آمناً على ماله وأملكه فلا شك أنه يشتغل باموره وتوسيع دائرة تعيشه وتتولد يوماً فيوماً عنده الغيرة على الدولة والمملكة وتزداد محبته للوطن وبهذا يجتهد في تحسين حاله وأما مادة تعيين الخراج فكل دولة لا بد أن تكون محتاجة الى العساكر وسائر المصاريف المقتضية للمحافظة على ممالكها وهذا لا يتيسر ادارته الا بالنقود والنقود لا تتحصل الامن الخراج فلا غرو ان النظر الى تحسين هذه المادة من أهم الامور هذا ولو أن اهالي ممالكنا المحروسة تخلصوا لله الحمد قبل الآن من بلوى اليد الواحدة التي كانت متسلطة على الإيرادات الوهمية لكن أصول الالتزامات المضرة المعتمدة من ضمن اسباب الخراب التي لم يظهر منها ثمرة نافعة في أي حال لم تزل جارية للآن وهذا يعد

كتسليم مصالح المملكة السياسية وإدارتها المالية ليدرجل وبالأحرى أن تقول بوضعها تحت قهره وجبره فانه ان لم يكن رجلاً أميناً لاشك انه ينظر الى فائدته الشخصية وتكون كل حركانه وسكنايه عبارة عن غدر وظلم فيلزم بعد الآن تعيين خراج مناسب على قدر اقتدار وأمالك كل فرد من أفراد أهالى المملكة ولا يؤخذ شىء زيادة عن المقر من أحد ماوتجديدويان سائر مصرف عساكر دولتنا العلية البرية والبحرية وكل لوازماتهم بموجب قوانين اجنبية والاجراء بمقتضاها

وأمامسألة الجندي فلكونها من المواد المهمة حسب ما ذكر ومع كونه مفروضاً على ذمة الاهالى تقديم العساكر اللازمة للمحافظة على الوطن لكن الجارى للآن هو عدم النظر والاتفات الى عدد النفوس الموجودة بالبلدة بل يطلب من بعض البلدان زيادة عن تحملها ومن البعض الآخر أنقص مما تحمل وهذا فضلاً عما فيه من عدم النظام فانه موجب لاختلال موارد منافع الزراعة والتجارة واستخدام العساكر الى نهاية العمر أمر مستلزم لقطع التناسل فعلى تقدير طلب أنفار عسكرية من كل بلد يلزم وضع وتأسيس أصول مستحسنة لاستخدام العساكر أربع أو خمس سنوات بطريق المناوبة والحاصل انه بدون تدوين هذه القوانين النظامية لا يمكن حصول القوة والعمار والراحة فان أساس جميع ذلك هو عبارة عن المواد المشروحة ولا يجوز بعد الآن اعدام وتسميم أرباب الخنج جهاراً أو خفية بدون أن تنظر دعاويهم علناً بكل دقة بمقتضى القوانين الشرعية ولا يجوز مطلقاً تسلط أحد على عرض وناموس آخر وكل انسان يكون ماله ملكاً له وملكه ومتصرفاً فيها بكامل الحرية ولا يمكن أن يتدخل في أموره شخص آخر واذا فرض ورفعت تهمة على أحد وكانت ورثته بريئاً الساحة منها فبعدم مصادرة أمواله لا تحرم ورثته من ميراثهم الشرعى وتمتاز سائر تبعية دولتنا العلية من المسلمين وسائر الملل الاخرى بمساعاتنا هذه المملوكية بدون استثناء وقد أعطيت من طرفنا المملوكى الامنية التامة فى الروح والعرض والناموس والمال بمقتضى الحكم الشرعى لكل أهالى ممالكنا المحروسة وسيعطى القرار اللازم باتفاق الآراء عن المواضع الاخرى أيضاً وستزاد أعضاء مجالس الاحكام العلية على قدر اللزوم وتجتمع هناك وكلاء ورجال دولتنا العلية فى بعض الايام التى ستعين وجميعهم بدون أفكارهم وآراءهم بالحرية التامة بدون تحاش وتنقصر القوانين المقتضية المختصة بالامن على الروح والمال وتعيين الخراج وستجرى المسكاملة اللازمة عنها بدار شورى باب السر عسكرية وكلما يقرر قانون يعرض لطرفنا المملوكى لتتويج عاليه بجنطنا المملوكى حتى يكون دستوراً للعمل الى ما شاء الله وبما أن هذه القوانين الشرعية ستوضع لاحياء الدين والدولة والملك والملة فسيؤخذ العهد والميثاق اللازم من قبلنا المملوكى بعدم وقوع أى حركة تخالفة لها وستختلف قسماً بالله العظيم فى أودة الخرقه الشريفة بحضور جميع العلماء والوكلاء وسيصير تحليفهم أيضاً وعلى هذا فكل من خالف هذه القوانين الشرعية من الوكلاء

والعلماء أو أىّ انسان كان مهما كانت صفته سيجرى توقيع الجزاءات اللازمة عليهم بدون رعاية رتبة ولا خاطر وسيصير تدوين قانون جزاء مختص بذلك ولكون كافة المأمورين لهم راتب واف الآن فان وجد منهم من يكون راتبه قليلا سيصير رتبة حاله هذا ولينظر في مادة الرشوة الكريمة بتدوين قانون شديد لذلك لانها أعظم سبب لخراب الملك ومحقونة شرعا ولكون الاصلاحات المشروحة آنفا سنزيل طوارىء الفقر والفاقة كلبية فكما أنه سيصير اعلان ارادتنا الملوكية هذه للاستانة ولكافة أهالى ممالكنا المحروسة يلزم أن تبلغ أيضاً لسفراء الدول المتحابة الموجودين بالاستانة ليكونوا شهودا على دوام هذه الاصلاحات الى الابد ان شاء الله تعالى ونسأل مالك الممالك أن يلهمنا التوفيق جميعاً وأن يصب على كل من خالف هذه القوانين المؤسسة سوط عذاب النقمة وأن لا ينح له أعمالامدى الدهر آمين حرد في يوم الاحد ٢٦ شعبان سنة ١٢٥٥

لكن أشغلته عن اتمام هذه الاصلاحات حرب روسيا التي قامت بسبب اختلاف فرنسا والروسيا على حماية الاماكن المقدسة باورشليم ودعيت بحرب القرم ولما انتهت هذه الحرب أصدر السلطان فرمانا جديدا ببيان الاصلاحات المقتضى ادخالها في الممالك المحروسة في ١١ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٢ الموافق ١٨ فبراير سنة ١٨٥٦ وهذا نصه مترجماً من كتاب (أس انقلاب)

الاصلاحات
الخيرية

من أهم أفكارنا السامية سعادة أحوال كافة صنوف التبعة التي أودعها الله الى يدنا الملوكية المؤيدة ولما بذلناه من هممنا الملوكية في هذا الشأن من يوم جلوسنا المقرون باليمن قد تزايد عمار وثروة مملكتنا العلية يوماً فيوماً وشهدت جملة فوائد نافعة ولكون تايد وتوسيع نطاق النظمات الجديدة التي توقعنا الى الآن لوضعها وتدوينها بالموافقة للموقع العالى الحائزة له دولتنا العلية بين الدول المتمدنة مطلوب بنا ايصالها الى درجة الكمال وقد تايدت بعناية الله تعالى وبمساعى عموم تبعتنا الملوكية الجميلة وبهمة ومعاونة الدول المتحابة حقوق دولتنا العلية الخارجية ولذا فهذا العصر يعد بالنسبة لدولتنا العلية مبدأ زمن الخير وبما أن من أهم رغائبنا المجبولة على الشفقة تقدم الاسباب والوسائل الداخلية المستلزمة تزايد قوة سلطتنا العلية وعمار ممالكنا السنية وحصول تمام سعادة أحوال كافة صنوف تبعة دولتنا العلية الملوكية المرتبطة بعضها ببعض بروابط الوطنية القلبية والمتساوية الماهية في نظر شفقتنا الملوكية من كل الوجوه قد أصدرنا ارادتنا الملوكية هذه باجراء الامور الاتية الذكر

وهي اتخاذ التدابير المؤثرة نحو تامين كافة التبعة الملوكية من أى دين ومذهب كانوا بدون استثناء على الروح والمال وحفظ الناموس واخراج جميع التامينات التي وعد بها بمقتضى الترتيبات الخيرية وخطنا الملوكي السابق تلاوته في الكليخانة من حيز القوة الى حيز الفعل

وتقرير وإبقاء كافة الامتيازات والمعافيات الروحانية التي منحت وأحسن بها في السنين
الاخيرة والتي منحت من قبل أجدادنا العظام للطوائف المسيحية وكافة الملل الغير مسلمة
الموجودين تحت ظل جناح عاطفتنا السامي بمالكنا المحروسة الملوكية وقد صار الشروع
في رؤية وتنسوية الامتيازات والمعافيات الحالية للعيسويين وسائر التبعة الغير مسلمة في
مهلة معينة بحيث يهتمون بعرضها الى جانب بابنا العالى بعد المذاكرة بمعرفة المجلس التي
تشكل بالطريق كخانات تحت ملاحظة بابنا العالى بحسب الاصلاحات التي يستدعيها
الوقت وآثار المدنية المكتسبة وموافقة ارادتنا الملوكية ويصير توثيق الرخصة التي أعطيت
لإساقفة الطائفة المسيحية من قبل ساكن الجنان السلطان أبى الفتح محمد خان الثاني
وخلفائه العظام وما صار تأمينهم عليه من قبلنا بحسب الاحوال والظروف الجديدة وبعد
اصلاح أصول الانتخابات الجارية الآن للبطاركة يصير اجراء كافة الاصول اللازمة في
اصحابهم وتعيينهم بالتطبيق لاحكام براءة البطريركية العالى مدى الحياة ويصير استيفاء
أصول تحليف البطاركة والمطارنة والأساقفة والخاصات بالتطبيق للصورة التي تتقرر بين
بابنا العالى وجماعة الرؤساء الروحانية المختلفة ويصير منع كافة الجوائز والعوائد الجارى
اعطاؤها للرهبان مهما كانت صورتها وتخصص ايرادات معينة بدلها للبطاركة ورؤساء
الطوائف ويصير تعيين معاشات بوجه العدالة بموجب ما يتقرر وبحسب أهمية رتب
ومناصب سائر الرهبان ولا يحصل السكوت على أموال الرهبان المسيحيين المنقولة والغير
منقولة بل يصير حالة حسن المحافظة عليها على مجلس مركب من أعضاء منتخبهم رهبان
وعوام كل طائفة لإدارة مصالح طوائف المسيحيين والتبعة الغير مسلمة والبلاد والقرى
والمدن التي تكون جميع أهلها من مذهب واحد لا يحصل أحداث موانع في بناء سائر
المحلات التي تكون مثل مكاتب واسبتاليات ومدافن مختصة باجراء عاداتهم بحسب هياكلها
الاصلية وعند لزوم انشاء هذه المحلات مجددا بحسب استصواب البطاركة ورؤساء الملة
يلزم رسمها وبيان صفة انشائها وتقديم ذلك الى بابنا العالى واما أن يجري المقتضى فيها
بموجب ارادتنا السنية الملوكية المتعلقة بقبول الصور السابق عرضها واما أن يصير بيان
المعارضات المختصة بذلك في ظرف مدّة معينة واذا وجدت طائفة من مذهب منفردة بمحل
وليسست مختلطة مع مذاهب أخرى فلا تصادف صعوبات في اجراء الخصائص المتعلقة
بنفاذ عوائدها في هذا المحل علناً واذا كانت قرية أو بلدة أو مدينة مركبة أهلها من أديان
مختلفة يمكن كل طائفة منهم ترميم وتعمير كنائسها واسبتالياتها ومقابرها بحسب الاصول الموضحة
بالمحلات المختصة لهم الموجودة بمحلات سكنتهم بها واما الأبنية المقتضى انشاؤها فليجوز أن
تعرض البطاركة والمطارنة لبابنا العالى باسترحام الرخصة اللازمة عنها فان لم يوجد لدى دولتنا
العلية موانع في الامتلاك تصدر بها رخصتنا السنية وكافة المعاملات التي تحصل فيما ياتل كل
هذه الاشغال تكون مجانباً من قبل دولتنا العلية في التامين على اجراء عوائد كل مذهب بكامل

الحرية مهما كان مقدار العدد التابع لهذا المذهب وتمجى وتزال الى الابد من المحررات الرسمية الديوانية كافة التعبيرات والالفاظ المتضمنة تحقير جنس الجنس آخر في اللسان أو الجنسية أو المذهب من أفراد تبعه سلطنتنا السنية و يمنع قانونا استعمال كل وصف وتعريف يس الشرف أو يستوجب العار بين أفراد الناس ورجال الحكومة وبما ان عوائد كل دين ومذهب موجود بمالكنا المحروسة جارية بالحرية فلا يمنع أى شخص من تبعنا الملوكية من اجراء رسوم الدين المتمسك به ولا يؤذى بالنسبة لثمسكه به ولا يجبر على تبديل دينه ومذهبه ولكن انتخاب وتعيين خدمة ومأمورى سلطنتنا السنية منوطا باستنساب ارادتنا الملوكية فيصير قبول تبعه دولتنا العلية من أى ملة كانت فى خدماتها ومأموراتها بحيث يكون استخدامهم فى المأمورات بالتطبيق للنظامات المرعية الاجراء فى حق العموم بحسب استعدادهم وأهليتهم واذا قاموا بإيفاء الشروط المقررة بالنظامات الملوكية المختصة بالمكاتب التابعة لسلطنتنا السنية بالنسبة للنسب والامتحانات يصير قبولهم فى مدارسنا المسكية والعسكرية بلا فرق ولا تمييز بينهم وبين المسلمين وعذا ذلك فان كل طائفة ماذونة باعداد مكاتب أهلية للمعارف والحرف والصنائع انما طرق التدريس واتخاب المعلمين يكون تحت ملاحظة مجلس المعارف المختلط المعنية أعضاؤه من طرفنا الملوكي ونحال كافة الدعاوى التجارية أو الجنائية التى تقع بين المسلمين والمسيحيين وسائر الملل الغير مسلمة أو بين التبعة المسيحية وسائر التبعة الغير مسلمة مع بعضهم على الدواوين المختلطة والمجالس التى تعقد من قبل هؤلاء الدواوين واستماع الدعاوى يكون علناً بمواجهة المدعى والمدعى عليه وتصدق شهادة الشهود الذين يقدمانهم بمجرد تحليفهم اليمين بحسب قواعدهم ومذاهبهم والدعاوى المختصة بالحقوق العادية يصير رؤيتها بالمجالس المختلطة بالولايات والمديريات بحضور كل من القاضى والوالى ويكون اجراء هذه المحاكمات بهذه المحاكم والمجالس علناً واذا وجدت دعاوى مثل حقوق الميراث التى تقع بين اثنين من المسيحيين أو سائر التبعة الغير مسلمة ورغب أصحاب الدعاوى رؤيتها بمعرفة المجالس أو بطرف البطريرك أو الرؤساء الروحانيين بغير احوالها على الجهة التى يرغبونها والمرافعات التى يصير اجرائها بحسب قانون التجارة والجنائيات يصير نهوها بكل سرعة بعد ضبطها وتنقيحها وترجمتها للالسن المختلفة المتداولة فى ممالكنا المحروسة الملوكية ونشرها أولا فاولا وبمباشرة اصلاح كافة السجون المخصوصة لحبس مستحقى التاديبات الجزائية ومن تنصرفهم بالشبهة فى مدة قليلة بحسب ما تقتضيه الانسانية والعدالة وتلقى كافة المعاملات المشابهة للايداء والجزآت البدنية. ومن يكون مسجوناً لا يعامل بغير المعاملات الموافقة لنظامات الضبط المدونة من قبل سلطنتنا السنية وفصلاً عن منع الحركات التى ستقع مخالفة لها بالكافة فانه سيصير تاديب من يامر باجراء ما يخالف ذلك من المأمورين ومن يجريه من الخدماء بمقتضى الجزآت وستنظم الضبطيات بصورة تستدعى الامنية الحقيقية والحفاظة على أموال وأرواح كافة التبعة الملوكية سواء كانوا بدار

السلطنة السنية أو بالولايات والمدن والقرى وكما أن مساواة الخراج تستوجب مساواة سائر التكاليف والمساواة في الحقوق تستدعي المساواة في الوظائف فالمسيحيون وسائر التبعية الغير مسلمة يسحبون عمرة قرعة مثل المسلمين ويجبرون على الاقياد للقرار الصادر أخيراً وتجري عليهم أحكام المعافاة من الخدمة العسكرية بتقديم البديل الشخصي أو النقدي ويصير تدوين القوانين اللازمة لاستخدام التبعية الغير مسلمة في أقرب وقت من الزمن ونشرها واعلانها وانتخب أعضاء المجالس الموجودة بالولايات والمدريات من التبعية المسلمة والمسيحية وغيرهما بصورة صحيحة ولاجل التامين على ظهور الآراء الحقيقية سيصير التشبث في اصلاح الترتيبات التي تجرى في حق تشكيل هذه المجالس لاستحصال دولتنا العلية على الاسباب والوسائل المؤثرة للوقوف على الحقيقة وملاحظة صحة نتيجة الآراء والقرارات التي تعطى عن ذلك وبما أن مواد القوانين المدونة في حق بيع وتصريف العقارات والأملاك هي متساوية في حق كافة تبعتنا المملوكية فيلزم الامتثال لقوانين دولتنا العلية وترتيبات الدائرة البلدية ولاجل أن تمتنع الاجانب القوائد الجارى منحها للالهالى سيصرح لهم بالتصرف بالاملاك بعد الاتفاق الذي سيبرم بين دولتنا العلية والدول الاجنبية ولكون التكاليف والخراج الموزع على كافة تبعة سلطنتنا السنية لا ينظر فيه الى أجناسهم ومذاهبهم بل جارى تحصيله بصفة واحدة فيلزم المذاكرة في التنايب السريعة لاصلاح سوء الاستعمال الواقع في أخذ واستيفاء هذه التكاليف وبالاخص العشور وما دام ان اصول أخذ العشور جارية على التوالى بدون واسطة فيدلا عن الزام دولتنا العلية بالبرادات يصير اتخاذ هذه الصورة بدلا عنها وما دامت الاصول الحالية جارية فمن يعرض من مامورى دولتنا العلية أو من أعضاء مجالسها للدخول في الالتزامات الجارى اعلان مزادها علناً أو أخذ حصص منها يمنع ويترتب عليه الجزاء الشديد وتتعين التكاليف المحلية بصفة لا تضر بالمحصلات ولا بالتجارة الداخلية على حسب الامكان وللحصول على المبالغ المناسبة التي تخصص لاجل الاشغال العمومية يصير علاوة عوائد مخصوصة على الولايات والمدريات التي تنتفع من الطرق والمسالك المنشأة بها برأ وبجراً بمقدورها بما أنه وضيع أخيراً ترتيب خصوصى في حق تنظيم وتقديم دفاتر ايرادات ومصرفات سلطنتنا السنية في كل سنة فيصير الاعتناء باجراء كامل أحكام ذلك الترتيب ومباشرة حسن تسوية المعاشات التي يصير تخصيصها لكل من المامورين وبمعرفة مقام الصدارة الجليل يصير جلب مامور من المامورين الذين سيعينون من طرفنا الملوكة مع رؤساء كل طائفة لاجل أن يتواجدوا بالمجلس الاعلى للمذاكرة في المواد المختصة بعموم تبعة سلطنتنا السنية وهؤلاء المامورين يعينون لمدة سنة وعند ما يباشرون ماموريتهم يصير تخليفهم اليمين ولهم أن يبدوا آراءهم وملحوظاتهم بكل حرية في اجتماعات مجلسنا الاعلى العادية والتي تكون فوق العادة بدون أن يحصل لهم أدنى ضرر وتجري أحكام القوانين المختصة بالافساد والارتكاب والظلم في

حق كافة تبعة سلطتنا العلية مهما كانت جنسيتهم ومأمورياتهم وذلك بالتطبيق للاصول المشروعة ويصير تصحيح أصول العملة وتعمل الطرق المؤدية لاعتبار مالية الدولة مثل فتح البنوك وتعيين الاسباب التي تكون منبعا لثروة ممالكنا المحروسة المادية وتخصيص رأس المال المقتضى وفتح الجداول والطرق اللازمة لتسهيل نقل محصولات ممالكنا ومنع الاسباب الحائلة دون توسيع نطاق التجارة والزراعة واجراء التسهيلات الحقيقية لذلك ويلزم النظر في الاسباب المؤدية لاستفادة العلوم والمعارف الاجنبية ووضعها على التباقي في موقع الاجراء فيما يليها المصدر الاعظم المدوح الشم يلزمكم اعلان هذا الفرمان الجليل المعنون الملوكي حسب اصوله بدار السعادة ولكل طرف من ممالكنا المحروسة واجراء مقتضيات الخصائص المشرحة حسب ما توضح آنفاً وبذل جل الهمة في استحصال واستكمال الاسباب اللازمة والوسائل القوية للدوام والاستمرار على رعاية احكامها الجليلة من الآن فصاعداً ويلزمكم معرفة ذلك واعتماد علامتنا الشريفة حرر في أوائل شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٧٢ هـ

في سنة ١٢٦٥ (سنة ١٨٤٨) حدثت باوروبا حركة أفكار عمومية للحصول على نظامات دستورية ووضع حد لاستبداد الملوك فابتدأت بباريس في شهر فبراير من السنة المذكورة وكانت نتيجةها اسقاط حكومة لويس فيليب (١) الملوكية والمناذاة بالجمهورية الثانية ثم سرت منها الى جميع الامم والشعوب فقام الاهالي في برلين وفيينا وبراغ (٢) وغيرها من العواصم طلبا للحرية حتى اوجب الحال استعمال الجنود ضد الاهالي واطلاق المدافع عليهم في هذه العواصم وامتدت أيضاً الى بلاد بولونيا التي سبق تقسيمها بين الروس والنمسا والبروسيا والى بلاد المجر التي صارت تابعة لملكية النمسا بعد انسلاخها عن الدولة العثمانية كما مر في موضعه

حركة سنة
١٨٤٨ بجميع
أوروبا

لكن لما كانت البروسيا لا نود رجوع ملكة بولونيا الى سابق وحدتها وكذلك لا ترغب انفصال المجر عن النمسا وتشكلها بهيئة حكومة مستقلة خوفاً من أن تكون حجر عثرة في طريق تقدمها نحو الاستانة أرسلت جيوشها الى بولونيا لاطفاء شر الثورة قبل امتدادها وساعدت النمسا على محاربة المجر لادخالها في طاعتها كما كانت وطلبت من الدولة العلية بالحاج كاديفضي الى القتال تسليم من التجأ الى بلادها من زعماء المجر فامتنعت الدولة عن تسليمهم

(١) ولد سنة ١٧٧٣ ولما قامت الثورة مال اليها طمعا في الحصول على الملك ثم هاجر حينما ألغيت الملوكية كلية وبقي خارجا عن بلاده الى سنة ١٨١٤ فعاد مع لويس الثامن عشر وفي ٣١ يوليوسنة ١٨٣٠ انتخب ملكا على فرنسا بعد عزل شارل العاشر الذي خلف أخاه لويس الثامن عشر بعد موته في سنة ١٨٢٤ وبقي ملكا حتى أُلجأ للثورويون الى الاستملاء في ٢٣ فبراير سنة ١٨٤٨ وهاجر الى انكلترا حتى توفي سنة ١٨٥٠

(٢) مدينة عظيمة باوروبا الوسطى يبلغ عدد سكانها ٢٥٠٠٠٠٠ نسمة وهي عاصمة بلاد بوهيميا الداخلة من ضمن مملكة النمسا والمجر مع بعض امتيازات وفي سنة ١٨٦٦ أمضي فيها بين النمسا وألمانيا الصلح الذي أخرج النمسا عن الاتحاد الألماني وجعل للبروسيا السيطرة على كل ألمانيا

اتفاق بلطه ليمان

طبقاً لفانون الدول القاضي بعدم تسليم المجرمين السياسيين
وكان من نتائج حركة سنة ١٨٤٨ العمومية أن طمحت أنظار أهالي الافلاق والبغدان
للاستقلال والانضمام الى سكان ترانسلفانيا وبكوفين لتكوين مملكة رومانية جديدة
فثارنا على أميرها واضطرتها الى الفرار وأقامت مكانه حكومة مؤقتة فارسلت الدولة
العلية جيوشها تحت قيادة عمر باشا أحد قوادها المشهورين لاعادة الاحوال الى ما كانت
عليه فارسلت روسيا عساكرها الى بلاد البغدان في ٢٢ رجب سنة ١٢٦٥ (٢٠ يونيو
سنة ١٨٤٨) وطردت الحكومة المؤقتة واحتلت امانة الافلاق فعارضت الدولة
واحتجت ضد هذا الاحتلال وصارت الحرب بينهما أقرب من قبل الوريد ثم دارت بينهما
المخبرات للوصول الى ما يمنع الحرب واتفقا أخيراً في أول مايو من السنة المذكورة على أن
يبقى حق تعيين الامراء بهاتين الولايتين للدولة العلية كما كان وأن يحتل البلاد جيش
مؤلف من جنود تركية وروسية مدة سبع سنوات حتى يستتب الامن وسمى هذا الاتفاق
باتفاق (بلطه ليمان) (١) نسبة الى الحل الذي أمضى فيه

أسباب حرب
القرم

قد علم مما سبق أن المناقشات كانت دائمة بين قسوس الارثوذكس والكاثوليك بشأن
الملك أو بالحري اقامة شعائر دينهم في الكنائس المعتبرة عندهم في مدينة أورشليم مهد
الديانة المسيحية كما انها منشأ الديانة الموسوية وبسعى فرنسا الحائزة بمقتضى عدة معاهدات
قديمة وخصوصاً بمقتضى الامتيازات الممنوحة لها في سنة ١٧٤٠ لحماية جميع قسوس
الكاثوليك بالممالك المحروسة تحصل هؤلاء القسوس على امتياز امتلاك هذه الكنائس
وكانت روسيا تسعى من جهة أخرى لتجريد الكاثوليك من هذا الامتياز واعطائه
للالرثوذكس لما بينها وبينهم من الوحدة المذهبية لتتمكن بواسطتهم من بث سياستها ونشر
نفوذها بين رعايا الدولة العلية المتمسكين بهذا المذهب البالغ عددهم زيادة عن عشرة ملايين
من النفوس وبالتالي يكونون لها بمثابة آلة صماء تحرر كما كيف تشاء لترويج مقاصدها
ولاشتهال فرنسا بحروب الثورة ثم الحروب النابوليونية مدة ٢٢ سنة تقريباً من
سنة ١٧٩٣ الى سنة ١٨١٥ وضعف الحكومات الملوكية بعد ذلك وحصول ثورة
سنة ١٨٤٨ لم يمكنها التمسك بحقوقها هنالك فتعدى على امتيازات قسوسها كهنة
الارثوذكس ثم لما عين نابليون الثالث (٢) رئيساً للجمهورية الفرنسية الثانية باسم

(١) فرضة صغيرة علي بوغاز البوسقور من تركية أوروبا بالقرب من الاستانة واشتهرت باسماء هذه
المعاهدة بها

(٢) هو ابن لويس بوناپرت أخي نابليون الاول الذي كان عينه أخوه ملكاً لهولاندا ولدى مدينة
باريس في ٢٠ ابريل سنة ١٨٠٨ وهاجر مع والديه بعد سقوط الامبراطورية الاولى وأقام في بلاد
سويسرة ودخل في جيشها بوظيفة ضابط وإشترك في ثورات ايطاليا وفي سنة ١٨٣٦ حضر الى مدينة ستراسبورج
وأراد احدث ثورة لقلع لويس فيليب وتمينه مكانه فلم يفلح وقبض عليه وبعد أن سجن مدة أسبوعين
فرنسا وأُنزل في الولايات المتحدة وفي سنة ١٨٤٠ أتى الى فرنسا ثانية ونزل بئر بولونيا فاضبط وحكم عليه
مجلس السناتو بالسجن المؤبد وسجن في قلعة هام الى سنة ١٨٤٦ فهرب والتجأ الى بلاد البلجيك ولما حصلت

البرنس لويز نابوليون فأنح الدولة العلمية في هذه المسئلة لارضاء الرأى العام في فرنسا واستألتة اليه فعين الباب العالى لجنة مشكيلة من عدة أعضاء مختلفى المذهب لفصلها بمة تنضى المعاهدات القديمة وهذه اللجنة قرّرت بعد عدة اجتماعات متوالية باولية السكائوليك في امتلاك عدة كنائس وأدبرة فعارضت روسيا في نفاذ هذه الانفاقية المؤرخة ١٤ ربيع الثانى سنة ١٢٦٨ الموافق ٦ فبراير سنة ١٨٥٢ وهددت الباب العالى بالحرب لو أمر بنفاذها فتددت الدولة في انفاذها لكن من جهة أخرى شددت فرنسا فى التمسك بحقوقها التى قررتها اللجنة الاخيرة وحيث أن الدولة اعمدت هذا القرار فلا بد من تنفيذ ما اعترفت بصحته ولذلك اضطرت الدولة العثمانية لتنفيذ مضمون قرار اللجنة الاخيرة

فانخذت روسيا هذا الخلاف ذريعة لتنفيذ وصية بطرس الاكبر وأرسلت البرنس (منشيكوف) من سان بطرسبورج الى الاستانة بصيغة سفير غير اعتيادى للمخابرة فى مسئلة الاماكن المقدسة ظاهراً وفى الحقيقة لم يكن القصد من ارساله الا إيجاد أسباب الشقاق للتوصل الى اعلان الحرب بحجة مقبولة لدى الدول كما سيظهر ذلك فيما بعد فسافر هذا السفير من عاصمة روسيا فى أول جمادى الاولى سنة ١٢٦٩ الموافق ١٠ فبراير سنة ١٨٥٣ ماراً باقالم روسيا الجنوبية قاصداً دار الخلافة العظمى وأخذ يراقب تجمع الجيوش بقرب التخوم العثمانية ويستعرضها باحتفال زائد لزيادة الالهام والتاثير على أفسكار رجال الدولة وعظمائها

وفى أثناء ذلك عمل القيصر نيولا على سبرأفكار (السيرهاملقن سيمور) سفير انكلترا لدى حكومته مظهرأ له ضرورة اتحاد دولتى روسيا وانكلترا معا على اضعاف نفوذ فرنسا فى الشرق وأخذ الاحتياطات لتجزئة بلاد الدولة العلمية حيث صار من المستحيل على زعمهم شفاء هذا المريض (يعنى بذلك دولتنا العثمانية المحفوظة) وخوفاً من تشتت تركته بعد وفاته عرض عليه انه يتساهل مع انكلترته لو ساعدته على نفاذ مشروعه فى اعطائها القطر المصرى وجزيرة كريد فلم يجبه السفير الانكليزى جواباً شافياً بل بالعكس أجاب القيصر

تورة فبراير سنة ١٨٤٨ أتى مسرطاً الى فرنسا وبذل جهده حتى عين رئيساً للجمهورية وفى ٢ ديسمبر سنة ١٨٥١ منع مجلس النواب من الاجتماع وسجن أعضائه وعمل كل الوسائط حتى عين رئيساً للجمهورية لمدة عشرين سنين وزيدت اختصاصاته وفى ٧ نوفمبر سنة ١٨٥١ أطلت الجمهورية وصلى شوامبراطور باسم نابوليون الثالث وفى مدته حصلت عدة حروب لم تعد على فرنسا بأقل فائدة سوى قتل عساكرها المدربة وانتقال كاهلها بالديون فحارب المكسيك بأمرىكا وأراد جعلها امبراطورية وتعين البرنس مكسيليان أخى امبراطور النمسا امبراطوراً عليها فلا يفلح وقتل أهالى المكسيك الامبراطور مكسيليان والسحبت العساكر الفرنسية وحارب روسيا فى القرم وحارب الصين وفتح ما بقى من بلاد الجزائر وأخيراً حارب البروسيا وانهمز فى واقعة سيدان فى ٢ سبتمبر سنة ١٨٧٠ وأخذ أسيراً الى ألمانيا فاندت فرنسا بالجمهورية الثالثة فى أربعة منه وهي الجمهورية الباقية للآن وتوفى فى ٩ يناير سنة ١٨٧٢ وانتهت الحرب بانهمزام فرنسا وسلخ ولايتين من بلادها وضماها الى ألمانيا

أن الأولى معالجة هذا المرض وتعمده بالعناية حتى ينقذ من مرضه ويعود لسابق قوته لانه لو مات حصلت حروب تهدر فيها الدماء أنهاراً عند تقسيم تركته ولم يكن ذلك من الدولة الانكليزية حياً بتقوية الدولة العلية أو شغفاً ببقائها بل خوفاً من امتداد الروسية في الشرق واحتلالها الاستانة فتشرك انكلتزه في ملك البحار الذي انقردت هي به

ومن جهة أخرى خابرنابليون الثالث حكومة المملكه فكتشور (١) بشأن الاتحاد مع الباب العالي لتنفيذ العهد السابقه المخصصة بالامان المقدسة حتى لا ينتشر نفوذ روسيا بين رعايا الدولة العلية الارثوذكس الذين ربما بلغ عددهم أحد عشر مليوناً من النفوس لاسما وأن حماية روسيا على اورشليم وما جاورها مما يجعل انكلترا في وجل على اقرب طرقها لمستعمراتها الهندية وهي طريق مصر فافتنعت انكلترا بضرورة مقاومة نفوذ روسيا في هذه الاصقاع خصوصاً وقد اطلعت على مقاصد القيصر التي كاشف بها السير هاملتن سيمور سفيرها لديه

ولما رأى امبراطور روسيا عدم اصفاء انكلترا لطلباته فاتفق سفير فرنسا المسمى (كستلبانك) في أمر التساهل معها على تقرير الامور في بلاد فلسطين طبق مرادها وعرض عليه أن تساهل روسيا هي أيضاً مع فرنسا في مقابلة ذلك بل وتساعدها على امتلاك القطر التونسي لتقوية نفوذها في بلاد المغرب ومراقبة اجراءات انكلترا في جزيرة مالطه لكنه لم يجد من السفير الفرنسي اذناً صاغية كما كان يؤمل لان مساعى نابليون الثالث كانت موجّهة لارجاع مجد فرنسا السابق اليها وجعلها صاحبة الكلمة في جميع احوال أوروبا كما كانت في عهد عمه نابليون الاول

هذا ولما وصل البرلس (منشيكوف) الى الاستانة بعد ان أجرى على الحدود عدة تظاهرات حريرية كان معه عدة ضباط عظام برية وبحرية صاروا يرافقونه أثناء زيارته الرسمية للوزراء من بادة التأثير على عقولهم وتظاهر بعدم مراعاة الاصول والعوائد المتبعة في مقابلة جلالة السلطان ولولا توسط سفيرى فرنسا وانكلترا لانتشبت الحرب بسبب هذه الاجراءات المغايرة لآداب السياسة فتتحقق للعموم من ذلك أن قصد الروسيا الوحيد هو اعلان الحرب على الدولة العلية وتقسيم ممالكها المحروسة ولذلك أرسلت فرنسا دوناتاتها البحرية الى مياه اليونان فالتفت مراسيمها في فرضة سلامين (٢) في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٢٦٩ الموافق ٤ أبريل سنة ١٨٥٣ استعداداً للحوادث التي لم تكن في الحسبان أما انكلترا فاذنت لمراكبها بالتربص في مالطه لحين صدور أوامر جديدة لها

- (١) ولدت هذه الملكة سنة ١٨١٩ وتولت سنة ١٨٣٧ وتزوجت في سنة ١٨٤٠ بالبرنس البرت أحد أمراء ألمانيا ورزقت منه بثانية أولاد وثلاث زوجات سنة ١٨٦١ ولم تنزل حاكمة الي يومنا هذا ١٨٩٦
- (٢) جزيرة صغرى ببلاد اليونان تبعد عن الساحل نحو أربعة كيلو مترات وشهيرة بالتحصار (نيسوكل) اليوناني على مراكب القرس بالقرب منها في سنة ١٤٨٤ قبل المسيح

وفي أثناء ذلك كان البرنس منشيكوف يبذل جهده لدى الباب العالي للحصول على تجديد شروط معاهدة (خونكاراسكليه سي) القاضية بأن يكون للروسيا حماية جميع المسيحيين الموجودين ببلاد الدولة وكان الباب العالي ياطله في الاجابة وأخيراً أعاد السلطان رشيد باشا الى منصب الصدارة الذي سبق عزله منه ارضاء للروسيا ومنعاً لاسباب الشقاق فظهر من ذلك أن السلطان قد عدل عن سياسة المسالمة وعزم على رفض طلبات روسيا وايد ذلك رشيد باشا فانه رفض طلبات البرنس منشيكوف قطعياً

ولما رأى البرنس منشيكوف هذا العدول أرسل للباب العالي بلاغاً فيها بتاريخ ٢٦ رجب سنة ١٢٦٩ الموافق ٥ مايو سنة ١٨٥٣ بطلبات دولته وطلب الاجابة عنها في مدة خمسة أيام ولما انقضت بدون أن يجاب طلبه أطلها ثمانية أيام أخرى ولما انقضت هذه المدة أيضاً بدون أن يحصل على مرغوبه الذي رفضه جلالة السلطان مع الاعلان باحترام حقوق الكنيسة الارثوذكسية قطع السفير الروسي العلاقات مع الباب العالي وبارح الاستانة على احدى مراكب روسيا في ١٧ شعبان سنة ١٢٦٩ الموافق ١٨ مايو المذكور مهدد الدولة باحتلال الجنود الروسية لامارنى الافلاق والبغدان اذا صممت على التوقف

ولما أبلغت الدولة صورة هذا البلاغ الاخير الى اللورد (استراتفورد) سفير انكلترا وهو أبلغها الى حكومته تغيرت أفكار انكلترا من جهة روسيا وتحققت سوء نيتها نحو الدولة العلية فانضمت الى فرنسا وأرسلت الى دوناتامتها بالطله أن تنضم الى الدونامة الفرنسية وتتحذ معها في كافة أعمالها ومن ثم ظهر لجميع أوروبا أن فرنسا وانكلترا متحذتان على حماية الممالك العثمانية المحروسة ضد أطماع روسيا ثم أصدرت هاتان الدولتان أوامرها الى مراكبهما بالاقتراب من بوغاز الدردنيل لمديد المساعدة للدولة العلية اذا اقتضى الحال فقامت المراكب ورست في فرضة بزيكا (١) في ٢٢ رمضان سنة ١٢٦٩ الموافق ١٥ يونيه سنة ١٨٥٣

وبعد انسحاب البرنس منشيكوف من الاستانة أرسل الميسودى لسرود (٢) وزير خارجية روسيا بلاغاً آخر الى الباب العالي وأبلغ صورته الى جميع الوزارات بقول فيه انه ان لم تقبل الدولة العلية اقتراحاته الاخيرة تحتل الجيوش الروسية ولا يبق الافلاق والبغدان حتى تعود الدولة عن اصرارها وترضخ لطلبات دولته ولما أجيب بالرفض في هذه المرة أيضاً اجتازت عساكر روسيا نهر البروث الفاصل بين

(١) فرضة متسعة عند مدخل بوغاز الدردنيل على شاطئ آسيا وتبعد بنحو ٢٧٥ كيلومتر عن مدينة الاستانة وهي ذات أهمية حربية عظيمة

(٢) سياسي روسي شهير كان يثق به الامبراطور اسكندر الاول لانه كان مساعداً له على سياسة الاتحاد المقدس المبني على اكراه الامم الساعية في الاستقلال على البقاء تحت الحكومات الملكية واشترك في كافة المعاهدات المهمة مثل معاهدتي أدرنه وخونكاراسكليه سي وتوفي سنة ١٨٦٢

أملاك الدولتين في ٢٥ رمضان سنة ١٢٦٩ الموافق ٢ يوليو سنة ١٨٥٣ واحتلت الولاياتين فعلا إذ لم يخطر ببال الروسيا أن الدول القريبة تتألب مع الدولة العلية على محاربتها لحماية الدولة ومن جهة أخرى كان يظن أن فرنسوا جوزيف (١) امبراطور النمسا والمجر يعضده على الدولة العلية لئلا عليه من الايدى البيضاء في اقحام الثورة المجرية سنة ١٨٤٨

وحقيقة كان مركز فرنسوا جوزيف حرجا لانه كان لا بدري أى الطريقين يسلك أتحذ مع الروسيا على الدولة العلية لجرّد مقابلة الجميل بمثله مع مخالفة هذا التحالف لمصالح بلاده أم يراعى المصلحة السياسية فقط التي لا تلائمها الاحساسات القلبية في الغالب وأثناء نزده هذا بذل جهده في التوفيق بين الروسيا وجارتها منعا للحرب فيتحلص هو من هذه المسئلة بدون أن يرمى بكفران الجميل وأوعز الى الدول بمجمع مؤتمر بمدينة فينائه تحت رئاسة ناظر خارجيته لاصلاح ذات البين بين الدولتين المتعاديين وأن يطلب منهما عدم اعلان الحرب حتى تتم مأمورية هذا المؤتمر بل تقربص جيوشهما على ضفتي نهر الطونة فقبلت الدول ذلك والعقد المؤتمر في غضون شهر ذي الحجة سنة ١٢٦٩ الموافق شهر أغسطس سنة ١٨٥٣ بويانه واهتم مندوبو الروسيا والنمسا بالاتحاد مع مندوبى فرنسا وانكلترا في التوفيق بين الخصمين واصلاح ذات بينهما منعا لسفك الدماء واشتعال نيران الحرب التي ربما عمت أوروبا بأسرها وعظم خطيها وتحرّكت بسبب اشتغال الدول بهذه الحروب والافكار الثورية التي هاجت في سنة ١٨٤٨ وكادت تقلب جميع الحكومات الملوكية وبعد عدّة جلسات أقرّ المؤتمر على صورة وفاق قبلته الروسيا لعدم ظهور عبارته وغموض الشائء لتؤوّله فيما بعد على ما ينطبق على غايتها ويوافق أغراضها ورفضها الباب العالي لهذا السبب بعينه ولرغمته في عدم وجود عراقيل في المستقبل بسبب تأويل عباراته وبذلك انقضّ المؤتمر بدون جدوى وتحقق الجميع سوء مقاصد الروسيا وشجعت فرنسا وانكلترا الباب العالي على عدم التسليم بطلبات الروسيا والثبات في الدفاع عن حقوقه واعدة اياه بالمساعدة المادية على الروسيا فأرسل الباب العالي الى البرلس جورتشا كوف (٢) قائد الجيوش الروسية المحتلة لولايتى الافلاق والبغدان بلاغا تاريخه أوّل محرم سنة ١٢٧٠ الموافق ٤ اكتوبر سنة ١٨٥٣ باخلاء هاتين الولايتين في ظرف خمسة عشر يوماً والافتعير بقاء الجيوش فيها اعلانا للحرب وأمرت عمر باشا سرعسكر الجيوش العثمانية (٣)

- (١) ولد هذا الامبراطور في ١٨ أغسطس سنة ١٨٣٠ وتولى الملك في ٢ ديسمبر سنة ١٨٤٨ عقب استقالة عمه الامبراطور فردنان الاول وتنازل والده عن حقه في الملك وتزوج بينت دوك بافيري في ٢٤ ابريل سنة ١٨٦٤ ولم يزل ماسكا حتى الان
- (٢) قائد روسي ولد سنة ١٧٩٥ وتوفي سنة ١٨٦١ وامتاز في حزب القرم وهو ابن عم البرلس جورتشا كوف السياسي المعروف
- (٣) قائد عثماني شهير فمساوى الاصل ولد ببلاد كرواسيا سنة ١٨٠٦ وخدم مدة في الجيش النمساوى ثم

بعبور نهر الطونة وابتداء الحرب بعد هذا الاجل ان لم تكن الجيوش الروسية قد أخذتها
تماماً

ولما لم تعر روسيا هذا البلاغ أذا صاغية اجتاز عمر باشا النهر في أول صفر سنة
١٢٧٠ الموافق ٢ نوفمبر سنة ١٨٥٣ وبعد موقعة عظيمة هائلة انتصرت الجيوش العثمانية
على الجيوش الروسية وأخرجتها من معاقلها الكائنة على ضفة النهر اليسرى قهراً وفاز عمر
باشا وجيوشه فوزاً أميناً أدهش جميع العالم لعدم توقع انهزام الروسية لكن بسبب الشتاء
الشديد والبرد الكثير الثلج في هذه البلاد عاد عمر باشا الى الحصون بدون أن يقتنى أثر
الجنود الروسية المنهزمة لعدم امكان ذلك مادياً وكذلك على حدود روسيا من جهة بلاد
قافقاس بآسيا اجتاز العثمانيون النخوم تحت قيادة عبده باشا واحتلت قلعة سان نقولا
عقب انتصارها على الروس ثم وقف الحرب بسبب الشتاء بعد انتصار الروس في واقعة
أخرى بدون أن يتمكنوا من استرجاع هذه القلعة وعند ما شاهد الامبراطور نقولا هذا الحال
الذي ما كان ليخطر له على بال اجتمع مع فرنسوا جوزيف امبراطور النمسا وفاوضه في
خوفه من نجدة الدول العربية (فرنسا وانكلترا) للدولة العلية وسأله المساعدة والتحالف
عليها معتمداً في ذلك على مساعدته له سنة ١٨٤٨ ضد ثائري الجرفلم يقبل الامبراطور
ذلك وأظهر له شديد أسفه من عدم اجابة طلبه لعدم ملائمة لمصالح البلاد التي ألفت
مقايدها اليه

واقعة سينوب
البحرية

وفي هذه الاثناء تقدمت السفن الفرنسية والانكليزية من فرضة بريكا الى بوغاز
البوسفور برضا الباب العالي لتكون أقرب الى البحر الاسود والى حاية الاستانة لو
حاول الروس الهجوم عليها بحراً وأرسلت فرنسا الى دار السعادة سفيراً حرياً فوق
العادة وهو القائد (باراجي ديليه) للسعى في الصالح وفي الحقيقة لدرس أحوال الدولة
العسكرية استعداداً للقتال التي كانت تستعد له فرنسا ضد روسيا وقابله جلالة السلطان
المعظم باحتفال زائد في ١٥ الحجة سنة ١٢٦٩ الموافق ١٩ سبتمبر سنة ١٨٥٣ هو
وجميع أركان حربه

وفي ٢٨ صفر سنة ١٢٧٠ الموافق ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٣ فاجأت الدونامة
الروسية تحت امره الاميرال ناشيموف الدونامة التركية الموجودة في ميناسينوب على
البحر الاسود ودمرتها عن آخرها تقريباً مع أنها كانت تعهدت لدولتي فرنسا وانكلترا
بعدم اتيان أى أمر عدواني في البحر الاسود اذا تربصت دوناتاهما في البوسفور ولم
تدخل هذا البحر ولما حصلت هذه الواقعة على حين غفلة أمرت فرنسا وانكلترا
مراكبهما بالدخول في البحر الاسود وأعلنت الروسية رسمياً انه لوتعدت احدى المراكب

هاجرا الى البوسنة ودخل في دين الاسلام واستخدم في الجيش الشاهاني وترقي تدريجاً حتى وصل الى
أعلى الرتب العسكرية وخدم الدولة الطلية بكل صداقة واخلص واتصر الى الروس في واقعة اوباتوريا
في حرب القرم وتوفي سنة ١٨٧٦

الروسية على مين الدولة أو على إحدى مراكبها تكون مراكب الدولتين مضطرة لمنعها بالقوة ودخلت سفنها الحربية في البحر المذكور في ٤ ربيع الثاني سنة ١٢٧٠ الموافق ٤ يناير سنة ١٨٥٤ ومن ذلك الحين صار لابد من الحرب قريباً بين هذه الدول والروسية لحماية الدولة العثمانية من عدوان روسيا وأطماعها لا حياء في الدولة بل خوفاً من امتداد نفوذ روسيا وبسط يدها على الاستانة

وبعد ذلك أرسل نابليون الثالث جواباً بتاريخ ٢٩ يناير سنة ١٨٥٤ الى الامبراطور نقولا بخط يده يشرح له فيسه ماهية المسئلة من أصلها وما أتتته روسيا من المماطلة والتلاعب فيها وما اقترفته من الغدر والخيانة ويعرض عليه عقد مؤتمر للنظر في الصلح بشرط خروج العساكر الروسية من ولايتي الافلاق والبغدان وتعهده له بسحب مراكبه ومراكب انكاترا من البحر الاسود لو أخلته هي هاتين الولايتين كل ذلك بعبارة مقبولة يظهر من خلالها ميل فرنسا الى الصلح مع الاستعداد للحرب فاجابه القيصر بما يشف عن عدم امكانه الرجوع عن خطته اذ اخلاء عساكره للولايتين يعدّ احجاً امام عساكر الدولة وهذا امر لا يقبله هو قط مادام عنده جندي واحد وختم خطابه بعبارة مؤداه انه لم يأت في ذلك أمراً مستغرياً فانه لا يظن أن نابليون الثالث كان يفعل غير ذلك لو كان في هذا المركز الحرج

وبهذا صار لابد من الحرب وترك سفراء روسيا لدى فرنسا وانكاترا مقر وظائفهما بناء على أمر سيدهما

وخوفاً من اتحاد النمسا والبروسيا مع فرنسا وانكاترا عليه أرسل الامبراطور نقولا الميسو اورلوف بأمورية خصوصية الى وينا و برلين ليطلب من امبراطور النمسا وملك البروسيا أن يكونا على الحيادة ان لم يرغب في مساعدته فلوقي اورلوف في وينا بما لم يجعل لدى القيصر شك في اتحاد النمسا مع أعدائه وفي برلين ما حمله على الفكر بان فريدريك غليوم ملك البروسيا (١) يكون له أكثر مما يكون عليه ثم في ١٢ جمادى الثانية سنة ١٢٧٠ الموافق ١٢ مارت سنة ١٨٥٤ أمضى بين فرنسا وانكاترا والدولة العلية في مدينة الاستانة اتفاق على محاربة روسيا وحماية الدولة العلية

ومما جاء به أن ترسل فرنسا خمسين ألف جندي وانكاترا خمسة وعشرين ألفاً بشرط أن تجلي جميعها عن بلاد الدولة بعد خمسة أسابيع تمضي من يوم عقد الصلح مع روسيا وفي ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٢٧٠ الموافق ٢٧ مارت سنة ١٨٥٤ أرسل نابليون الثالث رسالة الى مجلس النواب يخبره باعلان الحرب على روسيا بالاتحاد مع انكاترا

(١) ولد سنة ١٧٩٥ وتولي الملك سنة ١٨٤٠ بعد أخيه فريدريك غليوم الثالث ولم يأت في التاريخ أمراً يذكر وفي سنة ١٨٦٠ ضعفت قواه العقلية فحين غليوم الاول الشهير قياً عليه حتى توفي في السنة التالية فخلقه الي أن توفي هو أيضاً سنة ١٨٨٨ بعد ان لم شتات ألمانيا وأسس الامبراطورية الألمانية عقب انتصاره على فرنسا في سنتي ١٨٧٠ و ١٨٧١

وفي ١٢ رجب سنة ١٢٧٠ الموافق ١٠ ابريل من السنة المذكورة اتفقت فرنسا وأنكارتا بمقتضى معاهدة مخصوصة أمضيت في مدينة لوندريه على انهما يحفظان أملاك الدولة العلية ويعنعان ضم أى جزء منها الى بلاد روسيا وأن يقدم ما يلزم لذلك من المال والرجال لو دعى الحال لارسال جيوش أكثر من المقرر في معاهدة الاستانة وأن لا يتخبر احدهما مع روسيا بشأن الصلح أو توقيف القتال الا بالاتفاق مع حليفتهما وبعد ذلك أخذت الدولتان المتحالفتان في جمع الجيوش وما يلزم لها من المؤن والذخائر والسفن اللازمة لنقلها وجعلت الجيوش الفرنسية تحت قيادة المارشال دى سانت ارنو (١) والانكازية تحت امرة اللورد ريجلان (٢) ونزلت الجيوش المتحدة في غضون ابريل ومايو سنة ١٨٥٤ في فرضة غاليبولي والاستانة

وقبل وصول الجيوش البرية كان القتال قد ابتدئ فعلا في البحر الاسود وذلك أن الاميرال الانكازي دنداس أرسل احدى مراكبه المسماة فوربوس الى ميناء أودسا (٣) لحمل القنصل والرايا الانكازية في ٨ رجب سنة ١٢٧٠ الموافق ٦ ابريل فاطلقت القلاع قنابلها عليها مع انها كانت حاملة العلم الابيض علامة على أنها تقصد مخافة سلمية خلافا لاصول الحرب الدولية فاتفق الاميرال الانكازي مع زميله الفرنسي الاميرال هاملين على اطلاق مدافعهما على المدينة ان لم يقرّهما حاكمها اعتذاراً كافياً على هذا العمل العدائي فتصد الميناء في ٢٢ رجب الموافق ٢٠ ابريل وأبانا طلبهما الى الحاكم وأمهلاه ٢٤ ساعة

ولما انقضى يوم واحد وعشرين بدون أن ياتيهم جواب ابتدأ قذف القنابل على المدينة في صبيحة ٢٤ رجب الموافق ٢٢ منه واستمرّ اطلاقها حتى دمرت قلاع المدينة والتهمت النيران جزأ منها ثم انسحبت الاساطيل من أمامها واصطفت أمام ميناسباستوبول ودعت الدوناسة الروسية للقتال ولما لم تخرج للمحاربة كلف الاميرالان الاميرال ليونس

(١) قائد فرنساوى ولد سنة ١٧٩٨ واشتهر في محاربة العرب في بلاد الجزائر التي اكتسب فيها رتبة تدرجاً الى ان وصل الى رتبة فريق ثم رقاها نابليون الثالث الى رتبة مارشال التي تعادل رتبة المشيرية الرفيعة عندنا لمساعدته له على قلب الحكومة الجمهورية في ديسمبر سنة ١٨٥٢ وتوفي سنة ١٨٥٤ في حرب القرم بسبب مرض عاوى

(٢) قائد انكليزي شهير ولد سنة ١٧٧٨ وكان من أركان حرب الدولكدي ولنجتون الذي انتصر على نابليون الاول في وترلو وحضر هذه الموقعة الشهيرة معه وقطع بها أحد ذراعيه وتوفي في القرم سنة ١٨٥٥ بالسكوليرا

(٣) مدينة بمجنوب روسيا على البحر الاسود يبلغ عدد سكانها ٢٥٠ ألف نسمة وحركتها التجارية عظيمة جدا وبها كثير من المدارس العالية والجميات العلمية وكان اسمها حاجي بيك ولما فطنت كاترين الثانية الى أهميتها أمرت سنة ١٧٩٥ بتوسيعها وتسميتها أودساند كار المستعمرة يونانية قديمة كانت بالقرب منها تدعى أودسوس ونسب فضل تحسينها وجعلها بهذه الحالة الى الدولكدي زيشيلو فرنساوى الذي عين حاكماً لها في سنتي ١٨٠٣ و ١٨٠٤

بضرب الثغور الروسية الواقعة على البحر الاسود فقام بهذه المامورية وفي أثناء ذلك أعلن
الامبراطور نقولا الحرب على الدول المعادية له في ١٣ رجب سنة ١٢٧٠ (١١ أبريل
سنة ١٨٥٤).

وأصدر أوامره الى المارشال برنس (سكيفتش) قائد الجيوش العسكرية على ضفة نهر
الطونة الايسر بعبور النهر ومحاصرة مدينة (ساستريا) فصدع المارشال بالامر وحاصر
المدينة مدة خمسة وثلاثين يوما من ١٥ مايو الى ٢٠ يونيو سنة ١٨٥٤ (من ١٧ شعبان
الى ٢٣ رمضان سنة ١٢٧٠) بدون أن يقوى على اذلالها مع ان الجيش المحاصر
كان مكونا من ستين ألف مقاتل ولم يكن بداخلها من الجنود العثمانية الا خمسة عشر ألفا
(ضمنهم كثير من المصريين) تحت قيادة موسى باشا من مشاهير قواد الدولة الذي
استشهد في الدفاع عنها

ولما علم محالفو الدولة بتلك المقاومة التي أوقعت في قلوبهم اعتبار الجنود المظفرة وألزمهم
الاعتراف بشجاعتهم وقوة بأسهم زحفوا بحيوشهم الى مدينة ورنه بقصد مد يد المساعدة
الى المدينة المحصورة لكن لم ينتظم المارشال الروسي بل رفع الحصار عن المدينة وعاد
بجنح حنين فاقتفى عمر باشا أثره وعبر نهر الطونة خلفه بعد ان هزم مؤخر جيشه عند
مدينة (جورجيو) وكان في عزمه احتلال ولايتي الافلاق والبغدان عقب جيوش
الروسيا التي كانت ابتدأت في اخلائها لكن كانت الجيوش النمساوية قد احتلتها ومنعت عمر
باشا من اتباع عساكر روسيا حتى اجتازت نهر البروث الفاصل بين الولايتين وأملك
الروسيا بسلام

النمسا وحرب
الفرم

ولندكر هنا بطريق الايجاز المخابرات السياسية التي أدت الى احتلال النمسا للولايتين
سبق شرحنا علاقات النمسا والروسيا ومقابلة الامبراطورين في مدينة أولتس (١) وأبنا
أن النمسا كانت لا تود مساعدة روسيا كما صرح بذلك امبراطورها ولكنها من جهة
أخرى لا ترغب مساعدة الدول الغربية بل غاية أمانها أن تكون حكما بينهم وتبذل
قصارى جهدها في عدم امتداد أملاك روسيا من جهة الطونة وأن تجعل لنفسها نوع سيادة
على جميع البلاد الواقعة على ضفافه ولذلك بمجرد ما علمت باتفاق الاستانة ولوندره أبرمت
مع البروسيا اتفاقا بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٢٧٠ الموافق ٢٠ أبريل سنة ١٨٥٤ بأن تسيرا
باتفاق في المسئلة الشرقية وبلغت صورته للدول

وفي ١٧ رمضان سنة ١٢٧٠ الموافق ١٤ يونيو من السنة المذكورة اتفقت فرنسا وانكلترا
والدولة العلية مع النمسا على ان تحتل الجيوش النمساوية ولايتي الافلاق والبغدان اذا

(١) مدينة بيلاد النمسا يبلغ عدد سكانها عشرين ألفا وبها مدرسة جامعة قديمة الهد جدا أسست
سنة ١٢٥٧ ثم نقلت الى مدينة برون سنة ١٧٧٨ وأعيدت الى أولتس ثانية سنة ١٨٢٧ ولم تزل بها
حتى الآن

أختلما روسيا وأن تتحد معهما في محاربة روسيا لواجتازت جيوشها جبال البلقان وبمقتضى هذه الاتفاقات دخلت جيوش النمسا في هاتين الولايتين بمجرد انسحاب جيوش روسيا منها أولا بأول ولم تعترض روسيا ضد هذا الاحتلال خوفاً من اغتصاب النمسا ودخولها في التحالف المنعقد ضدها لتفضيلها وجود جيوش النمسا فيها على وجود الاتراك أو الفرنسيين لعدم ميل النمسا للحرب ورجوع جيوش روسيا خلف نهر البروث وحيلولة جيوش النمسا بينها وبين نهر الطونه زال الخوف من هذه الجهة ثم اجتمع قواد الجيوش المتحالفة في مدينة ورنه في ٢٥ شوال سنة ١٢٧٠ (٢١ يوليو سنة ١٨٥٤) بصيغة مجلس حرب وقرروا ضرورة نقل ميدان القتال في أراضي روسيا لاسيما وقد نفشت الكوليرا بين عساكرهم وأجمعوا على ارسال العساكر الى بلاد القرم ومحاصرة نهر سباستوبول الشهير بمناعة حصونه وقلاعهم فارسلت الى بحيت جزيرة القرم ستين ألف جندي من الفرنسيين والأتراك والانكاز والمصريين أنزلوا في فرضة (ايباتوريا) في ٢٠ الحجة سنة ١٢٧٠ الموافق ١٣ سبتمبر سنة ١٨٥٤

وفي ٢٧ الحجة (٢٠ سبتمبر) حصلت أول موقعة بينهم وبين جيوش روسيا كانت الدائرة فيها على روسيا واحتل الفرنسيون عقبها المرتفعات المشرفة على نهر (المال) ويقال ان المارشال دي سانت ارنو ضرب خيمته في نفس المحل الذي كانت فيه خيمة القائد الروسي البرنس منشيكوف

ولم تتبع الجيوش المتحالفة عساكر روسيا في انكسارها وتقهقرها نحو مدينة سباستوبول بل تربصت في مكانها ويقول العارفون انها لو اقتفت أثرها لدخلت المدينة بدون كثير عناء لعدم اكامل استحكاماتها لكن منع المتحالفين عن ذلك اعتقادهم في قوة روسيا ومناعة المكان

وفي ٣ محرم سنة ١٢٧١ (٢٦ سبتمبر) هاجم المتحالفون فرضة (بلاكلوا) ودخلوها عنوة في يوم ٥ محرم (٢٨ سبتمبر) لاحتياجهم اليها كميناً آميناً لنزول الجنود والمؤن والذخائر الاتية لهم من أوروبا وفي أثناء ذلك أمكن الروس اتمام تحصين مدينة سباستوبول براً وبحراً بكيفية جعلت الاستيلاء عليها من المستحيلات بهمة القائد الشهير تودلين (١) وفي ٦ محرم (٢٩ سبتمبر سنة ١٨٥٤) توفي المارشال دي سانت ارنو قائد عموم الجيوش الفرنسية وأخلفه الجنرال كانروبر (٢) وكان موته بسبب الحميات التي تفشت في

(١) قائد روسي ولد سنة ١٨١٨ وتعلم الفنون الحربية في مدرسة أركان حرب وابتدأت شهرته في بلاد القافقاس سنة ١٨٤٨ وازدادت في اقامة الحصون والاستحكامات حول سباستوبول تحت نيران الاعداء وفي سنة ١٨٧٧ ولي ادارة حصار بلغنه فقتلها كما ستري وتوفي في سنة ١٨٨٤
(٢) ولد هذا القائد الشهير في سنة ١٨٠٩ ودرس الفنون الحربية في مدرسة سان سير وترقي منها الى رتبة ملازم ثاني وفي يناير سنة ١٨٥٠ ترقى الى رتبة لواء وفي سنة ١٨٥٣ أعطيت اليه رتبة فريق وفي ١٨ مارس سنة ١٨٨٦ ترقى الى رتبة مشير (مارشال) واشترك في حرب ايطاليا سنة ١٨٥٩ وأخذ أسيراً

الجيوش وقتلت نجتته على السفينة الحربية التي ألقته عند مجيئه من فرنسا الى الاستانة حيث كانت امرأته بانتظاره فاجريت له التعظيمات العسكرية اللائقة برتبته ومنها الى مرسيليا فباريس ودفن في سراي الاقالييد (١)
وفي يوم ١٦ اكتوبر من السنة المذكورة قررت الحكومة الفرنسية اعطاء امرأته بصفة استثنائية مبلغ ٢٠ ألف فرنك سنويا معاشا لها

وفي ١٧ محرم (١٠ اكتوبر) ابتدئ اطلاق النار على سباستوبول
وفي ٢٤ محرم (١٧ اكتوبر) هوجمت بكل شدة بدون جدوى اذ تمهقرت الجيوش المتحالفة أمام العدو وخرج خلفهم الجنرال (لبراندى) قاصداً مدينة بلكلاوا وارتد على أعقابيه بعد موقعة هائلة حصلت في ٢ صفر سنة ١٢٧١ (٢٥ اكتوبر)

وفي ١٣ صفر (٥ نوفمبر) خرج الروس من قلاعهم وهاجموا الجيش الانكليزي على مرتفعات (انكرمان) وكان الانكليز لا يتجاوز عددهم عشرين ألفاً لكنهم ثبتوا حتى أسعقهم الفرنسيون والعمانيون بالنجدة فعاد الروس بخفي خنين وهذه الموقعة شهيرة في التاريخ الحربي لما أناه خيالة الانكليز ومشاتهم من الثبات وقوة الجأش
وبعد ذلك أوقف القتال بسبب دخول البرد وانتشار الامراض في الجيوش المحاصرة واستمرت أعمال الحصار والدفاع حول مدينة سباستوبول وداخلها

وفي هذه السنة أرسلت فرنسا وانكلترا دوناتهما الى بحر بلطيق والبحر الابيض الشمالي والاقيانوس بالاسميفيكي لضرب الثغور الروسية لكن لم تعد هذه الارسانيات البحرية بفوائد تعادل مصاريفها فقط استولى الاميرال (ناير) الانكليزي في ٢٢ القعدة سنة ١٢٧٠ (١٦ أغسطس سنة ١٨٥٤) على جزيرة (رومرسند) في بحر بلطيق بمساعدة القائد الفرنسي راجي ديليه وأسر حاميتها

وفي أواخر هذه السنة دارت المخابرات ثانياً في مدينة وينا للوصول الى الصلح وإيقاف اضرار الحرب قبل اشتدادها وذلك أن فرنسا وانكلترا عرضتا على النمسا أن تحمد معها ضد روسيا بمعنى انها تتعهد بحماية ولايتي الافلاق والبغدان ضد روسيا وأنه لا يجوز لاحدى الدول الثلاث المخاطبة مع روسيا الا باطلاع حليفتيها الاخيرتين وأن فرنسا وانكلترا يساعداً النمسا بالقوة لو أعلنت الحرب بينها وبين روسيا بسبب هذه المعاهدة فقبلت النمسا هذه الاقتراحات مبدئياً وعرضتها على ملك بروسيا اتباعاً لشروط الوفاق الذي عقد بينهما في برلين وسبق ذكره في موضعه فلم يقبلها فريدريك غليوم بل ألح على فرنسا

في ألمانيا مع المارشال بازين وبعد انتهاء الحرب اشتغل بالسياسة نوعاً مع حزب البونابرتين وتوفي في ٢٨ يناير سنة ١٨٩٥

(١) تأسست هذه السراي سنة ١٦٧٠ في عهد الملك لويس الرابع عشر لتكون ملجأ لمن يضاب بمهمات دائمة من الجند أثناء الحرب تمنحه من القيام بالخدمة وكان تأسيسها عن طلب الوزير لوفوا ودفنت بها جثة نابليون الاول حينما نقلت في سنة ١٨٤٠ من جزيرة سانت هيلانة التي توفي بها

جوزيف برفضها لكن لم يصنع هذا الاخير للاحاحه بل صدق عليها نهائياً في ١١ ربيع
أول سنة ١٢٧١ (٢ دسمبر سنة ١٨٥٤) وأعلن البرنس (غورنشا كوف) الذي خلف
المسيو (مياندورف) في سفارة روسيا بمدينة ويانه انه ان لم تقبل روسيا الصلح قبل
ختام السنة وتتعهد للدول الاربع بطلباتها وهي
﴿ أولاً ﴾ عدم استئثار روسيا بحماية مسيحيي الدولة العلية وحماية ولايتي الافلاق
والبغدان

﴿ ثانياً ﴾ حرية الملاحة لجميع الدول في نهر الطونه
﴿ ثالثاً ﴾ تعديل المعاهدات المختصة بالمرور في بوغازات الاستانة وخصوصاً معاهدة

سنة ١٨٤١

﴿ رابعاً ﴾ وضع قاعدة جديدة لتوازن القوى في البحر الاسود فتكون هذه المعاهدة
الثلاثية الجديدة نافذة المقبول فاطهر البرنس غورنشا كوف ارتياحه لاجابة هذه
الطلبات غير أنه اعتذر بعدم وجود تعليمات لديه تبيح له التصديق عليها وطلب مهلة قليلة
لتبلغ صورة هذه الطلبات لدولته وطلب تعليمات جديدة منها ثم في ٢٨ دسمبر اجتمع
سفراء انكرا وفرنسا والروسيا والنمسا عند وزير خارجية ويانه وقرروا اعطاء المهلة
المطلوبة وبذلك انتهت هذه السنة والامال متجهة نحو الوصول الى صلح عمومي يكون وراءه
حقن دماء العباد واستمرت الاستعدادات حول سياسات بول ودخلها مدة الشتاء وفي ٢٩
جمادى الاولى سنة ١٢٧١ الموافق ١٧ فبراير سنة ١٨٥٥ هاجم الروس العثمانيين
ومن كان معهم من الجنود المصرية التي ارسلت من مصر للمساعدة وقت الحرب طبقاً
لقرمانات في مدينة أوبانويافردتهم عمر باشا القائد العثماني على أعقابهم بعد أن قتل منهم
عدد أعظم وقتل في هذا اليوم سلم باشا الشهير بابي طربوش قائد الفرقة المصرية ومما جعل
هذه الواقعة تأثيراً شديداً على الامبراطور نقولاً أن الجيوش الاوربية لم تساعد العثمانيين
فيها بل كان النصر بمجرد فضل الجيوش الاسلامية التي كثيراً ما فازت على الروس وغيرهم
بالغلبة ويقال ان ما أصاب الامبراطور الروسي من الكدر عقب هذه الكسرة كان من
أكبر دواعي المرض الذي أصابه في ١٠ جمادى الثاني الموافق ٢٨ فبراير من السنة المذكورة
فلم يمض له الا ثلاث ليالٍ وألحقه برمسه في صبيحة ١٢ جمادى الثاني الموافق ٢ مارت عن
تسع وخمسين سنة بعد أن حكم روسيا وملكها ثلاثين سنة وخلفه على سرير الملك ابنه
اسكندر الثاني (١)

(١) ولد هذا الامبراطور سنة ١٨١٨ وتولى الملك في ٢ مارت سنة ١٨٥٥ بعد موت أبيه الامبراطور
نقولا فتم حرب القرم وأفضى معاهدة باريس في ٣٠ مارت سنة ١٨٥٦ ثم أخذ في اصلاح الشؤون الداخلية
والاستعداد للاخذ بالتار فجعل التعليم والخدمة العسكرية اجبارية وفي سنة ١٨٦١ أصدر أسراً بدم
استرقاق المزارعين وتخليصهم منفعة الأراضي التي يزرعونها مقابل دفع جمل من ملاكها الاصليين وأجاز
لهم شراء الديار وباع اقليم الاسكابيكا الى حكومة الولايات المتحدة بخمسة وثلاثين مليون فرنك ليتفرغ

هذا وفي ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٧٢ الموافق ٢٦ يناير سنة ١٨٥٥ أمضى
فكتور عمانويل (١) ملك البيمونتي بإيطاليا بمساعي وزيره الشهير المسيودي كافور (٢)
معاهدة هجومية ودفاعية ضد روسيا وأرسلت إلى بلاد القرم جيشاً مؤلف من ثمانية عشر
ألف مقاتل تحت إمرة الجنرال (لامارمورا) للاشتراك في فتح قلعة سيستوبول وإذلال
الروسيا واستمرت المناوشات بدون كثير فائدة لاحد الطرفين ثم حصل خلاف بين اللورد
(رجلان) القائد العام الانكليزي والجنرال (كانروبر) القائد العام الفرنسي أفضت
إلى تنازل القائد الفرنسي في ٢٢ شعبان سنة ١٢٧١ الموافق ١٠ مايو سنة ١٨٥٥ عن
القيادة العامة واكتفاه بقيادة فرقة ونيطت قيادة الجيش الفرنسي إلى الجنرال بليسيه
الذي اشتهر في الجزائر بمعاملة المسلمين بكل شدة وتوحش وهو بعد قليل اتفق مع اللورد
رجلان واحتلوا مدينة (كريش) وبوغاز بركوب وبحر آذاق ليمنعوا وصول المدد
إلى سيستوبول ومن ذلك الحين أيقن الجميع بقرب سقوط سيستوبول ففي ٢١
رمضان سنة ١٢٧١ الموافق ٧ يونيو سقطت القلعة المعروفة بالقمة الخضراء
(ماملون فير) وفي ٢ شوال الموافق ١٨ يونيو هاجم الفرنسيون حصن (ملاكوف)
وطادوا بدون أن يتمكنوا من الاستيلاء عليه بعد أن توفي كثير منهم وكذلك لم يفلح الانكليز
في هجومهم في اليوم المذكور على قلعة (جران ريدان) وبعدها هذه الخيبة بعشرة أيام توفي
اللورد رجلان بالسكوليرا وشيعت جنازته باحتفال زائد وأرسلت جثته لتدفن ببلاده بما
يليق لها من التمجلة والاكرام وخلقه في القيادة العامة على الجيوش الانكليزية والجنرال

لبلاده وفتح مدينة سمرقند وأخضع امارات خيوة وبخارا وخوقند وغيرها من بلاد آسيا وفي سنة ١٨٦٣
سلب امتيازات بولونيا وفي سنة ١٨٧٦ ساعد العرب على محاربة الدولة العلية ثم أعلن الحرب عليها
وبعد عدة انتصارات أمضى معها معاهدة برلين في ١٣ بوليه سنة ١٨٧٨ لكن رغما عن اصلاحاته المدينة
امتدت فروع حزب النهلست في أيامه وسعوا في قتله سرا وأقتلوه أخيراً في ١٣ مارس سنة ١٨٨١ وخلقه
ابنه اسكندر الثالث الذي توفي في أول نوفمبر سنة ١٨٩٤ وتولى بعده ابنه نقولا الثاني الموجود الآن
(١) هو محرر إيطاليا من ربة الاجانب وموجد وحدتها ولد سنة ١٨٢٠ وعين ملكاً بعد استقالة
والده شارل البرت عقب انهمازه أمام جيوش النمسا في ٢٣ مارس سنة ١٨٤٩ ومن ثم انضم مع وزيره
الاول المسيودي كافور انضم شتات إيطاليا فأنضم مع نابوليون الثالث وحاربا النمسا وأخذ منها إقليم لومبارد
ثم انضم إليها أغلب ولايات إيطاليا الوسطي ولم تأت سنة ١٨٦٦ الا وانضمت جميع أجزاء إيطاليا ماعدا
مدينة رومه وفي ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٧٠ دخلها الايطاليون وبذلك تمت وحدتها وصارت رومه عاصمة
ها وتنازل لفرنسا عن مدينة نيس وولاية سافوا نظير مساعدتها له وتوفي سنة ١٨٧٨
(٢) هو السياسي الشهير الذي له اليد الطولي في توحيد إيطاليا وإليه يرجع معظم الفخري في جمع شتاتها
ولد سنة ١٨١٠ بمدينة تورينو بإيطاليا وخدم أولاً في العسكرية ثم تركها واشتغل بالعلوم السياسية
والاقتصادية حتى عين وزيراً للتجارة سنة ١٨٤٩ وأضيفت إلى عهده وزارة المالية أيضاً في سنة ١٨٥١
وفي السنة التالية صار رئيساً لمجلس الوزراء وتوفي في ٦ يونيو سنة ١٨٦١ قبل أن يرى نتيجة أعماله
وقبل وفاته زاره الملك فكتور عمانويل فإوصاه باحتلال رومه مع عدم مس استغلال البابا فيما يختص
بالامور الدينية فاحتلها في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٧٠ أثناء اشتغال فرنسا بمحاربة ألمانيا

جس سمبسون وفي ١٢ الحجة سنة ١٢٧١ الموافق ١٦ أغسطس انتصر المتحدون في واقعة (تراكيو) وفي يوم ٣ الحجة الموافق ١٧ منه ابتداء إطلاق المدافع على حصن ملاكوف بدون انقطاع تقريباً الى ظهر ٢٥ الحجة الموافق ٨ سبتمبر وفي اليوم المذكور احتل الجنرال (ماك ماهون) (١) الفرنسي القلعة المذكورة بعد أن دافع عنها الروس دفاع الايطال واحتل الانكاز قلعة جران ريدان ثم التزموا باخلاؤها بعد نسفها بالبارود لعدم امكانهم البقاء فيها لانهم المقتذوفات الروسية عليهم انهيار الامطار وفي مساء هذا اليوم المشهود أدخل الروس مدينة سياستوبول بعد أن أحرقوها عن آخرها وفي يوم ٢٦ الحجة الموافق ٩ سبتمبر احتلتها الجيوش المتحدة أو بالحرى احتلوا أطلالها

وبعد ذلك سارت الجيوش المتحدة نحو مدينة (قابران) فاحتلتها في ٢ صفر سنة ١٢٧٢ الموافق ١٤ أكتوبر وفي اليوم التالي هدم الروس قلاع مدينة أوتشاكوف وأخلوها قاصدين داخلية البلاد ولولا ابتداء فصل الشتاء الذي يأتي مبكراً بهذه البلاد لما وجدت الروسية من الجيوش ما يكفي لايقاف أعدائها عن مدينة (كيف) المقدسة لديهم

هذا وفي أثناء سنة ١٨٥٥ أطلقت دوناتات فرنسا والكاثا قنابلها على عدة ثغور في بحر بلطيق وعطلت التجارة الروسية بالمرء وكذلك حاصرت مدخل البحر الأبيض الشمالي ومنعت المراكب التجارية من الدخول فيه بالسكية

وفي المحيط الهاسفيكي احتلت الجيوش المتحدة ميناء (بزو بولونسك) الشهيرة التي ستكون في المستقبل من أهم ثغور العالم بعد امتداد الخط الحديدي المشروع في مدته في أراضي سيبيريا لتوصيلها بأوروبا ولم يكن للروسيا سلوان عن جميع هذه المصائب المتوالية الاستيلاء على قلعة قارص المعلومة الواقعة على حدود آسيا الصغرى في ١٨ ربيع الاول سنة

١٢٧٢ الموافق ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٥٥

وبعد ذلك لم تحصل وقائع حربية مهمة بل دخلت المسئلة في دور سياسي لتحقيق اسكندر الثاني عدم الفوز خصوصاً وان النمسا قد أظهرت له العداوة جهاراً بعد سقوط سياستوبول وانضمت مملكة السويد الى التحالف الاوروي ضدها وبيان ذلك أن البرلس غورثشاكوف السفير الروسي بويانه أنهتة تعليلات في أواخر سنة

(١) ولد هذا القائد الشهير سنة ١٨٠٨ ونخرج في مدرسة سان سير البحرية وترقى الى رتبة ملازم ثاني سنة ١٨٢٧ ثم ترقى تدريجاً الى أن وصل الى رتبة فريق سنة ١٨٥٢ وفي سنة ١٨٥٩ أنعم عليه برتبة مارشالي (مشير) واليه يرجع معظم الفخر الذي حازته فرنسا في موقعة (ماجنتا) بإيطاليا في يونيو سنة ١٨٥٩ ولذلك منحه نابليون الثالث لقب (دوك دي ماجنتا) وفي ٢٤ ما يوسنة ١٨٧٣ انتخب رئيساً للجمهورية الفرنسية عقب استقالة الميسيو (تيرس) وفي ٣٠ يناير سنة ١٨٧٩ قدم استقفاه الى مجلس النواب لظروف ومناسبات سياسية وبقي بمنزلة الاعمال الى أن توفي في ١٧ أكتوبر سنة ١٨٩٣

١٨٥٤ تجيز له المخابرة وجعل أساسها الطلبات الدولية الأربع التي سبق ذكرها فقبلت الدول مع حفظ الحرية لها في الأعمال الحربية وانعقد مؤتمر جديد في ويانه في شهر فبراير سنة ١٨٥٥ حضره اللورد (رسل) من قبل انكلترا والمسيو دروان دي لويس (١) من قبل فرنسا والبرنس غورتشا كوف عن روسيا والكونت (دي بول) عن النمسا والوزير عالي باشا عن الدولة العثمانية وبعد عدة اجتماعات متوالية انفض المؤتمر على أن لا شيء لأن المندوبين الفرنسيين والانسكايزي طلبوا زيادة على الطلبات الأربع الاصلية أن يكون البحر الاسود حراً لجميع الدول وأن لا يكون للروسيا فيه سوى ثمان مراكب حربية فقط فلم يمكن البرنس غورتشا كوف التصديق على ذلك تمسكاً بالأوامر المرسلة اليه ولتناسية اشتغال روسيا بمحاصرة سياسيتوبول واشتداد الحروب حولها من جهة وحصولها على بعض انتصارات جزئية على أعدائها ابطأت في ارسال التعليمات الجديدة اليه طمعاً في تغير الاحوال وتحسينها فرفض طلبات الدول بمقاب قوى اسكن خاب ظنهما فسقطت سياسيتوبول في ٢٥ الحجة سنة ١٢٧١ الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٨٥٥ وبذا تظاهرت باقي الدول ضدها خصوصاً بمملكة السويد التي كانت تستعمل معها روسيا طرق التهديد والوعيد للحصول على بعض امتيازات تخص بالصيد على شواطئ النرويج فبرمت مع فرنسا وانكلترا معاهدة هجومية ودفاعية ضد روسيا في ١٠ ربيع الاول سنة ١٢٧٢ الموافق ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٥٢ وأعلنتها رسمياً لجميع الدول وبذلك تحققت روسيا انه صار من المستحيل عليها الانتصار على جميع هذه القوى المتآلفة ضدها ومالت الى السلم قلباً وقالباً منتظرة أقل مفاتحة من الدول العربية فتليها بالقبول

وفي أواخر سنة ١٨٥٥ عرضت النمسا على جميع الدول المتحدة بلسان أكبروزرائها الكونت (دي بول) أن يرسل الى روسيا بلاغاً نهائياً بطلبات الدول الاصلية مع ما سبق عرضه من الاقتراحات أثناء المؤتمر الذي انعقد أخيراً بمدينة ويانه في مارت وأبريل سنة ١٨٥٥ وان لم تجب روسيا جميع هذه الاقتراحات يستأنف القتال في ربيع سنة ١٨٥٦ بكل شدة وصرامة وتنضم الى الجيوش الحاربة جيوش النمسا ومملكة السويد والنرويج

فاقررت الدول على ذلك وقبلت روسيا هذه الاقتراحات الاكثر تأثيراً على نفوذها مما رفضته في السابق وبعد مخاضات طويلة تم الاتفاق على أن ينعقد مؤتمر سام جديد

(١) سياسي فرنساوي ولد بباريس سنة ١٨٠٥ وتربى بمدرسة لوزان الكبرى ولا أتم دروسه بها دخل في الوظائف السياسية وفي سنة ١٨٤٩ عين سفيراً بلوندره وفي أثناء حكومة نابليون الثالث عين ناظر الخارجية مرتين الاولى من سنة ١٨٥٢ الى سنة ١٨٥٥ واستعفى لمدم موافقته على حرب القرم لتحققه انها في صالح الانكليز ولم يمد منها على فرنسا أقل فائدة والثانية من سنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٦٦ واستقال أيضاً ليرغبته بتدخل فرنسا عسكرياً بين النمسا والبروسيا حتى لا تفوز البروسيا بالسيادة على جميع امارات ألمانيا والخراج النمسا من التحالف الألماني وعدم موافقة الامبراطور له وتوفي سنة ١٨٨٠

في مدينة باريس لتقرير السلم نهائياً وأمضى بذلك اتفاق في مدينة وياينه بتاريخ ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٢٧٢ الموافق أول فبراير سنة ١٨٥٦ وانعقد هذا المؤتمر فعلا في باريس في يوم ١٨ جمادى الثانية الموافق ٢٥ فبراير المذكور والايام التالية واختار لرأسته الكونت (ولوسكى) (١) وزير خارجية فراسا وتوالت اجتماعات هذا المؤتمر الى ٢٣ رجب سنة ١٢٧٢ الموافق ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ وفيه أمضيت جميع بنود معاهدة باريس الشهيرة التي أوصلت نابليون الثالث الى أوج فخاره وأعادت لفرنسا سابق مجدها اذ أنها لم تشترك في مثل هذه الحرب من عهد نابليون الاول وحفظت للدولة العلية أملاكها من غوائل روسيا

واليك نص المعاهدة حرفيا نقلا عن الجزء الخامس من كنز الرغائب في منتخبات الجواب

﴿ بسم الله القادر على كل شيء ﴾

ان امبراطور الفرنسيين وملكة المملكة المتحدة من بريطانيا العظمى وارلاندا وامبراطور جميع روسيا وملك سردينيا وسلاطنة النمسا العثمانية رغبهم في انهاء غوائل الحرب وتلافى ما نشأ عنها من الصروف والمكاره قرّ رأيهم على أن يهتفوا مع امبراطور اوستريا بمقتضى قواعد مقررّة على استتباب الصلح وتوطيده وتمهدوا جميعا باستقلال السلطنة العثمانية وابقائها تامة ولهذا المقصد نصب المشار اليهم نواباً عنهم مطلق النصرف فكان من طرف امبراطور الفرنسيين مسيو الكسندر كونت كولونا ولوسكى ومسيو فرانسوى اودلف بارون دبورغيني ومن طرف امبراطور اوستريا مسيو شارلس فرديناند كونت دباشولستان ومسيو يوسف الكسندر بارون دهنر ومن طرف ملكة المملكة المتحدة من بريطانيا الكبرى وارلاندا الاكرم جورج وليام فريدريك كونت كلارندون وبارون هيدد هندون والاكرم هنرى رشارد شارلس بارون كولى ومن طرف امبراطور جميع روسيا مسيو الكسيس كونت ارلف ومسيو فليب بارون برونو ومن طرف ملك سردينيا مسيو كاملى ينسور كونت كافور ومسيو صلفاطور مركيز فيلا مارينا ومن طرف سلطان الدولة العثمانية محمد أمين على باشا الصدر الاعظم في السلطنة العثمانية ومحمد جميل بك متسما بالنيشان المجيدى السلطانى من ثانى طبقة فاجتمع هؤلاء النواب المفوض اليهم ابرام الصلح تفويضاً تاماً في مجلس باريس وبعد أن وقع الاتفاق بينهم على هذا المقصد الحميد رأى امبراطور الفرنسيين وامبراطور اوستريا وملكة المملكة المتحدة من بريطانيا الكبرى وارلاندا وامبراطور جميع روسيا وملك

(١) سياسي فرنساوى ولد سنة ١٨١٠ ودخل الجيش الفرنساوى بعد سنة ١٨٣٠ ثم اشتغل بالسياسة سنة ١٨٤٠ وعين سفيراً بلوندره سنة ١٨٥٤ ثم وزيرا للخارجية في السنة التالية واستمر بها خمس سنين وفي سنة ١٨٦٠ عين وزيرا للدفاع عن مشروعات الحكومة أمام المجالس الثمانية وفي سنة ١٨٦٥ عين رئيسا لمجلس شورى القوانين وتوفي سنة ١٨٦٨

سردينيا وساطحان الدولة العثمانية أن في المصاحبة التي يؤول نفعها الى أوروبا ينبغي أن يدعى ملك بروسيا الذي وقع على معاهدة سنة ١٨٤١ الى الاشتراك معهم في هذا التنظيم الجديد ولعلمهم بما يحصل من ذلك من زيادة القائدة لتقوية هذا السعى الخيري طلبوا منه أن يرسل من قبله نوابا يفوض اليهم مطلق التصرف في المجلس المذكور فن ثم ورد من طرفه مسيو اوثون نيودوربارون مانتفيل ومسيو مكسميليان فريدريك شارلس فرلسوى كونت هتزلدت ولدنبرغ شولستان ثم بعد ان أبرزوا ما بأيديهم من الحررات المؤذنة بتفويضهم ووجدت صحيحة اتفقوا على هذه المواد الآتية

المادة ١ من يوم تاريخ الامضاء بقبول هذه المعاهدة الحاضرة يكون صلح ومودة بين كل من امبراطور الفرنسيين وملكة المملكة المتحدة من بريطانيا الكبرى وارلندا وملك سردينيا وساطحان الدولة العثمانية من جهة ومن امبراطور جميع روسيا من جهة أخرى وكذا بين ورثتهم وخلفائهم ودولهم ورعاياهم على الدوام

المادة ٢ حيث قد حصل الفوز والمرام باستتباب الصلح بين المشار اليهم ينبغي أن تخلص البلاد التي فتحت في مدة الحرب أو التي تبوأ عساكرهم وذلك من كلا الطرفين ويجري له ترتيب مخصوص في أسرع وقت

المادة ٣ قد تعهد امبراطور جميع روسيا بان يرذل سلطان الدولة العثمانية مدينة قارص وقلعتها وكذا سائر المواضع التي استولت عليها عساكر روسيا وهي من ملحقات بلاد الدولة العثمانية

المادة ٤ قد تعهد امبراطور الفرنسيين وملكة بريطانيا العظمى وارلندا وملك سردينيا وساطحان الدولة العثمانية بان يرذلوا الى امبراطور جميع روسيا مدائن سيفاستبول وبالقلافة وقاميش وبوبانورية وقرطش ويني قلعه وكثيرون مع مراسيها وكذا سائر المواضع التي تبوأتها عساكر الدول المتفقة

المادة ٥ يصدر عفو تام واف من طرف امبراطور الفرنسيين وملكة بريطانيا العظمى وارلندا ومن امبراطور جميع روسيا وساطحان الدولة العثمانية لجميع الذين تصدوا من رعاياهم للاشتراك في وقائع الحرب والحزب مع العدو ومفهوم ذلك يشمل بالنص الصريح أي حزب كان من رعاياهم ممن حارب واستمر مدة الحرب في خدمة المحارب

المادة ٦ يرذل من أخذ أسيراً في الحرب من كلا الطرفين على الفور

المادة ٧ قد صدر اعلان وتصريح من لدن امبراطور الفرنسيين وامبراطور اوستريا وملكة بريطانيا العظمى وارلندا وملك بروسيا وامبراطور جميع روسيا وملك سردينيا بأن للباب العالي اشتراك في فوائد الحقوق الاوروبية العامة وفي منافع اتفاق أوروبا وقد تعهدوا بان يحترموا استقلال السلطنة التركية وابقاها تامة وتكفلوا جميعاً بالحفاظة على هذا التعهد وكل أمر يفضي الى الاخلال بذلك يعتبرونه من المسائل التي ينبغي عليها مصالحة

عامة

﴿ المادة ٨ ﴾ اذا حدث بين الباب العالي واحدى الدول المتعاهدة خلاف خيف منه على اختلال الفهم وقطع صلتهن فمن قبل أن يعهد الباب العالي وتلك الدول المنازعة له الى اعمال القوة والجبر يقيان الدول الاخرى الداخلة في المعاهدة وسطاء بينهما منعاً لما يتأتى عن ذلك الخلاف من الضرر

﴿ المادة ٩ ﴾ سلطان الدولة العثمانية لاعتنايته بخير رعاياه جميعاً قد تفضل باصدار منشور غاية اصلاح ذات بينهم وتحسين أحوالهم بقطع النظر عن اختلافهم في الاديان والجنس وأخذ في ذمته مقصده الخيري نحوالتصاري القاطنين في بلاده وحيث كان من رغبته أن يبدي الآن شهادة جديدة على نيته في ذلك عزم على أن يطالع الدول المتعاهدة بذلك المنشور الصادر عن طيب نفس منه فتتلقى الدول المشار اليها هذه المطالعة بتأكيد مالهامن النفع والفائدة ولكن المفهوم منها صريحاً انها لا توجب حقاً لهذه الدول في أى حال كان على أن تتعرض كلا أو بعضاً لما يتعلق بالسلطان ورعاياه أو بادارة سلطنته الداخلية

﴿ المادة ١٠ ﴾ الاتفاق الذي جرى في الثالث عشر من جولاي (تموز) سنة ١٨٤١ وهو الذي تقرر فيه مالمسلطنة العثمانية من الترتيب القديم بخصوص سدّ البوغاز ومضيق جنناق قلعة قد أعيد الآن النظر فيه بمواطاة الجميع وما جرى من الحكم به لهذه الغاية على مقتضى الاصول ما بين أهل المعاهدة يلحق الآن بهذه المعاهدة الحاضرة ويبقى معمولاً به كانه من متمماتها

﴿ المادة ١١ ﴾ البحر الاسود يكون على الحيادة (وفي الاصل نوتر) ومباحا لتجارة جميع الامم ويمنع مأوه ومراسيه منعاً دائماً عن السفن الحربية سواء كانت للدول التي لها تملك في شاطئ البحر أو لغيرها ماعدا ما استثنى ذكره في المادتين الرابعة عشرة والثاسعة عشرة من هذه المعاهدة

﴿ المادة ١٢ ﴾ التجارة في مراسي البحر الاسود ومياهه مطلقة عن كل مانع فلا تكون عرضة لشئ سوى التنظيمات المختصة بالصحة ورسوم الكارك والشرطة أعنى الضبطية ويكون اجراؤه على وجه يفيد التجارة تسهيلاً واتساعاً ومن أجل تأمين المضالغ المتجربة والبحرية التي يديرها جميع الناس ترخص روسيا والباب العالي في نصب قناصل في مراسيمهم السكينة على سواحل البحر المذكور على ما تقتضيه الحقوق المتداولة بين الامم

﴿ المادة ١٣ ﴾ حيث قد تقرر في المادة الحادية عشرة أن البحر الاسود يكون على الحيادة لم يبق لزوم ولا غرض لا إنشاء مسافن (أى ترسانات) بحرية حربية ولا لابقائها فمن ثم تعهد امبراطور جميع روسيا وسلطان الدولة العثمانية بان لا ينشأ ولا يبقيا شيئاً من هذه المسافن في ذلك الساحل

﴿ المادة ١٤ ﴾ قد اتفق امبراطور جميع روسيا وسلطان الدولة العثمانية على تعيين عدد

السفائن الخفيفة اللازم ابقاؤها في البحر الاسود لمصالح تلك السواحل فمن ثم ينبغي أن يكون هذا الاتفاق ملحقاً بهذه المعاهدة الحاضرة ويكون معمولاً بصحته كأنه من مكملاتها فلا يلغى ولا يغير ما لم يقع عليه رضا الدول الموقعة على هذه المعاهدة

المادة ١٥ * من حيث قد تقرر في الشروط التي جرت في مجلس ويانه أصول وقواعد تختص بالسفر في الانهار الفاصلة بين عدة ممالك أو المارة فيها اتفقت الآن الدول المتعاهدة على أن تكون هذه الاصول جارية أيضاً في المستقبل على نهر الدانوب (الطونة) وفوهاته من دون فرق ورسمت بان هذا الشرط يعد من الآن فصاعداً من الحقوق العمومية لاهل أوروبا واتخذته تحت كفالتها ولا ينبغي أن يكون السفر في النهر المذكور عرضة لما نال من ولا لتأدية ضريبة غير مقررة في الشروط المقيمة في المواد الآتية فمن ثم لا يوجب جعل على مجرد السفر في النهر ولا ضريبة على الامتعة التجارية التي تكون في السفن أما ترتيب الشرطة والكورتيئة الذي يراد انشاؤه لاجل تأمين البلاد التي يفصلها هذا النهر أو يخترقها فيكون اجراءه على وجه يفيد المراكب بسهولة في السفر على قدر الامكان وما عدا هذا الترتيب فلا يحدث شيء من الموانع للسفر مطلقاً أيا كان

المادة ١٦ * من أجل تحقيق الشروط المذكورة في المادة المتقدمة تعقد مأمورية نواب من طرف فوينا وروسيا وبريطانيا العظمى وبروسيا والروسيا وسردينيا والبلاد العثمانية من كل واحد ويحال على عهدهم أن يرسموا ويجروا الاعمال اللازمة لازالة الموانع والعوائق من فوهات الطونة ابتداء من استنشا وكذا من أماكن البحر المجاورة التي فيها الرمل وغيره والمقصود بذلك جعل هذه المواضع في كل من النهر والبحر صالحة للسفر وخالية عن كل ما يعوقه على قدر الطاقة والامكان ومن أجل استيفاء المصاريف التي تقتضيها هذه الاعمال وانشاء ما يلزم انشاؤه لتيسير السفر وتأمينه عند فوهات الطونة يرسم أهل المأمورية بحسب أكثرية أصواتهم بنحو ضريبة معلومة وجعل موافق وذلك بشرط أن تعامل جميع مراكب الاجيال بالتسوية وهذا الاصل يجري في هذا المقصد كما في غيره

المادة ١٧ * تعقد مأمورية من نواب أوستريا وبافاريا والباب العالي وورتمبرغ من كل واحد وينظم اليها أهل مأمورية أقاليم الطونة الثلاثة التي يكون لمصالحها باستصواب الباب العالي وهذه المأمورية تكون راهنة دائمة ويختص بها (أولاً) أن تجري التنظيم اللازم لسفر النهر وللشرطة (ثانياً) أن تزيل الدواعي المانعة من اجراء الشروط التي تقرر في معاهدة ويانه على الطونة (ثالثاً) أن ترسم وتجري الاعمال اللازمة في جميع مجاري النهر (رابعاً) أن تحافظ بعد انقضاء مدة المأمورية الاوروبية على وقاية المراكب وتيسير سفرها في فوهات الطونة وفي غير ذلك من الاماكن المجاورة له من البحر

المادة ١٨ * قد صار من المعلوم أن المأمورية الاوروبية توفى عملها وان المأمورية الساحلية تم الاعمال المقررة في المادة المتقدمة في القسمين الاول والثاني في مدة عامين

وبعد اطلاع الدول المتعاهدة على ذلك تجرى فيه مذاكرتهم جميعاً حتى اذا دوت لديها ماجرى تحكم بالغاء المأمورية الاولى ومن ذلك الوقت فابعد يكون للمأمورية الساحلية الراهنة ما كان للمأمورية الاوروبية من القدرة والتفويض

المادة ١٩ * من أجل تأكيد اجراء التنظيمات التي يرسمها باتفاق واحد على موجب الاصول المشروحة آنفاً يكون لكل من الدول المتعاهدة حق في أن ترسي دائماً في فوهات الطونه سفينتين خفيفتين

المادة ٢٠ * في مقايضة المدن والمراسي والاراضي على ما ذكر في المادة الرابعة من هذه المعاهدة الحاضرة رضى امبراطور جميع روسيا لاجل زيادة التأمين على الحرية في سفر الطونه بتعديل نحم بلاده في بسارابيا فيكون هذا الترخم الجديد من البحر الاسود على كيلومتر واحد من شرق بحيرة برناسولا ويصل بطريق اكرمان الى وادى طراجان ويجاوز جنوب بلغراد ويستمر في طول مسافة نهر القلوبق الى علوسار تسىكا ويتصل بكاتامورى على بروت وعند الوصول الى هذا الحد لا يحدث تغيير على الترخم القديم بين السلطنتين وتعين رسم هذا الترخم الجديد يكون بمعرفة نواب من طرف الدول المتعاهدة

المادة ٢١ * الارض التي نحت عنها روسيا تكون ملحقة بولاية ملدافيا (الافلاق) تحت سيادة الباب العالي والسكان تلك الارض أن يتمتعوا بالحقوق والخصائص الممنوحة للولايات ويرخص لهم في مدة ثلاث سنين في نقل مواطنهم والتصرف في أملاكهم بلامانع

المادة ٢٢ * ولا يتا ولا خيا وملدافيا أى الافلاق والبغدان تبقين متمتعين تحت رئاسة الباب العالي وكفالة الدول المتعاهدة بالامتيازات والاعفاآت الحاصلة لهم الآن فلا مقتضى لان تحميمهم الدول الكفالة بحماية مخصوصة ولا يكون حق مخصوص للتعرض في أمورهم الداخلية

المادة ٢٣ * الباب العالي متعهد بان يحفظ لهاتين الولايتين ادارة أهلية مستقلة ويبقى لهم الحرية في التدبير والاحكام الشرعية والمتجر وسفر البحر والانهار وما عندهم الآن من القوانين والاحكام معمولاً به ينظر فيه ولهذه الغاية تجرد مأمورية مخصوصة يكون تالفها باطلاع الدول المتعاهدة واتفاقهم وتجتمع من غير ابطاء في بخارست (بكرش) مع مأمورية الباب العالي ويكون من هم هذه المأمورية البحث عن أحوال الولايتين وعرض القواعد اللازمة للتنظيم في المستقبل

المادة ٢٤ * سلطان الدولة العثمانية وعد بان يعقد في الحال في كل من الولايتين المذكورتين ديواناً مخصوصاً ويكون تالفه مبنياً على تأكيد ما فيه ايصال النفع والخير لجميع الناس على اختلاف درجاتهم ويطلب من كل من هذين الديوانين أن يبين مقاصد الأهلين واستدعاهم في شأن ترتيب الولايتين ونسبة تلك المأمورية الى هذين الديوانين تقرر في مجلس باريس

المادة ٢٥ * بعد ان تعتبر الآراء التي يبدئها الديوانان تنهى المأمورية الى مجلس

المذكورة ما باشرته هي من العمل وذلك من دون امهال ولا اهمال وقرر المقصد الاخير مع الدولة السائدة ويحصل الاتفاق عليه في باريس بين الدول المتعاهدة وبموجب خط شريف مطابق لشروط هذه المعاهدة يجري تنظيم أحوال هاتين الولايتين فتجعل من الآن فصاعداً تحت كفالة جميع الدول الموقعة على هذه الشروط

المادة ٢٦ ﴿ قد قرر الرأي على أن يكون في الولايتين المذكورتين عسكر أهلى يرتب لأجل تأمين داخل البلاد وحفظ تخومها فلا يورد ما لمع ما لترتيب غير اعتيادى لأجل الذب عن الوطن الا ما يدعى اليه الاهلون بالاتفاق مع الباب العالى دفعا لعدوان من يتناول عليهم من الاجانب

المادة ٢٧ ﴿ اذا وقع ما يوجب الخوف على سلب الراحة والطمأنينة داخل الولايتين يتفق الباب العالى مع الدول المتعاهدة على اتخاذ وسائل لدفع ذلك الخطل وإقرار الطمأنينة ولا يكون مسوغ لمداخلة عسكرية من غير أن يقع عليه رضا الدول أولا

المادة ٢٨ ﴿ أقليم الصرب يبقى متعلقا بالباب العالى على وفق مضمون الخطل الهمايونى الذى نص على حقوقه واعفاؤه ويكون من الآن فصاعداً تحت مجموع كفالة الدول المتعاهدة فنم يحق للأقليم المذكور أن يحافظ على استقلاله بحكومة أهلية وبالحرية فى التدين والاحكام والمتجر والأبحار (سفر البحر)

المادة ٢٩ ﴿ حق الباب العالى فى اقامة الخفراء المحافظين كما يشترط عليه الآن فى التنظيمات الداخلية هو مصون ثابت فلا يكون مسوغ لمداخلة عسكرية فى بلاد الصرب من دون أن يقع عليه رضا الدول المتعاهدة أولا

المادة ٣٠ ﴿ امبراطور جميع روسيا وسلطان الدولة العثمانية يبقان ضابطين لما هو فى ملكهما فى آسيا كما كان من قبل الحرب ومن أجل تدارك ما عسى أن يقع من القتل والقتل فى ذلك يحق رسم التخوم ويعدل من دون إيجاب ضرر على أحد الفريقين وهذه الغاية ترتب جماعة مؤلفة من مأمورين من طرف روسيا وآخرين من طرف الدولة العثمانية ومأمور فرنساوى وآخر انكليزى ويكون ارسالهم عقب استرداد السفارة بين ديوان روسيا والباب العالى ويجب انهاء أشغالهم فى مدة ثمانية أشهر من ابتداء اثبات هذه المعاهدة الحاضرة

المادة ٣١ ﴿ البلاد التى تبوأها فى مدة الحرب جيوش امبراطور الفرنسيس واهـ براطور أوسترى وملك مملكة بريطانيا العظمى وارلاندا وملك سردينيا الى مدة المعاهدة التى ختمت فى اسلامبول فى ١٢ مارث سنة ١٨٥٤ بين فرنسا وبريطانيا العظمى والباب العالى

وفى ١٤ جون من السنة المذكورة بين أوسترى والباب العالى وفى ١٥ مارث سنة ١٨٥٥ بين سردينيا والباب العالى تحلى بعد مبادلة اثبات هذه

المعاهدة الحاضرة في أسرع وقت فأما تعيين المدة واتخاذ الوسائل لاجراء ذلك فيرتب باتفاق بين الباب العالي وبين الدول التي تبوأت عساكرها تلك الارضين

﴿ المادة ٣٢ ﴾ المتجر في جلب البضائع وارسالها الى الخارج يبق ما بين الدول كما كان من قبل الحرب الى أن تحدد المعاهدة التي كانت بين الدول المتحاربة من قبل الحرب أو تبدل بشروط أخرى وتكون رعاياهم معاملة في سائر الامور الاخرى أحسن المعاملة

﴿ المادة ٣٣ ﴾ المعاهدة التي تمت هذا اليوم بين امبراطور فرنسا وملك مملكة بريطانيا العظمى واولاندا وامبراطور جميع الروسيا من جهة جزائر اللاند تكون ملحقه بالمعاهدة الحاضرة وتبقى كذلك معمولاً بصحتها كأنها هي جزء متمم لها

﴿ المادة ٣٤ ﴾ قد قرّر الرأي على اثبات هذه المعاهدة وتجري مبادلتها في باريس في مدة اربعة اسابيع او قبل ذلك اذا أمكن وبناء على ذلك علم عليها النواب المرخص لهم ووضعوا عليها اختام دولهم حرر في باريس في ٣٠ شهر مارس سنة ١٨٥٦ (أسماء الذين وقعوا على ما ذكر)

ولوسكى	يورغيني	بول شولستان هينر	كلارندون
كولى منتوفل	هتر فلدت	اورلوف	برلوكافور
وقيل لامارينا	على	محمد جميل	

﴿ مادة ملحقه بما تقدم ﴾ شروط المعاهدة المتعلقة بالوابعز وما وقع عليه اليوم لا تكون جارية على سفائن الحرب التي في خدمة الدول المتحاربة لاخلاء الارض التي نبأتها العساكر وانما تكون معمولاً بها عقب الاخلاء حرر في باريس في ٣٠ شهر مارس سنة ١٨٥٦ أسماء الموقعين كما ذكر آنفا

وبعد امضاء هذه المعاهدة اجتمع المؤتمر في الخمسة أيام الاولى من شهر ابريل وقرر رفع الحصار البحري عن موانئ روسيا وأن تسحب فرنسا وانكلترا وبمونتني (سردينيا) عساكرها من بلاد القرم في مسافة ستة أشهر وأن يعطى للنمسا قدر هذه المدة لاخلاء ولا يبقى الافلاق والبعدان وثلاثة أشهر لتسليم مدينة قارص وقلعتها الى الدولة العلية وأن اللجنة التي تعين لفصل الحدود بين الدولة وروسيا في جهات بساراييا تجتمع في أول رمضان سنة ١٢٧٢ الموافق ٦ مايو سنة ١٨٥٦ في مدينة غلاتس للبدء في عملها

ولما انتهت أعمال المؤتمر الذي اجتمع لاجلها اقترح عليه الميسيو ولوسكى النظر في بعض الشؤون الاوروبية التي يخشى منها على السلم فقرر عدة أمور لا تدخل في موضوعنا فاضربنا عنها صفحاً لعدم الاطالة

ولا يخفى ببال أحد من حضرات القراء الافاضل أن هذه الحرب حصلت لحض صالح الدولة العلية بل لم يكن القصد منها سوى اضعاف روسيا وعدم توغلها في أراضي الدولة العثمانية ولما انتهت الحروب على حسب رغائب الدول أخذوا في إيجاد الاسباب الموجبة لضعف

الدولة نفسها حتى لا تقوى على معارضتهم وتبقى كحاجز بين روسيا والبحر الأبيض المتوسط ليس الاولئك ساعدت الدول ولايتي الافلاق والبغدان على انضمام كل الاخرى وتكوين حكومة شبه مستقلة تسمى حكومة الامارات المتحدة يكون لها أمير واحد ومجلس نواب تحت حاية جميع الدول وتأييد ذلك بوافق أمضى في باريس في ٢٩ محرم سنة ١٢٧٥ الموافق ١٩ أغسطس سنة ١٨٥٨ وانتخبت الولايات البرنس كوزا (١) أميراً لهما واعترف الباب العالي بهذا الانتخاب حسماً للنزاع ثم أوجدوا مشا كل كثيرة في بلاد الصرب والجبل الأسود سعياً وراء منحهما الاستقلال تماماً وفصلهما كلية عن الدولة ولتكون هذه الولايات بمثابة موانع في طريق الدولة وعقبات يئتمها وبين ممالك أوروبا وبشواذير الفساد في بلاد البوسنة وهرسك فاضطربت وقامت مطالبة بامتيازات كبلاد الصرب والجبل الأسود

ومما زاد في أحوال الدولة ارتباكاً تدخل الدول في الشؤون الداخلية ومنعها الدولة العثمانية من محاربة الثائرين بتهددها بقطع العلاقات السياسية ونزول سفرائهم الى مراكزهم بل وارسال بعض السفن الحربية لتقرير مطالب الثائرين كما أرسلت فرنسا وروسيا مراقبيهما في سنة ١٨٥٨ الى سواحل الجبل الأسود لمنع الجيوش العثمانية من الدخول بهذا القطر ومعاينة أميره على مساعدة ثائري البوسنة وهرسك ومن ذاك وما سنده كره يتضح جلياً أن الدولة كانت في أخرج المراكز لعدم وجود مخلص لها أو صديق بين جميع الدول المسيحية المتألمة عليها سياسياً لاضعافها وعرقلة جميع مساعيها الاصلاحية في داخلية بلادها وتدخلها في أمورها الداخلية المحضة حتى خيل للعثمانيين أن سفراء الدول بالاستعانة صاروا شركاء لوزراء الدولة في جميع الاعمال

وفي أوائل سنة ١٨٥٨ توفي الصدر الأعظم رشيد باشا وخلفه في هذا المنصب الخطير خصوصاً في هذه الظروف السياسي الشهير طالى باشا وولى فؤاد باشا وزيراً للاشغال الخارجية وكان كل منهما على جانب عظيم من الخندق في الاعمال السياسية ومتحققاً من مقاصد أوروبا السيئة نحو الدولة الاسلامية الوحيدة فعلاً على تسوية جميع المسائل الداخلية بحكمة وسداد رأى حتى لم يدع لسفراء الدول حقاً في التدخل فلم يمض طویل زمن حتى عادت السكينة الى بلاد بوسنة وهرسك لوعدها لها باصلاح أحوالهم واستبدال العساكر الغير منتظمة الموجودة بها بجيوش منتظمة وكذلك انهما بحكمتها مسئلة الجبل الأسود بتحديد التخوم بمعرفة لجنة مشكلة من أربعة أعضاء فرنساوى وروسى وعثمانى وجبلى وقبل قرار هذه اللجنة مع اجحافه بحقوق السلطنة لكن لما كان السكون وانتظام الاحوال لم يروقاً أصلاً في أعين أعداء الدولة والذين أقوا شباك مفاسدهم في جزيرة

(١) هو سياسي روماني ولد سنة ١٨٢٠ وترقى في جيش البغدان الى رتبة ميرالاي (كولونيل) ثم انتخب أميراً على ولايتي الافلاق والبغدان وأكره على الاستفتاء سنة ١٨٦٦ وانتخب مكانه البرنس شارل الموجود الآن

كريد فاصطادوا بها ضعاف العقول من اليونان بطعم الاستقلال والانضمام الى مملكة اليونان المستقلة فخصات عدّة وقائع سالت فيها الدماء بين المسلمين والمسيحيين وكادت الثورة تمتدّ بها لولا فضل تساهل وزراء الدول بعزل واليها وتعيين من يدعى سامي باشا مكانه لتقرر الامن وارضاء المسيحيين من سكان الجزيرة فرجعت السكينة الى ربوعها وأمكن فؤاد باشا أن يجابو سفراء الدول على ملاحظاتهم بخصوص هذه المسئلة أن لاحق لهم بالتدخل حيث لا اضطرابات أو قلاقل توجب هذا التدخل الغير شرعى وبمجرد ما انتهت مسئلة كريد مؤقتاً كما هي عادة المسائل التي توجبها الدول بدسائسها في شرقنا حدثت في مدينة جده نازلة أكثر أهمية من تلك وهي قيام المسلمين بها على المسيحيين في يوليو من السنة المذكورة (١٨٥٨) وقتلهم بعضهم واصابة قنصل فرنسا وكاتبه اصابة شديدة وقتل زوجته مما جعل بابا للاوروبيين لرمينا بالتعصب الديني فلما علم فؤاد باشا بهذه الحادثة لم يشعها بل أرسل من يدعى اسمعيل باشا ببعض الجند لتحقيقها ومحازاة القاتلين بالاعدام بدون طلب تصريح من الاستانة كما جرت به العادة لكن قبل وصول هذا المندوب علمت الدول بهذه المذبحة وأرسلت فرنسا وانكا ترا لائحة للباب العالي بالاشتراك بخبرانه بها أنهما أرسلتا مرأتهما اليها بتعليمات شديدة فاجابهم فؤاد باشا بان الدولة لم تحمل واجبها بل رخصت لاسمعيل باشا باجراء اللازم وان الدولة مستعدة لتقدير التعويضات الواجب دفعها لمن لحقهم ضرر

اطلاق الانكليز
المدافع على مدينة
جدة

بالاتحاد مع من تعينهم الدولتان لهذا الغرض وفي هذه الاثناء أتى نامق باشا والى مكة الى جدة وقبض على المجرمين وجاكنهم فحكم على كثير منهم بالاعدام لكن لم يمكن تنفيذ هذه الاحكام الا بعد استئذان الدولة وفي غضون محاكمهم وصلت الى ميناء جدة سفينة حربية انكليزية اسمها سيكلوب وطالب ربانها من نامق باشا تنفيذ الحكم فوراً وأمهله أربعة وعشرين ساعة وان لم يعدم المحكوم عليهم يطلق مدافعه على المدينة ولما أجابه نامق باشا بعدم امكانه اجابة طلبه سلط مدافعه على هذه المدينة واستمر اطلاقها عليها نحو عشرين ساعة ولولا وصول السفينة المقللة لاسمعيل باشا المندوب العثماني لدمرت المدينة عن آخرها فانه لما وصل هذا المندوب أوقف ضرب النار ونزل ومعه العساكر العثمانية والانكليزية وأمر بشنق المحكوم عليهم بالاعدام فشنقوا وانتهت هذه المسئلة ورجعت العساكر الانكليزية الى سفينتهما بدون أن يجدوا علة للقاء وما الفضل في حسم كل هذه النوازل الا لفؤاد باشا صاحب الرأى الصائب

وقد ظهر فضله واعترف به العدو وقبل الصديق وجا هر كل ذى ذمة بأن هذا الرجل من أهم سياسى عصره في مسئلة الشام التي حصلت في سنة ١٢٧٦ الموافقة سنة ١٨٦٠ وأوجبت تدخل الدول عموماً وفرنسا خصوصاً بحجة حماية المارونية وبيان ذلك أنه لما حسمت جميع المشا كل واستتب الا من نوعا في ولايتي الافلاق والبغدان وولايات الصرب والجبل الاسود بتساهل الباب العالي واعترافه. بانتخاب كوزا والياً لولايتي الافلاق والبغدان معاً

حادثة الشام
واحتلال فرنسا لها

وبتولية ميشيل أميراً على الصرب بعد والده (ميلوش) الذي انتخبه نواب الاهالي في
 مجيئهم العمومية المسماة اسكو بشينا حتى لا تدع للدول سبيلا للتدخل وجسه أرباب
 الغايات مساعدهم الى بلاد الشام لاستعدادها لقبول بدور الفساد أكثر من باقي الولايات
 بسبب تعدد الجنسيات واختلافهم في الدين والمشرع ووجود العداوة بينهم خصوصاً بين
 المارونية والدروز ومساعدة فرنسا للمارونية ومساعدة انكارتا للدروز فقامت بينهم أسباب
 الشقاق ودواعي الخلف الى ان تعدى المارونية بالقتل على الدروز في أواخر سنة ١٨٥٩ وقام
 الدروز للاخذ بالثار ثم امتدت الفتنة الى جميع أنحاء الشام وكثر القتل والنهب وحصلت
 عدة مذابح في طرابلس وصيدا واللاذقية وزحله ودير القمر ومنها الى مدينة دمشق الشام وامتاز
 الامير عبدالقادر الجزائري (١) بحماية كثير من المسيحيين فكافأته فرنسا بمنحه وسام اللجيون
 دونور (٢) من درجة جران كوردون واتهم الاوروبيون عثمان بك قائم مقام حصيبة بتسهيل
 المذبحة وكذلك اتهموا أحمد باشا والى دمشق بمساعدة الدروز وقتل كل من التجأ الى دار
 الحكومة من المسيحيين وأذاعوا هذه المفتريات على رجال الدولة في جميع الأرجاء موبهاً
 وتعريراً ليكون لهم سبب مقبول لدى الرأي العام في بلادهم اذا تدخلوا فعلياً وجرت تدخلهم
 الى حرب عظيمة كحرب القرم

فعرضت فرنسا على الدول انها مستعدة لارسال جيوشها الى بلاد الشام لقمع الفتنة
 وبجائزة مثير بها وحماية المارونية فلم تقبل الدول هذا الاقتراح بادى الرأي خوفاً من عدم
 خروج فرنسا من الشام لو احتلتها عسكرياً وضحت أموالها ورجالها ولما حصلت مذبحه
 دمشق التي قتل فيها نحو ستة آلاف نسمة على ما يقولون أرسلت جميع الدول الى الباب
 العالي تهدده بالتدخل ان لم يضع حداً لهذه الفتنة لكن بلاغهم لم تكن اشتراكية لعدم
 اتحادهم فجمع فؤاد باشا جميع الوزراء وأظهر لهم ضرورة تعزيز الجيش العثماني بهذه البلاد
 واتحاد الثورة قبل أن يتفق الدول على التدخل عسكرياً فقرر رأيه بالاجماع وانتدب هو
 لقيادة الجيوش بها وبجائزة كل من تظهر ادائه

(١) هو الامير الجزائري الذي دافع عن بلاده حين احتلها الفرنسيون سنة ١٨٣٠ دافعاً لم
 يسمح بمثله في بلاد الشرق التي وطئها الاجانب واستمر في دفاعه سبعة عشر سنة متوالية انتصر في خلالها عدة
 مرات واعترفت له فرنسا بجميع الامم بالنسالة والشجاعة ولما استشهدت اغلب عساكره وكثرت اوار الجيوش
 الفرنسية تباعاً الى الجزائر وأيقن ان لا مناص له من التسليم سلم نفسه في ٢٣ دسمبر سنة ١٨٤٧ الى القائد
 (لاموريسير) بعدان وعده باسم فرنسا ان الحكومة لا تتعرض له مطلقاً بل تبين له التوجه إليها
 يريد لكن لم يعترف نابليون الثالث بهذا الوعد بل سجنه نحو ستة عشر سنة وأفرج عنه سنة ١٨٦٣
 بشرط أن لا يعود الى الجزائر وعين له مائة ألف فرنك سنوياً فاجرا الى مدينة بورصة ثم الى مدينة دمشق وبها
 أقام الى ان انتقل الى رحمة مولاه في سنة ١٨٨٣ جزاء الله عن الدين الاسلامي وجميع المسلمين خير الجزاء
 (٢) هو نيشان أسسه بونابرت في ١٩ مايو سنة ١٨٠٢ حين كان قيصلاً أولاً قبل ان يصير
 امبراطوراً ولقب نابليون الاول ولقد طرأت على نظام هذا النيشان عدة تغييرات بما تغير هيئة الحكومة
 لكن لم يزل باقياً متعلق الاهالي به لانه يذكرهم انتصاراتهم العديدة على أوروبا

فسافر هذا الشهم على جناح السرعة ووصل الى بيروت في ٢٨ الحجة سنة ١٢٧٦ الموافق ١٧ يوليو سنة ١٨٦٠ ومنها قصد مدينة دمشق في خمسة آلاف جندي وشكل مجلساً حربياً وحاً كم رؤساء الفتنة بكل صرامة وشنق كثيراً ممن ظهرت لهم يد عاملة فيها سواء كان من الدروز أو المسيحيين أو المسلمين أو من نفس كبار مستخدمي الحكومة وبذل همه في اعادة الامن الى البلاد

وفي أثناء ذلك اتفقت الدول على أن ترسل فرنسا الى الشام ستة آلاف مقاتل لمساعدة الجيش العثماني على اعادة السكينة لو عجز عن تأدية هذه المهمة وفي ٢٢ محرم سنة ١٢٧٧ الموافق ١٠ أغسطس سنة ١٨٦٠ نزلت الجنود الفرنسية الى بيروت تحت قيادة الجنرال (دوبول) فوجدت السكينة ضاربة أطنابها في ربوع الشام ولم تجد سبيلاً لعمل أي حركة عسكرية لاظهار شجاعتها ونظامها

ومما يدل على تعنت الدول وتعهد مشاركتها الدولة في أمورها الداخلية على أي حال اتفاقها في باريس بمقتضى اتفاق تاريخه ١٥ محرم الموافق ٣ أغسطس على أنه يجوز ابلاغ الجيش المحتل الى اثني عشر ألفاً مع بقاء هذه الجيوش الى أن يستتب الامن ويجازي الساعون بالفساد على ما جنت أيديهم كان الدولة أهملت في مجازاتهم وفي ارجاع السكينة الى البلاد مع أنهم لم يكن تمت ضرورة لارسال جيش أوروبي الى الشام مطلقاً لقيام فؤاد باشا بمهمته أحسن قيام ومع ذلك صمم القائد الفرنسي على ارسال فرقة من ألف وخمسمائة جندي الى جبل لبنان لاعادة المارونية الى بلادهم وحمايتهم من تعدى الدروز واستمر الاحتلال الفرنسي الى ٢٧ القعدة سنة ١٢٧٧ الموافق ٥ يونيو سنة ١٨٦١ وفيه سحبت الجيوش الفرنسية آتية الى بلادها بعد أن أوهمت مسيحي الشام أنهم هموم من تعدى المسلمين المتغضبين المتوجشين على زعمهم ونسبت فرنسا ما أتته جنودها في بلاد الجزائر من الأعمال الفظيعة التي يابى القلم تسطيرها خصوصاً ما أنه الجوال بيليسيه من اعدام قبيلة بنسائها وأطفالها حرقاً داخل الغار الذي التجأوا اليه

ولكن أبت سياسة أورو بالمسيحية الالتماعى عن كل ما يأتونه مغ الشرقيين ونجسهم أقل حادت يحدث في الشرق ولو بايعازهم ترويحاً لسياستهم ولسوا أقوال المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام المسطرة في نسخ الانجيل المتداولة بين أيدي جميع الطوائف المسيحية القاضية بأن يعامل الانسان غيره بما يريد أن يعامله الغير به

وفي أثناء ذلك انعقدت بمدينة بيروت لجنة أوروبية مشككة من مندوبين معينين من قبل الدول الموقعة على معاهدة باريس وبعد مداول طويلة اتفقوا مع فؤاد باشا على أن يعطوا للمسيحيين الذين حرقت دورهم مبلغ خمسة وسبعين مليون قرش بصفة تعويض وأن يمنح أهالي الجبل حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة العلية يكون حاكمها مسيحي المذهب وأن يكون للباب العالي حامية من ثلثائة جندي تقيم في حصن على الطريق الموصل من

دمشق الى بيروت

ثم عين بالاجماع من يدعى داود افندى الارمنى الجنس أميراً للجيل لمدة ثلاث سنوات لا يمكن عزله في خلالها الا باتفاق الدول وبذلك انتهت أيضاً هذه المسئلة بحسن مساعى فؤاد باشا كما انتهت باقى المسائل التى سبقتها ولو بكيفية محففة بحق الدولة الا أنه بهذا التساهل منع تداخل الدول بصفة شديدة وألزم فرلسا بسحب جيوشها من الشام وبعد خروج الجيوش الفرنسية من بيروت بعشرين يوماً توفى السلطان عبد المجيد خان وانتقل الى رحمة مولاه فى ١٧ ذى الحجة سنة ١٢٧٧ هـ الموافق ٢٥ يونيو سنة ١٨٦١ ودفن رحمه الله فى قبر أعد له فى حياته بجوار جامع السلطان سليم وعمره أربعون سنة وكسور ومدة حكمه ٢٢ سنة ونصف وهو الذى أنشأ النيشان المجيدى العلى الشأن وقدمه على نيشان الافتخار الذى أسسه السلطان الغازى محمود الثانى وفى يوم موته بويع بالخلافة لاختيه

٢٢ « السلطان الغازى عبد العزيز خان »

المولود فى ١٤ شعبان سنة ١٢٤٥ الموافق ٩ فبراير سنة ١٨٣٠ وفى ١٨ ذى الحجة سنة ١٢٧٧ الموافق ٢٦ يونيو سنة ١٨٦١ توجه فى موكب حافل الى ضريح نسيدي أبى أيوب الانصارى وهناك تقلد السيف السلطانى على ما جرت به العادة ومنه سار لزيارة قبر السلطان الغازى محمد الثانى فاتح الاستانة ثم قبر والده السلطان محمود الثانى رحمه الله جميعاً وكانت فاتحة أعماله أنه أقر الوزراء فى مراكزهم ماعدا ناظر الجهادية رضا باشا فانه أبدل بنامق باشا وهالك ترجمة أمر بقاء الوزارة المؤرخ ٢٣ ذى الحجة سنة ١٢٧٧ الموافق ٢ يوليو سنة ١٨٦١ نقلا عن منتخبات الجوائب وزيرى سمير المعالى محمد أمين حالى باشا

قد صار هذه المرة بالارادة الازلية ارادة جناب مالك الملك جلوسنا على تخت أجدادنا العظام المؤيد بالسعادة والبخت ولكون درايتك وصداقتك من المحرب أبى خطب الصدارة الجسيم فى عهدة رويتك وكذا سائر الوكلاء والمأمورين مقررون على مناصبهم ثم أبى بإكمال سعادة الحال بمنه تعالى لدولتنا العلية واستحصال رفاهية الحال والراحة لاتباع سلطنتنا السنية اجمالاً بلا استثناء وبحصول هذه الامنية الخيرية وبكون القوانين الأساسية المدلية المؤسسة على تأمين النفس والعرض والمال لجميع سكان الممالك المحروسة مؤكدة ومؤيده من طرفنا أعلن (ماذكر) للجميع ومن حيث أن الشريعة الشريفة التى هى عدالة محض مدارة لتأييد السلطنة السنية وأساس لشوكتها حالة كون أحكامها المنيفة لجميعنا دليلاً على طريق السلامة كانت الدقة الزائدة فى الامور الشرعية مطلوباً لنا قطعاً ولما كان الباعث لبقاء كل دولة ولتزايد شوكتها وراحتها كون رعيها مطاوعة للقوانين

الموضوعة وأن لا تتجاوز الصغار والكبار منها دائرة وظيفتها وحتها كان محققا لدينا أن الذين يسلكون في هذا الطريق يكونون مظهراً للمكافأة كما أن الذين يوجدون في حركات مخالفة تحقيق بهم المجازاة وبناء على هذا كون الداعين والعباد والمأمورين جميعاً في دولتنا العلية أن يستقيموا في خدمتهم ويوفوا وظائف مأموريتهم بالصدقة هو من جملة أوامرنا المؤكدة السلطانية ومن المسلم كون المصالح العظيمة الدولية قريناً لحسن النتيجة بتوفيق حضرة موفق الأمور وباقدام أركان الدولة واتفاقهم وإن يصلح الأمور لدولتنا العلية ملكية كانت أو مالية إلى درجة الانتظام والمضبوطية إنما هو بكمال التثبيت بهذه القاعدة المسلمة يعني كونه منوطاً بالاهتمام والغيرة بن طرف الجميع على وجه الاستقامة والخلوص ومن طرفنا نحن أيضاً منوط بالهمة والنظارة على أي وجه كان وبالاتباع التام من جانب كل دائرة وإدارة لهما المخصوصة السلطانية التي تصرف في حق اندفاع المشكلات المالية عن قريب بعون الله تعالى وهي التي عرضت منذ مدة ناشئة عن أسباب مختلفة وكذا يعلم بأنه لم يكن لذاتنا فكر وأمل سوى إعادة شأن دولتنا وزيادة اعتبارها المالي ورفاهية أتباعنا الغرض المتعاقب من خصصوص المتصرفات الكاملة في استحصال أموال الدولة وصرفها والاصلاحات الموجبة لوقايتها من التلف والسرف عبثاً والدقة في محافظة عساكرنا البرية والبحرية التي هي إحدى أسباب الشوكة لدولتنا العلية واستكمال رفاهيتهم في كل حال ومحل وصرف المجهود وقتاً فوقتاً في تأكيد المناسبات والمؤالات مع الدول الاجنبية الذين هم محبوس سلطنتنا السنية وكذا الرعاية لاحكام المعاهدات المنعقدة مستمرة والحاصل ان علم الجميع بأن وظائف الاستقامة والعفة والصدقة والغيرة هي أساس العمل والباعث للفلاح والسلامة في ادارة الدولة في كل جهة وفرع لها كل ذلك من ارادتنا القطعية وأي أعلن أيضاً حيث كان مرادى السلطان لا يقبل الاستثناء كان الذين هم من الاديان والاجيال المختلفة يرون عموماً من طرفنا لهما ابونى دقة متساوية في العدالة والتأمين والهمة وحسن الحال وأكرر ان التوسع التدريجي الذي هو ترقيات صحيحة توجب غبطة حال الجميع في ظل سلطنتنا لاسباب الثروة واليسار العظيمة التي أنعم الله بها على ممالكنا وكذا قضية الاستقلال المهمة لدولتنا العلية من أعز الافكار عندنا وفقنا جميعاً القياض المطلق بجمرة حبيبته الاكرم آمين في ٢٣ ذى الحجة سنة ١٢٧٧ هـ

ويؤخذ من نص هذا الامر أن السلطان رحمه الله كان يود السير على خطة أسلافه من اصلاح الاحوال ومعاملة جميع الرعايا على السواء بدون نظير جنسهم أو دينهم حتى لا يكون لدول أوروبا سبيل للتدخل في شؤون الدولة بحجة طلب هذه المساواة ثم أنشا نشان شرف جديد للمكافأة من يقوم بخدمة الدولة والملة والدين بكل صدقة وأمانة ودعاه بالعثماني لسببه الى السلطان الغازي عثمان الاول رأس هذه الدولة المحروسة الملحوظة بالعبادة الربانية يحيطها سياج التعطفات الالهية حتى ان تألب جميع الدول المسيحية عليها لم يزدوا

الارسوخا وثباتا وقد أراحها هذا التداخل نوعاً ما بفصل بعض العناصر المغيرة للعنصر الاسلامى فى الجنس والدين عنها فانها كانت أهم الشواغل للدولة مع عدم وصول أى فائدة منها اليها

ولنذكر هنا قبل تفصيل ما حصل بالدولة من الاصلاحات تحت رعاية السلطان عبد العزيز ماجرى من المناقشات ودار من المخبرات بين الباب العالى والدول بشأن امارات الجبل الاسود والصرب والافلاق والبلغدان فنقول

الجبل الاسود أنه لما تجزأت مملكة الصرب الاصلية عقب موت الملك دوشان وقتل ولده اوروك استقل أحد اشراف الصرب ببلاد الجبل الاسود واسمها تشير ناجوره وجزء عظيم من بلاد الصرب وجعل مقر حكومته مدينة اشقودره ثم لما فتحها العثمانيون وطردوه منها تحصن بالجبل وبه أمكنه صد هجمات العثمانيين عنه لوعور المسالك وصعوبة المفاوضات وبذلك لم يتيسر للدولة ضم هذا الاقليم بنوع قطعى مطاقاً

وفى سنة ١٤٩٩ انتقلت حكومة الجبل الى أبدي رئيس الاساقفة وانحصرت السلطة الدينية والملكية فى شخص واحد وابتدأت العلاقات بينه وبين روسيا لاتحاد الدين والمذهب وبحسن سياسة الامبراطور بطرس الاكبر صارت هذه العلاقات الحبية شبيهة بتابعة سياسية اذ صار يتظلم اليه الاهالى لو اعتدى عليهم حاكمهم أو مسهم بسوء ونفس رئيس الاساقفة كان يتوجه عند تنصيبه الى مدينة سان بطرسبورج ليثبتة القيصرفى وظيفته الدينية بصفة رئيس دينى لجميع الارثوذكس

ولما عين البرلس (دانيلو) أو دانيال (١) حاكماً لهذا الجبل فصل السلطة الملكية عن الدينية مع بقاء وظيفة رئيس الاساقفة فى العائلة الاميرية ومن بعد هافى أقدم العائلات الشريفة ولتجرد دانيلو عن الصفة الدينية تقرب من النمسا جارته لتساعده على حفظ استقلاله بما أن الدولة العلية أرادت اتخاذ هذا التغيير فى حكومة البلاد سبباً للتدخل فيها وتقرير سيادتها عليها وأرسالت القائد الشهير عمر باشا لمحاربة دانيلو سنة ١٨٥٣ قبل أن يشتغل بمحاربة الروسيا ولولا توسط النمسا والروسيا لاحتل عمر باشا جميع بلاد له لكن ظروف

الاحوال اضطرت الباب العالى لايقافه قبل تتميم مأموريته اتباعاً لمشورة أوروبا ولما انعقد مؤتمر باريس بعد انتهاء حرب القرم كما مر طلب الامير دانيلو من مندوبى الدول الاعتراف باستقلاله فلم يحز طلبه قبولاً لديهم بل نصحوه له بالانقياد للدولة وهى فى مقابلة ذلك تعطيه جزءاً قليلاً من بلاد الهرسك لتوسيع حدوده وتمجيده رتبة مشير وترتب له مرتباً مالياً على سبيل المساعدة فحقيق لعدم نوال استقلاله لكنه اترم بالانصياع لنصائح أوروبا خوفاً من عدم مساعدتها له لو حاربتة الدولة

(١) ولد هذا الامير سنة ١٨٢٨ وتربى فى مدينة وينا عاصمة النمسا وتولى بعد بطرس الثانى وتولى

مقتولا سنة ١٨٦٠

وفي سنة ١٨٥٨ حصلت عدة وقائع حربية بين أهالي الجبل وعساكر الدولة بسبب عدم الاتفاق على الحدود فتدخلت الدول ومنعت الحرب وعينت لجنة من مندوبيها ومندوب من طرف الدولة وآخر من حكومة الجبل لفصل الحدود ففصلتها ثم قتل البرنس دانيلو في ٢٥ محرم سنة ١٢٧٧ الموافق ١٣ أغسطس سنة ١٨٦٠ عن بنت وأخ فاستلم زمام الاحكام البرنس نيقولا ابن أخيه ميركو ولمناسبة حصول بعض حركات ثورية في بلاد الهرسك ثار لمساعدتهم كثير من أهالي الجبل بايعاز من البرنس ميركو فسحقهم عمر باشا الذي أرسله الباب العالي لاختتام ثورة الهرسك ثم حاصر إمارة الجبل من جميع جهاتها وأمر البرنس نيقولا أن يحل الجيوش التي جمعها على الحدود والا يضطر هولاء فيها ولما لم يصغ الأمير لهذا البلاغ أغار عمر باشا على بلاد الجبل من ثلاث جهات في آن واحد وجعل الثلاث فرق تحت قيادة عبده باشا ودرويش باشا وحسين عوفى باشا وبهذه المناورة العسكرية المهمة التقت الجيوش الثلاثة في قلب الجبل بعد أن هزمت وفرقت كل ما وقف في طريقها ولم يكن بذلك للبرنس نيقولا بد من اضشاء الشروط التي عرضت عليه من قبل عمر باشا للتوقيع عليها فامضاها رغم أنه في ٤ ربيع الاول سنة ١٢٧٨ الموافق ٣١ أغسطس سنة ١٨٦٢

ومن أهم ما جاء بها أن لا يقيم ميركو والد البرنس نيقولا في بلاد الجبل مطلقاً وأن تبنى الدولة حصوناً وقلاعاً على الطريق الموصلة بين مدينة اشقودره وبلاد الهرسك مارة ببلاد الجبل وبدأت الجنود العثمانية على الفور في بناء حصن داخل بلاد الجبل على هذا الطريق الأمر الذي لم يسبق لها أصلاً في هذه البلاد

لكن تعرضت الدول لنفاذ هذه المعاهدة بحجة أنها بحقوق أمة مسيحية وظلمت من الباب العالي بكل الحاح خصوصاً فرنسا والروسيا عدم إبعاد البرنس ميركو عن بلاده فتساهل شفقة منه لكنه صمم على بناء الحصون بالصفة المشروحة ومع ذلك خوفاً من تدخل الدول بالقوة كما حصل في بلاد الشام أعلن الباب العالي الأمير في ٢٣ رمضان سنة ١٢٨٠ الموافق ٣ مارث سنة ١٨٦٤ أنه يتنازل عن بناء القلاع بأرضه مؤقتاً اذا تعهد الأمير بحفظ هذه الطريق والتعويض مالياً عما يسلب من أموال التجار العثمانيين فاجاب الأمير نيقولا هذا الطلب منشرحاً بما أن وجود الجيوش العثمانية في وسط بلاده يضعف استقلالها ويميت هممتهم وشجعائهم

ولم يهدم العثمانيون القلعة التي أقيمت في وسط بلاد الجبل الا في محرم سنة ١٢٨١ الموافق يونيو سنة ١٨٦٤ بعد ان اقاموا على الحدود قلعة منيعة على قمة عالية تصل مقذوفات مدافعها الى ابعاد شاسعة من بلاد الجبل وبذلك انتهت هذه الحروب وهدأت بلاد الهرسك أيضاً

❦ بلاد الصرب ❦ أنه بمقتضى المعاهدات السابقة ومعاهدة باريس الاخيرة المؤرخة ٣٠

مارث سنة ١٨٥٦ تكون جميع بلاد الصرب مستقلة تحت سيادة الباب العالي ويكون للدولة حق في وضع حامية في ست قلاع بما فيها قلعة مدينة بلغراد عاصمة الصرب واشترط فيها بعد أن لا يسكن المسلمون خارجا عن هذه الحصون (انظر لهذا التعصب)

لكن لم تتبع هذه النصوص تماماً بل أقام كثير من المسلمين بين منازل المسيحيين ووزع الباشا القائد للحامية عدة قره قولات في المدينة لحمايتهم ولما حصلت ثورة الهرسك سنة ١٨٦١ وما بعدها وتبعها حرب الجبل الاسود خشي الباب العالي من مساعدة الصربين للثائرين فجمع على الحدود عددا عظيما من جيوش الباشا بيوزوق ولعدم انتظام هؤلاء الجنود حصلت عدة مشاجرات بينهم وبين أهالي الصرب سالت فيها الدماء ولما وصل خبر هذه المناوشات الى بلغراد تدمر الاهالي وأظهروا العداء للعثمانيين وحدث في غضون ذلك أن تعدي أحد الاهالي في ١٢ الحجة سنة ١٢٧٨ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٨٦٢ على جندي عثماني فقتله الجندي وتعصب كل فريق لاحد الفريقين وحصلت مقتلة كادت تعم البلد فتدخل القائد العثماني بجنوده وبعد أن احتسى جميع المسلمين الساكنين بين النصاري في القلعة مع نساءهم وأطفالهم سلمط الباشا مدافع القلعة على المدينة وأطلقها عليها مدة أربع ساعات متواليات ثم تداخل القناصل بين الفريقين فابطلوا إطلاق القنابل وقبل الباشا اخلاء قره قولات المدينة واقتصر المسلمين على السكن داخل حدود القلعة وبعد هذه الحادثة أرسل البرنس ميشيل خطابا بتاريخ ١١ محرم سنة ١٢٧٩ الموافق ٩ يوليو سنة ١٨٦٢ الى اللورد (رسل) ناظر خارجية انكارترا يطلب منه التوسط لدى الباب العالي لحسم هذه النازلة فاجابه اللورد بما يؤخذ منه عدم تعصيد الحكومة الانكليزية له في طلباته وأنها تنصح له بالاصباح لاوامر الدولة صاحبة السيادة

ثم بناء على الخلع فرنسا والروسيا انعقد بالاستانة مؤتمر من مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس وبعد مناقشات طويلة طلب في خلاها مندوب فرنسا انجلاء العثمانيين من قلعة بلغراد بدون أن يعصده باقي المندوبين تقرر بالاغلبية اخلاء قلعتين من الجنود العثمانية وبقيتها في أربع قلاع فقط وهي بلغراد وسمندريه وفتح اسلام وشباتس وأن لا يمدخل القواد العثمانيون في ادارة البلاد الداخلية مطلقاً وأن يلزم المسلمون القاطنون خارج القلاع الأربع المذكورة ببيع ممتلكاتهم والمهاجرة عن البلاد أو الاقامة في حدود الحصون وعلى حكومة الصرب أن تدفع لهم تعويضات مالية عن ذلك وأمضى بذلك اتفاق بتاريخ ١١ ربيع أول سنة ١٢٧٩ الموافق ٨ سبتمبر سنة ١٨٦٢ أبلغ الى الصرب في ديسمبر من السنة المذكورة وغنى عن البيان أن تحظر الاقامة في الصرب على المسلمين من أقبح ضروب التعصب التي يزمينا بها الاوروپيون ولكن سيحفظ التاريخ هذه الحوادث الدالة على براءتنا منه واتصافهم به دون غيرهم

(ولا يلقى الافلاق والبغدان) ذكرنا أن هاتين الولايتين انتخبنا البرنس كوزا أميراً عليهما خلافاً لشروط معاهدة باريس وأن الباب العالي تساهل في الاعتراف بهذا الانتخاب بنوع الاستثناء بشرط أنه بعد هذا البرنس تعود الامور الى ما جاء بمعاهدة باريس ونقول الآن كوزا تسمى بعد ذلك بالبرنس (جان السكندر الاول) وفي أواخر سنة ١٨٦١ صدر فرمان يميز له توحيد ادارة الامارتين أيضاً وبأن يكون له مجلس نواب واحد ووزارة واحدة ثم سمي هذا الأمير في اصلاح الشؤون الداخلية وحول أنظاره الى مسألة الاوقاف المخصصة للاديرة والسكنائس وبعض الاديرة الخارجة عن البلاد مثل دير جبل طور سيناء ودير اثوس ببلاد الترك والاماكن المقدسة بمدينة اورشليم فان هذه الاملاك بلغت نحو جزء من ثمانية من مجموع أطيان البلاد وإرادها يذهب خارجها الى بطريق الاستانة ليوزع على هذه الاديرة فقال البرنس بضم جميع هذه الاوقاف الى جانب الحكومة وهي تقوم بدفع مبلغ معين لنفقات السكنائس الداخلية والاعمال الخيرية الاهلية فقط ولا تدفع شيئاً للاديرة الخارجية وعرضه مجلس النواب وعموم الاهالي في هذا المشروع لكن عارضه فيه بطريق الاستانة وجميع الرهبان وتداخلت الدول والباب العالي فعرضه فر بقر وعارضه آخر وأخيراً رأى الأمير ان اقدام أضمن لنجاح مشروعه أصدر أمراً سامياً في سنة ١٨٦٣ بمصادرة أملاك الاوقاف بجمعها وخوفاً من اعتراض الباب العالي عرض عليه في ٣٠ ربيع الاول سنة ١٢٨٠ الموافق ١٢ سبتمبر سنة ١٨٦٣ دفع مبلغ أربعة وعشرين مليون قرش الى بطريق الاستانة تكون فائدته السنوية بمثابة تعويض عما كان يخص الاديرة الخارجية من ايراد الاوقاف بشرط أن هاته الاديرة تقدم حساباً عن الاوجه التي صرفت فيها هذه الفائدة وأن تخصص حكومة رومانيا مبلغ عشرة مليون قرش يبنى بها في الاستانة مستشفى ومدرسة لجميع المسيحيين أيا كان مذهبهم فلم يقبل البطريق ذلك وبعد مداوالات طويلة وتبادل مخاطبات سياسية كثيرة اقترح الباب العالي على حكومة رومانيا أن تبلغ التعويض الى مائة وخمسين مليون قرش فقبلت لكن أصر القسوس على اباثهم ولم يعبا الأمير بهذا الالباء بل جدد في طريق الاصلاح وعرض على مجلس الامة أمر بمصادرة الاوقاف فصدق عليه في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٢٨٠ الموافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٦٣ ثم في ١٧ الحجة سنة ١٢٨٠ الموافق ٢٤ مايو سنة ١٨٦٤ قرر هذا المجلس أن يكون تعيين القسوس على اختلاف درجاتهم بمعرفة حكومة الامارة وشكل لمعايقتهم لو وقعت منهم أمور مغايرة للقوانين الدينية مجلساً دينياً (سينود) وأناط بمحاكلهم في الامور الدينية بمجلس التمييز الاعلى

وبذلك استقل الاسكليس في رومانيا استقلال تام ولم يبق لبطريق الاستانة أقل سيطرة عليه وايد الباب العالي هذه التغييرات واعترف ضمناً بأن لحكومة رومانيا الحق في تغيير نظاماتها وقوانينها الداخلية بدون استشارة الباب قبلاً واعتماداً على ذلك أدخل البرنس عدة

اصلاحات مهمة تباعا لقانون الانتخابات بكيفية خولت حق الانتخاب لكثير من الالهالى لم يكن هذا الحق ممنوحاً لهم من قبل وجعل التعليم اجباريا وفتح عدة مدارس عالية ملكية وجربية ومستشفيات وأصدر قانوناً يجعل قيد المواليد والوفيات وعقود الانكحة مختصاً بالمأمورين الملكيين بعد ان كان تابعاً للكنائس لكن لعدم توفر الثروة في البلاد وكثرة الضرائب تدمر عليه الالهالى فاستعمل الشدة في معاقبة كل من أظهر عدم الرضا من أعماله حتى كثرت الشكوى منه وكتب اليه الصدر الاعظم فؤاد باشا بنداخل الدولة لرفع المظالم عن الالهالى لو استمر الحال على هذا المنوال

ولما زاد في طغيانه وصار يصدر الاوامر العالية واللوائح بدون عرضها على مجلس النواب تأمر عليه عدة من الاعيان تحت رئاسة الميسوروزى مدير جرنال (رومانول) وحصله في سرايه في مساء يوم ٦ شوال سنة ١٢٨٢ الموافق ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ وألزمه الاستقالة فقدم استعفاءه ثم اجتمع بياريس في ٢٢ شوال الموافق ١٠ مارت مندوبون من الدول المصادقة على عهدة سنة ١٨٥٦ للنظر في كيفية انتخاب خلف للامير خان اسكندر الاول فاجعوا الى روسيا على وجوب توحيد حكومة الولايتين خلافاً لما جاء في المعاهدة المذكورة بشرط أن لا يكون الامير عليها اجنبياً بل من أشرف أبناء البلاد لكن لم يذعن أهالى رومانيا لهذا القرار بل اتخبوا في ٣ الحجة الموافق ١٩ أبريل البرلس شارل دى هو هنزولن من عائلة بروسيا الملكية أميراً لهم وهو ملك هذه البلاد الآن وأعطى له لقب ملك بعد حرب روسيا الاخيرة كما سيحى

أما السبب في تشبث الدول في تقوية هذه الامارة وسعى روسيا في عدم ضم الولايتين المكونتين لها الى بعضهما أن الدول ترى هذا الرأي لتكون امارة رومانيا بمثابة حاجز حصين ضد تقدم روسيا نحو الاستانة خصوصاً وان أهالى رومانيا لم يكونوا من العنصر الصقالى الروسى فيصعب على روسيا استمالتهم الى سياساتها لتسكهم بحسبيتهم وخوفهم من تغلب الجنس الصقالى عليهم وهذا السبب عينه كان الباعث لدول أوروبا على تشكيل امارة البلغار لتكون حاجزاً ثانياً بعد رومانيا وعلى مساعدة البلغار ضد روسيا في هذه السنين الاخيرة

قد ذكرنا أنه لما تولى السلطان عبد العزيز منصب الخلافة العظمى أبى محمد أمين على باشا في الصدارة العظمى لكن لم يلبث ان أقاله تبعاً للظروف في جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ الموافق نوفمبر سنة ١٨٦١ وعين فؤاد باشا صديراً أعظم ولم تدم صدارته الاولى بل فصل عنها وبعد بعض تقلبات أعيد اليها بعد بضع شهور فبذل جهده في اصلاح المالية التي كانت على شفى الافلاس بسبب الديون الكثيرة التي اقترضتها الدولة في أيام السلطان محمود الثانى وعبد الحميد بسبب انشاء القوامم التي هي عبارة عن أوراق صغيرة ملونة بألوان مختلفة كل منها بقيمة معلومة من النقود وليان سوء الاحوال المالية

فؤاد باشا الصدر الاعظم واصلاحاته

نقول أنه لما انتشبت حرب استقلال اليونان ودمرت الدول دوناتها ظلموا وتعصباً ألزمت الدولة لتجديد مراكمها وتقوية جيوشها الى اصدار القوائم المالية فاصدرت أولاً في سنة ١٨٣٠ أوراقاً بمبلغ اثنين وثلاثين ألف كيسة بفائدة ثمانية في المائة سنوياً تستهلك في ثمانى سنوات ثم بسبب حروب الشام بين مضر والدولة ما تسببها استهلاك هذا القدر بل أصدرت أوراقاً بلا فائدة وامتنعت عن دفع الفائدة عن الاوراق الاصلية وتوالى بعد ذلك اصدار الاوراق في كل سنة تقريباً

ولما تزعم السلطان عبد المجيد في دشت الخلافة أراد سحب القوائم الا أن حرب القدم وماجره على الدولة من المضاريف الباهظة منعه عن تنم مشروع واضطرته الاحوال الى الاستدانة من أوروبا للقيام باعباء الحرب ثم استغرقت المضاريف كل القرض فأصدر قوائم جديدة واستمر الحال على هذا المنوال وكل سنة تزداد الديون الخارجية والقوائم الداخلية حتى ولى قواد باشا منصب الصدرة فاقنع جلالة السلطان عبد العزيز بضرورة ابطال القوائم وتسوية جميع الديون بكيفية منتظمة فاصدر السلطان فرماناً عالياً في ٢٠ رجب سنة ١٢٧٨ الموافق ٢١ يناير سنة ١٨٦٢ لقواد باشا باصلاح المالية وأعمال ميزانية سنوية لارادات ومصروفات الدولة ثم في ١٩ الحجة سنة ١٢٧٨ الموافق ١٧ يونيو سنة ١٨٦٢ أصدر اليه فرماناً آخر أهم ما جاء به سحب القوائم باجمعها وتصفية جميع الديون السائرة ودفع بدل القوائم نقوداً ذهبية أو فضية بقيمة أربعين في المائة وسهاماً جديدة بقيمة الستين في المائة الباقية

واقترضت الدولة لآعام هذه العملية المالية ثمانية ملايين جنبها أنكارياً ولما لم تف اقترضت ثمانية أخرى بواسطة البنك العثماني الذي تأسس في هذه الفصول ولكثرة المضاريف في الاصلاحات الداخلية وغيرها كثرت الديون وتراكت وصار دفع السكوبونات (القوائد) حملاً ثقيلاً على عاتق ميزانية الدولة فأمر السلطان بالاقتصاد من جميع فروع الميزانية حتى من المبالغ المخصصة لسرايته الخاصة وبذلك أمكن ناظر المالية مصطفى فاضل باشا (١) القيام بدفع القوائد وأخيراً لعدم موافقة ناظر المالية لقواد باشا على مشروطاته المالية عزل مصطفى باشا فاضل وعين كافي باشا مكانه فقدم هذا الأخير بالاتحاد مع قواد باشا تقريراً الى السلطان بتاريخ ٢١ شوال سنة ١٢٨١ الموافق ١٩ مارس سنة ١٨٦٥ قاضياً بالشاء سجل مخصوص لجميع الديون وقيدتها به بعد توحيدها فصدرت ارادة سنية باعتماد هذا التقرير وسجل بمقتضاه أربعون مليون جنبها عثمانياً لكن لم يأت زمن دفع

(١) هو نجل المرحوم ابراهيم باشا نجل المرحوم محمد علي باشا الكبير والي مصر ولد سنة ١٢٤٥ هـ وتوجه الى أوروبا مع أخيه المرحوم أحمد باشا والحيدوي الأسبق اسماعيل باشا وتوظف بوظائف عالية بالاستانة فأحيلت اليه نظارة المعارف سنة ١٢٧٩ ثم المالية وفي أوائل سنة ١٢٨٧ عين ناظراً للمالية (الحقانية) وبعد ذلك بقليل أنعم عليه بالنيشان العثماني المرصع وتقلد بعد ذلك عدة مناصب أخرى وتوفي في ٤ ذي القعدة سنة ١٢٩٢ ودفن بالاستانة

الكويون والاخرينة ناضبة لا يوجد بها مايكفي لدفعه فاضطرت الدولة الى اصدار سهام جديدة بواسطة البنك العثماني بمدينتي باريس ولوندره فأصدرها البنك في شعبان سنة ١٢٨٢ الموافق ديسمبر سنة ١٨٦٥ بفائدة ١٢ في المائة ولضعف الثقة بمالية الدولة لم يقدم أصحاب الاموال على الاكتتاب ولم تحصل من هذه السهام الجديدة الا مايكفي لدفع الكويون المستحق فقط ولا استمرار هذا الضيق وعدم وجود النقود الكافية للمصروفات الضرورية سعى به أر باب الغايات لدى جلالة السلطان وأفهموه ان هذا العمر ناشى عن سوء تدابير فؤاد باشا للمالية فعزله واستبدله بمحمد رشدى باشا وأصدر له فرماناً بذلك بتاريخ ٢١ محرم سنة ١٢٨٣ الموافق ٤ يونيو سنة ١٨٦٦ فسعى مرتين في اصدار قرض لتسوية الديون السائرة ولم ينجح وأخيراً اتفق مع البنك العثماني على أن يدفع البنك فوائد الديون المقيدة في السجل العمومي كل ثلاثة أشهر وتتنازل له الدولة لوفائهم عن بعض ايرادات معينة وبذلك أمكن دفع الكويونات أولاً فاولاً واتى شر تأخير دفعها الذي بعد في عرف المالية افلاساً وصارت الدولة تقترض ما يلزمها من البنوك بدون اصدار اسهم عمومية بعد ان استقرت أحوال الدولة المالية أو كادت تحركت الفتن السياسية أولاً بسبب عدم قبول حكومة الصرب باتفاق ١١ ربيع الاول سنة ١٢٧٩ الموافق ٨ سبتمبر سنة ١٨٦٢ (راجع صحيفة ٢٩١) القاضي ببقاء الجيوش العثمانية محتلة لاربع قلاع بداخل بلاد الصرب كما سبق ذكر ذلك وطلبها من الدول بكل الحاح ابطال هذا الشرط وانجلاء عساكر الدولة عنها قطعياً فلم تقبل الدولة بل هدّدت الصرب بالحرب لومست عساكرها المحتلين بسوء ولكن اشتعال نار الفتن بكريد أشعلها عن اخضاعها وقبلت أخيراً في القعدة سنة ١٢٨٣ الموافق مارت سنة ١٨٦٧ سحب عساكرها فكمّل استقلال الصرب ولم يبق على أميرها الالفب ملك

ومثل ذلك حصل بخصوص الاعتراف بانتخاب البرلس شارل دي هو هنر لرن البروسى فان الدولة بعد ان جمعت جيشاً جراراً على حدود رومانيا لفسخ الانتخاب والزام الالهالى باتباع لصوص المعاهدات اضطرتها ثورة كريد الى العدول عن هذه الخطة والاعتراف بانتخابه ولقد أصابت الدولة في ذلك لان وجود مثل هذه الامارة في طريق الروسيا يفيدها وقت الحرب خصوصاً اذا لم يكن أميرها مصافياً للروسيا ولا متحداً معها في المذهب والجنس

اما ثورة جزيرة كريد فنشأت من دسائس اليونان بها وسعيهم في ضمها اليهم لكن يظهر ان مصلحة الدول البحرية لم تسمح لهم هذه المرة بتأييد مطالب اليونان بل كانت كلها مضادة لسلخ هذه الجزيرة عن أملاك الدولة العلية ولذلك منعت الدول مملكة اليونان من مساعدة الجزيرة الثائرة وأرسلت الدولة العثمانية إسمها جيشاً عرماً وأرسل المرحوم اسمعيل باشا خديوم مصر الاسبق فرقة لمساعدتها على

ثورة كريد

مقتضى الفرمانات وأظهرت الجيوش المصرية بها شجاعتها المعتادة وقازت بالنصر في عدة مواقع مهمة خصوصاً في واقعة ارقاذى (اركايدون) حتى استحقوا ثناء خديويهم عليهم وشكره لهم فارسل لهم بكريد رسالة قرئت على جميع العساكر والضباط المصريين وكان الحرر لها المرحوم عبد الله باشا فكرى الذى كان اذذاك ناظر قلمى التحريرات والعرض حالات وقد أردنا ايرادها حرفياً لرقعة مبانها ودقة معانيها شاهدة بفضل المصريين في براعة التحرير كما تشهد لهم بالنصر والفوز العظيم وهما يبحرونها الى من باسروا واقعة ارقاذى من الضباط الجهادية وأفراد العساكر المصرية سلام من الله وتسليم ورضوان كريم يهدى لاولكم وآخركم ويسدى لماموركم وأمركم لازام محفوفين من الله بنصره محفوظين بأمره غالبين على عدوكم بقهره متغلبين في نعمته وبره ولا انكسرت عزائمكم في كروب الحرب عزائم وصوارمكم في قطوب الخطوب بواسم وأعلامكم للنجاح والتكسين علائم وأيامكم للفتح المبين مواسم ورياح القهر والدمار على عدوكم سبائهم ولسمات النصر والفتح في رواحكم وغدوكم نواسم (وبعد) فما زلت أنشوق من اخبار شجاعتكم ما يسر الخواطر وأنشوف من آثار براعتكم ما يقر النواظر وانفا بعزمكم وحزمكم في المضايق متهيجا بما أبدىتموه من حسن السوابق حتى ورد قباور الشرقية من طرف حضرة الباشا ناظر الجهادية بيوميات الوقائع العسكرية مشتملة على واقعة ارقاذى وتفصيلاتها وما كان من رسوخ أقدامكم وثباتها وأقدامكم في جهاتها واقتحامكم مضايق حصونها واستحكاماتها وتسخير مستعصاتها وتدمير أشقياء العصاة وكيانها حتى زالت صياصبيها وذلت نواصيها ودنا لكم قاصبيها ودان عاصبيها فهكذا تكون رجال الجهاد وأبطال الجدال والجلاد وهكذا تفتح الحصون ويبرز سر النصر المصون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فقد أسفر لكم بحمد الله وجه التهاني وأمر فيكم بعون الله غرس الاماني وأيدتم ما ثبت للعساكر المصرية من حسن الامور العسكرية فحصل لي من الأسر والسرور بهذه البشارة ما لا تقدر الالسن أن تصف مقداره ولا يتسع له مجال الاشارة وتأيد فيكم حسن أنظاري وظهرت ثمرات أفكاري وتحققت انكم الآن بعون الله الكريم لاتزلون عن هذا الطريق القويم ولا تزالون في تأييد مالكم من المجد القديم وقد شاع حديث نصرتكم بين الاهل والديار وسارت الركبان بحسن هذه الاخبار كما نقلته صحائف الوقائع الى جميع الاقطار فالشرح صدرت أهالكم واخوانكم وفرخت بكم جميع أهل بلدانكم وابتسمت نفور أوطانكم واقتبخت باحاديث شجعانكم وارتاحت أرواح الشهداء من أفرانكم والمأمول في الطاف الله العلية وبركات السلطنة السنية ثم في حميتكم المليية وغيرتكم الوطنية أن يزول حال الاختلال عن قرب وينتهي امر القتال والحرب ويطيح الجميع ويسهل كل صعب منيع وتعودوا لوطننا العزيز ظافرين بالنصر والتعزيز وقد قرب حصول الامل ونجاح العمل ومضى الاكثرا وبقى

الأقل والحرب للرجل العسكري والبطل الجريء سوق عظيم وموسم كريم تشتري فيه غوالي المعالي بأعلى الغوالي وتنال فيه منازل الأكارم في ظلال السيوف الصوارم ويدرك الفخر الصادق بمرامى المدافع والبنادق. وقد علمتم ان الشجاعة وان كانت تبلغ الآمال لا تقصر الآجال كما ان الجبن وان كان يورث العار لا يؤخر الاعمار وانما هي آجال محدودة وأنفاس معدودة لا تقبل التغير ولا التقديم والتأخير والشجاعة صبر ساعة ثم ينكشف الغبار وتسفر الاخبار ويتناقل حديث الشجعان ويخلد في تواريح الزمان فدوموا على ابداء الاجتهاد وقوموا بأداء حقوق الجهاد واثبتوا على الشجاعة والاقدام وثبات القلوب والاقدام وانجزوا بمعونة الله عام هذا المرام وكما جودتم براعة المطلاع فاحسنوا براعة الختام اه

ولم يكن اهتمام الدولة العلمية ورجالها باقل من اهتمام الجنود المصرية المظفرة فيعد ان وجهت اليها الجيوش أرسلت اليها مندوباً سامياً للمفاوضة مع الثائرين اسمه كريدلى محمد باشا لمعرفة أحوال البلاد لكن لم تنجح في مأموريته لما كان بينه وبين أعيان الجزيرة من الشجاعة بسبب ولايته السابقة على تلك الجزيرة

ثم في ٦ شوال سنة ١٢٨٣ الموافق ١١ فبراير سنة ١٨٦٧ استقال محمد رشدى باشا من منصب الصدارة فعين السلطان مكانه محمد أمين على باشا ثانياً وأبقى محمد رشدى باشا المذكور في وظيفة الشرع العسكرية وأعاد محمد فؤاد باشا الصدر الاسبق الى نظارة الخارجية وكانت أول أعمال هذه النظارة ان استدعت كريدلى محمد باشا من جزيرة كريد وأرسلت عمر باشا بطل القرم اليها بوظيفة قائد عام لجميع الجيوش المحاربة بها فحارب الثائرين بكل شدة وصرامة وعند ذلك تداخلت بعض الدول وطلبت ارسال لجنة دولية الى الجزيرة لتسوية الاحوال فرفض الباب العالى هذا الطلب لعدم اتفاق الدول عليه واقترح من نفسه ارسال مندوب سام سياسى للنظر في شؤون الجزيرة وسافر اليها بهذه الصفة الصدر الاعظم على باشا في ١٤ اكتوبر سنة ١٨٦٧ وهناك بذل جهده في تسكين خاطر الاعيان بمنحهم الرتب والنياشين ثم أقال عمر باشا لعدم اتفاقه مع رجال البحرية المراقبين لشواطئ الجزيرة وأقام حسين عوفى باشا مكانه وعينه والياً للجزيرة وبعد ان رتب الاحوال عاد الى الاستانة في أوائل سنة ١٨٦٨ لاضطراد المخابرات السياسية بشأن تظاهر مملكة اليونان لمساعدة الثائرين وطلبها ضم الجزيرة اليها بأى طريقة ولو أدت الحال الى الحرب لكن لم تساعدها الدول على ذلك وأظهرت لها الحفاء وتهديتها بما لا تحمد عقباه لوانارت نار الحرب

وأخيراً اعتمد بياريس مؤتمراً من مندوبى الدول الموقعة على عهدة سنة ١٨٥٦ وبعد مداولات وتبادل عدّة محررات أصدر السلطان ارادة سنوية بتاريخ ١٢ جمادى الثانية سنة ١٢٨٦ الموافق ١٩ سبتمبر سنة ١٨٦٩ بمنح الجزيرة بعض امتيازات واعفاء أهلها من

دفع أموال سنتين كانت متأخرة عليهم ومن الخدمة العسكرية وبذلك انتهت هذه الثورة مؤقتاً إذ اليونان لا تترك أى فرصة لتتجر بضها على الثورة لضمها اليها

وما امتاز به السلطان عبد العزيز خان عماده من السلاطين العثمانيين تقدمه بمالكة الحروسة بنفسه وسياحته خارجها فقد سافر رحمه الله الى الوادى النيل في ١٤ شوال سنة ١٢٧٩ يصحبه في معيته الشريفة الامراء الاماجد مراد افندى الذى تولى منصب الخلافة بعد المرحوم السلطان عبد العزيز وعبد الحميد افندى خليفته الحالى ورشاد افندى ويوسف غز الدين افندى والوزيران فؤاد باشا ومحمد باشا فزار الاسكندرية ومحرروسة مصر ثم عاد الى دار السعادة باليمن والاقبال وكان سفره من الاستانة بعد ان افتتح المعرض العثمانى الذى أقيم بها لتنشيط الصنائع الوطنية في ١٠ رمضان سنة ١٢٧٩ بحضور ضيفه الكريم اسمعيل باشا خديوتنا الاسبق

سفر السلطان عبد
العزيز لمصر

وفي ١٩ صفر سنة ١٢٨٤ الموافق ٢٥ يونيو سنة ١٨٦٧ سافر قاصداً مدينة باريس الزاهية الزاهرة بناء على دعوى الامبراطور نابليون الثالث لحضور المعرض العام الذى أقيم فيها ودعا اليه الامبراطور أغلب ملوك الدنيا وكان من ضمن المدعوين خديوى مصر اسمعيل باشا فاجبر من الاسكندرية في ٧ من شهر صفر المذكور على سفينة الحروسة ليكون بباريس حين قدوم جلالة السلطان عبد العزيز اليها ثم عاد جلالة السلطان المعظم الى مقر خلافته عن طريق وارثه في ٦ ربيع الثانى سنة ١٢٨٤ بعد ان تغيب عنها ستة أسابيع ألقى في خلالها من حسن الملاقاة وكرم الوفادة ما طبع عليه الفرنسيون واشتهر عنهم

سفر السلطان
ليارس

أما الإصلاحات التى اجريت في داخلية الممالك الحروسة في خلافته فبعد منها ولا تعد فمنها القانون القاضى بجواز انتقال الاراضى الميرية (الخراجية) والموقوفة لورثة صاحب المنفعة الصادر في ١٧ محرم سنة ١٢٨٤ وهو يشبه لأئحة الاطيان السعيدية المصرية

والقوانين التى أجازت للأجانب امتلاك العقارات وكافة الحقوق العينية والتصرف فيها بجميع الممالك الحروسة بعد ان كانت ممنوعة عنهم كلية وذلك في سنة ١٢٨٥ الموافقة سنة ١٨٦٩ ومنها وضع مجلة الاحكام الشرعية ليعمل بها في الحاكم النظامية التى أنشئت وكان جارياً اصلاحها وكان وضع هذه المجلة بمعرفة لجنة من أشهر مشرعى هذا العصر واليك نص التقرير الذى قدمته الى محمد أمين على باشا الصدر الاعظم في غرة محرم سنة ١٢٨٦ منقولاً من منتخبات الجواب

وضع مجلة
الاحكام المدنية

لا يخفى على حضرة الصدر العالى أن الجهة التى تتعلق بامر الدين من علم الفقه كما انها تنقسم الى مناهج ومعاملات وعقوبة كذلك القوانين السياسية للامم المتقدمة تنقسم الى هذه الاقسام الثلاثة ويسمى قسم المعاملات منها القانون المدنى لكونه ملازداً لتساع المعاملات

التجارية في هذه الاعصار مست الحاجة الى استثناء كثير من المعاملات كالسفةتجة التي يسمونها حوالة وكاحكام الافلاس وغيرها من القانون الاصلى ووضع لهذه المستثنيات قانون مخصوص يسمى قانون التجارة وصار معمولاً به في الخصوصيات التجارية فقط وأما سائر الجهات فما زالت أحكامها تجري على القانون المدنى ومع ذلك فالدعاوى التي ترى في محاكم التجارة اذا ظهر شئ من متفرعاتها ليس له حكم في قانون التجارة مثل الرهن والسفالة والوكالة يرجع فيه الى القانون الاصلى وكيفما وجد مسطوراً فيه يجرى الحكم على مقتضاه وكذا في دعاوى الحقوق العادية الناشئة عن الجرائم تجري المعاملة بها على هذا المتوال أيضاً وقد وضعت الدولة العلية قديماً وحديثاً قوانين كثيرة تقابل القانون المدنى وهى وان لم تكن كافية لبيان جميع المعاملات وفصلها الا أن المسائل المتعلقة بقسم المعاملات من علم الفقه هى كافية وافية للاحتياجات الواقعة في هذا الخصوص ولعلها يرى بعض مشكلات في تحويل الدعاوى السابق الى الشرع والقانون غير أن مجالس تميز الحقوق لما كانت تحت رئاسة حكم الشرع فكما ان الدعاوى الشرعية تصير رؤيتها وقصلها لديهم كذلك كانت المواد النظامية التي تحال الى تلك المجالس ترى وتفصل بمفرقهم أيضاً وبذلك يجرى حل تلك المشكلات من حيث أن أصل القوانين والنظامات الملكية ومرجعها هو علم الفقه وكثير من الخصوصيات المتفرعة والامور التي ينظر فيها بمقتضى النظام يفصل ويحكم على وفق المسائل الفقهية والحال أن أعضاء مجالس تميز الحقوق لا اطلاع لهم على مسائل علم الفقه فاذا حكمت حكم الشرع الشريف في تلك الفروع بمقتضى الاحكام الشرعية ظن الاعضاء انهم يفعلون ما يشاؤون خارجاً عن النظامات والقوانين الموضوعية وأساءوا بهم الظن فيصير ذلك باعثاً على القيل والقال

ثم ان قانون التجارة الهامبوني هو دستور العمل في محاكم التجارة الموجودة في ممالك الدولة العلية وأما الخصوصيات المتفرعة عن الدعاوى التجارية التي لاحكم لها في قانون التجارة فيحصل بها مشكلات عظيمة لانه اذا صارت المراجعة في مثل هذه الخصوصيات الى قوانين أوروبا وهى ليست موضوعة بالارادة السنية فلا تصير مدار الحكم في محاكم الدولة العلية واذا أحيل فصل تلك المشكلات الى الشريعة الغراء فالحكم الشرعية تصير مجبورة على استثناء المرافعة في تلك الدعوى وحينئذ فالحكم على قضية واحدة في محكمتين كل منهما تغاير الاخرى في أصول المحاكمة ينشأ عنه بالطبع تشعب ومباينة ففى مثل هذه الاحوال لا يمكن لمحاكم التجارة مراجعة المحاكم الشرعية واذا قيل لاعضاء محاكم التجارة أن يراجعوا الكتب الفقهية فهذا أيضاً لا يمكن لان هؤلاء الاعضاء على حد سواء مع أعضاء مجالس تميز الحقوق في الاطلاع على المسائل الفقهية

ولا يخفى أن علم الفقه بحر لا ساحل له واستنباط درر المسائل اللازمة منه لحل المشكلات يتوقف على مهارة علمية ومملكة كلية وعلى الخصوص مذهب الحنفية لانه قام فيه مجتهدون

كثيرون متفاوتون في الطبقة ووقع فيه اختلافات كثيرة ومع ذلك فلم يحصل فيه تنقيح كما حصل في فقه الشافعية بل لم يزل مسائله أشدنا متشعبة فتميز القول الصحيح من بين تلك المسائل والاقوال المختلفة وتطبيق الحوادث عليها عسير جداً وماعدا ذلك فإنه يتبدل الاعصار تتبدل المسائل التي يلزم بناؤها على العادة والعرف مثلاً كان عند المتقدمين من الفقهاء إذا أراد أحد شراء دار اكتفى برؤية بعض بيوتها وعند المتأخرين لابد من رؤية كل بيت منها على حدته وهذا الاختلاف ليس مستنداً الى دليل بل هو ناشئ عن اختلاف العرف والعادة في أمر الانشاء والبناء وذلك ان العادة قد بما في انشاء الدور وبنائها أن تكون جميع بيوتها متساوية وعلى طرز واحد فكانت رؤية بعض البيوت على هذا تنفي عن رؤية سائرها وأما في هذا العصر حيث جرت العادة بان الدار الواحدة تكون بيوتها مختلفة في الشكل والقدر لزم عند البيع رؤية كل منها على الاقتراد وفي الحقيقة فاللازم في هذه المسألة وأمثالها حصول علم كاف بالمبيع عند المشتري ومن ثم لم يكن الاختلاف الواقع في مثل المسألة المذكورة تغييراً للقاعدة الشرعية وإنما تغير الحكم فيها بتغير أحوال الزمان فقط وتفرق الاختلاف الزماني والاختلاف البرهاني الواقع هنا وتميزهما محوج الى زيادة التدقيق وامعان النظر فلا جرم أن الاحاطة بالمسائل الفقهية وبلوغ النهاية في معرفتها أمر صعب جداً ولذا انتدب جمع من فقهاء العصر وفضلائه لتأليف كتب مطولة مثل كتاب الفتاوى التاتارخانية والعالمكيرية المشهورة الآن بالفتاوى الهندية ومع ذلك فلم يقدروا على حصر جميع الفروع الفقهية والاختلافات المذهبية وفي الواقع فان كتب الفتاوى هي عبارة عن مؤلفات حاوية لصور ما حصل تطبيقه من الحوادث على القواعد الفقهية وأثبتت به الفتاوى فيما مر من الزمان ولا شك أن الاحاطة بجميع الفتاوى التي أفق بها علماء السادة الحنفية في العصور الماضية عسر للغاية ولهذا جمع ابن نجيم رحمه الله تعالى كثيراً من القواعد الفقهية والمسائل السككية المندرج تحتها فروع الفقه ففتح بذلك باباً يسهل التوصل منه الى الاحاطة بالمسائل ولكن لم يسمح الزمان بعده بعالم فقيه يحدو حذوه حتى يجعل أثره طريقاً واسعاً وأما الآن فقد ندر وجود المتبحرين في العلوم الشرعية في جميع الجهات وفضلاً عن انه لا يمكن تعيين أعضاء في المحاكم النظامية لهم قدرة على مراجعة الكتب الفقهية وقت الحاجة لحل الاشكالات فقد صار من الصعب أيضاً وجود قضاة للمحاكم الشرعية السكائية في الممالك المحروسة

بناء على ذلك لم يزل الامم ملحقاً بتأليف كتاب في المعاملات الفقهية يكون مضبوطاً سهلاً المأخذ عارياً من الاختلافات حاوياً للاقوال المختارة سهلاً المطالعة على كل أحد لانه اذا وجد كتاب على هذا الشكل حصل منه فائدة عظيمة عامة لكل من نواب الشرع ومن أعضاء المحاكم النظامية وللامورين بالادارة فيحصل لهم بمطالعتهم انساب الى الشرع ولدى الايجاب تصير لهم ملكة بحسب الوسع يقتدرون بها على التوفيق ما بين الدعاوى والشرع

الشریف فیصیر هذا الكتاب معتبراً مراعياً الاجراء فی المحاکم الشرعية مغنياً عن وضع قانون لدعوى الحقوق التي ترى فی المحاکم النظامية ومن أجل الحصول على هذا المأمول عقدت سابقاً جمعية علمية فی ادارة مجلس التنظيمات وحرر حينئذ كثير من المسائل ولكن لم تبرز الى حيز القلم فصدق مضمون قولهم ان الامور مرهونة لاوقاتها حتى شاء الله تعالى بروز ما فی هذا العصر الهمايوني الذي صار مغبوطاً من جميع الاعصار بظهور مثل هذه الآثار الخيرية المهمة ولاجل حصول هذا الامر مع سائر الآثار الحسنة الكثيرة التي هي من التوفيقات الجليلة السلطانية المشهودة بعين الافتخار للبرية. أحيل على عهدتنا مع ضعفنا ونعجزنا اتمام هذا المشروع الجميل والامر الخيري السديد لتحصل به الكفاية فی تطبيق المعاملات الجارية على القواعد الفقهية على حسب احتياجات العصر وبموجب الارادة العلية اجتمع عنا فی دائرة ديوان الاحكام وبادرنا الى ترتيب مجلة مؤلفة من المسائل والامور الكثيرة الوقوع اللازمة جسداً من قسم المعاملات الفقهية مجموعة من أقوال السادة الحنفية الموثوق بها وقسمت الى كتب متعددة وسميت بالاحكام العلية وبعد ختام المقدمة والكتاب الاول منها أعطيت نسخة منها لمقام مشيخة الاسلام واسخ أخرى لمن له مهارة ومعرفة كافية فی علم الفقه من الذوات الفخام ثم بعد اجراء ما نزم من التهذيب والتعديل فيها بناء على بعض ملاحظات منهم حررت منها نسخة وعرضت على حضراتكم العلية والآن حصلت المبادرة الى ترجمة هذه المقدمة والكتاب الى اللغة العربية وما زال الاهتمام مصروفاً الى تأليف باقى الكتب أيضاً فلدى مطابعتكم هذه المجلة يحيط علمكم العالی بأن المقالة الثانية من المقدمة هي عبارة عن القواعد التي جمعها ابن نجيم ومن سلك مسلكه من الفقهاء رحمهم الله تعالى فحكم الشرع ما لم يقفوا على نقل صريح لا يحكون بمجرد الاستناد الى واحدة من هذه القواعد الا أن لها فائدة كلية فی ضبط المسائل فن اطلع عليها من المطالعین يضبطون المسائل بآدابها وسائر المأمورین يرجعون اليها فی كل خصوص وبهذه القواعد يمكن للانسان تطبيق معاملاته على الشرع الشريف أو فی الاقل التقريب وبناء على ذلك لم تكتب هذه القواعد تحت عنوان كتب أو باب بل أدرجناها فی المقدمة والاكثر فی الكتب الفقهية أن تذكر المسائل مخلوطة مع المبادئ ولكن فی هذه المجلة حررت فی أول كل كتاب مقدمة تشتمل على الاصطلاحات المتعلقة بذلك الكتاب ثم تذكر بعدها المسائل الساذجة على الترتيب ولاجل ايضاح تلك المسائل الاساسية أدرج ضمنها كثير من المسائل المستخرجة من كتب الفتاوى على سبيل التمثيل ثم ان الاخذ والعطاء الجارى فی زماننا أكثره مربوط بالشروط وفي مذهب الحنفية ان الشروط الواقعة فی صلب العقد أكثرها مفسد للبيع ومن ثم كان أهم المباحث فی كتاب البيوع فصل البيع بالشروط وهذا الامر أوجب مباحثات ومناظرات كثيرة فی جمعية هؤلاء العاجزين ولذا رؤى مناسباً ايراد خلاصة المباحثات الجارية فی ذلك

على الوجه الآتي

فنقول ان أقوال أكثر المجتهدين في حق البيع بالشرط يخالف بعضها بعضاً في مذهب المالكية اذا كانت المدة جزئية وفي مذهب الحنابلة على الإطلاق يكون للبائع وحده أن يشترط لنفسه. منفعة مخصوصة في المبيع لكن تخصيص البائع بهذا الأمر دون المشتري يرى مخالفاً للرأى والقياس أما ابن أبي ليلى وابن شبرمة ممن عاصروا الإمام الأعظم رضى الله عنه واقضت أتباعهم فكل منهما رأى في هذا الشأن رأياً يخالف رأى الآخر فابن أبي ليلى يرى أن البيع اذا دخله أى شرط كان فقد فسد البيع والشرط كلاهما وعند ابن شبرمة ان الشرط والبيع جائزان على الإطلاق فذهب ابن أبي ليلى يرى مبالغة الحديث (المسلمون عند شروطهم) ومذهب ابن شبرمة موافق لهذا الحديث موافقة تامة لكن المتبايعين ربما يشترطان أى شرط كان جائز أو غير جائز قابل الاجراء أو غير قابل ومن الأمور المسلمة عند الفقهاء أن رعاية الشرط انما تكون بقدر الامكان فسأله الرعاية للشرط قاعدة تقبل التخصيص والاستثناء ولذا اتخذ طريق متوسط عند الحنفية وذلك ان الشرط ينقسم الى ثلاثة اقسام شرط جائز وشرط مفسد وشرط لغوي بيان هذا ان الشرط الذي لا يكون من مقتضيات عقد البيع ولا مما يؤيده وفيه نفع لاحد المتعاقدين مفسد والبيع المعلق به يكون فاسداً والشرط الذي لا نفع فيه لاحد العاقدین لغوي والبيع المعلق به صحيح لأن المقصود من البيع والشراء التملك أى ان يكون البائع مالكا للثمن والمشتري مالكا للمبيع بلا مزاحم ولا ممانع والبيع المعلق به نفع لاحد المتعاقدين يؤدي الى المنازعة لان المشروط له النفع يطلب حصوله والآخر يريد القرار منه فكان البيع لا يتم لكن بما أن العرف والعادة قاطع للمنازعة جوز البيع مع الشرط المتعارف على الإطلاق أما المعاملات التجارية فهي من أصلها في حال مستثنى كما تقدم وأكثر ذوى الحرف والضمان قد تعارفوا على معاملة مخصوصة تقررت بينهم والعرف الطارى معتبر فلا يبقى ما يوجب البحث الا بعض شروط خارجة عن العرف والمادة تشترط في المعاملات المتفرقة في الاخذ والعطاء وليس لهذه المعاملات شأن يوجب الاعتناء بالبحث عنها فما بسست الحاجة في تيسير معاملات العصر الى اختيار قول ابن شبرمة الخارج عن مذهب الحنفية ولهذا حصل الاكتفاء بذكر الشروط التي لا تفسد البيع عند الحنفية في الفصل الرابع من الباب الاول كما وقع في سائر الفصول قد ذكر في المادة السابعة والتسعين بعد المائة والمادة الخامسة بعد الثمانين أنه لا يصح بيع المعدوم والحال ان ما كان مثل المورد والخرشوم من الازهار والخضراوات والقواكه التي يتسلاحق ظهور محصولاتها يصبح فيه البيع اذا كان بعض محصولاتها ظهراً وبعضها لم يظهر لانه لما كان ظهور محصولاتها دفعة واحدة غير ممكن وانما تظهر أفرادها وتتاقص شيئاً بعد شيء اصطلاح الناس في العامل على بيع جميع محصولاتها الموجودة والمتلاحقة

بصفة واحدة ولذا جوزا الامام محمد بن حسين الشيباني رحمه الله تعالى هذا البيع استحسانا وقال اجعل الموجود أصلا والمعدوم تبعاله وأفتى بقوله الامام الفضلي وشمس الاقامة الحلواني وأبو بكر بن فضل رحمهم الله تعالى وحيث ان ارجاع الناس عن عاداتهم المعروفة عندهم غير ممكن كما ان حمل معاملتهم بحسب الامكان على الصحة أولى من نسبتها الى الفساد وقع الاختيار لترجيح قول محمد رحمه الله في هذه المسألة كما هو مندرج في المادة السابعة بعد المائتين

وفي بيع الصبرة كل مدّة بكذا عند الامام الاعظم رضى الله عنه يصح البيع في مدّة واحدة فقط وعند الامامين رحمهما الله تعالى يصح في جميع الصبرة فهما بلغت الصبرة يأخذها المشتري ويدفع عنها بحسب المدّة بسعر ما جرى عليه العقد وحيث أن كثيراً من الفقهاء مثل صاحب الهداية قد اختاروا قول الامامين في ذلك تيسيراً لمعاملات الناس حررت هذه المسألة في المادة العشرين بعد المائتين على مقتضى قوطهما وأكثر مدّة خيار الشرط عند الامام رحمه الله تعالى ثلاثة أيام وعند الامامين تكون المدّة على قدر ما شرط المتعاقدان من الايام ولما كان قوطهما هنا أيضاً أوفق للحال والمصلحة وقع عليه الاختيار وذكر بدون مدّة الايام الثلاثة في المادة الثلاثمائة وهذا الخلاف جار أيضاً في خيار التقديرات أن عدم تقييد المدّة بثلاثة أيام وصحة تقييدها بأكثر من ذلك هو قول محمد رحمه الله تعالى فقط وأما اختيار قوله في هذه المسألة أيضاً مراعاة لمصلحة الناس كما ذكر في المادة الثالثة عشرة بعد الثلاثمائة

وعند الامام الاعظم ان المستصنع له الرجوع بعد عقد الاستصناع وعند الامام أبى يوسف رحمه الله انه اذا وجد المصنوع موافقاً للصفات التي بينت وقت العقد فليس له الرجوع والحال انه في هذا الزمان قد اتخذت معامل كثيرة تصنع فيها المدافع والبواخر (الغابورات) ونحوها بالمقالة وبذلك صار الاستصناع من الامور الجارية العظيمة فتخير المستصنع في امضاء العقد أو فسخه يترتب عليه الاخلال بمصالح جسيمة وحيث ان الاستصناع مستند الى التعارف ومقيس على السلم المشروع على خلاف القياس بناء على عرف الناس لزم اختيار قول أبى يوسف رحمه الله تعالى في هذا مراعاة لمصلحة الوقت كما حذر في المادة الثانية والتسعين بعد الثلاثمائة من هذه الحجة

فاذا أمر امام المسلمين بتخصيص العمل بقول من المسائل المجتهد فيها تعين ووجب مل بقوله واذا صارت هذه المعروضات المبسوطة لدى خضرتكم العلية قرينة التصويب يجرى توشيح أعلى الحجة الملقوفة بالخط الشريف الهمايوني والامر لولى الامر

مفتش الاوقاف الهمايونية

ناظر ديوان الاحكام العدلية

السيد خليل

احمد جودت

من أعضاء شورى الدولة
سيف الدين
من أعضاء ديوان الاحكام العدلية
السيد أحمد حليمي
من أعضاء ديوان الاحكام العدلية
السيد أحمد خلوصي
من أعضاء شورى الدولة
محمد أمين الجندى
من أعضاء الجمعية علماء الدين بن ابن عابدين

هذا ومن جهة الامور المتعلقة بالامارات الممتازة فقد ابتدأت دسائس جمعيات الضمالية في بلاد البلغار الواقعة بين نهر الطونة وجبال البلقان لسلخها عن الدولة وكذلك في ولايتي البوسنة والهرسك بدعوى الاشتراك مع الروسيين في الجنس والدين وكانت رومانيا من أقوى المساعدين لهذه الجمعيات فكانت تأوى اليها العصب المتسلحة وتشن الغارة على بلاد البلغار لتحرجهم على العصيان وطلب الاستقلال لكن لم تمتد بها الفتن بل كان يظفأ شرارها أولا بأول قبل أن يصير لها مهمة أحمد مدحت باشا الشهير والى هذا الاقليم وكذلك الحال في بلاد البوسنة والهرسك

أما قطرنا المصري السعيد فحصل على جملة امتيازات في عهد السلطان عبد العزيز لما كان نيته وبين اسمعيل باشا من الروابط الخصوصية وما كان له بين حاشية السلطان ووزرائه من المساعدين جعلت ولاية مصر خديوية بمقتضى فرمان تاريخه ٥ ربيع الاول سنة ١٢٨٤

وفي سنة ١٢٨٣ غيرت طريقة التوارث في الخديوية المصرية وحصرت في ذرية اسمعيل باشا المذكور ثم في سنة ١٢٨٩ أعطيت له عدة امتيازات جديدة وفي ١٣ ربيع الآخر سنة ١٢٩٠ الموافق ٨ يونيو سنة ١٨٧٣ أرسل اليه فرمان جديد شامل لجميع امتيازات مصر وكيفية التوارث في منصب الخديوية ولكونه جامعا لكافة ما سبق آثرنا نشره حرفياً اكثفاء به عن باقي فرمانات السابقة الداخلة معناها ضمن هذا فرمان وهاهو

الفرمان الشامل
لجميع امتيازات
الخديوية المصرية

فن المعلوم لديكم أنكم استدعيت مناجم الخطوط الهمايونية والاموال الشريفة السلطانية التي صدرت من منذ توجيه الخديوية الجليلة بطريق التوارث الى عهدة والى مصر الاسبق محمد على باشا المرحوم الى يومنا هذا سواء كانت بخصوص تعديل توارث الخديوية المصرية أو بخصوص اعطاء بعض امتيازات حسب استوجابها موقع الخديوية وأمزجة الاهالي وطبائعها الخصوصية وجعلها فرمانا واحداً مع التمديلات اللازمة في احكامها والتفصيلات المتقتضية في عباراتها بشرط أن يكون هذا فرمان الجديد قائم مقام فرمانات السابقة وأن تكون الاحكام المندرجة فيها معمولاً بها ومرعية الاجراء على الدوام والاستمرار فقد قورن استدعائكم هذا بمساعدتنا الجليلة الملوكية وها نحن نذكر ونبين

لحكم أحكامها على الوجه الآتى
لما تحقق لدينا أن تعديل أصول توارث الخديوية المصرية التي صار تعيينها بالقرمان
العالي الصادر في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول من شهور سنة ١٢٥٧ الموشح
أعلاه بالخط الهمايوني وتبديلها بأصول حصر الورثة الخديوية في أكبر أولاد خديو مصر
بطريق ساسلة النسب المستقيم بأن يصير تخصيص مسند الخديوية للجيل وتوجيهه الى
أكبر أولاد الخديو الذكور وبعده الى أكبر أولاد هذا الأكبر الذكور وهكذا على النسب
المستقيم الذكوري على الدوام يكون مستلزماً لحسن ادارة الخديوية المصرية وجالباً
لاستكمال سعادة أحوال أهلها وسكانها هذا مع ما حصل لدينا من استحسان مساعيك
الجميلة المصروفة في استحصال معمورية الاقطار المصرية المهمة الجسيمة ورفاهية أهلها
وحصول وثوقنا بكم واعتمادنا الكامل عليكم فلاجل أن يكون دليلاً باهراً على ذلك قد
أجرينا تعديل توارث الخديوية المصرية وتعيين وصايتها على الطريق الآتى بيننا وهي
أن خديوية مصر الجميلة وملحقاتها وجهاتها المعلومة الجارية ادارتها بمعرفة مع ماضار
الحاقها بها أخيراً من فائتقامتي سواكن ومصنوع وملحقاتها يصير توجيهها بكم على
الطريق المار ذكرها الى أكبر أولادكم الذكور وبعده الى أكبر أولاد من يكون خديوياً
على الاقطار المصرية من أولادكم وإذا انحلت الخديوية المصرية بأن لا يكون للخديو ولد
ذكر يصير توجيهها الى أكبر اخوته الذكور وإذا لم يوجد له أخ بقيد الحياة قالى أكبر
أولاد الاخ وهكذا اتخذ هذه الاصول قانوناً مستمراً وقاعدة مرعية أبدية في توارث
الخديوية المصرية ولا يصير انتقال الورثة الخديوية الى الأولاد الذكور المتولدة من أولادكم
الأنثاء أصلاً

ولأجل تأمين أصول توارث الخديوية المصرية سنذكر صورة تشكيل الوصاية
المقتضية في ادارة أمور الخديوية فيما اذا انحلت الخديوية وكان الوارث الذي هو أكبر أولادكم
الذكور صغيراً وصبيّاً وهي ان الخديوية المصرية اذا انحلت وكان أكبر أولادكم الذكور أعنى
الوارث صغيراً وصبيّاً بأن يكون عمره أقل من ثمانية عشر سنة ولو انه يصير خديو بالفعل
حسب استحقاق الورثة في الحال يصدر فرمان من طرف السلطنة السنية بتوليته على
الخديوية لكن اذا كان الخديو السالف عين ولصب وصياً ورتب هيئة وصاية لأجل
ادارة أمور الخديوية لحين بلوغ الخديو اللاحق الصبي الى سن الثمانية عشر سنة وكتب سند
وصاية بذلك وختم عليه هو وختم أيضاً اثنان من الامراء المصرية المأمورين باحدى
المأموريات المصرية على طريق الاشهاد واجراء الوصاية هكذا قالوصى مع هيئة الوصاية
المذكورة يأخذ بزمام الادارة في الحال وبعد ذلك تعرض الكيفية الى الباب العالي ويصير
التصديق على ذلك الوصى وهيئة الوصاية من طرف الدولة العلية بفرمان على ويبقى الوصى وهيئة
الوصاية على ما هم عليه لحين البلوغ وأما اذا انحلت الخديوية ولم يعين الخديو السالف

وصياً ولم يرتب هيئة الوصاية على الوجه المذكور تتشكل هيئة الوصاية من الذوات المأمورين على الداخلية والجهادية والمالية والخارجية ومجلس الأحكام المصرية وسردياته العسكرية المصرية وتفتيش الأقاليم ويصير انتخاب وصي في الحال من هؤلاء المأمورين على الوجه الآتي ذكره وهو أنه في تلك الساعة يصير المذاكرة والمداولة ما بين هؤلاء الذوات في حق انتخاب وصي منهم فإذا حصل اتفاقهم أو اتفاق أكثرية آرائهم على تسمية وجعل ذات منهم وصياً ينعين ذلك الذات وصياً على الخديوية وإذا اختلفت الآراء بان رغب نصفهم في تعيين ذات والنصف الآخر في تعيين ذات آخر يكون إجراء وصاية الذات المأمور على المأمورية المهمة والمقدمة في الذكر من تلك المأموريات أعنى المأمور على المأمورية المقدم ذكرها على الترتيب المحرر آنفاً من الداخلية إلى آخره وتتشكل هيئة الوصاية من الذوات الباقية بعده ويباشرون إدارة الأمور الخديوية مع الوصي وتعرض الكيفية بمضبطة من طرفهم إلى طرف سلطنتنا السنية ويصير التصديق عليها بالقرمان الشريف وكما أنه لا يجوز تبديل الوصي وتغيير هيئة الوصاية قبل ختام مدتها في الصورة الأولى أعنى فيما إذا كان تعيين الوصي وترتيب الوصاية وتركيب أعضائها بمعرفة الخديو السالف فكذلك في الصورة الثانية أعنى فيما إذا كان انتخاب الوصي بمعرفة المأمورين المذكورين لا يجوز تبديل الوصي ولا تغيير هيئة الوصاية ولا أعضائها في تلك المدة وإذا توفى أحد من أعضاء هيئة الوصاية في ظرف تلك المدة يصير انتخاب واحد من المأمورين المصرية بمعرفة الباقين وتعيينه بدل المتوفى وإذا توفى الوصي في تلك المدة يصير انتخاب واحد من أعضاء هيئة الوصاية بمعرفةهم على الوجه السابق وجعله وصياً وانتخاب واحد من المأمورين المصرية والحاكم بأعضاء هيئة الوصاية بدل الذي نصب وصياً ويمجّد بلوغ الخديو الصبي إلى سن الثمانية عشر سنة صار رشيداً وقاعلاً مختاراً فيباشر هو بنفسه إدارة أمور الخديوية المصرية مثل سلفه وهذا حسماً بقرار لدينا واقتضته إرادتنا الملوكية

ولما كان تزايد عمارة الخديوية المصرية وسعادة حالها وتأمين رفاهية أهاليها والسكان وراحتها من همّ المواد الملزمة المرغوبة لدينا وإدارة المملكة الملكية والمالية ومنافعها المادية وغيرها المتوقف عليها تأسيس واستكمال وسائل الرفاهية وأسبابها عائدة على الحكومة المصرية فنذكر بيان كيفية تعديل الامتيازات وتوضيحها بشرط بقاء كافة الامتيازات المعطاة قديماً وحديثاً من طرف الدولة العلية إلى الحكومة المصرية واستمرار جرياتها خلفاً عن سلف وتلك الكيفية هي أنه لما كانت إدارة المملكة بكل الصور والحالات بدواء كانت إدارتها الملكية أو المالية أو كافة منافعها المادية وغيرها هي من المواد العائدة على الحكومة المصرية والمتعلقة بها ومن المعلوم أن أمر إدارة أي مملكة كانت وحسن انتظامها وتزايد معمرتها وثروة أهاليها وسكانها لا يتيسر إلا

بتوفيق معاملاتها وتطبيق اجرائاتها العمومية بالاحوال والموقع وأمزجة الاهالى وطبائعها
فقد اعطينا لاسم الرخصة الكاملة فى اعمال قوانين ونظامات داخلية على حسب
لزوم المملكة وكذا لأجل تسهيل تمشية وتسوية كافة المعاملات سواء كانت من طرف
الحكومة أو من طرف الاهالى مع الاجانب وترقى وتوسع الصنائع والحرف وأمور التجارة
وامور الضبطية مع الاجانب قد اعطينا لاسم الرخصة الكاملة فى عقد وتحديد المقاولات
(المعاهدات) مع مأمورى الدول الأجنبية فى حق السمك وأمور التجارة وكافة
المعاملات الجارية مع الاجانب فى أمور المملكة الداخلية وغيرها بصورة لا تستلزم
اخراج معاهدات الدولة العلمية البوليقيمية (السياسية) وكذا لكون خديو مصر حائز
التصرفات الكاملة فى الأمور المالية قد صار اعطاء الماذونية التامة له فى عقد استقراض
من الخارج بلا استئذان من الدولة العلية فى أى وقت يرى فيه لزوم للاستقراض
بشرط أن يكون باسم الحكومة المصرية وكذا لكون أمر محافظة وصيانة المملكة الذى
هو الأمر المهم والمعنى به زيادة عن كل شىء من أقدم الوظائف المختصة بخديو مصر فقد
أعطيت له الرخصة الكاملة فى تدارك كافة أسباب المحافظة وناسيسها وتنظيمها بنسبة
الجات الزمن والموقع وكذا فى تكثير أو تقليل مقدار المساكر المصرية الشاهانية بالاتحاد
على حسب الايجاب والوزم وكذا أبقينا لخديو مصر الامتياز القديم فى حق اعطاء رتبة
اميرالاي من الرتب العسكرية واعطاء رتبة ثانية من الرتب الديوانية بشرط أن المسكوكات
الجارية ضربها بمصر تكون باسمنا الملوكى وأن تكون أعلام وصنائج المساكر البرية
والبحرية الموجودة فى الخططة المصرية كأعلام وصنائج سائر عساكرنا الشاهانية بلا
فرق وبشرط عدم انشاء سفن زرخ أى مدرعة بالحديد فقط بدون استئذان لا غيرها
من السفن الحربية فانها جائز انشاؤها بلا استئذان ولأجل اعلان المواد المشروحة أعلاه
وتأييدها أصدرنا لاسم أمرنا هذا الجليل القدر من ديواننا الهمايونى بمقتضى ارادتنا
الملوكية وصار توشيح أعلاه بخطنا الهمايونى واعطاؤه لاسم متممًا ومكملاً ومعدلاً ومصرحاً
للخطوط الهمايونية والأوامر الشريفة الصادرة لحد هذا التاريخ سواء كان فى تاسيس
وترتيب وراثه الحكومة المصرية أو فى تشكيل هيئة الوصاية أو فى ادارة الأمور الملكية
والعسكرية والمالية والمنافع المادية والمواد السائرة بشرط ان تكون الاحكام المندرجة
بهذا فرمان الجديدة نافذة وبقية ومرعية الاجراء على ممر الزمان وقائمة مقام احكام
الفرمانات السالفة على ما اقتضيه ارادتنا الملوكية فيلزم ان تعلموا قدر لطف عنايتنا
الملوكية واداء شكرها بضرر جليل همكم فى حسن ادارة امور الخططة المصرية
واستكمال اسباب وقاية امنية الاهالى المنوطة بها واستحصال راحتهم على حسب
ما جباكم عليه من الشيم المرغوبة والغيرة والاستقامة وما اكتسبتموه من الوقوف والمعلومات
فى احوال تلك الحوالى والاقطار وان تراعوا اجراء الشروط المقررة فى هذا فرمان الجديد

وأداء المائة وخمسين ألف كيسة التي هي وبركو مصر المقطوع سنوياً بأوقاتها وزمانها
الى خزنتنا الجليلة الشاهانية على الترتيب والقاعدة المرعية في ذلك تحريراً في سنة
١٢٩٠ هـ

ثم وهب جلالة السلطان الاعظم الى جناب خديو مصر مدينة نزل وملحقاته التابعة
للواء الحديده وأصدر لفرمانا بذلك في ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٢٩٢ هجرية وذلك
بخلاف قائم مقاميق سواكن ومصبوع المذكورتين في فرمان السابق

هلافت تونس
مع الدولة العلية

وما يذكر من أعمال السلطان عبد العزيز الماثورة توثيقه ر بطابعية بين ايلة تونس
والخلافة الإسلامية العثمانية ليثبت حقوق الدولة عليها وذلك أنه لما بلغ مسامع جلالته
أن بعض الدول تطمح الى الاستيلاء عليها فأراد رحمه الله أن يؤيد حقوق دولته عليها
جهاراً ليرتدع من ينظر اليها بسوء اذ تصير جزءاً من ممالك المحروسة التي تمهدت الدول
بضياتها في معاهدة باريس المبرمة في سنة ١٨٥٦ فارسل هذا فرمان مؤرخا شعبان
سنة ١٢٨٨ الموافق ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٧١ لكن لم يمنع ذلك الحكومة الفرنسية
من دخولها بخيلها ورجلها واشهار حمايتها عليها في سنة ١٨٨١ اذ لا قيمة للحقوق في
عصرنا هذا الموسوم بعصر التمدن والحرية وها هو بحروفه تقلا عن الرائد التونسي أردنا
درجه في هذا الكتاب الخاملاً لاشياغ فرنسا في هذه الديار الذين يدعون ان فرنسا لم تهتضم
للدولة العلية حقوقاً برفع حمايتها على الايلة التونسية بدعوى انها لم تكن تابعة لها مطلقاً
الدستور المسكوك المشير المفعم نظام العالم مدير أمور الجمهور بالسكر بالتأقب متمم مهمات
الانام بالرأى الصائب ممد بنان الدولة والاقبال مشيد أركان السعادة والاجلال المحفوف
بصنوف عواطف الملك الأعلى الوالى بتونس الآن الحائز الحاصل للنيشان المجيدى
الشريف من رتبته الأولى مع النيشان الهمايونى العثمانى المرصع وزبرى محمد الصادق
باشا أدام الله تعالى اجلاله آمين

ليكون معلوماً عند ما يصل توقيعى الرفيع الهمايونى أنه منذ وجهت وأودعت من
جانب سلطنتنا السنية ادارة الايلة التونسية التي هي من ممالك دولتنا العلية المحروسة
المتوارثة الى عهدتك ذات اللياقة والاهلية كما وجهت سابقاً الى عهدة أسلافك لم نزل
نظهر حسن السيرة والخدمة وتنهى الى طرفنا الملوكى الأشرف خلوص النية والاستقامة
حق صار ذلك قريناً لعلنا المضى بعالم فأمولنا السلطانى على مقتضى الشيم المرضية التي جملت
عليها هو الدوام في ذلك المسلك المرضى والجد والاجتهاد في كل ما ينهى عمران مملكتنا
الشاهانية وسعادة أهاليها تبعه دولتنا العلية ورفاهيتهم وراحتهم حتى تستديم بذلك
استحقاق عنايتى الشاهانية واعتمادى السلطانى المبذولين في حقك أنا فانا نعرف قدر تلك العناية
والاعتماد وتشكرهما ولما كان المقصود الاصلى والمراد القطعى لسلطنتنا السنية هو

ارتقاء طمانينة الولاية المهمة الراجعة لدولتنا العلية ونمو عمرانها وتأسيس أبنية الأمن والراحة لسكانها يوماً فيوماً وكان من البديهيات أن السلطنة العزيزة لا يعزها ولا يؤيدها الا صرف المهمة والعناية العائدة الى حقوقها الاصلية لتتم استكمال هاته المطالب وورد الطلب المندرج بكتابتنا بك الموضوع الموجه من طرفك أخيراً الى جانب الخلافة العلية قررت وأقيمت ايلة تونس المحدودة بمحدودها القديمة المعلومة بمهدتك بضم امتياز الوراثة وبالشرايط الاتية وحيث ان مرغوبنا السلطاني على ما تقدم بيانه انما هو تزايد عمران تلك المملكة الشاهانية وثروة أهاليها وهي الآن في حالة مضايقة وتأخر في الواردات لكل من الحكومة والاهالي قد سمحت السلطنة السنية بعدم ارسال ما كان يرسل باسم معلوم من الولاية لطرف دولتنا العلية بموجب التبعية المقررة المشروعة رحمة لأهالي تلك الولاية ولما كانت الولاية المشار اليها من الاجزاء المتتمة لمملكةنا المملوكية صدرت اراذتنا السنية بان يكون الوالي بتونس مخصصاً له في تولية المناصب الشرعية والعسكرية والمملوكية والمالية والسياسية لمن يكون متاهلاً لها وفي العزل عنها بمقتضى قوانين العدل وفي اجراء المعاملات المعلومة مع الدول الأجنبية كما كانت سابقاً عدا المواد السياسية العائدة الى حقوقنا المقدسة المملوكية ومعنى بها ما كان كعقد الشروط المتعلقة بأصول السياسة والحرب وتغيير الحدود ونحوها مما يكون اجرائه راجعاً الى حقوق سلطنتنا السنية وعند حلول القدر المحتوم في الولاية وتقديم المعروض بطلب الفرمان الشريف من الوارث الاكبر من مائلك لطرف سلطنتنا السنية يرسل له الفرمان الشريف مع منشور الوزارة والمشيروية الهمايوني كما استمر العمل بذلك الى الآن بشروط أن تستمر الخطبة باسمنا السلطاني وتزين به السكة التي تضرب هناك علامة علنية للارتباط القديم الشرعي لولاية تونس بمقام الخلافة الجليل وأن يبقى السنجق على لونه وشكله ومهما وقع حرب لسلطنتنا السنية مع أجنبي يرسل العسكر من تلك الولاية الشاهانية بقدر الاستطاعة طبق ما جرت به العادة القديمة في الجميع ومع تلك المواد يكون أمر الولاية بطريق الوراثة مخصوصاً بعائلك على أن تبقى سائر المعاملات الارتباطية مع دولتنا العلية جارية مرعية كما كانت سابقاً وأن تجري الادارة الداخلية لتلك الولاية مطابقة للشرع الشريف وموافقة لقوانين العدل التي يقتضيها الوقت والحال الكافلة بتأمين السكان في النفس والعرض والمال فاعلاماً ذكر أصدر هذا الفرمان الشريف الجليل القدر من ديواننا الهمايوني وأرسل موشحاً أعلاه بخطنا الميمون السلطاني خلاصة نيابتنا الشاهانية انما هي اصلاح حالة تلك المهمة والمال يتكتم وتقوية ذلك حالاً ومآلاً واستكمال أسباب السعادة والرفاهية والأمنية لصنوف تبعتنا المستظلين بظل عدلنا السلطاني ومأمولنا القطمي الملوكي أن يبذل من جهتك الجهد في حصول ما ذكرتم حيث كان تمام الحافضة على حقوق سلطنتنا السنية الحققة بتونس من قديم الأزمان وعلى أمنية الأهالي القاطنين

بتلك الايالة المودعة بعهدة صداقتك من حيث النفس والعرض والمال وسائر الحقوق العمومية شرائط امتياز الوراثة الأساسية المقررة فيقتضى أن تتأكد محافظتها عن تطرق الخلل دائماً سرمداً ويتباعد عن وقوع الخلل والحركة على خلافها اذا علمت ذلك فلا بد ان تعرف أنت ومن يقام في أمر الولاية بالتوارث من أعضاء مائتلك قدر هاته النعمة العلية الشاهانية وتشكروها فعلى ذلك تسمى لتحصيل رضاي السلطاني بالقيمة ومزيد الاهتمام باجراء هذه الشروط المؤسسة حرر في اليوم التاسع من شهر شعبان المعظم سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف اه

هذا ومن أراد الوقوف على علاقات الايالة التونسية مع الدولة العلية العثمانية فليراجع الجزء الأول والثالث من كتاب صفوة الاعتبار تأليف الشيخ محمد يرم أما نحن فقد اكتفينا بنقل صورة فرمان ٩ شعبان سنة ١٢٨٨ السالف الذكر نقلا عن منتخبات الجوائب واللائحة المؤرخة ١٠ مايو سنة ١٨٨١ التي أرسلها الباب العالي الى سفرائه لدى الدول الأوروبية احتجاجاً على احتلال فرسان تونس وذلك نقلا عن كتاب صفوة الاعتبار واليك نص تعريها

القسطنطينية ١٠ مايو سنة ١٨٨١ ان اعلاماتي المختلفة عرفت فطانتكم الوقائع التي صارت في المسئلة التونسية. وقد اسبت بهجوم بعض القبائل البدوين جهة الجزائر ولهذا الهجوم فالحكام التونسيون أعلنوا بانهم حاضرون ليضبطوه من غير تراخ فالدولة الفرنسية حكمت بانه يلزمها ارسال عدد وافر من العساكر الذين قد استولوا على جزء كبير من الولاية ولم يعدوا عن المركز الا بعض فراسخ فن غير التفات الى ما كنا أكدنا به على حضرة الباشا ليأخذ التدابير اللازمة لتمهيد الراحة في المواضيع النائرة فدولة الجمهورية لا تريد أن تنظر للمخالطة الاقترانية بتونس مع السلطنة العثمانية التي هي محسوبة جزأ متما للسلطنة المذكورة وأظهرت بانها لا تقبل قولنا للاتفاق الودادي معها لقطع الاختلاف الذي وقع وترتيب حقوق الباب العالي مع منافع فرنسا في ذلك المحل وترتيب الاشياء الموجودة من زمن قديم ولا نقدر ان نزيد في ايضاحها كما يلزم وهي سيادة السلطان التي ليس فيها اختلاف على هاته الولاية وهي سيادة لا تنكرها ولا دولة عموماً وهذا الحق بقي الى الآن صحيحاً ولم ينقطع من زمن فتحها وهو اذ ذاك سنة ١٥٣٤ بخبر الدين باشا وفي سنة ١٥٧٤ بقليج على باشا وسنان باشا وكانت الدولة العلية أرسلت الى تلك المواضيع قوة عظيمة برأ وبحراً ومن زمن ذلك الفتح فالتأسيسات التي فعلها الباب العالي هي أن جميع ولاية تونس يتوارثون الولاية من ذرية الولى الأول المسمى من السلطان ويتقلدون الى الآن المنصب منه وفرمانات الولاية تبقى في خزنة الديوان وكذلك جميع المكاتب التي تأتي منهم للباب العالي فانها تارة تكون في شأن مخالطتهم مع الدول الأوروبية وتارة تكون في شأن أحوالهم الداخلية والتي هاته المدّة الاخيرة

فان الباب العالي من استحقاقه على حقوقه زيادة على كونه يسمى الوالى العام فانه يرسل من القسطنطينية الى تونس قاضياً وباشكاتب الولاية ولم يكن الامن من الدولة العلية ان منحت الوالى أن يسمى هو بنفسه هذين المتوظفين وأيضاً فاتباعاً للمذهب وخصوصية سيادة السلطان فان الخطب يذكر فيها اسم جلالتهم ويضرب على السكة أيضاً وفي وقت الحرب ترسل تونس الاعانة الى التخت وعلى حسب العادة القديمة يأتى الى القسطنطينية دائماً أناس رسميون ليقدموا تعظيمات الوالى وخضوعه لأعتاب السلطنة وليقبلوا أيضاً الاذن اللازم من الباب العالي لأمر عظيمة في الولاية ثم ان الباشا الموجود الآن والأهالى التونسيين طلبوا زيادة في التفضل وأعطى ذلك لحضرته السامية بالقرمان المؤرخ في سنة ١٨٧١ وتعرف به جميع الدول والآن قد استعانت الوالى بمجده سيده الحقيقى ليعينه على الحالة الرديئة التى وقعت فيها تونس الآن وهاته الاشياء الحقيقية لا ينكرها أحد فهل تريدون أن تعرفوا الآن تقريرها بالتاريخ وبالمكاتبات الرسمية هو سهل لكن تقتصر على المهم منها لئلا يطول الكلام في هذا الاعتراف فى المعاهدات القديمة التى بين تركيا وفرنسا تعدد ألقاب الحضره السلطانية ويكون منها لقب سلطان تونس (فانظر مثلاً) معاهدة ١٠ صفر سنة ١٠٨٤ هـ ١٦٦٨ م وفى هاته المعاهدات أيضاً يوجد بان كل المعاهدات التى بين الدولتين تجرى أيضاً فى تونس وفى نصف القرن السابع عشر أى فى ١٥ صفر سنة ١١٦٦ أرسل السلطان فرماناً للباى والحاكم الكبير بالولاية فى رضاء الباب العالي بان قنصل فرنسا يجمع خدمات قناصل الدول الذين لم يكن لهم اذ ذاك نواب بالقسطنطينية كالبرتغال وكثالونى واسبانيا وفينيسيا وفرنسا وغيرهم والقنصل وكالاته هى حماية السفن تحت الراية الفرنسية فى المراسى المشهورة بالولاية والقرمان يمنع تداخل قناصل الانكليز والهولنديين وغيرهم من التداخل فى خدمة نائب فرنسا وكذلك سند منع التعمد بين الباب العالي والتمسا المؤرخ فى رمضان سنة ١١٩٧ هجرية المتقرر بمعاهدة ستوفان فى ١٢ ربيع الآخر سنة ١٢٠٥ فانه يأذن لحكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب بان يجمعوا على اسم السلطان سفن المتجربة لسلطنة الرومان الفخيمة وأيضاً فان الاتفاق الذى تقدم هذا السند وتم فى ١٥ شوال سنة ١١٦١ هـ بالاذن من السلطان وكان هذا الاتفاق وقع بين الحكام المذكورين والسلطنة فان الوالى العام بتونس وهو اذ ذاك فى رتبة بكربك ونال اسم على باشا يذكر فى مقدمة كل مكتوب مضى عليه منه هاته الكلمات بعينها وهى (مولانا السلطان الغازى محمود) وعلى ذكر واقعات ذاك الزمان استطرادكم الاذن الصادر من الباب العالي فى ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٢٧ م لحكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب فانه يأمرهم أن لا يتدخلوا فى الخلاف الواقع بين سلطنة النمسا وملكة المغرب وكذلك الاذن الصادر من القسطنطينية لوالى تونس فى ١٤ صفر سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣٠ م

قانه يأمر بترتيب العسكر النظامي بالولاية على نمط الترتيب العسكري النظامي العثماني وأيضاً قد أتى مكتوب معين بالطاعة من الباشا التونسي لجلالة السلطان في سنة ١٨٦٠ وذلك الباشا هو الذي سماه السلطان والياً عاماً وقد انتشر هذا المكتوب في جميع صحف أوروبا من غير أن يعارض ولا من جهة واحدة وتزبدكم شيئاً آخر وهو أنه في سنة ١٨٦٣ في واقعة القرض التونسي الذي وقع في باريس من غير رضا الباب العالي كان رسيودواروان دولويس وزير خارجية الامبراطور نابليون الثالث قد أعلن رأيه بناء على شكايات الدولة العثمانية وقال انه يلزم اما الباشا بتونس أو الصراف الذي يربد عقد القرض معه أن يطلب رضا الباب العالي ليصح هذا القرض وللمدافعة عن حقوق الباب العالي فان الوزير الفرنسي أرسل يقول هذا الكلام للصراف المشار اليه وهانحن نضع بثبات الكلام السابق لدى ميزان العدل والحق الذي للدول الممضين على معاهدة برلين وانا لمتحققون بان فكر الدول محيط بدلائل كثيرة في الواجبات العمومية التي يقتضيها المؤتمر المحترم وانهم يريدون أن يفصلوا بالعدل قولنا الذي قد مناه وانهم يحفظون على حقوق الباب العالي الاخرى المحفوظة بالمعاهدة المذكورة ويصلحون الحال بين الدولتين فرانسا وتركيا في علائقهما التي لهما في هاته الولاية المرفوعة بها التوسعية المتممة للسلطنة العثمانية والمرغوب من جنابكم أن تتكلم مع وزير الخارجية في مضمون هذا التلغراف وتشرح له ماتراه نافعا ولكم الأذن بان تعطوا نسخة من هذا لجنا ب الوزير اذا طلبكم اه الامضا

(مصطفى عاصم)

ولندكر هنا أنه بسبب انخزال فرنسا في حزبها مع بروسيا في سنة ١٨٧٠ وتشكيل الامبراطورية الالمانية ومساعدة روسيا لالمانيا مساعدة معنوية كانت من أقوى أسباب نجاحها طلبت روسيا من الدول ابطال الشروط المقيدة لحريتها في البحر الاسود من معاهدة سنة ١٨٥٦ التي أمضيت بباريس عقب حرب القرم ولضعف فرانساعن معارضة هذه الطلبات انعقد مؤتمر في مدينة لوندنر للنظر فيها وأيد مطالب روسيا بمقتضى وفاق سم بين مندوبي الدول في ١٣ مارس سنة ١٨٧١ قبل توقيع فرنسا على معاهدة فرنكفورت (١) بقليل وبذلك انتقمت روسيا من فرنسا أي انتقام لمساعدتها افككترا والدولة العلية عليها في حرب القرم بأن تركتها وحيدة أمام قوى ألمانيا ومنعت الدول

(١) مدينة بالمانيا واقعة على نهر ماين كانت احدي المدائن الاربع الحرة ومقر للمجمع الجرمانى العمومي وبها كنيسة شهيرة كانت امبراطورة ألمانيا تتوج فيها وبها الآن كثير من المدارس العالية وتجارتها عظيمة جداً وبها نشأت عائلة روتشلد الشهيرة بالثروة واجتمع بها عدة مجامع دينية وفي ١٠ مايو سنة ١٨٧١ أمضيت بها معاهدة صلح بين فرنسا وألمانيا أهم شروطها سلب اقليم الازراس وجزء من اقليم اللورين من فرنسا وضماها الى ألمانيا وتعهد فرنسا بدفع غرامة حرية قدرها خمسة مليارات من الفرنكات عبارة عن مائتي مليون جنيتها

من مساعدتها ولو سياسياً
وأخيراً بإبطال أهم شروط معاهدة باريس المزرية بشرفها فأبطلت نتائج تلك الحرب
وجعلت كل ما صرف فيها من أموال وأهرق فيها من دماء هباء منثوراً واليك نص
التعديل

كما تقرّر في معاهدة سنة ١٨٧١ التي أمضيت في لندره في ١٣ مارس من السنة
المذكورة فيما يتعلق بإعادة النظر في معاهدة سنة ١٨٥٦ المنعقدة في باريس فيما يتعلق
بالسفر في البحر الأسود والطنونه

(١) فصل ١١ و ١٣ و ١٤ من معاهدة ٣٠ مارس سنة ١٨٥٩ المنعقدة في
باريس يكون تعديلها بالصورة الآتية

(٢) يبقى منع السفن الحربية من المرور في جناق قلعه والبوغاز كما هو منصوص
في معاهدة ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ إلا أنه يسوغ للحضرة السلطانية أن تأذن بمرور السفن
الحربية للدول المتحابة إذا رأت لزوم مرورها مع المحافظة على نص معاهدة باريس التي
انعقدت في ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦

(٣) البحر الأسود يبقى مفتوحاً كما في السابق لتسير فيه السفن التجارية الأجنبية
انتهى

وعقب التوقيع على اتفاق ١٣ مارس السالف الذكر توفي القائد الشهير عمر باشا في
١٨ أبريل ثم الصدر الأعظم محمد أمين حالي باشا وبعدموته وجه هذا المنصب الخطير إلى
محمود نديم باشا في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٨٧١ ولبث
في الوزارة إلى ٢٣ مارس سنة ١٨٧٣ ثم عقبه أحمد مدحت باشا ثم محمد رشدي باشا
فأحمد أسعد باشا فحسين عوني باشا

وأخيراً عادت الصدارة إلى محمود نديم باشا في ٢٥ رجب سنة ١٢٩٢ الموافق ٣٢
أغسطس سنة ١٨٧٥

ومن أعماله المضرة عدم ضبط المالية حتى عجزت عن سداد الكوبونات في أوقاتها
واضطر إلى الاعلان رسمياً بتوقيف دفع الفوائد في ٦ أغسطس سنة ١٨٧٥ وهو
ما يسمونه في عرف المالية اشهار الأفلاس كما فعلت مملكة البرتغال في سنة ١٨٩٢ ولسوء
ادارته تألب العلماء والطلبة وطلبوا عزله فعزل في ١٧ ربيع الثاني سنة ١٢٩٣ الموافق
٢٤ مايو سنة ١٨٧٦ وأسند منصب الصدارة إلى محمد رشدي باشا وهو الملقب بالمترجم
الذي سبق تعيينه في هذا المنصب عدة مرات وعينه معه بفرمان واحد حسن خير الله
أفندي شيخاً للإسلام وبما أن عزل السلطان عبد العزيز كان بدشيسة هذين الشخصين
وغيرهم فسئرجى الكلام على كيفية عزله وموته إلى بعد ذكر مسألة برزخ السويس الذي
تم فتحه في سنة ١٨٦٩

ان أهمية اتصال البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط لم تحف على أحد بل الكل مسلم بها ولذلك فطن لها قدماء المصريين وأوجدوا اتصالاً بين البحرين لكن على غير الصورة التي عليها قتال السويس الآن فقد قال هيرودوت (١) المؤرخ اليوناني الشهير حين زار وادى النيل ان طول الخليج الموصل بين البحرين مسيرة أربعة أيام وعرضه كاف لمرور سفينتين من أكبر السفن في آن واحد بكل سهولة وهو يتفرع عن فرع النيل الذي يصب عند مدينة بيلوزه (القائمة مدينة بورسعيد بالقرب من اطلالها) ويتبدىء عند مدينة بوباستيس (الموحدة اطلالها بالقرب من الزقازيق ويطلق عليها اسم تل بسطة) ويتجه شرقاً حتى يصل الى البحر الأحمر

فيظهر من هذا الشرح أن المراكب كانت تأتي من البحر الأبيض فتصعد فرع النيل الشرقى الى قرب الزقازيق ثم تدخل في الخليج حتى تصل الى البحر الأحمر وظل هذا الاتصال باقياً حتى انتهت رمال الصحراء الشرقية على الخليج فردمته ويقال ان أبا جعفر المنصور العباسي أمر بإبطاله عند ما خرج عليه الحجاج ومحضن في المدينة المنورة حتى لا تأتي اليه المؤن بسهولة عن طريق هذا الخليج

ثم خطر ببال السلطان مصطفى الثالث العثماني أن يعيد الاتصال كما كان وكلف البارون دي توت بدرس هذا المشروع ولم يتم بسبب موت السلطان وترك من خلفه له ولما أتى بونابرت الفرنسي الى مصر أرسل لجنة علمية للتحقق من امكان اتصال البحرين بالخليج يصل بينهما بدون أن تمر المراكب في وسط البلاد المصرية فاجابته اللجنة بالإيجاب ولداعي خروجه من مصر سريعاً كما سبق شرحه لم يمكنه تنفيذ مشروعه

وكان يظن قبلاً أن حفر خليج يصل بين البحرين مباشرة أمر مستحيل بسبب ادعاء بعض العلماء أن سطح مياه البحر الأحمر أعلى نحو عشرة أمتار عن سطح مياه البحر الأبيض كما قرّره بعثة علمية فرنساوية في سنة ١٧٧٩ ولم يخالفها في هذا الرأي الا الرياضي الشهير لابلاس (٢) لكن أسقط هذا القول البحث الذي أجري في أواسط هذا القرن بمعرفة بعض ضباط من الانكليز في سنة ١٨٤٠ ولجنة من عدة مهندسين فرنساويين في سنة ١٨٤٧

(١) هو المؤرخ اليوناني الشهير الملقب بابي التاريخ ولد سنة ٤٨٤ قبل الميلاد وراى بلاد اليونان ومصر وآسيا ليطلع على عوائد أهلها وأخلاقهم حتى يكتب تاريخهم عن روية وخبرة وتوفي حوالي سنة ٥٠٦ قبل الميلاد

(٢) رياضي شهير ولد سنة ١٧٤٩ بفرنسا وتبع في الرياضة من صغره حتى عين أستاذاً لها في إحدى المدارس الحربية ولم يتجاوز سنه ١٩ سنة واليه يرجع فضل تنعيم اكتشاف نيوتن الانكليزي المختص بدوران العوالم حول بعضها وله عدة مؤلفات شهيرة في جميع العلوم الرياضية وما يتعلق بها وراقه نابليون الأول الي درجة كونت ومنحه لويس الثامن عشر لقب مركز وانتخب عضواً في جمعية العلوم الفرنسية (اكاديميه) وفي مجمع الانستيتوت واشتغل قليلاً بالسياسة وانتخب عضواً في السناتو سنة ١٧٩٩ ونشط به رايسته مدة وتوفي سنة ١٨٢٧

وأخيراً بمعرفة لبنان باشا في سنة ١٨٥٣ ولما تحقق لدى العموم باجماع العلماء أن مسطح البحرين متساو سعى المسيو فردينان دى ليسبس قنصل فرنسا في مصر لدى المرحوم سعيد باشا (١) وإلى مصر إذ ذاك للحصول على فرمان بخوله امتياز تشكيل شركة عمومية لإتمام هذا العمل

وبعد مساع لا مزيد عليها تحصل على هذا فرمان مؤرخا ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ ومما جاء فيه أن يكون الخليج المزمع الشاؤه ملكاً للشركة مدّة ٩٩ سنة ابتداء من يوم فتحه للملاحة وأن يجوز لها الشاء خليج آخر يصل بين النيل والخليج المالح وأن تتنازل لها الحكومة عن الاراضى الاميرية الغير صالحة للزراعة التى تزرع الحلوة فيها بشرط أن يزرعها الشركة على مصاريفها وأخيراً أن لا يعمل بهذا فرمان ولا يبدأ فى العمل الا بعد تصديق الباب العالي عليه

وفى ٢٠ يوليو سنة ١٨٥٦ تمهدت الحكومة للشركة باحضار من يلزم لها من العملة من المصريين قهراً بالطريقة التى كانت متبعة فى الاعمال العمومية وأن تدفع لهم الشركة الأجر من طرفها لمن عمره أقل من اثنى عشرة سنة قرشاً صاعاً يوماً ومن زاد سنه عن ذلك تكون أجرته من قرشين ونصف الى ثلاثة قروش وذلك خلاف الجراية التى تعطى لكل واحد منهم وقيمتها قرش صاع واشترط على الشركة الشاء اسبتاليات وترتيب أطباء لمعالجة المرضى على طرفها ولولا هذه الشروط لما أمكن الشركة إتمام هذا المشروع وعدم وجود شرط مثله كان سبباً فى عدم نجاح مشروع فتح برزخ بناما لان الشركة لم تجد عمالاً بهذه الصفة يكونون موجودين دائماً فى العمل باجرة نافهة كهذه ولما أصدرت سهام الشركة لم يقبل الجمهور على شرائها لمعارضة الجرائد الانكليزية لهذا المشروع فبقى فى أيديها مائة وسبعة وسبعون ألف وستائة واثنتان وأربعون سهماً قيمة كل منها خمسمائة فرنك أى أن ثمنها عبارة عن ثلاثة ملايين وخمسمائة وخمسين ألف جنيه مصرى وزيادة فحسن المسيودى ليسبس للمرحوم سعيد باشا أن يشتريها للحكومة المصرية فاشتراها ولما طلب منه عشرين ألفاً عند الابتداء فى العمل اقترضه له وربما كان هذا أول ديون مصر التى تربو الآن على مائة مليون وستة ملايين من الجنيهات المصرية ولم ينتظر المسيودى ليسبس تصديق الدولة بل ابتداء فى العمل ولما لاحظت الدولة العلية على أن ذلك مخالف لنص فرمان المعطى للشركة من سعيد باشا

(١) هو رابع أولاد محمد على باشا الكبير تولى على مصر سنة ١٣٧٠ هـ الموافقة سنة ١٨٥٤ ميلادية وكانت ولادته سنة ١٨٢٢ ميلادية وتوفى سنة ١٢٧٩ هـ الموافقة سنة ١٨٦٣ ميلادية ومن آثاره لائحة الاطيان الخراجية وقانون المعاشات لجميع الموظفين ومنح الاهالى حرية التجارة بمقدان كانت خاصة بالحكومة لكن هذه المنح الجليلية لم تادل مالحق مصر من الضرر المالى والسياسى باليجازاته حفر قنال السويس الذى قرب المسافة بين أوروبا والشرق وكان سبباً فيما نطلب منه تعالى أن يخلصنا منه وهو الاحتلال الاجنبى

أجابها ان هذه أعمال ابتدائية ضرورية لتخطيط المشروع ولا تعتبر بدأ في العمل وأخيراً بعد ان دارت المخابرات عدة سنوات بين الشركة والباب العالي والحكومة الفرنسية التي تدخلت لحماية هذا المشروع الفرنسي أرسل الباب العالي الى الميسودي ليسبس بلاغاً في ٦ ابريل سنة ١٨٦٣ مفاده أن الدولة ترى أن امتلاك الشركة للأراضي الواقعة على ضفتي الترعسة الحلوة وزراعتها بمعرفة مما يضر بحقوق السلطنة في مصر اذ يجعل لدولة أجنبية حقوقاً في مضر خصوصاً اذا أنشئت بها مستعمرات زراعية يؤتى لها بالزراع من الخارج ولذلك لا تصدق على هذا المشروع الا اذا ضمنت جميع الدول حرية القنال المراد انشاؤه كما ضمنت بوزاوي الاستانة وان تترك الشركة حقوقها في الترعسة العذبة وما على ضفافها من الأراضي وأن لا يستعمل المصريون قهراً في أشغال الشركة اذ كان يستغل بها في هذه الاثناء نحو ستين ألف مصري بطريق السخرة وأمهلّت الدولة الشركة ستة أشهر لأعطاء الجواب والا يسقط حقها في جميع الأراضي الممنوحة لها

ولما انقضى هذا الاجل ولم تجب الشركة بشيء أعلنتها الحكومة المصرية بسقوط حقها في ١٢ اكتوبر سنة ١٨٦٣ فارد الميسودي ليسبس وأزبد وتدخلت فرنسا وكاد الامر يفضى الى ارتباكات سياسية فقبلت الحكومة المصرية بحكم نابليون الثالث امبراطور فرنسا ظناً منها أنه ينصفها ضد الشركة وغاب عنها انه لا بد أن يعيل الى الشركة بعامل الجندية والسياسة ولولم يكن الحق من جانبها وحقيقة أنه اتخذ هذه الفرصة وسيلة للحكم للشركة بمبالغ وافرة كانت سبباً في اتمام المشروع فأصدر حكمه في ٦ يولييه بعد أن استشار لجنة من أهل الدراية بالأحكام القانونية حضرها نوبار باشا بصفة مندوب عن خديو مصر ولا حاجة لذكر الحكم باسمه بل يكفي بالقول أنه حكم بما يأتي

١) أن تدفع الحكومة المصرية للشركة مبلغ ثمانية وثلاثين مليون فرنكاً في مقابلة ابطال الشرط القاضي عليها باحضار العمال

٢) ثلاثين مليون فرنكاً نظير ترك الأراضي التي رخص للشركة باحيائها وزراعتها
٣) ستة عشر مليون في مقابلة تخلي الشركة عن الترعسة الحلوة وفوائدها وتلتزم الحكومة زيادة على ذلك بحفرها من القاهرة الى الوادي وجعلها صالحة للملاحة في جميع أوقات السنة وعلى الشركة تعظيمها سنوياً بمعرفة في مقابلة ثلثمائة ألف فرنكاً تأخذها من الحكومة ويكون للشركة الحق في أخذ سبعين ألف متر مكعب من المياه في كل أربع وعشرين ساعة فيكون مجموع هذه المبالغ أربعة وعشرين مليون فرنكاً عبارة عن ثلاثة ملايين جنيه. ولأربعة مائة وثلاثة وستين ألف جنيه يدفع على جملة أقساط بالكيفية الاتية من ابتداء سنة ١٨٦٤ لغاية سنة ١٨٦٧ يدفع مبلغ ستة ملايين ونصف من الفرنكات سنوياً وفي كل من سنتي ١٨٦٨ و ١٨٦٩ مائتان وأربعون ألف جنيه ومن سنة ١٨٧٠ لغاية سنة ١٨٧٩ ثلاثة ملايين وستمائة ألف فرنكاً سنوياً عبارة عن مائة

وأربعين ألف جنيه سنوياً
ولما تم الحكم على الوجه المذكور الظاهر ارجحافه بمحقوق مصر حررت الشروط
النهائية بين الحضرة الخديوية الاسماعيلية والمسيو دى ليسبس رئيس الشركة والنائب
عنها في ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ وتقدمت للباب العالي فصدر عليها فرمان السلطاني
مؤرخاً ١٩ مارت سنة ١٨٦٦ الموافق ٢ ذى القعدة ١٢٨٢ هـ
وبعد ذلك عدلت مواعيد الدفع بكيفية أرجح للشركة وزيادة على ذلك جميعه تنازلات
الشركة للحكومة عن أرض الوادى التى قدر مساحتها ثلاثة وعشرون ألفاً وسبعمائة وثمانون
فداناً في مقابلة عشرة ملايين من الفرنكات وكانت قد اشترتها الشركة قبلاً من الحكومة
بمبلغ مليون واحد وسبعمائة وسبعين ألف فرنك تقريباً فيكون ربحها من هذه المسئلة
فقط زيادة عن ثمانية ملايين ولذلك فيمكننا القول بأنه لولا نقود مصر وفلاح مصر الذى
ما زال يحير على الاشتغال قهراً بأجرة زهيدة رغمًا عن الشروط السالفة الذكر لما أمكن
دى ليسبس أن يتم هذا المشروع الذى كان سبباً فيما نحن فيه من الاجتلال الاجنبى وما
سنراه نحن وأولادنا ان لم تساعدنا المقادير
والاغرب مما ذكر أنه لما تم فتح البرزخ أرادت الحكومة الاستيلاء على كرك بوسعيد
كما تسمح لها المعاهدات الابتدائية فامتنعت الشركة وتدخلت حكومة فرنسا وقبلت
الحكومة المصرية أن تدفع لها ثلاثين مليون فرنك لمنع هذه المعارضة العارية عن
الأساس وبذلك يكون ما دفع من الحكومة المصرية بسبب عدم تبصر رجالها مائة واثنين
وعشرين مليون فرنكاً منها أربعة وثمانون قيمة ما حكم به نابليون للشركة وثمانية قيمة
ربحها من أراضي الوادى وثلاثون في مقابل تنازلها عن المعارضة في كرك بوسعيد
ولما توفر المال لدى الشركة أخذت في بذل الهمة لانجاز القنال وفي شهر مارت سنة
١٨٦٩ توجه الخديو اسمعيل باشا الى أوروبا لدعوة ملوكها لحضور الاحتفال الذى صنم
جنابه على اجرائه اظهاراً لسروره من اتمام هذا العمل المضى بمصر مالياً وسياسياً وماداهم
الا يستميلهم لاغراضه السياسية.

الاحتفال بفتح
قنال السويس

ولما عاد الى بلاده أخذ في الاستعداد لاستقبال الزائرين بما يليق بمقامهم ولما لم يكن
بمصر تياترو وكان وجوده أمراً لا بد منه على زعمه تمام الانتظام أمر المهندس فرانس
النمساوى الذى رقى فيما بعد الى رتبة باشا ببناء تياترو الاوبرا والتياترو الصغير الذى
كان بالقرب من الاول وهدم عند بناء عمارة البوسطة الجديدة ولضيق الوقت استمر العمل
ليلاً ونهاراً حتى تم بناءهما وجعل أكثر بناء التياترو الكبير من الخشب ثم أرسل درانت
باولينو باشا لمقابلة أحسن جوق من الممثلين والممثلات
وأخذ أيضاً يجيز ما يلزم لاقامة الملوك والوزراء من السرايات اللائقة بمقامهم وأنشأ لهم
سراية في مدينة الاسماعيلية الجديدة أنشأتها الشركة على ثقة الحكومة باثنين مليون

من الفرنكات

وفي ١٧ سبتمبر سنة ١٨٦٩ قدم الوافدون على البرنخ وفي مقدمتهم امبراطورة فرنسا (١) وامبراطور النمسا ووليا عهد ألمانيا وإيطاليا فقضوا الليلة في مدينة بورت سعيد في غاية السرور وفي صباح اليوم التالي قام الجميع على الواورات البحرية التي أعدت لذلك ونزلوا في مدينة الاسماعيلية حيث قضوا الليلة فيما لا يوصف من الملاهي والمراقص والزيارات وفي اليوم الثالث ساروا جميعاً الى السويس ثم أتوا الى القاهرة ومنها رجع كل الى بلاده الا من أراد السياحة الى الجهات القبلية لمشاهدة آثار مصر القديمة وقد وجه الخديو كل همته الى اكرام امبراطورة فرنسا وتوفير أسباب الراحة لها أثناء سياحتها في صعيد مصر فاصحبها بنجله دوتلو وحسين باشا وبما عظم رجال هذا العصر صاحب الدولة والوطنية رياض باشا وعين لخدمتها ستة عشر وابطراً بحراً اختص بعضهم اركوبها ومعيتها والبعض الآخر لاحضار كل ما يلزم لها من المأكول والمشرب والقواكه وغير ذلك من القاهرة يوماً واستمرت مشغولة بالتفات الحضرة الخديوية مدة الاثني عشر يوماً التي قضتها في هذا السفر ولم تزل كذلك حتى عادت الى بلادها مسرورة شاكرة وقد قال سعادة المرحوم على باشا مبارك في الصحيفة الأخيرة من الجزء الثامن عشر من الخطط الجديدة التوفيقية ما يأتي وقد طار ذكر هذا المهرجان حتى ملاء البقاع وتحدث الناس في ترتيبه ونظامه ومصرفه

لانه فريد في ذاته لم يجز على مثال سابق عليه والذي تعجب الناس منه غاية العجب هو استعداد موسيو يوسف بنطليبي التلياني المتعهد بما كول جميع من حضر هذا الحفل كل انسان على حسب مقامه فكان هو ورجاله يؤدون الخدمة بقاية النشاط والانتظام مع مراعاة الواجب والأدب وكان الناس يتعاقبون على السفر الافرنجية والعربية فوجاً بعد فوج وفي كل مرة تتغير أدوات السفرة بغيرها وتقدم ألوان الأطعمة على التعاقب في أسرع زمن مع مراعاة مقتضيات خدمة كل سفرة عربية كانت أو افرنجية واستمرت هذه الحالة في الخيم والصباوين والواورات وجميع المحلات المعدة لذلك مدة أربع عشرة ساعة والذي صرفته الحكومة للمتعهد المذكور في مقابلة المأكول والمشروب ولوازمهما من أدوات ومهمات وخدمة وخدم هو مبلغ مائتين وخمسين ألف بنتو وهذا خلاف أجر نقل مهماته ورجاله ذهائباً

(١) ولدت هذه الامبراطورة المسماة (أوجيتي) بمدينة غرناطة باسبانيا في ٥ مايو سنة ١٨٢٦ من عائلة أثيلة في الشرف عريقة في المجد اسمها عائلة (موتيهو) ولشهرتها في الجمال والتربية والكمال تزوجها الامبراطور نابوليون الثالث في ٢٠ يناير سنة ١٨٥٢ وولدت منه غلاماً في ١٩ مارس سنة ١٨٥٦ ولم يعمل اليها الفرنسيون لحبا الاستبداد ومساعدتها زوجها على الاستئثار بالسلطة وبسبب لها تحريضه على محاربة البروسيا في سنة ١٨٧٠ ولما هزم نابليون الثالث في واقعة (سيدان) واعلنت الجمهورية الثالثة الحالية في ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٠ هاجرت الى انكلترا مع ابنها ثم لحقها زوجها وأقام معها الى أن توفي في ٩ يناير سنة ١٨٧٣ وفي أول يولية سنة ١٨٧٩ قتل ابنها الوحيد في محاربة الزولوس بجنوب أفريقيا حيث كان ضابطاً في الجيش الانكليزي وبعد ان احتفلت بدفنه في بلاد الانكليز سافرت الى بلاد الزولوس لزيارة المحل الذي قتل فيه ولم تزل عائشة حتى الان

واباياتها كانت على الحكومة أيضاً وقد بلغ ما صرف على هذا المهرجان من أجر سفر أشخاص ومنقولات ومأكولات وغير ذلك مليوناً و١١٩٣ جنيه إنكليزي فلو أضيف إلى ذلك أجر سكة الحديد وماصرف على وأبورات البحر في النيل والخليج المالح مع ما صرفته الحكومة على المباني في مدن القتال والقاهرة وثغر الاسكندرية وغيرها وما صرف في الزينة ومهماتها وشراء عربات ومهمات للسكة الحديدية لأجل المهرجان المذكور لبلغ مصرف هذا المهرجان ما يزيد عن مليون ونصف من الجنيهات وذلك قدر السدس من إيراد مصر سنة كاملة اه (١)

هذا ولنأت هنا على ذكر هذه الحادثة المفجعة مع بيان الأسباب التي تنسب لها بقدر ما وصل اليه بحث هذا العاجز فنقول

ان بعد الحوادث التي مر ذكرها اقتنع السلطان رحمه الله ان تحالف الدول مع الدولة في حرب القرم كما بعدها لم تكن تفيجته الاضعافها بالتدخل في شؤونها الداخلية ومساعدة الطوائف المسيحية الخاضعة لها على الانشقاق عنها وبث روح الفتق والفساد في ممالكها تحت غطاء الحرية وانشاء العلوم وأن كل ذلك يعود بالنفع على روسيا جارتها القوية وعدوتها القديمة لاسيما وقد عدل الدول بعد الحرب القرم لساوية الالمانية أهم بنود معاهدة باريس التي أبرمت بعد حرب القرم لحفظ التوازن في البحر الأسود وعدم مراعاتها عقب ابرامها في حق ولايى الافلاق والبعدان فلهذه الاسباب علم جلالة السلطان أن الأولى والأصح سياسة الدولة هو التبعاد عن الدول الغربية والتحالف مع روسيا وعضده في هذا الفكر الصدر الأعظم محمود نديم باشا فكثر السلطان من الاجتماع مع الجنرال اغنايف سفير روسيا بالاستانة والمتواتر وان لم تثبت أوراق رسمية انهما كانا يسيغان لوضع أساس معاهدة هجومية ودفاعية يكون من أهم بنودها الاختصاص بجميع بلاد الشرق وتبعية الولايات الاسلامية أوالتي يغلب فيها العنصر الاسلامى للدولة العلية الاسلامية وضم جميع الأقاليم المسيحية أو التي يسود فيها هذا العنصر للدولة الروسية ولما شاع هذا المشروع لم يرق في أعين الدول الأوروبية التي لها مصالح في الشرق وخصوصاً انكليزاً فأخذ عمالهم وسفراؤهم الظاهرون والسريريون يلقون الوسواس في عقول السذج من أهل الأستانة وينسبون السلطان للتبذير والاسراف وعدم الاهلية لإدارة مهام الملك وربما استعان هؤلاء المغررون بطرق أخرى المطالع بها أدري وما زالوا يوسوسون ويلقون بذور الفساد حتى أقنعوا الوزراء بوجوب عزله وأن اقالته من الأعمال واجبة لانتظام الدولة وسيرها على

(١) وما يوجب الاستغراب أكثر مما مر أن الحدبو الاسبق لم يكلف بما صرفه عند الاحتفال بهذا الخليج بل بلغ الاسهم التي كان اشتراها المرحوم سعيد باشا إلى انكليزاً بأربعة ملايين جنيه مع أنها تساوى الآن ثمانية عشر مليوناً وحيث انه كان قدرهن أربعاً مدة طويلة تنهي في يوليو سنة ١٨٩٤ فتعهد للحكومة الانكليزية بان يدفع لها سنوياً فائدة عن ثمن هذه الاسهم تبلغ قيمتها سنوياً نحو مائتي ألف جنيه ولم تزل الحكومة تدفع هذه الفوائد وتستمر على دفعها إلى منتصف السنة القابلة سنة ١٨٩٤

عزل السلطان
عبد العزيز

المحور المستقيم وصادفت دساتيرهم أذا صاغية عند بعض العلماء لما خالج صدورهم من عدم الميل للسلطان بسبب عدم اتباعه بعض العوائد المألوفة لديهم مثل خروجه من ممالكه وزبارة معرض باريس وحضوره التخصيمات التياترية والباللوات (المراقص) وكيفية خلعه على أصبح الروايات ان المؤامرة التي أوصلت الى هذه النتيجة حصلت بين كل من محمد رشدي باشا الصدر الأعظم وحسين عوني باشا ناظر البحرية وأحمد باشا قيصري ناظر البحرية وأحمد مدحت باشا وشيخ الاسلام حسن خير الله أفندي وقبل الشروع في تنفيذ ما صمموا عليه أصدر شيخ الاسلام فتوى بوجوب ذلك هذا لصها

الفتوى بزله

اذا كان زيد الذي هو أمير المؤمنين مختل الشعور وليس له المام في الأمور السياسية وما برج ينفق الأموال الميرية في مصاريفه النفسانية في درجة لاطاقة للملك والملة على تحملها وقد أخل بالأموال الدينية والدنيوية وشوشها وخرب الملك والملة وكان بقاؤه مضارباً فمل يصبح خلعه الجواب يصح كسبه الفقير حسن خير الله

عنى عنه

ثم أناطوا حسين عوني باشا بأمر خلعه السلطان عبد العزيز وشيخ الاسلام وباقي الوزراء بمبايعة السلطان مراد وفي يوم الاثنين ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ الموافق ٢٩ مايو سنة ١٨٧٦ أخذ ناظر البحرية في تجهيز المراكب لحصر السراية السلطانية ببحراً فاستعرب السلطان حصول المناورات بالبحر تحت شبائيك بدون سابقة علمه فأرسل يستعلم عن السبب فأجيب بأن دواعي الحال أوجبت ذلك ثم أخبر أحمد باشا قيصري الصدر الأعظم ومدحت باشا بسؤال السلطان فعزموا على تنفيذ مشروعهم في مساء ذلك اليوم خوفاً من أن يكون السلطان قد شعر بشيء قصدهم واتفقوا على تسكين من يدعى اريدف باشا بحصر السراية برأ وتعهده أحمد باشا قيصري بحضرها ببحراً وفي الساعة الثانية بعد غروب ذلك اليوم اجتمع المتآمرون في ديوان السر عسكري وتوجه رديف باشا مع ألى من الجنود مؤلف من ٢٥٠٠ عسكري وأمر سليمان باشا رئيس المدرسة الحربية بخفض باب السراي مع مائة من تلامذة هذه المدرسة راكبين خيولهم ومسلحين بالبنادق الجديدة ولما تم حصارها برأ وببحراً وأخير المتآمرون بذلك توجه حسين عوني باشا في عربة الى مقر السلطان مراد وأركبه معه وعاداماً الى السر عسكري حيث كان بانتظارها شيخ الاسلام والشرى عبد المطلب وجميع أعيان الدولة من عسكريين وملكين ولما دخلها أحاطت بالسراية فرقة من الجنود لمنع من فيها من الخروج ثم حصلت المبايعة

٣٣ للسلطان مراد فانه الخاص

من جميع الحاضرين على الأسلوب المتبع وهو ابن السلطان عبد المجيد وكانت ولادته في ٢٥ رجب سنة ١٢٥٦

هذا ولما تم أمر المباينة ارسل مخصوص الى رديف باشا يخبره بذلك ويسلمه صورة الفتوى القاضية بعزل السلطان عبد العزيز فتصدد رديف باشا باب الحريم واستدعى جوهر آغا رئيس أغاوات السراى وكلفه بأن يبلغ السلطان أن الأمة قد عزلته وأنه مأمور بتوصيل السلطان المخلوع الى سراى طوبقو ويسلمه صورة الفتوى ليطلعها عليها فلم يصدق السلطان الخبر الا بعد أن نظر من الشبايك ورأى العساكر محيطة بسرايته برأ وبجراً احاطة السوار بالمعصم

وعند ذلك أيقن ان التوقف لا يكون وراءه الا الاكراه على الخروج فنزل مستسلباً وبمجرد خروجه احاطت به العساكر وأنزلوه مع ابنه يوسف عز الدين أفندى في زورق والذنه في ثان وباقى أولاده وأمهاتهم في ثالث ثم خفرتهم الزوارق الحربية الى أن أوصلتهم الى سراى طوبقو حيث كانت العساكر مصطفة على حافى الطريق من البر الى باب السراى

وفي الساعة الحادية عشرة ليلاً أطلقت المدافع من البر والبحر ايذاناً بخلع السلطان عبد العزيز وتنصيب السلطان مراد الخامس ونادى المنادون بذلك فى الشوارع فهرع الاهالى أفواجا الى سراى السر عسكرية وابعوا السلطان مراد ولم يحصل أدنى مقاومة من أحد ولم تتحجج إحدى الدول على هذه الثورة الداخلية وذلك مما يؤيد أن جميع القناصل كان عندهم علم بما حصل قبل وقوعه وأنه ربما كان ذلك باتفاقهم وفي الساعة الثالثة صباحاً ذهب السلطان مراد فى عربة بين صفوف الاهالى الى سراى بشكطاش حيث استمرت المباينة ثلاثة أيام متوالية

وفاة السلطان عبد
العزيز

ولقد اختلفت الأقوال فى كيفية موت هذا السلطان وكثرت الروايات عن ذلك فمن قائل أنه قتل نفسه لعدم انتظام قواه العقلية بعد خلعهم ومن قائل أن الذين تأمروا على خلعهم ارتكبوا هذا الامر الفظيع فقتلوه خيفة أن يسعى فى الرجوع الى منصة الاحكام أما الحقيقة فغمضة نترك كشف الستار عنها لمن يأتى بعدنا ونكتفى بذكر الرواية التى تناقلتها الالسن والجرائد فى ذلك الحين

وذلك أنه شاع أو أشاع أرباب الغايات ان قد أصابه رحمه الله أمراض دماغية يوم خلعهم فاضطربت أحواله وكان يخيل أن البواخر الراسية فى البوغاز تطاق النار على العدو فزاده ذلك قلقاً ولم يستطع الرقاد فى ليلة الأحد التالية لعزله فلما أصبح الصباح ذهب الى الحمام كمادته ثم الى البستان ثم رجع الى حجراته وصار يأمر بفتح الشبايك والابواب ثم يخرج الى البستان ويعود ثم يخرج ثانياً كأن الدنيا ضاقت امامه برحبها ثم حاول الخروج الى شاطئ البحر فرآه الضابط الذى كان يحرس الباب فقال له بلطف لا اذن بالخروج ياسيدى فهدده بعدارة كانت فى يده ثم دخل ويقال ان هذه الحادثة كانت سبباً فى ازدياد أعراض الخلل واستشهد أصحاب هذا الرأى ببعض خدامه وحجابه فقالوا أنه رحمه الله كان

يتوهم أن عدو آهاجم عليه وأنه يجب على العساكر أن تملعه وتطارده وعلى البواخر أن توجه نيرانها على هذا العدو المفاجيء

وأخيراً طلب من إحدى الجوارى مقصاً ومراة ليقص أطراف لحيته كما كانت عادته فاحضرتها له من والدته وانصرفت ثم رأى والدته تنظره من وراء الباب فغضب وأمرها بالانصراف وبعد ذلك حضر أحد اعوانه فأخذ يحادثه في مسألة مهاجمة العدو التي كان يتخيلها وفي أثناء الحديث اخذ المقص وقطع به عرقاً من ذراعه الأيمن فحاول العون منعه ولم يتمكن ذهب وأخبر والدته ولما خرج العون قفل السلطان الشبايك والابواب وقطع عرق ذراعه اليسر واضطجع على متكأ حتى تصبى دمه ولما شاع هذا الخبر وعلا صريخ الجوارى أتى الوزراء وبعد أن شاهدوا الحالة استدعوا لجنة طبية من مشاهير الأطباء ومن ضمنهم أطباء سفراء الدول وبعد الكشف عليه طبع الكشف ووزع على العموم وأشر في الجرائد ليعلم الناس كيفية موته

وفي الساعة الخامسة عرياً نقلت جثته الى سراى طوبقو (وكان رحمه الله قد نقل منها الى سراية أخرى في يوم السبت السابق لوفاته بناء على طلبه) وهناك غسلت وجهزت

وفي الساعة العاشرة شيعت جنازته ودفن بجوار أبيه السلطان محمود رحمه الله ومما يوجد شكافي أنه قتل نفسه بسبب اختلال قواه العقلية ما كتبه للسلطان مراد قبل وفاته بيوم واحد يطلب منه الانتقال من طوبقو فانه لا يؤخذ من عبارته أن به أقل اضطراب عقلي وإليك صورة هذه الكتابة نقلاً عن منتخبات الجوائب

بعد اتكالى على الله تعالى وجهت اتكالى عليك فأهنتك بجلوسك على تخت السلطنة وأبين لك ما بيني من الأسف على أنى لم أقدر على أن أخدم الأمة بحسب مرادها فأؤمل أنك أنت تبلغ هذا الأرب وأنك لا تنسى أنى تشبثت بالوسائل الفعالة لصيانة المملكة وحفظ شرفها وأوصيك بأن تتذكر أن من صيرنى الى هذه الحالة هم العساكر الذين سلبتهم أنا ييدى وحيث كان من دأبى دائماً الرفق بالظلمين وشملهم بالمعروف الذى تقتضيه اللسانية أرغب اليك أن تنقذنى من هذا المكان الضيق المعنى (بتشديد النون) الذى صرت اليه وتعين لى محلاً أكثر ملاءمة لى وأهنتك بأن الملك انتقل الى ذرية أخرى عهد المجيد خان الامضا (عبد العزيز)

ومن جهة أخرى فان استدعاء الوزراء لا أطباء الفناصل يدل أيضاً أنهم كانوا معتقدين أن الأمة تصدق قولهم بأنه قتل نفسه فعمدوا الى تقوية قولهم بهذا الكشف الطبى الموقع عليه أطباء السفارات مما يعتبر اقرار من الدول وتصديقاً لروايتهم ومع ذلك فلا يمكن الجزم الآن بأنه قتل شهيد الدسائس أو انتحر تخلصاً من الحياة بعد خلعه لعدم وجود الأدلة الكافية على القطع فى هذه المسئلة حتى اليوم

هو قتل حسن بك لكل من حسين عوني باشا ومحمد راشد باشا
 حسن بك المذكور هو ابن اسمعيل بك أحد أعيان الجراكسة المهاجرين من بلادهم
 بعد دخولها ضمن أملاك الروسيا وكان ياوراً ليوسف عز الدين أفندي نجل السلطان عبد
 العزيز الذي كان مشيراً للأوردي الهمايوني الخاص ولما توفي السلطان عبد العزيز أراد
 حسين عوني باشا السر عسكر إبعاده عن الاستانة فالحقه بأحد الأليات بمدينة بغداد
 وأمره بالسفر على عجل فامتنع فحبس بحسب الأصول العسكرية ثم أظهر الرغبة في السفر
 وطلب إمهاله يومين لا غير للتأهب للسفر فأفرج عنه وفي مساء يوم الخميس ٢٣ جمادى
 الأولى سنة ١٢٩٣ الموافق ١٥ يونيه سنة ١٨٧٦ تسليح بأربعة رفوف لترات وخنجر ماض
 وقصد منزل عوني باشا فقبل له أنه بمنزل مدحت باشا فذهب اليه ولما سأل الخدم عن حسين
 عوني باشا قالوا له أنه مع سائر الوكلاء (النظار) في مجلس مخصوص فأوهمهم أن معه
 تلغرافاً مهماً يختص بالحربية يريد توصيله فوراً للسر عسكر ثم انتظر برهة وطلع إلى المحل
 المجتمع فيه الوكلاء فوجد حارساً بالباب منه عن الدخول فقال له من أنت قال سالم أغا
 خادم الصدر الأعظم فقال اذهب وناد خادم حسين عوني باشا لاني مستعجل فنزل سالم
 أغا وعندهما دخل حسن بك الغرفة وأطلق غسداً رته على حسين عوني باشا فأصابه
 برصاصتين فقام للدفاع عن نفسه فاجتز عليه بالخنجر وأصاب محمد راشد باشا ناظر
 الخارجية برصاصة في عنقه أفقدته الحياة ثم قام أحمد باشا قبصري ناظر البحرية وقبض على
 يد حسن بك فأنخنه جراحاً حتى فر مع باقي الوزراء إلى غرفة أخرى تابعة لدائرة الحرم
 ووضعوا خلف الباب بعض أمتعة ثقيلة ثم جاء أحمد أغاريس خدام مدحت باشا وأراد
 القبض عليه فقتله ثم حاول فتح الباب الذي اختفى باقي الوزراء خلفه ولم يمكنه إطلاق رصاصتين
 فقتل من الخشب بدون أن تصيب أحداً ثم أخذ كرسياً وصار يكسر في التراب لاطفاء النور
 وأخذ شمعداناً ليحرق به الاستار ويوقد النار في المنزل ليتمكن الهروب لكن لم يتمكن من
 ذلك إذ حضرت عدة من عساكر الضبطية فقبضوا عليه بعد أن قتل شكري بك بأور الصدر
 الأعظم وأحد انفار العساكر ثم سيق إلى ديوان السر عسكركية وفي صباح الجمعة تشكل
 مجلس حربي تحت رئاسة رديف باشا فحكم عليه بالتجريد من الرتب والقتل شتراً وجرد
 في الحال من الرتب وعلامات الشرف وفي فجر يوم السبت شق على شجرة في ساحة
 بايزيد وبقي مشنوقاً إلى صباح الاثنين وعلى صدره ورقة تبين أسباب شتفه ليكون عبرة
 لغيره ويقال أنه عند استجوابه أمام المجلس لم يبدأ أقل تأسف على قتل عوني باشا (١) ورأى

(١) ولد عوني باشا في ولاية قونية سنة ١٢٣٦ هجرية وبعد أن تعلم المبادئ أتى الاستانة ودخل
 المكتب الحربي سنة ١٢٥٣ وفي سنة ١٢٥٨ صار ملازماً ثم أخذ يترقى شيئاً فشيئاً إلى أن وصل لرتبة
 فريق في أواخر شعبان سنة ١٢٧٨ هجرية وفي سنة ١٢٨٠ وجهت إليه قائمية السر عسكر مع مشيرة
 الأوردي الهمايوني الخاص وفي سنة ١٢٨٥ عين سر عسكر عموم الجيوش الشاهانية وفي سنة ١٢٩٠ عين
 صدراً أعظماً ثم بعد ثقله في عدة مناصب مهمة ترجع إلى السر عسكركية في ربيع الاخر سنة ١٢٩٢ وقل
 وهو بهذه الوظيفة

باشا (١) بل على من قتلهم من الجند والضباط وعدم تمكنه من قتل ناظر البحرية أحمد باشا قيصرلى هذا ولا يعقل أن الباعث لحسن بك على قتل الوزراء مجرد الانتقام لارساله الى بغداد اذ لو كان الامر كذلك لاكتفى بقتل ناظر البحرية مع ان هذا الامر بعيد الاحتمال أيضاً ويغلب على الظن أن ما حمله على هذا الفعل الا تعلقه بالسلطان الشهيد ومائلته ولتواتر الاشاعات أن السلطان عبد العزيز مات مقتولا بدسيسة هؤلاء الوزراء بايعاز من بعض الدول ذوات الصالح الاكبر في الشرق أراد قتلهم انتقاماً لسلطانه المرحوم الذى ذهب فريسة الدسائس الاجنبية

عزل السلطان
مراد

السلطان مراد الخامس هو ابن السلطان عبد المجيد خان ولد في ٢٥ رجب سنة ١٢٥٦ وارتقى منصب الخلافة في ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣ وكان متعلماً مهذباً ميالاً للإصلاح محباً للمساواة بين جميع اصناف رعيته مقتصداً في مصرفه غير ميال للسرف والترف يشهد بذلك فرمان الذى أرسله الى الباب العالي بابقاء الوزراء وجميع المامورين في وظائفهم ومبيناً فيه خطة الإصلاح الذى يريد اجراؤه وما هو بنصه وزيرى سميع الحمية محمد رشدى باشا

انه لما وقع الآن بإرادة جناب مالك الملك الازلية وجامع الرعية ورغبتها جلوسنا على تخت أجدادنا العظام جدتنا ابقاء خدمة الصدارة في عهدكم اعتماداً على ما جرب من رؤيتكم وحميتكم وأقررنا جميع الوكلاء والمأمورين في مأموريتهم وخدمتهم وقد عرف الناس أجمع ان ما طرأ من مشكلات الاحوال على الدولة في أمورها الداخلية والخارجية ولد في أفكار العاملة قلة الامنية فافضى ذلك لمضرتهم مالا وملاكاً وتنوعت بناء عليه اشكال عدم استراحتهم فكان من الواجب أن نتخذ على الفور طريقاً لاستئصال هذه الحال واصلاحها تأميناً وتنشيطاً للملكة وعموم تبعة الدولة في ضرورة تمكفل ماديا ومعنويا بسعادتهما وسلامتهما ولا شك أن هذا يتوقف على تأسيس اصول ادارة الدولة على اساس صحيح ومتين وهو الذى ما برحت أفكارنا محصورة في النظر اليه ونواياه معطوفة عليه فلذا كان جل مآثورنا الخالص (أولاً) اجراء الأحكام الشرعية وتقييد ادارة الدولة العمومية بقوانين قوية موافقة لنفس الأمر وإقابلية الأهالى فيقتضى والحالة هذه ان يتذاكر الوكلاء في كيف يلزم أن تكون تلك القاعدة السالمة الثابتة وما هو الاساس الذى تبنى عليه لتكون كافة لعموم رعيتنا السلطانية التمتع بتام الحرية بدون

(١) هو ابن حسن حيدر باشا من أعبان درامه وكان والده مستخدماً بالحكومة المصرية ثم سافر الى الاستانة أيام ولايه المرحوم عباس باشا الاول وأرسله والده الى أوروبا مع الخديو اسميل باشا الاسبق وأخويه وللمعاد منها عين بوظيفة مترجم ثم ترقى في الوظائف الملكية الى أن بلغ رتبة الوزارة وأحسن عليه بالنيشان العثماني الاول المرصع وتقلد عدة وظائف مهمة وقتل وهو وزيراً للخارجية

استثناء وتوهمهم لأنواع الترقى وتميل كل فرد منهم للاتحاد بالسكر والنية على المحبة والحفاظ على الوطن والدولة والملة فيبادرون للاستئذان على ما يقر عليه القرار (ثانياً) ان المهم اللازم نظراً لهذه النية الاساسية انما هو تجديد تنظيم نظامات وادارات شورى الدولة والاحكام العدلية والمعارف العمومية وأمور المالية وسائر المأموريات فينبغي اذا النظر في تنظيم ذلك بالتتابع (ثالثاً) لما كانت المصالح الاميرية هي احدى الاحوال المعظمة التي اوقعت أمور الدولة في اشكال كان من الواجبات وعلى حساب ماسيشرع به من التنظيمات ادخال المعاملات المالية تحت التأمين أى انها تربط بقاعدة وثيقة وتوضع تحت نظارة قوية تمنح العموم تأميناً على عدم وقوع مصروف خارج عن الميزانية واعانة لهذا التدبير قد نزلنا من تخصيصات خزنتنا الخاصة ستين ألف كيس وتركنا كذلك الى خزينة المالية ادارة معدن الفحم في اركلى وسائر المعادن وبعض المعامل وحاصلاتها بأجمعها فبناء عليه يلزم الاعتناء كذلك باجراء مثل هذه التعديلات والتصرّفات في سائر الجهات تسهيلاً ولحصول الموازنة في الامور المالية (رابعاً) فلندم كافة معاهداتنا مع الدول المتحابة مرعية الاجراء وبصرف الجهد بتأكيد الحب والموالة وتزويد المصافاة فيما بين دولتنا العلية وجميع الدول فنسأل جناب الحق المعين أن يوفقنا للخير أجمعين في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ هـ

لكن لم يتح له الدهر اتمام هاتيك المشروعات الجليلة ذات القوائد الجزيلة بل ظهرت عليه علامات الاضطراب العصبي عقب توليته بنحو أسبوع ثم ازدادت شيئاً فشيئاً خصوصاً بعد ما بلغه خبر قتل حسين عوفى باشا ومحمد راشد باشا بالصفة التي سبق شرحها حتى لم يتمكن من تمييز الوزراء عن بعضهم ومع ذلك فكان الصدر الأعظم يخفى هذا الامر عن العموم لكن ذاع خبره لعدم اجراء الاحتفال بتسليمه السيف السلطاني في جامع أبي أيوب الأنصاري حسب العادة ولم يدم مقابله قناصل الدول ليقدموا اليه أوراق تجديد تعيينهم لدى حكومته وأخيراً لما اشتد عليه الحال استدعى الوزراء الطبيب ليدزورف النمساوي الشهير بمداواة الامراض العقلية فحضر وبعد أن فحص جلالته ولازمه عدة أيام متفرساً كل ما يبدو منه من الاقوال والاشارات واستعلم عن عاداته وكيفية معيشته قال بتعسر برئه من هذا المرض فتشاور الوزراء في الامر ثم عرضوا على أخيه عبد الحميد افندي ان تسلم اليه مقاليد الاحكام حيث حكم الاطباء بعدم لياقة اخيه السلطان مراد لادارة مهامها فاجابهم حفظه الله واطال عمره ان الاولى عدم التسرع في الامور ربما يمن الله عليه بالشفاء ويعود الى ما كان عليه من شدة الذكاء وتوقد الذهن فامتنل الوزراء لكن لما رأوا ان الحالة في ازدياد اجتمعوا في يوم الاربع ١٠ شعبان سنة ١٢٩٣ الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٨٧٦ وقرروا بوجوب المبايعه لمولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني ادام الله وارساوا رقبا والوالدة السلطان مراد بخبرونها بذلك فأجابت باستحسان ما قرروه ثم في صباح يوم الخميس اجتمع

الوزراء ثانية واستدعوا شيخ الاسلام خير الله أفندي وجميع الذوات والعلماء والامراء
والاعيان واستفتوا مولانا شيخ الاسلام في الامر فأفتى بوجوب عزله وهالك نص
الفتوى

صورة استفتاء الوزراء في وجوب خلع السلطان مراد خان الخامس
إذا جنّ امام المسلمين جنونا مطبقاً فقات المقصود من الامامة فهل يصح حل الامامة من
عهده (الجواب) يصح والله أعلم
كتبه الفقير حسن خير الله
عفى عنه
وبعدها أرسلوا في طلب مولانا

٣٤ السلطان الغازي عبد الحميد خامس الثاني

خضر الى سراي طوبقو وبايعه الحاضرون ومنها الى سراي بشكطاش حيث بايعه
جميع من حضر من رؤساء روحانيين وغيرهم
اما السلطان مراد فتوجه الى سراي جراغان التي كان بناها المرحوم السلطان عبدالعزيز
واستشهد بها ثم أخطرت الولايات وزينت المدينة ثلاثة ايام تولى فيها اطلاق المدافع في
الاقوات الخمس من الطوابي والمراكب الحربية
وفي يوم ١٨ شعبان سنة ١٢٩٣ الموافق ٦ سبتمبر سنة ١٨٧٦ تقلد مولانا السلطان
اعزه الله السيف المنيف في جامع أبي أيوب الانصاري على ماجرت به العادة وكان ذهابه
الى هذا الجامع في موكب حافل لم يسبق له مثيل وزار جلالتة اثناء عودته جدت والده
المرحوم السلطان الغازي عبد الحميد المدفون بجامع السلطان سليم ثم زار ضريح السلطان
محمد الفاتح رحمه الله فقبّر جدّه السلطان محمود ميندالانكشارية طيب الله ثراه واخيراً أقبره
شهيد الشهداء السلطان عبد العزيز غفر الله له
وبعد ذلك استلم ادارة الاعمال بهمة وانشاط وظهر للوزراء رغبته في اصلاح الامور
في خط هايوني ارسله جلالتة الى الباب العالي اشعاراً بجلوسه مؤرخاً ٢١ شعبان سنة
١٢٩٣ الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٢٧٦ واليك نصه

وزيرى سمير المعالي محمد رشدى باشا
انه لما اعتزل احدى الاكرم حضرة السلطان مراد الخامس عن مشاغل السلطنة والخلافة
وفرغ منها جلسنا بموجب القانون العثماني على تحت اجدادنا العظام
وقد وجهنا لهدتكم مسند الصدارة العظمى ورئاسة مجلس الوكلاء ابقاء وتجديداً
بناء على ما لالتكم من الروية المسلم بها والحمية الجربة ومالك من الوقوف والاطلاع على
مهام امور الدولة وكذلك اقررنا جميع الوكلاء في مناصبهم
واننى شديد الاتكال في جميع الاحوال على تسهيلات جناب موفق الامور وتوفيقاته

الصمدانية وقصارى آمالى ومقاصدى معطوفة بالحصر لتأييد أساس شوكة دولتنا ومكاتها بحيث تتال صنوف تبعتنا بلا استثناء الحرية ويتعمون جميعاً بنعمة العدالة والرفاهية فأؤمل في هذا الأثر ويعاونونا عليه وقد عرف الناس أجمع بان حال البحرين والاعنشا الملم بدولتنا له جهات وأسباب متنوعة وصور وأشكال متعددة فإذا أمعنا النظر في ذلك من أى جهة كانت تجتمع مبادئه وأسبابه في نقطة واحدة وهي عدم جريان القوانين والنظامات المؤسسة على الاحكام الجلية والشرعية التي هي المسند الاساسى في دولتنا على حقها وتامها واتباع كل فرد أهواء نفسه في ادارة الامور أما اتساع ميدان عدم الانتظام الطارىء على ادارة دولتنا ملكا ومالا وما حصلت عليه أمور ماليتنا من عدم الأمنية في الأفكار العمومية وتعذر وصول المحاكم الى الدرجة المتكفلة بتأمين حقوق الناس وتأخر استفادة مملكتنا حالة كونها قابلة الانواع وسائل العمران كالخرف والصنائع والتجارة والزراعة كما هو مسلم فهو من عدم الثبات الذي وقع على كل ماسرع به من الاجراءات وكل ما حصل من التشيقات الصادرة عن نية خالصة لمقصد اعمار مملكتنا ورفاهية حال رايانا وتبعتنا وسعادة حالهم ونوالهم بدون استثناء الحرية الشخصية وكون ذلك باجمعه صار عرضة لتغيرات متنوعة منعت انتاج المقصد الاصلى فلا ريب في أنه تولدولشا عن عدم الثبات باتباع القانون والنظام واذا كان من أهم ما يلزم ان التدابير الواجب وضعها أولا فاولا في مطلب قوانين المملكة المقتضى وضعها وتنظيمها في صورة تسهل بامنية العموم وثقتهم ينبغي أن يبتدأ بها من هذه النقطة المهمة وهي أن يترتب مجلس عمومى تكون أفعاله وآثاره مستوجبة لثقة العموم واعتمادهم ويكون موافقا لقابلية مملكتنا وأخلاق أهلها كافلا بالتمام تامين اجراء القوانين حرقاً فحرقاً سواء كانت القوانين الموجودة أو التي تتأسس من الآن فصاعداً توفيقاً لأحكام الشرع الشريف المقدسة ولما هو بالحقيقة ضرورى ومشروع لمملكتنا وملتنا وناظرأ في موازنة واردات الدولة ومصاريفها فليبحث الوكلاء في هذا المطلب ويتذكروا فيه بتدقيق وتأمل ويعرضوا قرارهم لدينا ويستأذنوا عنه ثم لما كانت مسألة توديع المأموريات الى غير أهلها من المأمورين وتبدلهم المتوالية من غير سبب مشروع هي من جملة الامور الباعثة على ايقاع جريان القوانين والنظامات كما ينبغي في حيز الاشكال وهذا مما يأتى بكبير المضرة ملكا ومصاحبة فينبغى ان يتعين من الآن فصاعداً مسلك مخصوص لكل نوع من الخدم والمأموريات وتتخذ قاعدة ثابتة ليستخدم بمقتضاها في كل عمل من يكون أهل له ولا يعزل أحد أو يبدل من مأموريته بلا موجب على وجه ان تكون كافة الوكلاء ومأمورى الدولة كباراً وصغاراً مسؤولين عن الوظائف الموكولة لهم كل بحسب درجته وكما هو معلوم لدى الخافقين ان ترقية ملل اوروپا المادية والمعنوية إنما هي حاصلية بقوة القانون والمعارف ولما كان استعداد كافة صنوف تبعتنا وما فطروا عليه من الذكاء والحمد لله يؤهلهم من كل وجه

للتقنيات واهم ما لدينا من الأمور الاسراع بتعميم المعارف فاختص ما تنمناه والحالة هذه ان يحصل الاجتهاد ببلاغ تخصيصات المعارف الى الدرجة الكافية حسبها يساعد الامكان وان تستحصل الوسائل الموصلة لتعميم نشر اصول المعارف على الفور وبيادر عاجلا لاصلاح الاصول الملكية والمالية والضبط في الولايات بحيث توضع ضمن دائرة الانتظام في صورة مناسبة للقاعدة التي تتخذ في المركز وحيث ان الحادثة التي ظهرت في العام الماضي في اطراف هرسك وبوسنه باغراء ارباب الاغراض قد انضم لها ايضاً مشكلة عضبان الصرب والدم المهرق من الطرفين انما هو دم أولاد وطن واحد وكان دوام هذه الحال التي يرى لها موجبا لكدرنا وتأثرنا الشديد يلزم التشبث بالتدابير المؤثرة المفضية لاستئصالها وفيما لا يد مجدداً كافة احكام المعاهدات المتعقدة مع الدول المتحابة تؤثر رعايتها على الوجه الحسن فينبغي المثابرة بالاجتهاد على ازدياد روابط الحب والمسالمة المتبادلين بيننا وبين الدول ونسأل حضرة الرب المتعال أن يقرن مساعدتنا جميعاً بتوفيقاته السبحانية في كافة الأحوال آمين في يوم الاحد ٢١ شعبان سنة ١٢٩٣

ثم اصغى لمشورة نهاء وزرائه المياليين لمنح الدولة العثمانية نظاماً دستورياً شوروريا يحفظ لجميع رعايا الدولة حقوقهم ويكون بمثابة رابطة بين جميع الشعوب والملل المكونة منها الممالك العثمانية فيكون الجميع سواء في الحقوق والواجبات وتبطل بذلك المناقشات والضمائن الجنسية والدينية لاشترائه الجميع في نظر شؤون الدولة ووضع القوانين الملائمة لحالة الاهالي ودرجة ارتقائهم في سلم المدنية وال عمران ويتنبه كل منهم الى الدسائس الاجنبية ولفظ الخائن من بينهم لفظ النواة

ولهذه الدواعي اصدر حفظه الله ارادة سنية بموجب قرار سائر الوكلاء (النظار) في ه شوال سنة ١٢٩٣ الموافق ٢ نوفمبر سنة ١٨٧٦ بتنظيم مجلس عمومي (برلمان) يكون من مجلسين احدهما ينتخب الاهالي اعضاءه ويسمى مجلس المبعوثان والاخر تعين اعضاءه من طرف الدولة ويسمى مجلس الاعيان

وقد ازداد تعلق جلالة السلطان الأعظم بتأييد النظامات الجديدة الشورية ووثق الاهالي ببلوغ امانهم ولم شعث الامم المختلفة وايجاد أمة واحدة عثمانية تكون كرجل واحد أمام العدو وحاجزاً حصيناً ضد تدخل الدول بحجة اصلاح احوال الشعوب المسيحية بما أن كل شعب يسأل له معرفة النواب عن الجميع قوانين تلاءم أحواله المذهبية ويعيش الكل في راحة بال ورغد عيش ثم لما استعفى محمد رشيد باشا من منصب الصدارة بسبب تقدمه في السن ووهن قواه عن مزاولة الأعمال في هذه الظروف المهمة وجهت الصدارة الى أحمد مدحت باشا أول القائلين بهذه الاصلاحات في ٤ ذي الحجة سنة ١٢٩٣ الموافق ١٣ ديسمبر سنة ١٨٧٦ وبعد تعيينه باربعة أيام صدر اليه فرمان سلطاني مرفق معه القانون الاساسي للدولة مشتمل على مائة وتسع عشرة مادة يأمره بنشر هذا القانون في جميع أنحاء الدولة

ومباشرة العمل بأحكامه من يوم نشره وأعلن القانون الأساسى بالاستئانة وقرى في مجمع حافل في يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٧٦ وأطلقت المدافع من جميع القلاع والمراكب استبشاراً وهو قانون قد جمع قواعي أهم ما به أنه ضمن لجميع رعايا الدولة الحرية والمساواة أمام القانون وأباح حرية التعليم مع جعله اجبارياً على جميع أفراد العثمانيين وحرية المطبوعات وبين اختصاصات مجلسى المبعوثان والاعيان وكيفية الانتخاب ومن يجوز ان ينتخب أو ينتخب وان جميع الرعايا يطلق عليهم اسم عثمانى ومن هو ذلك العثمانى وان الدين الرسمى هو دين الاسلام واللغة الرسمية اللغة التركية وان الدولة جسم واحد لا يمكن تفرقه وتجزئته ومما فيه أيضاً ابطال المصادرة فى الاموال على العموم والتعذيب فى التحقيق والسخرية على وجه العموم ووضع ميزانية سنوية تعرض على هيئة المبعوثان ثم الاعيان واذا اقر كلاهما عليها تكون واجبة الاجراء وعدم جواز عزل القضاة الا بسبب شرعى وكيفية نظام الولايات وحدود المأمورين الخ مما يطول ذكره هنا وهالك صورة الخط الشريف الهمايونى الصادر بتنفيذ القانون الأساسى

وزيرى سميع المعالى مدحت باشا

ان التدنيات العارضة منذ أزمان على قوة دولتنا العلية قد نشأت من الانحراف عن الطريق المستقيمة فى ادارة الامور الداخلية أكثر مما نشأ من الغوائل الخارجية ومن ميل الاسباب الكافلة أمنية التبعة من حكومتهم المتبوعة الى الانحطاط فلذا كان والدى الماجد المرحوم عبد المجيد خان أعلن مقدمة الاصلاحات خط التنظيمات الذى منح فيه للعموم الامن على نفوسهم وأموالهم وأعراضهم وناموسهم كما يوافق أحكام الشرع الشريف المقدسة فما عشناه الى الآن ضمن دائرة الامن وما وقفنا به اليوم بوضع واعلان هذا القانون الأساسى الذى هو ثمرة الآراء والافكار المتداولة بالحرية المستندة على تلك الأمنية ما هو الا من جملة آثار تلك التنظيمات الخيرية فلذلك أردت خاصة فى هذا اليوم المسعود اسم المرحوم المشار اليه وموقفيته بعنوان محيى الدولة ولا ريب بأنه لو كان الأوان الذى تأسست فيه التنظيمات المذكورة موافقاً لاستعداد زماننا هذا والجاته لكان المرحوم المشار اليه أسس اذ ذاك أحكام هذا القانون الأساسى الذى نشرناه الآن وأجره ولكن جناب الحق علق حصول هذه النتيجة المسعودة الكافلة بأنام سعادة حال ملتنا لعهد سلطنتنا فنقدم بناء على هذه الدلالة لجنا ب الرب الكريم الحمد والشكر العظيم على ان التغييرات التى وقعت بالطبع فى أحوال داخلية دولتنا العلية والتوسعات التى حصلت فى مناسباتها الخارجية أوصلت عدم كفاءة شكل ادارة الحكومة لدرجة البدهاء ولما كان أقصى مقاصدنا الخيرية ازالة الاسباب المانعة للآن الاستفادة الواجبة من ثروة ملكنا وملتنا الطبيعية ومن قابليتها الفطرية وتقدم صنوف التبعة فى طرق الترقى بالتعاون والاتحاد اقتضى لاجل الوصول الى هذا المقصد ان تتخذ الحكومة قاعدة سالمة ومنظمة وهذا أيضاً يتوقف

على تأمين هذه الفوائد وتقريرها بمعنى أن قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة وعلى منع الحركات غير المشروعة أعني بهامنع ومحو الخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم الاستبدادي الفردى أو الأفراد القلائل ليستفيد جميع الاقوام المركبة هيئتنا منهم نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء وذلك حق ومنفعة حريان بالهيئة الاجتماعية المدنية

ولما كان ربط القوانين والمصالح العمومية بقاعدتى المشورة والمشروعية المشروعتين والثابت خيرهما مما يحتاج اليه هذه الاصول أو عزنا فى خطنا الذى أذعنابه جلوسنا لزوم ترتيب مجلس عمومي وبما أن القانون الاساسى اقتضى بتنظيمه فى هذا المطلب قد ترتب بالمذاكرة فى الجمعية المخصوصة التى تعينت مركبة من متحيزى الوزراء وصدور العلماء ومن سائر رجال ومأمورى دولتنا العلية وجرى عليه التصديق فى مجلس وكلائنا بعد امعان نظر التدقيق وكانت المواد المندرجة فيه انما هى متعلقة بحقوق الخلافة الاسلامية الكبرى والسلطنة العثمانية العظمى وحرية العثمانيين ومساواتهم وصلاحيات الوكلاء والمأمورين ومسؤوليتهم وبما للمجلس العمومى من حق الوقوف وباستقلال المحاكم الكامل وبصححة الموازنة المالية وبالحفاظة على مركز الحقوق فى ادارة الولايات واتخاذ اصول توسيع المأذونية وكان جميع ما ذكر مطابقاً لاحكام الشرع الشريف ولاحتياج الملك والملة وقابليتهما فى يومنا هذا وكانت أخص آمالنا فى طلب سعادة العامة وترقياتها مساعدة لهذا الفكر الخبرى وموافقة له فاستناداً على عون الله وامداد روحانية جناب رسول الله قد قبلنا هذا القانون الاساسى وأرسلنا به لطرفكم بعد ان صادقتا عليه فبادروا لاعلانه فى جميع أنحاء الممالك العثمانية وأطرافها ليكون دستوراً للعمل الى ماشاء الله وباشروا باجراء أحكامه منذ اليوم متخذين أسرع التدابير لتنظيم ما تقرّر فيه وتسطر من النظمات والقوانين كما هو مطلوب بنا القطعى ونسال جناب الحق المتعال أن يجعل مساعى المجتهدين فى سعادة حال ملكنا وملتنا مظهرراً للتوفيق فى كل الاعمال
تحريراً فى ٧ ذى الحجة سنة ١٢٩٣

لكن لم ير أحمد مدحت باشا هذه الهيئة الشورية التى بذل جهده لمنحها البلاده فانه عزل من منصب الصدارة فى ٢١ محرم سنة ١٢٩٤ أعني بعد تعيينه بأقل من شهرين ونفى خارج الممالك المحروسة بناء على ما ألقى فى حقّه من الدسائس لدى جلالته السلطان الأعظم من انه يود ارجاع السلطان مراد الى عرش الخلافة العظمى بدعوى ان عزله كان على غير وجه شرعى وانه حافظ لقواه العقلية لا يمنعه مانع عن القيام بمهام الدولة وعزى اليه أيضاً أنه يسعى فى فصل السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية أى الخلافة الاسلامية عن السلطنة العثمانية بحيث لا يكون السلطان خليفة جميع المسلمين فى المعمورة بل يكون سلطاناً على

٣٣١

الامة العثمانية ليس الا وبنى نقيه بناء على المادة ١١٣ من القانون الاساسى الذى جاء فى آخرها بعد التسليم على اعلان الادارة العرفية أى تعطيل القوانين والنظامات الملكية مؤقتاً فى كل جهة ظهرت فيها أمارات الاختلال والعبث بالأمن العام فانصه (ومن ثبت عليهم بتحقيقات ادارة الضابطة الموثوقة أنهم أخلوا بأمنية الحكومة يكون اخراجهم من الممالك المحروسة وتبعيدهم عنها منحصرأ بيد اقتدار الحضرة السلطانية) ثم وجهت الصدارة الى محمد آدم باشا مع تغيير وتبديل فى أغلب الوكلاء وأرباب الوظائف المهمة

البرلمان العثمانى
الاول

وفى ٤ ربيع الاول سنة ١٢٩٤ فتح البرلمان العثمانى الاول فى سراى بشكطاش وعند افتتاحه تليت خطبة أنيقة عن لسان جلالة السلطان وبحضوره شرحت فيها جميع الاسباب التى أدت الى انحطاط الدولة وتأخرها سياسياً وسياسياً وبعد تشخيص الداء بين فيها الدواء وما يلزم للمملكة من الاصلاحات ونشر التعليم والمساواة بين الجميع والعدل فى الاحكام ولاهميتها فى بابها وجمعها كل ما يمكن أن يقال فى مثل هذا الحال أيتنا على درجتها هنا وقد صدق من قال ان كلام الملوك ملوك الكلام وهامى يا أيها الاعيان والمبعوثان

اننى أثبت المنونية بافتتاح المجلس العمومى الذى اجتمع المرة الاولى فى دولتنا العلية وجميعكم تعلمون أن ترقى شوكة واقتدار الدول والملل انما هو قائم بواسطة العدالة حتى ان ما انتشر فى العالم من قوة دولتنا العلية وقدرتها فى أوائل ظهورها كان من مراعاة العدل فى أمر الحكومة ومراعاة حق ومنفعة كل صنف من صنوف التبعة وقد عرف الناس أجمع تلك المساعدات التى أبدأها أحد أجدادنا العظام المرحوم السلطان محمد خان القانع فى مطلب حرية الدين والمذهب وكافة أسلافنا العظام أيضاً قد سلكوا على هذا الأثر فلم يقع فى هذا المطلب خلل بوقت من الاوقات وغير منكر أن المحافظة منذ ستائة عام على السنة صنوف تبعتنا وملينهم ومذاهبهم كانت النتيجة الطبيعية لهذه القضية العادلة والحاصل بيننا كانت ثروة الدولة والملة وسعادتهما صاعدتين فى درجة الترقى فى تلك الاعصار والازمان بظل حماية العدالة ووقاية القوانين أخذنا بالانحطاط تدريجاً بسبب قلة الانقياد للشرع الشريف والقوانين الموضوعة وتبدلت تلك القوة بالضعف وقصارى الامر أن المرحوم والذى الاكبر السلطان محمود خان أزال عدم الانتظام الذى هو العلة الكبرى للانحطاط الذى طرأ منذ أعصار على دولتنا ورفع من الوجود عائلة الانكشارية المتولدة منه وقلع شوك الفساد والاختلال الذى مزق جسم الدولة والملة وكان هو السابق لفتح باب ادخال مدينة أوروبا الحاضرة الى ملكتنا وهكذا والذى الماجد المرحوم عبد الحميد خان قد اقتنى هذا الاثر فأعلن أساس التنظيمات الخيرية المتكفلة بالمحافظة على نفوس أهاليها وأموالهم وأعراضهم وناموسهم ومنذ ذلك اليوم اتسعت تجارة ممالكنا

وزراعتها وزادت وأرادت دولتنا اضعافاً في أمد قليل ومن ثم وضعت القوانين والنظم التي هي مدار لما يعوزنا من الاصلاحات وأخذت تحصيل المعارف والقنون بالامتداد وبنينا شبة في دولتنا أمل النجاح بناء على هذه المقدمات الحسنة ولا سيما بناء على الامنية الداخلية ظهرت حرب القريم فكان ظهورها مانعاً لدوام المساعي بتنظيم أحوال الملك والتبعة ومع أن خزينة دولتنا كانت حتى ذلك الوقت غير مديونة للخارج بقرش واحد اضطربنا للاستعراض الخارجي دفعاً للاحتياج والضرورة فتعذر والحالة هذه تقابل وارداتنا مع مصاريف الحرب المبرمة وبهذا السبب فتح باب الدين لعم له في هذه المسألة بواسطة اتفاق الدول المتخمة التي صادقت على مشروعية حقوقنا وبانضمام معاوناتها الكاملة العملية التي لا تبرح مدى الدهر زينة لصحائف التواريخ قد أنتجت الحرب تلك المصالحات التي وضعت تمام ملكية دولتنا واستقلالها تحت ضمان دول أوروبا العهدي وغلب على الظن أن هذه المصالحات قد مهدت لمستقبلنا زماناً مساعداً على وضع أعمالنا الداخلية في طريقها وسلك جادة الترقى الحقيقي إنما الاحوال المتعاقبة ساقتنا بكليتنا الى عكس ذلك الانتظار والامل أن توالى الحوادث الداخلية المتتابعة الظهور بمفاعيل التحريكات والتسويات لم نحولنا وقتاً للنظر في اصلاحات ملكتنا وتنظيماتها بل أوقعت زراعتنا وتجارتنا في وقوف عظيم لا يضطرارنا في كل عام لجمع معسكرات فوق العادة في أنحاء مختلفة ووضع الصنف الاكثر نفعا من أهاليها تحت السلاح وأمر مسلم ومعلوم أنه مع كل مصادفنا من المشاكل والموانع قد قطعنا مادياً وأدبياً مسافة كلية في سبيل النجاح وتزايد وارداتنا على التوالي منذ عشرين عاماً دليل على ترقى المملكة وازدياد رفاهية حال الاهالى ثم وإن كانت المضايقة الحاضرة قد تولدت من الاحوال التي عددناها فمع هذا كان يمكننا تخفيف غائلة الضرورة وحفظ الاعتبار المالى لوسلكنا في الادارة المالية طريقاً قوياً يبدأنه كل ما اتخذ من التدبير المالى في صورة الاصلاحات لم يصلح الحال وإنما زاد العمل انقلا وقد طلبت الاستفادة من الحال قبل التفكير ماذا يكون الاستقبال فدوام هذه الغوائل وتعاقبها من الجهة الواحدة ومداركة والشاء الادوات والاسلحة الجديدة الحربية التي هي أعظم أسباب شوكة دولتنا واقتدارها وعدم وضع وارداتنا ومصاريفنا تحت موازنة اقتصادية من الجهة الأخرى أفضت الى انتقاض ادارتنا المالية درجة فدرجة فانتجت مانحن فيه الآن من المضايقة الخارقة للعادة وأعقب ذلك ظهور وقوات هرسك المنبعثة من أثر الفساد والتجريك التي تجسست أخيراً ثم افتتحت بغتة محاربات بلاد الصرب والجبل الاسود وظهرت في عالم السياسة أيضاً فتن واختلالات كبيرة وفي ذلك الزمان الذي فيه تهوَّرت دولتنا في بحر ان عظيم وقع جلوسنا بارادة جناب الحق الازلية على نحت أجدادنا العظام ولما كانت درجة المخاطر والمشكلات التي حاقت بأحوالنا العمومية غير قابلة القياس مع ماتقدمها من الغوائل التي تهوَّرت بها دولتنا حتى الآن قد اضطرتت لاجل

الحافظة قبل كل شيء على حقوقنا أن أزيد معسكراتنا في جميع الجهات حتى وضعت تحت السلاح نحو ستمائة ألف عسكري لاعتقادي بان ملاشاة هذه الاختباطات بالسكية واستئصالها بعون الله تعالى والتفتيش على طريقة لاصلاحات مهمة في دولتنا نضع بواسطتها مستقبلنا تحت الأمانة المتبادية انما هو فرض على ذمتي وأمر واضح بانه اذا نهجنا في الادارة سبيلا حسنا ستقدم باقرب وقت تقدما كبيرا في النجاح بحسب القابلية التي احسن بها الحق تعالى على ملكتنا وبحسب الاستعداد المتصف به أهاليها وأمر محقق ان تاخرنا عن الحقوق والترقيات الحاضرة في عالم المدنية كان لأهالنا المداومة على الاصلاحات المحتاج ملكتنا اليها ولعدم المثابرة على القوانين والنظامات المتعلقة بها ومنشأ ذلك ليس هو الا صدور هذه الاشياء من يد الحكومة الاستبدادية بدون استناد على قاعدة المشورة والحال أن ترقى الدول المتقدمة ونجاحها وأمنية الممالك وعمرانها انما هو ثمر تاسيس مصالحها وقوانينها العمومية بالاتفاق واجماع الآراء كما هو مسلم فبناء عليه رأيت أن تحرر أسباب الترقى في هذه الطريق واستناد قوانين المملكة على الآراء العمومية هو ألزم ما لدينا فلذا قد أعلنت القانون الاساسي أما مقصدنا من تاسيسه فليس هو عبارة عن دعوة الاهالي للحضور في رؤية المصالح العمومية وانما بالاحرى لاعتقادنا القطعي بان هذه الاصول هي وسيلة مستقلة لاصلاح ادارة ممالكنا ونحو سوء الاستعمالات واستئصال قاعدة الاستبداد وفضلا عما في هذا القانون الاساسي من القوائد الأصلية فهو كذلك مهد لأساس حصول الاتحاد والاخوة بين الانام وجامع لمقصد تاسيس أمر الائتلاف والسعادة بين الخاص والعام أما أجدادنا العظام في الفتوحات التي وقفوا اليها قد جمعوا تحت حكومتهم في هذه الدولة الوسيعة الممالك أقواما عديدة فلم يبق سوى أمر واحد فقط وهو ربط هذه الاقوام المختلفة اختلافات كليا في الأديان والاجناس بقانون مفرد وحسن مشترك وحيث قد تيسر الآن هذا الأمر بعون جناب الحق الذي لانهاية لأطافه ومقدرته الالهية فيقتضي اذا من الآن فصاعدا أن تكون كافة تبعتنا أولاد وطن واحد يعيشون بأجمعهم تحت جناح حماية قانون واحد وينعمون بالعنوان المخصوص منذ ما ينيف عن ستمائة سنة لاهل بيت سلطنتنا السنية المنسطر كثير من آثار شوكتهم في صحف تواريخ البرية مؤملا أن الاسم العثماني الذي ما برح حتى الآن علم القوة والاقدار المشتهر يكون من بعد الآن شاملا لدوام المنافع المختلفة الموجودة بين جميع تبعتنا وحفظها وحيث انني بناء على ما ذكر من الأسباب والمقاصد قد عزمت عزما ناجيا على أن أنهج السبيل الذي سلكته ولا أؤجهد في توطيده وتشييده فان قرب منكم اذا المعاونة فعلا وعقلا للاستفادة من مشروع القانون الاساسي الذي بني على قاعدتي العدل والسلامة والمفروض عليكم اذا القيام باعباء الوظائف القانونية المحولة لمهدتكم وحيثكم بصداقة واستقامة بدون احتراز من أحد غير ملتفتين الى شيء آخر سوى سلامة

دولتنا وملكنا وسعادتهما لان ما يعوزنا اليوم من الاصلاحات وما يترقب الجميع انخاذه في ملكنا من التنظيمات هو في غاية الاهمية والاعتناء وبما أن وضع ذلك على الفور في موقع الاجراء مرهون على اتفاقكم بالافكار والآراء فلذا شورى الدولة منابر الآن على تنظيم لوائح القوانين اللازمة لكي تحوّل في اجتماعكم في هذه السنة الى مجلسكم لاجل المذاكرة وهي لائحة نظمات داخلية لمجلسكم ولوائح قانون الانتخاب وقانون الولايات وادارة النواحي العمومي وقانون الدوائر البلدية وقوانين اصول المحاكمات المدنية وترتيب المحاكم وصورة ترقى المحاكم وتقاعدهم ووظائف عموم المأمورين وحق تقاعدهم وقوانين المطبوعات وديوان المحاسبات ولائحة قانون ميزانية السنة السابقة فطلوبنا القطعي والحالة هذه مطالعة هذه القوانين بالتتابع والمذاكرة عليها واعطاء قراراتها وكما ان النظر عاجلا في اصلاحات وتنظيمات المحاكم والمساكن الضبطية اللتين هما الوسيلة المستقلة لتأمين حقوق العموم من أهم ما يلزم فوضع ذلك في موقع الاجراء أيضاً متوقف على توسيع مخصصاتهما المقررة وتزويدها ومن حيث أن ادارتنا المالية قد أمست عرضة للعسر والمشا كل الكثرة حسبما يتضح لديكم من الميزانية المعطاة الى مجلسكم فاصيكم أن تسعوا مهتمين بالاتفاق لتعيين التدابير التي تهدينا قبل كل شيء الى التخلص من هذه المشاكل والى وسائل اعادة اعتبار ماليتنا ومن ثم لتعيين تلك التخصيصات التي تخرج هذه الاصلاحات المستعجلة الى الفعل ولما كان ترقى الزراعة والصناعة اللتين هما من اعظم الاصلاحات والاحتياجات في ملكنا وتبعتنا وایصال المدنية والثروة الى درجة الكمال موقوفاً على قوة المعارف والعلوم فستعطي عنه تعالى الى مجلسكم في اجتماع السنة الآتية لوائح القوانين المتعلقة باصلاح المكاتب وتنظيم درجات التحصيل وبما أن حصول تأثيرات أحكام القوانين على الوجه الانم سواء كانت القوانين المذكورة أعلاه أو القوانين التي توضع من الآن فصاعداً في موقع الاجراء يتوقف على وضع أفضية انتخاب ماموري الادارة تحت أهمية عظيمة فهيئة دولتنا تستمع نظر التدقيق المخصوص في هذا المطلب وفي مطلب صورة مكافاة وحماية المأمورين المتصفين بالعفة والاستقامة اللتين ضمنهما القانون الاساسي وحيث كانت قضية انتخاب المأمورين ذات بال وأهمية لدينا اعتمدنا على تأسيس مكتب مخصوص تكون مصاريفه من خزينا الخاصة لمقصد الحصول على مأمورين جديرين بالادارة العمومية على وجه أن تلامسذته تقبل في ماموريات الادارة والسياسة حتى الدرجة العليا ويدخل اليه من كل صنوف تبعتنا بدون استثناء مذهبي وترقيهم يكون بحسب درجة أهليتهم كما يتضح من نظامه الاساسي المعلن قبل اوقد وقع لدينا موقع التقدير والتحسين في صورة خارقة للعادة ما أبدته عموم تبعتنا الصادقة من آثار الحمية وما تحمّله جنودنا من أنواع المتاعب والمشاق المشفوعة بالغيرة والبسالة في أثناء الغزائل الداخلية التي تهوّنابها منذ عامين تقريباً ولا سيما في أثناء الحرب

مع الصرب والجبل الاسود على أن تشيبتا المجردة لحفاظة حقوقنا في هذه الحوادث قد
أنتجت استحصال قرار مصلحة الصرب والمذاكرات الجارية مع الجبل الاسود وسيحتول
للمعتك في اجتماع مجلسكم المرة الاولى ماخذ من المعاملات بناء على تلك المذاكرات
فأوصيكم اذا بتعجيل قراراتها أما السلوك مع الدول المتحابة بالصدقة والرعاية لما كان من
أهم المعاملات المألوفة والمعتنى بها لدى دولتنا فلم نزل اليوم حريصين على مراعاة هذه
القاعدة الودادية ولما طلبت انكلمته منذ بضع شهور عقد مؤتمر في مقر سعادتنا لاجل
المسائل الحاضرة وروجت كافة الدول المعظمة أيضاً أساسات هذا الطلب والاقتراح
وافق بابنا العالى على عقده لعم انه لم يأت هذا الاجتماع باتفاق قطعى ولكن ماتخرا نعن
اثبات نوايانا الخالصه واظهارها باجراء مآثورانهم ونصائحهم الموافقة لأحكام معاهدات
الدول ولقواعد الملل وحقوقها ولمقتضيات أحوالنا وحقوقنا المبرمة أما أسباب عدم
الاتفاق فلم تكن في الأساس وانما بالأحرى كانت في صور الاجراءات وأشكالها
لاستحساننا أساسياً لزوم ابعال التزيمات الكلية التى وقعت منذ بداية التنظيمات حتى
الآن في أحوال مملكتنا العمومية وفي ادارة كل شعبية من شعب دولتنا الى حال كمل
ولم نزل مساعينا حتى اليوم مصروفة لهذا المقصد على أن وظيفى التوقى من الاحوال
التى تحمل بشأن مملكتنا واستقلالها وقد تركت اثبات صدق نيتى وسلامتها لدى الجميع
الى تآدى الايام والازمان أما النتائج التى ولدتها هذه الحال فقد أفضت الى زيادة التأسف
وزوالها سريعاً مما يكفل بكمال ممنونى على أن مقصدنا في جميع الأوقات مقصور على
دوام السلوك في منهج المحافظة على استقلالية حقوقنا وسيكون هذا المسلك مركز النظر
في أتصرفاتنا الآتية وؤمل ان مآثر الاعتدال وحسن النية التى أظهرتها دولتنا قبل
العقاد المؤتمر وبعده تكفل بمضاغفة حسن المعاشرة والمناسبات الودادية الرابطة
سلطنتنا السنية بجمعية الدول الاورپاوية ونسال حضرة الحق المتعال أن يجعل مساعينا
جميعاً مظهراً للتوفيق في كافة الاحوال اه

﴿ حرب الروسيا و بيان أسباب لائحة الكونت اندراسى ﴾ (١)

(١) سياسى مجرى شهر ولد سنة ١٨٢٣ وتربى في مدرسة (بودابست) الكلية واشتغل بالسياسة
وفي سنة ١٨٤٨ كان من أهم دعاة الثورة وساعد المسيو (كسوت) على طلب الحرية والحرية للحصول
عليها وفي أثناء الثورة سافر الى الاستانة وتحصل من جلالة السلطان عبد الحميد على وعد بالمساعدة ومنها
قصد بلاد الانكليز وهناك وصله خبر الحكم عليه بالاعدام غيابه فلم يجسر بالعودة الى بلاده وبعد أن
أقام خارجها نحو عشرة سنوات أذن له بالرجوع اليها فعاد الى وطنه سنة ١٨٥٩ ولما تم الوفاق بين
الحجر والنمسا على أن يكون السكل من الامتين حكومة مستقلة ومجلس نواب مخصوص انتخب اندراسى
وكيلاً لمجلس الامة ثم رئيساً لمجلس وزراء الحجر وحضر بهذه الصفة تنويج فرنسوا جوزيف ملكاً على الحجر
ثم عين وزيراً لخارجية النمسا والحجر سنة ١٨٧١ ولما انتشبت الحرب التركية الروسية سنة ١٨٧٧ لزم
الحياة ولم يساعد الدولة العثمانية حسب رغبة أهالي الحجر ففتر أبناء وطنه منه ودعوه بخائن الوطن
لاختلاسه ولا يلقى البوسنة والهرسك منها بدون حق ثم أبرم مع ألمانيا التحالف الذى صار ثلانياً بانضمام
ايطاليا اليه واستقال من الاشغال سنة ١٨٧٨ طلباً للراحة وتوفي سنة ١٨٩٠

وفي أوائل سنة ١٨٧٥ هاجت الحواطر في بلاد الهرسك بناء على تحريض مجاورها من الصرب وسكان الجبل الاسود طلباً للاستقلال الادارى مثل الامارتين المذكورتين وربما كان للنمسا يد في هذه الفتنة اذ كان مطمح أنظارها الاستيلاء على ولايتي البوسنة والهرسك معاً لجاورتهما لبلادها فقدّم أهالي الهرسك أولاً عريضة للباب العالي يطلبون تخفيض الضرائب الحالية عموماً وبدلية العسكرية خصوصاً وأن يعدم السلطان وعداً صريحاً بعدم ترتيب ضرائب جديدة عليهم في المستقبل وأن يشكل لبلادهم بوليس خصوصي (جنדרمه) من أهالي البلاد فلم يجيبهم الباب العالي لطلباتهم بل عزز الحماية ولما تظاهر الاهالي بالعصيان وأشهروا السلاح ضد عساكر الدولة أصدرت أوامرها بقمعهم فوراً فاحمدت الثورة رغمًا عن مساعدة الصرب والجليين لهم سرّاً وعلمنا وتعضيد جمعيات الصقالية اياهم بالمال والسلاح

وفي ١٢ ديسمبر سنة ١٨٧٥ قضت المراسم السلطانية بتسكين خاطرهم فأصدر فرمانا بفصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية وتعيين قضاة من الاهالي بطريق الانتخاب وتوحيد الضرائب والمساواة فيها بين المسلمين والمسيحيين والمسلمين لكن أبت الدسائس الخارجية وعصب الصقالية الاستمرار القتال لاشتغال الدولة في الداخل واضعاف جيوشها فلم يذعن الثائرون بل عادوا في غيهم وطلبوا أول كل شيء انجلاء العساكر التركية عن جميع بلادهم كما انحلت عن بلاد الصرب واستمر القتال بينهم وبين الجنود العثمانية التي كان يقودها دولتو الغازي مختار باشا الى النصر حتى لم يقو الثائرون على الوقوف أمامهم ولما رأت النمسا أن الثورة قد انطفأت أو كادت ولم يعد لها سبيل للتدخل عسكرياً تنفيذا لما آرتها كما ستري أوعز الكونت اندراسي وزيرها الاول الى ألمانيا والروسيا بالاشتراك معها في تحرير لائحة سياسية الى الباب العالي بتعضيد طلبات الثائرين

وبعد تبادل المخبرات بين هاته الدول اتفق رأبها على تحرير هذه اللائحة المسماة في كتب السياسة بلائحة الكونت اندراسي لكن تقرر ان يكون ارسالها للدول الغربية اعنى فرنسا وانكلترا لا للباب العالي وارسلت لهما فعلاً مؤرخة ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٧٥ فطلبت الدولة العلية من انكلترا تبليغها الصورة المرسله اليها لتزى فيها رأبها فبلغتها اليها سفارة انكلترا في الاستانة بصفة غير رسمية

واهم ما جاء بها ان الدول ترغب تشكيل قومسيون من اهالي الهرسك يكون نصفه من المسيحيين والاخر من المسلمين لمراقبة تنفيذ ما جاء في الفرمان السلطاني المؤرخ ١٢ ديسمبر السابق ذكره وان يتعهد السلطان لجميع الدول باجراء ما ذكر في الفرمان المذكور من الاصلاحات

وبعد اطلاع ارباب السياسة في الاستانة على هذه اللائحة ارتأى السلطان الموافقة

على ما بها حبسا للنزاع وحتى لا يكون للدول سبيل للتدخل بصفة أشد وزيادة على ذلك فقد أصدر الخليفة الأعظم عفوا عاما عن جميع المتهمين والمشاركين في هذه الثورة ومن الغريب أن أهالي البوسنة والهرسك لم يقبلوا هذا العفو العمومي بل أصرّوا على طلب انجلاء الجنود الشاهانية عن بلادهم أو بالأقل يكون احتلالها قاصرا على بعض قلاع وحصون معينة وأن يملك ثلث الأراضي للمسيحيين وأن يعفوا عن الضرائب مدة ثلاث سنوات وأن تدفع لهم الحكومة العثمانية تعويضا عما هدم من البيوت والكنائس أثناء الحرب بشرط أن يكون دفع هذه التعويضات للجنة أوروبية

وعقب ذلك بقليل حدث بمدينة سلاويك جادة لسبها الاوربيون الى تعصب الاسلام الديني مع ان منشأها تعصب المسيحيين ضد المسلمين وتعرضهم للحربة الدينية التي يتظاهرون دائما بالدفاع عنها ايهاا وتغريرا لتكون لهم حجة للتدخل في بلاد الشرق وتفرق الكلمة بين الشرقيين فيسهل استيلاؤهم على بلادهم

حادثة سلاويك
ولائحة برلين

وتفصيل هذه الحادثة أن فتاة بلغارية مسيحية اعتنقت الدين الحنيفي الاسلامي طائعة مختارة وأتت الى سلاويك في ٥ مايو سنة ١٨٧٦ لاثبات اسلامها شرعا فتمرض لها بعض أوباش الاروام في الطريق حين توجهها الى دار الحكومة واخطفوها من أيدي المحافظين عليها بالقوة وأخفوها أولا في محل قنصلية وأمريكا ثم في أحد بيوت كبرائهم ولما اشتهر بهذا الخبر بين المسلمين هاجوا وماجوا وتجمعوا في فسحة دار الحكومة طالبين البحث عن البنت وتخليصها من أيدي المخفين لها فوعدهم الوالي بإجراء شؤون وظيفته ثم لما رأى المسلمون عدم نجاح بحث الحكومة تجمعوا ثانيا في اليوم الثاني في أحد الجوامع مشددين النكير على الحكومة وفي أثناء هذا الهياج حضر قنصل فرنسا وألمانيا ويقال انهما دخلا الجامع ولتواتر الاشاعة بان البنت في بيت قنصل ألمانيا ازداد الهياج وفي أقل من القليل بلغت الحدة منهاها من المجتمعين وتعدوا على القنصلين بالقتل

ولما وصل خبر هذه الحادثة الى الدول اضطرب وزراؤها وتبادلوا المخابرات البرقية للاتفاق على اتخاذ سببا للتدخل

وفي ١١ منه اجتمع البرنس غورشاكوف وزير روسيا والسكونت اندراسي وزير النمسا بالبرنس دي سمارك بمدينة برلين وأخذوا في المداولة معاً يومى ١١ و ١٢ منه وفي ١٣ منه حذروا لائحة الى الباب العالي معروفة في كتب السياسة بلائحة برلين وصدقت عليها دولتا ايطاليا وفرنسا مفادها التشديد على الباب العالي بتنفيذ ما جاء في فرمان السلطان المؤرخ ١٢ ديسمبر سنة ١٨٧٥ وتعيين مجلس دولي لمراقبة تنفيذه وإجراء كل ما فيه اصلاح حال المسيحيين في هذه الولايات وأن تبرم الدولة مع الثائرين هدنة قدرها

شهران أو ستة أسابيع على الأقل للوصول الى اتفاق مرض لهم وانه ان لم تتفق مع الثائرين في خلال هذه الهدنة تكون الدول الموقعة عليها مضطرة لاستعمال القوة لاجبار الباب العالي على تنفيذ هذه اللائحة فيرى من ذلك للمطالع أن الدول كانت متفقة على محاربة الدولة لتقسيم أملاكها فيما بينهم أو بالأقل سلخ جميع الولايات التي بها مسيحيون إذ أن الدول المسيحية لا يمكنها أن تخفى تألمها من وجود بعض المسيحيين تحت سلطة المسلمين فالمسألة اذن كما ذكرنا وكرّرنا سياسية دينية أو بالحري دينية أكثر منها سياسية هذا أما الباب العالي فلم يقبل هذه الطلبات المحجفة بحقوقه على رعاياه ولم يرعه هذا التهديد والوعيد لعلمه أنه يبعد اتفاق الدول على العمل باختلاف أطماعها وعدم موافقة انكثرا على هذه اللائحة

ثورة البلغار وجواب اللورد دربي

لا يخفى أن كثيراً من أعيان الروس وأعضاء العائلة المالكية بها شكوا عدة جمعيات لنشر النفوذ الروسي بين الطوائف التي تنسب حقيقة أو قولاً الى العنصر الصقلي ومن أكبر رؤسائها الجنرال اغناطييف الشهير وقد بذلت هذه الجمعيات المعصدة من نفس الامبراطور والحكومة مساعيها لاثارة البوسنة والهرسك فنجحت كما رأيت وسترى وكان لها عدة فروع في بلاد البلغار لتوزيع المال والسلاح سرّاً على المسيحيين من سكانها وتحريضهم على عصيان الدولة وطلب الاستقلال ولها أيضاً مركز مهم في مدينة ويانه عاصمة النمسا كانت ترسل منها الاسلحة وغيرها عن طريق رومانيا مما يثبت أن للنمسا ضلعاً في هذه الحركات العصيانية وبهذه المساعي الخبيثة الشيطانية كفر البلغار يون لعمدة الدولة عليهم التي لم تتصد لهم في بادئ الامر بتغيير دينهم أو امانة لغتهم بل ساعدتهم بعدم تعرضها لهم على حفظ جنسيتهم وقاموا يطالبون بالاستقلال بناء على ايعاز أرباب الدسائس من الاجانب وحيث كانت الدولة أنزلت ببلاد البلغار بعض عائلات الجركس المهاجرين هرباً من حكومة روسيا والاحتفاء تحت ظل جلالة الخليفة الاعظم فقد أفرغهم المهيجون البلغاريين أن الدولة تبني اقطاع اراضيهم لهؤلاء الجراكسة واستعباد المسيحيين لهم فحصلت عدة حركات عصيانية في سبتمبر واكتوبر سنة ١٨٧٥ اطلقت بمصرعة وارسلت الدولة عدة أليات من الباشا وبوزوق منعا لعودة الثائرين للعصيان وفي اوائل شهر ابريل سنة ١٨٧٦ أتى الى البلغار عدد عظيم من دعاة الثورة والفساد وعقدوا اجتماعاً في إحدى مدنها حضره مندوبون من اللجان المركزية في ويانه وبخارست عاصمة رومانيا التي كانت لم ترزل تحت سيادة الدولة العلية وقرروا جميعاً في هذا النداء وجوب المبادرة الى اثارة العصيان مغررين البلغاريين بأن روسيا مستعدة لمدهم بالجيوش لو تغلبت عليهم جيوش الدولة وتدفع لهم أيضاً قيمة ما يتلف من مساكنهم ومزروعاتهم ومقتنياتهم وأن يكون ابتداء الثورة قتل المسلمين وايقاد النار في مدينة أدرنه في مائة موضع وفي مدينة فيلبية في ستين موضعاً ثم يهجم

ثلاثة آلاف نفر على مدينة بازار جق
وفي أول مايو سنة ١٨٧٦ نفذ أغلب هذا القرار وحصلت عدة مذابح في كثير من
القرى قتل فيها كثير من المسلمين لتجردهم عن السلاح وعدم امكانهم رد القوة بمثلها ولما
وصل هذا الخبر الى الوالى أرسل الى الاستانة يطلب الجيوش لاتساع نطاق الثورة شيئاً
فشيئاً وعدم كفاية العساكر الموجودة تحت أمره ثم وزع كثيراً من الاسلحة على المسلمين
ونظمهم بهيئة رديف ولما أتى اليه المدد أمكنه قمع الثورة بواسطة الايلات المنتظمة
والباشبوزوق والرديف واستعمال الشدة مع من يضبط من الثائرين ولما كادت تحجب
مساعي دعاة الفساد أشاعوا باوروبا ان العساكر العثمانية ارتكبت مالا يرتكبه
المسيرون وأسدلوا غطاء الغرض على ما اقترفه البلغار يون من قتل المسلمين في بادىء
الأمر وهولوا في المسئلة وجعلوا الحبة قبة ليستميلوا الرأى الاوروبى اليهم وفتح المسئلة
الشرقية وتكلم بعض وزراء الدول بما يمس كرامة الدولة العلية في مجالس نوابهم وشددوا
عليها التكبير خصوصاً المستر غلادستون زعيم حزب الأحرار ببلاد الانكليز فانه أتى
الخطب الرنانة وألف الرسائل المطولة طعنوا على الدولة ناسباً اليها ما لم يسمع بمثله في التاريخ
ناسياً ما فعلته حكومة بلادهم مع الايرلانديين وأهالى اوسترااليا الاصليين الذين أعدتهم
عساكرها والمهاجرين من سكانها ربما بالرصاص وبهذه المساعي الخبيثة هاج الرأى
العام خصوصاً في انكارتا ضد الدولة العلية حتى أرسل اللورد دربى ناظر خارجية انكارتا
رقباً الى السير هنرى ليوت سفيرها بالاستانة بتاريخ ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٦ ضمنه
خلاصة تقرير كان أرسله المستر بارنج سكرتير سفارة انكارتا بالاستانة الذى كلف
بتحقيق ما نسب للمسلمين وأمره في آخر هذا الرقيم بعد لوم الدولة على ما ينسبه الاجانب
اليها من التقصير أن يطلب مواجهة السلطان عبد الحميد الذى جلس منذ قريب على تخت
السلطنة العثمانية ويطالب منه باسم ملكة دولة انكارتا التعويض على الثائرين وبناء
ما هدم من الكنائس والبيوت على مصاريف الدولة ومساعدة الاهالى الذين اشتد
بهم الفقر على اعادة الاعمال ومجازاة المامورين الذين أمروا باجراء هذه الفظائع واناطة
ادارة هذه البلاد لوال عادل ذى همة ونشاط بشرط ان يكون مسيحياً وان كان مسلماً
فيكون له مستشارون من المسيحيين يمكن النصارى من السكان الاعتماد عليهم والثقة
بهم الى آخر ما جاء بهذا الرقيم المسطر في الكتاب الازرق واليك نصه نقلاً عن مجموعة
الجواب

قد وصل الى دولة سعادة الملكة محرراتكم عدد ٩٦٤ في خامس هذا الشهر من
جملتها نسخة من تقرير مستر بارنج المشتمل على استقصائه عن المنكر الذى جرى منذ
قريب على النصارى سكان البلغار وكانت الدولة مترقبة من سابق تقرير الموما اليه الذى يعتم به
أن تسمع بان الجرائم التى اقترفها الباشبوزوق والجرا كسة في تلك البلاد كانت فظيعة

فيسوءها الآن أن تعلم من هذا التقرير التام ان ما كانت تترقبه كان في محله ثم ان بعض الاخبار التي شاعت بخصوص هذه الجرائم وان كان غير صحيح الا انه لم يبق ريب في ان تصرف والى أدرنه بكونه أمر جميع المسلمين بان يقتلوا السلاح هو الذي سبب حشد قوم من الفتاك واللصوص فارتكبوا الجرائم بدعوى انهم يحاولون اطفاء الفتنة وهذه الجرائم وصفها المستر بارنغ بانها أفظع شيء شائن تواريخ هذا القرن وقد تبين أيضا ان أكثر أصحاب الامر والنهي في الولاية قد أجازوا هذا المنكر أو غصوا النظر عنه فلم يبالوا باصلاح الحال أو أنهم أصلحوا مالا يعنى به ومع انه قبض على ١٩٥٦ نفس من البلغاريين لا شترأهم في العصيان الذي لم يقارنه خطر فلم تجر عقوبة على قتلة الرجال الذين لم يوجد معهم سلاح وعلى قتلة النساء والاولاد الا عشرين نفسا منهم فالظاهر ان أصحاب الامر والنهي في الاستانة لم يطع لهم أمر وانهم لم يطلعوا على حقيقة الحال وما كان لدولة المملكة ان تظن انه من الممكن ان الباب العالي يرقى أولئك المأمورين الذين أفعالهم معروفة وضرر على المملكة العثمانية أو انه يمنحهم نياشين وقد روى ان القتل الذي جرى في باتاق كان في ٩ مايو الماضي وبقي الى ٢١ من جولاي (تموز) مكتوما عن الباب العالي أو غير مبال به فلم يعرف هذا الامر الا من تقرير مستر بارنغ المذكور حيث علم منه ان ثمانين نفسا من النساء والبنات أخذن الى قرى المسلمين وذكر أسماءهن ولم يزلن فيها وان جنت المقتولين بقيت غير مدفونة وما أحد بذل الجهد في الاطلاع على مرتكب هذه الشرور ولا حاجة لي هنا الى ايراد ما فضله مستر بارنغ في تقريره مما يدل على ان أهل هذه الولاية المنحوسة كانوا هدفًا للأعمال الصادرة عن غلو ونهب وسلب ومابدا حتى الآن سعی بليغ في تعويض هؤلاء المضميين عن الضرر الذي لحق بهم ولا في تأمينهم في المستقبل اذ لم يرجع اليهم ما فقدوه من الماشية والامتنعة ولم تزل كائناتهم وبيوتهم خرابا وهم يتضورون جوعا وقد هلك عنهم رزقهم من الحارث والأعمال وما بقي من قراهم سالما لا يأمن من أن يأتي عليه مآتي على القرى الخربة ولم يزل العدوان فاشيا كما اعترف به مسدير عورت الآن والباب العالي عاجز أو متقاعس وقد أخبرت جنابكم بما أحدثه شيوع هذه الشائعات في أهل بريطانيا من الغيظ الحق وعندي من اليقين ان مثل هذا الاحساس سرى أيضا الى جميع سكان أوروبا فالآن أقول ان الباب العالي ليس في وسعه أن يغالب الافكار العمومية في غير ممالكه ولا أن يظن ان دولة بريطانيا أو غيرها من الدول التي وقعت على معاهدة باريس تظهر عدم المبالاة بما أصاب فلاحي البلغار من الرزء والجور الناشيء عن الاحتكام ومهما يكن من الملاحظات السياسية فلا يمكن اباحة هذه الافعال فلا بد من التعويض على من أصيبوا بهذا الرزء وكفالة تأمينهم وسلامتهم في المستقبل وهذا أحد الشروط التي ينبغي علمها حل المسائل المعترضة الآن فن أجل ابلاغ رأي دولتنا بنوع مؤثر الى حضرة السلطان الذي جلس منذ قريب على تخت سلطنة العثمانية ينبغي أن تطلبوا

مواجهته وتبلغوه على وفق مراد الدولة خلاصة تقرير مستر بارنغ وتذكروا له أسماء شوكت باشا وحافظ باشا وطوسون بك وأحمد أغا وغيرهم من المأمورين الذين صرح بأعمالهم المنكرة وطلبوا باسم الملكة ودولتها التعويض والعدالة وألحوا ببناء ما هدم من الكنائس والبيوت وبإسداء المساعدة اللازمة لأعادة الأعمال والاشغال ولاغاثة الذين حاق بهم الفقر واذكروا على الخصوص انه لا بد من البحث عن النجاة من المرأة واعادتهم الى أهلهم وكذلك ألحوا بإجراء عبرة على الذين اشتروا في تلك الافعال الشنيعة أو تساهلوا فيها وينبغي أن يمتحن أولئك الذين أعطوا نياشين ورتباً لأوهام باطلة في حقيقة سلوكهم وتصرفهم ويجردوا عن منزلهم ان كان ذلك لم يقع فعلاً ويبدل السعى البليغ في اعادة الثقة والأمن ولهذا الغاية يظهر من الصواب أن تلك الجهات التي جرى فيها المهرج والمرج تجعل تحت مأمور ذي همة واقدام يعين لهذا الخصوص فاذا لم يكن من النصارى يلزم ان يكون معه مشيرون منهم بحيث تركن اليهم النصارى وتتق بهم وهذا الامر يكون مؤقتاً من دون أن يكون مانعاً لما تتفق عليه الدول في المستقبل واذكروا أيضاً بكلام أكيد بليغ تهامل المأمورين في تلك الجهات وعدم الكفاية من استعصاء أديب أفندي ومن تقر به الذي أبلغ الى الدول ابلاغاً رسمياً اذ لا يعتمد عليه ومن أجل ان يكون طلبكم مفهوماً اتركوا مع المصدر الأعظم عند انتهاء محاورتكم معه تذكرة هذه الملاحظات التي فوضت اليكم بأمر الملكة لتعرضوها على مسامع السلطان

الامضا دري

فليتأمل القارئ الى نسبة التوحش للدولة التي لم تات غير ما تاتبه غيرها من الدول لو حصلت بها ثورة داخلية مع ان روسيا ارتكبت وما زالت الى الآن ترتكب مع يهود بلادها ما لم يسمع به أيام تيمورلنك من الطرد والنهب والمصادرة وكذلك مع أهالي بولونيا وليتذكر المطالع ما فعلته فرنسا في الجزائر والنمسا والروسيا ما في بلاد المجر سنة ١٨٤٨ وما فعلته انكارتا نفسها في ايرلاندا ويحكم بعد ذلك بان دعوى دول أوروبا بنشر الحرية والمدافعة عنها حقيقة بالاعتبار أو انها مجرد شباك لا تقصدها الا التداخل في الشرق والتهامة قطعة بعد أخرى وتخليص المسيحيين منهم من سلطان المسلمين الذين ما ارتكبوا معهم أنما لا عدم التعرض لدينهم ولعنهم والحفاظة على جنسيتهم فقولوا بالكفران

حرب الصرب
والجبل الاسود

قد علم القارئ مما سلف أن روسيا كانت تسعى بالاشتراك مع باقي الدول المسيحية لايجاد الاضطرابات الداخلية في بلاد الدولة العلية الاسلامية لاضعافها ولما رأيت أن مساعدها في البوسنة والهرسك من جهة وبلاد البلقان من جهة أخرى كادت تعود بالخيبة والفشل أوعزت الى أميري الصرب والجبل الاسود باعلان الحرب على الدولة حتى اذا حارباها وقازا عليها بالغلبة (الأمر لا يتصوره العقل) دخلت بجيوشها الحرارة في ميدان القتال وأتمت اذلال الدولة العلية حماتها الله من مكابدهم وان نصر الله الجيوش الاسلامية على الصرب

والجبل الاسود تداخلت روسيا بجيوشها لمساعدتهما ضد الدولة صاحبة السيادة عليهما فكان قصود الروس حينئذ اعلان الحرب على الدولة باتفاق الدول ان لم تكن جميعها فالمانيا والنمسا بالتحقيق اذ كانت أنظار الاخيرة تطمح الى توسيع حدودها من جهة بلاد البوسنة والهرسك ويساعدها البرنس دي بسمارك وزير ألمانيا الاول على ذلك ليوجد للنمسا مصالح في الشرق ويجعل لها فائدة في المدافعة عن الاستانة من أن تحتلها روسيا ولا يظن القارىء أن عمل بسمارك هذا مبني على اخلاص للدولة العلية معاذ الله بل انه يريد معاكسة الروسية في الشرق وعدم تمكنها من احتلال الاستانة انتقاما منها لمنعه عن محاربة فرسانا نياسنة ١٨٧٥ للاجهاز عليها حين ما رأى نشأتها بعد حرب سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧١ وقيامها بدفع الغرامة الحربية البالغ قدرها مائتي مليون جنبها قبل المواعيد المحددة في معاهدة فرانكفورت

هذاولما أوعز الى الصرب والجبل الاسود باعلان الحرب على الدولة أخذ اميراهما بالاستعداد وشراء الاسلحة والمدافع وجمع الجيوش وتدريبها وأرسلت روسيا أحد قوادها الجنرال (تشرنايف) الذي فتح مدينة (تشقاند) (١) في أواسط بلاد آسيا الى بلاد الصرب ليقود زمام جيوشها فذهب اليها مع كثير من الضباط الروسين الموظفين في الجيش العامل وكانوا يقاتلون مؤقتا من خدمة الجيش الروسى للالبحاق بالجيش الصربى وبذا كانت روسيا هي التي تحارب الدولة العلية باسم الصرب وكان الحال كذلك في اماراة الجبل ولما رأت الدولة هذه الاستعدادات جمعت جيشا جرارا مؤلفا من أربعين ألف مقاتل بمدينة (نيش) لصدد الصربيين لو تعدوا الحدود

وفي ٨ يونيو سنة ١٨٧٦ أرسل الباب العالي الى اميرى الصرب والجبل يطلب منهما الافادة عن سبب جمع هذه الجيوش فاجاباه بان ذلك لمنع تعدى قبائل الأرثوذكس على حدودهم وحفظ الامن في الداخل من جهة وجمع الدولة جيوشها على حدود بلادهما من جهة أخرى مع ان الدولة لم تجمع عساكرها الا بعد ان آلتست منهما العداء ومع ذلك فاكثفت الدولة بهذا الجواب الركيك المعنى والمبنى

ثم لما اكملت استعدادات الامارتين الحربية طلب البرنس ميلان امير الصرب من الدولة أن تناط جيوشه بالتمهاد الثورة في البوسنة والهرسك بما أن وجود العساكر العثمانية بهما مهدد لا من بلادهم وطلب البرنس نقولا أمير الجبل أن تنازل له الدولة عن جزء من أراضي الهرسك ولما لم تقبل الدولة هذه الطلبات التي لم يقدم على طلبها الا كل عالم برفضها جاعلها سببا للحرب المصمم عليها اجتازت الجيوش الصربية الحدود تحت قيادة الجنرال (تشرنايف) الروسى في أول يولييه سنة ١٨٧٦ وكذلك جيوش الجبل الاسود وبدون أن

(١) مدينة قديمة اسلامية بأواسط آسيا كثيرة العمارة والتجارة يبلغ عدد سكانها ١٢٥ ألف نسمة واحتلتها الجنرال تشرنايف الروسى سنة ١٨٦٥ ولم تزل تابعة للروسيا

تعرض لهم الدول أن تقيم الحجة على هذا العمل العدائي بل تربصت حتى اذا فاز أعداء الدولة عضدت الدول طلباتهم وان باؤا بالخسران حفظت لهم بلادهم ومنعت الدولة من مجازاتهم على تعديهم بدون سبب الا دسائس روسيا والدول المعضدة لها ولندكر هنا بكل اختصار ملخص الاعمال الحربية والوقائع العسكرية التي خصلت بين جيوش الدولة المظفرة والعساكر المصرية التي أرسلت للاشتراك معها في الحرب ومقاسمتها النصر والفخر من جهة وعساكر الثائرين وضباطهم الروسين من جهة أخرى فنقول

ان الحرب مع الجبل الاسود لم يتسع نطاقها لوعورة جبالها ولعدم امكان حصول وقائع مهمة بها بين جيوش منتظمة بل كان كل ما حصل بها عبارة عن مناوشات يكون فيها كل من الفريقين طورا غالبا وتارة مغلوبا فانه كان يتمذرع على الجيوش العثمانية اقتفاء أثر الثائرين في المفاوز الوعرة ويستحيل على الجبلين اجتياز صفوف الجيوش المحدقة ببلادهم من كل فج ولذلك فلم تعد مساعدة الجبلين بفائدة تذكر على الصرب أما من جهة الصرب فقد أجمع المؤرخون العسكريون أن الجنرال تشرنايف ارتكب خطأ عظيما وأما كبيرا في عدم جمع جيوشه في النقطة الوحيدة التي تصل بلاد البوسنة والهرسك بباقي بلاد الدولة العلية فيتقدم ثائري هاتين الولايتين وبممكنه بكل سهولة الانضمام الى عساكر الجبل الاسود الا أنه لم يتبع هذه الخطة التي اشار بها عليه بعض القواديل جزأ فوته الى أربع فرق أثار هو باحداها على الطريق المؤدية الى صوفية عاصمة بلاد البلقار الا أن وكان ينسب اليه أنه يريد أن يعين واليا مختاراً عليها لكن ماشهه البلقاريون من بسالة رجال الدولة منعهم عن مساعدته فخاب مسعاه وبسبب تفريق جيوشه لم يأت يوم مasher يوليه الا وقد انهزمت الفرق الاربع بهمة وشجاعة عثمان باشا الغازي وعبد الكريم باشا السردار الاكرم

وبعد ان ردت جيوش الثائرين على عقبها فكر عبد الكريم باشا في توجيه قواه لا فتتاح مدينة بلغراد عاصمة الصرب ولذلك صمم أولا على احتلال مدينتي الكسنيدياس ودليجراد الواقعتين على طريق العاصمة وفصل الفرقة القائد لها تشرنايف عن الفرقة التي كانت معسكرة بمدينة زانيتس تحت قيادة (لاشانين) وحيث أن فصل هاتين الفرقتين وقطع كل اتصال بينهما لا يكون الا باحتلال مدينة (نياشيواز) صدر أوامره الى أحمد أيوب باشا وسليمان خيرى باشا بالتوجه نحوها من جهتين مختلفتين وفتحها بعد الانضمام الى بعضهما فصدعوا بأمره وفتحوا المدينة عنوة في يوم ٣ أغسطس بعد ان انتصروا في عدة وقائع مشهورة ثم استزاحت الجيوش نحو أسبوعين بدون محاربات مهمة ومن ٢٠ أغسطس استؤنفت الحرب ثانية بكل شدة واستمرت أربعة أيام متوالية لم يكن الجيوش المظفرة في أثناءها فتح مدينة الكسنيدياس ولذلك أقر رأيهم بعد مشاوره من معه

من القوادد على عدم اضاعة الوقت أمام هذه المدينة الحصينة ومدينة دليجراد وانتقال الجيوش على الضفة نهر (موراوا) اليسرى بدون أن يشعر بهم العدو والسير نحو مدينة بلغراد تواتر وبعد هذا القرار أمر أحمد أيوب باشا بعبور هذا النهر وفي أثناء هذه المناورة المهمة التي ربما كان يتوقف عليها النجاح استمرت المناوشات مع الجيش الصربي من ٢٥ إلى ٢٩ أغسطس حتى تمت بدون أن يشعر العدو مطلقاً بذلك إلا لما اجتازت جميع الجيوش العثمانية النهر ولم يجد أمامه أحداً فلما علم بأنهم هذه الحركة العسكرية المهمة عبر النهر بجيوشه خاف العثمانيون في أول سبتمبر سنة ١٨٧٦ فلاقوه لقاء العدو القادر وصوبوا اليه مدافعهم حتى وقعوا الفشل في صفوف الضربيين وولى كثير منهم الدبار وركنت الأليات برمتها إلى الفرار قبل أن يصاب منها قرواحد وفي مساء هذا اليوم الذي لم يبق بعده للصرب قائمة والذي جعل الجيوش على مقربة من بلغراد لم يعد يمنعها مانع عن الوصول إليها واحتلالها وردت أوامر سرية من الاستانة إلى عبد الكريم باشا بتوقيف القتال وعدم الزحف على عاصمة الصرب ريثما تأتيه أوامر جديدة لتدخل الدول بين الفريقين ويان ذلك أن البرنس ميلان أمير الصرب طلب من قناصل الدول لديه في ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧٦ مخبرة دولهم بأن تتوسط بينه وبين الدولة العلية منعا لبسك الدماء وخوفاً من أن ياحقه عار الغلبة فابلغت القناصل دولهم هذا الطلب وهي فأنحت الباب العالي في هذا الخصوص فلم يجها حتى فرق عبد الكريم باشا جميع الجيوش الصربية ولم يبق له معارض في طريق بلغراد فاعز إليه سراً بالتوقف مؤقتاً وابلغ سفراء الدول في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٧٦ أنه لا يقبل الصلح إلا بعدة شروط أهمها أولاً أن يأتي أمير الصرب إلى مقر الخلافة العظمى ليقدم واجبات الخضوع والعبودية إلى السدة العلية السلطانية ثانياً أن القلاع الأربع التي خول حق احتلالها إلى الصرب في سنة ١٨٥٢ م ١٢٨٣ هـ مع بقائها تابعة للدولة تحتلها ثانياً الجيوش العثمانية ثالثاً أن يلغى الرديف في بلاد الصرب وأن لا يزيد عدد الجيش الصربي عن عشرة آلاف مقاتل وبطريق مدافع لحفظ الامن الداخلي ليس إلا فلما وصل هذا الجواب إلى الدول لم تقبل هذه الاقتراحات قولا بأنها مخنفة بامتيازات الصرب إجحافاً كلياً وزيادة على رفضها زادت على ما اقترحتة بخصوص الصرب طلبات أخرى بخصوص البوسنة والهرسك والبلغار التي أطفئت ثورتهم من مدة وبعد أن اتفقت جميع الدول الست الموقعة على معاهدة سنة ١٨٥٦ القاضية بالحفاظة على سلامة الدولة العلية (التي معنيها في عرفهم تقسيمها) أرسل اللورد دربي وزير خارجية انكارترا إلى السير هنري ليوت سفيرها في الاستانة رسالة بمضمونه أمره جوصيلها إلى الباب العالي فأوصلها إليه في ٢٥ سبتمبر المذكور مضمونها أن طلبا إلى الدولة العلية لا يمكن قبولها بالكلية وأن الدول ترغب إرجاع حالة الصرب والجبل الأسود إلى ما كانت عليه قبل الحزب وأن تمضي الدولة مع الدول الست اتفاقاً بتأسيس إدارة وطنية

مستقلة في البوسنة والمهرسك حتى يكون للاهالي حق مراقبة أعمال ماموري الحكومة وموظفيها وكذلك في بلاد البلقان وايقاف الحرب فوراً مع الصرب وبعد ان تداول وزراء الدولة في هذه الطلبات التي لا تقبلها أي دولة فازت على عدوها بالنصر في ميادين القتال واهرقت دماء رجالها حفظاً لكرامتها وشرفها من تعدى هذا العدو ونحوها بدون ان تبدى الدول حراً كما أجاب الباب العالي على هذه المذكرة السياسية بأنه لا يرى وجهاً لاعطاء هذه الولايات امتيازات ادارية بما ان مجلس المبعوثان سيشكل قرياً ويكون فيه مندوبون منتخبون من جميع الولايات بدون استثناء وان الدولة لا ترى ضرورة لابرام اتفاق جديد مع الدول بهذا الخصوص ولم تذكر شيئاً عن الهدنة مطلقاً ولما لم تصفح الدول لهذه الطلبات العادلة أو عز الباب العالي الى السر عسكر عبد الكريم باشا باستمرار القتال فاستدعى السر عسكر القائد درويش باشا الذي كان معسكراً بفرقتيه في نيش ولما حضرت العساكر أمر بالهجوم على مدينة جونيس التي جعلها الجنرال تشرنايف مقرّاً لمعسكره فهجمت عليها الليوث الاسلامية في ١٢٩ أكتوبر سنة ١٨٧٦ وبعد قتال عنيف تمهقر الصربيون وأنصارهم وأخلاء هذه المدينة ومدينة (دليجراد) وزحفت الجيوش العثمانية مخوفة بالنصر على مدينة بلغراد عاصمة بلاد الصرب

ولما وصل خبر هذا الفتح المبين الى آذان ولاية الامور في روسيا وهو خلاف ما كانوا يتوقعونه أرسل البرنس (غورشا كوف) الى الجنرال اغنايف بالاستئذان بعد ان اتفق مع باقي الدول رسالة برقية في مساء ٣٠ أكتوبر يأمره بأن يطلب من الباب العالي ايقاف الحرب فوراً ومهادنة الصرب والجبل الاسود مدة ستة أسابيع أو شهرين وان لم يحب هذا الطلب في مسافة ثمانية وأربعين ساعة ينسحب هو وجميع موظفي السفارة من الاستانة فقبلت الدولة هذا الطلب منعاً للعراقيل السياسية ومنحت لمحاربها هدنة مدة شهرين مدّت فيما بعد الى شهر مارت سنة ١٨٧٧

مؤتمر الاستانة

وفي ٥ أكتوبر سنة ١٨٧٦ عرض وزير خارجية انكلترا على باقي الدول المنتحلة لنفسها حق التداخل في شؤون الدولة العلية اجتماع مؤتمر في مدينة الاستانة لتسوية حالة مسيحيي الدولة بكيفية ثابتة منعاً لحصول الحرب بينها وبين روسيا التي كانت شارعة في جمع جيوشها والاستعداد للحرب فلم تجاوب الدول على هذا الاقتراح بجواب صريح يخوفها من عدم امثال أحد الطرفين لقرارات المؤتمر فتضطر للتألب ضده كما حصل في حرب القرم سنة ١٨٥٦ لكن لما رأت ان الخطر قد ازداد والحروب قد قربت حتى صارت قاب قوسين أو أدنى خصوصاً وان قيصر روسيا ألقى في مدينة موسكو خطاباً في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٧٦ أثنى في خلاله على شجاعة أهالي الجبل الاسود وثبات الصربيين ولما وصل اليها منشور بتاريخ ١٣ منه من البرنس غورشا كوف مفاده أن روسيا قد أمرت بجمع جزء من جيوشها على الحدود لحماية المسيحيين ببلاد الدولة باى طريقة كانت بما أنها لم تتيح من

المخابرات السياسية لا تمكن الدولة من جمع جيوشها من جميع ولاياتها بآسيا وأفريقيا
أذعنت جميع الدول لطلب انكلترا وأرسلت كل منها مندوباً أو مندوبين وأرسلت
انكلترا اللورد سالسبورى وكلفته بان يمر على باريس وبرلين ووياته ورومه عند ذهابه
للاستانة ليستطلع أفكار وزرائها قبل انعقاد المؤتمر ويجرى الجميع على أنهم وفاق ولما وصل
المندوبون الى الاستانة عقدوا جملة اجتماعات ابتدائية من ١١ ديسمبر الى ١٧ منه لتقرير
طلباتهم قبل عرضها بصفة رسمية في المؤتمر ولم يقبلوا مندوبى الدولة العلية في هذه المداولات
الأمر الذى يشف عن تحيزهم الى روسيا التى كانت هذه الاجتماعات في سفارتها فقرر
المندوبون أن تقسم بلاد البلقان الى ولايتين يكون ولائها من المسيحيين الاجانب أو
التابعين للدولة وأن الجنود العثمانية لا تحتل الا القلاع وبعض المدن الكبيرة وأن تشكل
قوة (جندرمه) من المسيحيين يكون ضباطها بين مسيحيين ومسلمين تعينهم الدولة وأن تشكل
لجنة دولية لمدة سنة لمراقبة تنفيذ الاصلاحات المبينة في لائحة الكونت اندراسى وأن
تعطى هذه الامتيازات الى ولايتى البوسنة والهرسك وأن يشترط في الصلح الذى يعقد مع
الصرب والجبل الاسود أن تنازلا لهما الدولة عن بعض الاراضى وأخيراً اذ لم تقبل الدولة
هذه الاقتراحات (المستحيل قبولها) ينسحب جميع أعضاء المؤتمر من الاستانة علامة على
قطع العلاقات السياسية مع الدولة العلية والشروع في اتخاذ الطرق الاجبارية لا كراهها على
قبول اقتراحاتها

وفي يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٧٦ اجتمع المؤتمر بصفة رسمية في سراى البحرية تحت
رئاسة صفوت باشا ناظر خارجية الدولة وانتخب هو رئيساً له لانعقاد المؤتمر في الاستانة
وعضوية كل من أدهم باشا سفير الدولة العلية ببرلين والكونت (فرلسوا دى بورجوان)
والكونت (دى شودوردى) عن فرنسا والبارون (وزر) عن ألمانيا والكونت (كورنى)
عن ايطاليا والكونت (زيكى) من اشراف الحجر والبارون (كاليبس) النمساوى عن النمسا
والجنرال (اغنائيف) عن روسيا واللورد (سالسبورى) والسير (هنرى ليوت) عن انكلترا
وفي يوم انعقاده أطلقت المدافع من جميع القلاع والمراكب ايذاناً باعلان القانون الاساسى
الذى ساوى بين جميع رعايا الدولة كما سبق ذكره في بابيه وبعد ان اجتمع عدة دفعات
جمعت الدولة مجلساً عاماً من ذوات الدولة وأعيانها ورؤساء الديانات في ١٨ يناير سنة
١٨٧٧ وعرضت عليهم اقتراحات المؤتمر فقال الكل بوجوب رفضها ومن الغريب أن
وكيل بطريق الارمن وخالص اليهود كانا من أشد المعارضين في قبولها وقال بامؤذاه أن
جميع أبناء طوائفهم مستعدون للدفاع عن شرف الدولة العلية واستقلالها استعداد المسلمين
لذلك اذ الكل صاروا عثمانيين متساويين أمام القانون طبقاً للقانون الاساسى ثم أرفض
الجمع وبلغ عدد الحاضرين نحو مائتين أجمعوا على وجوب الحرب حفظاً لشرف الدولة
وفي يوم ٢٠ من الشهر المذكور اجتمع المؤتمر الدولى فتلا صفوت باشا على الحضور ماقررت

الجمعية العمومية في يوم ١٨ منه ثم قال لهم ان الدولة مستعدة لقبول تشكيل مجالس انتخابية في البوسنة والهرسك والبلغار يكون انتخابهم لمدة سنة فقط ونصف أعضائهم من المسلمين والنصف الآخر من المسيحيين وانها مصرّة على رفض اللجان المختلطة كل الرضا لان ذلك يدل على عدم ثقة الدول بوعود جلالة السلطان ومصرّة أيضاً على عدم اعطاء الصرب والجبل الاسود شيئاً من أراضيها

وبعد ان تكلم بعض الاعضاء مهدداً الدولة العلية انقض المؤتمر ثم اجتمع في مساء يوم ٢١ بدون حضور مندوبي الدولة العلية وأمضوا مضبطة أعمال المؤتمر وفي ٢٣ منه سافر المندوبون والسفراء علامة على قطع العلائق بدون أن يقابلوا جلالة السلطان وتأخر الجنرال اغنايف قليلاً عن أخوانه بسبب الزواجر في البحر الاسود وأخذ كل من الطرفين يستعد للقتال والحرب والنزال

اخلاص الجبر
للدولة العلية

وبما يحسن ذكره في هذا المقام أن أهالي الجرم مع بقائهم أجيالاً تابعين للسلطنة العثمانية كما كانوا أشد الام اخلاصاً للدولة العلية بل كان الجريون الأمة المسيحية الوحيدة التي خالجت فؤادها الاخلاص والولاء للأمة العثمانية في هذا الوقت الحرج الذي كانت فيه جميع الدول المسيحية متالبة عليها وما ذلك الا لكون الدولة جمعت من السجاء اليها من رؤساء الثورة الجرية سنة ١٨٤٨ وامتنعت عن تسليمهم الى النمسا والروس يارغما عن تهديداتهم ولولا ذلك لأعدم جميع زعماء الجرم وخصوصاً الوطني الشهير (كسوت) بخلاف روسيا فانها ساعدت النمسا بخيلها ورجلها على اقناع الثورة واذلال الأمة الجرية بعد ان كادت تفوز بالنجاح وتمتع بالحربة وتفصل عن النمسا تمام الانفصال كما كانت أمنيتها

فلما ظهر عداء روسيا للدولة العلية جهاراً أثناء انعقاد مؤتمر الاستانة تجمهر تلامذة المدارس العليا في بودابست عاصمة الجرو تباحثوا في الكيفية التي يعربون بها عن ولائهم للدولة العلية فأقروا على ارسال وفد من اثني عشر تلميذاً منهم ليقيم سيقاً ثميناً لعبد الكريم باشا قائد عجمو الجيوش التركية

فاتي الوفد الى الاستانة في أوائل يناير سنة ١٨٧٧ وطلب مقابلة السردار الاكرم فاذن لهم ولما مثلوا أمامه فاه أحدهم بخطبة مناسبة للمقام ذكر فيها ما للدولة من الايادي البيضاء على بلادهم بحمايتها زعماء حريتها وتمني له ولدولته العلية الفوز والنجاح على الروس أعداء الحرية ومبيديها في بلاد هستان (بولونيا) والجرم ثم قدم له السيف فاقتبل عبد الكريم باشا السيف بكل ارتياح وارتحل صفوت باشا ناظر الخارجية الذي كان حاضراً هذه المقابلة خطاباً بليغاً أتى فيه على سابقة ارتباط الامتين العثمانية والجرية وتأسف على اصفاء الجرم للدسائس الاجنبية وانفصالها عن الدولة العلية وقال في الختام ان انفصال الايلات المسيحية عنها واحدة بعد الاخرى لم يكن النتيجة حسن معاملتها للسكان المسيحيين وعدم اجبارهم على اعتناق الدين الاسلامي وترك دين وعوائد أجدادهم الاولين

لما انقضى مؤتمر الاستانة بعد رفض الدولة والامة لطلباته العريضة والسحاب أعضائه مع جميع القناصل من الاستانة ماعدا الجنرال اغنايف الروسي كتب البرنس غورشاكوف الى سفراء روسيا لدى فرنسا وانكلترا والنمسا والمانيا وايطاليا اشرة بتاريخ ٣١ يناير سنة ١٨٧٧ يشرح فيها رفض الدولة العلية لقرار المؤتمر ويطلب منهم الاستفسار من الدول عما يرغبون اجراءه مع الدولة بعد ذلك حتى يكون عملهم باتفاق قبل أن يحزم سيده الامبراطور بما يجب عليه اتباعه لتحسين حال المسيحيين ويصمم على تنفيذ رغبته بالقوة وكذلك أرسل صفوت باشا الى سفراء الدولة لدى الدول منشورا بتاريخ ٢٥ منه بأن فيه ما أنه أعضاء المؤتمر من عقد غدة جلسات ابتدائية بدون حضور مندوبى الدولة واتفاقهم على ما يجب عرضه على الباب العالى قبل انعقاد المؤتمر بصفة رسمية حتى كان المجلس لم يعقد الا لعرض طلبات متفق عليها من قبل وطلب التصديق عليها ليس الاثم قال فى ختامه ان الدولة لا يمكنها ولن يمكنها التصديق على شىء من هذه الاقتراحات المزرية بشرطها ومخططة بقدرها أمام أمتها وطلب منهم تسليم صور منه الى الدول المعنيين لديها فاحتار وزراء الدول فى كيفية حسم هذه النازلة أمام اصرار الدولة على عدم الرضوخ لطلباتهم وبينما هم يضربون أحساسا لاسداس أبرمت الدولة الصلح مع امارة الصرب على شروط أهمها أن تخلى العساكر العثمانية بلاد الصرب فتعود الى ما كانت عليه قبل الحرب بشرط أن لا تبنى الامارة قللا جديدة ببلادها وان يرفع عليها العلم العثمانى بجوار العلم الصربى علامة على بقاء السيادة

اما الجبل الاسود فلم يتم معه الصلح لطلبه تنازل الدولة له عن بعض الاراضى بحيث يصير له ميناء على البحر الادرياتيكي بل اكتفت الدولة بتجديد اجل الهدنة معه وفى مارت سنة ١٨٧٧ لما رأت روسيا عدم ورود جواب اليها من الدول عما تنوى اجراءه مع الدولة وانها ان لم تبادر باشغال نيران الحرب تضيع منها الفرصة بعد ان تحشمت المصاريف الطائلة فى الاستعداد اليه اذ قد تم الصلح مع الصرب وربما تصالح الباب العالى قريبا مع الجبل الاسود فتسود السكينة ولا يعود لها وجه للمداخلة لاسما وان مسيحى الدولة يصيحون عما قليل راضين عنها بسبب مساوانهم مع المسلمين بمقتضى القانون الاساسى ارسل البرنس غورشاكوف الى سفيره فى لندره فى ١١ مارت صورة لائحة لاطلاع الحكومة الانكليزية عليها حتى اذا صادقت عليها عرضها على باقى سفراء الدول بلندره واذا حازت لديهم قبولا يصير التوقيع عليها منهم وارسلها للباب العالى للعمل بها والاقتصير الدول حرة فى اجراء ما يلزم لراحة رعايا الدولة المسيحيين فصددت عليها انكلترا ابتداء ثم اجتمع جميع السفراء فى ٣١ منه بنظارة الخارجية ماعدا سفير الدولة العلية ذات الشأن (تامل) وأمضوا هذه اللائحة بعد تعديلها قليلا وارسلوها الى الباب العالى وهذا نصها نقلا عن منتخبات الجوائب

ان الدول التي اتفقت على اجراء الصلح في الشرق واشتركت في مؤتمر الاستانة تعترف ان آكد الوسائل للحصول على هذه الغاية التي وطنت انفسها عليها هو دوام الاتفاق الذي حصل بينها ومن لوازم هذا الاتفاق تحقيق المنفعة التي قصدها لتحسين احوال النصارى سكان الممالك العثمانية (وفي الاصل تركية) ولاجراء الاصلاح في بوسنه وهرسك والبلغار الذي قبله الباب العالي بشرط انه هو الذي يجريه فعلا وكذلك عندها علم باجراء الصلح مع الصرب أما من جهة الجبل الاسود فان الدول ترى أن تعيين الحدود وحرية السفر في البوجانا أمر مرغوب لاحكام الاتفاق وادامته كما انها ترى ان هذا الاتفاق الذي تم أو سيتم بين الباب العالي وهاتين الولايتين هو وسيلة الصلح الذي هو غاية مرامها ولهذا تدعو الباب العالي لاحكامه وتوكيده بان يجعل عساكره في حالة السلم ماعدا العساكر التي لابد منها لابقاء الأمن والطمانينة وأن يسرع من دون تاخير في اجراء الاصلاح لتطمين سكان الولايتين وغيرها مما جرت المذاكرة على شروطه في المؤتمر وكذلك تعترف أن الباب العالي صرح بأنه يجري من هذه الاصلاحات ما هو الاهم وعندها علم أيضا باللائحة التي نشرها الباب العالي في ١٣ من فبراير (شباط) سنة ١٨٧٦ وبالاعلان الذي أصدره مدّة العقد المؤتمر بواسطة سفرائه وبناء على هذه المقاصد الحسنة التي أبدتها ومنفعته الظاهرة في اجراء الاصلاحات حالا قام بخاطر الدول أن لها أسبابا تحمّلها على أن ترجو أن الباب العالي يستفيد من هذه الفترة الحاضرة فيبذل همته في اتخاذ الوسائل التي يحصل بها تحسين احوال النصارى التي اتفقت الدول على وجوبها لاجل بقاء السلامة والطمانينة باوروبا فاذا أخذ في هذا المشروع يكون معلوما عنده أن شرفه ونفعه أيضا بوجبان المحافظة عليه بالوفاء والاخلاص والانجياز فن رأى الدول والحالة هذه أن تكون مراقبة بواسطة سفرائها بالاستانة وأعمالها في الولايات للمعنوال الذي يجزبه مواعيد الدولة العثمانية فاذا خابت آمالها مرة أخرى ولم تحسن حال رعية السلطان على وجه يمنع من اعادة الارتباك التي تتعاقب في الشرق وتكثر موارد السلم فيه ترى من الصواب أن تعلن أن مثل هذه الامور لا تناسب مصالحها ومصلحة اوروبا عموما في مثل هذه الحال تستبقي لنفسها أن تنظر بالاتفاق في اتخاذ الوسائل التي تراها الاصلاح لتأمين خير النصارى ولأبقاء السلم عموما حرر في لوندرة في ٣١ مارت

سنة ١٨٧٧

دربي
ل . ف . مينارايا
شوقالوف

مواستر
بوست
ل . داركور

وقد أتينا على ذكر هذه اللائحة ليرى القارىء تعصب الدول لحماية المسيحيين بالدولة مع انه لو

تدخلت الدولة في شؤون احداها وطلبت من فرنسا مثلاً عدم التعرض لما يمس الامة الاسلامية بالجزائر أو مساواة المسلمين بها بالمسيحيين واليهود لشدوا النكير عليها ورموها بالتعصب الديني المتصفين هم به دون غيرهم ولكن هي القوة قضى التمدن العربي الحديث أن تسود على كل حق تحت راية الانسانية والمساواة وما هي الألفاظ لا معنى لها إلا فيما يلائم مصالحهم وما نحن بمنفردين

ولما وصلت هذه اللائحة الى الباب العالي وانتشر خبرها بين العموم أيقن الكل ان لابد من الحرب اذ من المستحيل أن توافق عليها أي دولة. تغار على شرفها ووجودها بين العالم السياسي وأصدرت الدولة منشوراً الى سفرائها لدى الدول الست بقصد تبليغه لها يشف بعبارة صريحة عن عدم تصديقها على هذه اللائحة وقد أتى فيه محرووه من العبارات المؤثرة الدالة على تعصب الدول ما رأينا معه ضرورة نشره بمرته وها هو نقلاً عن مجموعة الجواب

قد وصل الى الباب العالي البروتوكول الذي وقع عليه في لندره في ٣١ مارس سنة ١٨٧٧ ناظر الخارجية بلندره وسفراء ألمانيا وأستراليا وفرنسا وإيطاليا والروسيا مع الاعلام الذي ألحق به من ناظر الخارجية الموما اليه ومن سفيرى إيطاليا والروسيا وبعد اطلاع الباب العالي على ذلك تأسف جداً على انه رأى ان الدول العظام لم ترم من الواجب أن تشرك الدولة العلية في المذكرات التي تثار فيها المسائل المهمة المتعلقة بالدولة مع ان المراعاة التي أبدتها الدولة في جميع الاحوال لتصالح الدول والتكفل الذي قرن مصالحها بمصالحهم وأصول الانصاف التي لا نزاع فيها والتعهد الخطير الشأن تحمل الدولة على أن تظن أنه كان من اللازم أن الدول تدعوها الى هذا العمل المراد به ان اجراء الصلح في الشرق والاتفاق العام يبنيان على أساس راسخ عادل وحيث جرى الامر على خلاف المأمول رأى الباب العالي أنه من الواجب عليه أن يعارض فيه وأن يبين ما عني أن يحدث منه في المستقبل من الحذور ولو أن الدول أمعنت النظر فيما اعترض من الخطر ومن تغيير الحال بعد انعقاد المؤتمر في استانبول لا يمكن الوصول الى هذا الاتفاق المروم أماناً اثناء انعقاد المؤتمر فان الباب العالي كان معتمداً على القانون الاساسي (وفي الاصل كونستيتيوسيون) الذي تفضل به سلطاننا المعظم متكفلاً بتحقيق اصلاح عام لم يعد له نظير منذ ابتداء الدولة السلطانية فرأى انه من الواجب عليه أن يشكر الطلب المشطوق تميز بعض الولايات بالاصلاح دون غيرها وينبذ أيضاً كل ما من شأنه ان يحجب باستقلال الدولة العلية وبسلامة ممالكها وهذا عين ما أعلنته دولة انكلترا وقبلته سائر الدول فان هذا الاعلان بني على استقلال الدولة وعلى ان يكون في بعض الولايات تنظيمات تشكّل بمنع سوء الادارة من قبل المأمورين وقصرهم عن التصرف المطلق فهذه التنظيمات المطلوبة محققة فعلاً في المنهاج السياسي الجديد الذي أنشئ في الممالك من دون

فرق في لغات أهلها ولا في مذاهبهم ثم عقد مجلس المشورة العثماني في الاستانة فاجتمعت فيه أعضاؤه بانتخاب جرى على وجه الاختيار والحرية فان كان أحد يعارض في طريقة هذا الاصلاح الذي اقرب عهده يظن تأخير الثمرة المطلوبة منه يقال له ان هذه المعارضة هي ضد مرامته الدول من الاصلاح أما التأمين في داخل المملكة فان الصالح استقر بين الباب العالي والصرب وما زالت المفاوضات جارية مع وفد الجبل الاسود وفيها أظهر لهم الباب العالي مساهلة عظيمة وفي خلال ذلك ظراً من سوء البخت أمر جريد وهو مبالغة دولة روسيا في تجهيز عساكرها فاجب ذلك على الباب العالي أن يستعد لدفع الخطر عنه مخ أن أقصى مرامه أن يتشبت بالوسائل المؤدية الى السلم والسلامة وأن يوافق الدول على قدر ما يمكنه وأن يزيل من خواطر الناس الريب في اخلاص مانواه من الاصلاح وأن يستريح من الفتن التي توجب عليه بذل المال لغير طائل فاضطراره الى الاستعداد للدفاع والحالة هذه أوجب عليه أن يستعين بسكان الممالك على غير مراده وأن يقدم على حرب ربما تكون سبباً في تكدير سلم جميع الاقطار والامصار وكان من الضروري أن الدول العظام تهتم بهذه الحال وكان مما استصوبه الباب العالي لبعض أسباب أن لا يطلب منها طلباً رسمياً أن تعتني بهذه المسألة المهمة ولكن بعدان بين اللورد دربي والكونت شوفالوف ما يبناه عند توقيعهما على البروتوكول رأى الباب العالي لزوم مطالعة الدول في انهاء هذه الارتباك التي تقضي الى الخطر مما ليس في طاقته انهاءه فاول ذلك أن يبين لها جواباً عما قاله الكونت شوفالوف في البروتوكول هذه الملاحظات الالتمية (١) ان الباب العالي في نهجه طريقة المصالحة مع أمير الجبل الاسود على نحو ما نهجه مع حكومة الصرب افاد عن طيب نفس منذ نحو شهرين ان الدولة العلية تبذل جهدها في الاتفاق معه ولو كان في ذلك بعض خسارة عليها وحيث ان الباب العالي يرى ان الجبل جزء من الممالك العثمانية خيره في تعديل الترخوم بما فيه تقع لحكومة الجبل وطمع في ان ذلك ينهي الخلاف في المستقبل فصار الحصول على المأمول متعللاً بالجبل (٢) ان الدولة العلية شرعت فعلاً في اجراء الاصلاحات التي وعدت بها السك هذا الاجراء لا يكون على وجه التخصيص والترجيح وفاقاً لما تقرر في القانون الاساسي فهو في حرية الدولة ان تهجه على الوجه المذكور (٣) ان الدولة مستعدة لأن تجعل عساكرها على قدم السلم عند ما ترى ان دولة روسيا فعلت مثل ذلك وان المراد من حشد عساكرها مجرد الدفاع وانها ترجو من علاقة المودة والمراعاة الحاصلة بينهما ان دولة روسيا لا تصر وحدها على ان تظن ان رعية الدولة العلية من النصاري معرضون من طرف حكومتهم لخطر يوجب غزو بلادها وما يعقبه من العوائل (٤) اما من جهة ما يحتمل حدوثه من الاختلال لما يمنع صرف عساكر روسيا فان الدولة العلية تحيب عن هذا الشرط الاليم الذي نشأ عن هذا الظن بان تقول انه قد ثبت عند دول أوروبا ان الاختلال الذي حدث

في بعض الولايات وكذا أحوالها إنما نشأ من اغواء المغوين من الخارج فالدولة العلية غير مسئولة عنه ولا مطالبة به فلا حق لدولة روسيا في أن تعلق صرف عساكرها على حدوث الاختلال (هـ) أما ارسال مامور مخصوص من الدولة العلية الى سان بطرسبورج للمفاوضة في صرف العساكر فان الدولة لا ترى سبباً لرفض فعل يدل على المجاملة والملاطفة مما توجهه طريقة المعاملات السفارية من كلا الطرفين لكنها لا ترى تناسباً بين هذا الفعل وبين وضع السلاح الذي لا يجب تأخير لاي سبب كان اذ يمكن انجازه بمجرد خبر بالتغراف فالدولة العلية تطلب من الدول أن تبصر فيما أوجب رقم البروتوكول وفي خطر هذه الحال الحاضرة التي لا مسئولية منها عليها ومن الغريب أن الدول رأت من اللزوم أن تذكر في البروتوكول أن من مصلحتها المشتركة اجراء الاصلاح في بوسنة وهرسك والبلغار وأنه بالنظر الى حسن مقاصد الباب العالي والى ظهور الفائدة له من الاصلاح تؤمل أن يبادر الى اجرائه فعلا في تلك الولايات من دون امهال كما جرت عليه المذاكرة في المؤتمر وأنه متى شرع فيه أول مرة يكون معلوماً عنده ان شرفه ومصلحته يقضيان بالاستمرار فيه فالباب العالي لا يقبل الاصلاح المخصوص بالولايات الثلاث المذكورة وليس عنده شك أيضاً ان مصلحته ومن الواجب عليه أن يقضى حقوق رعيته من النصارى قضاء كافياً ولكن لا يسلم أن الاصلاح يكون مقصوراً على النصارى فقط بل يجب أن يكون شاملاً لجميع سكان الممالك المحروسة رعية الدولة العلية المتصفين بالولاء والطاعة حتى يكونوا بمنزلة جسم واحد وعلى هذا فالباب العالي محقوق بان يدفع الاوهام التي تثيرها عبارة البروتوكول من جهة اخلاص قصده ونيته نحو رعيته المسيحيين وأن يعترض على عدم المبالاة المفهومة من خوى هذه العبارة بباقي رعيته من المسلمين وغيرهم فن المنكران الاصلاح الذي من شأنه ان يشمل المسلمين بالراحة والمنفعة يكون في عيون أهل أوروبا البصيرة المنصفة مما لا يليق به ولا يلتفت اليه ولذا كان من قصد الدولة (وفي الاصل تركية) اليوم اخذات تنظيمات مخصوصة يحصل بها لجميع رعاياها التأمين على حقوقهم ومنافعهم المعنوية والمادية على التساوى من دون فرق وتحسب من موجبات شرفها أن تحافظ على القانون الاساسي وذلك أكدتهما وعهد ولكن اذا رأت نفسها مضطرة الى دفع المقاصد المراد بها ابقاء العداوة بين رعاياها وحملهم على عدم الثقة بها لم تكن محقوقة بإيجاب ما بنى عليه البروتوكول من قصد الاصلاح كيف وقد قال ان قصد الدول أن تراقب بواسطة سفرائها بالاستئانة وعمالها في الولايات المنوال الذي تجز به مواعيد الدولة العثمانية وقال أيضاً اذا كان هذا الامل يجب مرة اخرى فانها (اي الدول) تستيق لنفسها أن تتخذ بالاتفاق الوسائل التي تراها أولى وأحرى لتأمين منافع النصارى واستتباب السلم عموماً فهذا يوجب على الدولة العلية أن تقيم الحجة عليه وتشكره أشد الانكار فان الدولة من حيث كونها دولة مستقلة لا تدعن بان تكون تحت مراقبة الدول

مفردة كانت أو مجموعة لأنها لما كانت علاقتها مع الدول المتخابة مبنية على الحقوق المتعارفة بين الأمم وعلى المعاهدات لم يكن لها أن تعترف أن سفراء الدول وعمالها الذين وظيفة الحماية عن مصالح رعاياهم يكون لهم حق المراقبة على وجهه رسمي فهذا أمر مهيئ لها ولم يعهد له نظير لدى سائر الدول وهو أيضاً مناقض لما تقرّر في معاهدة باريس التي اتفقت عليها الدولة العلية مع سائر الدول فانها تصرّح بعدم المداخلة وتخذ أصلاً من أصول السياسة فلا يصح إذا الغاء شيء منها من دون موافقة الباب العالي فإذا كانت الدول تخرج بتلك المعاهدة فليس لكونها تخولها حقوقاً ليست في حيازتها من دونها ولكن لتذكر الدول بالأسباب الخطيرة التي حملتها منذ عشرين سنة حباً لبقاء السلم العام في أوروبا على أن تتعهد بحفظ حقوق سلطنة الدولة العلية عن الانهالك أما ما تقرّر في البروتوكول من أن الدول إذا رأت الإصلاح غير منجز يكون لها أن تنسحب بالوسائل الفعالة لانجازه فإن الدولة ترى في ذلك اجحافاً بشرفها وحقوقها وتخوفاً من شأنه أن يجرد أفعالها التي تأتينا عن رضا ومبادرة عمالها من الاستحقاق وسبباً يزيد في ارتباكها في الحال والاستقبال فملي كل حال لا يعوق الدولة العلية شيء عن أن تعجز بمقامة الحجّة على البروتوكول المذكور وأن تعتبره بالنظر إلى ما يتعلق بها خالياً من الانصاف ومجرد أعين الاوصاف التي تجعله موجباً وحيث ظهر لها أن موضوعه إثارة الظنون والانهام وقبض حقوق الدولة الذي هو نقض أيضاً لحقوق الناس عموماً وطنت نفسها على الدفاع صوناً لوجودها فهي تعلن الآن اتسكالاً على البارى تعالى واعتماداً على العدل أنها تنسكل ما يحكم به عليها أحد من دون مواطنها وجازمة بأن تحافظ على المقام الذي أقامها فيه القادر عز وجل وقدّر لها فلا تزال تدفع كل ما من شأنه أن يحجب بالاصول العمومية وبصحة ذلك العهد الذي أوجبه الدول على أنفسها ولا اعتقادها بأن البروتوكول من قبيل المعلوم تراجع ضمائر الدول الذين تمتد فهم بقاء الصداقة والمودة كما كان في سالف الزمن وفي الجملة فإن الوسيلة الوحيدة لازالة الخطر الذي يخاف منه على السلم هي المبادرة الى وضع السلاح والجواب الذي صرّحت به الدولة آنفاً عن كلام سفير روسيا يسهل للدول الحصول على هذه النتيجة ولا شك أن الدول لا تريد أن تكلف الدولة بما يحل بحقوقها ويوجب عليها الاضرار والخسائر فانت مكلف بقراءة اللائحة على ناظر الخارجية وترك نسخة منها عنده اهـ

اعلان الحرب

لم يسع روسيا بعد رفض الباب العالي لللائحة لوندرة وتصميمه على الدفاع عن شرف الدولة وعدم الانصياع لطلبات أوروبا المسيحية الغير حقة الاعلان الحرب ولكن قبل اعلانها مضت مع اماره رومانيا (الافلاق والبغدان) معاهدة سرية بتاريخ ١٦ أبريل سنة ١٨٧٧ وضعت رومانيا بمقتضاها جميع مخازنها ومؤنها وذخائرها تحت تصرف روسيا ثم في ٢٤ منه كتب البراس غورشا كوف الى توفيق بك المكلف بمصالح الباب العالي

في سان بطرسبورج كتابا يقول فيه ان سيده الامبراطور رأى نفسه مضطراً بكل أسف أن يعتمد على قوة السلاح لتنفيذ مطالبه وكلفه بان يخبر دولته بان روسيا تعتبر نفسها من هذا اليوم في حالة الحرب مع الدولة وأن يخبره عن عدد مستخدمي السفارة ليعطى لهم جواز السفر علامة على قطع العلاقات بسبب الحرب فابلاغ توفيق بك هذا الخطاب الى الباب العالي وكان المسيو نيليدوف الذي نيظت به أعمال السفارة الروسية بعد سفر الجنرال اغنائيف قد ترك الاستانة في اليوم الذي قبله قطعاً للعلاقات السياسية فكتب الباب العالي نشرة لتغرافية الى سفرائه لدى الدول الموقعة على معاهدة باريس في سنة ١٨٥٦ بتاريخ ٢٥ ابريل يكلفهم باخبار الدول المعنيين لديها باعلان روسيا بحاربتها للدولة بدون توسط الدول طبقاً للمادة الثامنة من معاهدة باريس المذكورة التي نصها (اذا حدث بين الباب العالي واحدى الدول المعاهدة خلاف خيف منه على اختلال ألقمهم وقطع سلطتهم فن قيل أن يعتمد الباب العالي وتلك الدولة المنازعة له على أعمال القوة والجبر يقمان الدول الاخرى الداخلة في المعاهدة وسطاً بينهما منعاً لما ينشأ عن ذلك الخلاف من الضرر) و بعد ذلك أصدرت الدولة أوامرها الى جميع رؤساء الجيوش بملازمة العدو بما جيلت عليه العساكر الشاهانية من البسالة والثبات وأصدر سيدنا شيخ الاسلام فتوتين بتاريخ ٨ جمادى الاولى سنة ١٢٩٤ الموافق ٢١ مايو سنة ١٨٧٧ احدهما بوجوب القتال على كل مسلم والثانية باضافة لفظة (غازى) على اسم جلاله السلطان في الاوامر وعلى المنابر بناء على ما جاء في الحديث الشريف (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا)

أمدادول أوروبا فظهروا جميعاً عدم المساعدة للدولة ولو أدبياً وقلبوا لها ظهر الحن بعد ما أوصلوا المسئلة الى الحرب بتدخلهم الغير شرعى واقترحهم على الباب العالي ما لا يمكنه قبوله وان قال معترض مخاتل أن انكلترا اعترضت على هذه الحرب بحجوب أرسله الورد در بي الى اللورد اوغسطس ليفتوس سفير انكلترا في عاصمة روسيا بتاريخ أول مايو سنة ١٨٧٧ فتقول ان ذلك لم يكن حياً للدفاع عن الدولة العلية فانها لم تحرك مركبا ولا جنديا لمؤازرتها انما كان احتجاجا خوفاً على مصالحها التجارية وعلى حرية الملاحة في بوزاز السويس من أن تعبت بها أيدي روسيا بحجة أن مصر جزء من الدولة العلية وعساكرها متحدة مع جيوش الدولة في عمارتها لسكنها كفت عن المعارضة والنزمت الحيادة كباقي الدول بمجرد ما أجابها البراس غورشا كوف بتاريخ ٧ مايو أن روسيا ليس من قصدها أن تحصر خاليج السويس ولا أن تتعرض لمنع سير السفن فيه فانها تعتبره بمنزلة مصلحة عمومية تشترك فيها تجارة جميع الأمم فيجب أن يبقى دائماً سالماً من التعرض أما مصر فانها جزء من الممالك العثمانية وعساكرها مختلطة بالعساكر التركية ومن ثم يسوغ للروسيا ان تعيرها محاربة لها ومع ذلك فان روسيا لا تتخذها هدفاً لأعمالها الحربية لما فيها لأوروبا عمومها وانكلترا خصوصاً من المصالح

ان ما حصل بين الجيوش العثمانية وعساكر الروسية من الوقائع الحربية لم يزل مسطوراً في ذهن القراء لقرب عهده فان جميعنا يعلم ما أتاه الغازي عثمان باشا عند ما حصرته جنود الروسية في مدينة (بلغنه) من الاعمال التي شهد له بها العدو قبل الصديق وما أتاه الغازي أحمد مختار باشا في جهات قارص وأرضروم ولذلك كان يمكننا أن نضرب صفحاً عن تفصيل هذه الوقائع بدون اخلال بموضوع هذا الكتاب لكن آثرنا تقيماً للفائدة أن نأتي على تلخيصها بغاية الإيجاز فنقول

انه قبل اعلان الحرب رسمياً باربوع وعشرين ساعة اجتازت عساكر الروسية اخلافاً لاصول الحرب تخوم رومانيا قاصدة بلاد الدولة العلية التي يفصلها عن رومانيا نهر الدانوب فاحتجت الدولة ضد تحالف رومانيا مع الروسية مع انها لم تزل صاحبة السيادة عليها ولكن ابن الحبيب والكل يد واحدة ولما لم تجدد الدولة من أوروبا أذناً مصغية أرادت معاقبة رومانيا على هذه الخيانة فأرسلت بعض سفنها الحربية في الطونة لاطلاق قنابلها على سواحلها فكان هذا الجزء حاملاً لها على التظاهر بالعدوان والمناداة بالاستقلال في ١٤ مايو سنة ١٨٧٧ والاشتراك فعلاً مع الروسية في الحرب والنظام جيشها البالغ ستين ألف جندي تقريباً الى الجيش الروسي

هذا ومن تأمل في خريطة الدولة العلية يرى أنه يفصلها عن الروسية ورومانيا حاجزان طبيعيان أهم من الحواجز والمعاقل الصناعية وهما نهر الدانوب وجيلانيلقان فلو اجتيز الاول أمكن جيوش الدولة التحصين في الثاني ولذلك كانت الحرب أولاً على شاطئ الدانوب وبعد عدة وقائع حربية ومناورات عسكرية اجتاز الجنرال (زبرمان) الطونة في ٢٢ يونيو

وفي ٢٧ منه عبر الجيش الروسي بأجمعه النهر وقصد مدينة (ترنوه) فاحتلها وفي أواسط يوليو احتل البارون (دي كرودر) مدينة نيكوبلي واحتل الجنرال (جوركو) مضائق البلقان الموصلة لمضيق شيبكا الشهير وعند وصول هذه الاخبار الى الاستانة استولى الرعب والقلق على سكانها اذ لو اجتاز الروس مضيق شيبكا لحظف على دار السعادة نفسها من الوقوع في قبضة العدو لا قدر الله ولولا وضع الاستانة في ١١ جمادى الاولى سنة ١٢٩٤ الموافق ٢٤ مايو سنة ١٨٧٧ نحت الاحكام العرفية وتوقيف سير القوانين النظامية لحصل بها من الفتن والقلاقل ما يكون عوناً وضعيناً للعدو على التقدم للامام لكن انتباه القوة الضابطة منع كل أمر مغل بالراحة وقد نسب هذا التقهقر المستمر أمام جيوش الروسية الى عدم كفاءة السردار الاكرم عبد الكريم باشا وناظر الحربية رديف باشا فعزل في ٢٢ يولي وتمعن محمد علي باشا (١) قائداً عاماً للجيوش العثمانية

(١) هو روسي الاصل ومسيحي الدين ثم اعتنق الدين الاسلامي وفي سنة ١٢٦١ دخل في سلك العسكرية وفي سنة ١٢٨٧ وصل الى رتبة فريق ولما ابتدأت الحرب الروسية أحسن اليه برتبة المشيرية وأرسل الى جهات الروماني

واستدعى سليمان باشا الذي كان يحارب سكان الجبل الاسود وانتصر عليهم في عدة مواقع لحضوره مع جيوشه المدربة للمساعدة على صد الروس وعين محمود باشا داماد صهر الحاضرة السلطانية ناظراً للحربية مؤقثاً ثم أحيل عبد الكريم باشا ورديف باشا وغيرهم من الضباط العظام الذين نسب اليهم اهمال أو تقصير وغير ذلك مما سهل على الروس اجتياز الدانوب فخيال البلقان وحكم على أغلبهم بالنفي الى جهات مختلفة وفي أثناء ذلك أتى الغازي عثمان باشا من معسكره بمدينة (ودين) لمساعدة مدينة نيكوبلي ولما وصله خبر سقوطها في أيدي الروس قصد مدينة (بلقنه) لاهمية موقعها الحربي ووجودها على ملتقى الطرق العمومية الموصلة بين مضائق جبال البلقان وبلغاريا الغربية والبطوننة وأقام حولها المعقل والحضون المنيعه التي جعلت الاستيلاء عليها من رابع المستحيلات لكن لاستخفاف الروس بهذه الاستحكامات هاجموا في ٢٠ يولييه فارتدوا على أعقابهم خاسرين ثم أعادوا الكرة عليها في ٣٠ منه بقوة عظيمة مؤلفة من ثلاثين أوطه من المشاة وقدرها من الخيالة ومائة وستة وثمانين مدفعا فعدوا بخن خنن بعد أن خضبوا الارض بدمائهم وأفعموا الوديان بجثثهم وحينما وصل خبر هذا الفوز المبين لتغرافيا الى مسامع السلطان الشريفة أصدر في الحال فرمانا عالياً باظهار الممنونين له ولجميع الجيوش المؤتمرة به تاريخه ٢٠ رجب سنة ١٢٩٤ الموافق أول أغسطس سنة ١٨٧٧ وهاك ترجمته

مشيرى سمير الصداقة عثمان باشا

لقد أعليت الشأن العثماني وصبت عساكرنا وناموسهم بغزوك الجديد المضاف الى خدماتك السالفة الموسومة بشعار البسالة فالحق تعالى ومفخر الانبياء يعصداك في الدارين وسلم على كافة الامراء والقواد وعلى جنودى المنصورة بالافراد أولئك الجنود قرّة باصرة افتخارى والمقدمون على أولادى فلا جرم أنهم بغزواتهم الغضنفرية يستفزون سلطانهم للسرور والممنونية والله المسئول أن ينيلهم النجاح والسعادة الابدية ووقوفهم في سبيل المحافظة على اللواء العثماني لمثل هذه الغزوات ويوصلهم صبور يومعنو بالمراتب المكافآت العاليات وقد منحتكم النيشان العثماني مكافأة لخدمتكم وأمرت بتوجيه الرتب واجراء التلطيفات للامراء والضباط كما عرضتم وأتم ما ذنون بأن تعدوا فيما بعد الامراء والقواد وتبشروهم فوراً بالمكافآت التي يستحقونها متى امتازوا بأثر فداء خارق للعادة وأن تعرضوا ذلك لدار السعادة على أنه تقرر لدى أن يرسل لطف حيثكم مأمور مخصوص ليبين لكم جميعاً ممنونيتي وتشكرى اه

وبعد تفهقر الروس أمام بلقنه ووصول المدد من جميع الجهات أمكن العثمانيين الهجوم بعد الاقتصار على الدفاع واقسم الجيش الى ثلاث فرق الاولى انضمت الى عثمان باشا بلقنه

واقعة بلقنه

للدفاع عنها والثانية تحت امره محمد علي باشا السردار الاكرم جعلت وجهتها محاربة الجيش
القائد له الرئيس اسكندر ولي عهد القيصر والثالثة تحت امره سليمان باشا الذي اشتهر
أولاً في محاربة ثائري البوسنة والهرسك وأخيراً في محاربة الجبل الاسود ووجه اهتمامه
لاسترداد مضائق شيبكا من أيدي الروس وكادت الفرقتان الاخيزان تتم ماموريتهما
فتتحد الجيوش العثمانية وتسير معاً لارجاع الروس الى التخوم وقهرهم على اجتياز نهر
الطونه خائبين لولا خيانة شارل دي هويزولرن أمير رومانيا وبجيشه الى ميدان القتال
بنحو مائة ألف مقاتل ملئت قلوبها غلا للدولة العلية صاحبة السيادة وبجىء قيصر الروس
بنفسه لتشجيع العساكر على الحرب وبث روح الثبات والقدام فيهم فانقلب الحال ولم
تجد العثمانيون انتصاراتهم المتعددة على الروس حوالى بلقنه وأمام مضيق شيبكا لتوارد
المدد يومياً من روسيا ثم صمم الروس على محاصرة بلقنه محاصرة أصولية لتيقتهم من
استحالة أخذها هجومياً نظراً لمناعة المعاقل والحصون التي أقامها عثمان باشا حولها واناطوا
هذه المامورية بالجنرال (تودلين) الذي اشتهر بالدفاع عن مدينة سباستوبول في الحرب
السابقة فجمعوا حولها العدد الكافي من العساكر والمدافع لاتمام حصارها والاخاطة بها
احاطة السوار بالمعصم وبعد عدة وقائع تم حصارها في ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٧٧ وصار
وصول المدد اليها مستحيلاً وإهدأت الاعمال للاستيلاء على الحصون الامامية واستمر
القتال حولها ولا شيء يثنى عثمان باشا وجيوشه عن الدفاع حتى قدما كان عنده من الذخائر
والمؤن فعزم على الخروج بجيوشه والمرور من وسط الأعداء فيساموا ويسلم معهم أو يموتوا
شهداء الدفاع عن بيضة الاسلام ولما عقد النية على هذا العزم استعد لاقاذه حتى إذا
كان يوم ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٧ أخلت العساكر العثمانية جميع القلاع المحيطة بالمدينة
وخرجوا جميعاً من جهة واحدة مهللين ومكبرين فقابلهم العدو بمقدوفاته الجهنمية أما الليوث
العثمانية فلم تعباً بهم بل استمرت في سيرها غداً نحو الاستحكامات التي كان أقامها
الروس حول المدينة على ثلاثة خطوط متعاقبة وتقدوا كالتسلي المنهر من أعالي الجبال
الذي لا يعوقه شيء في اندفاعه على مدافع الخط الاول والثاني وكادت تستولى على الخط
الثالث وتخلص من هذا الحصار وتفوز بالنصر المبين لولا ان أصيب قائدهم عثمان باشا
الغازي برصاصة نفذت من ساقه اليسرى وقتلت حصانه فسقط هذا الشجاع على الارض
وظنت عساكره انه استشهد وبمجرد ما شاع خبر موته الغير حقيقي استولى القشل على جميع
الجنود وأرادت الرجوع الى المدينة وحيث كان قد احتلها الروس عقب خروجهم منها قابلهم
العدو بالنيران من الخلف فصار العثمانيون بين نارين وبعد ان دافعوا عن أنفسهم دافعا شهد
الأعداء بانهم من خوارق الامور الزموا برفع الراية البيضاء علامة على التسليم فوقف الروس
اطلاق النيران وتقدم اللواء توفيق باشا رئيس أركان حرب الجيش العثماني القائد له عثمان باشا
وطلب مقابلة القائد العام الروسي ولما قابلها سألها عما إذا كان معه اذن بالكفاية من عثمان باشا

يخبره الاتفاق على التسليم فاجابه ان عثمان باشا جريح ويود لو أتى اليه أحد قواد الروس للاتفاق معه فقبل القائد (جانتسكي) ذلك وأرسل الجنرال (استروكوف) فتوجه هذا الجنرال الى عثمان باشا في البيت الذي كان دخل فيه للاستراحة وقال له بعد التحيات ان القائد الذي أرسله لا يمكنه أن يمنحه أي شرط ولا أن يقبل التسليم الا اذا ألقى العثمانيون أسلحتهم لعدم وجود أوامر عنده من القائد العام الفراندوك فيقولوا أخى القيصر ولما أجابه عثمان باشا بالاجاب عاد الجنرال استروكوف الى مرسله وأخبره بذلك فأتى إلى مقر عثمان باشا وبعد ان هناك على ماأنه من الاعمال التي تشهد له بعلو المكانة وتخلد له اسماء التاريخ طلب اصدار أوامره الى جيوشه بالقاء السلاح فامر بذلك ثم سلم سيفه وبعد ذلك أتى اليه بعربة قركها قاصداً مدينة بلقنه وفي أثناء سيره قابله الفراندوك فيقولوا ومعه البراس شارل أمير رومانيا فاوقف العربة وسأله عليه مصالحة وفي صبيحة اليوم الثاني توجه عثمان باشا الغازي متكبها على طبيبه الخاص الى المحل الذي نزل به القيصر اسكندر الثاني بعد دخوله مدينة بلقنه لمقابلته وعند ما دخل على الامبراطور قام اجلالاً له وسلم عليه واطهر له اعجابه من دفاعه ومحاولته الخروج من بين صفوف المدافع المحيطة به ثم قال له اني اردت اليك سيفك علامة على احترامى لك واكبارى لشجاعتك وأجيز لك أن ترحله في بلادى وعند الصرافه سلم اليه الجنرال ماجوراستين سيفه ثم عاد الى منزله وفي ١٦ ديسمبر أنزل في قطار مخصوص الى مدينة كركوف حيث أمر بالاقامة الى انتهاء الحرب ولقد ذكر هنا اظهاراً لفضل عثمان باشا وجيوشه ان عدد من كان معدلاً يزيد عن خمسين ألفاً ولم يكن معهم من المدافع سوى ٧٧ مدفعاً مع ان الجيش الروسى الذي خصص لخصام بلقنه بلغ ١٥٠٠٠ جندي و ٦٠٠ مدفعاً ومن ذلك يظهر للقارى شجاعة العثمانيين وثباتهم أمام العدو وما يؤثر عنهم ايضاً انهم لم يسلموا اعلانهم مطلقاً بل حرقوا بعضها ووضعوا البعض الآخر في ضناديق من حديد ودفنوها في باطن الارض ومن قارن هذه الحادثة بحادثة مدينة (متس) التي سلمها المارشال الفرسانوى بارين (١) للعدو مع ان جيوشه ومدافعه كانت تعادل أو تزيد عن جيوش ومدافع العدو وسلمها مع ما فيها من الجيوش والمدافع بدون أن يسمى في الخروج كما فعل عثمان باشا تحقق له انه لولا محاربة الدولة العلية البوسنة والهرسك والبلغار ثم الجبل الاسود والصرب قبل محاربتها الروسية لافازت بلاشك ولا مبررة في هذه

(١) مارشال فرانسوا ولد سنة ١٨٢١ ولما بلغ العشرين من عمره دخل العسكرية بدرجة عسكري وسافر الى بلاد الجزائر فترقى فيها تدريجاً حتى وصل الى رتبة لواء سنة ١٨٥٤ وأعطيته اليه رتبة فريق في حرب القرم ثم رتبة مشير (مارشال) في محاربة المكسيك وفي حرب سنة ١٨٧٠ جعل قائداً عاماً للجيش الحافظ على مدينة متس وضواحيها قبل جيوشه ومهماته للبروسيا في ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٧٠ ثم حوكم أمام مجلس عسكري في سنة ١٨٧٣ وحكم عليه بالاعدام بعد التجريد من جميع رتبته ونياشينه وعفت عنه الحكومة مستبدلة الاعدام بالسجن المؤبد فجرد وسجن ثم هرب وأقام بمدينة مدريد (المسماة في كتب العرب بحريط) حتى توفي سنة ١٨٨٨

الاعمال الحربية
في الاناطول

الحرب الاخيرة ولكن النصر بيد الله يؤتية من يشاء
أما في جهة آسيا فكان النصر أولاً في جانب العثمانيين حتى ردوا اغارة الروس عن
بلادهم وتبعوهم الى داخل بلاد روسيا وذلك ان الجنرال (لوريس مليكوف) حاصر
مدينة قارص والجنرال (دروجاسوف) وجه اهتمامه لفتح مدينة بايزيد بينما كان باقي
الجيش الروسى بجري عدة مناورات عسكرية لاسقاط مدينتى اردهان و باطوم ثم قام
الجنرال لوريس مليكوف ببعض جيوشه لمساعدة الجنرال دوفيل على اخذ اردهان
وفي ١٧ مايو فتحتها عنوة وعاد لتشديد الحصار على قلعة قارص وقد احتل الجنرال
دروجاسوف مدينة بايزيد في ٢٠ مايو وانتصر على العثمانيين في ١٠ يونيو وفي ٢١ منه
وفي أثناء ذلك تمكن احمد مختار باشا من ترتيب الجيوش التي أتت اليه من كل فج وأغلبها
غير منتظم واحتل مرتفعات (زوين) وتسمى بالتركية (كروم دوزى) بقوة عظيمة
وأرسل اسمعيل حقي باشا مع جيش الاكراد لمهاجمة الجنرال دروجاسوف فارد الجنرال
لوريس مليكوف استعافه فانتصر عليه مختار باشا انتصاراً عظيماً في ٢٥ أغسطس سنة
١٨٧٧ لم يسع الروس بعده الا للتقهقر بغاية الفشل ورفع الحصار عن مدينة قارص قاصدين
مدينة الكسندروبول الروسية وتمهقر كذلك الجنرال دروجاسوف الى تخوم روسيا
يتبعه اسمعيل حقي باشا بقوة عظيمة

وبعد ذلك انتصر العثمانيون على الروس في ستة وقائع مشهورة منها واقعة كدكلر
التي لما بلغ السلطان خبرها أرسل الى احمد مختار باشا فرماناً باظهار ممنونيته تاريخه ١٨
شعبان سنة ١٢٩٤ وهالك ترجمته
مشيرى سمير الحمية احمد مختار باشا

لقد زينتم مهم صحائف تاريخنا العسكرى بغالييتكم التي أحرزتموها في محاربة كدكلر
أما جنودنا الذين مابرحوا نصيب أعيننا فقد أثبتوا على الوجه الانم في هذه الحرب التي
أظهروا بها الثبات والأقدام في صورة خارقة للعادة امتلاكهم للخصيلة العثمانية على أن
مقابلتهم في جميع الوجوه للتدابير الماهرة التي أجراها العدو في ميدان الحرب بحيث أسفرت
نتيجتها عن اكتسابهم حراً ذات شأن وظفر كانت برهاناً جلياً على كمال انتظامهم العسكرى
فأضحت لدينا هذه المظفرات باعثة لكمال التقدير والتعظيم فأتشكر أنا وهيئة الدولة والملة
معيانكم جميعاً وقد أمرت بتزفيت رتب الامراء الذين شهدتم باستحقاقهم حسبما أنهيتم وسأوفق
ان شاء الله لان أعلق بيدي نياشين الظفر في صدور سائر أفراد الامراء والضباط وقصارى
المسئول من جناب الناصر الحقيقى حضرة العادل المطلق الشاهد على صدق دعوانا الحققة
في هذه الحرب الحاضرة أن يتعاهد بعد الآن أيضاً بعناية وبعدد روحانية سيدنا الرسول
الامين الذى هو العروة الوثقى في الحاجات عسكرنا بالنصر المبين في حروبهم وغزواتهم وأن
يجعلهم مسرورين بحماية العلم الاسلامى هذا وأسلم على رفقاءكم في السلاح فرداً فرداً

والحق تعالى لا يعزب عنكم نصرته البالغة الصمدانية اه
وبسبب ما ذكر اضطررب الفراندوك ميخائيل حكمدار عموم بلاد القوقاز وأرسل
يطلب المدد والذخائر وظلت الجيوش الروسية تدافع حتى أتت اليها عدة لوات من
المشاة وعدد عظيم من المدافع

وفي أواخر شهر سبتمبر سنة ١٨٧٧ اتخذ الجنرال لوريس مليكوف خطة الهجوم
ثانياً ولعدم ارسال جيوش جديدة الى مختار باشا واستشهاد عدد كثير من جنوده في هذه
الوقائع المستمرة لم يمكنه مقاومة الجيوش الروسية الجديدة التي لم يضمنها التعب بل رجع
القهرى قاصداً مدينة أرضروم فتبعه القائد الروسي وهزمه في موقع يقال له (الاجه طاغ)
ثم حاصر مدينة قارص ثانياً وفتحها عنوة في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٧ بعد ان حاول من بها
الخروج من وسط المدافع الروسية وغنم منها ثلاثمائة مدفع تقريباً

أما مختار باشا فبعد ان حاول مساعدة قارص وانتصر عليه الاعداء في موقعة (دوه بيون)
في ٤ نوفمبر عاد الى أرضروم حيث حصره العدو ومنع وصول المدد اليه

وبعجده وصول خبر سقوط قارص في نوفمبر وبلغته في ١٠ ديسمبر أيقن الصربيون
أن الفوز والنجاح سيكونان في جانب روسيا ولم يتأخروا في اعلان الحرب على الدولة
صاحبة السيادة عليهم التي لم ترتكب نحوهم أمّا الاحترام دينهم ولعنهم وأوصل هذا الاعلان
الى الباب العالي المسيو كريستين سفير الصرب في الاستانة في ١٤ ديسمبر سنة ١٨٧٧
أعني بعد سقوط بلغنه باربعة أيام وسارت عساكرهم على الفور للانضمام الى جيوش روسيا
التي بعثتهم الى هذه الحرب اذ أن البرنس ميلان لم يعلنها الا بعد أن تقابل مع امبراطور
روسيا وافق معه على ما يعطى له بعد الحرب جزاء خيانتته

وقابل الباب العالي هذا العدو الجديد بمقابلة عدو منتظر من يوم لا آخر

وفي ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٧٧ أرسل الباب العالي لاهالى الصرب منشوراً يظهرهم
فيه غدر حكومتهم وخيانتها وانها تسوقهم الى الدمار والبوار بدون سبب مطلقاً ويخبرهم
بان جلالة السلطان متبوعه الاعظم قد أمر بعزله من منصب الامارة جزاء عدم محافظته
على العهد بعد ان عفت عنه الدولة أكثر من مرة فلم يعبا البرنس بهذا العزل بل استمر
على محاربة متبوعه الى أن انتهت الحرب وثبت في وظيفته وزيدت امتيازاته بمساعدة
الدول ومنح لقب ملك كاستري ومن جهة أخرى فان امارة الجبل الاسود لم تتفق مع الباب
العالي على الصلح قبل اعلان روسيا الحرب كما ذكرنا ولذلك اشترك جيشها في القتال بكيفية
كانت نتيجةها تعطيل جزء ليس بقليل من عساكر الدولة في محاربتة وعدم امكان هذا
الجزء محاربة الروسيا في جهات البلقان ومن ذلك يتضح للمطالع ما كان بين الجيشين المتحاربين
من التفاوت هذا تساعده رومانيا والصرب والجبل الاسود جهاراً وجميع المسيحيين
التابعين للدولة العلية باوروبا سراً والدول تمنى له النجاح والفلاح وذلك بفردة لا مساعد

سقوط قارص

ولا صديق وجيوشه أضناها التعب والنصب في محاربة الامارات والولايات المسيحية التي
ثارت قبل الحرب اطاعة للدسائس الخارجية ومع هذه المميزات فقد فازت الجيوش
العثمانية أكثر من مرة ودافعت دفاعاً اضطر العدو قبل الصديق الى الاقرار بشجاعتها
والاعتراف بلبائنها وفي واقعة بلقنه وغيرها مما يعد منها ولا تعدما يكفي لقطع لسان كل مكابر
خون

ولما توالى الحوادث المذكورة طلب الباب العالي من الدول التوسط بينه وبين
الروسيا لابرام الصلح وحقن دماء العباد وأرسل بذلك منشوراً الى الدول الست العظام فلم
يردله جواب شاف بل كانت كل منها تود ان تكسر الدولة تماماً قبل التداخل في الصلح حتى
يمكنها التهام قطعة من أملاكها نظير توسطها

وبعد ذلك استمر القتال في قلب الشتاء بدون انقطاع رغم أن تكاثر الثلج وصعوبة
مرور المدافع وبسبب سقوط مدينة بلقنه وخلو الجيوش الروسية التي كانت محاصرة لها من
الاشغال وجهت روسيا جميع جيوشها الى ما وراء جبال البلقان للاغارة على بلاد البلغار
والروملية الشرقية واحتلال مدائن الحصينة بمساعدة الجيش الصربي فاجتاز الجنرال
(جوركو) جبال البلقان ودخل مدينة صوفيا عاصمة البلقان في ٤ يناير سنة ١٨٧٨
ثم احتل مدينة فلبيه في مساء ١٠ من هذا الشهر وأخيراً دخلت مقدمة فرقة الجنرال
سكوبلف (١) مدينة ادرنه في ٢٠ منه ومنها سار الروس نحو الاستانة وتقدموا بدون
أن يجدوا معارضة تذكر الى مسافة خمسين كيلو متر فقط من عاصمة الخلافة العظمى
وفي هذه الاثناء كان أهالي الجبل الاسود قد احتلوا مدينة انتيباري ووصلوا الى ضواحي
اشقودره ودخل الصربيون مدينة نيش ولذلك لم تر الدولة العلية بدأ من طلب الصلح
وقبول ما يطلبه العدو لعدم قدرتها على استمرار القتال وتبديد جيوشها ووصول العدو الى
ضواحي الاستانة

وحيث قد انتهينا من ذكر الوقائع الحربية بغاية الايجاز فلنشرح الآن ما جرى بين
الطرفين المتحاربين والدول من المخابرات السياسية تاريخين شرح تفصيلات هذه الحرب
بمخاطبها الى حضرات الضباط المصريين الافاضل الذين رافقوا المرحوم حسن باشا وحضروا
أغلب وقائعها واعلموا أسباب انتصار الروس العسكرية وغيرها واننا نرجو أنهم لا يعدمون ذلك
وكلهم من الفضلاء النبلاء الذين يمكنهم بيان ما لا يمكننا ذكره لعدم خبرتنا في الامور
العسكرية ويكونون بذلك قد قاموا بخدمة عظيمة نحو الملة الاسلامية عموماً
أما ما تحمله المسلمون من أنواع الايذاء والتعدي من قبل البلغار بين مجرد سماعهم باقتراب
الجيوش الروسية فما يعجز القلم عن وصفه ولذا هاجر أغلب المسلمين الى الاستانة هرباً

(١) قائد روسي ولد سنة ١٧٤٣ واشتهر في مجاربة وفتح عدة أقاليم بأواسط آسيا في سنة ١٨٧٣ احتل
مدينة خيوة عنوة وامتاز في هذه الحرب الروسية الاخيرة وبعد انقضاءها عاد الى بلاد تركستان وحارب
بعض قبائلها وتوفي بقتة في مدينة موسكو سنة ١٨٨٢ غير بالغ الاربعين من عمره

كانوا يتظفرونه ووقع فيه فريق منهم من النهب والقتل وتركوا أملاكهم وأمتعتهم قاصبين ملجأ الخلافة الإسلامية أفواجا حتى غصت شوارع الاستانة بهم وأعيت الحكومة الحيلة في تقديم ما يلزم لها من الملبس والمأكل والوقود في هذا الشتاء القارص ولذلك تشكلت عدّة جمعيات لمساعدتهم جمعت أموالا طائلة من جميع الأهالي مع اختلاف أديانهم ومذاهبهم ولم يلبس هؤلاء المساكين أن أصيبوا بداء التيفوس فمات كثير منهم ولولا اسراع الدولة في ابرام الصلح وتوزيعهم على ولايات الاناطول لهلكوا عن آخرهم إذا أنهم كانوا يؤثرون الموت على العودة إلى بلادهم التي احتلها الروس وساد فيها المسيحيون وكان ذلك منتهى أمل الروسية التي كانت تودّ مهاجرة المسلمين عن جميع الولايات المصممة على منحها الاستقلال

هذا أما ما حصل في بلاد مقدونية وتساليا وغيرها وفي جزيرة كريد من الفتن بدسائس مملكة اليونان فلا يعتد به لقلة أهميته ووعده قنصل الدول الثائر بن بالنظر في طلباتهم عند اتّمام الصلح مع روسيا

وفي أوائل شهر يناير سنة ١٨٧٨ عين الباب العالي كلا من نامق باشا وسرور باشا مرخصين من طرفه لخبرة الغراندوق نيقولا في أمر توقيف القتال وأرفقتهما بأمورين عسكريين وهما نجيب باشا وعثمان باشا (خلاف بطل بلقنه) لما يختص بالأمور العسكرية

وفي ١٤ يناير سافر هؤلاء المندوبون إلى قزانق لمقابلة الرئيس الروسي فوصلوا إليها في ١٩ منه لتعطيل السكك الحديدية وبعد أن عرضوا ملخص مأموريتهم أجابهم أنه سيطلب الاستعلامات اللازمة من جلالة القيصر ويعطيهم الجواب النهائي في مدينة أدرنه التي دخلها الروس في ٢٠ منه كما ذكرنا ولما وصلوا إليها في معية الرئيس ابتدأت المخبرات وفي ٢٠ منه صار التوقيع على اتفاقين أحدهما بين الغراندوق نيقولا وسرور باشا ونامق باشا مفاده منح الاستقلال الإداري للبغار والاستقلال السياسي للمماليكيتين (رومانيا) وللعجل الأسود مع تعديل في حدودهم واعطائهم بعض أراض من أملاك الدولة وتقرير غرامة حربية للروسيا تدفع نقداً أو يستعاض عنها ببعض القلاع والحصون والآخر بين نجيب باشا وعثمان باشا ومندوبين عسكريين من قبل الغراندوق يختص ببيان شروط المهادنة

وأوقفت الحركات العدوانية من الساعة السابعة من يوم ٣١ يناير سنة ١٨٧٨ ثم أعلن الباب العالي في ٥ فبراير برفع الحصار عن سواحل روسيا الواقعة على البحر الأسود ثم عاد الغراندوق نيقولا إلى سان بطرسبورج عاصمة روسيا حيث قوبل بكل احترام واجلال

ولما علمت الدولة بالهدنة والاتفاق على مبادئ الصلح طلبت التماسا من انكلترا عقد مؤتمر من مندوبي الدول الموقعة على معاهدة باريس المبرمة في سنة ١٨٥٦ ينظر في شروط

المخبرات
الابتدائية والهدنة

الصلح خوفاً من أن يكون بها ما يحجف بحقوق الدول الأخرى فقبلت انكسار هذا الطلب واقترحت أن يكون اجتماع هذا المؤتمر في مدينة باد (١) ثم توقفت هذه المحادثات بسبب محاولة روسيا ورغبتها في إنهاء الصلح بدون توسط باقي الدول فإنها لم تبلغ صورة هذه الاتفاقيات إلى الدولة العلية ولا باقي الدول إلا بعد امضائها بثمانية أيام ولم تنشر في الجريدة الرسمية الروسية إلا في ١٥ فبراير سنة ١٨٧٨

وفي هذه الفترة اضطرت الألف بكار في أوروبا وأصبح أن العساكر الروسية قد احتلت الاستانة ومع تكذيب هذه الاشاعة رسمياً فقد أمرت انكسار ودانها الراسية في خليج (نزيكا) بالتوجه إلى الاستانة لحماية رعاياها وفي الحقيقة لمراقبة حركات روسيا ومنعها بالقوة لو أرادت احتلال الاستانة

ولما كان الباب العالي قد أباح للدونامة الانكليزية المرور من بوغاز الذرنيل أثناء مخبرات أدنه أراد الاميرال الانكليزي المرور بمقتضى التصريح القديم فمنعه حكمدار القلعة (سلطانيه)

ولذا أرسل الاميرال إلى نظارة البحرية بخبرها بذلك فامرته بالمرور بالقوة وكتب وزير الخارجية إلى الباب العالي يعلمه بعزمها خوفاً من الطولة وضياح الوقت في المخبرات للحصول على هذا الجواز فجمع وزير الخارجية سرور باشا الذي خلف صفوت باشا الوزراء الحاليين والاقدمين وبعد مباحثة طويلة اكتفى الباب العالي بإقامة الحجّة ضد انكسار ودخلت المراكب الانكليزية أمام الاستانة في مياه البوسفور

ولندكر قبل شرح المخبرات السياسية التي كانت نتيجة إبرام معاهدة سان استيفانوس ثم تعديلها بمقتضى معاهدة برلين بعض ما حصل في الاستانة من الامور الخطيرة فنقول ان مجلس المبعوثان والاعيان دعيا للاجتماع للنظر في شؤون الدولة فاجتمعوا معا بميثمة برلنت في ٧ ذى الحجة سنة ١٢٩٤ وألقى عليهما خطاب عن لسان جلالة مولانا السلطان الاعظم شارح حالة الدولة وما وصلت اليه من العسر بسبب الحرب القائمة بينها وبين روسيا واليك ترجمته نقلا عن مجموعة الجواب

يا أيها الاعيان والمبعوثان

انني أكتسب المنونية بفتح المجلس العمومي وبمشاهدة مبعوثي الملة وكما هو معلوم لديكم أنه لما أعلنت دولة روسيا الحرب على دولتنا في العام الماضي اضطررنا للمقاولة والمدافعة وما زالت الحرب قائمة على ان الوقوات العظيمة الغير مسبوقه قد أثقلت جداً مشكلات الحرب لان الاختلال الذي شب في هرسك مندعامين ونصف قد ظهر أيضاً في غيرهما من بعض المواقع وقسم من أهلها المتمتعين بالمساعدات المخصوصة كالسواي في الحقوق

(١) مدينة خيالة بالمارة باد وتسني يادن أو يادن يادن بالتكرار وبها حمامات معدنية حارة يقصدها كثير من الناس للاستحمام بها ولا يزيد عدد سكانها الاصلين عن ثلاث عشر ألف نسمة

الشاملة كامل تبعتنا والمحافظة على ملتهم ولغتهم على الوجه الاتم سلكوا كيما كان الحال طريقا غير مشروعة فاضروا أنفسهم والوطن واخوتهم الوطنيين وأهالي المملكتين كذلك أعلنوا الخصومة لدولتنا بدون سبب مشروع حالة كونهم في غبطة ببناء استقلالية ادارتهم الداخلية ومع هذا جميعه فالبلاد غير متأخرة عن صرف أسباب المقاومة التي اضطرت اليها على حسب مقدرتها وكما ان العثمانيين كافة أثبتوا بواسطة آثار الحمية التي أظهروها في هذه الحرب امتلاكهم الاحساسات الوطنية في صورة خارقة للعادة كذلك أضحي ثبات عساكرنا وبساتنهم مستوجبين تحسين العموم وتقديرهم ولم أزل أطلب معاونة تبعتنا وحميتهم لاجل المحافظة على حقنا المشروع

على ان حصول استعداد الوصول لا يكال ترتيبات العساكر الملكية وابرار العثمانيين غير المسلمين الشوق القلبي والاشتراك الفعلي في المحافظة على الوطن هو معدود من وقوعات دولتنا السارة وبما أن المساعدات التي نالتها التبعة غير المسلمة قد تقوت بكتيبتها بالقانون الاساسي وأصبحت متساوية أمام القانون وفي حقوق البلاد ووظائفها فاشتركا اذا في الخدمة العسكرية التي هي أعظم الوظائف والمدخل الموصول الى حق المساواة صار أمرا طبيعيا فاذا كانت آثار معرفة الوظيفة المبرزة في هذا المطلب حرية بالتحسين وأضحى ادخال الاهالي غير المسلمة كذلك في سائر الصنوف العسكرية أمرا مقررأ وبما أن اجراء فعل القانون الاساسي ونقوده على الوجه الاتم انما هو الوسيلة الوحيدة لسلامة دولتنا كانت أكبر آمل الى معطوفة أولا لاستفادة صنوف تبعتنا بالتام من سعادة المساواة الكاملة ومن ترقية بلادنا المدنية والعصرية ثانياً للاصلاحات المالية ولا سيما إلغاء تعهداتنا ولتقسيم كل نوع من أنواع التكاليف والمال الاميري (ويركو) وتحصيله في صورة موافقة لقواعد الثروة منزهة عن اضرار الاهالي ثم لتوفيق بعض مسائل الحقوق الانسانية لاحتياجات العصر لمقصد جريان العدل الكامل في المحاكم ولا صلاح الاوقاف ولتسهيل مطلب التصرف في الاراضي ولترتيب النواحي الذي هو أساس الادارة الملكية وتقرير وظائفها وتكامل تنظيمات الضابطة لكن وأسفا ان الحرب الحاضرة قد عوقت تمام مفاعيل مقاصدنا هذه الخالصة على ان مصائب هذه الحرب قد تجاوزت حدودها الطبيعية فكمن الاهالي غير المدافعين الذين بمقتضى القانون الحرى ليسوا بمسؤولين عن شيء وكمن النساء والصبيان أمسوا عرضة للمظالم الغادرة والدموية التي لا تتحمل سماعها المرحمة البشرية فائمل والحالة ما ذكر ان الزمان المستقبل لا يمانع رؤية الحقانية

أما قوانين اللوائح المتعلقة بترتيبات الدوائر البلدية ووظائفها في دار السعادة والولايات تلك التي تحولت في العام الماضي الى مجلسكم فقد تقرر أمرها وصادق مجلس الاعيان والمبعوثان على نظاماتها الداخلية ووضعت في موقع الاجراء وقد يوجد فيما بين لوائح القوانين التي هيأتها شورى الدولة لوائح مهمة متعلقة بقوانين اصول حقوق الحاكمه والانتخابات

العمومية ووظائف وكلاء الدولة ومجلسهم وقانون الديوان العالى ودبوان المحاسبات
فقصارى ما أدعوكم لالة نظر اهتمامكم اليه انما هو المذاكرة على هذه اللوائح بافرادها وحل
بعض المسائل المختلفة المتعلقة بقوانين الولايات والمطبوعات والاموال الاميرية والادارة
العرفية اللواتى جرى عليها البحث فى الاجتماع السابق والمذاكرة كذلك على قانون ميزانية
واردات ومصاريف السنة الاتية

أما عدم تناسى دولتنا الاصلاحات الداخلية فى مثل هذا الزمان المشغولة فيه بحرب
عظيمة أقيمه كدليل فعلى على نوابنا بالترقى

يا أيها المبعوثان

ان ايجاد الحقائق فى المسائل القانونية والسياسية وتأمين منافع البلاد يتوقفان على
تعاطى أرباب المشورة أفكارهم بالحرية التامة وبما أن القانون الاساسى يامركم بذلك فلا
أرى احتياجا لامر أو لتغيب آخر

أما مناسياتنا مع الدول المتحابة فهى جارية على صورة اخلاص هذا ونسال الحق جل
وعلا أن يجعل مساعدتنا مقرونة بتوفيقاته اهـ

وفى ١٧ ذى الحجة من السنة المذكورة قدّم نواب الامة عريضة شكر على الخطاب
السلطانى المذكور ولبلاغته وأهميته ما جاء به من الافكار العالية والآراء الصائبة الدالة
على المحبة والاخلاص الوطنى بين جميع الطوائف على اختلاف أجناسهم وأديانهم أتينا
على ترجمته نقلا عن مجموعة الجواب

نسأل المولى خير الناصرين أن يثبت الحضرة الملوكية على سرير العدل مع التوفيق وعلو
النشان وطول العمر وكمال الصحة والعافية فنطق تلك الحضرة فى أثناء رسم افتتاح المجلس
العمومى اللازم اجتماعه فى هذه السنة على حسب حكم القانون الاساسى الذى هو فرمان
حرية العثمانيين وبرهان صلاحهم وسلامتهم المتلو يوم الخميس ابتداء كانون الاول الموافق
٧ ذى الحجة سنة ١٢٩٤ فى حضور الحضرة الملوكية صار سماعه من هيئة المبعوثان
بغاية الدقة والتأمل ولما كان من النعم الكبرى تمثل المبعوثان فى حضور الحضرة السامية
وصدور الاوامر من جنابه العالى بالمحظوظية من رؤياه المبعوثان حصل لعموم تبيعة
العثمانيين مزيد السرور مع الفخر والشرف ومن الوجوب المثابرة على محافظة الحقوق
العثمانية المشروعة بمناسبة المحاربة التى فتحتها الروس فى هذه الاحوال الحاضرة فانها
واجبة بالطبع لكل دولة وملة ولا سيما قد اشتدت مشا كل الحرب باعلان البغى والخصام
من قسم من التبعة العثمانيين الغير المسلمين الذين هم فى غاية الراحة وسعادة الحال من
كل الوجوه منذ أعصار مضت فانهم حافظون حقوقهم ومذاهبهم وألسنتهم ونائلون
المساعدات والمساوات عموماً على الدوام خصوصاً أهالى المملكتين فانهم فى أعلى الدرجات

متميزون بامتيازات واسعة مخصصة وما فعلته روسيا وأرباب البنى التابعون لها في
 أثناء ذلك من أنواع القدر والمظالم الحسرة للقلوب في حق كثير من أولاد الوطن هومن
 الشقاوة المخالفة للحرية والحقوق المالية والقواعد الانسانية والمدنية وحيث ان محافظة
 الدولة وحماية حقوق الملة وتامة استقلال المملكة على ضد الحالة الحاضرة موكل لمهمة
 الحضرة السلطانية ولازم لها على كل حال وكانت المسئلة محتاجة للدقة فوق العادة
 والمصارعة في التدابير العاجلة من كل نوع بلاضياع وقت نقول ان جميع العثمانيين متحدو
 الافكار في معرفة ان المبادرة في اجراء مقتضى الارادة المملوكية التي تصدر في هذا الباب
 بغاية السرعة هي من الوجوب وقد تجاسروا على بذل ارواحهم في سبيل المدافعة عن الوطن
 والملة في هذه الحرب زيادة عن الطاقة فما أبرزوه بمقتضى وظائفهم المرتبة عليهم من آكار
 الخدمة والغيرة قد استحسن لدى الدولة السنية وكان ذلك موجباً لزيادة اشتياقهم واهتمامهم
 أضعافاً مضاعفة لان مابدا منهم من البسالة ضد الروسيا حير أفكار الجميع وانما علو الهمة
 التي يقر بها جميع العالم من كل وجه مقرون باليمن وهو لا يكون لودارت على حقها التدابير
 السياسية والعسكرية والوسائل الاجرائية على حسب ما أبرزه مولانا المعظم وتبعته
 الشاهانية من كل وجه وحيث ان تشكيل العساكر الملكية من المواد المهمة الواجبة
 أساساً قد تشكر عموم تبعة الدولة العثمانية لما صدرت به الارادة السنية في هذا الباب
 وستصير المبادرة في المذاكرة في هذا الأمر الى أن يرد قانون اللوائح المخصص بكيفية
 استخدام صنوف سائر العسكرية من الأهالي غير المسابين على مقتضى أحكام القانون
 الأساسي فعدم كمال اجراء نفوذ أحكام هذا القانون والتوفيق لبقاء الاصلاحات المهمة
 كاصلاح أحوال أمور المالية وحصول سعادتها وتقسيم الورك وتحصيله وتنظيم
 الحاكم واصلاح الأوقاف وتسهيل تصرفات الأراضي وتشكيلات النواحي وانتخاب
 المأمورين وتنظيمات الضبطية والوظائف التي حالت بينها الغوائل الحاضرة من الحالات
 التي توجب الأسف ومن المسلم أن حضرة مولانا المعظم لم يؤخر آثار نظر ما في الاصلاحات
 الداخلية مع هذه الغوائل العظمى كما هو مشاهد من نيانه الحسنة وأفكاره الخالصة
 ونلتبس من اللطاف الالهية دفع هذه الغوائل الحاضرة بعناية التوجيهات المملوكية واتحاد
 عموم العثمانيين وأقدامهم وغيرتهم على حسب وظائفهم ومما هو غني عن البيان انه
 سيصير الاجتهاد في التدقيق والمذاكرات في القوانين واللوائح الموعد بحالتها على هيئة
 المبعوثان الموجبة لعمار الملك ورفاهية أهله والتدقيق في حل المسائل المختلفة في بعض
 القوانين واللوائح التي بقيت من الاجتماع السابق وعموم الملة ناظرون الى حضرة مولانا
 المعظم بنظر الاعتبار حيث رخص في ارادته السنية بهيئة المبعوثان الترخيص التام فيأمر
 مأمورون به في القانون الاساسي من اتخاذ أفكارهم بالحرية التامة في المسائل القانونية
 والسياسية مع تجديد المساعدة في ذلك وهم سيشرعون في اتخاذ الافكار بغاية الدقة والحرية

التامة في الخصوصيات المتعلقة بحالنا واستقبالنا ومن المعلوم أن جريان المناسبات مع الدول المتحابة بصورة خالصة مما يوجب التشكر وقد بادرت هيئة المبعوثان باداء ماوجب عليها من ابقاء مراسم الشكر ليكون في احاطة الحضرة المعظمة الملوكية والامر في كل حال لحضرة سيدنا ومولانا المعظم اه

حل مجلس
النواب

واستمر اجتماع مجلس النواب العثماني الى أن قرر السلطان بالاتحاد مع جميع أعيان الدولة وجوب ارجاء اجتماعه لأجل غير محدد لعدم ملائمة الظروف لوجوده وأعلن ذلك رسمياً اليه في يوم ١٤ فبراير سنة ١٨٧٨ وعقب فتنه ضبط كثير من أعضائه ووقعوا خارج البلاد بسبب تنديدهم بأعمال الحكومة واعتراضهم على اجراءاتها ولم يجتمع بعد ذلك الى الآن أما الوزارات فتعاقبت بسرعة غريبة مع ان الحكمة كانت تقضي بعدم تغييره وبقاء الوزراء في مناصبهم في مثل هذه الظروف الخطيرة ففي ٧ محرم سنة ١٢٩٥ عزل أدهم باشا وعين مكانه أحمد حمدي باشا واستبدل أغلب النظار (الوكلاء) بغيرهم وفي غرة صفر من السنة المذكورة أي بعد ذلك بثلاثة وعشرين يوماً ألقي لقب الصدر الأعظم واستبدل بلقب رئيس الوكلاء ووجه هذا المنصب الى أحمد رفيق باشا الذي كان ناظراً للمعارف في الوزارة السابقة

وفي ١٥ ربيع الثاني سنة ١٢٩٥ الموافق ١٨ ابريل سنة ١٨٧٨ ولى الصناديق محمد باشا مستند رئاسة الوكلاء

وفي ٢٧ جمادى الأولى الموافق ٣٠ مايو ألقي لقب رئيس الوكلاء وأعيد لقب الصدر الأعظم وأسند الى محمد رشدي الملقب بالمرجم الذي تقلد هذا المنصب أكثر من مرة ولم يلبث في هذا المنصب الا ستة أيام وعزل في ٤ جمادى الأخيرة الموافق ٥ يونيو وعين مكانه صفوت باشا الذي كان وزيراً للخارجية أثناء انعقاد مؤتمر الاستانة قبل اعلان الحرب من روسيا واستمر هذا الوزير متقلداً منصب الصدارة العظمى الى ديسمبر سنة ١٨٧٨ حيث أحيل هذا المنصب الى عهدة خير الدين باشا

حادثة جراجان

وفي يوم ١٧ جمادى الأولى الموافق ٢٩ مايو حصلت بالآستانة كادنة تكون سبباً لدخول عساكر الروس اليها واحتلالها عسكرياً وذلك أن شخصاً يدعى علي سعاوي أفندي بخاري الأصل أتى الى الآستانة لطلب العلم وتحصيل على نصيب وافر من العلوم العربية حتى صار على جانب عظيم من الفصاحة في الانشاء والخطابة لكنه كان ميالاً الى اثاره الفتن والقاء الدسائس فنفى أولاً سنة ١٢٨٧ (١٨٦٧) ومكث خارجاً عن البلاد تسع سنوات ثم عاد الى الآستانة بمسمى مدحت باشا وعين ناظراً على المكتتب السلطاني الذي ينعم فيه أولاد جلالة مولانا السلطان عبد الحميد ثم عزل لعدم تحسن أحواله وتداخله في الامور السياسية وبعد عزله أخذ يدبر في طريقة لاثارة فتنة في الآستانة لعزل السلطان عبد الحميد واعادة السلطان مراد الى عرش الخلافة وانتهر لذلك فرصة اشتغال الدولة بالخبايا

السياسية واضطراب الافكار بسبب احتلال الروس لضواحي الاستانة ووجود نحو ١٥٠٠٠ ألف نفس من المسلمين المهاجرين من البلاد التي وطئها عساكر الروس ينجيها ومنهم من هو غير راض عن الحالة الحاضرة واتفق مع نحو مائتين منهم على تنفيذ ما يمكنه صدره من الفتن واجتمعوا في اليوم المذكور قبل الظهر وانقسموا الى قسمين القسم الأول منهم قصد سراية جراغان من جهة البحر تحت رئاسة زعيم يقال له صالح بك والثاني تحت رئاسة علي سعاوي أفندي من جهة البر وكانوا جميعهم متزيين بزى المهاجرين ثم اجتمع القسمان عند باب السراية وحاولوا الدخول فيها فتمنعهم الحارس فقتلوه ودخلوا السراية وصاروا يفتشون على السلطان مراد حتى عثروا عليه في حجرته وسلمه سعاوي أفندي طينجة وفي أثناء ذلك أتت فرقة من الجنود من سراي يلدز المقيم بها السلطان عبد الحميد وحاصرت الثائرين من جهة البر كما حاصرتها قوارب المراكب البحرية من جهة البحر ولم يعض الاقليل حتى قتل الجنود جميع من دخل السراية من الثائرين وفي مقدمتهم رئيس العصاية علي سعاوي وبعد اطفاء هذه الفتنة والقبض على من بقي حياً منهم نقل السلطان مراد وعائلته الى قصر داخل ضمن سراي يلدز العامرة وبذلك هدأت الافكار وعادت الناس الى فتح دكاكينهم بعد ان أغلقوها وأمنت الدولة امتداد الفتنة ودخول عساكر روسيا الى الاستانة بدعوى حماية من بها من المسيحيين

وبعد ذلك بثلاثة أيام أي في يوم ٢٠ جمادى الاولى الموافق ٢٣ مايو اتهمت النيران جزأعظما من الباب العالي نفسه وأحرقت دائرة شورى الدولة وتوابعها ودائرة الاحكام العدلية والتشريفات والداخلية وغيرها مع جميع ما فيها من الامتعة والفروشات والاوراق الرسمية

حريق الباب العالي

وهن المظنون ان هذا الحريق لم يكن الا بفعل أرباب الثورة انتقاما مما أصابهم من الخذلان في حادثة جراغان

هذا ولترجع الى مخابرات الصلح فنقول ان بعد امضاء الهدنة ومقدمات الصلح في أدرنه ووصول المراكب الانكليزية الى مياه الاستانة خوفا من احتلال الروس لها طلب القائد الروسي من الدولة ادخال بعض أورط من المشاة بالاستانة وكتب البراس غورشا كوف بذلك الى جميع سفراء دولته لدى الدول العظمى في ١٠ فبراير قائلا انه من حيث ان انكلترا ادخلت بعض مراكبها في البوسفور لحماية رعاياها وحذت هذا الحدو بعض الدول الاخرى وطلبت من الباب العالي التصريح لمراكبها بالدخول فالروسيا لا ترى بدأمن ارسال جزء من جيوشها العسكرية حول الاستانة الى داخل المدينة لحماية جميع المسيحيين فاضطربت انكلترا لهذا البلاغ وكتبت الى سفيرها بسان بطرسبورج تتهجج ضد هذا الطلب مينة ان لا تشابه بين ارسال السفن الانكليزية الى البوسفور واحتلال الاستانة عسكرا بواسطة الجيش الروسي وكلفته أن يخبر حكومة روسيا بانها لا تسمح مطلقاً باحتلال الاستانة وانه

لودخلت العساكر الروسية اليها تكون مسؤولة عما ينجم عن ذلك من الاخطار ولما وصلت هذه الرسالة الى مسامع البرنس غورشا كوف أحجم عن مشروعه وبعد مخاضات طويلة قال انه لا يدخل عساكره الى الاستانة الا لو أنزلت انكسرتا بعض عساكرها الى البروما دامت دولة الممكة لا ترغب ذلك فلا خوف على الاستانة من احتلال الروس وبذلك انتهى هذا الاشكال وبقيت الجنود الروسية معسكرة خارج المدينة لا تتعدى الحدود التي رسمت لها بمقتضى اتفاقية ٣١ يناير الماضي

وفي أثناء ذلك ابتدأت المخاضات بين الباب العالي والفراندوك نيولوا الذي عاين سان بطرسبورج بمدينة أدرنه للوصول الى الصلح النهائي وعينت الدولة كلا من صفوت باشا الذي أعيد في غضون ذلك الى نظارة الخارجية وسعد الله بك سفيره لدى امبراطور ألمانيا ببرلين لكن قبل وصولهما الى أدرنه كان توجه اليه انماق باشا ليطلب من الفراندوك عدم دخول الجيوش الروسية الى الاستانة خوفا من حصول اضطراب بها ففضى الى الحرب بداخلها وتدميرها بما أن المسلمين لا يمكنهم رؤية الاستانة في أيديهم بدون أن يتركوا السكان ويعولوا على الدفاع عنها الى آخره من حياتهم فظهر له الفراندوك بعض الصعوبات مع علمه بالمخاضات المتداولة بين روسيا وانكسرتا بهذا الشأن وأخيراً قبل عدم احتلال الاستانة بشرط أن تحتل مقدمة الجيش الروسي خط بيوك جكمجه وكوجك جكمجه من ضواحي الاستانة وأن تنسحب العساكر العثمانية الى ما وراء هذا الخط وأن ينقل مركز المخاضات من مدينة أدرنه الى قرية سان اسطفانوس الواقعة على بحر مرمره فقبلت الدولة هذين الشرطين منعاً لاحتلال الاستانة وفي ٢٤ فبراير سافر الفراندوك الى هذه القرية التي علم اسمها في جميع العالم ولم تكن قبل ذلك شيئاً مذكوراً وصحبه اليها نحو ألف جندي بصفة حرس ولم يلبث هذا القدر ان أخذ في الازدياد بتوارد عدة آليات حتى بلغ من بها نحو عشرين ألف مقاتل بدون أن يكون للدولة سبيل لمنعهم

ثم ان المندوبين العثمانيين أتيا الى سان اسطفانوس وابتدأت المذاكرات بينهم وبين الجنرال اغناطييف الذي انتدبته روسيا لهذه الغاية وبعد عدة اجتماعات أخبرهما المندوب الروسي بوجود التصديق على الشروط المتقدمة منه قبل يوم ٣ مارت سنة ١٨٧٨ الموافق عيد جلالة القيصر كما هي رغبة الفراندوك والا فتبطل الهدنة وتتقدم العساكر الروسية الى الاستانة ولذلك لم يتيسر للمندوبين العثمانيين أن يفحصوا ماجاء في هذه الشروط فصلاً مدققتاً لضيق الوقت وتهديد الجنرال اغناطييف لهم وقطع العلاقات وسوق العساكر عند أدنى معارضة تبدو منهما وفي يوم ٣ مارت جمع الفراندوك عساكره الموجودة بسان اسطفانوس للاستعراض احتفالاً بعيد الامبراطور ولما أتت الساعة العاشرة صباحاً ولم يأت اليه خبر امضاء المعاهدة توجه الى قاعة اجتماع المندوبين وطلب منهم التصديق عليها في هذا اليوم والا فتسير العساكر المنتظمة للاستعراض نحو

الاستانة في مساء اليوم المذكور فاضطر المندوبان العثمانيان الى التوقيع عليها بدون حصول مداولة في كثير من بنودها وفي الساعة الخامسة مساء خرج الجنرال اغناطييف ومعه صورة المعاهدة ممضاة من مندوبي الدولة الى الفراندوك وكان واقفاً أمام الجيوش تحف به أركان حربه وسلمه الصورة فصاح الجند صيحة الاستبشار وأقام لهم أحد القسوس صلاة حافلة في ميدان الاستعراض نزل في أثناءها جميع القواد والضباط عن ظهور خيولهم وجنوا على الارض هم وجميع الجنود شكراً لله على هذا الفوز الغير منتظر ومن غريب ما يحكى عن الجنرال اغناطييف أنه طلب في ٣٠ مارت المذكور أن يضاف الى الشروط بند يقضى بان الدولة العلية تكون ملزمة بالدفاع عن صالح الروسيا لو تشبثت الدول في عقد مؤتمر لتحويل هذا الصلح فرفض المندوبان العثمانيان هذا الطلب بعد أن كتبوا بذلك تلغرافاً الى الباب العالي واثامها الجواب بالرفض وبذلك تم الصلح وفي مساء ذلك اليوم كتب جلالة السلطان تلغرافاً الى القيصر يهنئه بعيدده وورد اليه الرد من القيصر بالشكر والثناء والدعاء باستمرار المحبة والاتحاد بين الدولتين وهالك نص معاهدة سان اسطفانوس نقلاً عن منتخبات الجواب

ان حضرة قيصر روسيا وحضرة سلطان المملكة العثمانية قد عين كل منهما مرخصين لاجل تقرير وعقد مقدمات الصلح رغبة في تامين بلادهما ورعاياهما من وقوع ما يخل بالراحة والامنية فيما بعد وطلباً لحصول وفوائد المساواة والراحة العمومية حالاً فالمرخصان اللذان نصبهما القيصر أحدهما الكونت نقولا اغناطييف وهو حائز رتبة أمير اللواء وياور القيصر ومن أعضاء المجلس الخصوصي وعنده نيشان روسي مرصع وهو نيشان (صان) على كساندروني (سكي) ونياشين أجنبية متمدة والمرخص الآخر مسيو نيلدوف من قراء الدائرة الامبراطورية ومن أعضاء شورى الدولة وعنده نيشان (صانت ان) من الطبقة الاولى مع السيوف المختصة به وعدة من النياشين الروسية والاجنبية المرخصان اللذان عينهما حضرة السلطان أحدهما صفوت باشا ناظر الامور الخارجية الحاصل النيشان العثماني المرصع والنيشان المجيدى كلاهما من الطبقة الاولى والنياشين الاجنبية المتنوعة والثاني سعد الله بك سفير الدولة العلية في مركز امبراطورية ألمانيا وهو حامل النيشان المجيدى من الطبقة الاولى والنيشان العثماني من الطبقة الثانية فهؤلاء المرخصون من بعد أن اطلعوا على المحررات الرسمية المتعلقة بكيفية ترخيصهم ووجدوها مطابقة للاصول والعادة قرروا المواد الاتي ذكرها فيما بينهم

المادة الاولى انه بموجب الخريطة المربوطة بهذه المعاهدة وبمقتضى الشروط والوجوه الاتي ذكرها تقرر تصحيح حدود ممالك الدولة العلية والجبل الاسود وذلك لاجل انهاء المنازعات والمصادمات المتتالية الواقعة فيما بينهما فالحدود تمتد من جبل (دوبر وزيجه) على الوجه الذي عينه المؤتمر الذي كان عقد في الاستانة الى (غوريو) (وبيلسكا) والحد

الجديد يستطيل الى (غاجقه) وعلى هذا (متوتركيا غاجقو) تبقى في تصرف الجبل الاسود وتمتد الحدود أيضاً من مجمع أنهر (بيوه) و (ناره) وغر من نهر (درين) الى جهة الشمال وتنتهي الى مجمع هذا النهر مع النهر المسمى (فيم) وأما حدود الجبل المذكور الشرقية فتبتدى من نهر (فيم) الى (بريرة بولره) ومن (روستراق) الى (سوق بلانينا) وبهوروروستراق تبقيان داخل الجبل فعلى ذلك يكون تخطيط الحدود هكذا أعنى من الجبال المتسلسلة الجامعة لروغوه و (بلاوا) و (كوزرة) الى شلب (باقلنى) ومن رؤوس جبال (قوبريونيق) و (بابور) و (بورور) حذاء حدود بلاد الارناؤوط الى أعلى ذروة جبل (بروقلى) ومن هذه النقطة الى كئيبي (بيسقاشيق) وينتهي الحد على الخط المستقيم الى عين الماعى (جيسنى هوتى) ويفصل فيما بين جيسنى هوتى و (جيسنى قاسترانى) وتجاوز ماء (اشقودره) الى أن ينهى نهر (بويانه) وهكذا مع النهر الى مصبه فى البحر ويعجب ذلك تبقى نكسليك وغاجقه واشبوزى ويودغور بحه وزالبياق وبار ضمن الجبل المذكور وقد يصير تعيين حدود اماره الجبل قطعياً بمعرفة لجنة مركبة من بعض مامورى دول أوروبا بشرط أن تكون وكلاء الباب العالى والجبل معهم أيضاً فهذه اللجنة تلاحظ منافع الطرفين وأمنية البلاد السكائنة فى الجهتين ثم تشير فى الخريطة الى التعديلات التى ترى لها لزوماً وتعلم أنها هى الحق وتوضح فى ذلك مارأته من صالح الجهتين ثم لا يخفى أن أمرسير السفن فى نهر بويانه لم يزل يجلب النزاع فيما بين الباب العالى والجبل الاسود فلاجل قطع هذا النزاع سيصير نحرير نظام ذلك بمعرفة اللجنة المذكورة

المادة الثانية ان الباب العالى يثبت استقلال اماره الجبل الاسود على الوجه القطعى ثم فيما يأتى تقرر فيما بين دولة روسيا والدولة العلية والامارة المذكورة كيفية المناسبات التى ستكون بين الباب العالى والجبل الاسود وقضية تعيين وكلاء من طرف الامارة فى الاستانة والبلاد العثمانية المقتضية ويقرر أيضاً أمر اعادة أرباب الجنائيات الذين يفرون من بلاد الدولة العلية الى الجبل ومن الجبل الى بلاد الدولة وأمر اطاعة أهل الجبل المقيمين أو المازين فى بلاد الدولة العلية وانقيادهم الى نظمات ومامورى الدولة طبق الحقوق الجارية بين الدول والعادات والمعاملات القديمة التى كانت تجرى بحقهم فى بلاد الدولة وستنقذ أيضاً مقابلة فيما بين الباب العالى والجبل الاسود لاجل توضيح وتنظيم المسائل المتعلقة بالانشآت العسكرية فى قرب الحدود وأحوال ومناسبات الأهالى المتجاورة هناك وإذا اختلف الباب العالى مع الجبل الاسود فى بعض مسائل ولم يمكن فصلها باتفاقهما فتحكم بينهما دولتا روسيا وأوستراليا ومن بعد هذه المعاهدات اذا وقعت مباحثة أو مصادمة فيما بين الباب العالى والجبل ماعدا المطالب الملكية الجديدة ينبغى أن يفوض أمرها الى دولتى روسيا وأوستراليا وهما باتفاقهما يفصلانها بينهما وقد تقرر انه من بعد امضاء مقدمات الصلح الى عشرة أيام

يجب على عساكر الجبل الاسود أن تخرج من البلاد الغير داخلية في ضمن الحدود المذكورة أعلاه

المادة الثالثة () ان امانة الصرب تكون مستقلة ويكون حدها بموجب الخريطة المربوطة لهذه المعاهدة مجرى نهر (درين) وتبقى (كوجك ازورنيق) و (سقار) في ادارة الصرب ويمتد هذا الحد الى منبع نهر (رازوه) السكان جوار (استايلاق) على حسب الحدود القديمة وتبتدىء الحدود الجديدة من هنا أعني مع مجرى نهر (رازوه) الى نهر (راسقه) ومنه الى يكي (بازار) ومن يكي بازار يصعد الخط الفاصل ويمر من جوار قريتي (مهنتره) و (ارغوج) الى أعلى النهر المذكور حتى ينتهي الى منبعه ويمتد الى (بوسور بلاينا) الكائنة في واد (ايار) وينزل مع الماء الجارى الذي يصب في النهر المذكور ومنه يسير مع نهر (ايار) و (سيديج) و (لاب) الى منبع نهر (ياتنسه) السكان في جبل (غراپاشينجه بلاينا) وبعدها يمر من التلال الفاصلة بين نهري (قريوه) و (ترينجه) ومن أقصر الطرق الموجودة على مصب نهر (ميرواجقه) حتى ينتهي أيضا الى نهر (ويرنجه) ويسير مع هذا النهر ويقطع ميرواجقه و بلاينا ويصل الى جهة موراوه في قرب قرية (فاليمانس) ومن هنا يسير الى قرب قرية (استاقوجي) ويجتمع هناك مع نهر (بلوسينه) وهكذا مع النهر الى موراوه ويمتد من النهر الى جهة فوق حتى يصل الى (قوتقوايجه) ويقطع سوق بلاينا ويجتمع بنهر (نيساوه) ويتصل بقرية (قروزاج) ومنها يمر من أقصر الطرق ويمتد على حدود الصرب القديمة الى جنوب شرق (قرهول بور) وعلى هذا الخط يتصل بنهر الطونه وتقرر اخلاء (اطه قلعه) وهدمها وترتب لجنة مركبة من مامورى الدولة العلية والصرب لاجل تعيين خط الحدود على الوجه القطعى في برهة ثلاثة أشهر ويكون ذلك بمعاونة مامورين من طرف دولة روسيا وهذه اللجنة تفصل أيضا المسائل المتعلقة بجزائر نهر (درين) وتقطعها وحينما تبتدىء هذه اللجنة بتعيين الحدود الفاصلة بين بلاد الصرب والصقالية ينبغي أن يكون وكيل واحد من طرف الصقالية يشترك معهم في هذا الامر

المادة الرابعة () ان المسلمين الذين لهم أملاك في البلاد التي صار الحاقها بالصرب اذا لم يريدوا الاقامة هناك فلمهم الخيار ان أحبوا أجروا أملاكهم وان أحبوا أقاموا وكلاء من طرفهم لاجل حفظها واستغلالها والمسائل المتعلقة باموالهم الغير منقولة تفصلها لجنة مركبة من مامورى الدولة العلية والصرب باعانة مامورين من طرف دولة روسيا في ظرف سنتين وهذه اللجنة تفصل أيضا في برهة ثلاث سنين أمر فراغ الاملاك الميرية والموقوفة والمسائل المتعلقة ببعض الاشخاص الذين لهم علاقة وتقع في الاملاك المذكورة وذلك يكون غيب العقاد المعاهدة فيما بين الدولة العلية والصرب والاناس المقيمون أو الذين يحولون في بلاد الدولة العلية من تبعة الصرب تكون المعاملة معهم على القواعد الكلية بمقتضى الحقوق الكائنة بين الدول وقد تقرّر انه من بعد امضاء مقدمات

الصلح الى خمسة عشر يوماً يجب على عساكر الصرب أن تخرج من البلاد التي ليست داخلية في ضمن الحدود المذكورة أعلاه

المادة الخامسة * ان الباب العالي قد أثبت استقلال رومانيا أعني المملكتين ولها أن تطلب من الدولة العلية تضمينات الحرب وتجزي المذاكرة بهذا الشأن فيما بينهما وعند ما تنقذ المعاهدة بين الدولة العلية ورومانيا رأساتال تبعة رومانيا الأمن والامتياز طبق تبعة دول أوروبا

المادة السادسة * تقرر أن تكون البلغارستان أعني بلاد الصقالية اماره مختارة في ادارتها تدفع مبلغاً معلوماً الى الدولة العلية ويكون مامورو الحكومة والعساكر المالية من المسيحيين ويصير تعيين حدودها على الوجه القطعي معرفة لجنة مركبة من ماموري الدولة العلية والروسيا وذلك قبل خروج عساكر الروسيا من الروماني وهذه اللجنة تبين هناك في الخريطة التعديلات التي ينبغي اجراءها وتلاحظ مالية أكثر الاهالي وتوضح المنافع المحلية تطبيقاً لقنّ تخصيص الاراضي وتقرر تعيين وتبين مقدار اتساع ملك الصقالية في خريطة وجعلها أساساً في قطع الحدود وخط الحدود يتبدى من حدود الصرب الجديدة ومن غرب (وراثه) الى سلسلة الجبل الأسود ومن جهة الغرب يمر من غرب (قومانوه) و(قوجاني) و(قلقان دان) الى جبل (قوارب) ومن هناك يمر من نهر (بوجيجيه) الى درينه و يلتفت الى جهة الجنوب الى حدود غرب قضاء (أخرى) حتى ينتهي الى جبل (لناس) ومنه يمر من غربي كوريجيه واستاوره ويتصل بجبل (غراموس) وكذلك يمر من ماء (قاستريا) و يلتصق بنهر (موغليجيه) ويسير مع النهر الى (يكيجيه) ويمر عن نهر (واراد يكيجيه) ومن مصب نهر (واردار) و قرية (غاليقو) الى قراء (بارغه) و(صاري كوي) وهناك يمر من وسط عين الماء المعبر عنه (بشيك كل) الى مصب نهر (استروما) و(قره صو) ومن السواحل الى (بوروكل) ويمتد الى الشمال الغربي ويمر من سلسلة جبل (رودوب) الى جيلي (جالبه) و(اوشوه) ويمر من جبال (اشك قولاج) و(جيبليون) و(قره قولاس) و(جيمقار) الى نهر (ارده) و يلتفت لجهة الجنوب ويمر من قراء سوكونلي وقره حمزه وارنادكوي واقارجي وايجه الى (تكة دره سي) في قرب (أدرنه) ومن (تكة دره سي) و(جوزلي دره سي) الى (لوله برغوسي) ومن هنا وعن نهر (صوجق دره) الى قرية (سوركن) ومنها من التلال ويقطع (حكيم طابيه سي) حتى يتصل في ساحل البحر الاسود ويتبدى أيضاً من (منقاليه) ويترك السواحل ويمر من شمال حدود لواء طولجي ومن فرق راسوه الى نهر الطونه

المادة السابعة * ان أمير الصقالية يصير انتخابه من طرف الاهالي بالحرية التامة والباب العالي يشته بانضمام آراء الدول ولا يجوز انتخاب أحد من أقارب دول أوروبا الجالسين على سرير الملك للامارة المذكورة وحينما تحل الامارة كذلك يكون انتخاب

الامير الجديد على هذا المنوال وهاته الشروط وقد تقرر انه ينبغي من قبل انتخاب الامير أن يجتمع مجلس معتبرى الصقالة اما في (قلبه) واما في (طرنوى) تحت نظارة مأمورين من طرف روسيا وفي حضور مأمورين من طرف الدولة العلية وتؤسس نظامات هذه الادارة المستقلة توفيقاً لأمثالها أعني لنظامات المملكتين التي تنظمت في سنة ١٨٣٠ غب العقاد مصالحة (أدرنه) وعند تأسيس تلك النظامات ستصير وقاية حقوق ومتافع الاهالى من المسلمين والروم والاولاخ وغيرهم الموجودين والمختلطين مع الصقالة وتقرر أيضاً احالة تأسيس هذه الادارة الجديدة في البلغارستان مع ما يلزم من النظر في صور اجرائها لعمدة مأمورين موظفين من طرف دولة روسيا من هنا الى سنتين وفي اقتضاء السنة الاولى من تأسيس الادارة الجديدة اذا لم يحصل اتفاق في هذا الشأن فيما بين روسيا والباب العالى ودول أوروبا يكون للدول المشار اليهم حق أن يوظفوا مأمورين برفق مأمورين روسيا

المادة الثامنة (١) ليس لعساكر الدولة العثمانية حق بعد هذا للاقامة في البلغارستان وسيصير هدم القلاع القديمة الكائنة هناك بمعرفة الحكومة المحلية وان الباب العالى له حق أن يتصرف بالادوات الحربية الموجودة في قلاع الطونه التي صار اخلاؤها من العساكر بموجب سند المتاركة الذي تحرر في ٣١ كانون الثاني والالات الحربية الكائنة في مدينتي شمنى ووارنه وجميع الاملاك المتعلقة بالحكومة العثمانية كيفما شاءت. وتبقى عساكر روسيا في البلغارستان مقيمة الى أن ينتهى ترتيب العساكر المالية المحلية الكافية لحفظ الراحة وتوطيد الامنية واذا اقتضت الحال يقومون فعلا باطاعة المأمورين وسيصير تعيين عدد العساكر المالية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولة روسيا وان مسدة اقامة عساكر روسيا في البلغارستان تكون سنتين والعساكر التي تبقى هناك بعد خروج جميع عساكر روسيا من بلاد الدولة العلية تكون عبارة عن ست فرق مشاة وفرقتين خيالة وجميعها خمسون ألفاً ومضروف هؤلاء العساكر يكون على بلاد الصقالة ويكون لها طرق مراسلات في المملكتين في شطوط البحر الاسود من جهة وارنه وبرغوس وفي مدة اقامتها هناك يكون لها المخازن المقتضية على الشطوط المذكورة

المادة التاسعة (٢) ان المرتب السنوى الذي يلزم على البلغارستان ايفاءه الى الدولة العلية يتسلم الى البنك الذي يعينه الباب العالى وهذا البنك يصير تعيينه بمعرفة دولة روسيا والدولة العلية وسائر الدول وذلك في انتهاء السنة الاولى من ابتداء اجراء اصول الادارة الجديدة ومقدار ذلك المرتب بتأسيس بالنظر لابراد البلاد والاراضى التي تكون في ادارة الامارة على الحساب المتوسط والبلغارستان تتعهد بالقيام بالتعهد الذي على الدولة العلية الى شركة سكة الحديد في طريق وارنه وروسجق غب المذاكرة مع الباب العالى وإدارة

الشركة المذكورة ومسألة سكة الحديد الأخرى الموجودة ضمن الإمارة يصير فصلها بمعرفة الدولة العلية وحكومة الصقلية وإدارة الشركة

المادة العاشرة **✽** ان الباب العالي له حق أن ينقل ويحلب عساكر ومهمات وذخائر من الطريق المعينة في داخل الباغارستان الى الايالات العثمانية التي وراء الباغارستان ولاجل عدم وقوع مشاكل في هذا الخصوص وتأمين الاجابات العسكرية العثمانية سيوضع نظام بالاتفاق مع الباب العالي والإمارة من ابتداء تعاطي هذه المعاهدة الى ثلاثة أشهر في ذلك وهذا الحق المتعلق بالمرور والعبور يختص بالعساكر النظامية فقط دون الباشبوزوق والجراكس والعساكر المعاونة والباب العالي كذلك له أن يتعاطى البوسطة عن طريق الإمارة ويستعمل مسالك التلغراف في مخبراته فهذان الامران كذلك يصير تعيينهما وتنظيمهما في المدة والشروط المحررة أعلاه

المادة الحادية عشرة **✽** ان المسلمين وغيرهم من أصحاب الاملاك اذا أرادوا الإقامة في خارج الإمارة لهم أن يحفظوا أملاكهم ويؤجروها أو يفوضوا إدارتها الى من يريدونه ثم ان مأمور الدولة العلية ومأمور الصقلية يجتمعان تحت نظارة مأمور روسيا ويفصلون المسائل المتعلقة بتصرف الاملاك وفي منافع مسلمي الصقلية وذلك يكون في ظرف سنتين والاملاك الميرية والموقوفة يصير تعيين أمرها أما بالبيع وأما باستعمالها على الوجه الذي يكون فيه النفع الزائد لجهة الباب العالي ويصير تعيين ذلك بمعرفة لجان مخصوصة محدودة في السنتين المذكورتين والاراضي التي تبقى بدون صاحب عند انقضاء السنتين يصير طرحها في المزاد وتباع ويؤخذ ثمنها ويدفع الى أيتام وأرامل المصابين في الاحوال الاخيرة من المسلمين والمسيحيين

المادة الثانية عشرة **✽** ان القلاع الكائنة على نهر الطونة يصير هدمها جميعاً ولا يبقى من بعد هذا على سواحل الطونة قلعة ما مطاقاً ولا يحوز وجود سفن حربية في مياه رومانيا والنسرب والصقلية سوى السفن الصغيرة والقوارب المختصة والمستعملة في الامور الانضباطية فقط وحقوق ووظائف وامتيازات لجنة الطونة المختلطة تبقى بتمامها على أصلها

المادة الثالثة عشرة **✽** ان الباب العالي يتعهد بتنظيف البحر في مضيق (سنه) وارجاعه الى حاله السابق ليصلح لمرور السفن منه ويتعهد أن يضمن العطل والضرر الذي حصل للتجار بسبب منع مرور السفائن من نهر الطونة مدة الحرب وسيصير خصم ٥٠٠٠٠٠ فرنك من أصل دين لجنة الطونة الى الباب العالي لاجل هذا الامر

المادة الرابعة عشرة **✽** ان الاصلاحات التي تبليغت الى مرخصي الباب العالي في أول

جلسة مؤتمر الاستانة ينبغي حالا وضعها في موقع الاجراء في بوسنه وهرسك مع التعديلات التي سستقرر فيما بين دولة روسيا وأوستريا ويجب أن لا يطلب من هاتين الايتين بقايا الاموال الميرية وأن لا يؤخذ شيء من الواردات الى ابتداء شهر مارث سنة ١٨٨٠ بل تصرف كلها في الاحتياجات المحلية ويسد بها عوز الاهالي والعمال الذين أصيدوا في الاحوال الاخيرة ومن بعد انقضاء المدة المذكورة يتعين المبلغ الذي يلزم على الاهالي دفعه في كل سنة الى الحكومة المركزية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولتي روسيا وأوستريا

المادة الخامسة عشرة يتعهد الباب العالي باجراء أحكام النظام الاساسي الذي وضع في سنة ١٨٦٨ المختص بحزيرة كريد طبق مطلوب الاهالي الذي ينوّه مقدّمًا ويلزم اجراء اصلاحات المماثلة لنظامات كريد في (ترحالة) و(يانيه) وفي سائر جهات الروم الى التي ليس لها نظامات مخصوصة ويصير تشكيل لجنة مركبة من الاهالي المحلية في كل ايالة لاجل ترتيب وتأليف النظامات الجديدة ثم يصير تقديمها الى الباب العالي والباب العالي يتذاكر مع دولة روسيا في ذلك

المادة السادسة عشرة ان خروج عساكر روسيا من الارمنستان وارجاع تلك البلاد الى الدولة العلية يمكن أن يفضى الى المناقشة والاختلاف فيما بينهما فلن هذا يتعهد الباب العالي حالا باجراء اصلاحات على حسب الاحتياجات المحلية في الولايات التي سكانها أرمن وتأمين المسيحيين من تعدّي الاكراد والجراسكة

المادة السابعة عشرة ان الباب العالي سيعلم العقو العمومي عن المتهمين في الاحوال الاخيرة ويطلق سنبل المحبوسين والمنفيين بسبب ذلك

المادة الثامنة عشرة ان الباب العالي يتعهد بالتبصر بعين الدقة الى ما بينه وكلاء الدول المتوسطة في خصوص قضاء قوتور وتعيين الحدود الايرانية على الوجه التقطعي

المادة التاسعة عشرة ان مبالغ التضمينات الحربية التي طلبها حضرة قيصر روسيا هي في مقابلة الاضرار والخسائر التي تسببت لها دولة روسيا بسبب هذه الحرب والباب العالي قد تعهد بدفعها فن هاته المبالغ اولا ٩٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل في مقابلة مصروف العساكر والادوات الحربية والاشياء التي بليت واثانيا ٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل لاجل الاضرار الحاصلة في سواحل بلاد روسيا الجنوبية وفي اخراجات البضائع التجارية وفي طرق الحديد وثالثا ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل في مقابلة الضرر الحاصل من الهجوم على قوقاس ورابعا ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل لاجل الخسائر التي حصلت لتبععة روسيا المقيمين في الممالك العثمانية ولتأسيساتها فعلى ذلك تكون هذه المبالغ من حيث المجموع عبارة عن ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل (يعني ٣٩١ ٢١٧ ٢٤٥ ليرة عثمانية وريال مجيدي أبيض ونصف) هذا وان القيصر المشار اليه قد لاحظ ضيق حال الدولة العلية

من جهة المال وتامل في مقاصدها التي توّمت عنها في هذا الشأن ووافق بالقبول على أن تترك الدولة العلية الاراضى المحررة أسماؤها أدناه عوضاً عن القسم الاكثر من المبالغ المذكورة

أولاً لواء طولجى بمعنى قضاء كيلياوسنه ومحموديه وايساقجى وطولجى وماجين وباباطاغى وخرسوه وكوستنجه ومجيديه والجزائر السكائنة في نهر طونه قد تركتها الدولة العلية جميعاً الا ان الدولة الروسية ليس لها فكر بالحق هاته البلاد الى ملكها بل انها تحفظ حق مبادلة هذه البلاد بقطعة بساريا التي أخذت منها بموجب معاهدة سنة ١٨٥٦ فحدود قطعة بساريا من جهة الجنوب طرف من اراضى كيليا ومصب نهر الطونه والجهات التي يصطادون بها السمك في النهر يصير تفريقها بمعرفة مامورين من طرف روسيا ومن حكومة المملكتين في برهة سنة واحدة اعتباراً من تاريخ تعاطى هذه المعاهدة

ثانياً اردهان وقارص وباطوم وبيزيد مع الاراضى الحاوية عليها الى جبل صوغالى سيصير تسليمها الى دولة روسيا وحينئذ الحدود الفاصلة تكون هكذا أعنى يبتدىء الخط الفاصل من الجبال التي فيما بين المياه الجارية والمنصبية في نهري (هوبا) و(جورق) ويمر من الجبال المتسلسلة الواقعة في جنوب قضاء وارثوين ومن جوارق ريتى (والات) و(بشاك) ومن فوق (درونك) و(كفى) و(هوج زار) و(بجقن طاغ) ومن الجبال الفاصلة للمياه التي تحتلظ بنهرى (تورقم) و(جورق) ومن فوق قراء (بالى) و(هين) و(لم كليسا) الى أن ينتهى لنهر تورم ومن هنا يمر من سيورى طاغ ويتصل بقرية نريمان ويلتفت الى وجهة الجنوب حتى يصل الى (زوين) ومن زوين يمر من غربى طرى اردوست خراسان الى جنوب جبل صوغالى ويتصل بقرية (كياجمان) ومنها يمر من جبل (تريا) ومن قرية خمير ومن اون رست مسافه ومن تلال (طاندور) ومن جنوب وادى بايزيد وينتهى في الجهة الجنوبية من (قازلى كول) وهذا المحل هو الحد الفاصل قديماً فيما بين حدود اراضى الدولة العلية وارضى دولة ايران وان الاراضى التي صار الحاقها بممالك روسيا ومذكورة في الخريطة المربوطة لهذه المعاهدة يصير تعيين حدودها قطعياً بمعرفة مامورين من طرف روسيا ومامورين من طرف الدولة العلية وهما يلاحظان قواعد تخطيط الاراضى وقضية تامين حسن ادارة القصوات

ثالثاً ان الاراضى التي صار تركها لدولة روسيا كما هو مقرر أعلاه قد اعتبرت بمبلغ ٢٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل وأما الباقي من التضمينات وهو ٣٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل ماعداً ١٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل التي هي في مقابلة خسائر تبعة روسيا وناسياتها استتق دولة روسيا مع الدولة العلية على قضية دفعها وتامين ايقائها

رابعاً ان العشرة ملايين روبل التي تخصصت لتبعة روسيا ومؤسسانها يصير تسويتها هكذا أعنى ان سفارة روسيا في الاستانة تجري التدقيقات اللازمة بهذا الشأن على

مستدعيات أرباب العلاقة وتعرض الكيفية الى الباب العالى والباب العالى مجرى التسوية على مقتضى عرض السفارة

المادة العشرون **✽** ان الباب العالى يتعهد بأن يستعمل التدابير المؤثرة سريعاً في خصم الدعاوى المنازع فيها منذ سنين عديدة المتعلقة بقبعة روسيا وانه اذا اقتضى الامر يدفع تضمينات وينفذ احكام الاعلامات

المادة الحادية والعشرون **✽** ان أهالى البلاد التى تسلمت الى روسيا ان أرادوا الهجرة منها لهم أن يبيعوا أملاكهم وأراضيتهم ويهاجروا وقد أعطى لهم مهلة في ذلك ثلاث سنين من تاريخ تعاطى هاته المعاهدة فالذين لا يبيعون أملاكهم في هذه المدة ولا يهاجرون يدخلون في حكم روسيا عند انقضاء تلك المدة والأملاك الميرية والموقوفة يصير يبيعها على حسب الاصول التى يعينها مامور روسيا ومامور الدولة العلية في بحر السنين المذكورة وهما يتمان أيضاً كيفية نقل الادوات الحربية الموجودة في المحلات التى هي الآن في يد الروس سواء كانت من البلاد التى تسلمت الى دولة روسيا أو غيرها

المادة الثانية والعشرون **✽** ان النسيدين والزوار الذين يسكنون أو يسبحون في الممالك العثمانية في الروم الى والاناطول من تبعة روسيا سينالون الحقوق والامتيازات التى ينالها النسيسون والزوار من تبعة سائر الدول سوية وسفارة روسيا الكائنة في الاستانة وقناصلها يحمون حقوق الاشخاص المذكورة وذواتهم ومؤسستهم والرهبان وغيرهم الموجودين في الاماكن المقدسة وبالخصوص في (ابنوروز) فهم حائزون حقوقهم التى كانوا حائزين عليها في السابق ويحفظون الديورة الثلاثة الكائنة في (ابنوروز) مع مشتملاتها المتعلقة بهم كسائر الديورة والمؤسسات المذهبية الكائنة لغيرهم هناك سوية

المادة الثالثة والعشرون **✽** ان المعاهدات والمقاولات التى كانت موجودة فيما بين الدولة العلية وروسيا المتعلقة بالتجارة والمحاكمة وبتبعة روسيا المقيمين في بلاد الدولة العلية وتعلقت احكامها بسبب هذه الحرب ينبغي أن تجرى احكامها كما في السابق وان دولتي روسيا والعثمانية قد أعادوا المناسبات التى كانت قبل هذه الحرب في الامور التجارية وغيرها بمقتضى احكام المعاهدات والمقاولات المذكورة ما عدا المواد التى نسختها هاته المعاهدة

المادة الرابعة والعشرون **✽** ان خليج الاستانة وخليج جناق قلعه سواء كان في زمن الحرب أو زمن الصلح يكون مفتوحاً للسفن التجارية التى تريد المرور منه الى بلاد روسيا من الدول التى تكون على الحيادة والباب العالى ليس له من بعد هذا أن يضع الحصر الغير المؤثر على الشطوط الموجودة فيما بين البحر الاسود وبحر الازاق والمخالف لمضمون معاهدة باريس التى صار امضاؤها في ٤ ابريل سنة ١٨٥٦

المادة الخامسة والعشرون **✽** ان عساكر الروس يخرجون من بلاد الدولة العلية

السكائنة في أوروبا (الروم ايلي) ماعدا البلغارستان وذلك من تاريخ انعقاد الصلح القطعي الى ثلاثة أشهر هذا وان العساكر المذكورة لهم ان يأتوا الاسا كل الموجودة في البحر الاسود وبحر مرمرة عند السفر للركوب في السفائن التي تحضرها أو تستاجرها دولة روسيا حتى لا يكونوا مجبورين على تمديد مدة الاقامه في الممالك العثمانية وفي رومانيا وأما خروج عساكر روسيا من الاناطول فيكون بعد انعقاد الصلح القطعي بستة أشهر ولهم ان يأتوا الى طرابزون لاجل الركوب في السفن ومن هناك يسافرون الى القريم أو القوقاس

المادة السادسة والعشرون **ب** ان اصول الادارة والاوامر التي وضعتها دولة روسيا في البلاد التي دخلتها عساكرها والتي ينبغي تسليمها الى الدولة العلية بموجب هاته المعاهدة تكون باقية وجارية الى حين توجه العساكر منها وليس للباب العالي المشاركة في الاحكام ولا للعساكر العثمانية الدخول اليها قبل ذلك بناء على هذا فان أمير عساكر روسيا يخبر الضابط الذي يعينه الباب العالي عن سفر عساكر روسيا وليس للباب العالي ان يجري الاحكام من قبل ان تستلم له القلاع والايالات

المادة السابعة والعشرون **ب** ان الباب العالي لا يجازي أحداً بسوء من تبعته الذين دخلوا في المناسبات مع دولة الروسية في زمن الحرب وليس للمأموري الدولة العلية ان تمنع أو توقف أحداً من الاهالي الذين يرغبون ان يسافروا مع العساكر

المادة الثامنة والعشرون **ب** ان أسرى الحرب يصبرأرجاعهم تحت نظارة مأمورين مرتبين من طرف الدولتين وذلك عقب تعاطي مقدمات الصلح وهؤلاء المأمورون يسافرون الى اودسه وسيواستابول وأما مصروف أسراء العساكر العثمانية فتدفعه الدولة العلية في ظرف ستة سنوات على ثمانية عشر قسماً بموجب دفتر الذي يحرره المأمورون المذكورون وأما قضية مبادلة الاسرى فيما بين حكومتى رومانيا والصرب وامارة الجبل الاسود فيصير اجرائها على هذا الاساس الا انه يصير تنزيل العدد الذي تسلمه الدولة العلية من العدد الذي تستلمه من الاسرى

المادة التاسعة والعشرون **ب** ان خضرة امبراطور روسيا والخضرة السلطانية سينتتون هذه المعاهدة ووثائق التثبيت تكون معاطاتها في سان بطرسبورج بطرف خمسة عشر يوماً أو بوجه أسرع من ذلك ان أمكن وكذلك يجري التصديق رسماً على الشروط المذكورة في هذه المعاهدة على حسب الاصول الجارية في المعاهدات الصلحية ان الدولتين المتعاهدتين من تاريخ تعاطي المعاهدة يعدون أنفسهم رسماً بانهم متعهدون بان مرخصين الطرفين قد أمضوا هذه المعاهدة كما يأتي تصديقاً المضمونها

حرر في اياستفانوس في ١٩ شياط الرومي و٣ اذار (مارس) الافرنجي سنة ١٨٧٨

(محل الامضا)

كونت اغنائيف صفوت نليدوف سعدالله

ان معاهدة مقدمة الصلح التي صار امضاؤها في هذا اليوم اعني ١٩ شباط و٣ اذار سنة ١٨٧٨ قد حصل سهو بها في الجملة الاخيرة من المادة الحادية عشرة فلذلك زيدت العبارة الاتية واعتبرت جزءاً متمماً للمعاهدة المذكورة وهي (ان الذين يقيمون أو يسبحون في الممالك العثمانية من أهالي البلغارستان يكونون تابعين للقوانين العثمانية)
ايستفانوس في ١٩ شباط و ٣ اذار سنة ١٨٧٨

صفوت اغنائيف سعدالله نليدوف

ومن تأمل الى خريطة الدولة العلية يتضح له ان الروسية قد تحت تركيا أوروبا بأجمعها تقريباً من العالم السياسي ولم يبق للدولة بها إلا أربع قطع صغيرة لا اتصال بين ثلاثة منها إلا بطريق البحر ولا بين الثلاثة والرابعة إلا بطريق ضيقة تمر بين أراضي الصرب والجبل الأسود ولا يزيد اتساعها في بعض المواضع عن خمسة كيلو مترات بحيث يتيسر لاحدى الامارتين متع الجيوش العثمانية من المرور وقطع الطريق عليها كلية والقطعة الاولى هي مدينة الاستانة وضواحيها والثانية مدينة سلانيك والبحيث جزءاً من القرية منها والثالثة مكونة من بلاد ابيروس وجزء من بلاد الارنود والرابعة من اقليم البوسنة والهرسك وما بقي من أملاكها أعطى منه جزء للصرب وآخر للجبل الأسود وشكل الباقي بصفة اماره مستقله اداريا تسمى اماره بلغاريا تمتد من الطونه الى البحر الاسود شرقا وبحر الارخبيل جنوبا وتحيط بمدينة الاستانة من جميع جهاتها البرية وزد على ذلك ما اشترط من احتلال الجنود الروسية لبلاد بلغاريا مدة سنتين لاستتباب الامن بها

أما في آسيا فاخذت قلاع قارص وباطوم وبازيد الى حدود أرضروم تقريباً واعترف الباب العالي ضمن هذه المعاهدة باستقلال كل من الصرب والجبل الأسود ورومانيا استقلالاً سياسياً تاماً وبالتنازل لمملكة رومانيا عن اقليم الدبروجة مقابل سلب اقليم بساربيا من رومانيا وضمها الى الروسية لتنظيم حدودها حتى يكون كل من نهري البروت والطونه من ابتداء اتحاد البروت معه الى البحر الاسود قاصداً بين رومانيا والروسية ولم يراع في هذه التقسيمات صالح الامم المراد ساعها عن الدولة ولا حدودها بل أضافوا الى اماره البلغار بلاداً كثيرة أغلب سكانها من الاروام والصرب والى الصرب والجبل الأسود بلاداً بها كثير من الارنود المسيحيين والمسلمين ولذلك كان كل من هذه الامم غير راض عن هذه المعاهدة التي لم يراع فيها الا صالح سياسة الروسية وحرروا عدة مكاتبات موقع عليها من كثير من أعيانهم وارسلوها الى سفراء الدول طالين النظر في هذه المعاهدة وصون حقوقهم وكذلك كان الرأي العام الاوروبي ناقماً على الروسية لوجود اماره البلغار المراد انشاؤها محيطه بالاستانة من كل جهة مع انها عبارة عن ولاية روسية خصوصاً وان

جيشوها ستحتلها مدة سنتين وهيئات ان أخلتها بعد هذا الميعاد
أما انكلترا فكانت أكثر الدول تخوفاً من نتائج هذه المعاهدة لوجود عساكر الروسية
على مقربة من بوغاز البوسفور وخوفاً من ازدياد نفوذ روسيا في الهند بعد ظهورها على
الدولة العلية

ولذا كانت أشد معارضة من غيرها في معاهدة سان اسطفانوس وتودّ تعدلها رغماً
عن روسيا لتظهر أمام الهنود بمظهر القوة والباس ونفوذ الكلمة في أوروبا بما أن سلطانها
على بلاد الهند مبنية على الوهم أكثر من قوة السلاح ومعارضة النمسا كان سببها رغبتها
في مشاركة روسيا في بقايا دولة الاسلام بأوروبا باحتلالها اقليمى البوسنة والهرسك
ليكون لها بذلك سبيل في المستقبل الى الاستيلاء على ميناسلانيك الضرورية لها لعدم
وجود مين بحرية لمملكتهما سوى مدينة (تريسته) التي تدعى ايطاليا أجهتها فيها وتطمح
أنظارها الى احتلالها يوماً ما

أما ألمانيا فكانت مساعدة أديبا للروسيا ويقال انها عرضت على النمسا احتلال
البوسنة والهرسك برضا روسيا لسنها رفضت هذا الاحتلال ما لم يكن يقبل جميع الدول
اذ انها كانت ترى احتلالها لهما بدون رضا الباب العالي وباقي الدول يسبب لها عواقيل
كثيرة في المستقبل وكانت فراسا على الحيادة المطلقة لقرب انخراطها في حرب. البروسيا
وميلها الى السكون لتعويض ما فقدته من المال والرجال في هذه الحرب المشؤمة
وكذلك ايطاليا لم يكن لها صالح في هذه المسئلة ولا تودّ الاشتباك في حرب أوروبية
لقرب عهد تمام استقلالها وسعيها في تقوية وحدتها السياسية فيتضح من ذلك ان المعارضة
كانت منحصرة أولاً في انكلترا لاحقاً في الدولة العلية الاسلامية بل خوفاً على نفوذها
في الهند وثانياً في النمسا لعدم اشتراكها في منافع هذه المعاهدة

ولهذه الاسباب كانت انكلترا أول منبه للروسيا على ان كل شرط يتفق عليه بينها
وبين الدولة ويكون مخالفاً لنصوص معاهدة سنة ١٨٥٩ المبرمة في باريس أو يختص
بمنفعة عمومية أوروبية لا يعمل به الا بعد تصديق الدول الضامنة لمعاهدة باريس المذكورة
وكتبت بهذا المعنى الى الحكومة الروسية بتاريخ ١٤ و ٢٩ يناير سنة ١٨٧٨ أي
قبل التوقيع على الاتفاقيات التي أمضيت في مدينة أدرنه في ٣١ من الشهر المذكور بين
الدولة والروسيا وقبلت بكل الشرح اقتراح النمسا في ٥ فبراير القاضي باجتماع مؤتمر دولي
في مدينة بادن للنظر في اتفاقيات أدرنه كما سبق في موضعه

ثم في ٧ مارس دعت النمسا جميع الدول ثانية لعقد مؤتمر في مدينة برلين للغاية نفسها
واختارت برلين ليكون المؤتمر تحت رئاسة البرنس سمارك المعضد لها على احتلال البوسنة
والهرسك فقبلت الدول هذه الدعوة الا انكلترا فانها علقت قبولها على أن يكون من
اختصاص المؤتمر المزمع انعاده النظر في جميع بنود معاهدة سان اسطفانوس سواء كانت

مختصة بمنفعة عمومية أوروبية أولا وعارضت الروسية في هذا الاشتراط ودارت المخاضات بينهما والنمسا للتوفيق بين الطرفين واشتدت العلاقات بين روسيا وانكلترا وأخذت هذه تستعد للحرب وعينت اللورد نابيراوف مجدلاً قائداً عاماً للجيش البرية واللورد ولسلي (١) رئيساً لأركان حربيه وأمرت بجمع الرديف واستعداد المراكب الحربية واشترت أربع مدرعات كانت أوصت عليها بعض الدول في معاملها وجمعت أغلب سفنها الحربية في جزيرة مالطة لتكون على مقربة من الاستانة وكذلك أمرت باحضار عدد ليس بقليل من جيوشها الهندية الى هذه الجزيرة للغاية نفسها ذلك مادعا اللورد دري وزير الخارجية الى تقديم استعفائه بما انه كان ميلاً لسياسة الملاينة معارضاً لكل ما من شأنه ازدياد النفور بين دولته والروسيا خلافاً للورد بيكولسفيلد (٢) كبير الوزراء وباقي زملائه ولما قبل استعفاؤه عين اللورد سالسبورى وزيراً للخارجية وكان أشد الناس ميلاً لأكراه الروسية على تعديل معاهدة سان اسطفانوس ولو بالقوة لاضرارها بالمصالح الانكليزية وفي صبيحة تعيينه أى في اليوم الاول من شهر ابريل سنة ١٨٧٨ أرسل الى جميع سفراء انكلترا لدى الدول العظام منشوراً بين فيه مضار المعاهدة المذكورة وأوجه خللها وضرورة نظرها برمتها في مؤتمر دولي وكانت هذه النشرة سبباً لعدم نجاح مأمورية الجنرال اغناطييف في ويانه وكان أرسل اليها للسعى في الاتفاق مع النمسا على عدم اشتراكها مع انكلترا لو انتشبت الحرب بينها وبين الروسية بسبب معاهدة سان اسطفانوس وهي أى الروسية تعهد لها باعطائها اقليمى اليوسنه والهرسك فلما رأت النمسا من انكلترا هذا الثبات والاستعداد للحرب برأ وجرأ لم تحب مندوب الروسية بحجوب شاف حتى ترى ما تقضى السياسة الانكليزية بعرضه عليها فتتخاذل الى الفريق الذى تكون سياسته أكثر ملاءمة لمصالحها المخصوصى

وحينما وصل منشور اللورد سالسبورى الى سان بطرسبورج وعرض السفير الانكليزى صورته على الرئيس غورشا كوف أخذ يفكر في طريقة للتخلص من هذه المشكلة بدون وصول الى الحرب والقتال مع استمرار الاستعداد له اذا دعت الحاجة واكتتب كثير من البلديات وأغنياء الروس بل وعموم الاهالى بمبالغ زافرة لانشاء عمارة بحرية وتسليح المراكب التجارية بالمدافع للقبض على سفن انكلترا التجارية والاضرار بمصالحها ثم في ٩

(١) اللورد نابير هو الذى حارب طيودوس ملك الحبش وفتح حصن مجدلاً الشهير فأضيف الى اسمه تذكراً لانتصاره وأما اللورد ولسلي فهو الذى حارب المراكيين في التل الكبير واتصر عليهم في سبتمبر سنة ١٨٨٢ (٢) سياسي انكليزى شهير ولد سنة ١٨٠٥ واشتغل أولاً بتأليف الروايات ثم بالكتابة في الجرائد وأخيراً شرح للانتخاب فدخل مجلس العموم وامتاز فيه بالبراعة في الخطابة وكان من حزب المحافظين ثم دخل في الوزارة وعين وزيراً للمالية في سنة ١٨٥٢ و ٢٨٥٩ و ١٨٦٦ وصار رئيساً لحزب المحافظين بعد موت اللورد دري وعين رئيساً للوزارة في سنة ١٨٦٨ ثم خلفه غلادستون وعاد الى رئاسته ثانياً سنة ١٨٧٤ وبقي الى سنة ١٨٨٠ وحضر مؤتمر برلين في سنة ١٨٧٨ وتوفي سنة ١٨٨١ وصار بعده اللورد سالسبورى رئيساً لحزب المحافظين ولم يزل كذلك حتى الآن

ابريل أجاب البرنس غورشا كوف على لائحة السبوري بنشور أرسله الى جميع سفراء دولته لدى الدول العظام وكلفهم بتبليغه اليها في أقرب وقت وأرفق هذا المنشور بلائحة دحض فيها جميع اعتراضات اللورد سالسبوري على معاهدة سان اسطفانوس مراعيًا في ذلك صالح روسيا تاركًا باقي المصالح ظهريًا

وبعد ذلك انقطعت المخابرات وأخذ كل من الفريقين يستعد للحرب وأحضرت انكلترا الى مالطة عدة الأليات من الجنود وكانوا لم يسبق لهم الحضور لاوروبا قبل هذه الدفعة واشتغلت روسيا باخماد هييجان مسامي البلغار الذين أخذوا يؤذون كل من يعثروا به من جنود روسيا ويدافعون عن أنفسهم ضد تعديات مسيحيي البلغار وبقية بلونهم يمثل مايرتكبه البلغار يون معهم من أنواع التعدي والظلم اعتماداً على مساعدة الروس لهم ولاختماء هؤلاء الوطنيين في الجبال صعب على روسيا قمعهم فامتدت هذه الحركات الثورية الى جميع جهات البلغار وضواحي صوفيا الى حدود الصرب واستمر الحال على هذا المنوال الى أواخر شهر مايو والجنود الروسية محتلة جميع ضواحي الاستانة والمراكب الانكليزية أمامها من جهة البحر ولما أقبل فصل الصيف فشبت الامراض بين عساكر العدو ومات منهم عدد كثير فلتهذه الاسباب ولنضوب خزينه الروسية وعدم امكانها احتمال هذه الحالة التي وان لم تكن حالة حرب بالمره فلم تكن أيضاً حالة سلمية ولمناسبة اشتداد المرض على البرنس غورشا كوف وزير الروسيا الأول استقل الامبراطور بسياسة بلاده وكتب الى خاله غليوم الأول (١) امبراطور ألمانيا بالثابة على التوسط بينه وبين انكلترا للوصول الى وضع حد لهذه الحالة الصعبة التي لو استمرت لعملت الروسية على شفا الافلاس وأوعز الى المسيو شوفالوف سفيره بلوندره بأن يفتح اللورد سالسبوري بأنه مستعد للتساهل مع انكلترا مبدئياً في نظر جميع بنود معاهدة سان اسطفانوس الا أنه يود أن يعلم قبلاً ما تريد انكلترا ادخاله عليها من التعديلات حتى تكون على بينة من الامر قبل ارسال مندوبها الى المؤتمر فجددت المخابرات وانقشعت الغيوم المتراكمة في جو أوروبا السياسي وبعد أن توجه المسيو شوفالوف الى سان بطرسبورج للمفاوضة مع أرباب السياسة هناك وعرض طلبات انكلترا عليهم شفاها اذ أن المكاتبات ربما تكون نتيجة تأخير هذه الحالة السيئة عاد الى لوندره وفي ٣٠ مايو سنة ١٨٧٨ تم الاتفاق بين هذا السفير

(١) ولد هذا الامبراطور سنة ١٧٩٧ وعين وصياً على أخيه فريدريك غليوم الرابع حين أصيب بضمف قواه العقلية سنة ١٨٥٧ ثم عين ملكاً على بروسيا بعد موت أخيه المذكور في سنة ١٨٦١ وحارب بالأمم لك سنة ١٨٦٢ وللمسا سنة ١٨٦٦ وانتصر عليها في واقعة (سادوا) وفي سنة ١٨٧٠ حارب فرنسا الحرب المشهورة وفاز على نابليون الثالث في سيدان في أول سبتمبر سنة ١٨٧٠ وفي ١٨ يناير سنة ١٨٧١ توج امبراطوراً على ألمانيا بسراي فرساي بضواحي باريس أثناء حصار هذه المدينة وفي اكتوبر من السنة المذكورة أمضى معاهدة فرانكفورت التي أخذ بمقتضاها إقليمي الاراس واللورين وكان من أكبر مساعديه في هذه الامور البرنس دي بهمارك والدوك دي مولتك وتوفي سنة ١٨٨٨

واللورد سالسبورى على ما تريد انكثرا ادخاله على معاهدة سان اسطفانوس من التعديلات وحررت بذلك لائحة أمضى عليها الفريقان وأضيف عليها ذيل بناء على طلب النمسا الى سبق عرض هذا الاتفاق عليها قبل التوقيع عليه و يظهر من الاطلاع على هاتين الورقتين الرسميتين أن انكثرا صادقت على أهم شروط معاهدة سان اسطفانوس وقبلت تشكيل اماره البلغار الجديدة بعدد قليل مساحتها وتشكيل الجزء الجنوبى منها بهيئة ولاية مستقلة تقريبا لا تلبث أن تنضم الى اماره البلغار وأبقت سواحل بحر الروم تابعين للدولة العلية بما فيها مدينة قوكة خوفا من أن تتخذها روسيا مع الزمن مرسى لمراكبها وهو الامر الذى تسعى انكثرا جهدها فى منعه حفظا لسيادتها على البحار

احتلال انجلترا
لجزيرة قبرص

لكنها مع ذلك لم تكن مطمئنة البال من ناحية البلبال من قوة روسيا بل لم تنزل تخشى تقدمها نحو الاستانة مرة أخرى أو نحو بلاد الاناطول فتتملك منابع نهري القرات والدجلة ثم تسير شيئا فشيئا الى الجنوب متبعة بجري هذين النهرين العظيمين فتصل الى بغداد فالبحيرة فخليج فارس الموصل لبحر الهند ولذلك ظهرت للدولة العلية في مظهر الصديق المخلص وكتبت الى الميسيو (ليارد) سفيرها بالاستانة فى أعمال الفكرة للوصول الى اقناع الباب العالي بوجود ابرام معاهدة دفاعية مع حكومة انكثرا لصعد روسيا لو تقدمت نحو بلاد الاناطول ويتمهد الباب العالي لحكومة جلالة المملكة باجراء الاصلاحات اللازمة لتحسين حال المسيحيين بهذه الجهات حتى لا يميلوا للروسيا ولا يقبلوا عساكرها بصفة منقذين كما حصل فى بلاد البلغار وأن تسمح الدولة العلية لانكثرا باحتلال جزيرة قبرص وإدارة شؤونها لتكون على مقربة من حدود روسيا ويتسنى لها صد هجوماتها لو مست الحاجة وتعدت الجيوش الروسية الحدود التى ستحددها فى مؤتمر برلين المزمع انعقاده قريبا فقام المستر ليارد بهذه المأمورية ووربما كانت ابتدأت المخبرات بهذا الشأن قبل ذلك حتى لم يأت يوم ٤ يونيو سنة ١٨٧٨ الذى تولى فيه صفوت باشا منصب الصدر العظمى كما مرفى موضعه الا وتم الاتفاق على هذه المعاهدة الدفاعية وقبل الباب العالي تسليم انكثرا جزيرة قبرص غنيمة باردة اعتماداً على وعد هيات أن تقوم به انكثرا لو دعت الضرورة الا ان وجود الاضطراب بالاستانة والخوف من احتلال الروس وظروف الحال هوت على الدولة قبول هذا الاقتراح وتضحية هذه الجزيرة رغبة فى حفظ باقى أملاكها وتعديل معاهدة سان اسطفانوس بكيفية أرجح اصالحها أما صالح انكثرا فى احتلال هذه الجزيرة فظاهر لمن له أقل اطلاع على الماكرات السياسية وسياسة انكثرا الاستعمارية وعلى موقع الجزيرة المذكورة فلا يخفى أن الهند بالنسبة لانكثرا بمنزلة الروح من الجسد وسياستها دائرة على حفظ هذه المستعمرة من التمدى وحفظ الطرق المؤدية لها فاحتلالها اقليم رأس الرجاء الصالح فى طرف أفريقيا الجنوبى صارت آمنة على هذا الطريق وان

كانت بعيدة لكن لما كانت طريق مصر والسويس أخصر الطرق الموصلة لهندها
العزيرة احتلت بوزار جبل طارق فسادت على الجزء الغربي من البحر الأبيض المتوسط
ثم باحتلالها جزيرة مالطة سادت على الجزء الأوسط منه وكان إذاً من الحتم عليها احتلال
أحدى النقط المهمة في شرق هذا البحر لتسود عليه من جميع أطرافه وتجعله بحيرة
انكليزية ولما رأت ارتباك الدولة العلية بعد هذه الحرب التي كان يمكن لدول أوروبا
منعها لو اتبعوا نصوص معاهدة باريس وكانوا لها مخلصين أرادت انتهاز هذه الفرصة
العديدة الماثلة لاخذ هذه الجزيرة لتكون على مقربة من بوزار السويس واسكندرية
مصر من جهة وليمنا اسكندرونه التي في عزمها انشاء خط حديدى منها الى خليج فارس
لتنقيص المسافة بينها وبين مستعمراتها الهندية من جهة أخرى وقد تم لها ذلك بحسن
سياستها وحذق رجالها واحتياج الدولة لمساعدتها في هذه الظروف الخطيرة ولم تحدد
انكارتا في هذا الاتفاق ميعاداً لجلأها عنها ثم في أول يوليو أثناء انعقاد مؤتمر برلين انفتحت
انكارتا مع الباب العالي على اضافة ذيل الى اتفاق ٤ يونيو بين فيه كيفية ادارة الجزيرة
والخراج الذى يدفع عنها وحددت أجل خروجها منها تحديداً جعلت به احتلالها أبدياً
اذ انها علقت خروجها منها على خروج الروسيا من مدينتى باطوم وقارص اللتين أضيفتا
الى أملاك الروسيا اضافة قطعية فصار احتلال قبرص بذلك احتلالاً قطعياً ومع
ذلك أى ضمان لدى الدولة العلية على خروج الانكاز من قبرص لوأخلت الروسياها تين
المدينتين أو احدهما مع استحالة ذلك تقريباً واليك نص معاهدة ٤ يونيو سنة ١٨٧٨
تقلاً عن مجموعة الجواب

لما كان كل من ملكة مملكة بريطانيا وارانده المتحدة وامبراطورة الهند وجناب
السلطان المعظم متصفين بينهما بالمقاصد الودادية لاحكام وتوسيع العلاقة الحبية
السكانة الآن بين السلطنتين جزماً بعقد معاهدة دفاعية لتأمين الاراضى في آسيا
(الاناطول) فيما بعد الى تخص الحضرة العلية السلطانية وبناء على هذه الغاية اتخبا
وعينا المرخصين الاتى ببيانها

عينت ملكة مملكة بريطانيا وارانده المتحدة وامبراطورة الهند حضرة الانور ايل
وستين هنرى ليارد سفيرها الاعلى لدى الباب العالي
وعينت الحضرة العلية السلطانية حضرة دولتو صفوت باشا ناظر الخارجية للدولة
العلية

وبعد ان أظهر كل منهما المحررات المرخصة لهما في اجراء هذه المصلحة ووجدت
مطابقة للاصول اتفقا على المواد الاتية
﴿ المادة الاولى ﴾ اذا كانت الروسيا تستولى على باطوم أو أردهان أو قارص أو احدها
وأرادت بعد ذلك أن تستولى على بعض الاراضى السكانية في آسيا التابعة للحضرة السلطانية

كما تقرر أمرها في المعاهدة الصلحية الباتة فان انكاثرا تتعهد بان تتحد مع الحضرة العلية السلطانية لحماية تلك الاراضى بقوة السلاح وفي مقابلة ذلك تعدها الحضرة السلطانية انكاثرا بان تجرى في ممالكها الاصلاحات اللازمة التى سيحصل الاتفاق بعدها بينهما على كيفية اجرائها وان تحمى المسيحيين وغيرهم من رعيتهما القاطنين فى بلادها ولغاية تمكن انكاثرا من اتخاذ الوسائط والتدابير اللازمة لاجراء ما تعهد به رضى السلطان المعظم بان انكاثرا تستولى على جزيرة قبرص وتدير أمورها

المادة الثانية * تجديد امضاء هذه المعاهدة من طرف الدولتين المذكورتين يكون بعد تاريخ امضاء هذا بشهر واحد أو أقل اذا أمكن وقد صابر امضاء هذه المعاهدة وختمها في قسطنطينية في الرابع من شهر جون الافرنكى من سنة ١٨٧٨
الامضاء ١ . ٥ . ليارد

صفوت

قد حصل الاتفاق بين كل من الانورابل سراسقن هنرى ليارد وحضرة فخامتلو دوللو صفوت باشا المصدر الاعظم للحضرة العلية السلطانية حالة كونهما مرخصين من دولتهما على تعديل المعاهدة المذكورة التى أمضيت في ٤ جون سنة ١٨٧٨

صار من المعلوم بين الدولتين المذكورتين بان دولة انكاثرا رضيت بالشروط الاتية فيما يتعلق بالاستيلاء على قبرص وادارتها

* أولاً * يبقى في الجزيرة محكمة شرعية يناط لعهدها النظر في متعلقات المصالح الدينية التى تخص مسلمى الجزيرة لا غير

* ثانياً * ان نظارة الاوقاف بالاستانة تعين أحد المأمورين المسلمين ليقم في الجزيرة لينظر باتفاقه مع مأمور تعينه دولة انكاثرا على ادارة الاملاك والعقارات والجوامع والمساجد والمقابر والمدارس والمكاتب وغيرها من الادارة الدينية في الجزيرة

* ثالثاً * ان دولة انكاثرا تدفع الى الباب العالى الزائد من ايراد الجزيرة بعد أداء مصاريفها وهذه الزيادة تعتبر بمناسبة الزيادة التى تحصلت في الجزيرة في السنين الخمس الماضية وقدرها سنوى ٢٢٩٣٦ كيساً (١١٤٦٨٠ ليرة عثمانية) ويعد هذا يبلغ في تحقيقها ويستثنى من ذلك ايراد الاملاك الميرية التى تباع أو تؤجر في المدة المذكورة

* رابعاً * يسوغ للباب العالى أن يبيع أو يؤجر بدون مانع الاملاك أو الاراضى وغيرها من العقارات التى هى أملاك ميرية أو أملاك هابونية التى ايرادها غير داخل ضمن ايراد الجزيرة

* خامساً * يسوغ للمأمورى دولة انكاثرا في الجزيرة أن يشتري اجبراً بأسعار مناسبة الاراضى أو الاملاك التى يرون شراءها لازماً لاجراء أشغال نافعة

سادساً (٦) اذا كانت روسيا تميدالى تركيا قارص أو بقية الجهات التي انتصرت عليها ودخلت في حوزتها في ارمينيا في الحرب الاخيرة تخلى انكارتاجزيرة قبرص فتكون المعاهدة المذكورة الممضاة في ٤ جون منسوخة وملغاة الاجراء تحريراً في قسطنطينية في ١ جولاي (تموز) سنة ١٨٧٨ .
الامضا ا . ه . ليارد

صفوت

ومن الغريب ان خبر هذه المعاهدة لم يشع الا في ٧ يوليو لما أشرفت أعمال مؤتمر برلين على النهاية وكتبت انكارتا خبرها بكل اجتهد ولم تعرضها على البرلمان الا بعد ان تحققت ان العلم بها أصبح لا يضرب سير مداولات المؤتمر ولا يتسبب لملندوي الدول الاعتراض عليها خوفاً من انقصام عرى المؤتمر ورجوع الامور الى ما كانت عليه من الشدة واقتراب الحرب وكذلك أخفت الاتفاق الذي أمضى بينها وبين روسيا في ٣٠ مايو الى ان اجتمع المؤتمر كما سيأتي

هذا ولما أبلغت انكارتا الرئيس بسمارك انها قد اتفقت مع روسيا ولو لم تطلعه رسمياً على صورة الاتفاق دعا بسمارك كافة الدول العظام تلغرافياً في ٣ يونيو سنة ١٨٧٨ لارسال مندوبهم للاجتماع في برلين في يوم ١٣ يونيو وأجابت الدول بالقبول في اليوم نفسه أو في صبيحة اليوم التالي واشترطت فرنسا في قبولها عدم تعرض المؤتمر للمسائل التي لم ينص عنها في معاهدة سان اسطفانوس وخصصت بالذكر القطر المصري وبلاد الشام وفي يوم ١٣ يونيو انعقد المؤتمر تحت رئاسة الرئيس دي بسمارك وعضوية كل من السياسيين المذكورة أسماؤهم في أول المعاهدة وأرسلت بعض الامم ذوات الشأن مندوبين من طرفها لتقديم طلباتها ورغباتها الى المؤتمر ولو لم يكن مصرح لهم بحضور الجلسات الا اذا طلبوا للاستفتاء منهم عن بعض أمور تخص من أرسلهم فأرسلت حكومة رومانيا الميسو براسيانو والمسيو كوجولنيسيانو وأرسلت الصرب الميسورستيش وأتاب أمير الجبل الاسود الرئيس بيتروفتش والمسيورادوفتش وحكومة اليونان الميسو دلياني والمسيو رنجاني وكذلك طاقم الارمن واليهود وشاه العجم الذي أرسل الى برلين أحد سفراء دولته ليدافع عما قرر اعطاؤه اليه في معاهدة سان اسطفانوس

وفي أول جلسة قدّم مندوبو الدول العظام الاوراق المؤذنة بتعيينهم وقرر المؤتمر بعض الاجراءات الابتدائية مثل تعيين الكتبة وكاتب السرّ وحافظ الاوراق الى غير ذلك ثم توالى جلساته الى يوم ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ أي مدة شهر كامل انعقد المؤتمر في خلاله عشرين مرة وليكون المطالع على بيئة مما حصل في هذه الجلسات نذكر له ما حصلت فيه المدة في كل جلسة من الامور المطروحة أمامه بكل اختصار
في الجلسة الاولى عين الرئيس وباقي موظفي المؤتمر وتليت بعض خطب شكروثناء وطلب

في آخرها اللورد بيكونسفيلد أن تسحب روسيا عساكرها من ضواحي الاستانة فعرضه
البرلس غورشاكوف وطلب السحاب الدونامة الانكليزية أولاً من مياه البوسفور
واشتد الخلاف بينهما اشتداداً أكاد يفضي الى عدم نجاح المؤتمر لولا تدخل البرلس بشارك
بمحكمته وتفرير ان هذه مشكلة يجب الاتفاق عليها بين روسيا وانكلترا خارجا عن المؤتمر
فانتهى الاشكال ويظهر انه لم تحصل مكالمة بهذا الشأن فيما بعد لقاء الجيوش والدونامة
في مركزيهما وفي الجلسة الثانية المنعقدة في ١٧ يونيو عرض المركز دي سالبوري على
المؤتمر قبول مندوبي اليونان وتنوقش في حدود امارة البغار
وفي الجلسة الثالثة المنعقدة في ١٩ منه تنوقش في مشكلة قبول مندوبي اليونان في
المؤتمر

وفي الرابعة والخامسة والسادسة المنعقدة في ٢٢ و ٢٤ و ٢٥ منه استمرت المناقشة
في مشكلة البغار
وفي السابعة المنعقدة في ٢٦ منه تمت المناقشة في مشكلة البغار وتنوقش في حدود
الصرب

وفي الثامنة المنعقدة في ٢٨ منه تداول المؤتمر في احتلال دولة اوستريا والمجر لولاقي
البوسنة والهرسك وتوسيع حدود الصرب والجبل الاسود
وفي التاسعة المنعقدة في ٢٩ منه حصلت المداولة فيما يختص بمملكة اليونان والولايات
اليونانية الباقية للدولة العلية وولاية الرومللي الشرقية
وفي العاشرة المنعقدة في أول يوليو استمرت المناقشة في الرومللي الشرقية
وفي الحادية عشرة المنعقدة في ٣ منه تداول المؤتمر في حرية الملاحة في نهر الطونة وفيما
يختص بالحصون والمعازل القائمة على ضفتيه وفي الغرامة الحربية
وفي الثانية عشرة المنعقدة في ٤ منه اعترض مندوبو الدولة العلية على احتلال دولة
اوستريا والمجر لاقليمي البوسنة والهرسك وتحددت امارة الجبل الاسود واستمرت
المداولة بمسئلة نهر الطونة واجددت المناقشة في مسائل الطوائف الدينية الغير اسلامية عموماً
ومسئلة الارمن خصوصاً

وفي الجلسة الثالثة عشرة المنعقدة في ٥ منه تداول المجلس في توسيع حدود مملكة
اليونان وبقاء امتيازات قبائل المرديت

وفي الرابعة عشرة المنعقدة في ٦ منه تنوقش في وجوب قبول مندوب العجم وسماح
أقواله وفي حدود روسيا من جهة آسيا وفي مسئلة الارمن والبولغازات (البوسفور
والدردينيل) وجلاء العساكر الروسية عن الولايات المحتلة لها بوزروبا وآسيا وفي البند الخامس
عشر في معاهدة قسان اسطفانوس المختص بالاصلاحات المراد اجراؤها لتحسين حالة المسيحيين
الباقين تحت حكم سلطان العثمانيين

وفي الجلسة الخامسة عشرة المنعقدة في ٨ منه تداول المؤتمر في وجوب تنازل الدولة العلية عن وادى قوتور لبلاد العجم وتم اتفاق أعضائه على مسئلة الارمن وتحددت تخوم رومانيا والصرب والبغار والروملى الشرقية واستمرت المناقشة في مسئلة الطوائف الغير اسلامية الاخرى وتبودلت الآراء في الطرق الواجب اتخاذها لتنفيذ قرارات هذا المؤتمر وفي الجلسة السادسة عشرة المنعقدة في ٩ منه استمرت المداولة في اعطاء قوتور للعجم وفي طرق تنفيذ قرارات المؤتمر وتنوقش في تحديد سنجق صوفيا وفي كيفية تحرير المعاهدة النهائية

وفي الجلسة السابعة عشرة المنعقدة في يوم ١٠ منه تحددت تخوم الروسيا في جنوب باطوم وحصلت المسكلمة في اخلاء الاراضى الباقية للدولة من الجيوش الاجنبية وغرض مشروع قاض يجعل مضيق شبيكا المشهور حراً غير تابع لدولة أو امارة ليقام فيه بناء لدفن كل من قتل فيه من الجنود وحددت المداولة في الطرق الضامنة نقاذ هذه القرارات وتلى جزء من مشروع المعاهدة المراد التوقيع عليها

وفي الجلسة الثامنة عشرة المنعقدة في يوم ١١ منه استمرت المداولات في طرق تنفيذ المعاهدة وتلى جزء من مشروعها وتحددت تخوم الروسيا من جهة آسيا وسمعت اقتراحات انككارا بالنسبة لبوغازى البوسفور والدردنيل وتبودلت الآراء فيما كانت تدفعه الصرب ورومانيا من الجزية النقدية وفي توزيع دين الدولة العلية العمومى وفي ارسال لجنة أوروبية لتسكين الثورة في البغار

وفي الجلسة التاسعة عشرة المنعقدة في يوم ١٢ منه تلى جواب الروسيا على اقتراحات انككارا المختصة بالبوغازين وتمت تلاوة المعاهدة

وفي الجلسة المتممة للعشرين المنعقدة في يوم ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ الموافق ١٠ رجب سنة ١٢٩٥ وقع جميع المندوبين على صورة المعاهدة النهائية وكان توقيعهم باعتبار ترتيب حروف المعجم الفرنسى من أول اسم كل دولة من الدول العظام بان وقع أولا مندوبو ألمانيا ثم النمسا والمجر ثم فرنسا ثم بريطانيا العظمى ثم إيطاليا ثم الروسيا ثم الدولة العثمانية وقد جمعت محاضر هذه الجلسات باجمعها ونشرت في الكتاب الازرق الانكليزى في مجلد لا ينقص عدد صفحاته عن ٢٥٠ فعلى من أراد الوقوف على ما حصل فيها تفصيلا من المناقشات والمداولات الاطلاع عليها حيث يجد بها ما يشفى غليله ويقف على آراء الدول أجمع فيما يختص بالمسألة الشرقية واليك نص معاهدة برلين تقلا عن مجموعة الجواب

﴿ بسم الله القادر على كل شيء ﴾

لما كان حضرة سلطان العثمانيين وحضرة ملك مملكة بريطانيا العظيمة وارانده وامبراطورة الهند وحضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وحضرة امبراطور اوستريا

وملك بوهيميا وملك هنكاريما وحضرة رئيس جمهورية فرنسا وحضرة ملك ايطاليا وحضرة امپراطور جميع روسيا يريدون لاجل اقرار الراحة العامة في اوربا انتهاء المسائل التي ظهرت في الشرق بسبب تقلبات الاحوال فيها في هذه السنين الثلاث وبسبب الحرب التي أعقبتها معاهدة ايسطفانوس استقر رأيهم جميعاً على عقد مؤتمر يكون أحسن الوسائل لاجل الاتفاق بحسب ما تقرّر في معاهدة ايسطفانوس وبناء على ذلك عينت الدوات الملكية المشار اليهم وحضرة رئيس جمهورية فرنسا مرخصين وهم

حضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى وارلانده وامپراطورة الهند عينت الاونورابل بنيامين دزرائيلي الذي هو كبير وزراء انكلترا والاونورابل روبرت ارثر تالبت حاكمون سيسل مركز سالبوري الذي هو ناظر خارجية انكلترا والاونورابل لورد اودولم ليوبولد رسل الذي هو سفير من الطبقة الاولى لانكلترا الذي حضرة امپراطور جرمانيا وملك روسيا

وعين حضرة امپراطور جرمانيا وملك روسيا البرنس بسمارك كبير الوزراء في روسيا وبرنارد ارلست دو بولوى مستشار الخارجية والبرنس هو هنلوه شلنغفورست سفير المانيا لدى رئيس جمهورية فرنسا

وعين حضرة امپراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكاريما السكونت اندراسي وزيره الخاص ووزيره في الامور الخارجية والسكونت لويس كاروليني سفيره لدى امپراطورة جرمانيا وملك روسيا والبارون هنري دوهايمول سفيره لدى ملك ايطاليا وعين حضرة رئيس جمهورية فرنسا موسيو وليم هنري وادنجنون أحد أعضاء مجلس الاعيان ووزيره في الامور الخارجية وشارلس رايغوند كونت دوصان فاليه من أعضاء مجلس الاعيان وسفير فرنسا لدى امپراطور جرمانيا وملك روسيا وفيلكس ديسيرز المكلّف بادارة الامور السياسية في دائرة الخارجية

وعين حضرة ملك ايطاليا السكونت لويس كورتى أحد أعضاء مجلس الاعيان ووزيره في الامور الخارجية وادورد كونت دولوني سفيره لدى امپراطور جرمانيا وملك روسيا وعين امپراطور جميع روسيا البرنس الكسندر غورجيوف وزيره في الامور الخارجية والسكونت دوشوفالوف من قرناء الحضرة الامپراطورية ومن أعضاء المجلس الخاص وسفيره لدى دولة بريطانيا وبول دو بريل سفيره لدى امپراطور جرمانيا وملك روسيا وعين حضرة سلطان النمانيين الكسندر قره تيودوري باشا وزيره في الامور النافعة ومحمد علي باشا المشير في عساكره وسعد الله بك سفيره لدى امپراطور جرمانيا وملك روسيا فاجتمعوا في برلين بحسب اشارة دولة اوستريا وهنكاريما وبموجب استدعاء دولة جرمانيا ومعهم سائر الحشرات المؤذنة بالتزخيز فبعد ان وجدت مطابقة للاصول وقع بينهم الاتفاق على المواد الاتية

المادة ١ ✻ صارت الآن البلغار امارة مستقلة في أمورها الداخلية (ادارة مختارة) تدفع خراجا في كل سنة الى الباب العالي وتكون تحت تابعة الحضرة السلطانية ويكون لها حكومة مسيحية وعساكر وطنية

المادة ٢ ✻ تكون امارة البلغار عبارة عن الاراضي الاتي ذكرها وهي ان حدود تلك الاراضي من جهة الشمال تبتدىء من حدود الصرب القديمة وتمر عن يمين ساحل نهر الطونة وتنتهي الى محل في شرق سيلستريا وهذا المحل سيصير تعيينه من طرف المؤتمر الذي يشكل من مأموري دول أوروبا ومن هنا أيضاً يتصل الخلف في البحر الاسود ويمر من جنوب منقاليا التي صار الحاقها برومانيا أما من جهة الجنوب فانه يبتدىء من مصب النهر ويمر من جوار القرى المسماة (هوجه كوى) و(سلامكوى) و(ابواجق) و(قوليه) و(صوجليق) على شاطئ النهر الى جهة فوق المحاذية لوادى (قاججق) ومن جنوب (بليه) و(كججاق) على بعد من (جشك) مقدار متين ونصف وتجاوز (دلى قاججى) ويمر من شمال (حاججى محله) ويصعد الى ذروة المحل الكائن فيما بين (تيكناك) و(ابدوس بره سا) ومنه الى بلقان قرين اباد (وبلقان) (وبره زويقه) ومن بلقان (قرغان) الواقع في شمال المحل المسمى (قوتل) الى أن يتصل بمحل (تيمورقبو) وعلى هذا يكون مروره من سلسلة البلقان الكبير الاصلية ويمتد على جميع مساحته الى أن ينتهى الى ذروة (قوز يقه) ومن هنا يترك ذروة البلقان ويلتفت الى جهة الجنوب ويسير من بين قريتي (بيرتوب) و(دوزنجي) ويغادر قرية (بيرتوب) المذكورة الى البلغار وقرية دوزنجي الى شرق الروم ايلي ويتصل بنهر (طوزلى دره) ويسير مع مجرى النهر الى مصبه في نهر (طوبولينجه) ثم الى نهر (اسموسكيو) الذي يصب في نهر طوبولينجه المذكور بجوار قرية (بثريجوه) ويترك من الاراضي الكائنة في نهر اسموسكيو المذكور مقدار كيلو متر و ٢ الى شرق الروم ايلي ويمر من مقسم المياه فيما بين اسموسكيو ونهر (قامنيقه) ويلتفت الى الجنوب الغربى من التل المسمى (وونجاق) وينتهى رأساً الى النقطة المذكورة في خريطة أركان حرب دولة اوستريا عدد ٨٧٥ ومن هنا يقطع بخط مستقيم الجهة العليا من وادى اتمان ويمر من بين بوغدينه و(قرهولى) ويتصل بالخط في مقسم أنهر المريج فيما بين اسقر وقرلى وحاجير ويسير مع الخط المذكور من تلال و(لنيا) و(موغيل) الى الممر الواقع في نقطة عدد ٥٣٩ الى المحلات المسماة (ازمايلقا) و(رهوسومنايتقه) ويدخل من بين (سيورى طاش) و(قادرته) ويتصل بحدود لواء صوفيه ومن هنا يبتدىء من (قادرته) الى جهة الجنوب الغربى ويمر من بين نهر قره صو ونهر (استروماقره صو) ويسير مع خط مقسم المياه ومن تلال الجبال المسماة (تيمورقبو) و(اسقوفنيه) و(قاضي مسار بلقان) و(حاججى كدك) تجاه بلقان قابتنبيق ويتصل بحدود لواء صوفيه القديمة وكذلك يمر من بلقان قابتنبيق المذكور ومن بين وادى (ريلسقارقا) ووادى (بسقارقا) ويسير مع خط

مقسم المياه ويدورتل (ودينجه بلانينا) وينزل الى وادى (استروما) فى المحل الذى يحتلظ به نهر استروما مع نهر ريلستارقا ويدع قرية (براقل) للدولة العلية وبصعد من جنوب قرية (بلشيتنه) الى فوق ويمر من أقصر خط الى سلسلة (غولما بلانينا) وتل (غيتنه) ويتصل بحدود لواء صوفيه ويترك كامل منشأ صوهارقا للدولة العلية ويلتفت الى جهة الغرب من جبل (رجينقا) ويدور جبال قارونايابوقا وحدود لواء صوفيه القديمة من جبل (قرنى وره) ويمر من فوق مياه (اكريصو) و (لبنيقه) ويطلع الى تلال (بابنا بولانا) حتى ينتهى أيضاً الى جبل قرنى وره المذكور ومن هذا الجبل يمر من تلال (استرز) و (ويله غوصو) و (مسيد بلانينا) ومن بين (اوستروما) و (موراوه) مع خط مقسم المياه الى غاسينا وقرنه طراوه ودار قوسقه ودرانيقه بلان وبمدها من فوق دوشاقلا داق ومن مقسم أنهر صوقوه وموراوه وينذهب رأساً الى المحل المدعو (استول) ومن هنا ينزل الى الطريق الموصلة الى صوفيه وبيروته ويقطع فى هذه الطريق ألف متر ومنه عن طريق ويدليا بلانينا ويصعد على خط مستقيم الى جبل (رادوجينا) الكائن فى سلسلة البلقان الكبير ويترك قرية دوقينجى الى صربستان وقرية (سناقوس) الى البلغار ثم يلتفت الى جهة الغرب ويدور تلال البلقان المسمى (سبروق) من صوب استاره بلانينا ويتصل بشرق حدود اماره الصرب القديمة بجوار (تولا اسميلوه قوفه) ويسير على هاته الحدود حتى ينتهى الى نهر الطونه عند (راقويجه) ثم ان هذه الحدود جميعها سيصير تعيينها بمعرفة لجنة مركبه من وكلاء الدول الممضيه على المعاهده وحصل الاتفاق أولاً على ان هاته اللجنة تنظر بالاعتناء فى خصوص محافظه حدود بلقان شرقى الروم ايلي السكان تحت سلطه الدولة العلية وثانياً أن لا يصير انشاء استحكام فى أطراف (صاقو) بمسافة ٢٠ كيلو متر

المادة ٣ * يكون انتخاب أمير البلغار من أهلها بحرية تامة وإقرار الباب العالى برضى دول أوروبا العظام ولا يصح انتخاب أمير عليها من بيوت الدول المذكورة فإذا توفى عن غير ولد يكون انتخاب أمير بعده على الشروط والاصول المقررة

المادة ٤ * بعد انتخاب الأمير تجتمع أعيان البلغار بين فى طرنوى لترتيب أحكام ونظامات تخص الامارة وفى الجهات التى يكون سكانها من الترك وأهل رومانيا والروم وغيرهم يلزم مراعاة حقوقهم ومصالحهم فيما يتعلق بقضية الانتخاب وترتيب الاحكام الاساسية

المادة ٥ * المواد الاتية تكون أساساً للحقوق العمومية فى البلغار وهى ان الاختلاف فى المذاهب والاعتقادات لا يخرج أحداً من الاهلية والجدارة من تمتعه بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله فى الوظائف الميرية أو العمومية ونواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة - كيفما كان مقره فان الحرية أو مباشرة جميع الاعمال الدينية ينبغى تأمينها لجميع الناس القاطنين فى البلغار من أهلها ومن الاجانب

أيضاً ولا يسوغ اتخاذ مانع ما لترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو لملاقمتهم مع رؤسائهم الروحانيين

المادة ٦ * تكون ادارة (البلغار المؤقتة) تحت ادارة مأمورين من دولة روسيا الامبراطورية الى أن تنتظم فيها القوانين الاساسية ويستدعى مأمور من طرف السلطنة العثمانية والقناصل الذين تنتظمهم الدول الذين وقعوا على هذه المعاهدة بقصد مراقبة أعمال (الادارة المؤقتة) المذكورة فاذا حصل خلاف بين القناصل المذكورين فإبرام العمل يكون على حسب أكثرية الآراء كما أنه اذا حصل خلاف بين أكثرية آراء المذكورين والمأمورين من طرف امبراطورية روسيا أو المأمورين من طرف الحضرة السلطانية تجتمع سفراء الدول بالاستانة الذين وقعوا على هذه المعاهدة في مؤتمر (كنفرانس) ليقرر رأيهم على انتهاء الخلاف المذكور

المادة ٧ * تشكيل (الادارة المؤقتة) المذكورة لا يبقى أكثر من تسعة أشهر اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة وبمجرد انتخاب الأمير تصير مباشرة اجراء الاحكام الجديدة فتصير تلك الاحكام دستوراً للعمل وتكون الامارة قد حازت استقلاليتها الادارية (ادارتها المختارة) حوزاً تاماً

المادة ٨ * جميع المعاهدات التجارية والسفيرية والاتفاقات التي جرت بين الدول الاجنبية وبين الباب العالي والتي لم يزل عملها جارياً تبقى مرعية الاجراء مع امارة البلغار فلا يصح تبديل شيء منها مع احدى الدول المذكورة بدون رخصة منها ولا يسوغ وضع شيء من الضرائب على البضائع التي ترسل الى احدى الجهات في مرورها على البلغار وتكون معاملة جميع الاهالي ورعايا الدول وتجارنتهم في الامارة على قدم مساواة تامة وتبقى امتيازات وخصائص الاجانب المقررة في المعاهدات (التي أمضيت بين الدول والباب العالي) مرعية الاجراء في الامارة مادام لم يحصل تعديلها برضى الدول

المادة ٩ * الويركو السنوي الذي يجب على امارة البلغار ان تدفعه في كل سنة الى متبوعها الحضرة السلطانية يكون دفعه الى البنك الذي يعينه الباب العالي ويكون تعيين المبلغ عند ختام السنة الاولى من جريان نظاماتها الجديدة باتفاق بين الدول الموقعة على هذه المعاهدة وهذا الويركو بحسب مناسبة ايراد الامارة وحيث انها ستحمل جانباً من ديون السلطنة العمومية يلزم للدول أيضاً أن يتذاكروا على مقدار الدين الذي يعين على الامارة وذلك عند مذاكرتهم في أمر الويركو

المادة ١٠ * جميع التمهيدات والاتفاقات التي وعدت السلطنة العثمانية باجرائها مع شركة سكة الحديد بين وارنه وروسجق تدخل في عهدة امارة البلغار اعتباراً من مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة أما تسوية الحسابات السابقة التي كانت بين الشركة المذكورة

وبين الباب العالى فأمرها يكون بين الباب العالى وحكومة البلغار والشركة المذكورة وكذلك دخل فى عهدة البلغار وسائر تعهدات الباب العالى مع دولة أوستريا وهنكاريا ومع الشركة المنوط بعهدتها تشغيل سكك الحديد فى الروم ايلي فيما يتعلق باتمام السكك المذكورة واتصالها فى الاراضى التى دخلت الاتن فى حوزة البلغار ويكون عقد شروط الاتفاقات اللازمة لتسوية هذه المسائل بين دولة أوستريا وهنكاريا والباب العالى والصرب وامارة البلغار عند اقرار الصلح

المادة ١١ بعد هذا لاتبى المساكر العثمانية فى البلغار وهدم سائر القلاع والحصون يكون على مصروف حكومة الامارة فى ظرف سنة واحدة او اقل من ذلك ان أمكن وينبى لتلك الحكومة ان تتخذ وسائل معجلة لذلك ولا يسوغ لها أن تبى بدلها حصونا جديدة ويكون للباب العالى حق فى ان يتصرف فى المهمات الحربية وغيرها من الاشياء التى هى ملك له الباقية فى حصون الطونه التى أخذتها المساكر العثمانية بموجب الهدنة التى حصلت فى ٣١ يناير (كانون الثانى) وكذلك التى فى شمله (شمى) ووارنه

المادة ١٢ المسلمون وغيرهم الذين لهم أملاك فى البلغار ويريدون السكنى خارجا عنها يبقون متمتعين بأملأهم فيمكنهم والحالة هذه ايجارها الى غيرهم وادارتها بمعرفة من ينتخبونه وتشكل لجنة مؤلفة من الترك والبلغار بين لتسوية جميع المسائل المتعلقة بكيفية نقل وتشغيل أملاك الوقف لحساب الباب العالى والمسائل المتعلقة بالذين لهم مصالح فيها وهذه التسوية تكون فى ظرف سنتين ثم ان البلغار بين الذين يسافرون أو يسكنون فى باقى أطراف الممالك العثمانية يكونون تحت الاحكام والقوانين العثمانية

المادة ١٣ تشكل على جنوب البلقان ولاية تحت اسم (ولاية الروم ايلي الشرقية) وتكون تحت نابعة الحضرة السلطانية تابعة سياسية وعسكرية بشرط أن تكون مشمولة باستقلالية ادارتها ويكون واليها نصرانيا

المادة ١٤ حدود (ولاية الروم ايلي الشرقية) تكون متصلة بحدود البلغار من جهة الشمال والشمال الغربى والولاية المذكورة تكون عبارة عن الاراضى الكائنة ضمن الدائرة الاتنى ذكرها فحد هذه الولاية يبتدىء من البحر الاسود ويسير على النهر الواقع فى جوار القرى المسماة (هوجو كوى وسلام كوى وابواجق وقوليه وصوجيلق) الى جهة فوق محاذيا لوادى (دلى قابجق) ويمر من فوق (جككنه) مقدار مسافة ٢ كيلو متر ونصف تقريبا ويتصل بجنوب قراه (بلييه) و(كججاق) ثم يصعد الى التل الكائن فيما بين (تبككلك) و(ابدوس) و(برؤسا) ويمر من بلقان (قربن اباد) وبره زويجه و(قزغان) حتى يصل الى (تيمورقبو) بالجهة الشمالية من (قوتل) وبعدها يدور جميع سلسلة البلقان الكبير وينتهى الى تل (قوزيقه) وفى هذه النقطة أعنى من ذروة البلقان الكائن على غربى حدود الروم ايلي ينزل الى جهة الجنوب مارا من بين قرية بيتروب التى تركت البلغار وبين قرية دوزانس

الباقية في الروم ايلي ويصل الى النهر (طولزي دره) ويسير مع النهر الى مجمه مع نهر طوبوليتقا وكذلك يمر مع هذا النهر الى مجمه مع نهر (سمووستيور) في جوار قرية (بترسووا) وعلى هذا يترك للروم ايلي الشرقية في شطوط مجارى هاته الانهر محلا مقدار ٢ كيلومتر ثم يتبع الخطوط الفاصلة للمياه المذكورة ويسير الى جهة فوق على طول انهر (سمو وسقبور) و (قامنيقا) ويلتفت الى الجنوب الغربي في تل (ووانجاق) ويصل الى المحل المبين في خريطة اركان حرب دولة اوستر يا عدد ٨٧٥ ثم يقطع على خط عمودي مجرى نهر (البحمان دره) من الاعلى ويمر من بين (بوغدينا) و (قارولا) حتى يصل الى الخط الفاصل الكائن فيما بين نهري (اسقر) و (ماريكا) ويسير على طول الموضح في الخريطة المذكورة تحت رقم ٥٣٠ من تلال (وولينامو جيل) و (جمابليقا) و (روه سو مناتيقا) ويحتمل بمحدود لواء صوفييه فيما بين (سبورى طاش) و (قادرته) فعلى هذا تفرق حدود الروم ايلي والبغار من جبل (قادرته) ثم الخط الفاصل المذكور يمر الى قدام من بين انهر ماريقا وتوابعه وبين انهر (مستاقرة صو) واتباعه تابعا استقامة الخطوط الفاصلة لهذه المياه ويتوجه الى جهتي الجنوب الشرقى والجنوب مارا من تلال جبل (دسبوت) الى صوب جبل (كروشوا) وهذا الجبل كان مبدأ الحدود التي عينتها المعاهدة ايا سطفانوس ثم الخط المذكور يتبع الخط المعين في المعاهدة المذكورة أعنى انه يبتدى من هذا الجبل ويمر على سلسلة (قره بلقان) من تلال (قولا قلى طاغ واشك جيل) وقره وقولاس وايشيقلر) ويسير جهة الجنوب الشرقى حتى ينتهى الى نهر (واردا) ويسير مع هذا النهر على طول حتى يصل الى قرية (اطه قلعه) وتبقى هذه القرية في سلطة الدولة العلية ومن هنا يصعد ذروة جبل (بش تيه) ثم ينزل ويمر من جسر (مصطفى باشا) ويتجاوز نهر المريج من جهة فوق بمسافة خمسة كيلومتر ثم يتوجه الى جهة الشمال مع بين الانهر الصغار التي تصب في نهري (خاني دره) و (مريج) ويسير على خط مقسم المياه الى المحل المسمى (كودلر بايرى) ومن هنا يلتفت الى جهة الشرق ويمتد الى (صقار بايرى) ومنه الى وادى (طونجه) والى (بيولدر بند) و (بيولدر بند) و (صوجاق) الى جهة الشمال ثم يسير من بين الانهر التي تصب في نهر طونجه من جهة الشمال وفي نهر المريج من جهة الجنوب على خط مقسم المياه ويصعد الى تل (قييلر) وتبقى قييلر في الروم ايلي الشرقية ثم يلتفت الى جهة الجنوب ويمر من بين المياه الكائنة فيما بين نهر المريج من جهة الجنوب وبين قريتي (بلورن) و (التلى) التي تصب في البحر الاسود ويصل الى جنوب قرية (المالى) ويدور تلال (ووسته) و (زواق) من شمال المحل المسمى (كراكلى) ويسير مع الخط الفاصل فيما بين نهري (دوكه) و (قره اغاج) حتى يتصل بالبحر الاسود

المادة ١٥ * يكون للحضرة السلطانية حق في أن تبأشر محافظة الحدود البرية والبحرية وذلك بأن تبني في تلك الحدود استحكامات وتقيم فيها عساكر ولتأمين الراحة

العمومية في ولاية (الروم ايلي الشرقية) بشكل فيها ضبطية أهلية وعساكر داخلية ومذاهب الالهالي الذين تؤلف منهم هذه العساكر والضبطية تكون مرعية ويكون تعيين ضباطهم من طرف الحضرة السلطانية وقد تعهدت الحضرة السلطانية بان لا توظف في حصون الحدود عساكر غير نظامية كالباشي بوزق والجراكسة وفي جميع الاحوال لا يسوغ للعساكر النظامية المذكورة أن تتعدى على الالهالي وعند مرورهم في الولاية (لاستقرارهم في الاستحكامات) لا يسوغ لهم الاقامة فيها

المادة ١٦ * يكون للوالي حق في أن يستدعي العساكر العثمانية اذا حصل ما يخل بالراحة الداخلية والخارجية فاذا وقع ما يوجب ذلك يخبر الباب العالي نواب الدول بالاستئذان عن قراره وعن السبب الذي أحوجه اليه

المادة ١٧ * يكون تعيين والي (ولاية الروم ايلي الشرقية) مدّة خمس سنين من طرف الباب العالي باتفاق الدول

المادة ١٨ * مجرد مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة تشكل لجنة أوروباوية للنظر في ترتيب ادارة (ولاية الروم ايلي الشرقية) بالاتفاق مع الباب العالي ومن خصائصها ان تبين في ظرف ثلاثة أشهر وظيفة مأمورية الوالي وماله من الاستطاعة وترتيب الولاية الادارية والنظامية والمالية ويكون ابتداء أشغالها تنظيم اختلاف أحكام الولايات وما حصل عليه المذاكرة في الجلسة الثامنة من المؤتمر الذي عقد في الاستئذان وبعد ان يحصل القرار على جميع المصالح المتعلقة بالولاية المذكورة يصدر فرمان من طرف الحضرة السلطانية فيبلغه الباب العالي الى الدول

المادة ١٩ * يناط بعهدة اللجنة الاوروبية المذكورة بالاتفاق مع الباب العالي ادارة المالية في الولاية الى ان تجز القوانين الجديدة المراد وضعها

المادة ٢٠ * جميع المعاهدات والاتفاقات والمعاملات التي جرى تداولها بين الباب العالي والدول الاجنبية أو التي ستعقد فيما بعد يكون معمولاً بها في (ولاية الروم ايلي الشرقية) كما هو جار في سائر السلطنة العثمانية وجميع الامتيازات والخصائص التي حازتها الاجانب على اختلاف وظيفتهم ومصالحهم تبقى محتزمة في الولاية المذكورة وقد تعهد الباب العالي بان جميع أحكام السلطنة هناك فيما يخص المذاهب المختلفة يكون معمولاً بها ومرعية الاجراء

المادة ٢١ * تبقى حقوق الباب العالي وتعهداته فيما يتعلق بسكك الحديد في الروم ايلي الشرقية معمولاً بها ومرعية الاجراء

المادة ٢٢ * تكون قوة روسيا في البلغار وفي (ولاية الروم ايلي الشرقية) مؤلفة من ست فرق من المشاة وفرقتين من الخيالة وجميع ذلك لا يزيد على ٥٠٠٠٠ قوت وتكون مصاريفهم على الولايات التي يتبوؤونها وتبقى علاقتهم ومواصلتهم مع روسيا بواسطة رومانيا بحسب الاتفاق الذي يحصل بين الحكومتين المذكورتين وفضلا عن ذلك تكون

بواسطة مراسى البحر الاسود مثل وارنه وبورغاس حتى يمكن لهم أن يتخذوا هناك مخازن للوازمهم مدّة اقامتهم وتقرّر أيضاً ان اقامة العساكر الامبراطورية في (ولاية الروم ايلي الشرقية) والبلغار تكون مدّة تسعة أشهر اعتباراً من يوم مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة وقد تعهدت دولة روسيا الامبراطورية انه قبل انقضاء هذه المدّة تمنع مرور عساكرها من رومانيا فتدخلو منهم اماره البلغار

﴿ المادة ٢٣ ﴾ قد تعهد الباب العالي بان يجرى في جزيرة كريد النظامات التي تقررت فيها في سنة ١٨٦٨ والتعديلات التي يرى من العدل اجراءها وكذلك يجرى في بقية الولايات نظامات وقوانين على ما تقتضيه المصالح الداخلية كما في كريد مما لم ينص عليه في هذه المعاهدة نصاً خصوصياً الا فيما يتعلق بالغاء الضرائب كما هو جار الآن في كريد ويشكل من طرف الباب العالي لجاناً مخصوصة يكون أكثر أعضائها من الاهالي للنظر في متعلقات النظامات اللازمة اجراؤها في كل ولاية ثم تعرضها على الباب العالي للتتوي فيها وقبل أن يعمل بها وتجعل دستوراً للعمل يلزم الباب العالي أن يستشير اللجنة الاوروپاوية المنعقدة للنظر في أحوال الروم ايلي الشرقية

﴿ المادة ٢٤ ﴾ اذا فرض انه لم يقع اتفاق بين الباب العالي ودولة اليونان فيما يتعلق بتعديل الحدود كما تقرر في المادة ١٣ من مضبطة مؤتمر برلين فدول جرمانيا وأوستريا وهنكاريا وفرنسا وبريطانيا العظمى واطاليا والروسيا تحفظ لنفسها عرض التوسط بين الفريقين تسهيلاً للمذاكرات

﴿ المادة ٢٥ ﴾ تتبوأ عساكر أوستريا وهنكاريا ولا يقي بوسنه وهرسك ويناط بها أيضاً أمر ادارتهما وحيث انها لا تريد أن تتولى ادارة سنجقية يكي بازار الممتدة بين الصرب والجبل الاسود على الخط الجنوبي الشرقي ما وراء ميتروتسه فالادارة العثمانية تبقى معمولاً بها هناك وحيث ان المراد اقرار الاحوال السياسية الجديدة وحرية المواصلات وتأمينها فدولة أوستريا وهنكاريا تحفظ لنفسها الحق بان يكون لها قشل وطرق تجارية وعسكرية في جميع الجهات المذكورة وهذه الغاية تحفظ لنفسها هي والدولة العثمانية ان تتفقاً على المواد المتعلقة بهذه المسألة

﴿ المادة ٢٦ ﴾ قد اعترف الباب العالي باستقلال الجبل الاسود وكذلك اعترفت به بقية الدول الموقعين على هذه المعاهدة الذين لم يعترفوا به سابقاً

﴿ المادة ٢٧ ﴾ اتفق الموقعون على هذه المعاهدة على ان استقلال الجبل الاسود يكون مربوطاً بالمواد الاتية وهي لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في الجبل فلا يخرج أحداً من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتعة بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله في الوظائف الميرية أو العمومية أو نواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فجميع الاهالي التابعين للجبل الاسود وللأجانب ايضاً الحرية التامة

في جميع المتعلقةات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع مانى ترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين

﴿ المادة ٢٨ ﴾ قد صار تعيين حدود الجبل الاسود كما سيأتى وهى انها تبتدىء من (ايلينو برو دو) وتسير الى شمال (قلوبوق) وغمر من فوق (تره بنيجيه) وتصل بمحل (غرانقارو) وتبقى غرانقارو ضمن لواء هرسك ومنها يصعد الخط الفاصل الى جهة فوق من نهر غرانقارو ويصل الى محل يبعد عن النهر الذى يصعب فى (سيدايه) مقدار كيلومتر فقط ومن هنا يسير على أقصر طريق ويصعد الى التلال التى فى جوار (تره بنيجيه) ثم يذهب الى (بيلاتوه) ويترك هذه القرية للجبل ثم يسير من التلال الى جهة الشمال وعلى قدر الامكان يمر بعيداً عن طريق (بيلسك) و (قوريتو) و (غاجقه) مقدار ٦ كيلومتر ويصل الى الطريق الكائنة فيما بين (سوينى بلانينا) وجبل قوريله ومنها عن جهة الشرق يمتد الى جبل اورلين ويترك قرية (وارنقويجى) هرسك ثم يمتد من الشمال الشرقى ويدعى (روانه) داخل الجبل ويمر من تلال (لبرسليك) و (ولجاق) ويسير من أقصر طريق وينزل الى نهر (بيوه) ويتجاوز هذا النهر ويصل الى (تاره) الكائنة بين (قرقويقه) و (بين) و (نديوته) ومن (تاره) يصعد الى (موجقواق) ويتصل بمحل (سقوج زرو) ومن هنا الى قرية (صوقولار) ويجتمع بالحدود القديمة ثم يمر الى تلال مقربا بلانينا وتبقى قرية مقرا داخل الجبل ويمر أيضاً من السلسلة الاصلية الى الطريق المذكورة فى خريطة أركان حرب أوستريا تحت رقم ٢١٦٦ ومن فوق مقسم المياه الواقع بين (ليم) و (درين) و (بين) سيونه (زم) ثم يتصل بالحدود الجديدة بعد مروره فيما بين قبيلة (قاجى دره قالويجى) و (بين) (قوسقارجنه) و (قلامتى) و (غردوى) وبعد ذلك ينزل الى صحراء بودغوريجيه ويترك قبائل قوسقارجنه وقلامتى وغردوى وهوى لبلاد الارناؤوط ويصل (بيلانويقه) ومن هنا يمر من جوار جزيرة (غوريقه طوبال) ويتجاوز ماء اشقودره ويسير أسامن (غوريقه) طوبال الى التلال ويمر من مقسم المياه الكائن فيما بين (مغورد) و (قالميد) مع خط المقسم المذكور ويترك (ميرقويق) داخل الجبل وينتهى الى بحر ونديك (فينيسيا) عند قرية (فروجى) ثم يلتفت الى الشمال الغربى ويمر فى الساحل من بين قرى (سوسانه) و (زويى) ويتصل بمنتهى الحدود الجديدة فى جهة الجنوب الشرقى فوق (ورسوته بلانينا)

﴿ المادة ٢٩ ﴾ الضمام انتوارى (بارى) وخطوط البحر التى تخصها الى الجبل الاسود مشروط على الصوره الاتية وهى ان يعاد على الدولة العثمانية الاراضى الكائنة على جنوب تلك الجهة الى بويانا من ضمنها دولستجو ويضم الى دلماتيا مرسى شيزاوالاراضى المتعلقة بها الى غاية حدودها الجنوبية كما هى مبينة بالتفصيل فى الخريطة ويكون للجبل الحرية المطلقة التامة للسفر فى نهر بويانه ولكن لا يسوغ له أن يبنى على النهر حصونا أو استحکامات الا ما لزم للمحافظة على اشقودره خاصة فتكون تلك الحصون والحالة هذه غير

خارجة عن دائرة مساحتها حول المدينة المذكورة ستة كيلو متر (٦٠٠٠ متراً ونحو عشرة أميال) ولا يكون له بواخر حرية ولا راية ولا يسوغ لاي دولة كانت أن تدخل بواخرها الحرية الى مرسى التوارى أما الحصون السكائنة في أرض الجبل بين البحر وشط البحر فهدم بالكلية ولا يسوغ إعادة بنائها ويفوض لعهدة أوستريا وهنكاريًا ادارة البحرية والصحية في التوارى وفي شطوط الجبل وعلى الجبل أن يستعمل القوانين والاصطلاحات البحرية على موجب القوانين والاصطلاحات الجارية في دلماسيا (باوستريا) وقد تعهدت أوستريا وهنكاريا بان تحمي بواخر الجبل الاسود التجارية ويلزم للجبل أن يتفق مع أوستريا وهنكاريا على مدسكة الحديد وانشاء طرق سكة الحديد في الاراضي التي دخلت حديثاً في حوزته وعلى تأمين حرية المواصلات عليها

المادة ٣٠ * المسلمون وغيرهم الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الجبل الاسود ويريدون أن يستوطنوا خارجاً عن الامارة لهم حق بان يبقوا مالكيين عقاراتهم بايجارها أو تشييعها بواسطة من يختارونه وتشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين وأهل الجبل الاسود لتسوية المسائل التي تتعلق بكيفية نقل الاملاك أو حرثها أو ادارتها سواء هي من املاك الوقف أو الاملاك الميرية التي للباب العالي فتجوز تسوية جميع متعلقات الذين لهم مصاحبة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين

المادة ٣١ * على امارة الجبل الاسود أن تتفق مع الباب العالي على ما يتعلق بتعيين وكلاء من طرفها في الاستانة أو في جهات أخرى من السلطنة العثمانية مما يرى لازماً أما أهل الجبل المقيمون في السلطنة العثمانية أو المسافرين فيها فيكونون تحت أحكام الدولة العثمانية على حسب الاصول المقررة بين الدول وعلى حسب العوائد المقررة مع الجبل

المادة ٣٢ * يلزم ان عساكر الجبل الاسود تخلى الاراضي التي هم الآن مستولون عليها مما لم يدخل في حدود امارة الجبل الجديدة وذلك في ظرف عشرين يوماً اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة أو أقل من هذه المدة اذا أمكن كذلك يلزم للعساكر السلطانية ان تخلى في المدة المذكورة الاراضي التي دخلت الآن في حوزة الجبل

المادة ٣٣ * حيث انه يلزم الجبل الاسود أن يتحمل جانباً من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي دخلت في حوزته بموجب شروط الصلح فتعين نواب الدول الاجنبية في الاستانة هذا المبلغ بالاتفاق مع الباب العالي على اصول عادلة

المادة ٣٤ * لما كان الموقعون على هذه المعاهدة معترفين باستقلالية امارة الضرب فقد ربطها بالشروط الحرة في المادة اللاحقة

المادة ٣٥ * لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في الضرب ضد أحد حتى يخرج من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتع بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله في الوظائف الميرية أو العمومية أو نواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقرره

فجميع الاهالى التابعين للصرب والاجانب أيضاً الحرية التامة في جميع المتعلقات المذهبية
ولا يسوغ اتخاذ مانع مافي ترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو في علاقتهم مع
رؤسائهم الروحانيين

المادة ٣٦ ٥ اماره الصرب تكون مالهكة للاراضى الموجودة في ضمن الحدود
الاتى ذكرها وهي ان الخط الفاصل يمر على طول الخط الحالى ومن مصب نهر (درينا)
في نهر صاوا ويذهب مع الجرى ويترك (ازرونيق وزخار) للامارة ولا يترك الخط المذكور
أعنى الحدود القديمة الى (قابونيق) ثم يفترق في ذروة جبل قابونيق عن الخط المذكور
ويسير من جنوب الجبل على طول حدود نيش الشرقية ويمر من تلال (ماريكا وماردار
بلانينا) وهذه التلال هي الخط الفاصل بين أنهر (ايلبار وسينيقا وطوبليقا) وعلى هذا
تبقى بره بولاد للدولة العلية وبعده يسلك خط مقسم المياه الى جهة الجنوب من بين
(برونيكا) ومدود جاو يترك وادى مدود جاكاه للصرب ويصعد الى تل (قولجاك بلانينا)
ويكون هو الخط الفاصل فيما بين الأنهر المسماة (بولجينا وترنيقا وموروا) ويصل الى تل
(بولجنيقا) ثم يذهب من تجاه (قاينا بلانينا) الى مجمع أنهر (قواسقا وموراوه) ويتجاوزه
ويسير على الخط الفاصل فيما بين مياه النهر الذى يختلط بنهر موراده في جوار (قواسقا)
(تره دوس) ويتصل (بلانينا ايليجه) فوق (رغو بست) ومن هنا أعنى من ذروة جبل
ايليجه يمتد الى ذروة جبل (قلتروق) ويمر من المحلات المدروجة في الخريطة تحت عدد
١٥١٦ و١٥٤٧ ومن (باينا غورا) وينتهى الى جبل (قرنى وره) ثم ينتدىء من هذا الجبل
ويجتمع بحدود البلغار يعنى يمر من تلال (استره سروريلو غلوم سيد بلانينا) ويسير على
خط مقسم المياه الواقع فيما بين استروماو (موراوه) وينتهى الى المحلات المدعوة (غاسينا
وقرنيه يراوه ودار قوسقوه ودرابينيه بلان) وبعدها يمر من فوق (دشانى قلادق) ومن
أعلى مقسم مياه (صوقوه وموراوه) ويذهب رأساً الى (استول) ومن هنا ينزل الى قرية
(سفوزه) من جهة شمالها الغربى ويقطع طريق (بيروت) بمسافة مقدار ألف كيلومتر وعن
صوفيه ويصعد على خط مستقيم الى (ويدليق بلانينا) ويمر من جبل (رادوجينا) الواقع في
سلسلة البلقان الكبيرة ويترك قرية (دوقسجى) لامارة الصرب وقرية (سناقوس) الى
البلغارستان ثم يسير من ذروة ههنا الجبل الى جهة الشمال الغربى ويمر من بلقان (سبروق) ومن
استارا (بلانينا) ويصعد الى تلال البلقان وفي جوار (قولاسه يلاجوه قوقه) يتصل بحدود
الصرب الشرقية القديمة ويسير على هذه الحدود الى نهر الطونه وينتهى عند النهر في (راقويجه)
المادة ٣٧ ٥ لا يغير شىء في الصرب من الشروط الحالية فيما يخص العلاقات التجارية
الكائنة بين الممالك الاجنبية وبين اماره الصرب الى أن يجرى بدله اتفاقات جديدة ولا
يسوغ أن يؤخذ على البضائع التى تمر في الصرب مرسله الى جهة أخرى شىء من العوائد أو
الرسومات أما المزايا والامتيازات الشاملة الاتن رعيا الدول الاجنبية في الصرب وحقوق

الاحكام وحماية القناصل لرعاياهم على الاصول المعمول بها الآن فتبقى مرعية الاجراء الى أن يحصل اتفاق بين اماره الصرب والدول الاجنبية على تعديلها

المادة ٣٨ ﴿ التعهدات التي تعهد بها الباب العالي مع دولة اوستريا وهنكاريا او مع شركة سكة الحديد في الروم الى أو فيما يتعلق باتمام السكك الحديدية وتشغيلها في الاراضي التي دخلت في حوزة الصرب تبقى مرعية الاجراء عند اماره الصرب وعند التوقيع على هذه المعاهدة يجري اتفاق بين دولة اوستريا وهنكاريا والباب العالي والصرب و اماره البلغار على قدر ما يخصها لتسوية هذه المسائل

المادة ٣٩ ﴿ المسلمون الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الصرب ويريدون أن يستوطنوا خارجاً عن الامارة لهم الحرية بأن يبقوا بالسكن عقاراتهم بمؤاجرتها أو تشغيلها بواسطة من يختارونه وستشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين والصربيين لأجل تسوية جميع المسائل التي تتعلق بكيفية نقل وادارة الاملاك المتعلقة بالوقف أو الاملاك الميرية التي للباب العالي وكذلك تسوية جميع متعلقات الناس الذين لهم مصلحة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين

المادة ٤٠ ﴿ تكون معاملة رعية الصرب الفاطنيين في السلطنة العثمانية أو المسافرين فيها بحسب اصول الاحكام والقوانين المتداولة بين الدول الى أن تحصل معاهدة بين الدولة العثمانية والصرب

المادة ٤١ ﴿ يلزم لعساكر الصرب اخلاء جميع الاماكن التي لم تدخل في حوزة امارتهم في ظرف خمسة عشر يوماً اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة كذلك يلزم للعساكر السلطانية أن تخل في المذكورة الاماكن التي دخلت في حوزة الامارة

المادة ٤٢ ﴿ حيث انه يتعين على الصرب حمل جانب من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي حازتها بموجب هذه المعاهدة فسفراء الدول الاجنبية في الاستانة يعينون مبلغ قيمة الاراضي المذكورة على صورة عادلة بالاتفاق مع الباب العالي

المادة ٤٣ ﴿ لما كان الموقعون على هذه المعاهدة معترفين باستقلالية رومانيا فربطتها بالشرطين الاتيين

المادة ٤٤ ﴿ لا يسوغ التميز في الاعتقادات الدينية في رومانيا ضد أحد حتى يخرج عن الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتعهم بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله في الوظائف الميرية أو العمومية أو نواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فلجميع الاهالي التابعين لرومانيا والاجانب أيضاً الحرية التامة في جميع المتعلقات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين فتكون معاملة رعايا جميع الدول سواء كانوا من

التجار أو غيرهم في رومانيا بدون تمييز في المذهب على قدم مساواة تامة
 المادة ٤٥ (١) امارة رومانيا تعيد على حضرة امبراطور روسيا اراضى بيسارابيا
 التى كانت انفصلت من روسيا بموجب معاهدة باريس التى أمضيت فى سنة ١٨٥٦
 وحدودها فى الجهات الغربية من مجرى نهر البروث وفى الجنوب من نهر (كيليا) وفم
 (ستارى استانبول)

المادة ٤٦ (١) يضم الى رومانيا الجزر الثلاثة التى على الطونه وجزر (يلان طاغ)
 وسنچقية طولجى وهى تشمل قضاآت كيليا وسولينا ومجوديه وزانجه وطولجى وماجين
 وباباطاغ وهرسوا وكوستنجه ومجديده وماعدا ذلك يعطى لها أيضاً الاراضى الكائنة
 على جنوب الدبروجه الى أن تصل الى خط يبتدىء من شرقى سيلستريا ويمتد الى البحر
 الاسود على جنوب منفاليه ويكون تعيين تخوم تلك الحدود فى تلك المواقع بمعرفة اللجنة
 الاوروباوية المنوط بمهدتها تعيين حدود البلغار

المادة ٤٧ (١) مسألة تقسيم المياه والصياده تعرض على لجنة الطونه الاوروباوية
 فتكون حكماً عليها
 المادة ٤٨ (١) لا يجوز وضع رسومات أو عوائد فى رومانيا على السلع التى ترد اليها
 بقصد ارسالها الى جهة أخرى

المادة ٤٩ (١) يسوغ لرومانيا أن تعقد مع الدول الاجنبية اتفاقاً لتسوية مسألة
 امتيازات وظائف قناصلهم فيما يتعلق بحماية رعاياهم فى الامارة الا أن الحقوق الحالية
 تبقى مرعية الاجراء مادام لم يحصل اتفاق عمومى بين الامارة والدول
 المادة ٥٠ (١) تبقى رعية رومانيا القاطنون فى الممالك العثمانية أو المسافرين فيها
 أو رعايا العثمانيين المسافرين فى رومانيا أو القاطنون فيها متمتعين بالحقوق التى تشمل رعايا
 بقية الدول الاوروباوية الى أن تعقد معاهدة لتسوية امتيازات القناصل ووظائفهم بين
 الدولة العثمانية ورومانيا

المادة ٥١ (١) تعهدات الباب العالى ووظائفه فيما يتعلق باتمام الاشغال النافعة وما
 أشبهها فى الاراضى التى دخلت فى حوزة رومانيا تعود الى عهدة رومانيا
 المادة ٥٢ (١) لاجل زيادة تأمين حرية السفر فى نهر الطونه التى اعترف انها من
 المصالح الاوروباوية قرّر رأى الموقعين على هذه المعاهدة بان جميع الحصون والاستحكامات
 الموجودة الآن على النهر من عند المحل الذى يقال له (أبواب الحديد) الى فم النهر تهدم
 بالكلية فلا يسوغ بعد هذا بناء غيرها ولا يجوز سفر احدى البواخر الحربية على
 الطونه الى (أبواب الحديد) الا البواخر الصغيرة المعينة لخدمة الضبطية فى النهر وخدمة
 الكمارك ولكن يسوغ لبواخر الدول الموجودة فى فم نهر الطونه لاجل الحراسة أن تسافر
 فى النهر الى غاية (غلاتس)

﴿ المادة ٥٣ ﴾ تبقى لجنة الطونة الاوروبايوة مقررة في وظائفها ولرومانيا فيها نواب وتجري عمال وظائفها الى (غلاتس) بحرية تامة مستقلة عن مداخله مأمورى تلك الاراضى وتبقى أيضاً سائر معاهداتها واتفاقاتها وأشغالها وأعمالها وقراراتها فيما يتعلق امتيازاتها وخصائصها ووظائفها ثابتة الاجراء

﴿ المادة ٥٤ ﴾ قبل نهاية الاجل المقرر لبقاء لجنة الطونة الاوروبايوة بسنة واحدة يلزم للدول أن يتفقوا على تطويل سلطتهم أو على التعديلات التى يرون اجرائها من اللازم

﴿ المادة ٥٥ ﴾ جميع المنظمات المتعلقة بالسفر فى النهر ووظائف الضبطية فيه من (أبواب الحديد) الى (غلاتس) يكون ترتيبها وتنسيقها من طرف اللجنة الاوروبايوة بمساعدة نواب من طرف الممالك الكائنة بسواحل النهر وبصير تأليفها بالنظمات الموجودة وألقى ستحدث فى أمور النهر أسفل من (غلاتس)

﴿ المادة ٥٦ ﴾ يلزم للجنة الطونة الاوروبايوة أن تتفق مع الدول فيما يتعلق بتنوير الفئانات الكائنة على جزر (يلان طاغ)

﴿ المادة ٥٧ ﴾ قد فوض لاوستريا وهنكاريا الاشغال اللازم اجرائها لازالة موانع السفر التى تحدث من (أبواب الحديد) والشلالات ويلزم على الممالك المجاورة النهر من الجهة المذكورة أن تجرى جميع التسهيلات اللازمة لمصلحة تلك الاشغال أما المواد المقررة فى المادة الرابعة من معاهدة لندره التى أمضيت فى ١٣ مارت سنة ١٨٧٨ فيما يتعلق باخذ ضرائب مؤقتة لسد مصاريق تلك الاعمال والاشغال فتبقى منوطة بدولة أوستريا وهنكاريا

﴿ المادة ٥٨ ﴾ الباب العالى يسلم الى امبراطورية الروسية فى آسيا (الاناطول) أراضى أردهان وقارص وباطوم مع مرسى باطوم وجميع الاراضى الكائنة بين تخوم روسيا والتركية القديمة والتخوم الاثني بينها وهذه الحدود الجديدة تبتدىء من البحر الاسود على حسب الخط المقرر فى معاهدة اباسطفانوس الى نقطة فى الجهة الشمالية الغربية من (خورده) وعلى جنوب (ارتوين) وتمتد على خط مستقيم الى نهر (جورك) وبعد عبوره هذا النهر يسير شرقى (اشمشين) ويستمر على خط مستقيم فى الجنوب وهناك يلاقى حدود روسيا المشروحة فى المعاهدة المذكورة وذلك فى نقطة على جنوب (ناريمان) مع بقاع مدينة (اولقى) فى حوزة الروسيا ثم يبتدىء الخط بالقرب من (ناريمان) الى جهة الشرقية ويكون مروره من (ترينيق) وبعد دخول مدينة (ترينيق) فى حوزة الروس يسير الى (بنك شاي) بحار يانهره الى أن يصل الى (باردوز) وبعد دخول مدينة باردوز ويكى كوى فى عهدة الروسيا يؤخذ نقطة من غرب قرية (قره اونجان) تجعل الحدود عليها على خط الى أن يصل الى (مجنجرت) ومنها على خط مستقيم الى أن يصل الى تلال (قباداغ) فيستمر

على خط مصب نهر (الاركس) في الشمال ومصب نهر (مراد صوى) في الجنوب الى أن يصل الى حدود روسيا القديمة

المادة ٥٩ ﴿ أمبراطور روسيا يصرح هنا بان غاية مقصده أن يجعل باطوم مرسى حراً (معنى حراً أن تكون البضائع معفاة من جميع رسومات الدخول أو الخروج) المادة ٦٠ ﴿ تعيد روسيا على تركيا أودية الشغراد ومدينة (بايزيد) التي سلمت

لروسيا بموجب المادة ١٩ من معاهدة ايسطفانوس وقد سلم الباب العالي الى مملكة ايزان مدينة (قطور) وأراضيها كما قرّر عليه رأى اللجنة الانكليزية والروسية التي نيط بعهدتها تعيين تخوم تركيا وايران

المادة ٦١ ﴿ الباب العالي يتعهد بان يجري بدون تأخير في الولايات التي سكانها من الارمن سائر الاصلاحات والتحسينات التي تحتاج اليها أمورها الداخلية وأن يتعهد بتأمينهم من تعدى الجراكسة والاكراد عليهم ويقيد الدول الاجنبية المرة بعد المرة بالتشبهات التي اتخذها لهذه الغاية وهي تراقب كيفية اجرائها

المادة ٦٢ ﴿ حيث ان الباب العالي أظهر رغبته في ابقاء اصول حرية الديانة وتوسيع مداها توسيعاً مطلقاً فان الموقعين على هذه المعاهدة ينزلون هذه الرغبة منزلة الفعل فلا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في جميع اطراف السلطنة العثمانية حتى يخرج أحد من الاهلية والجدارة بجميع ما يتعلق بتمتعهم بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله في الوظائف الميرية أو العمومية أو نواله الشرف أو استعماله للصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقررّه ويؤذن لجميع الناس بان يؤدّوا الشهادة في جميع المحاكم بدون تمييز أحد في الدين واستعمال سائر الامور الدينية يكون بحرية فلا يكون مانع ما للترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو اطلاقهم مع رؤسائهم ويكون الاكليروس (أصحاب الرتب الكنائسية) والزوّار والرهبان من جميع الامم الذين يسافرون في الممالك العثمانية في الروم ايلي والاناطول حائزين حقوقاً واحدة وامتيازات وخصائص واحدة وفوض الى القناصل ونواب الدول الاجنبية في تلك الممالك حق في حماية أولئك المذكورين وحماية محلاتهم الدينية والخيرية حماية رسمية في الاماكن المقدسة أو غيرها أما الحقوق المسلمة لفرنسا فلم تزل مرعية الاجراء وصار من المعلوم المقرر هنا انه لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة في الاماكن المقدسة أما زوّار جبل اثوس من أي جنس كانوا فيبقون حافظين لاملاكهم وامتيازاتهم ومنحهم السابقة ويبقون متمتعين بمساواة تامة في الحقوق والمزايا

المادة ٦٣ ﴿ تبقى معاهدة باريس التي أمضيت في ٣٠ مارث سنة ١٨٥٦ ومعاهدة لندره التي أمضيت في ١٣ مارث سنة ١٨٧١ مرعية الاجراء وذلك فيما يتعلق بالمواد التي لم تنسخها ولم تعدلها هذه المعاهدة

المادة ٦٤ ﴿ يقع التصديق على هذه المعاهدة بعد ثلاثة أسابيع أو أقل ان أمكن

وللشهادة بذلك أثبت الموقعون أسماءهم على هذه المعاهدة بعد ان وضعوا عليها أختامهم
تحريراً في برلين في الثالث عشر يوم من شهر جويليه (تموز) من سنة ١٨٧٨

الامضاء

فون بسمارك	سالسبورى
فون بولوى	اودروسل
هو هنلو	كورنى
اندراسى	لاونى
كارولويي	غور جيقوف
هايمرل	شوفالوف
وادنطون	دوبريل
صان قاليه	قره تيودورى
ديريس	محمد على
بيكنسفيلد	سعد الله

ومن تأمل نصوص هذه المعاهدة يرى ان الدولة العلية لم ترجع منها شيئا يذكر فاهم ماجاء فيها
ان صارت حدود اماره البلغار لا تتجاوز جبال البلقان لكن فضلت ولاية الروم الى الشرقيه
بأجمعها عن الدولة وحظر عليها اقامة جيوشها بها وصار تعيين واليها باتفاق الدول وردت
سواحل الارخبيل بما فيها ميناء قوله الى الباب العالى فصار ماسمحت اوروپا ببقائه له من
البلاد بتركية اوروپا متصلا ببعضه لكن سلمت ولايق البوسنه والهرسك الى مملكة النمسا
والجرلا احتلالها وادارتها لاجل غير محدود أو بعبارة أخرى ملكتها ملكا تاما باتفاق جميع
الدول ومن جهة أخرى أضيف الى مملكة اليونان جزء ليس بقليل من الاراضى لتوسيع
حدودها من جهة الشمال مع انها لم تشترك في الحرب ولم يكن لها أدنى حق في طلب أقل
تعوض سواء كان نقدياً أو مستبدلاً بأراض وكذلك وسعت حدود انصرب والجبل الاسود
وأعطيت لامير الجبل ميناء مهم على بحر الادرياتيك وهى ميناء اثينا (بارى) وزيادة
على ذلك تعرض المؤتمر للاصلاحات الداخلية المراد اجرائها لتحسين حال المسيحيين
وخصوصا الارمن (انظر بند ٦١)

ومن الغريب انها ألزمت الدولة العلية ان تعيد الدول الاجنبية المربة بعد المرة عن الاجراءات
التي اتخذتها للوصول الى هذه الغاية وعلى الدول مراقبة ذلك أى ان الدول جعلت لنفسها
حق المراقبة على أمور دولتنا العلية الداخلية بحجة حماية المسيحيين عموماً وحماية الارمن
من تمديى الاكراد والجرلا كسة ثم أتت في البند الثانى والستين على بيان مايجب مراعاته
في حق باقى الطوائف الغير اسلامية فن يتأمل في معاهدة برلين يرى انها لم تقل اجحفاً
بحقوق الدولة العلية عن معاهدة سان اسطفانوس بل انها أشد وطأة وتأثيراً على نفوذ

العثمانيين اذ اعطت كثيرا من اراضيها الى دول لم تشترك قط في الحرب مثل اليونان والعجم ودولة النمسا والمجر واشتركت واتصرت عليها العساكر العثمانية مرارا في بادىء الامر ولولا مساعدة روسيا لها وسوقها جيوشها الجائرة لتجدتها لاجهزت الدولة العلية عليها كالصرب والجبل الاسود وناهيك ما فيها من التداخل في امورها الداخلية المحضة والى هنا تمسك ان القلم عن الدخول في موضوع ما ألم بالدولة العلية المحروسة من المصائب بسبب هذه المعاهدة ولا نتعرض لذكر اخلال بلغاريا بها بطردها أميرها اسكندر دى بالمبرج وانتخاب الامير فردينان بدون قبول الدول ولا الى ضم الروم الى الشرقية اليها ولا الى عدم احترام روسيا لبنودها بتحصينها ميناء باطوم ولا الى احتلال فرنسا للقطر التونسي ولا الى دخول عساكر انكلترا الى ديارنا المصرية لاصحاح الثورة العربية وبقائها بها الى الآن بدعوى الاصلاح فان جميع هذه الامور حديثة العهد منطبعة بأسبابها في عقول القراء لاسيما وان الخوض فيها يستدعي الخروج عن موضوع هذا الكتاب التاريخي والدخول في المسائل السياسية المحضة مما ليس من شأننا التوسع فيه الآن

الدستور العثماني

« النهضة الوطنية والاصلاحات في الدولة العلية »

توفي السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٦٦م والدولة العلية في ابان مجدها وأوج عظمتها وكانت ممالكها تحد شرقا بالحدود الهندية وغربا بالبحيط الاطلاطي وكانت أوروبا ترهب سطوته وتخشى قوته .

فخلقه من بعده ملوك لم يتعقبوا خطواته ولم ينهجوا منهجه لاسيما وقد تالبت عليها الدول الأوروبية واختلقت عليها الفتن الداخلية فبدأت في الانحطاط والسلخات منها أجزاء كثيرة وكانت أحيانا ترتقي وأحيانا تنحط الى أن تولى الخلافة السلطان سليم الثالث سنة ١٧٨٩. والبلاد في اختلال والاحكام في ضعف والانكسارية قابضون على زمام الامور يولون من شأوا من السلاطين ويخلعون من شأوا ويقتلون من لم يسر وفاق أهوائهم وأغراضهم والبلاد في فوضى كادت تمزق شملها . فهاجسه حب الاصلاح وصرح بميله الى تنظيم الجند على النمط الحديث وتسليحهم بالاسلحة الحديثة الاختراع . فلم يوافق ذلك الانكسارية فبطشوا به فبات والاصلاح في مهده .

على ان الفكرة رسخت في أذهان العثمانيين فتلقاها السلطان محمود وعمد الى الاصلاح من الوجهة الادارية والعسكرية . فبدد جند الانكسارية وأحل محلهم

جيشاً منظماً . وأخذ يبعث بمشورات الاصلاح الى الولاة والحكام . ولكنه توفي ولم يتم من فروع الاصلاح الا تنظيم الجند تنظيمًا غير تام .

وكانت فكرة الاصلاح قد سرت بين فئة من رجال الدولة فاقاموا يشونها على عهد السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز وأعظمهم شأنًا وأعلامهم بدأ مصطفى رشيد باشا وصالي باشا وفؤاد باشا

فلما توفي السلطان محمود وخلفه السلطان عبد المجيد لشرخط الكلكخانه المشهور سنة ١٨٣٩ ميلادية أى في ٢٦ شعبان سنة ١٢٥٥ هجرية فكانت له ضجة اهتزت لها أوروبا .

وأخذ رجال الدولة منذ اصدار ذلك الخط الهمايونى ينظمون القوانين الخاصة لكل فرع من فروع القضاء .

ثم تألقت لجنة جمعت أعظم الاساتذة العثمانيين فالتفوا المجلة الشرعية التى صدرت الارادة الشاهانية من السلطان عبد العزيز عام ١٢٨٩ هجرية بالسير حسب اصولها وسن قانون الاراضى سنة ١٢٧٤ هجرية وقانون الطابو سنة ١٢٧٥ هـ وقانون الجزاء سنة ١٢٧٤ هـ . وكل هذه القوانين مقتبسة من القوانين الفرنسية مع مراعاة نصوص الشريعة الاسلامية

ثم وضع قانون التبعية العثمانية وتنظيم الحاكم الشرعية والحاكم النظامية والمحاكم التجارية ونظامات الادارة الملكية ونظام ادارة الولايات ونظام شورى الدولة ووضعوا نظاما للمعارف ونظاما للمطبوعات ونظامات أخرى للمطابع والطبع وحقوق التأليف والترجمة ونظاما للرسومات وآخر للمعادن وغيره للطرق والمعابر وغير ذلك مما يقتضيه سير الحضارة ويلائم حالة الامة وبالمجلة فانهم لم يتركوا شيئاً من لوازم ادارة الدولة حق دونوا له قانونا .

فجميع هذه القوانين والنظامات كان معروفا في بلاد الدولة العلية بالدستور ومع ذلك فكان الحكم مطلقا وارادة السلطان فوق كل قانون وفي المسدة الوجيزة التى جلس فيها السلطان مراد على سرير الملك كان مدحت باشا وحزبه الحر قد انتهى من اعداد القانون الاساسى وترتيب نظام مجلس المبعوثين .

﴿ القانون الاساسى والسلطان عبد الحميد ﴾

خلع السلطان مراد سنة ١٢٩٣ هجرية الموافق ١٨٧٦ م وجلس السلطان عبد الحميد على عرش الخلافة وكان قد وعد رئيس الاحرار مدحت باشا قبل جلوسه على العرش بمنح القانون الاساسى وامتناع الامة العثمانية بالحرية

الا ان عبد الحميد أظهر حين جلوسه علامات دلت على اخلافه وعده فن ذلك انه جمع أعداء الاحرار واضداد القانون الاساسي وعينهم في السراى لتقوية مركزه مع انه وعد مدحت باشا بتعيين الشاعر العثماني الكبير نامق كمال بك زعيم الانقلاب باشكاتبيا وضياء باشا لاديب السياسى الشهير مشيرا للمابين فاخلف وعده كما انه كان يسعى جهده لاستئالة رأى العام اليه فكان يمدح الاهالى . الا ان الاحرار لم يخدعوا واستعدوا للمناضلة في سبيل القانون الاساسى .

وكانت الدولة في ذلك الوقت تحارب الصرب فهزمتها واستولى العثمانيون على قلعة (الكسناج) فطلب أمير الصرب توسط الدول فراجعت الباب العالى بعد ان قررت وقف الحرب لمدة موافقة الباب العالى وقد اشترط الباب العالى شروطا لمعقد الصلح يحملها أن يحضر أمير الصرب الى الاستانة ويعرض طاعته على السلطان والا تجند الصرب أكثر من ١٠٠٠٠ جنديا وأن تحتل الجنود العثمانية القلاع الصربية كلها وأن تهدم جميع الاستحكامات المقامة في ميدان القتال وأن تدفع الصرب التعويضات الحربية وأن يقوم بإنشاء الخطوط الحديدية في الصرب شركات عثمانية بموافقة الباب العالى ولكن الدول رفضت هذه الشروط وطلبت من الباب العالى ابقاء الصرب على ما كانت عليه قبل الحرب ومنح البوسنة والهرسك التى كانت تائرة أيضا ادارة مستقلة مع منح البلغار مثلها .

فكان ذلك سببا لطمع الصربيين فقررروا محاربة الدولة ونظم جيوشهم المهندسون الروسيون ولكن كان الانهزام نصيبهم فاستولى العثمانيون على الكسناج ودلفراد وساروا نحو العاصمة بلغراد . فاستنجد أمير الصرب بالروسيا فامر قيصرها بسفيره فى الاستانة بتقديم بلاغ شديد الالتهج الى الباب العالى . وقررت بعد ذلك عقد مؤتمر فى الاستانة للنظر فى أمر البقان :

وبالجملة فقد كان مركز الدولة العلية حرجا للغاية لان أوروبا كلها تألبت عليها وكان يشتم من بلاغ سفير الروسيا رائحة الحرب فقرروا كلاء اذ ذاك منح القانون الاساسى للتخلص من هذه العوائل واقتنع السلطان عبد الحميد بوجوب تنفيذه لانه كان من المستحيل قبول طلبات أوروبا ولا تقاء الاخطار التى تنجم من رفض تلك الطلبات كان الواجب اجراء بعض الاصلاحات . والاصلاح التى لا تتمكن أوروبا من انتقاده هو تنفيذ القانون الاساسى

وفى ذلك الوقت تعين مدحت باشا صدرا أعظم وذلك لان الدول الاوروبية كلها تثق به لعلمها أنه رئيس الاحرار وواضع القانون الاساسى . وقرر السلطان عبد الحميد تعيين مدحت باشا كى ينظر فى مسألة المؤتمر الاوروبى الذى قررت الدول عقده فى الاستانة .

فكان أول ما قام به مدحت باشا هو إنهاء المنازعات بين الدولة وبين الصرب والجبل الأسود وبلغاريا فتمكن من إنهاؤها في زمن قصير وبدأ يسعى جهده لاعلان القانون الاساسى فى الساعة التى سيجتمع فيها المؤتمر الدولى فى الاستانة .

وفى اليوم السابع من شهر ذى الحجة سنة ١٨٧٧ اجتمع الوكلاء والعلماء والامراء وغيرهم فى الباب العالى ثم أقبل مدحت باشا وقرأ الارادة الشاهانية التى منحت الامة العثمانية الدستور والحرية . فهتفوا له جميعاً وحياء العثمانيون من صميم قلوبهم واذ ذاك أطلقت القنابل تحية للقانون الاساسى وكان أعضاء المؤتمر الدولى مجتمعين فى الطوبخانه وبيننا كانوا يتباحثون فى النقطة التى سيتناقشون فيها سسمعوا القنابل وهى تدوى فقام صفوت باشا ناظر الخارجية وقال للاعضاء «ان الامة العثمانية قد نالت مطالبها الشرعية وهى تتمتع بحريتها فلا لزوم لهذا الاجتماع بعد هذا الانقلاب » فوجم الجميع وظلوا ساكتين فطلب سفير روسيا المناقشة فى الموضوع ولكن المندوبين العثمانيين انسحبوا وخرجوا وقد قام العثمانيون بمظاهرة ضد اجتماع المؤتمر الدولى وطلبوا الحرب

﴿ اجتماع مجلس المبعوثين الاول ﴾

اجتمع مجلس المبعوثين لأول مرة سنة ١٨٧٧ م فى سراى طولنه باغجه وافتتحه السلطان عبد الحميد بخطابة مطولة بحث فيها بعد مقدمة تاريخيه عن الامتيازات التى منحت للعناصر غير المسلمة ثم القروض التى عقدت بعد حرب القرم ثم الاختلالات المالية التى حدثت أثناء حكم السلطان عبد العزيز ثم فى عصيان البوسنة والمهرسك ثم وجوب منح القانون الاساسى لتخليص الدولة من الاضمحلال والاقرض ثم قال « عليكم ايها الاعضاء هذه السنة ان تضعوا النظم الداخلية للمجلس وقانون الانتخاب وقوانين ادارة الولايات والنواحي وقانون البلدية وأصول المحاكمات المدنية . وقانون ترقية الموظفين وقانون المطبوعات وديوان المحاسبات والتدقيق فى الميزانية » على انه لم يكده ينتظم مجلس المبعوثين وينظر فى شئون الدولة حتى صدرت الارادة الشاهانية بفضه فتوضت كل اركان ذلك البناء واجتليت الامة بطور استبداد جديد لم تعهد نظيره حتى فى عصور الظلمات .

هدم السلطان عبد الحميد ما بناه الاحرار ولكن رغما من ذلك لم تمت الفكرة فى رؤوس العثمانيين فان هذا الجسم على قوته الكامنة بل على ضعفه الظاهر لم يقو على تحمل اذى الحكومة الحميدية بما اتنا به من ضروب الظلم لاسيما والوية الحكومات الدستورية قد انتشرت من أقصى المغرب الى أقصى المشرق وكواكب الحرية قد سطعت فى كل مكان فبدأ الاحرار يعملون ليل نهار حتى انتصروا ذلك الانتصار الباهر عام ١٩٠٨ فنالت الامة العثمانية الدستور بحماد جيشها الباسل

انتشرت الفكرة الوطنية من عهد مدحت باشا وساعد على انتشارها قصائد

الشاعر العظيم نامق كمال بك الذي أدركه الموت في سجن ماغوسه .
ألف نيازى بك أول عصاة فى رسة وسار على أثره أنور بك ورائف بك وحسن بك
وصلاح الدين بك

أما إدارة الحركة فكانت فى سلانيك والجمعية العمومية للاتحاد والترقى فى باريس
وكان الجميع يجهدون لنشر الافكار الحرة والمبادئ الدستورية
ومما ساعدهم على نشر افكارهم انه لم يكن بينهم خائن قويات حركتهم وانسعت حتى
أصبح لا يمكن بقاؤها تحت طى الخفاء .

وكانت لجنة الاتحاد والترقى وقفت مقدما على القوى التى يمكنها ان ترتكن عليها
فوجدتها كافية وهذه القوى مؤلفة من القليلين الثانى والثالث المعسكرين فى مناستر
واسكوب وادرنه وازمير ومن القليل الرابع المعسكر فى أرض روم .
فكان من المستحيل على الحكومة الحميدية ارسال القليل الاول المعسكر فى الاستانة
لحاربة الدستوريين لانه لا يمكن تجريد العاصمة من الجند ومع ذلك فكان أغلب الضباط
منضمين الى الدستوريين

وكان جنود القليل الثانى والثالث اكثر من غيرهما . فبدأ الدستوريون يؤلفون
عصابات وطنية لمقاومة الحكومة اذا حاولت عرقلة مساعيهم

فقامت عصاة نيازى بك مم ظهرت عصاة أنور بك ورائف بك وحسن بك وغيرهم .
وانتهى الدستور يون من وضع الخطة فى أواخر شهر يونيو سنة ١٩٠٨ فارسلت
الحكومة الحميدية شمسى باشا لاقتفاء أمر عصاة نيازى بك ولكنه قتل قبل ان يبدأ
فى مهمته . وارسلت أيضا من ازمير ثلاثون فرقة من فرق الرديف فانضمت الى
الدستوريين وقوت صفوفهم .

وفى يوم ٢١ و ٢٢ و ٢٣ يوليه ارسل الدستور يون التلغرافات الى الصبر الاعظم
من سالونيك ومناستر واسكوب وسيريس هددوا فيها الاستانة بالزحف عليها اذا لم
يعلن الدستور . فلما وصلت هذه التلغرافات الى السلطان عبد الحميد اصدر الارادة
الشاهانية بمنح الدستور والقانون الاساسى .

الحادثه الارتجاعية وخام عبد الحميد

تفرق شمل المستبدين منذ اعلان الدستور وازداد النور بينهم وبين لجنة الاتحاد
والترقى فاخذوا يفكرون فى اجتثاث أصول الفساد الذى يزعمونه فشجعوا أولا الجرائد
على الكتابة ضد الجمعية

ثم قامت حامية الاستانة بايعاز من اركان السراى . ولخصوا مطالبهم فى شكل دينى
كى ينضم اليهم أهالى الاستانة وهاهى مطالبهم

(١) احياء الشريعة

(٢) عزل الصدر الاعظم وناظرى الحرية والبحرية
 (٣) طرد احمد رضا بك وحسين جاهد بك وجاويد بك ورحى بك وطلعت بك
 واسماعيل حتى بك النخ من المجلس .
 (٤) عزل محمود مختار باشا لانه لم يشترك معهم
 (٥) العفو عنهم .

فبعد مجلس المبعوثين اجتماعا فوق العادة ومع ان عددا لاغضياء يتجاوز الخمسين فانهم
 قرروا اجابة مطالب الثوار واتخبوا وفدا منهم ليلبغ السلطان قرارهم . فتعين اذ ذاك توفيق
 باشا صدرا اعظم وادهم باشا ناظرا للحرية . وقرر العفو عن الجنود فبدأ أولئك
 يطلقون البنادق احتفالا وكان يبلغ عدد أولئك ثلاثين ألفا .
 واجتمع المجلس مرة أخرى بعدها فقرر قبول استقالة الرئيس احمد رضا بك .
 وانقلبت لهجة الجرائد انقلابا اجباريا فبانت تتكلم عن السلطان عبد الحميد كما
 كانت تتكلم عنه ايام الاستبداد .
 وكانت الحالة كذلك فى الاستانة فوردت الانباء بمجيء الجنود من الروم الى الحماية
 الدستور ومجلس المبعوثين .
 ثم حاصر جيش الحرية الاستانة . فاوفد المبعوثون وفدا لمقابلته .
 ودخل الجيش تحت قيادة محمود شوكت باشا الاستانة وحاصر بلديز وحدثت هناك
 موقعة كبيرة انتهت بتسليم حامية بلديز .
 ولكن السلطان عبد الحميد استمر على المقاومة فقرر جيش الحرية ان يحمل الحملة
 الاخيرة . فاطلقت القنابل على حامية الباب العالى والنادى العسكرى واستولت عليهما
 ثم قبضت على الكثيرين من انصار الحكم القديم الذين اثاروا الفتن ومن بينهم مراد
 بك الداغستانى واعدم الجواسيس رميا بالرصاص ويقدر عدد القتلى : ١٢٠٠ قتيل
 وحاصرت الجنود الدستورية بعدها قشلاقات اسكودار . فاستولت عليها . ولم يبق اذ ذاك
 أى خطر على القانون الاساسى فعاد اعضاء البرلمان الى الاستانة واجتمعت الجمعية العمومية
 لتتداول فى أمر السلطان عبد الحميد .
 وكانت النتيجة عزل السلطان عبد الحميد وتولية السلطان رشاد مكانه
 وتم يوم ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٩ تنويع السلطان رشاد باسم السلطان محمد الخامس .
 وبالحملة فان انصار الاستبداد اثاروا فتنهم الاخيرة فوقع الدستور فى أزمة شديدة وتشتت
 شمل عشاقه وحاماه وترقب الملا ان يعيد السلطان عبد الحميد مافعله مع الدستور الاول .
 ولكن كانت الروح الدستورية قد قويت فى قلوب العثمانيين وارتكزت على قوة الجند
 فاحتمل انصار الدستور تلك الضربة بالصبر والثبات وتجدد النزاع الطبيعى بين الاستبداد
 والحرية وانتهى بخلع السلطان عبد الحميد .



٣٥ « خليفة المسلمين وسلاطنة العثمانيين محمد رشاد خاان الخاص »

ولد جلالتة سنة ١٨٤٤ م وقد قضى أغلب عمره في قصر زنجيرلى كوى محوطا بالجواسيس الذين يرصدون حركاته ويقدمون التقارير المشوهة عنه. فظل كذلك الى حين حدوث الانقلاب العثماني وتخلص مع الشعب العثماني من الاستبداد والمراقبة اذ دالت دولة الجواسيس وتل عرش الاستبداد

الا. ان عبد الحميد الذى طبع على الاستبداد لم يرقه ان يرى أمته متمتعة بالحرية راقية اوج الكمالات منظمة أمورها بنفسها مقيمة العدل. فسولت له نفسه احداث تلك الفتنة الارتجاعية لتقويض صروح الادارة الدستورية. ولولا ان أدرك الاستانة في ذلك الوقت بطل الحرية وقائد جيش الفدائيين محمود شوكت باشا وبطلا الحرية نيازى بك وأنور بك لم له ما اراده ولذهبت أتعاب حزب الاتحاد والترقى الذى جاهد في سبيل الحرية ثلاثين عاما ادراج الرياح.

اجتمع المجلس العمومى اجتماعاً سرىاً وخلع عبد الحميد بموجب فتوى من شيخ الاسلام هذا نصها .

« اذا اعتاد زيد الذى هو امام المسلمين ان يرفع من الكتب الشرعية بعض المسائل »
 « المهمة الشرعية وان يمنع بعض هذه الكتب ويمزق بعضها ويحرق بعضها وأن »
 « يبذر ويسرف فى بيت المال ويتصرف فيه بغير مسوغ شرعى وان يقتل الرعية »
 « ويحبسهم وينقيهم ويغربهم بغير سبب شرعى وسائر انواع المظالم ثم ادعى انه تاب »
 « وعاهد الله وحلف انه يصالح حاله ثم حنت واحداث فتنة عظيمة جعلت أمور المسلمين »
 « كلها مختلة وأصر على المقاتلة وتمكن منعة المسلمين من ازالة تغلب زيد المذكور »
 « ووردت أخبار متوالية من جوانب بلاد المسلمين انهم يعتبرونه مخلوعاً وأصبح بقاؤه »
 « محقق الضرر وزواله محتمل الصلاح . فهل يجب أحد الامرين خلعه أو تكليفه »
 « بالتنازل عن الامامة والسلطنة على حسب ما يختاره أهل الحل والعقد وأولى الامر »
 « من هذين الوجهين ؟ »

الجواب : يجب

كتبه الفقير

السيد محمد ضياء الدين

عفى عنه

فلما قرئت هذه الفتوى الجليلة على الاعيان والمبعوثين سألهم سعيد باشا رئيس الاعيان الذى كان برأس الجلسة المختارون خلعه أم تكليفه بالتنازل فأجابوا بصوت واحد : الخلع الخلع

وهذه ترجمة قرار هذا المجلس العمومى (المؤلف من الاعيان والمبعوثين) :
 « يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ و ١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ (٢٧ ابريل سنة ١٩٠٩) م الساعة السادسة ونصف (بعد الظهر) قرئت الفتوى الشرعية الموقع عليها بتوقيع شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندى فى المجلس العمومى المؤلف من المبعوثين والاعيان ورجح بالاتفاق وجه الخلع الذى هو أحد الوجهين الخير بينهما فاسقط السلطان عبد الحميد خان من الخلافة الاسلامية والسلطنة العثمانية واصعد الى العهد محمد رشاد افندى باسم السلطان محمد خان الخامس الى مقام الخلافة والسلطنة »
 خلع عبد الحميد عام سنة ١٩٠٩ فبويع بالخلافة الاسلامية الخليفة الشورى العادل أمير المؤمنين محمد رشاد الخامس .

فلما ولى الخلافة اعاد اليها عهد عمر بن عبد العزيز اذ سار فى المؤمنين سيرته فكان من كل قلب قاب قوسين او أدنى . وعمل على خدمة الامة فاعزته واخذ بيدها فاجتته وأجلها فأجلته وكانت الكلمة التى امتاز بها عهده السعيد تلك التى قالها على مسمع من وزرائه « انا جميعا خدام الشعب »

ولم يرض على توليته الخلافة الا قليل حتى ألف بين قلوب الامة في ظل الدستور فكان لعناصر هذه الامة ابا رحيماً وراعياً حكيماً . ولقد رأى العثمانيون جميعاً من حكم تدبيره وسياسته ماملاً قلوبهم ثقة وتعلقاً به وحبا واقداراً له فكان عهده قاتحة لرقى الممالك العثمانية واصلاحها .
ومنذ ارتقاء جلالة على العرش تسلم حزب الاتحاد والترقي ادارة الحكومة العثمانية وانا لنذكر الاصلاحات التي تمت منذ الثلاث السنين الماضية والاتحاديون يدرون الحكومة العثمانية :

﴿ الاصلاحات الداخلية ﴾

تسلم حزب الاتحاد والترقي ادارة الحكومة واعداؤه من رجال العهد الماضي يمدون بالثبات أولئك المنافقون الذين ارتكبوا من الاعمال المضرة في العهد البائد ما تقشعر منه الابدان . وكانت الحكومة في اختلال تام والامة قد فقدت أسباب الامن والموظفون لا يتقاضون مرتباتهم والديون الخارجية لا تدفع اقساطها في أوقاتها واشتعلت في الولايات نيران القتل والمشاغبات

تلك هي حال الحكومة عند ما تسلمها حزب الاتحاد والترقي . اما حال العناصر العثمانية المختلفة فكان على اسوأ ما يكون وكل عنصر كان يتأهب للفتك باخيه . وكان بين المبعوثين لأول مرة من لم يفهم معنى الحرية ولا يعرف واجباته نحو الامة ولا الفائدة من الاجتماع بمجالس المبعوثين .

تسلم حزب الاتحاد والترقي الحكومة في ذلك الوقت وبدأ في اعماله . واصلاحاته بهمة لا تعرف الكسل ولا الملل .

كان أول ما ابتدأ في تنفيذه من الوسائل النافعة تعميم المساواة بين أفراد الامة بوضعهم جميعاً في مستوى واحد امام قانون واحد .

ومن المعلوم ان هناك بعض بقاع في الدولة العلية لا يمكن الانسان فيها أن يخرج من منزله إلا بعد أن يرخصه الظلام سدوله وهناك بلاد لا يستطيع الانسان أن يسير فيها نهاراً الا وهو مدجج بالسلاح . وغيرها حيث لا يمكن الانسان أن يتجول الا اذا اضطر بحسب معه أربعين أو خمسين رفيقاً . كما كان هناك بلاد يحارب أهلها بعضهم بعضاً . فبدأ حزب الاتحاد والترقي يسعى سعياً متواصلاً لازالة تلك العوائق وتذليل هذه المصاعب باخضاع الجميع لسلطة القانون حيث تتوطد بذلك أركان الجامعة العثمانية .

ولقد وفقت الحكومة لجمع الاسلحة من الاشقياء الذين يلجأون الى الجبال في الروم ايلي . فاثار أولئك من أجل ذلك ثورات شديدة قاومتها الحكومة وأجمدها فعدت السكينة في انحاء الدولة العلية وعم الامن وانتشرت الطمأنينة

﴿ الاصلاحات المالية ﴾

قبض حزب الاتحاد والترقي على ادارة الحكومة العثمانية والخزانة خاوية على عروشها فبدأ في اصلاحها وتمكن من وضع ميزانية مالية الحكومة العثمانية فكانت عبارة عن خمسة وعشرين مليوناً واربعة وثلاثين مليوناً مصروفات . وكانت قد تراكت الديون من جهة ولم تحصل الضرائب منذ سنين من جهة اخرى . فلما وضعت الميزانية المذكورة لم يكن احد يعتقد امكان تحصيل ٢٥ مليوناً من بلاد الدولة ولكن كان المتحصل عقب اعلان الدستور لأول مرة ٢٦ مليوناً ونصفاً سنة ١٩١٠

وفي سنة ١٩١١ بلغ المتحصل ثلاثين مليوناً . ولقد زادت واردات جميع مصالح الحكومة وبالجملة فان المواد الاساسية لارادات الحكومة نمت وازدادت الى درجة كبيرة . وكانت ايرادات السكرك سنة ١٩١٠ ثلاثة ملايين ونصفاً فوصلت الى خمسة ملايين سنة ١٩١١ وكانت واردات العشور سنة ١٩١٠ ستة ملايين فاصبحت سبعة ملايين ونصفاً .

﴿ الاصلاحات الحربية ﴾

لزم يهتم حزب الاتحاد بتنظيم الجيوش العثمانية الى تلك الدرجة التي أصبح يفوق فيها أعظم جيوش دول أوروبا نظاماً وتدريباً لتفاجأ الأعداء الدولة العثمانية من كل ناحية . ولزم يقف الجيش العثماني على حدود الروم ابلى صابداً لا عداً عن التقدم لتمام الأعداء وسخروا من الدولة العلية .

*
* *

وبالجملة فان حزب الاتحاد قد عرف أدواء الاممة وعلاجها فتجح في تقليل المعجرة وعدد المهاجرين في الروم التي وقلل من العشور في الاناضول وقضاري القول ان الحزب قد نجح في مداواة هذه الامراض نجاحاً باهراً . ولقد وزع حزب الاتحاد المبالغ الجسيمة على سكان الجزيرة والموصل والاناضول لاهياء أراضيهم وتعميم الزراعة بينهم بعد الموات . فلا عجب اذا اتهج المسلمون في شرق الارض وغربها بارتقاء جلالته مولانا السلطان الاعظم محمد الخامس عرش الخلافة العثمانية . نسأل الله أن يمد في عمر جلالته ويزيده توفيقاً ويجعل عهده المحبوب عهد اسعاد للدولة والملة آمين

(نـ)

فہرست کتاب
تاج الدولۃ العلیۃ العثمانیۃ

	١	مقدمة تاريخية فيمن ولى الخلافة الاسلامية قبل ملوك الدولة العلية العثمانية
٥١ الفوضى بعد موت السلطان بايزيد	٩	الخلفاء الراشدون
(انفراد السلطان محمد جلبي الغازي بالملك)	١١	دولة بنى أمية
٥٤ (السلطان الغازي مراد خان الثاني)	١٣	ظهور دولة العباسيين
٥٧ تنازل السلطان عن الملك وعودته اليه	١٩	بنى طولون بمصر
٥٨ فتنة اسكندر بك	٢١	ظهور الدولة الفاطمية بتونس
(السلطان الغازي محمد الثاني الفاتح)	٢١	دولة بنى بويه
وفتح القسطنطينية	٢١	الاخشيديون بمصر
٦٦ فتح جزائر اليونان ومدينة اوترانت	٢٢	الفاطيون بمصر
٦٦ حضار مدينة رودس	٢٤	السلاجقون
٦٧ ترتيباته الداخلية	٢٦	الحروب الصليبية
(السلطان الغازي بايزيدخان الثاني)	٣١	دولة الممالك البحرية بمصر
وأخوه الامير جم	٣٤	دولة الممالك الجراكسة
٧٠ ابتداء العلاقات مع دول أوروبا	٣٩	(السلطان الغازي عثمان خان الاول)
٧٢ عصيان أولاد السلطان عليه وتنازله عن الملك لابنه سليم	٤١	(السلطان الغازي أورخان الاول)
(السلطان الغازي سليم الاول الملقب بياوز أي القاطع)	٤٤	(السلطان الغازي مرادخان الاول)
٧٣ محاربة العمجم ودخول العثمانيين مدينة تبريز		وواقعة قوص اوه
٧٥ فتح مصر ودخولها ضمن الممالك المحروسة	٤٨	(السلطان الغازي بايزيدخان الاول)
(السلطان الغازي سليمان خان الاول القانوني)	٤٩	واقعة نيكوبولى
	٥٠	اغارة تيمورلنك على آسيا الصغرى وواقعة انقره ووقوع السلطان بايزيد أسيراً فى أيدي تيمور

(ب)

صحيفة	صحيفة
١٠٨ أسباب الانحطاط	٨٠ فتح مدينة بلغراد
١٠٩ (السلطان الغازى سليم خان الثانى)	٨٠ فتح جزيرة رودس
١١٠ فتح جزيرة قبرص	٨٣ تداخل الدولة العلية فى بلاد القرم
١١١ واقعة ليبانت البحرية	والفلاخ وفتنة الانكشارية
١١٣ (السلطان الغازى مراد خان الثالث)	٨٤ ابتداء المخابرات والمراسلات بين الدولة
١١٣ وضع الحماية على بولونيا	العية وملك فرنسا
١١٤ محاربة النجم ودخول العثمانيين	٨٥ فتح بلاد المجر وعاصمتها
مدينة تبريز رابع دفعة	٨٦ اغارة ملك النمسا على المجر وفتحها مدينة
١١٧ (السلطان الغازى محمد خان الثالث)	بودوا وتصار العثمانيين عليه واسترجاع المجر
وفتح حصن ارلوف وثورة جنود العلف جيه	٨٧ ابتداء الحروب مع النمسا وحصار ويانه
١١٩ (السلطان الغازى أحمد خان الاول)	عاصمتها اول دفعة
وانتصار الشاه عباس	٩٠ دخول العثمانيين مدينة تبريز ثانيا دفعة
١٢٢ (السلطان مصطفى خان الاول)	٩٠ فتح مدينة بغداد
١٢٣ (السلطان عثمان خان الثانى وخلعه	٩١ الامتيازات القنصلية
ثم قتله وارجاع السلطان مصطفى ثم	٩٥ تاريخ خير الدين باشا البحرى وفتح
عزله)	اقليمي الجزائر وتونس
١٢٤ (السلطان الغازى مراد خان الرابع)	٩٧ اتحاد فرنسا والدولة العلية على محاربة
١٢٥ محاربة المعجم واستيلائهم على بغداد	النمسا وبعض وقائع أخرى
١٢٦ ثورة الانكشارية وقتلهم الصدر	٩٨ موت زابولى ملك المجر وسفر السلطان
الاعظم حافظ باشا وثورة فخر الدين	الى بودم حاربه النمساويين
الدرزى	٩٩ سفر الدونامة العثمانية الى فرنسا وفتح
١٢٧ فتح اريوان واسترجاع بغداد	مدينة نيس
١٢٨ (السلطان الغازى ابراهيم خان الاول	١٠٠ ابرام الصليح مع النمسا
وفتح جزيرة كريد)	١٠٠ فتح عدن
١٢٩ (السلطان الغازى محمد خان الرابع)	١٠١ دخول العثمانيين مدينة تبريز ثالث
١٣٣ فتح قلعة نوهزل	دفعة
١٣٦ حصار مدينة ويانه آخر دفعة	١٠٢ معاهدة سنة ١٥٥٣ بين الدولة العلية
١٣٩ (السلطان الغازى سليمان خان	وفرانسا
الثانى)	١٠٧ حصار جزيرة مالطه
١٤٠ (السلطان الغازى أحمد خان الثانى)	١٠٧ فتح مدينة سكندوار
١٤٠ (السلطان الغازى مصطفى خان الثانى)	١٠٧ موت السلطان سليمان

(ج)

صحيفة	صحيفة
٢٠١ الوهابيون ومذهبهم	١٤٢ (السلطان الغازى أحمد خان
٢٠٣ محاربة محمد على باشا للوهابيين	الثالث)
٢٠٣ ابادة المماليك	١٤٥ معاهدة بساروفتس
٢٠٥ عصيان على باشا والى يانيه	١٤٦ (تقسيم مملكة العجم بين العثمانيين
٢٠٦ ثورة اليونان وطلبها الاستقلال	والروس وعزل السلطان الغازى أحمد
٢٠٨ سفر الجنود المصرية الى اليونان	الثالث)
٢٠٩ تداخل الدول	١٤٧ (السلطان الغازى محمود خان الاول
٢١٠ اتفاق آق كرمان	وظهور نادرشاه)
٢١٤ العقد المنفصل المختص بالافلاق	١٤٨ معاهدة بفراد
والبلدان	١٥١ (السلطان الغازى عثمان خان الثالث)
٢١٦ العقد المنفصل الخاص بالضرب	١٥٢ (السلطان الغازى مصطفى خان
٢١٧ واقعة ناورين	الثالث)
٢١٨ خروج العساكر المصرية من موره	١٥٣ وصية بطرس الاكبر
٢١٩ الغاء طائفة الانكشارية	١٥٩ عصيان على بك بمصر
٢٢٠ الحرب مع الروسيا ومعاهدة أدرنه	١٦٠ (السلطان الغازى عبد الحميد خان
٢٣٢ احتلال فرنسا لجزائر الغرب	الاول)
٢٣٣ محمد على باشا وحرب الشام الاولى	١٧٢ استيلاء الروسيا على بلاد القرم
٢٣٥ معاهدة كوناويه	١٧٤ (السلطان الغازى سليم خان الثالث)
٢٣٥ معاهدة خونكار اسكله سى	١٧٤ معاهدة زشتوى وياش
٢٣٥ حرب الشام الثانية	١٧٩ بغض اصلاحات داخلية
٢٣٦ واقعة نصيبين	١٨٠ عصيان بازوند اوغلى
٢٣٧ (السلطان الغازى عبد الحميد خان)	١٨٠ دخول الفرنسيين مصر
٢٤١ معاهدة ١٥ يوليوس سنة ١٨٤٠	١٨٤ خروج الفرنسيين من مصر
٢٤٥ اخلاء المصريين لبلاد الشام	١٨٧ الفتن الداخلية وأسبابها
٢٥١ مسئلة لبنان ومقتلة المارونية	١٩٢ محمد على باشا والى مصر
٢٥٣ الاصلاحات الداخلية	١٩٣ عزل السلطان سليم الثالث
٢٥٤ فرمان السككخانه	١٩٥ (السلطان الغازى مصطفى خان
٢٥٦ الاصلاحات الخيرية	الرابع)
٢٦٠ حركة سنة ١٨٤٨ بجميع أوروبا	١٩٧ (السلطان الغازى محمود خان الثانى)
٢٦١ اتفاق بلطه ليمان	١٩٩ معاهدة بخارست مع الروسيا

(د)

صحيفة	صحيفة
٣٣٥ حرب الروسيا وبيان اسباب لائحة	٢٦١ أسباب حزب القرم
الكونت اندراسى	٢٦٦ واقعة سينوب البحرية
٣٣٧ حادثة سلايك ولائحة برلين	٢٦٩ النمسا وحرب القرم
٣٣٨ ثورة البلغار وجواب اللورد دربي	٢٧٦ معاهدة باريس
٢٤١ حرب الصرب والجبل الاسود	٢٨٤ اطلاق الانكليز المدافع على مدينة
٣٤٥ مؤتمر الاستانة	جده
٣٤٧ اخلاص المجر للدولة العلية	٢٨٤ حادثة الشام واحتلال فرنسا لها
٣٤٨ لائحة لوندرو	٢٨٧ (السلطان الغازى عبد العزيز خان)
٣٥٣ اعلان الحرب	٢٩٣ فؤاد باشا الصدر الاعظم واصطلاحاته
٣٥٥ الاعمال الحربية	٢٩٥ ثورة كريد
٣٥٦ واقعة بلقنه	٢٩٨ سفر السلطان عبد العزيز لمصر
٣٥٩ الاعمال الحربية فى الاناطول	٢٩٨ سفر السلطان المذكور لباريس
٣٦٠ سقوط قارص	٢٩٨ وضع مجلة الاحكام العدلية
٣٦٢ المحاربات الابتدائية والهدنة	٣٠٤ القرمات الشامل لجميع امتيازات
٣٦٧ حل مجلس النواب	الخدوية المصرية
٣٦٧ حادثة جراغان	٣٠٨ علاقات تونس مع الدولة العلية
٣٦٨ حريق الباب العالى	٣١٤ مسئلة قنال السويس
٣٨٤ احتلال انكلترا لجزيرة قبرص	٣١٧ الاختفال بفتح قنال السويس
٣٨٩ معاهدة برلين	٣١٩ عزل السلطان عبد العزيز
٤٠٦ الدستور العثمانى - المنهضة الوطنية	٣٢٠ الفتوى بعزله
والاصلاحات فى الدولة العلية	٣٢٠ (السلطان مراد خان الخامس)
٤٠٩ اجتماع مجلس المبعوثين الاول	٣٢١ وفاة السلطان عبد العزيز
٤١٠ الحادته الارمنجاعيه وخلع عبد الحميد	٣٢٣ قتل حسن بك اكمل من حسين عوفى
٤١٢ السلطان محمد رشاد خان الخامس	باشا ومحمد راشد باشا
٤١٣ الفتوى بعزل السلطان عبد الحميد	٣٢٤ عزل السلطان مراد
وتولية السلطان رشاد	٣٢٦ (السلطان الغازى عبد الحميد خان
٤١٤ الاصلاحات الداخليه	الثانى)
٤١٥ الاصلاحات المالىة والحربية	٣٣١ البرلمان العثمانى الاول

74



Gifted to the University of Toronto Libraries by the
University of Toronto Libraries

